(١٢)
أجزاء من
تهامة والسراة

الجزء
الثاني عشر

القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(أجزاء من تهامة والسراة)

إعداد
أ.د. غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

(١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن جريس ، غيثان بن علي

القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني عشر) ./ غيثان بن علي بن جريس -. أبها ، ١٤٣٨هـ

٥٨٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١- ٤٨٠٠ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- المنطقة الجنوبية (السعودية) - تاريخ أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥ ١٤٣٨/٨٩٤٢

رقم الإيداع ١٤٣٨/٨٩٤٢

ردمك: ١- ٤٨٠٠ - ٠٢- ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

الرياض: مطابع الحميضي

Email:Jrais 2009 @hotmail.com

(المملكة العربية السعودية-أبها-ص.ب: ٩٠٥٠)



هناك أساتذة كرام من جنوبي البلاد السعودية ساهموا في دعم وطباعة ونشر هذا المجلد رقم (١٢) من موسوعة تاريخ الجنوب، فلهم منا جزيل الشكر والتقدير، ونسأل الله -عز وجل- أن يغفر لنا ولهم، ولا يحرمهم أجر ما قدموا لخدمة العلم والثقافة، وهم[١] :

- ١- الأستاذ / عوض بن مشبب العميس القحطاني
- ٢- الأستاذ / عبد الرحمن بن علي بن مبارك القحطاني
- ٣- الأستاذ / عبد العزيز بن سعيد بن مشيط
- ٤- شركة أسمنت المنطقة الجنوبية
- ٥- الأستاذ / عبد الله بن سعيد بن عبد الوهاب أبو ملحة

المؤلف

(١٠/١٠/١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٧/٧/٤م)

---

(١) هؤلاء الرجال الفضلاء لهم جهود تذكر فتشكر في خدمة أهلهم وبلادهم، ومن يدرس اسهامات كل منهم يجدها متنوعه في ميادين الحياة العامة والخاصة، وعلى وجه الخصوص في منطقة عسير وما حولها.

الفهرست العام لمحتويات الكتاب

المقدمـــــة

الحمـد لله رب العالمـين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الديـن . والصلاة والسلام علـى سيـد ولد آدم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي وعلـى آله وصحبه وسلم . أما بعـد ، فهذا المجلـد الثاني عشر مـن موسوعتنا الموسومة بـ : **القول المكتـوب في تاريخ الجنوب ، والأحد عشر جزءاً** التي سبقت هذا المجلد هي:

١. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً) .** (الرياض: مطابع مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). (الجزء الأول). (٥٦٧صفحة) .

٢. **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنوب (عسيـر والقنفـذة) .** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) . (الجزء الثاني) . (٥٢٧صفحة).

٣. **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنوب (عسـيـر ونجـران) .** (الرياض :: مطابع الحميضي ، ٣٢ـ١٤٣٣هـ/٢٠١١ـ٢٠١٢م) . (الجزء الثالث) . (٦٢٥صفحة).

٤. **القـول المكتوب في تاريخ الجنـوب (عسير، وجازان ، والقنفذة).** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). (الجزء الرابع) .(٥٧٢صفحة) .

٥. **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب (الباحـة ، وعسـير) .** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) . (الجزء الخامس) (٦٠٥صفحة).

٦. **القـول المكتـوب في تاريخ الجنـوب (جـازان ، وعسير، ونجـران)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) . (الجزء السادس). (٥٥٠صفحة) .

٧. **القـول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحـة ، وعسير، ونجران) .** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) (الجزء السابع) . (٥٤٦صفحة) .

٨. **القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب (نجران ، وعسـير، الباحة) .** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).(الجزء الثامن) . (٥٢٥صفحة).

٩. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، نجران ، جازان ، رنية ، تربة ، الخرمة)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) . (الجزء التاسع) . (٥٧٦صفحة).

١٠. **القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، ونجران ، وعسير) .** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) . (الجزء العاشر) . (٥٧٣صفحة) .

١١. **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنوب (أجـزاء مـن عسـير).** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م). (الجزء الحادي عشر) . (٥٧٥صفحة) .

أمـا هذا السفر رقـم (١٢) ، فعنوانه : **القول المكتـوب في تاريخ الجنوب (أجزاء مـن تهامـة والسراة)** ، ويتكـون من أربعة أقسام رئيسيـة ، ومقدمة ، وخاتمة ، وملحق لمجموعة وثائق لم يسبق نشرها. وأقسام الكتاب على النحو الآتي:

١. **القســم الأول : ورقات من تاريـخ وحضارة بعض بلدان السـروات وتهامة في المصادر الإسلامية المبكرة .** ويناقش هذا المحور فرعين رئيسيين . الأول: ذكر شـيء من تاريخ تهامة والسراة المـدون في بعض كتب التراث الإسلامي المبكر. والثاني : رصد أسماء وتاريخ وحضارة بعض المواضع في تهامة والسراة المدونة في كتاب: معجم البلدان، لياقوت الحموي.

٢. **القســم الثاني : دراسات وتحقيقات على بعض الأوطان والأمكنة والبحوث عـن أجزاء من تهامة والسراة.** وهذا الباب يشتمل على خمسة مباحث: الأول والخامسـ للأستاذ علـي بن سدران عـن تاريخ عشيرة دوس ومـا جاورها في الجاهليـة والإسلام ، ودراسة نقدية وتصويبية علـى المجلد التاسع من كتاب: القـول المكتوب في تاريـخ الجنوب . والدراسة الثالثة لأستـاذ أكاديمي في قسم التاريـخ . بجامعـة الملك خالد عـن تاريخ قلعـة الثريا بجـازان في ضوء بعض المصادر التاريخية المبكرة. والمبحث الرابع يتكون من دراستين لباحثين تهاميين عن موقع سوق حباشة وذكره في بعض المصادر والمراجع .

٣. **القســم الثالث : مـن بارق عسـير إلى قلوة زهـران (مشاهـدات ، وقـراءات في بعضـ الكتـب والوثـائـق، والبحـوث)** . وهذا القسم جمع بـين المشاهدات والرحلة الميدانية ، وبعض النصوص والروايات والمدونات التي ذكرت شيء من تاريخ وحضارة هذه البلاد .

٤. **القسم الرابع : قراءات وانتقادات على بعض الكتب والدراسات التي صدرت عـن منطقـة عسيروما حولها خـلال القرن (١٥هــ/ ٢٠-٢١م).** ويتكون هذا المحـور مـن ثلاثـة بحـوث: الأول والثالث للأستـاذ محمد بن أحمـد بن معبِّر

القحطاني الذي قرأ ونقد كتابين صدرا خلال الأربعين عاماً الماضية ، أحدهما للدكتور محمود شاكر بعنوان (عسير) ، والثاني لأستاذ عسيري بعنوان (نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود) ، وقدم ابن معبِّر جهداً جيداً في نقد وتصويب هذين الكتابين ، أما الدراسة الثالثة فهي لشاب واعد ، يمتلك حساً تاريخياً ، كان له وقفات مع بعض الكتب التي صدرت في العقود الماضية المتأخرة وبخاصة في نسب ومكان الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان ، وهذا الدارس هو محمد ابن علي آل مسلم الشهري .

وهذا السفر لم يصدر إلا بعد المرور بالعديد من الصعاب والعقبات ، مثل جمع المادة والتثبت من صحتها ، وكذلك دراستها والتعليق على ما فيها من لبس أو غموض. ومع هذا لا ندعي الكمال في كل ما تم رصده وتدوينه ، ونأمل من القرّاء الكرام أن يصوبوا أخطاءنا ، فنحن جميعاً نسعى إلى خدمة العلم والبحث عن الحقيقة .

وفي الختام أشكر كل من شارك معنا في مادة هذا السفر ، وكل من أسدى لنا معروفاً، أو صحح لنا معلومة ، أو زودنا بأي وسيلة تصب في خدمة هذا المجلد ، والحقيقة أن كل الذين أسدوا لي جميلاً كثيرون ، ومنهم من ذُكر اسمه في متن أو حواشي هذا الكتاب ، ومنهم من لم يّذكر ، وقد يصعب علينا حصرهم وتقييد أسمائهم ، وهم جميعاً أصحاب فضل علينا ، فشكر الله لهم ، وجزاهم عنا كل خير. وقبل الانتهاء أشكر العزيز والزميل الكريم الأستاذ الدكتور/ عباس بن علي السوسوة ، أستاذ اللسانيات في جامعة الملك خالد في أبها ، وجامعة تعز في اليمن الذي راجع مسودة هذا السفر قبل الدفع به إلى المطابع. ونسأل الله عز وجل أن يرزقنا الصدق في القول والعمل ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين.

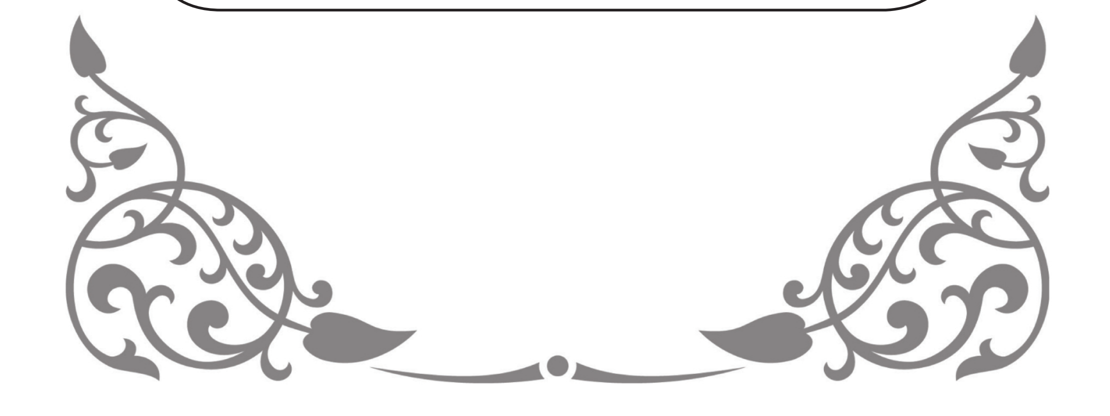
إعداد

العبد الذي يتوسل إلى خالقه فيرجو رحمتة ومغفرته
غيثان بن علي بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري
الهنوئي الأزدي في مدينة أبها البهية يوم الجمعة
(١٠ /رجب/١٤٣٨هـ الموافق ٧ / أبريل/٢٠١٧م)



القسم الأول

ورقات من تاريخ وحضارة بعض بلدان السروات وتهامة في المصادر الإسلامية المبكرة



القسم الأول

ورقات من تاريخ وحضارة بعض بلدان السروات وتهامة في المصادر الإسلامية المبكرة .

أولاً: مقدمة :

في هذا القسم نبحث في جزئيات من تاريخ وحضارة تهامة والسراة في العصور الجاهلية والإسلامية. ويحتوي هذا الباب على محورين، رئيسين هما: (١) **ذكر شيء من تراث تهامة والسراة في بعض كتب التراث الإسلامي في الجاهلية والإسلام (مقتطفات واقتباسات)**. وفي هذا البند لا نقول إننا اطلعنا على جميع كتب التراث، وإنما اقتصرنا على بعضها[١]. (٢) **أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب: معجم البلدان لياقوت الحموي عن السراة وتهامة (مدونات ، وأقوال ، وتعليقات)**. وما تم طرحة في هذين العنصرين قد يفتح آفاقاً أوسع لبعض الباحثين الجادين فيتوسعون في دراسة ما دوناه ، أو يصححون ما وقعنا فيه من أخطاء ، أو دراسة أرض وأهل تهامة والسراة دراسة مطولة ومستفيضة من خلال مصادر التراث الإسلامي .

---

(١) أكرر القول بأن ما تم عرضه في هذه الصفحات نماذج وصور تاريخية وحضارية محدودة ، ونأمل أن يدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب أو رسائل علمية موثقة .

ثانياً: ذكر شيء من تاريخ تهامة والسراة في بعض كتب التراث الإسلامي في الجاهلية والإسلام (مقتطفات، واقتباسات) .

أولاً: مدخل:

كتب التراث الإسلامي متعددة الأسماء، متنوعة الموضوعات ، فمنها الدينية والشرعية والفقهية، كالقرآن الكريم وتفاسيره ، وكتب السنن الستة : صحيح البخاري، وصحيح مسلم ، ومسند أحمد ، وسنن ابن ماجه ، والترمذي، وأبو داود . وكتب الفقه مثل: مؤلفات الأئمة مالك، وأبو حنيفة ، والشافعي، وكتب الخراج : لأبي يوسف، والأموال لابن سلام ، والأحكام السلطانية للماوردي، وما نُشر من مؤلفات في هذا الباب عبر عصور الإسلام المبكرة والوسيطة[1] . وهناك كتب السير، والطبقات ، والتراجم، والتاريخ العام والحولي، وتاريخ البلدان والحواضر، وأيضاً المؤلفات في اللغة ومعاجمها، والأدب والشعر، والمعاجم الجغرافية ، أو كتب الجغرافيا والرحلات ، وكتب الأنساب والقبائل ، وموسوعات التراث الإسلامي العامة ، مثل: نهاية الأرب للنويري، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العُمري، وصبح الأعشى للقلقشندي ، ومبهاج الفكر ومنهاج العبر للكتبي [2] .

---

(١) انظر دراسة مطولة في بعض كتب التراث التي تحدثت عن جنوب شبه الجزيرة العربية . غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ ق٧-ق١٦م) ، ج٢، ص١١-٢٦.

(٢) المرجع نفسه ، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ بلدان السراة وتهامة كما وردت في كتب التراث ، ونرى أيضاً من يدرس هذه الأوطان دراسة أثرية ، فتجمع آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية ، ثم تدرس دراسات علمية ، ونأمل أن مؤسسات أكاديمية تقوم بالتنقيب عن آثارها المدفونة في مواضعها التاريخية المتناثرة في عموم السروات من الطائف حتى نجران .

وفي هـذه الصفحـات لن نستعرض كتـب التراث جميعها ، فهـذا موضوع كبير ويستحـق أن يدرسـ في بحث كبير، وربما خـرج في عدة مجلدات ، ولكننـا سوف نشير إلى مقتطفـات ونمـاذج محدودة ذكـرت بلاد وسـكان تهامة والسـراة في كتب التراث الإسلامي، **والهدف من إشاراتنا هذه والاختصار في الطرح يعود لعدة أمور هي :**

١. أن أرضـ السـروات وتهامة بلاد شاسعـة ومأهولة بالسـكان ، تربط بين بلاد اليمن والحجاز ، ومذكورة في كثير من الكتب التراثية الإسلامية .

٢. الباحـث في مصادر الـتراث الإسلامي عن حضارةٍ وتاريخ هـذه البلاد الممتدة من الطائـف ومكـة شمالاً إلى جـازان ونجران جنوباً لـن يجد تفاصيـل عامة وخاصة عـن أرضـ وسكان هذه الأوطـان ، وإنما سوف يجد شـذرات متفرقة في بطون كتب التراث، وجميع ما كتب عنها عند المتقدمين لا يعطي صورة جلية وكاملة عن تاريخها وحضارتها ، وإنما يشير إلى صور متفاوتة في الكم والمعلومات من محور لآخر.

٣. التنبيه إلى أن مصادر التراث الإسلامي لم تغفل الإشارة إلى حضارة هذه البلاد، لكـن ما حفظته لنا لا يكفي، ولابد مـن إجراء دراسات أثرية في الحواضر والقرى والمـدن الحضارية التي عاشـ فيها وعرفها أهـل البلاد خلال القـرون الجاهلية والإسلامية المبكرة . وهذا التنبيه يفيدنا أيضاً في قراءة بعض الصفحات التاريخية عـن هذه البلاد ، وندعو أرباب القلم وأهل الاختصاص من علماء التاريخ ، واللغة والأدب، والجغرافيا والرحلات، والأنساب في جامعاتنا ومراكزنا البحثية الحديثة أن يجمعوا ويدرسوا وينقدوا ما ذكر عن هذه البلاد في كتب التراث الإسلامي[١] .

ثانياً: صفحات جغرافية وسكانية :

١ـ المقصود ببلاد تهامة والسراة :

تهامة : سميت تهامة لشدة حرها ، وهي تساير البحر ، ومنها مكة والحجاز، قـال ابـن عقيل: ما سال مـن الحرتين سليم وليلى فهـو تهامة . وقـال المدائني : تهامة اليمن هو ما أصحر منها إلى حد في باديتها فهو من تهامة [٢] . وتهامة قطعة من اليمن ،

(١) نأمـل من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ واللغـة العربية في جامعات الملك خالد ، والباحة ، ونجران، وجـازان، وبيشة أن يتخذوا من هـذه البلاد موضوعات لأطروحاتهم في درجة الماجستـير والدكتوراه، وأن تكون كتب التراث الإسلامي من أهم مصادرهم الرئيسية في هذه الدراسات .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ج٢، ص ٦٣.

ويحد تهامة في غربيها بحر القلزم ، وشرقها جبال، وفي شرقها مدينة صعدة، وجرش، ونجـران ، وشمالها مكة وجدة ، وجنوبها صنعـاء، وطول تهامة من الشرجة إلى عدن ، وعرضهـا مـن الجبال إلى عمل غُلافقَـة [١] وتهامة من أقسام بـلاد العرب . ومن بلاد تهامة عك، والمجازة، وعليب، وقتونا وكلها تهامة [٢].

والسـراة : السـراة الجبال . وجبـل السراة ما بين اليمن والشـام ، وهو مجموعة من الجبال المتصلة على شق واحد من أقصى اليمن إلى الشام ، والسروات ثلاث: (أ) سـراة بين تهامة ونجـد وأدناها الطائف وأقصاها قرب صنعـاء ، والطائف سراة بني ثقيـف . (ب) معدن البرام هو السراة الثانية وهو في بلاد عدوان. (ج) والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من المشرق ومنها سراة بني شبابـة وغيرها من الطائـف حتى صنعاء[٣] . وفي وصفها [٤] . أنهـا جبال شامخة عالية ذات عيـون دافقـة ومياه جارية على قرى متصلة الواحـدة إلى جانب الأخرى ، ولا تخلو قريـة منهـا من أشجار وغروس ذوات فواكه أكثرها العنـب واللوز . وقد وصفت في كتب عـدة [٥] . وتشتمل على السروات التالية : سراة بني سيف ، وجبلان ، والمصانع ، وعذر، وهنـوم ، وخولان ، ثم يتلوهـا السروات التي بأرض تهامة ، وهـي: سراة جنب ، وتهامة السراة ، ثم الجبل الأسود إلى الشقرار وسعياً من أرض جرش . وغور هذه البلاد أعلاه ضنـكان والبرك والمعقـد، وسراة عنز ، وسراة الحجر نجدهـا خثعم وغورها بارق، ثم سـراة مـن الأزد وبنو القـرن، وبنو خالد ، نجدهم خثعم وغورهـم قبائل من الأزد ، ثم سـراة الخـال لشكر ونجدهم خثعـم ، وغورهم قبائل من الأسد بن عمـران ، ثم سراة زهـران مـن الأزد دوس وغامد ونجدهم بنو سوأة بن عامر ، ثـم سراة بجيلة فنجدها بنـو المعترف، وغورهـم بنو سعد من كنانة . ثم سراة بني شبابة وعدوان وغورهم الليث ومركوب فيلملم . ثم سراة الطائف وغورها مكة ونجدها ديار هوازن من عكاظ[٦] .

ونورد بعض أقوال الذين كتبوا في الجغرافيا كالهمداني، وياقوت الحموي، فالحسن الهمداني يشير إلى أن السراة أعظم جبال العرب ، ويمتد من أقصى اليمن حتى أطراف

---

(١) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، مج١، ص ١٤٦.
(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٨هـ، ج١، ص ١٦.
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص ٢٠٤ .
(٤) العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الرابع ، تحقيق حمزة أحمد ، ص ٥٤ .
(٥) انظر: أبو الفداء ، تقويم البلدان . البكري ، المسالك والممالك . القلقشندي ، صبح الأعشى . والنويري ، نهاية الأرب.
(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض ، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص١١٥-١٢٠.

بـوادي الحجـاز، وأرضـ تهامة تجمع مـا يلي هذا الجبل مـن أسياف البحـر من بلاد الأشعريـن ، وعـك ، وكنانه، والجحفة وما صاقبها وغار مـن أرضها في تهامة [١] وجبل السراة الذي يصل ما بين أقصى اليمن والشام ، وتبدأ السراة من أرض اليمن وتشتمل علـى السروات التاليـة: (سراة المعافر [٢]، الـكلاع، وبني سيف، وجبـلان [٣]، وقدم [٤]، وعـذر، وهنوم [٥]، وخولان)، ثم يتلوها السـروات التي بأرض تهامة وهي: (سراة جنب : قرية جنب في هذه السراة ، والكبيبة، وتهامة السراة : ثم الجبل الأسود على الشقرار وسعياً من أرض الطود [٦] ، وسراة عنز ، وسراة الحجر نجدها خثعم وغورهم بارق ، ثم سراة ناة من الأزد ، وبنو القرن ، وبنو خالد، ونجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد ، ثـم سـراة الخال لشكر ونجدهم خثعم وغورهم قبائل مـن الأسد بن عمران ، ثم سراة زهران من الأزد ودوس وغامد والحر ونجدهم بنو سواءة بن عامر وغورهم لهب وعويل من الأزد ، وبنوعمرو وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية [٧].

ويشير ياقوت الحموي إلى أن تهامة سميت بهذا الاسم لشدة حرها وركود رياحها. وهـي تساير البحر ومنها مكـة وأجزاء من الحجاز . وقال الشرقي بن القطامي : تهامة إلى عـرق اليمن إلى الجحفـة وذات عرق. وقال ابن عقيل: ما سـال من الحرتين سليم وليلـى فهـو تهامة . وقال الأصمعي: طرف تهامة من قبل أحد مدارج العرج، وأول تهامة مـن قبـل نجـد ذات عرق . وقـال المدائنـي : تهامة اليمن هـو ما أصحر منهـا إلى حد في باديتهـا فهـو من تهامـة [٨]. والسراة الجبال . وجبـل السراة : يصل مـا بين اليمن والشـام وهـو مجموعة من الجبال المتصلة على شق واحد مـن أقصى اليمن إلى الشام ، والسـروات ثلاث: وأدناه الطائف وأقصاها قرب صنعـاء ، والطائف سراة بني ثقيف ، ومعـدن البرام هـو السراة الثانية ، وهو في بلاد عدوان ، والسـراة الثالثة أرض عالية وجبـال مشرفة على البحر من المغرب وعلى نجد مـن المشرق ، وبأسفل السروات أودية

---

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٥٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٥، ١٠٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
(٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت ، دار صادر) ، ج٢، ص ٦٣.

تصب في البحر منها: الليث، وقنونا ، وضنكان ، وعشم ، وبيش ، ومركوب ، ونعمان، وهو وادي عرفات، وعليب، ويوجد بجبال السراة الأعناب وقصب السكر والقرض والأسحل، وأفصح الناس أهل السروات المطلة على تهامة مما يلي اليمن : (أولها هذيل وتلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ، وسراة الأزد - أزد شنوءة - وهم بنو كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر من الأزد) ، قال سعيد بن المسيب : " إن الله تعالى خلق الأرض فمادت فضربها بهذا الجبل (السراة) ، وهم أهم جبال العرب "[١].

٢- أهم المدن والقرى والبلدان :

(*) **الطائف:** مدينة قديمة جاهلية وهي بلد الدباغ ويدبغ بها الأهب الطائفية، وسكنها ثقيف ، وسكن شرق الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص وبها الكثير من الأودية . وفي الطائف حائطان لزبيدة عظيمان يقال لموضعهما وج ، ووادي لية وسكنه بنو نصر من هوازن ، ووادي جفن[٢]. (*) **نجران :** وهي قرية تحت تهامة اليمن وبها أودية منها : (وادي الخسف ، والخسف ما اشتق إلا من الخصب - ووادي العلائم ، ووادي الرفاء التي تهب الرياح فيه مدة اثنتي عشرة ليلة فيهلك الزرع ، والكروم) [٣]. (*) **جرش :** جرش وخيوان ونجران كلها بلاد متقاربة في المقدار والعمارة ، وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء في الجودة [٤]. وهناك عدة روايات في سبب تسمية جرش بهذا الاسم : قيل أن تبعاً أسعد بنٍ كرب خرج غازياً من اليمن فلما صار في بلاد جرش وهي خالية آنذاك رأي فيهم ضعفاً وقال لهم: (اجرشوا هاهنا أي البثوا فسميت بذلك) ، وهي مخلاف من مخاليف اليمن جهة مكة وهي عظيمة ، وولاية واسعة ، وإليها ينسب الأديم الجرشي والنوق الجرشية ، ولقد فتحت في عهد الرسول (ﷺ) وصالح أهلها[٥]. وهي بلدة بها نخيل وتشتمل على أحياء من اليمن ، ويقال جرش بلدة صالحة

---

(١) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢٠٤، ٢٠٥. هناك مصادر جغرافية عديدة غير الهمداني وياقوت الحموي فصلت الحديث عن جغرافية جبال الحجاز التي فيها جبال السروات ، وكذلك بلدان تهامة مثل: الأصفهاني ، والحربي ، والمسعودي ، والمقدسي ، والبكري، واليعقوبي ، كما أن هناك بحوثاً عديدة حديثة ناقشت الموضوع نفسه مثل كتب ودراسات جواد علي، وصالح أحمد العلي ، وحمد الجاسر ، ومحمد علي الأكوع وغيرهم .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٠ .

(٣) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(٤) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مج ١، ص ١٥١ .

(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٢٦ .

وحولهـا من شجـر القرض ما لا يحصى ، بها مدابغ كثيرة وعرضها ست عشرة درجة ، قال الإدريسي : مدينة جرش ونجران متقاربتان في القرب والعمارة ، ولها مزارع وضياع وبينهما ست مراحل[1] .

(*) تبالـة : بقـرب الطائف على طريق اليمن من مكة وهـي لبني مازن قال عمرو بن معديكرب :

أأغـــزو رجـال بنـي مـازن ببطـن تبـالـة أم أرقـدُ

وهـي التي يضرب بها المثـل ، فيقال: " أهون من تبالة على الحجاج " وزعم أبو يقظـان أن أول عمـل وليه الحجاج بـن يوسف الثقفي عمل تبالة ، وهـي من أعمال مكة سميـت بتبالـة بن جناب من بني عملق، أو بتبالة بنت مديـن كما زعم الكلبي [2] . أسلم أهـل تبالة وجرش مـن غير حرب في السنـة العاشرة من الهجرة . وهـي أرض خصبة قريبة من بيشة وتقع على مسافة ثمانية أيام من مكة وستة أيام من الطائف ويوم واحد مـن بيشة [3] ، وذكـرت في مواضع أخرى [4] . (*) **بيشة :** قريـة تقع على واد من بلاد اليمـن وتسكـن بيشـة الكثير من البطون ومنهـا : بطون من خثعم ، وهـلال وسواءة بن عامـر بـن صعصعة ، وسلـول وعقيل، والضبـاب ، وقريش وهم بنو هاشـم ، وبيشة واد يصـب سيله من حجـاز الطائف ويصب في نجد وهو موضع كثـير الشجر وبه نخيل[5] . قـال العقيلـي : جمع بني خفاجة يجتمعون ببيشة ورنية وهمـا واديان ، أما بيشة فيصب مـن اليمـن. وأما رنية فيصب من السراة [6] . (*) **زبيد :** مدينة كبيرة وأهلها أهل مال وثـروة ، وبهـا يجتمع التجار من أرض الحجاز وأرض الحبشة ومصـر الصاعدون من مراكب جدة وهي على نهر صغير[7] ، وهي وادي الحصيب يذكر في الآثار أن رسول الله (ﷺ) قال لمعاذ وصيته : " يا معاذ إذا جئت وادي الحصيب فهرول " ومن علمائهم أبو محمـد الصنعـاني ، والفقيه الصوفي ، وأبو علي الزبيدي . ماؤها آبار ، ولها نخل كثير ،

---

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧١ .
(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٠-١١ .
(٣) الكتب التي أوردتها كثيرة ومنها : الهجري ، تحديد المواضع وغيره .
(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص ٥٢٩ .
(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، تحقيق: حمد الجاسر ، صالح العلي ، دار اليمامة ، الرياض .
(٦) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٥٢ .
(٧) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٦٥.

وعليهــا سور فيه ثمانية أبواب ، ولها ساحل يعرف بغلافقة [١] . (*) **حلي :** من أطراف اليمــن وتعرف بحلي ابــن يعقوب[٢] ، وهي آخر حد من جهة مكة [٣] . (*) **أبيدة** : منزل من منازل أزد السراة بين تهامة واليمن[٤] . (*)**أديم :** أرض تجاوز تثليث ، تلي السراة بــين تهامة واليمن وكانت من ديار جرم قديماً[٥] . (*) **تثليث:** موضع ببلاد بني عقيل: قال الهمداني : " تثليث: واد بنجد وهو على يومين من جرش في شرقيها إلى الجنوب، وعلى ثلاث مراحـل ونصـف من نجران" . قال: " وتثليث لبني زبيد ، وهم فيهــا إلى اليوم ، وبها كان مسكن عمـرو بـن معد يكرب الزبيـدي" [٦] . (*) تربة: وهو موضع في بـلاد بني عامر قال محمد بــن سهل: " من مخاليف مكة النجدية وهي الطائف، وقـرن المنازل ، ونجران ، وعكاظ ، وتربة، وبيشــة ، وتبالة، والهجيرة ، وجرشـ". قال: " ومخاليفها التهامية : ضنكان ، وعشم ، وأبين" [٧] . (*) **رنيــة :** قرية حد تبالة يسكنها بنو عقيل قرب بيشة وتثليث[٨] .وهي واد ينصب من تهامة [٩] .(*) **رمع:** قرية أبو موسى لبلاد الأشعريين قرب زبيد [١٠] . وغيرها من القرى الكثيرة والمدن التي احتوتها بلاد السراة وتهامة[١١] . (*) **بلاد وادعة النجدية :** بقعة وعــوذان والثويلة وغيل علي وأعلــى وادي نجران ، وجبل شوك، فالزبران ، فالنمنضج ، فغيــل علــي ، فأقاويات ، فجلاجل، وهم من وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج[١٢] .(*) بلد يام : وليام وطن بنجران نصف ما مع همدان ، وهي حارة وملاح وسمنان، وبخليف دكـم قتل عبد الله بن الصمة أخو دريد ، والحضيرة ، وبدر ، وصيحان، وقابل نجران ، وهدادة ، والحظيرة بأعلى حبونا[١٣] .

---

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٨٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص ٢٥١ .
(٤) المصدر نفسه ، ج١، ص ٨٥.
(٥) المصدر نفسه ، ج١، ص ١٢٧ .
(٦) البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٢٧٤.
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .
(٨) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٧٤ .
(٩) البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٢٦٧ ، والصحيح أن ينصب من السروات .
(١٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٦٨ .
(١١) أسماء القرى والأودية والجبال والمواضع لتهامة والسراة التي ذكرتها كتب التراث، كثيرة جداً ، واكتفينا بهذه النماذج المذكورة في هذا القسم .
(١٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٠ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .

(*) ديار جنب وهي منبه: ومن ديارهم سروم عقدة ، وسروم العين ، وسروم الفيض هي سروم الطرفاء ، والسفسف ، والقرحاء ، والثجة ، وذات عش، والجبل الأسود وهو معظم بلد جنب، وهو ما بين منقطع لسراة خولان بحذاء بلد وادعة إلى جرش وفيه قرى ومساكن ومزارع وهو شبيه بالعارض من أرض اليمامة . ومن بلد جنب راحة ومحلاة ، وهما واديان يصبان من الجبل الأسود إلى نجد شرقاً ، وله أودية تهامية ونجدية [١] . (*) بلد بني نهد: طريب، ومصابة من ذوات القصص ، وكتنة ، وأراك، وأراكة في أسفل بلد زبيد وهي ناحية المصامة من ديار خثعم بن عامر بن ربيعة . وتثليث وكان لعمرو بن معد يكرب فيه حصن ونخل ، والقرارة ، والريان ، وجاش، وذو بيضان، ومريع ، وعبالم وغرب والحضارة ، والعشتان، والبردان (بئر بتبالة) وبالعرض من نجران[٢] . (*) شهران : وشهران في سراة بيشة وترج وتبالة فيما بين جرش وأول سراة الأزد [٣] . (*) بلد خثعم : أعراض نجد بيشة وترج وتبالة والمراغة[٤] . (*) بلد هلال: الواديان رنية وأبيدة ، ومن القرى : القريحا وقد خربت ، والعبلاء والفتق[٥] . (*) بلاد حَكَم من حكم آل عبد الجد ومدنها وملوكها: الهجر ، والخصوف ، والساعد، والسقيفتين ، والشرجة ، ومن قراها أيضاً: العداية ، والركوبة، والمخارف ، والقليق، ومن أوديتها : حرض ، وحيران ، وجذلان ، وبني عبس ، والحيد، وتعشر، وجحفان ، ولية ، وخلب ، وزائرة ، وضمد ، وجازان ، وصبيا [٦] . (*) مخلاف عثّر: وعثر ساحل جليل، ومدينة بيش، وحصبة أبراق ، وفيه من الأودية : الأمان ، وبيش ، وعتود ، وبيض ، وريم، وعرمرم ، وزنيف ، والعمود، وهو الخولان ، وكنانة ، والأزد وملوكه من بني مخزوم ومن عبيدها [٧] . (*) بلد حرام وكنانة : وهو وادي أتمة وضنكان وهو معدن غزير ولا بأس بتبره ، والحرة ، حرة كنانة ، والمعقد، وحلي ومن أوديتها : الفراسة، والجونية ، والمحرم ، ودعنج ، وعشم معدن ، والسرين، والليث ، ومركوب، واديان فيهما عيون ، ويلملم، والخيال ، وطيبة ، وملكان ، والبيضاء ، والمدارج ، ووادي وحمة وأسفل عرنة [٨] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

(٨) المصدر نفسه ، مازال هناك عشرات القرى والمواضع التي ذكرتها كثير من كتب التراث ولم نذكرها ومن يعود إلى كتب المعاجم الجغرافية القديمة سوف يطلع على الكثير منها.

٣- بعض الجبال والأودية :

أ - الجبال : (١) أراك أو أرال : جبل الهذيل قريب من الطائف[١]. **(٢) يلملم**[٢] : جبل من تهامة على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن . **(٣) شكر:** جبل باليمن قريب من جرش[٣] . **(٤) شماخير:** جبال بالحجاز بين الطائف وجرش[٤]. (٥) غزوان : جبل بمكة على ذروة الطائف وتسكنه هذيل ولا يوجد بالحجاز موضع أعلى منه[٥]. **(٦) تخثم :** اسم جبل بالمدينة وقيل ببلاد بلحارث بن كعب . **(٧) تضارع :** جبل بتهامة لبني كنانة. **(٨) تفرع:** جبل لكنانة قرب مكة. **(٩) تيل:** جبل أحمر شاهق من وراء ديار عامر بن صعصعة . **(١٠) جندف:** جبل باليمن في ديار خثعم وترج . **(١١) الثدوان :** جبلان بتهامة وقيل باليمن أحمران. **(١٢) عصم:** جبل لهذيل. **(١٣) غرار:** جبل لهذيل. **(١٤) لحوظ:** جبل في بلاد هذيل. **(١٥) يصرم :** جبل في بلاد هذيل. **(١٦) حلبة :** وادي بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة. **(١٧) السلان :** واد فيه ماء من أرض تهامة . (١٨) الضجُن : وادي في بلاد هذيل بتهامة أسفله لكنانة . **(١٩) الكفئان:** شعبان بتهامة فيهما طريقان مختصران يصعدان إلى الطائف . **(٢٠) لحف:** وادي بالحجاز عليه قريتان: جبلة والسراة [٦].

ب - الأودية :

(*) وادي بني عبس من حكم [٧].(*) وادي خلب ، وعلى جانبيه الخصوف ومآتيه من القفاعة ، والبار وبينهما أودية تشرع في قاع تهامة ، وتسقى المخاريف من بلد حكم إلى البحر وهي: وادي تعشر ، وأودية الحيد ، والملحة ، ولية ثم خلب[٨]. (*) وادي عتود: وادي نجران ، وادي المنبج [٩]. **أودية تربة ورنية وبيشة :** هذه جميعها أودية

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص ١٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٤٤١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٣، ص ٣٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٣٦٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص ١١٢ .
(٦) هذه نماذج من جبال تهامة والسراة ، وهناك عشرات الجبال المتفاوتة في الكبر والصغر وفي الطول والعرض. وبعض الجبال الكبيرة تستحق أن يفرد لها دراسات مستقلة .
(٧) الهمداني ، المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
(٩) المصدر نفسه ، ص١٢٦، ١٦٢، ١٦٣ .

ضخمة مسيرة كل منها عشرون يوماً ، وأسفلها في نجد وأعاليها في السراة[١]. (*) ترج : واد إلى جانب تبالة . (*) : تضاع: وادي بالحجاز لثقيف وهوازن. (*) حلية[٢] : واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة وقال أبو المنذر : ظعنت بجيلة وخثعم إلى جبال السراة فنزلوها وسكنوا فيها فنزلت قسر بن عبقر بن أنمار بن أراش جبال حلية وما صاقبها فأجلوهم عنها وحلّوا مساكنهم ثم قاتلوهم فغلبوهم على السراة وقاتلهم بعد ذلك خثعم ونفوهم عن بلادهم .(*) حيض : شعب بتهامة لهذيل من السراة . (*) دوقة[٣]: لغامد وهي وادي على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة وبينه وبين يلملم ثلاثة أيام. (*) ضنكان : واد في أسافل السراة يصب في البحر. (*) ومن الأودية: وادي جازان ، وضمد وبينهما وبين خلب أودية مثل زائرة ، والفجا ، وصبيا ، وبيش[٤]. (*) وادي نجران : وفروعه من ثلاثة مواضع من بلد بني حيف من وادعة ، ومن بلد بني جماعة من خولان ، ومن بلد شاكر[٥]. (*) ويعترض بين نجران وتثليث أودية منها : حبونن وغيره من بلاد وادعة ويام وزبيد وسنحان وبلد جنب[٦].

٤- : من مواضع المياه :

أمكنة المياه بأرض تهامة والسراة كثيرة ومنها (*) تصيل: بئر في ديار هذيل . (*)**تقنذ :** من مياه بني سعد بن بكر بن هوازن . (*) الحليسة : ماء لقوم من بجيلة يجاورون بني سلول . (*) **حماط :** ماء من صدر الليث[٧].(*) تيان : ماء في ديار هوازن . (*) **دعائم :** ماء لقوم من خثعم وهم جيران لبني سلول . (*) العرى: ماء لقوم من بجيلة مجاورين لبني سلول . (*) عتود : ماء لكنانة وخزاعة.

٥- بعض القبائل التي سكنت المنطقة :

من القبائل التي سكنت بلاد تهامة والسرة ، واستقرت بها ومازال بعضها في أماكنها القديمة حتى اليوم . (*) مذحج: من بني أدد بن زيد بن يشجب بن

---

(١) ياقوت الحموي ، ج٢، ص ٢١، ج٣، ص ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٢٩٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٤٨٥ .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٣.

(٦) المصدر نفسه ، ، ص ١٦٦ .

(٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٩٨ .

عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال الكلبي : عن مذحج بن أدد وهو ذو الأنعام، وله ثلاثة نفر: مالك بن مذحج ، وطيئ بن مذحج ، والأشعر بن مذحج، ومن قبائل مذحج سعد العشيرة ، وجعف ، وصعب. ومن بني زُبيد: عمرو بن معديكرب الزبيدي . ومن مذحج جنب[١] ، والنخع ، وعنس[٢] وهو عنسٍ بن مالك بن أدد ، ومن بطونها أيضاً مراد ، ومن مراد فروة بن مسيك وكان والياً لرسول الله (ﷺ) على نجران[٣]. (✽)الأشعر: هو الأشعر بن أدد أخو مذحج ، ومن بطون الأشعريين : مراطة ، وأسد وسهلة ، والدعالج ، ومن أشراف الأشعريين أبو موسى الأشعري[٤]. (✽) الأزد : فهم من ولد الغوث، ومن الأزد: خزاعة ، وبارق، ودوس، والعتيك، وغافق، فهؤلاء بطون الأزد[٥]. ومن بارق : مُعفِّر بن حمار البارقي، وهو صاحب القصيدة المشهورة :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قَرّ عيناً بالإياب المسافرُ

(✽) أما دوس: سكنت إحدى السروات المطلة على تهامة ، وأول من ملك منهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، ومن دوس أبو هريرة . (✽) أما العتيك وغافق: فقبيلتان مشهورتان في الإسلام ، وهم من ولد الأزد ومن بطونها مازن ، وألمع ، وغامد، وثمالة ، ولهب ، وزهران ، ووالبة ، وعك ، وفهم ، والجهاضم وغيرهم[٦]. (✽) بجيلة وخثعم : من ولد عمرو بن الغوث ، وهم ولد أنمار بن أراش[٧]. وكانت منازل خثعم في البلاد الممتدة من الطائف إلى نجران ، ولاتزال بطون منها موجودة حتى الآن في محافظة بلقرن ، ومنها بطون في تهامة والسراة . ولقد تعبدت خثعم مثل بجيلة ودوس وباهلة والأزد للصنم المسمى (ذو الخلصة) الذي هدمه جرير بن عبد الله البجلي في صدر الإسلام ، أما بجيلة فهم بطون عديدة متفرقة ومن أشهرها قسر ، وعلقمة ، وبنو

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ج٣، ص٣٩٣.

(٢) العمري ، مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٦٢.

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٣٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠٠

(٥) العمري ، مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٥٤ .

(٦) الأشعري ، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ، تحقيق سعيد عبد المقصود ، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٩هـ، ص٥٦ .

(٧) النويري ، نهاية الأرب ، المؤسسة المصرية العامة ، السفر الثاني ، ص ٢٥٤.

أحمس[١] . (*) ثقيف : وهو ثقيف بن منبه بطن من هوازن ، ومن ثقيف بنو جهم ، وبنو عوف ، ويعرفون بالأحلاف ، وكانوا يقيمون بالطائف ، وثقيف بن بكر بن هوازن[٢] . (*) القبائل النزارية: تتألف من ربيعة ومضر وإياد وأنمار ، أما إياد فكان موطنها تهامة إلى حدود نجران ثم تفرقت بسبب الحروب وسكن قسم منها وادي بيشة [٣] . أما أنمار فهو أبـو بجيلـة وخثعم [٤] . وقصة أولاد نزار مع الأفعى الجرهمي معروفة في نجران[٥] . كما سكنها سام بن نوح[٦] ، والعماليق[٧] وولد قحطان بن عابر[٨] ، وعندما اقتسم أولاد معد بن عدنان[٩] الأرض نزل مضر بن نزار الأرض الممتدة ما بين السروات والحرم ، وربيعة ابـن نزار من نجد إلى غور تهامـة ، وأما إياد وأنمار ابني نزار فنـزلا الأراضي الممتدة مـا بين أرض مضـر إلى نجران وما حولها . فسكنوا الجبـال والسهول وجعلوها مراعي لأنعامهـم [١٠] . وذكـر الهمداني : إن سعد العشيرة [١١] قـد أخرجت معد من تهامة إلى

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، جامعة بغداد ، ج٤، ص ٤٤٤ ، ٤٤٦ .

(٢) الأشعري ، المصدر السابق ، ص ٦٤.

(٣) جواد علي ، المفصل ، ج١، ص ٣٩٦ .

(٤) الاشعري ، المصدر السابق ، ص٦٤ .

(٥) انظر : العمُري ، مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٧٢.

(٦) بعـد الطوفـان ونزول نوح عليه السـلام الأرض قسمها بين أولاده الثلاثة (سام ، وحـام ، ويافث) فكان لابنه سام الأرض الممتدة من بلاد الحرم وحتى حضرموت وإلى عالج ومن ولده أرم بن سام ، انظر : المسعودي ،ج١، ص ١١.

(٧) عندمـا أصاب اليمن القحط هاجرت جرهم وتفرقت العماليق، ومن هلك من بقاياهم عاد فاتجه العماليق نحو تهامـة يطلبون الماء والمرعـى وعليهم السميدع بن هوبر بن لاوي بن قويطر بـن كركر بن حيدان فجاوروا هاجر وإسماعيل عليهم السلام ، المسعودي، ج٢، ص ٤٦، ٤٧ .

(٨) واستقر ولد قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفشخد بن سام بن نوح بن كهلان وحمير بأرض اليمن والتهائم والأنجاد وبلاد حضرموت والشحر والأحقاف ، وبلاد عمان وغيرها من الأمصار . المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٢، ص٧١ .

(٩) عدنـان بـن ميـدع بن أدد بـن كعب بن يشجب بن يعـرب بن الهميسع بـن جميل بن سليمان بـن ثابت بن قيدار بـن إسماعيـل . وقد روي ابـن عباس - رضي الله عنـه - أن النبي ﷺ انتسب فلما بلغ عدنـان وقف وقال: (كذب النسابـون) . وولـد عدنان عك بن عدنان، ومعد بن عدنـان ، وولد معد بن عدنان ثمانية نفر يذكر منهم أربعة : قضاعة بن معد ، وإياد بن معد ، ونزار بن معد ، فولد نزار ربيعة ، ومضر، وأنمار ولد خثعم وبجيلة فساروا إلى اليمـن، وأمـا مضر فولد إلياس ، ويقال لولد إلياس خندف. المقدسي، البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت ، مج٢، ص ١٠٦، ١٠٧ .

(١٠) البكـري ، معجم ما استعجم من البـلاد والمواضع ، تحقيق: د جمال طلبة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ، ج١ ، ص ٢٨، وكان لأولاد نزار بن معد قصة مع الأفعى الجرهمي ملك نجران بوصية من والدهم في خبر يطول ذكره. المسعودي ، المصدر السابق ، ج٢، ص ١٤٤ وما بعدها .

(١١) وهـي مـن قبائل مذحج : سعد العشيرة بن مالـك بن أدد ومن بطون سعد العشيرة : جعـف ، وصعب ، ومن بني زبيد الصفر: عمرو بن معديكرب. انظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ط القاهرة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٧٢/١٩٦٥م ، ص٣٩٣.

الحجـاز بعد حـروب دارت بينهم[١] ، وفي أعقاب سيل العرم وخـروج عمرو بن عامر[٢] بمـن معه من أهل اليمن فتفرقوا في الأرض فسكن السروات: الحجر بن الهنوء، ولهب، ونـاه، وغامد[٣] ودوس[٤] وشكر ، وبارق السـوداء[٥] ، وحاء ، وعلي بن عثمان ، والنمر ، وحوالـة، وثمالة[٦] وسلامـان، والبقوم ، وشمران ، وعمرو، ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريسوت[٧] وتلك القبائل مازالت تسكن الكثير من بطونها المنطقة السروية وأجزاء من تهامة حتى الوقت الحاضر.

ثالثاً: شيء من الحياة الدينية والعقائدية:

لم تكـن منطقـة السـراة بمعزل عن بقيـة أرجاء الجزيـرة العربية ، فلقـد تأثرت بالمعتقـدات الدينية السائـدة بها سواءً الوثنية أو السماويـة . ويمكن أن نتناول الأحوال الدينيـة في بلاد تهامة والسراة من خلال محوريـن(١) السرويون ومعتقداتهم الدينية في الجاهلية .(٢) نور الإسلام يشع في البلاد السروية .

١ـ في الواقـع أن السرويـين سـرت بينهم الكثير من معتقـدات العرب في الجاهلية
ومنهـم من كان وثنيـاً ، أو نصرانيـاً ، أو يهودياً، فالوثنية شقـت طريقها إلى الأراضي السرويـة ، شأنهـا شأن بقيـة أصقاع العرب، وهنا نطـرح سؤالاً ، كيف وصلـت الوثنية إلى

(١) الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، تحقيق: محمد الأكوع ، ط ، صنعاء ، وزارة الثقافة والسياحة ، د ، ت ، ج١، ١٥٧.

(٢) عمـرو بـن عامـر بن ماء السماء بـن حارثة بن ثعلبة بن امـرئ القيس بن مازن بن الغوث بـن كهلان بن سبأ ، أخبرتـه طرفـة الكاهنـة بأمر سيل العرم وخرج من بلـد اليمن فلما كان بنجران تخلف أبـو حارثة بن عمرو بن عامـر بن مزيقياء ، ودعبل بـن كعب بني أبي حارثة فانتسبوا في مذحج ، ونزل أناس من بني نصر بن الأزد بين السـراة ومكـة وأقام معهم عمران الكاهن أخو عمرو بن عامر وعدي بن حارثة بن عمرو ثم سار عمرو بن عامر وبنـو مـازن ونزلوا بين الأشعريين وعـك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهمـا زبيد ، ورمع ، ومنهم من دخـل مـع معد بن عدنان وكانت بينهما حروب ظفرت بها بنو معد بن عدنـان فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة وأقاموا في سهلة وجبلة . المسعودي ، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٠ .

(٣) غامـد بـن عمرو بن عبـد الله بن كعب وهي من قبائـل الأزد . ابن بطوطة ، تحفة الأنظـار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دت ، ص ٤٧.

(٤) ودوس بن زهران : ومنهم حممة بن الحارث بن رافع سيد دوس في الجاهلية وكان أسخى العرب ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٣٨٨.

(٥) بارق ماء بالسراة ، وبارق بطن من خزاعة من بني عامر ومن مزيقياء ومنهم سعد بن عدي بن حارثة . انظر: ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص٤٧ .

(٦) ثمالة: وهو عوف بن أسلم بن أبحر بن كعب بن الحارث ، وثمالة منزلهم قريب من الطائف انظر: ابن عبدربه، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٦.

(٧) ومـن بطون الأزد الأوس والخزرج وغسان وخزاعة، والحجر، ومازن، وغامـد، وثمالة، ولهب، وزهران، وعك ،ودوس، ونهم، والجهاضم ، والأشاقر ، والقسامل ، والفراهيد ، والخزاق ، ويشكر وراسب، والأزد : هو الأزد بن الغوث بن بنت من مالك بن زيد بن كهلان. ابن بطوطة، تحفة النظار ، ص٤٧. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٤.

السراةٍ ؟ يذكر ابن حبيب : أن عمرو بن لحي الخزاعي كان كاهناً وله قرين من الجن، فأتاه يوماً وقال له : أجب أبا ثمامة : فقال: لبيك من تهامة : فقال: "ارحل بلا ملالة، فقال له : جَير ولا إقامة ، فقال ائت صف جدة ، فيها أصنام معدة ، فأورد بها تهامة، ولا تهب، ثم أدع العرَب إلى عبادتها تُجَب". فأتى ساحل جدة فوجد (ود، وسواع، ويغوث ، ويعوق ، ونسراً)[١]. فحملها معه إلى تهامة ، وحضر المواسم فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه ، فأخذ أحد قبيلة مراد[٢] يغوث، فكان بأرض في اليمن يقالٍ لها مذحج فاتخذوا العديد من الأصنام ، وبالغوا في تعظيمها وتقديسهم لها، وبنوا لها بيوتاً خاصة، وانفردت بعبادته بعض القبائل .

ومن تلك الأصنام التي عبدها السرويون (باجر، ذو الخلصة ، واللات ، وجهار، وذو الكفين ، ويغوث ، والمنطبق، وذي الشري، وعائم) ، فأما صنم ذو الشرى فكان لدوس وباجر صنمٍ الأزد في الجاهلية[٣] ، ويغوث تعبده مذحج ، وكانت في صراع مع مراد عليه ، وكثيراً ما يدخلون في حروب مع بعضهم مع بعض من أجل أن تنفرد كل قبيلة به ، ولعل من أبرز ما حل بهم يوم وقعة الرزم حيث اشتد نزاع مراد مع همدان على صنم يغوث فقتلتهم همدان شر قتلة[٤] . وأما جهار فكان لهوازن[٥] . ومعهم محارب وكان في عكاظ وسدنته هم آل عوف النصريين وهو على سفح أطحل ، وكان له نسك خاص عند الحج: حيث كانوا يلبون له : " لبيك اللهم لبيك ، اجعل ذنوبنا جهار ، واهدنا لأوضح المنار"[٦] . والمنطبق كان لعك[٧] . والأشعريون[٨] وهو مصنوع من النحاس[٩] ، وأزد السراة لهم صنم يقال له عائم[١٠] ، وصنم فراض لسعد العشيرة هدمه رجل منهم

(١) الأصنام عبدت على عهد إدريس ونوح عليهما السلام . ابن حبيب ، المنمق في أخبار قريش، تحقيق : خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب ، د ت ، ص ٣٢٨ .

(٢) مراد : هي من قبائل مذحج ، مراد بن مذحج بن أدد ، ومن بطونها : ناحية ، وزاهر ، وأنعم . انظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج٣، ص ٤٠٠ .

(٣) لسان العرب ، القاهرة ، دار الحديث ، د ت ، ج١، ص ٣٢٨.

(٤) ابن حبيب ، المحبر، رواية أبي سعيد الحسن السكري، اعتنت به : إيلزه ليختن ، شتايتر د ط المكتب التجاري ، بيروت ، دت ص٣١٢، الطبري ، الأمم والملوك ، اعتنى به : أبو صهيب الرومي ، ص ٥٦٢، ٥٦٣ .

(٥) هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس بن عيلان ومن بطونهم : سعد بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وجشم بن معاوية، وثقيف ، وعامر بن صعصعة. انظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٣٥٤ .

(٦) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣١٢ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٩٣.

(٧) عك بن عدنان بن عبد الله ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٣٨٨ .

(٨) والأشعر بن أدد أخو مذحج ويقال: ابن مذحج وولد الأشعر: الجماهر، والأدغم، والأفقم، ومن بطون الأشعريين : مراطة، وأسد، وسهلة، وعكابة، والشراعة ، وعامة ، والرعالج ، ومن أشراف الأشعريين: أبو موسى الأشعري. انظر: ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٤٠٠ .

(٩) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣١٧ .

(١٠) جواد علي ، المفصل ، ج٦، ص ٢٧٧ .

وقـدم وافداً علـى رسول اللّه (ﷺ) معلناً إسلامه [١]. وذو الكفين لدوس وخزاعة كسره الطفيل بن عمرو الدوسي عندما بعثه رسول (ﷺ) لدعوة قومه وقال عندما هدمه : "

يـا ذا الـكـفـين لـسـت مـن عـبـادك ميـلادنـا أقـدم مـن مـيـلادك [٢].

أمـا أعظم طواغيت أهـل السراة علىٍ الإطلاق فهي الـلات وذو الخلصة حيث بلغ مـن شدة تعظيم أصحابها ان بنوا لها بيوتاً خاصـة ، وكانت بعض القبائل العربية تحج إليهمـا. فاللات[٣]. بأرض الطائف ، وكانوا يبالغـون في تقديسه ، وبلغ من تعظيمهم له أنهـم يحجـون إليه ، وجعلوا سدنته إلى أبي العاص مـن بني سيار ابن مالك بن ثقيف ، وكانت له تلبية خاصة بالحج هي: لبيك اللهم لبيك ، كفى بيتنا لبيك ، ليس بمجهور ولا بليـة ، ولكنه من تربة زكية ، أربابـه ، من صالحي البرية "[٤] وأرسل رسول اللّه (ﷺ) المغيرة بن شعبة لهدمه بعد أن وفدت عليه (ﷺ) ثقيف معلنة إسلامها .

أمـا ذو الخلصـة فكان مـروة بيضاء منقوشة بتبالـة وسدنته بنو إمامـة من باهلة بن أعصـر[٥]. والقبائل التي تعظمه بجيلة ، وخثعـم ، والحارث بن كعب[٦]. وجرهم ، وزبيد ، وأزد السراة ، وهوازن[٧] ، ومن تلبيتهم : "لبيك اللهم لبيك ، لبيك بما هو أحب إليك "[٨]. وعندما ظهر الإسلام بعث رسول اللّه (ﷺ) جرير بن عبد اللّه البجلي لهدمه ، وقال له : " يا جرير ألا تكفيني ذا الخلصة ؟ فقال: بلى " . ثم سار إلى تبالة فهدم هذا الصنم وأضرم النيران به فاحترق"[٩].

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مج١ ، بيروت : دار صادر ، دت ، ص ٣٤٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، مج١، ص ٣٤٢ . للمزيد انظر: الواقدي، المغازي ، (تحقيق مارسدن جونسن) ، ج٣، ص ٩٢٣، ابن هشام ، السيرة ، تحقيق مصطفى السقا ، طبعة بيروت ، ج٢، ص ٢١ .

(٣) صنـم اللات: كان في الجاهليـة على صخرة بالطائفٍ ، وكان أحد رجـالات الطائف وربما اسمه اللات يأخـذ مـن زبيب الطائف والأقط فيجعـل منه حسياً ، ويطعم من يمر به مـن الناس ، فلما مات عبدوه ، عـن ابـن عباس (**رضـي اللّه عنه**) قال: (إن اللات لما مات قال لهم عمـرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل صخرة ، فعبدوها وبنوا عليها بيتا) وكانت اللات بالطائف ، الفاكهي ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، ج٥، تحقيق: عبد الملك بن دهيش ، ط١، ١٤٠٧هـ، ص ١٦٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣١٥.

(٥) ذو الخلصة : اسم البيت الذي كان فيه الصنم ، وقيل اسم البيت الخلصة ، واسم الصنم ذو الخلصة . انظر: البغدادي ، خزانة الأدب ولب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دط ، القاهرة ، الخانجي ، د ت ،ج١، ص ١٩٠ .

(٦) خزانة الأدب ، ج١ ، ص ٢٤ ، ٢٥، ٢٦، ٢٧ .

(٧) خزانة الأدب ، ج١، ص ١٩٠ ، ياقوت الحموي ، ج٢، ص ٣٨٤، ابن حبيب ، المحبر، ص ٣١٢ .

(٨) ابن حبيب ، ص ٣١٢ .

(٩) البغدادي ، ج١، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

وكانت بعض القبائل السروية من الحمس، المتشددين في الدين ، مثل: خزاعة ، وكنانة ، وجشم ، وبنو عامر ، وأزد شنوءة ، وجرم، وزبيد ، وبنو ذكوان ، وعمرو اللات ، وثقيف، والغوث، وقضاعة ، ومدلج ، وعدوان[١] . ومن أهل السراة من تحل الأشهر الحرم مثل: خثعم ، كان يقال لهم الفجار، لأنهم لم يكونوا يحجون البيت في الجاهلية[٢] ، وكثير من أحياء قضاعة ، ويشكر، والحارث بن كعب[٣] . وقد وجدت بعض العقائد السماوية طريقها إلى أرض السراة ، لكنها كانت أقل انتشاراً من الوثنية. فالنصرانية في قضاعة، وبنو الحارث بن كعب في نجران ، كما اعتنق بعض بني كنانة وبني الحارث اليهودية.

(*) النصرانية وبنو عبد المدان : (كعبة نجران) : كان بنو عبد المدان بن الديان على النصرانية، وهم من بني الحارث بن كعب ، بنوا بناءً على هيئة الكعبة وأطلقوا عليها كعبة نجران . وهي قبة من أدم، ثلاثمائة جلدة، إذ جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت له ، أو مسترفد أرفد ، وكانت بنو الحارث وخثعم وغيرهم ، ممن يحل الأشهر الحرم[٤] . (*) دير سرجس وبكس: ذكر الحموي أنه لراهبين بنجران وفيهما يقول الشاعر :

أيا راهبي نجران ما فعلت هند   أقامت على عهدي فإني لها عبد[٥].

(*) ومن الأوضاع الدينية الجاهلية الأخرى: (*) حادثة الأخدود : كانت اليهودية في حمير ورأسهم ذو نواس الحميري ، الذي سار إلى نجران لنشر اليهودية ، وكان في نجران عبد الله بن الثامر أصل النصرانية ، فجمعهم ذو نواس ثم خيرهم بين اليهودية والقتل فاختاروا القتل ، فخد لهم الأخدود ، وأحرقهم بالنار وقتل بالسيف حوالي عشرين ألفاً[٦] . (*) بناء كنيسة القليس بصنعاء (٥٧١م): كانت الديانة النصرانية مدعومة بقوى خارجية مثل(الإمبراطورية الرومانية ، والحبشة) ، على عكس اليهودية ، وبعد حادثة الأخدود كتب قيصر الروم للنجاشي في الحبشة يأمره بالذهاب إلى اليمن ونصرة نصارى نجران[٧] ، وبعد انتصار الحبشة واحتلالها لليمن

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، د ت ، ج١، ص ٦٤ ، ٦٥ .
(٢) الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ج١، ص ٣٦٢ .
(٣) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ط٢، (مصر: مطبعة مصطفى البابي ، (١٩٤٨م) ، ج٧، ص ٢١٦.
(٤) انظر: ياقوت الحموي ، ج٥، ص ٢٦٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥١٤ .
(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١، ص ٣٩١ .
(٧) المصدر نفسه .

بقيادة أبرهة الأشرم ، وعندما تمكن أبرهة من اليمن ، بنى كنيسة القليس بصنعاء للنجاشي، بهدف صرف الناس عن الكعبة إليها ، فغضب رجل من النسأة من أهل الحجاز، فدخل كنيسة أبرهة وتغوط فيها ، فغضب أبرهة عندما علم بأن من فعل ذلك من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة ، فخرج أبرهة ومعه الفيل محمود متوجهاً إلى البيت لهدمه[١]. (*) ومن أديان العرب الأخرى : كانت النصرانية في ربيعة ، وغسان، وبعض قضاعة . واليهودية : في حمير ، وبني الحارث بن كعب، وكندة. والمجوسية في تميم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسياً ، وأبو سود جد وكيع بن حسان وغيرهما من رجالات العرب. وكانت الزندقة في بعض قريش أخذوها من الحيرة، وبنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه ، وربما جعلوا فيه سويقاً ، فعبدوه دهراً طويلاً ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه[٢].

(*) ومن طقوس العبادات الجاهلية أيضاً: (١) الحلة : كانت العرب في الجاهلية تحرم الصيد في النسك ولا يحرمونه في غير الحرم [٣]. ومن القبائل التي دخلت الحمس : (خزاعة ، وكنانة، والأوس، والخزرج، وجشم، وبنو عامر بن صعصعة ، وأزد شنوءة ، وجرم ، وزبيد، وبنو ذكوان من بني سليم ، وعمرو اللات، وثقيف، وغطفان، والغوث، وعدوان، وقضاعة، ومدلج، والحارث بن عبد مناف، وعضل وحلفائهم). وبقية العرب يسمون الحلة. كانوا يقولون : نحن الحمس ، والاحمس في لغتهم : المتشدد في دينه، ويقال : إنما سموا الحمس بالكعبة لأنها حمساء حجرها أبيض يضرب إلى السواد ويقال: سمُّوا الحمس لشجاعتهم والحماسة [٤]. (٢) أكلة : كان يحرم الصيد في النسك فقط ، ويمنح لأغنياء أكثر أموالهم في النسك للفقراء ، ولا يلبسون الجدد ، ولا يدخلون من باب يأويهم ظل ما داموا محرمين ، ويدهنون ويأكلون أيام نسكهم وعند دخول مكة يتصدقون بكل ما لديهم من حذاء أو ثوب ، ولا يطوفون حول الكعبة إلا في ثياب جديدة وإن لم يجدوا ثياباً جديدة طافوا عراة ، ومن قبائل تهامة والسراة ، التي تسلك هذا المنهج: (عامر بن صعصعة ، وقضاعة ، وخثعم ، وبجيلة ، وهذيل بن مدركة،

---

(١) المصدر نفسه . للمزيد انظر: سورة الفيل في القرآن الكريم وتفسيرها وما حل بأبرهة وجيشه .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، صححه وعلق عليه وراجعه على نسخه جوتن ، ونسخة خطية أخرى في دار الكتب المصرية محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ١٣

(٣) محمد بن حبيب البغدادي ، كتاب المحبر ، ص١٧٩.

(٤) عمر بن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم شلتوت ، ج١، ص ١٣ .

وبارق)[١]. (٣) الطلس: يصنعون في إحرامهم ما يصنع الحلة ، ويدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يئدون بناتهم ، ومن قبائل السراة وتهامة التي تمارس هذه الأعمال ، سائر أهل اليمن وحضرموت ، وعك ، وإياد بن نزار[٢].

ومن الطقوس الدينية لأهل اليمن والسروات في موسم الحج : أنهم يحلقون رؤوسهم. فيضع كل رجل منهم على رأسه قبضة من الدقيق ، فإذا حلقوا رؤوسهم سقط ذلك الدقيق ، ويجعلونه صدقة ، وهناك أناس من الضركاء [٣]. يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيلقون الشعر ويستفيدون من الدقيق[٤]. ومن القبائل التي لا ترى للحرم ولا للشهر الحرام حرمة مثل: طيء ، وخثعم ، وأحياء من قضاعة ، ويشكر ، والحارث بن كعب[٥]. وجميعهم أعداء في الدين والنسب[٦]. ويطلق على خثعم الفجار لأنهم لم يحجوا البيت في الجاهلية[٧]؛

(*) ومن أشهر الأصنام في الجاهلية: (١) اللات: كانت في الطائف لثقيف على صخرة . وكانوا يسترون بيته ويضاهون به الكعبة، وله محجة وكسوة وسدانته لآل أبي العاص من بني سيار بن مالك من ثقيف[٨]. (٢) جهار: لهوازن بعكاظ ومعهم محارب . وسدنته كانت لآل عوف ويقع على سفح أطحل[٩]. (٣) ذو الخلصة: بيت تعبده بجيلة ، وخثعم ، والحارث بن كعب ، وجرم ، وزبيد والغوث ، وسدنته بنو هلال بن عامر يقع في عبلاء قريباً من مكة[١٠]. (٤) يغوث: لمذحج في أنعم وقاتلتهم عليه بنو مراد وهربوا به إلى نجران ، وجعلوه عند الضباب من بني الحارث بن كعب واجتمعوا عليه جميعاً [١١]. (٥) المنطبق: للسلف وعك والأشعريون، وكان مصنوعاً من النحاس، ولما كسر وجد بداخله سيفاً اصطفاه رسول الله (ﷺ) فسمي

---

(١) ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٧٩ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الضركاء : الفقير الهالك لسوء الحال .
(٤) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج٥، ص ٣٧٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٢١٦.
(٦) الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ج٢، ص ٣٦٢.
(٧) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص ٣١٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ . ٣١٥ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ . ٣١٥ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

(محنفاً) [١]. (٦) ذو الكفين: صنم عمرو بن حممة الدوسي في سروات غامد وزهران. (٧) سعد: لمالك وملكان ، ابني كنانة بساحل تهامة وكان صخرة طويلة [٢]. (٨) ذو الشرى : لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد[٣]. (٩) رئام : للأزد صنم أنثى وكان لسائر قضاعة [٤]. (١٠) صنم سواع: لهذيل[٥]. (١١) عائم كان لأزد السراة . (١٢) سعير: صنم عنزة. (١٣) صنم نسر: لحمير آل ذي الكلاع.

انتشرت عبادة الأصنام بين القبائل التهامية والسروية ، واتخذت حول بيوت العبادة أماكن حددت بحدود ، فما كان داخلاً عُدَّ حرماً آمناً ، وما كان خارجاً لا يُعد حرماً ، وأقدس مكان في المعبد هو البيت، أي الغرفة التي تضم الصنم أو الأصنام. وكانت الكعبة في مكة تسمى البيت ، ويعرف عند العربية الجنوبية أن البيت هو المكان الذي توضع فيه الأصنام ، ففي نجران بيت عبادة عرف بكعبة نجران ، وكذلك صنمي ذي الخلصة واللات [٦].

٢- نور الإسلام يشع في بلاد تهامة والسراة :

عند ظهور الإسلام ، كان أغلب سكان تهامة والسراة على الوثنية ، ويسيرون على خطى قبيلة قريش التي وقفت في وجه النبي (ﷺ) ، فحاربوه وشككوا في الرسالة التي جاء بها ، وامتد شرهم إلى تحذير القبائل الأخرى من السماع إلى دعوة الرسول (ﷺ)[٧]. ونجد الرسول (ﷺ) يعرض دينه على القبائل التي تأتي إلى الحج ، بل ذهب إلى أهل الطائف ودعاهم إلى الإسلام ، لكنهم لم يقبلوا دعوته ، وفضلوا البقاء في صف قبيلة قريش وأعوانها [٨].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) جواد علي ، المفصل ، ج٦، ص ٢٧٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ج٦، ص ٢٧٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ج٦، ص ٢٨٨ .

(٥) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج٥، ص ١٦١ .

(٦) جواد علي ، المفصل ، ج٦، ص ٤٤٥-٤٤٦ . لم تكن الوثنية هي الديانة الموجودة في جزيرة العرب أو في بلاد تهامة والسراة ، وإنما كان هناك ديانات النصرانية ، واليهودية ، والمجوسية ، والصائبة ، ومن لايزال على ملة الحنيفية . ونقول إن دراسة عقائد وديانات تهامة والسراة قبل الإسلام من الموضوعات التي لم تدرس ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرسها دراسة علمية موثقة .

(٧) كتب السير مليئة بالأحداث والتفصيلات التي سلكتها قريش في محاربة الرسول (ﷺ) ، وعدم قبول رسالته . للمزيد انظر: تاريخ السيرة لابن هشام ، وزاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية .

(٨) المصادر نفسها .

وهناك سرايا عديدة بعثها النبي (ﷺ) إلى أهل تهامة والسراة يدعوهم إلى الإسلام[١] ، ومن تلك السرايا (١) سرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى تربة بعثها رسول الله (ﷺ) في شعبان سنة سبع للهجرة في ثلاثين رجلاً إلى عجز هوازن بتربة على طريق صنعاء ونجران فهربت هوازن وعاد عمر إلى المدينة . (٢) سرية خالد بن الوليد : على بن جذيمة من كنانة في تهامة بناحية يلملم . (٣) سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى صنم ذي الكفين بأرض السراة ، فهدمه وقدم معه من قومه عدد من المسلمين . (٤) سرية قطبة بن عامر بن حديدة ومعه عشرون رجلاً إلى ناحية بأرض خثعم في السراة . (٥) سرية خالد بن الوليد: إلى بن عبد المدان في نجران. وبعد أن قضى الرسول (ﷺ) في مكة نصف شهر بعد فتحها نزلت هوازن وثقيف واد من أودية تهامة وكمنوا للمسلمين في الشعاب والمضايق يريدون قتال النبي (ﷺ) ومعهم النساء والأموال، ورئيس هوازن يومئذ مالك بن عوف ، ومعه ثقيف ، فوافاهم الرسول (ﷺ) بمن معه من المسلمين فهزمهم وغنم المسلمون أموالهم وقسمها النبي (ﷺ) على المؤلفة قلوبهم ، ثم خرج بعد انتصاره في حنين لفتح الطائف، وجعل خالد بن الوليد على مقدمته فمر بنخلة اليمانية ، بقبر أبي رغال ، ثم جاء إلى قرن المليح وهو أحد أودية الطائف ، وفتح الطائف في السنة الثامنة من الهجرة .

انتشر الإسلام في تهامة والسراة ، ودخل فيه أهل تبالة وجرش من غير حرب في السنة العاشرة للهجرة (٦٣٠م) [٢]. وكتب الرسول (ﷺ) إلى عدد من عشائر السروات مثل: (١) بنو الحارث من نصارى نجران ومن تبعهم بأن لهم ما تحت أيديهم ، ولهم أيضاً جوار الله ورسوله ، لا يتغير شيء فيما كانوا عليه، ما نصحوا وأصلحوا في أنفسهم وبلادهم [٣]. (٢) كتب رسول الله (ﷺ) إلى قبيلة خثعم قائلاً: " هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضرة بيشة وباديتها [٤]، إن كل دم

---

(١) سمع أهل تهامة والسراة بدعوة الإسلام خلال فترة الدعوة المكية ، بل اعتنق بعضهم الإسلام آنذاك . وقصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي مفصلة في كتب السير منذ أن التقى الطفيل بالرسول (ﷺ) في السنة السابعة من النبوة حتى دخل معظم قبائل دوس في الإسلام في تلك السنة . ومصادر السيرة أفاضت الحديث في هذا الجانب ، وذكرت أقواماً وأشخاصاً آخرين من تهامة والسروات اتصلوا بالرسول (ﷺ) في المرحلتين المكية والمدينة .

(٢) انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٠ ، وكثير من كتب التاريخ المبكرة فصلت الحديث عن انتشار الإسلام في الطائف ومكة المكرمة وما يقع جنوبهما حتى حواضر اليمن الكبرى .

(٣) كتب التاريخ الحولية مثل: الطبري ، وابن الأثير ، وابن خلدون وغيرهم ذكروا تفصيلات كثيرة عن علاقة دولة الرسول (ﷺ) بأهل نجران وبخاصة النصارى .

(٤) قبائل خثعم تأخرت في إسلامها في عهد الرسول (ﷺ) وأرسلت لهم بعض الجيوش والسرايا لمحاربتهم حتى دخلوا الإسلام .

أصبتموه في الجاهلية فهو عندكم موضوع ، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء ... له نشره وأكله "[١] . (٣) كتب الرسول (ﷺ) لعشيرة بارق من الأزد ، فقال : " هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق ، أن لا تجز ثمارهم ، ولا ترعى بلادهم في ربيع أو صيف إلا بمسالة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام "[٢] . (٤) عندما أسلم مالك بن عوف من أهل الطائف ، جعله الرسول (ﷺ) أميراً على من أسلم من قومه من ثقيف ، وأمره بمحاربة المشركين في بلاده[٣] . **(٥)** وقد وفد مذحج على النبي (ﷺ) وعليه ظبيان بن حداد، فقالوا: " **نحن قوم من سراة مذحج من يحابر بن مالك**"[٤] . (٦) في كتب التراث الإسلامي وبخاصة كتب السير، والطبقات ، والتراجم ، والتواريخ الحولية تفصيلات كثيرة عن وفود السروات وتهامة الأخرى مثل: وفد الأزد بقيادة صرد بن عبد الله الأزدي، ووفد نجران الذين قدموا إلى المدينة مع خالد بن الوليد ، ووفود عنس ، ومراد ، وزبيد ، وبجيلة، والأشعريون ، والعكيون وغيرهم [٥] .

(*)أما الردة عن الإسلام : كانت أول ردة في عهد الرسول (ﷺ) على يد الأسود العنسي، واسمه عبهلة بن كعب بن عوف العنسي ، وعنس بطن من مذحج [٦] . ولم يطل عصر ارتداد عبهلة ، لأنه قتل قبل وفاة الرسول (ﷺ)[٧] . وكان لأهل تهامة والسراة مواقف متباينة من الردة ، فالكثير منهم بقوا على الإسلام، وظهر مرتدون في عشائر عديدة من بلدان تهامة والسراة مثل: بعض الأشعريين ، والبارقيين ، والزبيدين، والأزديين ، والخثعميين وغيرهم[٨] . ويذكر أن أهل نجران ولفيف من أهل السراة

---

(١) انظر: ابن سعد ، الطبقات ، مج٢، ص ٢٦٦. وللمزيد أيضاً انظر : السيرة لابن هشام ، وابن كثير.

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، مج٢، ص ٢٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ، للمزيد أيضاً : انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٥، ص ٢٩ .

(٤) انظر ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢، ص ٣٠ . ونقول لأن تاريخ بلاد تهامة والسراة خلال العهد الجاهلي، والعقود الأولى من عصر الإسلام مازالت بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية ، ونأمل من المؤرخين والباحثين في جامعات الجنوب السعودي أن يدرسوا هذه البلاد تاريخياً وأثرياً وحضارياً فهي جديرة بذلك .

(٥) انظر: ابن سعد ، الطبقات ، مج٢، ص ٣٤٢ وما بعدها ، والنويري ، نهاية الأرب ، ج١٨، ص ٥٩ ، ١٢٠ . وتاريخ الوفود التي قدمت على رسول الله (ﷺ) من تهامة والسراة واليمن مازالت بحاجة إلى دراسة علمية موثقة .

(٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج١٩، ص ٦٠ .

(٧) الطبري ، الأمم والملوك ، ج٢، ص ٤٩٥ وما بعدها .

(٨) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٥١ وما بعدها . وللمزيد انظر: عن تاريخ الردة في كتب: الكامل في التاريخ لابن الأثير ، وتجارب الأمم لابن مسكويه ، والبداية والنهاية لابن كثير .

تصـدوا للمرتدين وحاربوهـم حتى جاء مدد الخليفة الراشد أبـو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي قضى على حركة الارتداد في عموم الجزيرة العربية[١]. وهناك أقوام كثيرون بقوا على دين الإسلام ، مع أن بعضهم كانوا في حيرة من أمرهم، هل يرتدون أم يبقون علـى الإسلام ؟[٢] وأحيانـاً كان لوجهاء القبائل وأعيانها وحكمائها دور في نصح أهلهم وأقوامهم للبقاء على الإسلام ، ويظهر ذلك واضحاً مع أهل ثقيف الذين هموا بالارتداد بعد موت الرسول (ﷺ) ، إلا انهم استشاروا عثمان بن أبي العاص ، وكان مطاعاً ووجيهاً فيهم ، فقال لهم " **لا تكونوا آخر العرب إسلاماً ، وأولهم ارتداداً** " [٣]، فنفعهم الله برأيـه . وكـم نحـن في أمس الحاجـة إلى العقلاء والحكماء الذيـن يجنبون البلاد الخراب والدمار عبر أطوار التاريخ .

(*) التهاميون والسريون في الفتوح الإسلامية :

إن الدارسـ لكتـب التاريـخ السياسيـة والعسكريـة مثـل: مؤلفـات البلاذري، واليعقوبـي ، والطـبري ، والأزدي ، وابـن عبـد الحكـم ، وابـن مسكويـه ، والمسعودي ، وابـن الأثير، وابن خلـدون يجدها تحتوي على معلومات كثيرة عـن أهل السراة وتهامة (أفـراداً، وجماعات ، وعشائر، وقبائل) ودورهـم في فتوحات الإسلام المبكرة في بلاد الشـام ، وأرض العراق وفارس ، وفي مصر والسودان، وشمـال إفريقيا والأندلس ، وفي بـلاد المشرق حتى الهند والسند [٤]. كمـا ظهر من هذه الأوطان التهامية والسروية من ساهم في ميادين الحضارة الإسلامية في كثير من بلدان العالم الإسلامي[٥] .

---

(١) الخليفـة الراشـد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي تربى في مدرسة الرسول الكريم (ﷺ) ، كان حازماً وقوياً في محاربة المرتدين وهزيمتهم ، وإعادة البلاد الإسلامية إلى سابق عهدها ، كما كانت في عهد الرسول (ﷺ) .

(٢) قبائـل الجزيـرة العربية تباينت في مواقفها من الردة ، فهناك قبائل كبـيرة في جنوب ووسط الجزيرة رفضت الإسـلام وارتـدت ، وهنـاك أقوام في عشائـر وقبائل حذت حذو تلـك القبائل الكبيرة المرتـدة ، وآخرون ، وهم كثيرون ، بقوا على دين الإسلام ، وتصدوا للمرتدين في أوطانهم وفي عموم بلاد العرب .

(٣) انظـر : ابـن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١، ص ٧٩ .ودراسة تاريخ الردة في أرض تهامة والسراة مازال بحاجة إلى دراسات مطولة وموثقة .

(٤) نأمل أن نرى طلاباً ومؤرخين جادين يدرسون إسهامات أهل هذه البلاد الجنوبية السعودية في الحياة السياسية والحربية عبر عصور التاريخ الإسلامي .

(٥) هنـاك علمـاء وأدبـاء وشعراء ورجـال مال وإدارة مـن أهل السراة وتهامـة بذلوا جهوداً طيبـة في بناء الدولة الإسلاميـة في القـرون الإسلاميـة المبكـرة والوسيطـة والحديثـة والمعاصرة . ونأمـل أن نرى مـن يدرس هذه الموضوعات دراسة علمية ، فتخرج في هيئة رسائل أكاديمية أو بحوث علمية محكمة .

رابعاً : صور من الحياة السياسية :

١- من التاريخ القديم :

أ - نصارى نجران وذو نواس أقام أهل نجران على دين عيسى فدعاهم ذو نواس إلى دين اليهودية فأبوا، فسار إليهم في أهل اليمن ، ثم خد لهم الأخاديد وقتل منهم حوالي عشرين ألفاً أو يزيدون(١) ويقال أن سبب غزوة ذي نواس لأهل نجران أن يهودياً كان بنجران ، فعدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً ، فرفع أمره إلى ذي نواس، وتوسل له باليهودية ، واستنصره على نصارى نجران فغزاهم ومثل بهم(٢)، وربما كراهية ذو نواس للنصرانية هو الذي جعله ينزل العقوبة والقتل والحريق بأهل نجران . ويذكر أن رجلاً من نصارى نجران نجا ، يقال له (دوس ذو ثعلبان) فذهب إلى قيصر الروم واستنجده فأرسل القيصر إلى نجاشي الحبشة يأمره بغزو اليمن ونجران ، فأرسل ملك الحبشة أبرهة الأشرم ومعه (٧٠) ألفاً من الأحباش حتى دخل اليمن واستولى عليها (٣).

ب - أبرهة الحبشي وغزو مكة : استقر أبرهة في اليمن ، وبنى بها قليساً (كعبة) بهدف صرف الناس من الحج إلى الحجاز ، ثم قرر غزو مكة وهدم الكعبة ، فجهز جيشا ومعه الفيل محمود ، وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلاً ، فأعظمه العرب وخافوه ورأوا جهاده ، والوقوف في طريقه (٤). فخرج له رجل من أشراف اليمن يدعى (ذو نفر) ، وجمع من أجابه من العرب لحرب أبرهة ، إلا أنه هزم ووقع في الأسر . ولما وصل جيش أبرهة إلى أرض خثعم عرض له (نفيل بن حبيب الخثعمي) فقاتله ، فانهزم نفيل وأخذ أسيراً ، فلما هم أبرهة بقتله قال له أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب وهاتان يدي لك على قبائل خثعم (شهران وناهس) بالسمع والطاعة . فأعفاه وخلى سبيله وخرج معه يدله على الطريق(٥).

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية . (بيروت ، ١٤٢٤هـ) ص ٥٦٣ .

(٢) ذكرت قصة أصحاب الأخدود وتعذيبهم في القرآن في سورة البروج ، وحوتها كذلك كتب التراث الكبرى مثل: " الكامل لابن الأثير ، وتاريخ الأمم للطبري ، وغيرها ، وعرفان شهيد ، شهداء نجران .

(٣) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٥٦٣ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ط٢، (١٤٢٤هـ) تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، ج١، ص ٤٠٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ص ٢٥٣، ٢٥٤ .

وعند مرور أبرهة بالطائف خرج إليه بعض الوجهاء والأعيان فقالوا له : أيها الملك إنما نحن عبيدك، سامعون مطيعون لك ، ونحن نبعث معك من يدلك على البيت الذي تريد ، فتركهم وبعثوا معه أبو رغال حتى أنزله أرض المغمس ، فلما نزلها مات أبو رغال ، وصار العرب يرجمون قبره[١]. أما ما كان من أمر أبرهة والفيل ومحاولة هدم الكعبة وحماية الله لبيته الحرام ، فهذه القصة ذكرت في القرآن الكريم في سورة كاملة هي سورة الفيل .

من أيام العرب المشهورة : أي بعض معاركهم وحروبهم وأيامهم في الجاهلية ، التي كانت بين القبائل وجل أسبابها إما دفاعاً عن عرض ، أو حمية قبلية ، أو غزو وغارات بعضهم على بعض ، ومنها : (*) يوم الكُلاب الثاني : سببه أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحارث بن كعب وهم أخواله فحدثهم أنه أصفق على بني تميم وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها . فاجتمعت بنو الحارث من مذحج ، وأحلافهم من نهد وجرم فاجتمعوا في معسكر عظيم لا يعلم في الجاهلية أكثر منه وساروا يريدون بني تميم ، فنزلت عمرو بن حنظلة الدهناء ونزلت سعد والرباب الكلاب ، وأقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكُلاب وقاتل القوم قتالاً شديداً يومهم أجمع ، وكان أول من انهزم من مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب وأسر عبد يغوث الحارثي رئيس مذحج [٢].

(*) يوم المروت : هو يوم بين تميم وعامر بن صعصعة وسببه التقاء قضب بن عتاب وبجير بن عبد الله بعكاظ فدار بينهم حوار فتلاعنا وتداعيا ، فجمع بجير بني عامر وأغار بهم على بني العنبر وأتى صريخ بن العنبر بعمرو بن تميم وبنو مالك بن حنظلة وبني يربوع فجرى القتال، وأسر نعيم بن عتاب القشيري وقتله ، وحمل كدام بن بجيلة المازني على بجير فعانقه ، فأقبل كدام : ولم يكن لقضيب هم إلا بجير فقال كدام يا قضب أسيري ، فخلى عنه كدام وشد على قضب فضربه فقتله ، واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا [٣].

(*) يوم فيف الريح : وهو بين بني عامر بن صعصعة والحارث بن كعب ، وكان خبره أن بني عامر تطلب بني الحارث إتاوة كثيرة فجمع لهم الحصين وهو ذو الغصة واستعان ببعض قبائل سعد العشيرة ، ومراد ، وصداء، ونهد ، وخثعم ، وشهران ،

---

(١) وهو الموضع الذي ربط فيه الفيل محمود ، انظر: البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٦٢ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، انظر أيضاً، كتاب أيام العرب ، لأبي عبيدة ، ص ٤٢٩.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص ١٧٦ .

وناهس ثم أقبلوا يريدون بني عامر وهم في فيف الريح فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام بفيف الريح ، فالتقى الصميل بن العود الكلابي وعمرو بن صبيح النهدي فطعنه عمرو، فاعتنق الصميل فرسه وعاد فلقيه رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه وشهدت بنو نمير فيف الريح مع عامر بن الطفيل[١] .

ومن أيام العرب الأخرى : (أ) الرزم : كان بين مراد وهمدان على صنم يغوث وكان لهؤلاء مرة، وعند هؤلاء مرة ، فأرادت مراد أن تغلب عليه فقاتلت همدان واستولت على الصنم [٢]. (ب) الأرنب: كان لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان[٣]. (ج) ذي علق : يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد[٤]. (د) يوم اللوى: من أيام هوازن وغطفان وقتل فيه عبد الله بن الصمة أخو دريد بن الصمة [٥]. (هـ) يوم حوزة الأول: ووقعت بين سليم وغطفان بسبب مقتل معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي. (و) يوم رحرحان : وهو لعامر على تميم . ورحرحان : اسم جبل قريب بين عكاظ خلف عرفات [٦]. (ز) يوم البيداء، والسلان: البيداء أول وقعة كانت بين تهامة واليمن ، وفي هذا اليوم تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة، ويوم السلان: كان بين أهل تهامة واليمن[٧]. (ح) أيام الفجار: من الحروب المعروفة في الجاهلية، فالفجار الأول: بين قريش وقيس بن عيلان، والفجار الثاني هاجه رجلاً من بني غفار من كنانة قدم سوق عكاظ ،والفجار الثالث وسميت بالفجار لما كانوا يعظمون من الدماء وقطع الأرحام [٨].

٢- صور من التاريخ الإسلامي :

أ- في عصر الرسول والخلافة الراشدة: وقوف أهل تهامة إلى جوار قريش[٩]، وفي هذه الغزوة أقبلت قريش إلى المدينة حتى نزلت بمجتمع الأسيال ومعهم الأحابيش

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ . انظر أيضاً ، غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج١٠، ص ٣٩ .
(٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ٥٦٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٠٥٧ .
(٤) إبراهيم شمس الدين ، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام. ط١ ،دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٢هـ)، ص ١٠٥.
(٥) جواد علي ، المفصل ، ج٥، ص ٣٦٣ .
(٦) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج٥، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
(٨) ابن حبيب ، المنمق في تاريخ قريش ، تحقيق : خورشيد فاروق أحمد ، ص ١٦٠ ، ١٦٤ .
(٩) الطبري ، تاريخ ، ص ٣٢٤ .

وبنــي كنانة وأهــل تهامة وغطفان ومن تبعهــم من أهل نجد. وفي صلــح الحديبية جاء بديـل بــن ورقاء من أهــل تهامة إلى الرسول (ﷺ) ، ونصحه وقــال : " إني تركت كعب بــن لؤي وعامر قد نزلوا علــى مياه الحديبية ، فقال له الرســول (ﷺ) إنهم لا يريدون قتــالا وإنما أرادوا أداء العمرة ، ثم سار إليــه عروة بن مسعود الثقفي فسبه وتصدى له أبوبكـر الصديق(رضي الله عنه) وبعض الصحابـة[١]. وبعد أن قضى رسول الله (ﷺ) بمكة شهر عام الفتح نزلت هوازن وثقيف وادياً من أودية تهامة، وكمنوا للمسلمين في الشعاب يريــدون قتــال النبي (ﷺ) ورئيس هوازن آنذاك مالك بــن عوف ومعه ثقيف، فتصدى لهم الرسول (ﷺ)وهزمهم وغنم أموالهم وقسمها على المؤلفة قلوبهم[٢]

بعــد انهزام ثقيف في غزوة حنين تحصنــت في الطائف وحاصرهم الرسول (ﷺ) والمسلمون نصف شهر[٣] يقول ابن إسحاق: " فحاصروهم (يقصد المسلمون) وقاتلوهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل ورمى الرسول (ﷺ) أهل الطائف بالمنجنيق[٤].وتذكر بعض الروايــات أن رســول الله (ﷺ) انصرف عن الطائف حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمــين ومعه سبي كثير مــن هوازن، فقال له رجل من أصحابــه يوم ظعن عن ثقيف: يارسول الله أدع عليهم فقال: " **اللهم أهد ثقيف وأت بهم**" ، وجاءه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقسم لهم من الغنائم[٥]، كما قال الرسول(ﷺ) لوفد هوازن "**أخبروا مالك بــن عــوف إن أتــاني مسلماً رددت عليه مالــه وأهله وأعطيته مائة من الإبــل**" . فسمع مالك بذلــك فأتى الرسول وهو بالجعرانة وأسلم فجعله أميراً على من أسلم من قومه ، ثم قدم وفد ثقيف على رسول الله (ﷺ) مسلمين في رمضان في السنة التاسعة من الهجرة[٦] .

ومــن السرايا التي بعثها الرسول (ﷺ) لبلــدان تهامة والسراة وأجزاء من جنوبي الحجــاز (١) سرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى تربة في شعبان من السنة السابعة مــن الهجرة[٧] . (٢) سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى صنم ذي الكفين في سروات غامــد وزهران في شهر شوال من السنة الثامنة الهجرية[٨]. (٣) سرية قطبة بن عامر

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٤٤ .
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية . ج٤، ص ٣٤٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص ٣٤٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢٩ .
(٧) النويري ، نهاية الأرب ، ج١٧، ص ٢٧٠ .
(٨) ابن سعد ، الطبقات ، مج٢، ص ١٥٧ .

بـن حديدة إلى خثعم بناحيـة بيشة في شهر صفر في السنـة التاسعة الهجرية[١]. (٤) سريـة خالد بن الوليد لأهل نجران إلى قبيلة الحارث بن كعب في نجران ومن خالطهم مـن أهل نجران في السنة العاشرة من الهجـرة[٢]. (٥) سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بناحية يلملم ، ويعرف بيوم العميصاء وذلك بعد عام الفتح[٣] .

ولأهـل تهامـة والسـراة بعض المواقـف الإيجابية في حـروب الـردة ، فتذكر بعض المصـادر أن الخليفة أبـا بكر الصديق (رضي الله عنه) أرسل إلى عبـد الله بن ثور في تهامة يأمره أن يجمع إليه العرب ومن استجاب من تهامة ويقيم بمكانه حتى يأتيه الأمر بقتال المرتدين ، وسار المهاجر بن أبي أمية من قبل الخليفة أبو بكر في المدينة لقتال المرتدين في السـراة وأرض اليمن ، وانضم إليه خالد بن أسيد مـن مكة ، وعبد الرحمن بن أبي العاص من الطائف ، ثم جرير بن عبد الله البجلي ، وعبد الله بن ثور وفروة بن مسيك وسـاروا جميعـاً إلى نجران لحرب المرتديـن ، وطلب المرتدون الأمان فأبـى أن يؤمنهم وانقسمت جيوش المسلمين إلى قسمين ، وكان المهاجر على أحدهما وتمكن من هزيمتهم وكسـر شوكتهـم في السروات ونجران وبلاد اليمن[٤] . وبعـد أن استقر الأمر السياسي في عمـوم اليمن جعل الخليفة أبو بكر عليها أميرين فيروز والمهاجر بن أبي أمية ، وعلى حضرموت أميرين ، وكتب إليهم بأن لا يستعينوا بمرتد في الجهاد[٥] .

ومـن قضاة وعمال الخليفة أبو بكـر الصديق في تهامة على الطائف عثمان بن أبي العاصـ ، وعلى خولان يعلى بن أبي أميـة ، وعلى زبيد أبو موسى الأشعري ، وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى نجران وعبد الله بن ثور إلى جرش[٦]. كما أمر الخليفة أبو بكر الصديق جرير بن عبد الله باستنفار من ثبت على الإسلام وقتال من ارتد عن الإسلام في أرض السراة وأن يأتي خثعم فيقاتل من ارتد غضباً لذي الخلصة[٧] ، فخرج جرير (رضي الله عنه) وفعل ما أمره به[٨] .

---

(١) المصدر نفسه ، مج ٢، ص ١٥٧ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨١ .

(٣) الفاسـي المكـي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين : تحقيق: محمد عبـد القادر، ط١، (١٤١٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج١، ص ٤٠٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج٢، ص ٥٥١ ، ٥٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٥٨ .

(٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص ١٤٤ .

(٧) ذي الخلصة : مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج لخثعم وبجيلة وأزد السراة ومن جاورهم .

(٨) ابن الأثير، الكامل ، ص ٢٧٧ .

وتشير بعض كتب التراث إلى صور من إسهامات أهل تهامة والسراة في فتوحات الشام، فيذكر أن الخليفة أبو بكر الصديق وجه الجيوش لقتال الروم في الشام وكان ممن أمرهم على تلك الجيوش خالد بن سعيد بن العاص حيث أمره بنزول تيماء ودعوة من حوله من العرب ضد الروم ، واجتمعت إليه جموع كثيرة ، وعندما علمت الروم جمعت الجموع ، فأرسل أبو بكر يستحث المسلمون على الجهاد في بلاد الشام والعراق ، فكانت أول الجموع التي قدمت المدينة عكرمة بن أبي جهل ومعه أهل تهامة ، وعمان ، والبحرين، والسرو ، فكتب أبو بكر الصديق إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل ، فكلهم استبدلوا ، فسمى ذلك الجيش البدال ، ووجههم جميعاً لمساعدة خالد بن سعيد في حربه ضد الروم [١] .

أما جبهة بلاد فارس فتذكر المصادر أن جمعاً من سروات بجيلة قدمت على الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمدينة ، وكانوا يريدون الجهاد ببلاد الشام ، فأشار عليهم بضرورة الخروج إلى العراق لمساعدة المجاهدين على ثغور الفرس، واستعمل عرفجة بن هرثمة على جديلة من بجيلة ، وجريراً على من كان من بني عامر، إلا أن بجيلة طلبت من الخليفة أن يعفيهم من إمرة عرفجة، فقال عمر بن الخطاب له: "**إن هؤلاء استعفوني منك ، وزعموا أنك لست منهم فما عندك؟ فقال: صدقوا ، وما يسرني أني منهم، أنا امرؤ من الأزد ثم من بارق في كهف لا يحصى عدده ، فقال عمر: نعم الحي الأزد، يأخذون نصيبهم من الخير والشر**" فجعل عليهم جريراً وبعثه مدداً إلى المثنى بن حارثة حتى نزل ذي قار[٢] .كما نزل على الخليفة عمر وفد من بني كنانة والأزد وعددهم سبعمائة رجل، وسألوا عمراً أن يبعثهم إلى الشام ، لكنه استنفرهم إلى العراق ، وأمر على بني كنانة غالب بن عبد الله ، وعلى الأزد عرفجة بن هرثمة وعامتهم من بارق وخرج كل منهم في قومه حتى قدموا على المثنى بن حارثة [٣] . وخرج إليه أيضاً المثنى الجشمي في جشم بن سعد فأمره عليهم وبعثه مدداً إلى العراق[٤] . وجاء أناس من خثعم وعليهم عبد الله بن ذي السهمين فأمره عليهم وبعث به مدداً إلى بلاد فارس ، فسار المثنى بن حارثة بمن معه حتى نزل الفرات وجعله بينهم وبين العجم ، والتقى الجيشان يوم البويب في السنة الثالثة عشرة للهجرة ، واشترك كلٌ من : المنذر بن الحسان وجرير بن عبد الله في قتل

---

(١) الطبري ، الأمم والملوك ، ج٢، ص ٥٧٧
(٢) الطبري ، الأمم والملوك ، ج٢، ص ٥٧٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٧٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٨٣ وما بعدها .

المرزبان الفارسـي، واختصما على سلاحه فتقاضيا إلى المثنى فجعله قسمة بينهما(١). وتشـير بعض المصادر إلى أن الخليفة عمر بن الخطـاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص ، وكان على صدقات هوازن ، فجاء سعد إليه فأمره على حرب العراق، فخرج من المدينة في أربعـة آلاف ممـن قدم عليه مـن أهل السراة واليمن ، وعلى أهـل السروات حميضة بـن النعمـان البارقي وهم : بارق، وألمـع، وغامد، وسائر إخوتهـم في سبعمائة ، واليمن ألفـان وثلاثمائة منهم النخـع بن عمرو، وجميعهم يومئذ أربعـة آلاف مقاتل وذراريهم ونسائهم ، فرفضوا التوجه إلى العراق وأرادوا السير إلى بلاد الشام ، فلما رأى الخليفة ذلك بعثهم بنصفهم إلى العراق والآخر إلى الشام . وخرج إلى العراق أعداد كثيرة من مذحـج وعليهم عمرو بن معديكرب، وأبو سبره الجعفـي ، ويزيد بن الحارث الصدائي علـى صـداء وجنب وهؤلاء جميعاً خرجوا من المدينة أربعـة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس، وكان النصر حليف المسلمين(٢). وممن شارك في القادسية أبو محجن الثقفي ، وعمرو بن معد كرب الزبيدي وغيرهما من فرسان العرب.

وفي عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عقدت بعض الألوية والرايات لبعض السرويـين والتهاميين ومـن جاورهم في معارك الجمل وصفـين . فعقد لمذحج ، والأشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي ، وعقد لقيس وعبس وذبيان راية وولى عليهم سعد بن مسعود الثقفي ، وعقد لكندة وحضرموت وقضاعة راية وولى حجر بـن عـدي الكندي ، وعقد لـلأزد وبجيلة وخثعـم وخزاعة رايـة وولى عليهم محنف بن سليم الأزدي ، وشهد هؤلاء جميعاً الجمل، وصفين ، وكان على الرجالة جندب بن زهير الأزدي(٣). وفي يـوم صفـين عبأ الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الناس ليلته حتى الصباح ، وزحف بالناس ، وخرج إليهم معاوية (رضي الله عنه) في أهل الشام ، ونظر علي بن أبي طالب إلى قبائل أهل الشام فعرف مواقفهم ، فقال للأزد أكفونا الأزد ، وقال لخثعم : أكفونـا خثعـم ، وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام ، إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشـام أحد ، مثل بجيلـة ، فلم تكن بالشام منها إلا القليـل فصرفهم علي على لخم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً (٤).

(١) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٨٣ وما بعدها .
(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٨٣ وما بعدها .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٨٣ وما بعدها .
(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، دار القلم بيروت ، ١٩٩٥م .

ومـن أدوار أهل السراة وتهامة في عصر بني أميـة (٤٠- ١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م) أن جهـز الخليفة عبـد الملك بن مروان جيشـاً إلى تهامة وأجزاء من الحجـاز لمحاربة عبد الله بـن الزبير وولى قدامة بن مظعون على الجيش وأمره بالسير ، ثم وجه الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله ، ثم عزل قدامه وعين بدلاً منه الحجاج بن يوسف الثقفي فسار بالجيش حتى نزل الطائف[١] . وأقـام شهراً ، ثم كتب لعبد الملـك يطلبه الإذن في قتال ابـن الزبير فأذن لـه ، وأمر أصحابه بأن يتجهزوا للحج ثـم سار من الطائف حتى دخل مكـة ، وقد تحصن ابن الزبير في المسجـد ، فاستعمل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمي [٢] . فخرج ابن الزبير من المسجد ومن معه فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم وقتل .

ويذكر أن بعض عشائر اليمن والسراة مثل: الأزد، وقضاعة ، وخثعم اجتمعوا ونزلوا في جبانـة الصياديـن . ومذحج وهمدان نزلوا في جبانة كنـدة ووقفوا إلى جوار زياد بن أبيـه أثناء الصراع الذي جـرى بينه وبين حجر بن عدي الـذي كان يرفض سب الإمام علـي بـن أبي طالب(رضي الله عنه) على المنابر أيام الخليفة معاويـة ابن أبي سفيان من قبل أمـير الكوفة المغيرة بن شعبـة ، فلما اشتد أمره عزم على قتلـه إلا أن المغيرة توفي سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) ، فتولى الأمر بعده زياد بن أبي سفيان ، ولما استقر له أمر الكوفة ، عمد إلى أسره بأمر من معاوية بن أبي سفيان وقتله مع كثير من أصحابه [٣] .

في سنـة (٤٠هـ/ ٦٦٠م) بعث معاوية بن أبي سفيان بسر بـن أبي أرطأة ، وهو من عامر بن لؤي ، في ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة دون قتال، وأكره النـاس على البيعة ، ثـم سار إلى اليمن فقتل عامل الخليفة علي بن أبي طالب على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثـي ، وقتل أيضاً جماعة مـن شيعة علي في صنعاء وما حولهـا ، فأرسل له علي بن أبي طالب جارية بن قدامة السعدي في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناس من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه[٤] .

ومـن الخارجـين على بنـي أمية (ثورة التوابـين) [٥] وهم جماعـة خرجوا للطلب بـدم الحسـين بن علي مـن عبيد الله بن زيـاد ، فخـرج لقتالهم سليمان بـن صرد بن

(١) الدينوري ، المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .
(٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٦٤ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٧٣٢، ٧٣٣ .
(٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٨٨ .

ذي كلاع، وأدهم بن محرز الباهلي، وربيعة ابن المخارق الغنوي ، وجبلة بن عبد الله الخثعمي، وكانت وقعة شديدة بنيهم وبين جند الشام ، وانتهت بمقتل سليمان بن صرد وأصحابه[١] . كما خرج المختار بن أبي عبيد الله الثقفي إلى الكوفة مطالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب، وأخرج منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع ، فلما رأى بنو أمية ذلك ، أوكلوا أمره إلى عبيد الله بن زياد بن أبيه ، الذي أرسل إليهم جيشاً على ميمنته الزبير بن خزيمة من خثعم ، وعلى ميسرته ابن أقيسر القحافي الخثعمي ، واقتتل الطرفان قتالاً شديداً حلت فيه الهزيمة بجند الشام وذلك سنة (٦٦هـ/٦٨٥م) [٢].

ومن أشهر ولاة وقادة بني أمية السرويين: (١) الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تقلد أمر العراق سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) بتكليف من الخليفة عبد الملك بن مروان بعد وفاة بشر بن عبد الملك[٣]. (٢) خالد ابن عبد الله بن أسد القسري الذي تولى أمر خراسان والعراق وقتل في نهاية الدولة الأموية[٤] (٣) حازم بن سفيان الخثعمي من بني عمرو بن شهران ، وقد أرسل لقتال شبيب الخارجي سنة (٧٦هـ/٦٩٥م) (٤) محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح بلاد الهند[٥] (٥) الجراح الحكمي الذي قاتل الترك في مرج أردبيل عام (١١٢هـ/٧٣٠م) وقتل من معه في تلك المعركة[٦] . (٦) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ويرجع نسبه إلى قبيلة الأزد وهو أحد قادة الدولة الأموية الشجعان، ولي المشرق بعد أبيه ، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك[٧].

ومن ولاة أهل تهامة السراة بعض أمراء الطائف والحرمين ، مثل: (١) نافع بن عبد الحارث، وهو من كبار الصحابة وفضلائهم ، أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة ولم يهاجر، واستعمله الخليفة عمر بن الخطاب على مكة والطائف وما جاورها من أرض السراة . (٢) مروان بن الحكم الذي ولاه الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمر المدينة ، وجمع له مكة والطائف وبعض أجزاء تهامة والسراة ، ثم عزله عن المدينة سنة (٤٨هـ/٦٦٨). (٣) الحجاج بن يوسف الحكم الثقفي، الذي كان يعلم الصبيان بالطائف، وكانت أول

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٨٨.
(٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٨٨ .
(٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١١٣٧
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٠٧، ١٤٠٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٠٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٣٢.
(٧) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج٣، ص١٣ .

ولايته تبالة من أرض السراة. (٤) عبد الواحد بن عبد الله النصري، الذي ولي الطائف عام (١٠٣هـ / ٧٢١م).

وإذا حاولنا معرفة كيفية إدارة البلاد السروية في العصر الجاهلي أو بعد ظهور الإسلام نجد أن المجتمع التهامي والسروي قبلي ، وشيخ القبيلة هو المسيطر على مقاليد الأمور في قومه ، ولكل قبيلة من قبائل السراة وتهامة شيخ تأتمر بأمره ولا تخرج عن طاعته ، ومن أولئك المشايخ الجاهليين أبي أزيهر الدوسي الذي قال عنه ابن المجاور أنه سيد أهل السراة[١]. وأسرة آل عبد المدان سادة بني الحارث بن كعب وبقيت هذه الأسرة ممسكة بزمام الأمور في أرض نجران حتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)[٢].

والفاحص للأوضاع الإدارية في تهامة والسراة في العصر الجاهلي وعصور الإسلام المبكرة والوسيطة يجد أن القبيلة هي صاحبة الحل والعقد في أوطانها ، وأن شيوخ القبائل يتولون إدارة أهليهم وبلادهم [٣]. والدارس لتاريخ ممالك اليمن القديمة يجد أن بعض ملوكها مدوا نفوذهم إلى بلاد نجران وأجزاء من تهامة والسراة ، لكننا لا ندري مدى ذلك النفوذ واستمراريته ، والشيء الذي لاشك فيه أن شيوخ قبائل هذه البلاد كانوا أصحاب السلطة في بلادهم حتى وإن دخلت بلادهم تحت نفوذ مملكة أو حكومة في اليمن أو الحجاز أو غيرها [٤].

وعند ظهور الإسلام في الحجاز، وامتداده إلى بلدان السراة وتهامة نجد من أهل البلاد من دخل الإسلام، ثم عاد إلى بلاده كي ينشر الإسلام في قومه ، ومنهم من كلف من قبل الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده بالإمارة في دياره وعلى قومه[٥]،

---

(١) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ص ٢١٠ . وللمزيد انظر: ابن حبيب ، المنمق ، ص ٣٣٦، ياقوت الحموي، ج٥، ص٢٦٨ .

(٢) انظر : ابن جريس ، نجران (ط٢) (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ج١، ص ٣٤ وما بعدها .

(٣) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٤) تاريخ تهامة والسراة السياسي والإداري قبل الإسلام ، وفي العصور الإسلامية المبكرة الوسيطة من الموضوعات التي لم تدرس في هيئة بحوث أو رسائل علمية ، ونأمل من المؤرخين والباحثين الجادين أن يدرسوا هذه العناوين دراسات علمية موثقة .

(٥) إن الاطلاع على كتب السير والتراث الإسلامي الأخرى يجد تفصيلات كثيرة عن كيفية انتشار الإسلام في تهامة والسروات ، والوفود التي قدمت من هذه البلاد على الرسول (ﷺ) في المدينة معلنة إسلامها ، ثم عودتها إلى بلادها لنشر الإسلام بين أهلها ، وهناك أسماء كثيرة ممن دخلوا الإسلام ، ثم عينهم الرسول (ﷺ) على أقوامهم في أوطانهم . ودراسة هذا الجانب السياسي والإداري والدعوي من الموضوعات التي تستحق أن تكون عنوانا لبحث علمي موثق . وللمزيد انظر بعض كتب التراث الإسلامي مثل : الطبري ، والمسعودي ، وابن الأثير، الكامل في التاريخ ، وابن مسكويه ، تجارب الأمم ، وابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، وابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، وياقوت الحموي ، معجم البلدان ، والأصفهاني ، كتاب الأغاني، والنويري ، نهاية الأرب ، وغيرها .

وهنــاك ولاة آخرون أرسلوا من عاصمــة الإسلام المدينة المنورة، أو من دمشق في عصر بنــي أميــة، أو من بغــداد في عصــر بنــي العباس(١٣٢-٦٥٦هــ/ ٧٤٩-١٢٥٨م) ليتولوا الولايــة، أو القضاء ، أو الحسبة وجمع الصدقــات في أوطان تهامة والسراة [١]. وشيوخ القبائل لم يختفِ وجودهم وتأثيرهم في بلادهم وبين سكان عشائرهم ، وإنما كانوا على صــلات قويــة بكل ما يحدث في ديارهــم ، ومع كل من يأتي من خــارج أرضهم لحكمهم والتعامل معهم ودياً أو رسمياً[٢].

خامساً: لمحات من الحياة الاجتماعية :

هنــاك عدد من العــادات التــي مارسها أهل تهامــة والسراة قبل ظهــور الإسلام، مثــل: التمــاس النســوة للأطفال الرضعــاء بدافع المــال ، وقد لاحظنا ذلــك مع حليمة السعديــة مــن بنــي سعد في أرضــ السروات التي ذهبــت إلى مكة مع بعضــ رفيقاتها ، وكان نصيبهــا أن أخــذت محمــد بن عبــد الله بن عبد المطلــب ، عليه أفضــل الصلاة والســلام ، مــن أجل القيام على رضاعته ، وبقــي (ﷺ) في ديار السعديين بعض الوقت أثناء طفولته[٣]. كما عرف التهاميون والسرويون عادات الكهانة والسحر والشعوذة[٤]، وكثــير من العــادات السلبية مثل: النياحة على الموتى ، وهنــاك روايات تذكر وجود هذه

---

(١) تاريــخ الحيــاة الإدارية في بلاد السراة وتهامة منذ ظهور الإسلام حتــى العصر الحديث لم تدرس إطلاقاً ، مع أن هــذا الجانب الحضــاري غني بإحداثه ، وما جرى على هذه البلاد من صــلات إدارية وحضارية . ونأمل من أقســام التاريــخ في الجامعات الحديثة الموجودة في بــلاد تهامة والسراة ، من مكة والطائــف شمالاً إلى نجران وجــازان جنوبــاً أن تدرس هذا الميدان العلمي المهم، والمسؤولية كبيرة علــى الأساتذة العاملين في هذه الأقسام ، وعلى طالبات وطلاب الدراسات العليا في هذه الأقسام نفسها .

(٢) موضــوع شيــوخ القبائل والعشائــر في أرض السروات وتهامة منــذ بداية العصر الإسلامــي إلى وقتنا الحاضر تحتــاج مئــات البحوث والدراسات ، حيــث كانوا ومازالوا مؤثريــن في أوطانهم ، وفي صنع القــرارات السياسية والإدارية والحضارية في بلادهم ، وصلاتهم مع مراكز القوى السياسية في العالم الإسلامي منذ عصر الرسول (ﷺ) وعــبر عصور التاريخ الإسلامي المبكــر والوسيط والحديث والمعاصــر. وإذا تأملنا في تاريخ بعض الدول والحكومــات التــي ظهرت في الحجاز أو اليمن أو في الشــام أو العراق ، أو في مصر وغيرها ، نجد أن كثيراً منها كان لها صلات سياسية و حضارية مع أهل السراة وتهامة ، ومع كثير من شيوخها وأعيانها ووجهائها ، وكل هذه الموضوعات جديرة بالبحث والدراسة التوثيقية والتحليلية .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى ، تحقيق فهيم شلتوت ، ج١، ص ٥٧ ، ٦٢ . كتب السير فصلت الحديث عن قصة مولد النبي (ﷺ)، وكيــف أخذته حليمــة السعدية إلى ديارها في أرض السروات ، ومــاذا حصل له من المعجزات حتى عاد إلى أهله وذويه في مكة المكرمة .

(٤) انظر الجاحظ ، رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج٣، ص ١١٥ ، ١٢٧ . وانظر المؤلف نفسه ، كتاب الحيوان ، ج٦، ص ٢٠٤ .

العادة عند النجرانيين وبعضاً من بلاد مذحج، والحجر، وغامد وزهران [١]. وكانوا لا يورثون النساء [٢]. ومن عاداتهم في جنائزهم أن الشبان يحملون الجنازة، ويقولون "**سلم سلم سلمك الله، هذا ما وعد الله نعم القاضي**"، ويتداولون النعش إلى الجبانة (المقبرة)، وهم الذين يحفرون القبر [٣].

وإن طالعنا كتب الأدب العربي وجدناها مليئة بالعادات والأعراف الجاهلية مثل: الشجاعة، والمروءة، والغيرة، والنجدة، مع أن هناك عادات أخرى سلبية ذكرتها بعض كتب التراث الإسلامي مثل: التشاؤم والطيرة، وسفك الدماء وغارات القبائل بعضها على بعض، وشرب الخمور، والزنا والسفاح، ووأد البنات، والتفاخر والمباهاة، والتعصب القبلي، والهجاء وغيرها من الصفات السيئة المدونة في كتب التاريخ والأدب[٤]. وعند ظهور الإسلام نجد مصادر الشريعة تقر كل ما هو إيجابي، ويصب في بناء الفرد والمجتمع، وتحارب الرذيلة بجميع أنواعها، والقارئ للقرآن الكريم والتفاسير، وكتب السنن، وعلوم الفقه والاجتهاد والقياس يجدها رسمت خطوطاً واضحة للتعايش السلمي المدني النظيف، وحفظت الحقوق لكل إنسان ذكراً أو أنثى صغيراً أو كبيراً مسلماً أو غير مسلم[٥].

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٦٧، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٥.

(٢) عدم إعطاء المرأة حقها من الميراث عادة ذميمة عند الجاهليين، وعند مجيء الإسلام، أعطى كل ذي حق حقه، وحافظ على حقوق النساء، وحث على رعايتهن وعدم ظلمهن. وكوني واحداً من بلاد تهامة والسراة فقد رأيت وسمعت خلال الخمسين عاماً الماضية تلكؤ بعض الرجال من إعطاء النساء حقوقهن من الميراث، ويلجأ البعض إلى التحايل عند القسمة فيقولون: كل بنت تعطى حقها مع أخيها، أي فلانة مع فلان، وهكذا تقسم التركة او الميراث، فإذا كانوا مجموعة إخوان وأخوات يقسم الميراث باسم الرجال، ويوضع مع كل رجل واحدة من الأخوات، وإذا طلبت إحداهن قسمها بشكل مستقل فإنها تحارب وتقاطع، وكم من النسوة اللاتي ذهبن إلى المحاكم وأخذن حقوقهن من الميراث، ومن ثم قاطعها الأقارب من الرجال كالإخوان وغيرهم. هذا ما شاهده الباحث وعرفه وقرأ شيئاً من هذه القصص في بعض الأوراق والوثائق المحلية.

(٣) انظر ابن المجاور، مطبعة بريل ليدن (١٩٥١م)، ج١، ص٢٥. والقيام على خدمة الجنازة من قبل الأحياء مازالت ممارسة عبر أطوار التاريخ الإسلامي حتى وقتنا الحاضر.

(٤) للمزيد انظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، ص ١٥٩، المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ص ٩٢، ١١٨، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، (طبعة بيروت، دار إحياء العلوم، دت)، ص١٤٤.

(٥) شرائع الإسلام واضحة وجلية، وإذا ظهر في المجتمع الإسلامي عادات وتقاليد سلبية فذلك معارض للمبادئ والقوانين الإسلامية، والدارس للمجتمعات الإسلامية منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر يجدها مليئة بالأعراف والتقاليد التي لا تتوافق مع شرائع الإسلام.

ومن ملامح الحياة الاجتماعية في أرض السراة الزواج وعلاقة المصاهرة بين بعض العشائر السروية[١] ، مثل: غامد وزهران ، وعامر بن صعصعة ، وثقيف ، والحارث بن كعب، وخثعم وغيرهم مع أهل الحجاز ، ومن أمثلة ذلك تزويج أبي أزبهر الدوسي سيد أهل السراة بناته لرجال من أهل مكة ، فزوج ابنته عاتكة لأبي سفيان ، وزينب لعتبة ابن ربيعة ، ثم خلف عليها أبو حبيب بن مهشم ، كما زوج بنتاً أخرى للوليد بن المغيرة ابن عبد الله المخزومي [٢] ، ولكنه أمسكها عنه وسبب ذلك : " أنه كان رجلاً غليظاً على النساء يضربهن ، فحبسها عنه وأمسك المهر" ، وفي رواية : أنها كانت أهديت إليه قال: " أنا أشرف أم أبوك ؟قالت لا بل أبي سيد أهل السراة [٣] ، وأن العرب يصدرون عن رأيه وإنما أنت سيد بني أبيك ، وفيهم من ينازعك الشرف فلطمها ، فهربت إلى أبيها ، فحلف أن لا يراها ، وأمسك المهر"[٤].

من هذه الرواية نستنتج أموراً عديدة ، هي: (١) مكانة المرأة في المجتمع السروي وبخاصة في العصر الجاهلي ، ومن ذلك ما فعله أبي أزيهر عندما رفض إعادة ابنته بعدما تعرضت للإهانة على يد زوجها الوليد. (٢) المهر كان من الأشياء التي تدفع للمرأة السروية كحق من حقوقها مقابل قبولها بالزواج .(٣) كانت المرأة تتمتع بالعديد من الحقوق في ظل المجتمع السروي الجاهلي ، وكانت أحياناً كالسلعة تهدى وتباع إن صحت الرواية السابقة . (٤) كان أهل السراة يدخلون في أحلاف مع القبائل الأخرى ومن بينها القبائل الحجازية . وهناك نساء أخريات من أرض السراة تزوجن في قريش، مثل: قلابة بنت الحارث، من جدات النبي (ﷺ) لأمه ، كانت أمها هند بنت يربوع من ثقيف ، وأم ميمونة زوجة النبي (ﷺ) كانت من جرش، وأسماء بنت عميس الخثعمية كانت عند جعفر بن أبي طالب ثم خلفه عليها علي بن أبي طالب[٥]. والأمر لم يقف عند

---

(١) الزواج من العادات الاجتماعية التي مارسها أهل تهامة والسراة خلال العصور الجاهلية والإسلامية. وكتب التراث مليئة بالمعلومات التي فصلت الحديث عن أنواع الزواجات ، والصلات والمصاهرات بين الأسر والعشائر ، والأعراف والعادات التي تمارس في مناسبات الزواج . وهناك أشعار كثيرة في العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج وبعده ، وفي أنساب النساء والأسر والقبائل وغيرها .

(٢) ابن حبيب ، المنمق ، ص ٣٣٦ . وللمزيد انظر: المبرد ، الكامل في اللغة والأدب . ص ١١٨ ، الزمخشري، ربيع الأبرار،ج٢، ص ٨٠٩-٨١٠ ، الجاحظ ، الرسائل ، ص ٣١٣ .

(٣) انظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٣٦ .

(٥) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٤٧ .

المصاهـرة بل تعداه إلى ما يعرف بـزواج السبي ، ومن ذلك زواج الصمة بن بكر[١] من ريحانـة أخت الفارس عمرو بن معد يكرب ، والتي كانت قد وقعت في الأسر عندما أغار بهـوازن علـى بعض قبائل السـراة[٢]. وأنجب منها أبناءه : دريـد ، وعبد الله ، وخالد ، وقيس[٣]، وكلهم كانوا فرساناً في الجاهلية، ومن هذه الرواية نستنتج أن ذلك النوع من الزواج كان معروفاً في السروات في عصور ما قبل الإسلام[٤].

وصـور الحياة الاجتماعيـة كثيرة ومتنوعة ، ولا تخلو كتب الـتراث من شذرات عن طبقـات المجتمع التهامي والسروي في الجاهلية والإسلام ، والعنصر العربي القحطاني والعدناني كان السائد في عموم هذه البلاد ولا يخلو من عناصر إفريقية وتركية وهندية لكـن نسبهم قليلـة ويعملون غالباً في المهـن الوضيعة .كما عرف سـكان السراة وتهامة المنـازل المبنيـة من الحجـارة والطين ، أو مـن الأخشاب والقش وسعـف النخل ، وكثير منهـم وبخاصة أهل البادية استخدموا بيـوت الشعر والخيام ، أما ألبستهم فأهل المدن عرفـوا كثـيراً من الألبسة وأدوات الزينـة التي تصدر إلى أسواقهـم من خارج بلادهم وخاصـة من مدن الحجـاز الرئيسية. والأطعمـة والأشربة تنوعت فأهـل القرى والمدن والحواضر امتلكوا حبوب الحنطة والذرة والشعير التي تزرع في مزارعهم ، كما حصلوا علـى لحوم الضأن والأبقار والإبل وشربوا من ألبانها وزبدها ، وهناك صفحات في كتب التاريخ واللغة والجغرافيا والرحلات أشارت إلى كثير من الأطعمة والأشربة التي عرفها التهاميـون والسرويون ، بل كانوا يصدرون كثيراً مـن منتوجاتهم الزراعية أو بعض من حيواناتهـم إلى أسـواق الحجاز فتباع على أهل الحرمـين أو يقاضونها بسلع أخرى مثل المنسوجات والملاحف وبضائع أخرى عديدة[٥].

وإن دققنا النظر في بعض المصادر الإسلامية ، مثل: كتب السنن ، والفقه الإسلامي، ومعاجـم اللغة العربيـة ، والدواوين الشعريـة وبعض الكتب الأدبيـة ، وكتب الجغرافيا والرحلات ، والمعاجم الجغرافية فإننا سوف نجد لمحات عن فنون أهل السروات وتهامة

---

(١) وهـو الحـارث بن بكر بـن علقمة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر من هوازن وهو سيد بني جشم وفارسهم . انظر، ابن حبيب ، المحبر ، ص ١١٤.

(٢) ابن حبيب ، المحبر ، ص ١١٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) إن الباحث في كتب التاريخ الحولية والمكانية ، ومصادر الأدب واللغة ، وبعض الموسوعات ، والمعاجم الجغرافية وكتـب الرحلات يجـد فيها تفصيلات كثيرة عـن بعض الصور الاجتماعيـة التي عرفها ومارسهـا أهل السراة وتهامة في العصر الجاهلي وعبر عصور الإسلام المختلفة .

الاجتماعيـة مثل: بعض الأهازيج ، والعبارات اللغوية التي تشتمل على بعض الأحاجي والحكـم والأشعـار ، والرقصـات ، والأمثـال الشعبية . كمـا لا تخلو هـذه المصادر من صـور اجتماعية في مناسبات الـزواج ، والأعياد ، والمآتم ، واستقبـال الضيوف، وتوديع المسافريـن ، والأحـلاف ، والسمايـة ، وإغاثة الملهوف ، ومساعـدة الضعيف والمحتاج ، وكتب التاريخ العامة تحتوي على تفصيلات عن عادات الحروب والغارات ، وأخذ الثأر ، ونصـرة المظلوم ، وحماية الأعراض والممتلكات . وكتب الأدب حفظت كثيراً من الأشعار الجاهليـة والإسلامية التي تُبرز حياة القبائل والأفراد والبـوادي والقرى الاجتماعية ، ومـا يـدور بين أهلها مـن ممارسات تعكـس صوراً من المـدح والثنـاء ، أو المفاخرة ، أو الهجاء ، أو الحنين ، أو الغزل ، أو الرثاء وغيرها[١] .

والمصـار التراثية حفظت معلومات متنوعة عن عـادات الناس في ممارسة مهنهم الاجتماعيـة والاقتصاديـة والحضاريـة ، بـل أشـارت إلى دراية السرويـين والتهاميين بأعمالهـم وعلاقاتهـم بمن جاورهم من القرى والحواضر والبلـدات ، وكذلك تعاونهم وتكاتفهم الأسري والاجتماعي أثناء كسب أرزاقهم في مهن الرعي والصيد ، والزراعة، والتجارة وغيرها [٢] .

سادساً : جوانب من الحياة العلمية والثقافية :

عـرب السـراة وتهامـة لم يكونوا خـالي الوفاض مـن الثقافة والمعرفـة في العصر الجاهلـي، بـل عندهم من يمارس الطـب ، والكهانة ، والسحر والشعـوذة ، وكان فيهم الحكمـاء والعقـلاء من علية القوم وعامـة المجتمع . ومصادر الـتراث الإسلامي تذكر أمثلـة كثيرة عن أدبهم ولغتهم ففيهم الشعراء الفحول مثل: شعراء الصعاليك في أرض السـروات كالشنفـرى ، وتأبـط شراً ، وسليك بـن السلكة وغيرهـم[٣]. وإذا درسنا كل

---

(١) مـن يطلـع على أشعار ودواوين الشعر قبل الإسلام وبعده يجدها مليئـة بالأمثلة والصور التي تدور في فلك هذه النقاط الآنف ذكرها أعلاه .

(٢) بلاد السراة وتهامة بحاجة شديدة إلى دراسة تاريخها اجتماعياً منذ العصر القديم وخلال العصور الإسلامية المختلفة . ونأمل أن نرى بعضاً من طلابنا الجادين أو الأساتذة المؤرخين المنصفين فيدرسوا هذا الميدان الواسع والجدير بالبحث والتدقيق.

(٣) مـن يدرس مصـادر الأدب واللغة المبكرة مثل: كتب الأغاني لأبي الفـرج الأصفهاني، والمعارف ، وعيون الأخبار لابـن قتيبـة ، ومؤلفات الجاحظ ، والثعالبي ، وكتاب العقد الفريد لابـن عبدربه ، ومعاجم اللغة ، كلسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري ، وتاج العروس للزبيدي فإنه سيجد فيها مواد علمية كثيرة تعكس حياة سكان الجزيرة العربية والثقافية ، وبلاد تهامة والسراة ورد ذكرها بشكل جيد في هذه المصادر المبكرة .

قبيلة مستقلة وجدنا فيها الكثير من الشعراء ، فهناك العشرات منهم في قبائل مذحج، والأزد، وخثعم ، وبجيلة ، وهوازن وثقيف وغيرها[١] .

وعند ظهور الإسلام وانتشاره داخل الجزيرة العربية وخارجها ظهر شعراء أثروا وتأثروا بالتاريخ السياسي والحضاري الذي عاشته الدولة الإسلامية في عصور الرسول (ﷺ) والخلافة الراشد ، وخلفاء بني أمية وبني العباس[٢] . وهناك شعراء أزديون ومذحجيون وبجليون وخثعميون وغيرهم دخلوا الإسلام ونافحوا عن الدين الإسلامي في أوطانهم ، وفي مدن الحجاز الرئيسية ، ومنهم من هاجر إلى الأمصار الإسلامية في الشام والعراق وبلاد فارس ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وانخرطوا في الحياة الاجتماعية والحضارية ، وأسهموا في بناء الدولة الإسلامية [٣]. ولم يكن الشعر هو العلم الوحيد الذي شارك فيه السرويون والتهاميون ، وإنما عمل بعضهم في تعلم وتعليم العلوم الشرعية والأدبية واللغوية[٤]. وإذا تتبعنا تاريخ أهل السراة وتهامة خلال القرون الإسلامية الأولى وجدنا فيهم من ذهب إلى المدينة المنورة أو عواصم العالم الإسلامي ، فتعلموا شرائع الإسلام وكثيراً من العلوم اللغوية والأدبية ثم عادوا إلى أوطانهم فأقاموا فيها وعملوا على تنوير وتعليم أهلها ، بل منهم من بذل جهوداً طيبة في القضاء بين الناس، وتقسيم مواريثهم وعقد أنكحتهم ومساعدتهم على أمور دينهم [٥] .

---

(١) ظهر في هذه القبائل شعراء جاهليون وإسلاميون كثيرون ، ويوجد عدد من الدواوين الشعرية التي طبعت ونشرت عن شعراء من هذه القبائل ، وماتزال كتب الأدب واللغة والتراث الإسلامية المبكرة مليئة بالأشعار المتنوعة في موضوعاتها وأهدافها، وجميعها تخص أدب وشعراء ينتمون لهذه الأوطان السروية والتهامية. ومن أمثلة أولئك الشعراء: أمية بن أبي الصلت، ودريد بن الصمة ، وأنس بن مدرك الخثعمي ، وحاجز الأزدي ، والأفوة الأودي ، ولقيط بن يعمر الأيادي ، وحُميد بن ثور الهلالي وغيرهم . للمزيد انظر كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري .

(٢) القارئ للأحداث السياسية في بداية الدولة الإسلامية يلحظ انتشار الإسلام من المدينة إلى أصقاع شبه الجزيرة العربية ، وما واكب ذلك من حروب وسرايا وغزوات ، وما جاء في حروب الردة ، ثم تنظيم الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، ثم وقوع الفتنة الكبرى ومقتل الخليفة عثمان ، ثم الحروب التي جرت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، ثم خروج الخلافة من الحجاز إلى الشام ثم إلى العراق . وجميع هذه الأحداث أثرت على أصحاب الفكر والشعر من التهاميين والسرويين فانخرط بعضهم في تلك الأحداث ، وقالوا وجهات نظرهم وما يؤمنون به من خلال شعرهم وأدبهم وحكمهم. وموضوع دور السرويين والتهاميين الثقافي والعلمي والفكري في تلك الفترة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق البحث والتدوين .

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية واسع ومتشعب في أنحاء العالم الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . وكان لأهل تهامة والسراة نصيب من المساهمة في الحياة العلمية والثقافية والحضارية خارج شبه الجزيرة العربية. وهذا الموضوع أيضاً جديد ومهم ويستحق من يدرسه . ونأمل من المؤرخين الجادين أن يتولوه بالبحث والدراسة .

(٤) هناك أعلام كبار ساهموا في البناء الثقافي والحضاري الذي عاشته الأمة الإسلامية في عصورها الذهبية ، أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي عالم العروض المشهور ، والطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية وغيرهما كثير.

(٥) إن السائح اليوم في أرجاء تهامة والسراة يرى الكثير من الآثار والمعالم الحضارية التي تؤكد على استيطان

وكـون لغة أهل السروات هـي العربية ، فإننا نجد بعض الدراسات تشير إلى صفاء لغتهـم ، فهـذا الهمداني يشير إلى أرض السروات من نجـران وودعة شمالاً إلى ثقيف والطائـف شمالاً ويذكر أن لغتهم فصيحة، ومن صميم اللغة العربية[١]. والملاحظ على لغة ولهجات بعض قبائل السراة في الجاهلية والإسلام كخثعم وزُبيد مثلاً فهم يحذفون نـون (مـن) الجاره إذا وليها ساكن ، وقد شاعت هذه اللغـة في الشعر واستخفها كثير من الشعراء[٢]. وفي لغة بلحارث بن كعب في نجران يحذفون الألف من (على) الجاره، والـلام الساكنـة التي تليهـا ، فيقولون في علـى الأرض (عـلأ رضـ) [٣] . وفي أسماء الموصـول نجد بلحارث بن كعب وبعض عشائـر السراة يحذفون نون اللذين ، واللتين في حالـة الرفـع ، أما تميم وقيس فهم يثبتون هذه النـون لكنهم يشددونها [٤]. وفي لغة أزد السـراة يبدلـون التنوين في الوقف من جنس حركة آخر الكلمـة فيقولون : جاء خالدو ، ومررت بخالدي[٥] .

وعنـد بني سعـد يضعفون الحرف الأخير من الكلمة ، الموقـوف عليها ، إلا إذا كان هـذا الحرف همـزة، أو كان ما قبله ساكناً ، فيقولون : هـذا خالدّ، ولا يضعفون في مثل رشأ وبكر[٦] . وفي لغة خثعم وبلحارث بن كعب يقلبون الياء بعد الفتحة ألفاً ،فيقولون في إليـك ، وعليك ، ولديه : إلاك ، وعـلاك ، ولداه ، ومن لغتهم أيضاً إعراب المثنى بالألف

هـذه البـلاد منذ عصور ما قبـل الإسلام ، وفي عهود الإسلام المختلفة نجد روايـات كثيرة تروي حياة أهل هذه البـلاد السياسيـة والحضاريـة . كما أن صفـاء عقائدهم هو السائـد منذ ظهور الإسـلام إلى وقتنا الحاضر ، حتـى وإن ظهـر بينهـم بعض الصور السلبية مثـل: انتشار السحر أحيانـاً ، أو وجود بعضـ الشركيات وبخاصة في القـرون الإسلاميـة الوسيطـة ، إلا أن الغالب علـى السكان أنهم موحـدون مؤمنون بالله عـز وجل حتى وإن سـاد حياتهـم بعض الجهـل والقصور. ولا يمكـن للعقيـدة الصافية البقـاء والاستمرار بدون مـن يرعاها من أهـل العلـم والثقافة والفكـر ، والشيء الذي لاشك فيه أن أهل هذه الأوطان كانـوا على صلات دائمة بالحرمين الشريفين وبعض الرحالة مثل ابن جبير وابن بطوطة وصفوا صلاح نياتهم وعقائدهم عندما كانوا يرتادون مكة ويزورون المسجد الحرام أثناء الحج والعمرة. وأثناء البحث في كثير من كتب التراث وبخاصة كتب التراجم والطبقات، أو كتب البلدان مثل تواريخ مكة والمدينة المنورة وصنعاء فإننا نجد بعض الإشارات التي تذكر أعلاماً يخرجون من بلداهم في أرض السروات إلى الحجاز وبعض الأمصار الإسلامية كي يتعلموا على يد بعض العلماء والمشائخ ثـم يعـودون إلى بلادهم لنشر التعليم فيها ومحاربـة الجهل بين أهلها . وهذا الموضـوع لم يدرس دراسة علمية موثقة ، ونأمل أن نرى بعضاً من طلابنا فيتولونه بالبحث والدراسة والتوثيق .

(١) انظر الهمداني صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب (طبعة جامعة بغداد ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ج٨، ص ٥٧٨.

(٣) المرجع نفسه ، ج٨، ص ٥٧٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ج٨، ص ٥٧٩ .

(٥) المرجع نفسه ، ج٨، ص ٥٧٩ .

(٦) المرجع نفسه ، ج٨ ، ص ٥٧٩ .

مطلقاً ، رفعاً ونصباً وجراً ، وذلك لقلبهم كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفاً ، فيقولون : جاء الرجلان ، ورأيت الرجلان ، ومررت بالرجلان[١] .

وأشار بعض العلماء أن في القرآن أكثر من أربعين لهجة عربية ، ومنها : لغات قريش ، وهذيل ، وخثعم ، وأزد شنوءة ، وسعد العشيرة ، ومذحج ، وعامر بن صعصعة، وثقيف ، وهوازن وغيرها[٢] .

وإذا توقفنا مع فكر أهل السروات ، وجدناهم متأثرين بمعبوداتهم الجاهلية قبل الإسلام ، فكانوا يزورونها ويتبركون بها ويقربون لها القرابين ، ويعتقدون فيها أنها تنفع وتضر، وذلك ديدن أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام . وبعد ظهور الإسلام تغيرت أحوالهم، فأصبحوا من أوائل من تخلى عن هذه المعبودات الشركية ، ووحدوا دياناتهم لعبادة رب العباد ، وربما وجد بينهم من يخلط عبادته ببعض الشركيات بسبب الجهل والأمية التي كانت منتشرة في أنحاء البلاد ، لكن نسبة أولئك قليلة مقارنة بالموحدين المؤمنين بدين الإسلام . والدارس لكتب التراث الإسلامي وبخاصة في ميادين التاريخ السياسي والعقائدي يجد أنه وصل إلى جنوب الجزيرة العربية بعض العقائد السماوية والوضعية ، كاليهودية ، والنصرانية ، والمجوسية، والحنفية ، والصابئية ، وفي العصر الإسلامي بعض الفرق مثل: الزيدية ، والإسماعيلية، والقرامطة ، والإثنى عشرية وغيرهما ، وقد سعى القائمون على تلك الديانات والفرق إلى نشر معتقداتهم في بلدان السراة وتهامة ، ونجح بعضهم لفترات قصيرة ، لكنهم لم يستطيعوا ترسيخ أياً من هذه المعتقدات بين التهاميين والسرويين[٣] .

---

(١) المرجع نفسه ، ج٨، ص ٥٧٩ . وفي أثناء تجوالي في بلاد السروات وتهامة خلال السنوات الماضية المتأخرة وجدت كثيراً من هذه الأمثلة التي أشار إليها جواد علي عند عرب هذه البلاد في الجاهلية مازالت موجودة يتكلمها بعضهم في بلاد نجران وفي السروات الممتدة من أبها حتى الطائف. وأقول إن علماء اللغة الاوائل بذلوا جهوداً كبيرة في دراسة لغات القبائل في الجزيرة العربية، لكنهم لم يأتوا على كل اللهجات واللغات ، فهناك لغات مازالت مجهولة وغير مدروسة ، ويوجد اليوم من يتكلمها ويمارسها في الحياة اليومية والواجب على أساتذة اللغة اليوم أن ينزلوا إلى الميدان ويسيروا في الأرض ويخالطوا السكان ويسمعوا لغاتهم ، ثم يدرسونها دراسة علمية موثقة. والإمكانات والظروف اليوم أفضل وأسهل مما كانت عليه عند العلماء الأوائل، وبالتالي فالمسؤولية على علماء اليوم وأصحاب الاختصاص أكبر وأعظم .

(٢) كانت لغة أهل السراة وتهامة من أنقى اللهجات ، وهكذا كان وضعها منذ العصر الجاهلي وعبر عصور التاريخ الإسلامي ، وبالتالي فهم أصحاب فكر وشعر وأدب وثقافة . والسائح اليوم في أرجاء هذه البلاد يشاهد ويسمع الكثير من المفردات والعبارات عند عوام الناس ، وعند فحصها والتأمل في معانيها يجدها لغة عربية فصيحة ، ويوجد عنها شروح وتفصيلات في معاجم اللغة العربية .

(٣) إن دراسة تاريخ الفكر والعقائد في السروات قبل الإسلام وبعده من الموضوعات المهمة وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث والدراسات العلمية . ونأمل من جامعات السعودية الجنوبية أن تنشئ بعض المراكز البحثية التي تقوم على إنجاز دراسات علمية. كما أن الباحث في مكنونات كتب التراث الإسلامي يجد أن مؤلفات دونت

سابعاً: شذرات من التاريخ الاقتصادي :

بلاد السروات وتهامة غنية بثرواتها ومواردها الاقتصادية . وفي الصفحات التالية نذكر بعضاً من الصور الاقتصادية التي أشارت إليها بعض المصادر المبكرة [١] . وهي على النحو التالي : المعادن ، كالذهب ، العسجد والتبر . والفضة : وهي اللجين بلغة حمير، وهي الورق والأوراق ، وقالت طريفة الكاهنة لقومها من الأزد يوم تفرقهم "من كان يحب الثياب الرقاق، والخيول العتاق والذهب والأوراق فليلحق بالعراق"[٢]. والرصاص ، ويوجد في شمال وشرق اليمن وجنوب نجران ، والحديد يوجد في أماكن متفرقة من اليمن والسروات[٣].

ومن أماكن التعدين : الفضة بأرض الهجيرة من قرى وادي تثليث القديمة ، ولونه أبيض ، كما يوجد في بيشة وجنوب نجران بعض معادن الفضة والرصاص. ومعادن الذهب ضمن معدن عشم من أرض كنانة في تهامة ، وذهبه أحمر جيد ، ومعدن ضنكان من بلاد الأزد وكنانة وهو دون معدن عشم، ومعدن في أرض بني سابقة ما بين نجران وصعدة ، ومعدن في أرض خولان بالقرب من الخصوف من بلاد حكم في أرض جازان[٤]. ومعدن العقيق بين نجران والفلج[٥]، ومعدن المخلفه يقع على مقربة من تهامة والجبال

في جوانب علمية وثقافية ومعرفية تتعلق ببعض الموضوعات في تاريخ وحضارة تهامة والسراة ، وكثير من هذه الكتب لم تصلنا ، لكنها مذكورة عند المتقدمين ، ومن تلك المؤلفات : أخبار ثقيف ، ومن تزوج في ثقيف من قريش لعلي بن محمد المدائني . وكتاب إياد الأزد ، لمحمد بن المتنبي أبو عبيدة البصري . وكتاب جمهرة أنساب الحارث بن كعب وأخبارهم للحسن بن الحسين السكري . وكتاب تفرق الأزد، وأخبار عمرو بن معد يكرب الزبيدي لهشام بن السائب الكلبي ، وكتب أشعار بجيلة ، وأشعار الأزد ، وأشعار بني سعد ، وأشعار فهم وعدوان ، وأشعار الحارث بن كعب . للمزيد انظر: ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٢، ص ٣٤٢، ٤٨١، ٥٩٦. ج٤ ، ص ٢٢٤.

(١) إن الباحث في تاريخ الصيد والرعي والجمع والالتقاط ، والزراعة والتجارة والحرف الصناعية التقليدية في بلدان تهامة والسروات سيجد شذرات ولمحات كثيرة في كتب التراث الإسلامي تذكر انخراط سكان هذه البلاد في معظم هذه النشاطات الاقتصادية منذ عصور ما قبل الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي. وهذه الموضوعات مهمة وجديدة في أبوابها ويجب على المؤرخين والباحثين الجادين في جنوبي البلاد السعودية أن يتولوها بالبحث والدراسة .

(٢) الهمداني أفضل من تحدث عن معادن شبه الجزيرة العربية ، فذكر مواطن عديدة في بلاد تهامة والسراة الممتدة من حواضر اليمن الرئيسية إلى الطائف ومكة المكرمة . انظر كتابه : الجوهرتين العتيقتين ، ط (الرياض) ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) قام بنشره حمد الجاسر ، ص ٦٠ ، ٦١، ٢٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٥ ،٨٦، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

المطلـة عليها[١] . ومعدن وادي العقيق من روافد ووادي تربة ويعرف قديماً باسم العقيق اليماني وحديثاً بعقيق غامد[٢] ، ومعدن بنات حرب ويوجد هذا المعدن في بيشة[٣].

ومعـدن الزمـرد : يوجد بأرض زبيد إلا أنه لما ظهر بها وضع عليـه أهل البلاد ردحاً مـن الحجارة والتراب خشية أن تعيرهم القبائل وتسميهم بالحكاكين، أي الذين يستخرجون المعادن من الأرض[٤].

ومـن الأشجـار التـي تستخـدم أخشابهـا في التعديـن ، العرعر الأحمـر ، والطلع وتوجـد بكثرة في أرض السروات[٥]. ومـن الأشجار المثمرة الأخرى : الرمان ، والتفاح، والمشمش فقـد غرسـت في مناطـق عرفت بالخصـب ووفرة الميـاه وعاش أهلها على الزراعة والاستقرار مثل مدينة الطائف مصيف أهل مكة منذ الجاهلية، وبلدان عديدة في السـروات واليمـن[٦] ، وأكـثر ثمارها الزبيب ، وهي طيبة الهـواء ، وأكثر فواكه مكة منهـا[٧]، وهـي ذات مزارع ونخيـل وأعناب وموز وسائـر الفواكـه[٨]. والنخل في بيشة وتربـة ورنية ونجران. والكروم : وهو العنب ومنـه العنب الجرشي وهو عنب طيب يقول علمـاء اللغة هو أطيب العنب كله وهو أبيض ويميل إلى الخضرة[٩]. والتين ، والرمان ، والسدر[١٠] ، وأشجار ونباتات أخرى[١١].

ومـن الـثروة الحيوانية : الإبـل ، وقد اشتهرت قمـم السروات وأجزائهـا الشرقية بالإبـل ، وكانت جرشـ مشهورة بإبلها الجرشية . كما عرف السرويون الماشية (الضأن والماعـز) ، فكانت موجـودة بكثرة ، وكذلك الأبقار والحمير، وكثـير من الطيور الأليفة مثـل: البط ، والدجـاج ، والحمام . وتوجـد الحيوانات الوحشية في عمـوم أرض تهامة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٣٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ .
(٦) جواد علي ، المفصل ، ج١، ص ١٩٢-٢٠٨ .
(٧) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢٤ .
(٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٩ .
(٩) جواد علي ، المصدر نفسه ، ج٤، ص ٩ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٧٤، ٧٥ .
(١١) للمزيـد عـن أشجار ونباتات بلاد تهامة والسراة انظر: كتاب النبات للدينوري ،في عدة مجلدات . وهذا المصدر فصل الحديث في نباتات هذه الأوطان السروية فذكر اسم كل نبات أو شجرة وأهميتها وما ذكر فيها من الفوائد وما قيل عنها عند بعض الشعراء القدماء .

والسراة ، ومن تلك الحيوانات : الأسد ، والنمر ، والذئب ، والضبع ، والفهد ، والنيص، والثعالب ، وكثير من الزواحف الخطيرة والسامة[١٢].

ومن حرف السرويين والتهاميين الزراعة ، وتشير بعض المصادر اعتناء الجنوبيين بزراعة النخيل ، وكانت نجران وبيشة وتربة من أهم المناطق المشهورة بالتمور الجيدة . كما مارس أهل الطائف وبلاد السراة الممتدة من نجران إلى بلاد غامد وزهران زراعة الحنطة ، والذرة ، والشعير ، والبقوليات . وهناك الكثير من الأشجار المثمرة مثل: التين ، والخوخ ، والمشمش ، والعنب ، والرمان ، والتفاح ، والبرشومي (التين الشوكي) ، وخضروات أخرى عديدة ، كالكوسة ، والباذنجان ، والفاصوليا ، والطماطم، والبطاطس ، والنعناع ، والحبق ، والريحان ، والبرسيم ، والملوخية وغيرها [١٣].

وهناك حرف وصناعات يدوية أخرى مارسها السرويون والتهاميون مثل: الدباغة والخرازة ، والصباغة والخياطة ، والصياغة ، ومعالجة المعادن (الذهب والفضة) ، وصناعة الأدوات الحديدية ، والصناعات الفخارية والحجرية ، وممارسة مهن الرعي ، والصيد ، وجمع الحطب ، وغيرها من الحرف والصناعات التي يحتاجونها في حياتهم اليومية [١٤].

---

(١٢) للمزيد انظر ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق مصطفى السقا ، وحسن نصار (طبعة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) ، ج١ ، ص ٣٤. ج٣، ص٣٢ . عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة وسكانها وما ينبت عليها من الأشجار (مكتبة الخانجي بمصر) ، ص ٤١٧، ٤١٩ ، جواد علي ، المفصل ، ج٧، ص ١٤، ٦٧، ١١٥.

(١٣) مهنة الزراعة من الحرف الرئيسية التي مارسها أهل تهامة والسراة ، ولهم طرق وأساليب عديدة في تسوية الأرض وزراعتها ، ثم حصاد المحاصيل الزراعية ودرسها وخزنها . وقد أطلعت على عشرات الوثائق التي تصور تاريخ الزراعة في هذه البلدان منذ القرون الإسلامية الوسيطة إلى وقتنا الحاضر. ويوجد في هذه الوثائق التاريخية مادة علمية جيدة تستحق البحث والدراسة. ونقول إن تاريخ الزراعة في هذه الأوطان لم يدرس منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الباب العلمي الهام والجدير بالبحث والدراسة . للمزيد من التفصيلات في بعض المصادر التي أشارت إلى مهنة الزراعة في أرض تهامة والسراة وما تميزت به من مزروعات ومحاصيل زراعية انظر: الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٦٠، ٣٦١، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة (مكتبة الخانجي) ، ص ٤١٧، ٤١٩ ، ابن حبيب ، المنمق ، ص ٢٠١، ابن سعد ، الطبقات ، مج١ ، ص ٢٦٦، البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤، ص ١٣، ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٢، ٢٥١، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٥٢٩. ج٢، ص١٢٦. ج٣، ص ١٠ . ج٥، ص ٢٦٨ ، ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، ج١، ص ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٣٣ . القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ، دار صادر ، د.ت) ، ص ٩٧، ٩٨ .

(١٤) كتب التراث مثل: معاجم اللغة العربية (لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي) ، وبعض كتب الجغرافيا والرحالة : كالهمداني ، وابن المجاور ، والبكري ، وياقوت الحموي ، وبعض كتب التاريخ العامة كالطبري ، والمسعودي وابن الأثير وغيرهم أشاروا إلى بعض المهن والصناعات التي مارسها سكان شبه الجزيرة العربية ، وبلاد تهامة والسراة جزء رئيسي في هذه البلاد العربية . للمزيد انظر، جواد علي ، المفصل ، ج١، ص ٢٢١ . ج٧، ص ٥٣٧. كما يوجد هناك مئات الوثائق غير المنشورة التي أشارت إلى شيء من هذه الصناعات والحرف عند أهل تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة .

أما حرفة التجارة في بلاد السروات وتهامة ، فكانت تمارس في أنحاء هذه البلاد[١]. والدارس لمؤهلات الحياة التجارية عند السرويين والتهاميين يجدها متوفرة من خلال غنى أرضهم الزراعية ، وثرواتهم النباتية والحيوانية ، واحتوت بلادهم على بعض المعادن النفيسة . كما أنها بلاد تربط بين اليمن والحجاز ، وتقع أجزاؤها الغربية التهامية على ساحل البحر الأحمر الشرقي ، فهي ذات موقع استراتيجي ، وتمر من جبالها وسهولها وسواحلها طرق رئيسية تصل ما بين اليمن والحجاز ، وفيها أسواق تجارية قديمة مثل سوق عكاظ في الطائف ، وسوق حباشة في تهامة سروات عسير وغامد وزهران[٢]. ناهيك عن أسواقها الأسبوعية فلا تخلو عشيرة أو قبيلة من سوق أسبوعي يمتلئ بالباعة والتجار الذين يفدون إليه من كل مكان[٣]. والسائح في بلدان السراة وتهامة والوقوف على بعض الطرق والأسواق الأسبوعية القديمة ، ثم التأمل في المدرجات الزراعية ، وأماكن التعدين القديمة يتأكد له أن هذه البلاد كانت غنية بثرواته ومواردها الاقتصادية والتجارية[٤].

---

(١) انظر بحثاً علمياً تفصيلياً عن النشاط التجاري في تهامة والسراة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . ومادة هذه الدراسة مستقاة من مصادر وكتب تراثية عديدة . غيثان بن جريس "ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة" . قدمت هذه الدراسة في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ٢٥-٢٧/ شعبان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ونشرت في كتاب: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ. حصاد رقم (٨) : (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ص ١٥٧- ٢٢٢. كما نشرت في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١- ق١٠هـ/ ق٧ - ق١٦م) (الرياض: مطابع العبيكان (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج١، ص ٣٣٥- ٤٢٢ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن سوق عكاظ وحباشة ، انظر: عدد من المصادر مثل: ابن حبيب، المحبر ،ص٢٦٧ ، الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب العلمية ،١٤١٣هـ) ،ج٢ ،ص٦٢ ، الزبير بن بكار، جمهرة أنساب قريش وأخبارها ،تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة. دار العروبة ،١٩٦٥م) ،ص٣٧١ ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج٤ ،ص٤٦٨ ، ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، ج١، ص ٢٧، ٢٢٠ .

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر: عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٧- الهمداني ، كتاب الجوهرتين العتيقتين ، ص ٨٧،٨٥ ، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٢، ٣٣٨ . الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج١، ص ٢٨، البكري ، المسالك والممالك (بيروت ، دار الكتب) ، ج١، ص ٢٧٨، الجاحظ ، التبصير بالتجارة ، (بيروت: دار الكتب ، ١٩٨٣م) ص ٣٥، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٢٦ .

(٤) هذا ما عرفته وشاهدته في أرض تهامة والسراة وأنا اتجول في مناكبها منذ أربعين عاماً ، دارساً ومتأملاً وجامعاً لأدبها وتراثها وتاريخها وحضارتها . وإذا كانت بعض كتب التراث الإسلامي أشارت إلى صور وشذرات من تاريخها الاقتصادي فإنها لم توف هذه الأوطان حقها ، ومازال الكثير من تاريخها الاقتصادي والحضاري مفقوداً ، ونأمل من الدارسين والمتخصصين في علوم النقوش والآثار أن يبحثوا ويدرسوا تاريخها الأثري لعلنا نطلع على شيء من تاريخها الضائع الذي لم نجده في المصادر التراثية التقليدية .

ثالثاً: أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب : معجم البلدان لياقوت الحموي عن السراة وتهامة (مدونات، وأقوال ، وتعليقات) .

أولاً : تمهيد :

ياقوت الحموي هو : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ولد في بلاد الروم عام (٥٧٥هـ/١١٧٩م) ، ثم أخذ أسيراً من أرض الروم وبيع في أسواق الرقيق في بغداد ، وكان الذي شراه تاجر بغدادي أصله من حماة في بلاد الشام ، اسمه عسكر بن إبراهيم . عمل ياقوت مع سيده في التجارة ، ثم أعتقه عام (٥٩٦هـ/١١٩٩م) ، وأشركه معه في تجارته ، وصار يبعثه في شؤونها إلى أصقاع عديدة ، وبعد موت سيده وشريكه عسكر بن إبراهيم ، اشتغل ياقوت بتجارة الكتب لبعض الوقت، ثم امتهن حياة الأسفار والرحلات ، فساح في آسيا الصغرى ، وبلاد الشام ، ومصر ، وجزيرة العرب، وإيران، وبلاد ما وراء النهر ، واستقر أخيراً في خوارزم ، وبدأ في تأليف معجمه[1]. لم يمكث ياقوت في خوارزم كثيراً ، وذلك بسبب ظهور جنكيز خان ، سلطان المغول ، واجتياح بلدان الشرق الإسلامي ، فخرج ياقوت إلى الموصل ثم إلى حلب ، وقام على تنقيح معجمه حتى توفي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) [2].

---

(١) للمزيد انظر: مقدمة كتاب ياقوت الحموي. معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م٩ ، ج١،ص٦ وما بعدها ، أحمد رمضان أحمد. الرحلة والرحالة المسلمون (جدة: دار البيان العربي ، م . ن) ، ص١٧٧وما بعدها .

(٢) المصدر والمرجع نفسه .

من الواضح أن ياقوت أفاد كثيراً مما شاهد في أسفاره وما جمعه من الخزائن التي تردد عليها في مراكز الثقافة وبخاصة في بلدان خراسان وما جاورها من بلدان المشرق الإسلامي، ولهذا نجده صنف العديد من المؤلفات القيمة مثل: مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع ، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، وكتابه الموسوعي: معجم البلدان الذي قال عنه ياقوت في مقدمته " هذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال والأدوية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأبداد والأوثان ، لم أقصد بتأليفه وأصمد نفسي لتصنيفه لهواً ولا لعباً ، ولكني رأيت التصدي له واجباً ، والانتداب له مع القدرة عليه فرضاً لازباً ... "[١]. ثم يستطرد ويذكر بعض الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا المعجم ، فيقول: "من أول البواعث لجمع هذا الكتاب أنني سُئلت بمرو الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمائة ... عن حُباشَة اسم موضع جاء في الحديث النبوي ، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية[٢]. فقلت :أرى أنه حُبَاشَةُ بضم الحاء ، قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة ، لأن الحُبَاشَةَ : الجماعة من الناس من قبائل شتى ، وحبشت له حباشة ، أي جمعت له شيئاً ... "[٣]، ثم يسرد معارضة رجل من المحدثين، الذي قال إن حرف الحاء في حباشة بالفتح وليس بالضم، وكان ياقوت متمسكاً بقوله ، ثم عزم على تأليف معجمه ، وتأكد له فعلاً أن مفردة (حُباشة) بالضم وليست بالفتح)[٤].

ألف ياقوت معجمه في عدة مجلدات ، وجميع مادة الكتاب تدور في فلك أسماء وجغرافية الأمكنة في معظم بلدان العالم الإسلامي خلال القرون الإسلامية الستة الأولى ، وهذا المصدر يعد من أكبر وأشمل المعاجم الجغرافية التراثية التي وصلتنا من علماء المسلمين الأوائل . والذي نسعى إلى رصده في هذا المحور هو الإشارة إلى معظم الأمكنة التهامية والسروية الواردة في هذا الكتاب الموسوعي ، مع ذكر بعض الصور التاريخية والحضارية عن هذه المواضع الجغرافية ، وسوف نذكرها مرتبة هجائياً حسبما جاءت في المعجم نفسه[٥].

---

(١) انظر مقدمة كتابه : معجم البلدان ، ج١، ص ٧ .

(٢) انظر تفصيلات أكثر عن هذا السوق في المحور الثالث من القسم الثاني في هذا المجلد الذي بين أيدينا .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٨٦ ، ٢٦١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١، ص ١٠ ،وللمزيد انظر أحمد رمضان أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٥) لن نسهب الحديث عن هذه الأمكنة ، وإنما نلفت نظر الباحثين والجغرافيين والمؤرخين إلى أهمية دراسة هذه المواضع في كتاب: معجم البلدان لياقوت الحموي ، وفي غيره من كتب التراث الإسلامي الجغرافية والتاريخية واللغوية والأدبية وغيرها . ونستطيع القول إن معظم الأمكنة التي سوف نشير إليها في هذه الدراسة يستحق أن تدرس في بحث مستقل ، بل إن بعضها جديرة أن تكون عناوين لرسائل ماجستير أو دكتوراه .

ثانيـاً: أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب معجم البلدان لياقوت عن السراة وتهامة .

أولاً: حرفا الألف، والباء :

(١)أبيـدة: بفتـح أوله وكسر ثانية وياء ساكنـة ودال مهملة : منزل من منازل أزد السـراة [(١)]. ويقع هذا المكان في سروات زهـران ، ويطلق عليه أحياناً (بيدة) ، وينسب إلى هذا الموقع وادي أبيدة الذي هو من أعظم أودية السراة التي تنحدر صوب نجد، وهو أحد فروع وادي تربة . جاء ذكره في عدد من كتب التاريخ والأدب والجغرافيا المتقدمة، ومـازال يحمل الاسم نفسه حتى اليـوم ، ويستوطنه عدد من الأفخاد والقرى الزهرانية الأزديـة حتى اليوم[(٢)]. **(٢)إثْمِد:** بالكسر ثم السكون وكسر الميـم ، وهو الذي يكتحل بـه[(٣)]. ونجد في تهامة العرضيات التابعة لإمـارة مكة المكرمة جبال تعرف بـ(ثميدة) ، وقـد سألت بعض السكان عنها فقالـوا عرقت بهـذا الاسم لثرائها بالمعـادن، والكحل مـن المعادن الموجـودة في هذه الجبال العظيمـة، وهي تمتد على أجـزاء من العرضيات الشماليـة والجنوبية ، ويتخللها بعض الأودية الصغيرة التـي تعد من فروع وادي قنونا. وربمـا هذا الاسم الـذي ذكره ياقوت يعـود إلى هذه الجبال التهاميـة [(٤)]. **(٣) بارق :** قـال ياقـوت بارق ماء بالعراق ، وبارق أيضاً جيل نزله سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقيـاء بن عامر بن مـاء السماء الأزدي، ويقال أن بارق مـاء بالسراة فمن نزله أيام سيـل العرم كان بارقيـاً ويذكر أنه نزله سعد بن عدي بن حارثة وأبناء أخيه أبناء عمرو ابـن عدي فسمـوا بارقاً [(٥)]. ونجد بعض كتب التراث المبكـرة تذكر بارقاً ونزوحهم من اليمـن مع غيرهم من الأزديين ، وتفرق بعضهـم في أصقاع البلاد الإسلامية ، وقد برز فيهم بعض المشاهير في الحضارة الإسلامية . ومازال في تهامة عسير حتى اليوم بعض

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٨٥ .

(٢) للمزيـد انظـر ، حمد الجاسـر . في سراة غامد وزهـران (الرياض: منشـورات دار اليمامـة للبحث والترجمة والنشـر ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ، ص ١٩-٢٧ ، غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م) ، ج٥ ، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٣) ياقوت ، المصدر السابق ، ج١، ص ٩٢ .

(٤) زيـارة الباحث لبلدان العرضيات ، والذهاب إلى أجـزاء من جبال ثميدة مرات عديدة ، للمزيد انظر غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ج٢، ص ٤١٢ .

(٥) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص ٣١٨-٣٢٠ .

العشائر التي تحمل اسم بارق، بل هناك محافظة إدارية تسمى (محافظة بارق) ، وتتبع لإمارة منطقة عسير[١] . **(٤) بَبَمْبَمْ:** بفتحتين على وزن ، غشمشم ، موضوع أو جبل، وعرفت أيضاً باسم بَبَمّبَمُ: بفتح أوله وثانيه، وميم ساكنة، وباء موحدة أخرى . ويقال أنها موضع قرب تبالة عند بيشة وترج ، والتلفظ بهذه المفردة صعب لقرب مخارج حروفه ، قال حميد بن ثور:

إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة وبالرزن ، من تثليث، أو من ببمبما [٢].

ونجد الهمداني يذكر محطات الطريق الجبلي الذي يخرج من الحجاز إلى اليمن مروراً بتربة وبيشة ، وتأتي محطة ببمبم في الوسط بين بيشة وجرش[٣]، ولا نجد لهذا المكان ذكراً في الوقت الحاضر[٤]. **(٥) برك الغماد:** بكسر الغين المعجمة ، وقال ابن دريد بالضم ، والكسر أشهر، وهو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل بلد باليمن[٥]. والبرك اليوم محافظة تتبع منطقة عسير ، وكانت إلى عهد قريب تابعة لمحافظة القنفذة التي تعود في إدارتها إلى إمارة منطقة مكة المكرمة، وأصبح هناك طريقان تصلان إلى محافظة البرك من أبها ، الأولى عبر عقبة ضلع ثم الدرب فالشقيق حتى البرك ، والأخرى من أبها إلى محائل عسير، ثم إلى البرك ، وصارت الآن من الحواضر الكبيرة في منطقة عسير ، ولها شاطئ جميل على البحر الأحمر[٦]. ونجد بعض كتب التراث الإسلامي تشير إلى شيء من تاريخها قبل الإسلام وبعده ، وتذكر صوراً من تاريخها السياسي والحضاري عبر أطوار التاريخ الإسلامي[٧]. **(٦) بعطان، وبيش، وبيشة:** بعطان له علاقة ببيشة ، فيقال (بيشة بعطان) ، ولا ندري هل بعطان

---

(١) انظر بعض التفصيلات عن بارق في القسمين الثاني والثالث من هذا المجلد ، وهناك عدد من الدراسات والبحوث الحديثة التي صدرت في العصر الحديث عن تاريخ وأنساب وحضارة بارق .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص ٣٣٤ . ج٥ ، ص ٤٢٧. ذكرت (ببمبما)

(٣) انظر: الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد علي الأكوع (الرياض، دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ص ٣٣٩ـ ٣٤٠ .

(٤) ذهب الباحث في الطريق الممتدة من خميس مشيط إلى بيشة ومر على كتنة ومحطات أخرى ، وسأل عن اسم (ببمبم) أو (بيمبم) فلم يجد أحداً يعرفها .

(٥) ياقوت ، المصدر السابق ، ج١، ص ٣٩٩ـ ٤٠٠ .

(٦) لقد زرت ناحية البرك مرات عديدة ، ومشيخة قبائلها في آل عبده ، وتتنوع في تضاريسها ونباتاتها .

(٧) للمزيد انظر ، عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن علي بن عبده . من تاريخ برك الغِماد بين الماضي والحاضر (معلومات النشر بدون) ١٤٢٠هـ) ، ص ١٤ وما بعدها .

اسم مكان أو إنسان . ويقول ياقوت[١] : بعطان، واد لخثعم ، ويسكن بعض من عشائر خثعم في بيشة" ، وهذا ما أشار إليه فقال: " في بيشةً بطون من الناس كثيرة من خثعم، وهلال ، وسواءة بن عامر بن صعصعة ، وسلول ، وعقيل ، والضباب ، وقريش "[٢]. ونجد كثيراً من كتب التراث تفصل الحديث عن تاريخ بيشة السياسي والحضاري ، فتذكر سكانها ، وغنى ثرواتها الطبيعية ، وهي أيضاً من المحطات الرئيسية على طريق الحجاز اليمن السروي[٣]، وتعد بيشة اليوم من المحافظات الكبرى في منطقة عسير، ويوجد بها معظم المؤسسات الحكومية ، مثل: جامعة بيشة وغيرها ، بل لها تاريخ عريق خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة [٤]. أما بيش فهو من بلاد تهامة القريبة من اليمن [٥]. وهناك من خلط بين بيش و بيشة ، والمسافة بينهما بعيدة فالأولى ضمن المخلاف السليماني في (جازان) ، والثانية عند سفوح السروات الشرقية ، وهي بوابة نجد إلى منطقة عسير . ونجد أن أهل بيش لعبوا دوراً في التاريخ الإسلامي منذ بداية عصر الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[٦]. وبيش اليوم من محافظات منطقة جازان الرئيسية ، ويقام فيه الآن العديد من المشاريع الحضارية مثل المدينة الصناعية وغيرها[٧]. **(٧) بَيض:** يقول ياقوت : بيض بالفتح، وهو موضع في أول أرض اليمن ، وأقوال بيض من أودية جازان ، ومازال معروفاً بهذا

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص ٤٥٢.

(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص ٥٢٩ .

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر: " بيشة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط (ق١-ق ٩هـ/ق٧-ق١٥م) . بحث منشور ضمن مداولات اللقاء العلمي التاسع بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، الذي عقد في مدينة جدة في الفترة من (١٦-١٩/٤/١٤٢٩هـ الموافق ٢٢-٢٥/٤/٢٠٠٨م) ، ص ٢٩١-٣٣٤. كما نشر هذا البحث أيضاً في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م) ، ج٢، ص ٣٥٧ وما بعد ها .

(٤) المرجع نفسه ، انظر في كثير من كتب التراث المبكرة التي فصلت الحديث عن أعلام بيشة ، ومواضعها والأحداث التي وقعت فيها عبر أطوار التاريخ الإسلامي .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص ٥٢٨ .

(٦) للمزيد عن تاريخ جازان (المخلاف السليماني) ، ومنطقة بيش وغيرها انظر: محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) (جزءان) . أحمد عمر الزيلعي . الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .

(٧) لمزيد من التفصيلات انظر، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣، ١٤٣٥هـ /٢٠١٢، ٢٠١٤م) ،الجزءان الرابع، والسادس. ونقول إن محافظتي بيش وبيشة من البلدان التي تستحق أن يصدر عنها عشرات الدراسات ، لأنها من الأوطان التي لها تاريخ طويل عبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث .

الاسم إلى اليوم ، ويلتقي بوادي سمرة عند قرية الشرفاء من قرى آل حدرة ، ونجد الرحالة فيلبي والعقيلي يشيران إلى هذا الوادي ضمن منطقة جازان[(١)].

ثانياً: حروف التاء ، والحاء ، والخاء :

(١) تبالة : يشير ياقوت إلى تبالة بأنها موضع ببلاد اليمن ، ويقرن تبالة مع جرش التي يقول إن أهلها أسلموا بدون حرب ، فترك الرسول(ﷺ) بلادهم لهم ، وفرض على كل حالم من أهل الكتاب فيهما ديناراً ، ويورد قصة تولية الحجاج عليها في عصر بني أمية ، وهناك من يذكر أنها سميت باسم تبالة بنت مكنف من العماليق، ويشير ابن الكلبي أنها عرفت بتبالة بنت مدين بن إبراهيم[(٢)]. ونجد في بعض كتب التراث الإسلامي أنها إحدى المحطات الرئيسية على طريق الحج والتجارة السروي الذي يربط بين الحجاز واليمن ، وهي من مخاليف السراة التابعة لمكة المكرمة . وهناك من قال في أرضها وسكانها وأحداثها أشعاراً مدونة في عدد من المصادر[(٣)]. ومازالت بلدة تبالة معروفة إلى اليوم في أرض السراة ، ولها واد يعرف بوادي تبالة وهو أحد فروع وادي بيشة ، وبعض أجزاء هذه الناحية تقع في محافظة بلقرن التابعة لإمارة منطقة عسير[(٤)]. **(٢) تَثْلِيث:** بفتح أوله وسكون ثانية وكسر اللام موضع بالحجاز قرب مكة، ويوم تثليث من أيام العرب بين سليم ومراد ، وفيه يقول الأعشى:

---

(١) انظر هاري سانت جون فيلبي . مرتفعات الجزيرة العربية . ترجمة حسن مصطفى حسن ، ومراجعة وتعليق وتقديم غيثان بن جريس (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، الجزء الثاني ، ص ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٧. محمد أحمد العقيلي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) (الرياض: منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ص ٨٤ وما بعدها .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٣٩ـ ٤٠ .

(٣) للمزيد عن تاريخ تبالة منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط انظر . غيثان بن علي بن جريس. "تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى". بحث منشور في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليج العربي المنعقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة في الفترة من (٧ـ١٠/٥/١٤٢٨هـ الموافق ٢٤ـ٢٧/أبريل/٢٠٠٧م) ، ص ١٧٩ـ ٢١٥. وهذه الدراسة منشورة في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦هـ) ، ج٢، ص٤٢٣ـ ٤٧٠ . للمزيد انظر ، عبد الرحمن صادق الشريف .جغرافية المملكة العربية السعودية : إقليم جنوب غرب المملكة (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج٢، ص ٤٤٢ـ ٤٤٣ .

(٤) زرت محافظة بلقرن مرات عديدة وكانت آخر مرة زرتها وكتبت شيئاً من تاريخها في شهر ذي القعدة عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) ، وتجولت في أجزاء من وادي تبالة الذي تأتي مياهه من سروات بلقرن ويصب في وادي بيشة ، ويوجد في هذا الوادي بعض القرى التراثية والحديثة وفيه بعض النباتات والأشجار المختلفة . انظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب. (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م) ، ج١١، ص ٣٣٤ وما بعدها .

وجاشت النفس لما جاء فَلُّهُمُ وراكب جاء من تثليث مُعْتَمِرِ[١].

ونجد الهمداني يشير إلى بلاد تثليث بشكل أوضح من ياقوت فيقول" ثم يعترض بين نجران وتثليث أودية مثل حبونن، وغيره من بلاد وادعة ، وبلاد يام ، وزبيد ، وبلاد سنحان ، وبلاد جنب"[٢] ، إلى قوله: " ويشرع عليها جُرزُ اليمن من مصاصة بني عامر بناحية ترج وتثليث.. "[٣]، وقال في موضع آخر " وتثليث، وكان لعمرو بن معد يكرب فيه حصن ونخل والقرارة والريان وجاش"[٤]. ثم قال : " ومن الهجيرة وتثليث عن يوم في مشرقها ، ثم منها إلى ببمبم عشرون ميلاً "[٥]. ويقول أيضاً : " فإلى حدود الهجيرة وتثليث وأنهار جرش وكتنة منحدراً في السراة على شعف عنز إلى تهامة... "[٦]. ومازالت تثليث تعرف بهذا الاسم إلى الآن ، وهي إحدى محافظات منطقة عسير، وتبعد من أبها تجاه الشرق حوالي (١٨٠-٢٠٠) كيلو متر، على الطريق الرئيسي الذي يربط أبها وخميس مشيط بمدينة الرياض ، وهي بلاد واسعة ومأهولة بالسكان ، ووادي تثليث يعد من أكبر أودية المملكة العربية السعودية ، ومن أشهر قبائلها في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، قبائل نهد ، والجعفيون من سعد العشيرة ، والرها ، وزبيد ، ومراد ، وغيرهم ، ومن عشائرهم في العصر الحديث الجحادرة ، والحباب ، وعبيدة قحطان، والمنادية، وآل سليمان، والمساردة ، وآل مهدي، وآل علي وغيرهم[٧]. **(٣) تُرَبة :** بالضم ثم الفتح، قال عرام: تربة واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها ، يسكنه بنو هلال، وقال الأصمعي: "تربة واد للضباب طوله ثلاث ليال، فيه النخل والزروع والفواكه، ويشاركهم فيه هلال وعامر بن ربيعة، ويقال تربة ورنية[٨]. وبيشة هذه الثلاثة أودية

---

(١) ياقوت ، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥-١٦ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب (طبعة دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ، ص ١٦٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

(٧) ذهبت إلى بلاد تثليث وجاش والعرين وطريب والأمواه في زيارة قصيرة في بداية هذا العقد الرابع من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ، وسجلت بعض مشاهداتي لكنني لم أدونها وأنشرها حتى الآن ولا بد من الذهاب إلى هذه البلاد والتجوال في أرضها لعدة أيام لعلي أحيط بمعلومات وتفصيلات أكثر وأوضح عن هذه الأوطان التي مازالت فقيرة في ميادين البحوث العلمية ونأمل من جامعتي الملك خالد وبيشة أن تبذلا جهوداً أكبر في دراسة مثل هذه المناطق الجديرة بالبحث والدراسة .

(٨) كتب ياقوت رنية باسم (زبية) ، وربما نقل هذا الاسم من مصادر أخرى والصحيح ما ذكرنا (رنية) . ياقوت المصدر السابق، ج٢، ص٢١.

ضخام، أسافلها في نجد وأعاليها في السروات" ، ويقول: "تربة واد يأخذ من السراة ويفرغ في نجران ، ونزلت خثعم ما بين بيشة وتربة وما صاقب تلك البلاد إلى أن ظهر الإسلام "[١] . وغالبية حديث ياقوت صحيح ، فالمنابع العليا لوادي تربة تأتي من سروات غامد وزهران وبني مالك ، ويواصل الوادي مجراه في هذه المنطقة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي فيخترق بلاد تربة وبلاد الخرمة ، ويتسمى الوادي في كل منهما باسمهما فيطلق عليه في القسم الأول (وادي تربة) ، وفي القسم الثاني (وادي الخرمة)[٢]. أما قول ياقوت إن وادي تربة يصب في نجران وأنه للضباب فهذا كلام غير صحيح . وتربة ذكرت في كثير من كتب التراث الإسلامي ، وقيل فيها أشعار عديدة ، ووقع فيها أحداث تاريخية وسياسية قبل الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي ، وهناك عشرات الكتب والبحوث والدراسات الحديثة التي أشارت إليها ، وتحدث عنها وزارها عدد من الجغرافيين والرحالة المسلمين وغير المسلمين [٣] ، وهي اليوم من النواحي الإدارية التابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة [٤] . **(٤) تَرْج :** بالفتح ثم السكون ، وقيل ترج وبيشة قريبان متقاربتان بين مكة واليمن ، قال أوس بن مدرك:

تبالة ، والعرضات ترج وبيشة … وقومي تيم اللات ، والاسم خثعم[٥].

وقالت أخت حاجز الأزدي ترثيه :

أخي حاجز أم ليس حياً … فيسلك بين خندف والبهيم

ويشرب شربة من ماء ترج … فيصدر مشية السبع الكليم[٦].

وقيل ترج وادي إلى جنب تبالة على طريق اليمن[٧]. ونقول إن ترج ورد ذكره في

---

(١) ياقوت ، المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢١ .

(٢) للمزيد انظر، عبد الرحمن الشريف . جغرافية المملكة العربية السعودية ، ج٢، ص ٤٦٤ وما بعدها .

(٣) انظر: دراسة بعنوان : "رنية ، وتربة ، والخرمة عند بعض الجغرافيين والرحالين المسلمين وغير المسلمين المتقدمين والمتأخرين" منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/١٤٣٨هـ)، الجزء التاسع ، ص ١٣١- ١٩٤ .

(٤) أقول إن محافظ تربة من البلدان التي تستحق دراسات علمية موثقة ترصد تاريخها وحضارتها من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، ونأمل من جامعتي أم القرى والطائف أن توجه بعض طلابها وأساتذتها لدراسة مثل هذه البلاد وغيرها من المناطق الجديرة بالبحث والدراسة .

(٥) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢١ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢١ .

بعض كتب التراث الإسلامي، وقيل فيه بعض الأشعار ومازال يعرف بهذا الاسم إلى اليوم وهو من أودية سروات بني شهر في منطقة عسير، وأحد روافد وادي بيشة، ويسكنه اليوم عدد من العشائر والأفخاذ ، وهناك واد آخر قريب منه يأتي في المرتبة الثانية بعد ترج ، وهو وادي ترجس ، ويجتمع فيه أودية تنومة ، وسدوان ، وخارف ، وآل حوراء ، وخرص في أوطان بني شهر وبللسمر ثم تسير حتى تتصل بوادي ترج الكبير الذي يصب في وادي بيشة [١]. **(٥) تهامة :** بالكسر ، أورد ياقوت تفصيلات عامة عن بلاد تهامة من مكة والمدينة المنورة حتى الحديدة وعدن في اليمن [٢]. والذي يعنينا هنا هي تهامة الممتدة من مكة المكرمة شمالاً إلى المخلاف السليماني (جازان) جنوباً ، فهذه البلاد تمتد من ساحل البحر الأحمر الشرقي إلى سفوح جبال السروت الغربية ، وهي متنوعة في تضاريسها وأحوالها المناخية ، فالسهول والساحل أشد حرارة وفقيرة في غطائها النباتي ، لكن عموم أرض تهامة مأهولة بالسكان وفيها مراكز وبلدان حضارية منذ عصور ما قبل الإسلام واثناء عصور الإسلام المختلفة ، واليوم يوجد فيها عشرات المدن والقرى المتمدنة ، وتتوزع إداراتها والإشراف على سير الحياة فيها عدة إمارات مثل: إمارة مكة المكرمة ، وإمارة الباحة ، وإمارة عسير، وإمارة جازان ، ومن أهم وأكبر مدنها الحديثة من الجنوب إلى الشمال: سامطة ، أحد المسارحة ، أبو عريش، جازان ، صبيا ، بيش ، الدرب ، الشعبين في رجال ألمع ، محائل عسير ، البرك، المجاردة ، بارق ، القوز ، القنفذة ، ثريبان ونمرة في العرضيات ، المخواة ، قلوة ، الليث وغيرها [٣]. **(٦) جُرَش :** بالضم ثم الفتح، وشين معجمة : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، ذكر ياقوت شيئاً من تاريخها ، وسبب تسميتها ، ودخول الإسلام إليها ، وصور حضارية أخرى

---

(١) وأقول أن بلاد ترج وترجس من الأودية الرئيسية التي تأتي منابعها من بعض سروات رجال الحجر ثم تسير شرقاً حتى تصب في وادي بيشة . وهذه الأوطان والأودية جديرة أن تدرس حضارتها وجغرافيتها وتاريخها منذ العصر الجاهلي حتى اليوم .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٦٣ .

(٣) زرت جميع هذه البلدان خلال الثلاثة عقود الماضية ، وهي من البلدان التهامية الجديرة بالدراسة ، حبذا أن نرى بعض طلابنا أو بعض أساتذة الجامعات السعودية الجنوبية فيدرسوا تاريخ وحضارة هذه الأوطان منذ عصور التاريخ القديم حتى يومنا الحاضر. للمزيد انظر ، محمد أحمد العقيلي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) (الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص٩ وما بعدها . عاتق بن غيث البلادي . بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة: دار مكة للنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ١١ومابعدها .غيثان بن علي بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـق ١٥هـ/ق١٦ـق ٢١م) (دراسة تاريخية حضارية) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص ١٢ وما بعدها .

مـن تراثهـا وحضارتها ، خلال القرون الإسلاميـة الأولى[١] . ونجد الهمداني يفرد لها عـدة صفحات تحت عنوان (**جرش وأحوازها**)[٢]، كما ذكرتها كثير من كتب التراث الإسلامـي ، وهي جزء من منطقة عسير اليوم وبخاصة محافظتي خميس مشيط وأحد رفيدة بالإضافة إلى مدينة أبها وما حولها ، وقد صدر عنها العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية خلال الأربعين سنة الماضية . والذي نتطلع إليه أن تدرس دراسة أثرية، وهذه مسؤولية الجامعات المحلية ، والهيئة العليا للسياحة وأقسام وكليات الآثار في المملكة العربيـة السعوديـة ، فإن قامت هذه المؤسسـات بمسؤولياتها العلميـة والمالية والإدارية تجـاه هذه البلاد ذات الحضـارة القديمة فقد نحصل على بعض النتائج الإيجابية التي توضح لنا شيئاً من تاريخ وتراث هذه البلاد العربية الإسلامية[٣] . **(٧) جلذان :** بكسر الجيـم ، وسكون الـلام ، واختلف في الدال فمنهم من رواها مهملـة ، ومنَهم من رواها معجمـة، موضع قرب الطائـف بين لية وسَبَل، يسكنه بنو نصر بـن معاوية من هوازن ، وقيـل سمـي بجلذان بـن أزال بن سام بن نـوح ، وأشار ياقوت إلى شـيء من جغرافيته وبعض الأشعـار التي ذكرت فيه[٤] . ويجـد الذاهب من الطائف نحـو الجنوب بحوالي (٢٥) كيلاً أنه يصل بلدة لية ووادي السر ، وهناك يظهر الطرف الجنوبي الغربي لسهل (جلـدان) الـذي ذكره ياقوت باسم (جلذان) ، وقد ذكـر في بعض المصادر والأشعار بالـذال وأحياناً بالدال ، وجلدان اليوم من نواحي حاضرة الطائف الجنوبية ، ويسكنها بعض العشائر ، وفيها الكثير من الأبنية الحديثة مثل: المنازل وبعض المؤسسات الإدارية كالمدارس وغيرها[٥] . **(٨) حُباشة :** بالضم والشين المعجمة ، والبحث عن صحة نطق اسم (حُباشـة) كان من الأسباب الرئيسية التي جعلت ياقوت الحموي يعكف على جمع وتأليـف كتابـه (معجم البلدان) ، وقـد أوضحنا ذلك في بداية هـذا المحور ، وحباشة

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٥ وما بعدها .

(٣) هذا النداء أكرره في كثير من بحوثي ودراساتي حول البلدان ذات التاريخ القديم ، التي تستحق كثيراً من الرعاية والاهتمـام والدعـم المعنوي والمادي ، وحتى هذه الساعة لاحياة لمـن تنادي ، فجميع هذه الإدارات والمؤسسات لم تفعل أي شيء تجاه تاريخنا وموروثنا الحضاري وآمل أن نرى في المستقبل من يدعم مثل هذه النداءات .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٥٠-١٥١ .

(٥) أقـول إن محافظة الطائف درست في عدد مـن الكتب والبحوث والدراسات القديمة والحديثة ، ومازالت تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية موثقة ، ونأمل من جامعة الطائف أن تضاعف جهودها لدراسة تاريخ وحضارة هذه المدينة القديمة والعريقة في تاريخها

اسـم سوق من أسواق العرب في الجاهلية وصـدر الإسلام[١]. ويشير عدد من المصادر التراثيـة المبكرة إلى هـذا السوق في بلاد تهامة ، ومعظمهم ذكـروا أنه قريب من وادي قنونـا ، وأهله والقائمون عليه من الأزد[٢]. ومكان هـذا السوق اختفى ولا نجد له ذكراً اليـوم، وفي العصر الحديث أشار إليه عدد من الباحثين والدارسين واختلفوا في مكانه، بـل إنهـم جميعاً لا يعرفون أين موقعه الحقيقي ، وكلهم مجتهـدون فمنهم من يقول إنه في العرضيـة الجنوبيـة وفي تهامـة بلقرن تحديـداً ، ومنهم من يدعـي أنه في محافظة بـارق الحالية ، وقد نشرنا بعضـاً من أقوال هؤلاء الدارسـين في القسم الثاني من هذا المجلـد، وذكرنا وجهة نظرنا حيال تلك الأقوال والدراسـات الحديثة[٣]. **(٩) حَبَونن:** بفتحتـين، ونونين، موضع، ولم يذكر ياقوت موقعـه[٤]. ونجد الهمداني يذكر حبونن في بـلاد نجران، وذكـر أيضاً عند بعض الشعـراء القدمـاء [٥]. ووادي حبونا[٦] يعد ثاني واد مهـم في نجـران بعـد وادي نجران، ومنابعـه العليا تأتي من السـروات الواقعة إلى الشمـال الغربـي من بلاد نجران ، وإلى الغرب من ظهـران الجنوب، ومياه هذا الوادي الشرقية تأتي من بلدان سراة عبيدة في بلاد قحطان ، وله فروع عديدة مثل: وادي بدر، ووادي صيحـان، ووادي حـلال، ووادي تريمة ، ووادي ثار وغيرهـا . وحبونا من النواحي الرئيسيـة في منطقـة نجران اليوم ، وهي بلاد مخدومة بالعديـد من الخدمات الإدارية والحضارية[٧]. **(١٠) الحجاز:** فصل ياقوت الحديث عن الحجاز ، والحجاز هي الجبال المتقـاودة الممتدة من اليمن إلى الشام ، وسمته العـرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط ، وبين نجد وهو ظاهر[٨]. ونجد عشرات المصادر التاريخية والجغرافية واللغوية والأدبيـة التـي أسهبت في الحديث عـن طبيعة جبال الحجـاز ، ومناخهـا وتضاريسها

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢١٠-٢١١ .

(٢) هنـاك كتـب تراثية عديدة أشارت إلى هذا السواق حتى زمن تدمـيره في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، مثل: ابن سعد ، والبكري ، والأزرقي ، وياقوت الحموي وغيرهم .

(٣) انظر المحور الثالث في القسم الثاني المنشور في هذا المجلد .

(٤) انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢١٥ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٦ ، ٢٥١ ، ٣٤٢ ،ياقوت ، المصدر السابق ، ج٢، ص ٢١٥ .

(٦) حبونا : يكتب بهذه الطريقة في عصرنا الحديث ، وهذه اللفظة أسهل من اسمه قديماً (حبونن) .

(٧) للمزيـد عن تاريخ نجـران وحبونن انظر ، غيثان بن علي بن جريس. نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١هـ -ق٤هـ/ ق٧م-ق١٠م) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية) ، ج١، ص ٢٤ وما بعدها .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢١٨-٢٢٠ .

وأهلها وثرواتها النباتية والحيوانية[١]. وجبال الحجاز هي جبال السروات ، وأكثر هذه السروات ارتفاعاً وصعوبة تقع في الجزء الممتد من الطائف ومكة المكرمة إلى قعر اليمن، وهي مأهولة بالسكان منذ قديم الزمان، وغنية بثرواتها الطبيعية والحيوانية، ولها تاريخ سياسي وحضاري عبر أطوار التاريخ . وفي العصر الحديث نجد اسم الحجاز اقتصر على بلاد الحرمين مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما ، فإذا قيل الحجاز أو حجازي، فالمقصود بذلك البلاد الممتدة من الطائف جنوباً إلى المدينة المنورة ، وما دون الطائف وما بعد المدينة يطلق عليها أسماء وحواضر أخرى ، فمثلاً مناطق الباحة، وعسير، ونجران لا تعرف اليوم باسم الحجاز، وإنما تعرف بأسمائها الحالية (نجران ، وعسير، والباحة ، مع أنها تأتي ضمن جبال الحجاز أو السروات الممتدة من الشام إلى اليمن[٢]. **(١١) حَكم:** بالتحريك: مخلاف باليمن ، سمي بالحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد[٣]. وحكم كان مخلافاً أو ناحية في منطقة جازان اليوم ، وتذكر بعض المصادر المبكرة أن المخلاف السليماني (جازان) كان إقليمين هما : مخلاف عثر ، ويقع في الجزء الشمالي من مدينة جازان حتى حلي ابن يعقوب الذي يقع بين البرك والقنفذة . ومخلاف حكم يلي مخلاف عثر من الجنوب ويمتد إلى ما وراء منطقة حرض جنوباً ، وعاصمته مدينة حرض المعروفة اليوم في الجمهورية اليمنية ، أو مدينة الساعد بناحية حرض ، ولا نجد لها ذكراً في زمننا الحاضر ، وكان يطلق اسمها على هذا المخلاف، فيقال: مخلاف حكم ، أو مخلاف الساعد[٤] ، ولا نجد اليوم ذكراً لاسم حكم في عموم منطقة جازان[٥]. **(١٢) حلال:** بالكسر، وتخفيف اللام ، من نواحي اليمن . والحلال : مجموعة بيوت من الناس ، واحدتها حلة ، ويقال: الحلال متاع الرجل[٦]. ومن خلال تجوالي في بلدان تهامة والسراة ، لم أجد اسم ناحية بهذا

---

(١) هناك عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية المطبوعة والمنشورة عن جبال الحجاز الممتدة من اليمن إلى الشام .

(٢) المقصود بالسرة ، أو السروات المذكورة في هذه الدراسة هي جزء من جبال الحجاز التي تكلم عنها الأوائل في كتبهم ومدوناتهم .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٨٠ .

(٤) انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٤-٧٦ . والمصادر المبكرة تذكر أن مخلافي عثر وحكم تم دمجهما في اسم واحد عرف بـ (المخلاف السليماني) نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي ، ومازال هذا الاسم يطلق على منطقة جازان إلى اليوم. للمزيد انظر : محمد العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ص ١٧ .

(٥) سألت بعض الدارسين والمؤرخين من أهل جازان ، ولم أجد أحداً يذكر بقاء هذا الاسم حتى الآن ، وبعضهم أكد على اندثاره .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٨١ .

الاسـم ، لكن في عـدد من مواطن البدو شرق جبال السـروات ، أو عند السفوح الغربية للسـروات الممتدة مـن الطائف إلى بلاد قحطـان، وبخاصة في منطقـة الإصدار هناك بعض البيوت التـي يستوطنها أهل السروات وقت الشتاء واشتداد البرد في جبال السراة ، فهـم ينزلون إلى هذه المساكن ومعهم بعض مواشيهم ، وتعرف هذه المستوطنات باسم (حـلال) ومفـرد الواحدة منها (حلة) [١]. **(١٣) حَلي :** بالفتح ثم السكون ، ويقال: إن حلي مدينة باليمن على ساحل البحر الأحمر، بينها وبينَ السرين يوم واحد ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام ، ومن الأشعار التي قيلت فيها :

فـوالله مـا أحـبـبـت سـدراً ببـلـدة مـن الأرض ، حتى سدر حلي اليمانيا [٢].

وحلـي ما زالت من البلدات الرئيسية في محافظـة القنفذة ، وتقع إلى الجنوب من مدينتي القنفذة والقوز ، وهي من الحواضر التاريخية القديمة ، وكان يطلق عليها اسم (مخلاف حلي) وقام فيها إمارة إسلامية عرفت بـ (إمارة حلي بن يعقوب) ، وكتب عنها عـدد من المؤرخين القدماء ، فذكـروا نشأة تلك الإمارة وصلاتها السياسية والحضارية مـع إمارة الأشراف في مكـة المكرمة ، ومع حكام المخـلاف السليماني ، ولها صلات مع بعض الحكومـات في اليمن، ومع من جاورهم مـن أهل تهامة[٣]. وحلـي القديمة شبه مندثـرة ومن حولها العديد من القرى والأحياء العمرانية الحديثة[٤]. **(١٤) الخَلَصَة :** مضاف إليها ذو، بفتح أوله وثانيه ، ويروى بضم أوله وثانيه ، والأول أصح . والخلصة في اللغة : نبت طيب الريح يتعلق بالشجر له حب مثل العنب، وجمع الخلصة (خلص) ، وهو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة [٥]. ويسرد ياقـوت تفصيـلات عن هـذا الصنم الذي أطلق عليـه الكعبة اليمانيـة، وكان يحج إليه ويقدسـه عدد من عشائـر أرض السراة الممتدة من نجـران إلى الطائف[٦]. وبقي هذا

---

(١) هـذه الحلال : وقفت على بعضها في بـوادي مناطق الطائف والباحة وعسير، وعند سفوح السروات الغربية من هـذه المناطـق ، وكانت مستخدمة إلى عهد قريب ، أما اليوم فتركها أهلها واندثر معظمها ، ومازالت آثار الكثير منها واضحة للعيان .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٩٧ .

(٣) للمزيد انظر: غيثان بن جريس ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٦٤ ـ ٧٩ .

(٤) مشاهـدات الباحـث وجولاته في منطقة القنفذة وزيارته لبلاد حلـي بن يعقوب وبخاصة مدينة حلي القديمة في شهـر ذي الحجـة عـام (١٤٣١هـ) ، للمزيد من التفصيـل انظر رحلتي في تلك البلدان في كتـاب: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٣٠٣ـ٣٤٦ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٣٨٣ـ ٣٨٤ .

(٦) المصدر نفسه .

الصنـم في تبالة وقيل في بلاد دوس حتى ظهر الإسـلام ، فأرسل الرسول (ﷺ) جرير بـن عبد الله البجلـي إليه مع بعض قومه من بجيلة وغيرها. فأحرقه ودمره ، ويذكر أنه أعيـد بناؤه في عصر الدولـة السعودية الأولى لكنه دمر، ومازالـت بعض آثاره في أرض تبالة إلى اليوم [١].

ثالثاً: حروف الراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد :

(١)**رزيـق :** تصغـير رزق ، مـن حصون اليمـن [٢]. ويوجد في بلاد السـراة وبخاصة في بـلاد بنـي شهر قـرى تسمى (رزيق) أو (آل رزيق) ، وواحـدة من هذه القرى هي قرية المؤلف، وفيها عاش آباؤه وأجداده، ومازالت تحمل الاسم نفسه إلى اليوم ، وتقع إلى الشمال مـن مدينـة النماص، ويذكـر أنه يوجـد في اليمن بعض القـرى التي تسمـى (رزيق) [٣].

(٢) **الركن اليماني :** من أركان الكعبة ، وأنشد ياقوت لبعض أهل اليمن ، قوله :

لنا الـركـن مـن بيت الحـرام وراثـة　　　بقيـةُ مـا أبـقـى أبـي بـن سـالم [٤].

ونجـد في كثـير من كتب التراث ورود اسم الركن اليمـاني أو اليمن ، ويقصد بهذا المصطلـح عنـد بعض المؤلفين الأوائـل ، أن كل البلاد التي تقع جنـوب الكعبة فهي من أرض اليمـن ، ويقال لما هو شمال الكعبة الشام ، ومـن يأت من تلك الناحية يطلق عليه (الشامي) ، وهكذا النواحي التي تقع جنوب الكعبة، يقال لها اليمن أو يمن ، ومن يعيش فيهـا أو يقدم منها فهو (يمـاني) ، وهذه الأقوال عامة وغير دقيقة ، لأن البلاد الممتدة مـن مكة المكرمة إلى آخر بـلاد اليمن لها مسميات عديدة ، وقـد فصلتها كتب التاريخ والجغرافيا المبكرة ، وأفضل اسم يطلق على الديار الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجـران هـو مصطلح (**تهامـة والسراة**)، وهذا مـا اعتمدناه ودرسنـاه في العديد مـن بحوثنـا وكتبنا التي تم طبعها ونشرهـا خلال الثلاثين سنة الماضيـة . **(٣) زَبِيد :**

---

(١) هنـاك العديـد من المصادر والمراجع التـي كتبت عن تاريخ ذي الخلصة ، مكانـه ، وضعه في الجاهلية ، وماذا جـرى لـه في عصور الإسلام المختلفة ، حبذا أن نرى باحثين جادين في علـوم الآثار فيقومون بدراسة موقع هذا الصنم دراسة أثرية ، ومن يفعل ذلك فقد يسدي لنا معروفاً ويطلعنا على تاريخ حقيقي لهذا المكان وهذا الصنم . للمزيد انظر، غيثان بن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، ج٢، ص ٢٠٣-٢٠٥، ٤٣٠ وما بعدها .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٤٣

(٣) هـذا مـا عرفـه الباحث وسمعه من بعض الأسـاتـذة اليمنيين الذين يعملـون معه في جامعة الملـك خالد عام (٣٧-١٤٣٨هـ / ٢٠١٦-٢٠١٧م) .

(٤) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٦٤-٦٥ .

بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، وهو واد في تهامة اليمن ، به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلبه عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به [١]. ومحمد بن زياد هو الذي بناها في العقد الأول من القرن الثالث الهجري ، وأصبحت هذه المدينة من المدن الحضارية اليمانية ، ولها تاريخ مدون في عدد من المصادر الإسلامية المبكرة [٢]. ويوجد قبيلة عرفت باسم (زُبيد) ، بالضم لأوله عاشت في الجاهلية وعصور الإسلام المبكرة ، وموقعها سروات قحطان، ومنهم الفارس والشاعر عمرو بن معد يكرب الزُبيدي الذي قضى بعضاً من حياته في بلدان طريب وتثليث وما حولها[٣]. **(٤) الزَّرَائِبُ:** بليد في أوائل بلاد اليمن من ناحية زَبيد . وإليه ينسب عمارة اليمني ، قال ربيعة اليَمني يهنئ الصليحي بفتحه :

فصبحت بيشاً والزرائب والقنا وكل كمي في رضاك مسارع[٤].

ومن قول ياقوت نفهم أن الزرائب تقع ضمن منطقة جازان ، لأنها بلدة الشاعر عمارة اليمني ، وهي قريبة من بلاد بيش ، ونجد عمارة فصل الحديث عن صور من تاريخ جازان في العصور الإسلامية المبكرة وأشار إلى بيش وبلدته الرئيسية (الزرائب) [٥]. ومفرد الزرائب (زربة) ويوجد اليوم بعض القرى في جازان باسم الزربة ، أما الزرائب التي ذكرها ياقوت ، وهي بلدة عمارة ، فتقع على وادي وساع من أودية منطقة جازان، ولا يعرف في وقتنا الحاضر موقعها على وجه التحقيق [٦]. **(٥) سَحْبَل :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ثم باء موحدة مفتوحة . وهو موضع في ديار بني الحارث بن كعب ، ويورد ياقوت شيئاً من يوم سحبل، الذي هو من أيام العرب في الجاهلية ، وما جرى للشاعر جعفر ابن عُلبة الحارثي مع العقيليين ، وقتله عدداً من رجالهم ، فذهبوا إلى مكة واشتكوا إلى واليها من جعفر فجُلب إلى السجن ثم قتل قوداً بمن قتل من العقيليين [٧]. ووادي سحبل

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) صدر عن مدينة زبيد اليمنية عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية، وبعض هذه المصادر والمراجع مطبوعة ومنشورة .

(٣) وأقول إن عشائر زُبيد السروية تستحق من يدرسها منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا الحاضر ، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرس تاريخ وحضارة هذه القبيلة العربية الماجدة .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ١٣٦ .

(٥) للمزيد انظر: نجم الدين عمارة اليمني . تاريخ اليمن ، المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد . تحقيق محمد علي الأكوع (صنعاء : المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ،بدون تاريخ) ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٦) هذا ما سمعته من بعض السكان في محافظتي صبيا وبيش ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً . يدرس لنا تاريخ هذه البلدة (الزرائب) في بحث علمي موثق .

(٧) ياقوت، معجم البلدان ، ج٣، ص ١٩٤-١٩٥. وللمزيد عن قصة جعفر بن عليه يوم سحبل ، انظر الأصفهاني. الأغاني ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، ج١٣، ص ٤٥ وما بعدها . ، غيثان بن جريس ، نجران ، ج١، ص ٤١٨ وما بعدها .

من أودية السراة ، في شرق قحطان تحديداً قريباً من العرين وبعض أجزاء من منطقة نجران ، ومـازال معروفاً حتى وقتنا الحاضر، ويسكنه عشائر من قحطان ونجران[١].
(٦) السـراة : فصـل ياقوت الحديث عن السراة ، التي هي جبال الحجاز ، ونقل عدداً مـن الروايـات التي أشـارت إلى السراة الممتدة مـن مكة والطائـف إلى صنعاء ، وذكر أن السـروات ثلاث : سراة بـين تهامة ونجد ، أدناها الطائـف وأقصاها قرب صنعاء، والطائـف مـن سراة ثقيف ، وهو أدنـى السروات إلى مكة ، ومعدن الـبرام وهو السراة الثانية ، وهو في بلاد عدوان ، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغـرب ، وعلى نجد مـن المشرق. وقال في مكان آخر : أفصح الناس أهل السراة ، وهي الجبـال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، أولها هذيل ، ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ، ثم سراة الأزد ، أزد شنوءة وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد[٢]. ونقول إن ياقوت ذكر هذه السروات الممتدة من الطائف إلى صنعاء ، لكنه لم يكن دقيقاً في ذكر جميع السروات، ويعد الهمداني أفضل من فصل الحديث عن هـذه السروات في القـرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في كتابه : **صفة جزيرة العـرب**[٣]. وقد أصدرنا العديد مـن الدراسات التي تذكر صوراً من التاريخ السياسي والحضـاري لهـذه الأوطان العربية الجنوبية ، ونأمل أن نـرى بحوثاً أثرية وتاريخية عن هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام وأثناء عصور الإسلام المختلفة[٤]. **(٧) السَّرْو :** بفتـح أوله ، وسكـون ثانيه، على وزن الغـزو، والسرو: شجر ، والواحـدة سروة، وهنـاك السـرو الذيـن ينتسبون إلى السـروات، مثل: سرو حمـير، وسرو مذحـج ، وسرو عنز، والحجر، ودوس، وهذيل، وثقيف وغيرهم[٥]. ويذكر ياقوت أن السرو: قرية كبيرة مما يلـي مكة ، وإلى هذه السروات ينسب القـوم الذين يحضرون مكة ومعهم الميرة ، ويشير إلى أن هؤلاء القوم أشبه بالوحش[٦]، ربما لسرعة تحركهم وجلافتهم. ونجد ابن جبير

---

(١) هذا ما سمعته من بعض الرجال القحطانيين الذين يستوطنون في الأمواه والعرين شرق أوطان قحطان الجنوب.

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٢٠٤-٢٠٥. وياقوت واحد من مؤلفين كثيرين فصلوا الحديث عن طبيعة جبال السروات (الحجاز) التي تمتد من حواضر الحجاز الرئيسية إلى صنعاء وما جاورها . وهناك باحثين محدثين أيضا كتبوا دراسات عديدة بعضها مطبوع ومنشور عن السروات أو الحجاز .

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١١٥ وما بعدها .

(٤) مازلت أبحث وأدرس تاريخ السروات منذ عدة عقود ، وأقول أنها مع بلدان تهامة الممتدة من حواضر اليمن إلى الحجاز الرئيسية تستحق أن يصدر عنها مئات البحوث والدراسات ونأمل أن نرى في جامعات الجنوب السعودي من يهتم بتاريخ وموروث هذه البلاد الجديرة بالبحث والتحليل العلميين .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٢١٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢١٧-٢١٨ .

وابـن المجاور يذكـران هؤلاء السرو الذين يأتون إلى مكة من بـلاد السراة ومعهم أنواع الحبوب، وهم رجال أقوياء شجعان في حلهم وترحالهم[١]. وإذا تأملنا في أرض وسكان أهـل السروات من الطائف إلى نجـران، نجد أنهم هم السرو المعنيـون عند القدماء ، فـإلى هذه السراة ينسب أهلها ، وعرفـوا قديماً وحديثاً من الجنوب إلى الشمال بسراة مذحـج أو جنب (قحطان)، وسراة عنز (عسـير) ، وسراة الأزد وهي السروات الممتدة مـن شمال حاضرة أبها إلى بلاد زهران، وهكـذا عرفت كل قبيلة بسراتها من الطائف حتـى ظهران الجنوب ونجـران[٢]. **(٨) شَبَابَة :** سـراة بني شبابة ، بفتـح أوله ، وبعد الألـف باء موحـدة أخرى ، ومن نواحي مكـة ينسب إليها أبو جميـع عيسى بن الحافظ أبـي ذر عبـد الله بن أحمـد الهروي الشبابي[٣]. وأقـول إن شبابة أو سـراة بني شبابة مـن نواحي الطائف وليست مكة ، وهذه السـراة محاذية للقسم الجنوبي من الطائف ، وتعـرف بسـراة فهم وعدوان ، أو سراة شبابة وعدوان ، وغورها الليث ويلملم ، ونجدها الأراضـي الواقعـة شرق أوديـة الطائف، وجنوبها سـراة بني مالك التـي تعرف قديماً بسراة بجيلة . وهذه السروات تتبع إدارياً محافظة الطائف وتعيش اليوم تنمية عمرانية وحضاريـة جيدة[٤]. **(٩) شَدَوَان :** بلفظ تثنية ، شدا يشدو إذا غنى ، وهو بفتح الدال، موضـع ، ويقـال إن الشدوان جبلان باليمن ، وقيل بتهامـة ، أحمران ، وقيل بضم النون وأنه جبل واحد[٥]. وقال يعلى الأحول الأزدي وهو لص محبوس :

أرقـــت لـــبرْق دونـــه شـــدوان ... يمـانٍ ، وأهـوى الـبرق كلّ يمـان[٦].

وأقـول إن هذين الشدوان جبلان كبيران في تهامـة منطقة الباحة ، ويطلق عليهما اليـوم شـدا الأسفل ويقطنه بعضـ عشائر وغامد . وشدا الأعلى، وهـو أكبر وأطول من شـدا الأسفـل ، ويستوطنه عشائر مـن زهران وغامـد ، ويوجد في هـذيـن الجبليـن

---

(١) انظر محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير (دار الكتب ، د. ت) ، ص ١٠٢ وما بعدها ، جمال الدين ابن المجاور . تاريخ المستبصر . تحقيق أوسكر لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١- ١٩٥٤م) ج١، ص ٢٦، ٣٧، ١٤٢ .

(٢) نأمل أن نرى باحثين محليين من هذه السروات يدرسون بلادهم وسكانها منذ العصر الجاهلي حتى اليوم .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٣١٧ .

(٤) أقـول إن هـذه الأجزاء السرويـة والتهامية الممتدة من الليث إلى مكة المكرمة ومـن شمال بلاد زهران السروية حتـى الطائف مازالت بحاجة إلى دراسات علميـة موثقة. وآمل من الله ، عز وجل، أن يمد في العمر حتى أذهب إلى تلـك البلـدان وأتجول في أرجائها وأكتب شيئاً من تاريخها وحضارتهـا في القديم والحديث ، وهذا ما أتطلع إليه في المستقبل (بإذن الله تعالى) .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٢٨- ٣٢٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٣٢٩ .

الكثير من النقوش والرسومات الصخرية التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين ، وفيهما بعض الكهوف ، وثرية بنباتاتها وحيواناتها ، ومأهولة بالسكان في القرون الماضية ، أما اليوم فتركها أهلها ونزلوا إلى القرى والمدن الحديثة القريبة من هذين العلمين مثل مدينتي المخواة وقلوة وغيرهما [١]. **(١٠) الشرى ، أو ذو الشرى:** صنم كان لدوس، وكانوا قد حموا له حمى ، ويسرد ياقوت قصة الصحابي الطفيل بن عمرو الدوسي عندما أسلم ثم عاد إلى قومه يدعوهم للإسلام ، وبلغ زوجته الإسلام ، فذكرت له أنها تخشى على أطفالها من ذي الشرى ، فأخبرها الطفيل أن لا خوف عليها ، لأنه صنم جماد لا يضر ولا ينفع ، فذهبت واغتسلت ودخلت الإسلام . ويقال إن هذا الصنم كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد[٢]. وهذا الصنم من أصنام أزد السراة ، ويقال إنه من معبودات الأنباط في البتراء . ويقول صالح العلي يبدو أن اسمه مشتق من جبل السراة [٣]. ولا نجد اليوم في منطقة الباحة مكاناً يعرف بذي الشرى ، مع أن حمد الجاسر يرجح أن يكون صنم ذي الشرى غرب بلدة المندق في بلاد زهران ، وهذا الترجيح لا يسنده دليل قوي [٤]. **(١١) شروم :** قرية كبيرة عامرة باليمن فيها عيون وكروم ، وأهلها همدان[٥]. وتعرف هذه الناحية أيضاً بـ(سروم) ، وهناك أكثر من واد أو بلدة تسمى (سروم) بعضها في الحدود اليمنية المحاذية لبلاد وادعة ، وسكانها من خولان ، وهناك سروم الفيض في عبيدة قحطان ، وسروم العقدة في بلاد سنحان شرق بلاد الحرجة ، ومازالت تعرف بهذا الاسم إلى الآن، وهي موطن مشيخة سنحان[٦]. **(١٢) شعبين :** يقول ياقوت هي حصن أو قرية باليمن [٧]. وأقول إن بلدة الشعبين في بلاد رجال ألمع من منطقة عسير ، وهي المركز الإداري لمحافظة رجال ألمع ، وأعتقد أن ياقوت لا يقصد هذه الناحية ، وربما وجد في اليمن أكثر من مكان اسمه (

---

(١) لقد ذهبت إلى تهامة الباحة وصعدت إلى هذين الجبلين في شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ودونت بعض التفصيلات عنهما وما حولهما . للمزيد عن تلك المعلومات وتلك الرحلة انظر القسم الثالث المنشور في هذا المجلد.

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٣) حمد الجاسر ، في سراة غامد وزهران (الرياض: منشورات دار اليمامة ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، ص ٢٣٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ . ونأمل ان يقوم أساتذة علم الآثار بدراسة المناطق الأثرية في سروات منطقة الباحة لعلهم يجدون بعض البراهين التي تبين هذه المواضع التاريخية القديمة مثل (ذو الشرى) وغيرها .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٣٩ .

(٦) هذا ما عرفه الباحث أثناء سيره في بلاد ظهران الجنوب وسراة عبيدة في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) ، وللمزيد عن هذه البلدات المعروفة بـ (سروم) انظر، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٦، ٢٤٩، ٢٥٢، ٣٣٩.

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

شعبــين) أو (الشعبين) . والمعلوم أن ألمع أزديون ، هاجروا مع غيرهم من أرض اليمن ثـم نزلوا السراة، وأخيراً استقـروا في مكانهم الحالي من سفوح السروات الغربية ، ولا يستبعد أن تسميه الشعبين الحالية في عسير جاءت مع المهاجرين الأوائل من اليمن[١]. **(١٣) شعْفان:** بفتـح أوله وسكون ثانية تثنية شعف ، وهو راس الجبل ، وهو اسم لموضع بعينه في أرض الغور ، يعني غور تهامة ، يقال له شعف عثر[٢]. والشعف لا يقال للبلدان المنخفضـة وإنمـا يطلـق على رؤوسـ الجبال ، والمناطـق المرتفعة التي تطـل على بعض المنخفضات ، فأعالي جبال السروات من الطائف حتى بلاد قحطان والمطلة على تهامة يطلق عليها الشعف ، أو الأشعاف ، والذاهب من أبها إلى الطائف يلحظ أسماء أشعاف عديدة تسمى بالقرى، أو العشائر التي تستوطنها مثل: شعف آل ويمن، أو شعف السودة، أو شعـف صبـح أو شعف سـدوان في بللسمر ، وشعـف آل سودة ، أو شعـف آل وليد ، أو شعف آل زيدان في بلاد بني شهر وبني عمرو ، وهكذا حتى الطائف[٣]. **(١٤) شعيبة:** تصغير شعبة ، ويورد ياقوت اسم الشعيبة الذي هو مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة ، ويقـول: " **هي قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن**"[٤].ومازالت الشعيبة معروفة إلى اليـوم وهي جنوب مكة المكرمة ، ويوجد بهـا بعض الأنشطة العمرانية والصناعية ، وكانـت المرفأ الرئيسي لمكـة المكرمة ثم استبدلت بميناء جـدة في القرن الهجري الأول (السابـع الميـلادي) [٥]. **(١٥) شماخير:** جبـال بالحجاز بين الطائـف وجرش، قال شاعر من الضباب:

كفى حزناً أني نظرت وأهلنا بهضبي شماخير الطوال حلول[٦].

ويفهـم مـن حديث ياقـوت ان هذه الجبال في السـروات الممتدة مـن الطائف إلى الحجـاز ، ولا نجـد ذكراً لهذا الاسـم ، لكننا نجد جبـالاً مرتفعة في الجهـة الشمالية مـن سروات زهـران يطلق عليها اسم (شمـرخ) ، وربما أن شماخـير هي شمرخ، ومع

---

(١) السائح في بلاد تهامة والسراة أو بلاد الحجاز وشمال الجزيرة العربية يجد أسماء أمكنة معينة ، وهذه الأسماء نفسها تعرف بها بعض المواضع في اليمن ، وهذا التشابه في الأسماء جاء مع هجرات العشائر اليمنية إلى مواطن عديدة في الجزيرة العربية وخارجها.

(٢) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٣٩٩ .

(٣) هذا ما عرفه الباحث وشاهده أثناء تجواله في بلاد السروات خلال العشرين سنة الماضية .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٥) ميناء الشعيبة قديماً وحديثاً جدير أن يدرس في بحث أو رسالة علمية موثقة .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

مـرور الوقت من زمن ياقـوت إلى عصرنا الحديث حرف الاسـم إلى (شمرخ)، وذلك بتقـديم وتأخـير بعض الحـروف[١]. (١٦) **شَنُـوءة**: بالفتح ثم الضـم ، واو ساكنة ثم همـزة مفتوحـة، وهاء: مخلاف باليمـن ، تنسب إليـه قبائل من الأزد ، يقـال لهم أزد شنـوءة ، والمقصـود بالشنوءة هنا، أي الشناءة والبغضـ ، وهذا الاسم أطلق على بعض الأزديـين الذين نزلـوا بلاد السراة ، وجـرى بينهم شناءة وتباغض مـع فريق آخر من إخوانهم الأزديين الذين خرجوا من اليمن واستقروا في مواطن أخرى غير السروات[٢]. ويقال إن الأزد أربعة أقسام : أزد شنوءة ، وأزد عمان ، وأزد غسان، والقسم الرابع وهم أزد السراة الذين استوطنوا السروات الممتدة من بلاد عسير إلى منطقة الباحة (غامد وزهـران)[٣]. ومازالـوا يعيشون فيها حتى الآن[٤]. (١٧) **شَوْقب**: بفتح أوله ، وسكون ثانية ثم قاف، وباء موحدة ، موضع في ديار البادية ، قال الشمردل بن جابر البجلي :

فياليت شعري هـل أراني وصحبتي نجوب الفلا بالناعجات الضوامر ؟

وهـل أهبطن الجزع من بطن شوقب وهل أسمعن من أهله صوت سامر؟[٥].

ووادي شوقـب من روافد أودية تربة ويبعد عن الطائف نحو الجنوب حوالي (١٢٠) كيـلاً ، وهو وادي ينحدر من سفوح جبال إبراهيـم الشرقية الشمالية قرب أعالي وادي عـروة . ووادي شوقب تنحدر فيه سيول سراة بني مالك بجيلة ، وهذا الوادي وغيره من أودية بلاد زهران وبعض أودية بلحارث تصب في وادي تربة[٦]. (١٨) **صَبْيَا**: من قرى

---

(١) نسمع من الأوائل أن هذه الجبال كانت عقبة كؤوداً لكل من يجتازها ذاهباً أو عائداً إلى الطائف ، وقد سافرت منهـا في نهاية القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، فكانت السيـارة ذات الدفع الرباعي تمر فيها وهـي معرضة للسقوط في أودية سحيقة ، ثم إن الصعود من خلالها كان صعباً جداً ، واليوم أصبحت الطريق سهلة والمرور بين هذه الجبال يسيراً. المصدر : مشاهدات الباحث منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر .

(٢) انظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٦٨- ٣٦٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) والأزد قبيلة عربية كبيرة تفرقت في نواحي عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، وأزد شنوءة أقاموا في السروات ، وهنـاك جبـل في عسير ، يعرف بـ (جبل شنوءة) ، وربما كان ذلك نسبـة إلى الأزديين الشنوئيين الذين استوطنوه بعـد نزوحهـم من أرض اليمن ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس لنا أنسـاب وتاريخ أزد السراة وأزد شنوءة الذين أقاموا في أرض السروات منذ عصور ما قبل الإسلام . وللمزيد عن تاريخ وهجرة أزد شنوءة انظر الهمداني، صفة جزيـرة العـرب ، ص ٣٧٠، حمد الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، صـ ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٨، ٤١٥، ٤٤٧، ٤٨٦، عبد الله بمسفر . السراج المنير (بيروت : الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ١٧-١٨ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٧٣ .

(٦) هـذا مـا عرفـه الباحث من بعض رجالات زهـران في قرية الأطاولة ، ورواة آخرون في بـلاد غزايل أو ما يعرف بـ (الجبـوب) في أوطان بلحارث التي تبعد عن الطائف نحو الجنوب حـوالي (٨٠) كيلاً ، وذلك في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

عشـر من ناحيـة اليمن[١]، والصحيح عثر بالثاء المثلثـة . وصَبْيَا ، بفتح الصاد وسكون البـاء الموحـدة وفتح الياء المثنية ، ذكرها الهمداني ، فقال : " **وفي بلد حكم قرى كثيرة يقال لها المخارف وصبيا**"[٢] ، ويشير إلى بعض نواحيها ضمن مخلاف عثر[٣]. وصبيا تعرف أيضاً بواديها الذي له فروع ثلاثة هي : صبيا ، وقصى ، ودامس . ويذكرها ياقوت قريـة من ناحيـة اليمن ، وتذكر بعض المصـادر أن أول من اختطها مدينـة هو الأمير دريب بـن مهارش الخواجي سنة (٩٥٨هـ/١٥٥١م) ، وكانـت معظم المساكن في طرف وادي صبيا الغربي في موضع يسمى (أبو دنقور) ، وتعرف قديماً بـ (صبيا القديمة) ، وذلـك للتفريق بينها وبين (صبيا الجديدة) التـي اختطها الإدريسي عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) ، وأطلـق عليهـا اسم الإدريسيـة . والذاهب إلى محافظة صبيـا اليوم يشاهد مواضـع صبيـا القديمة والجديدة ، وبـلاد صبيا ذات تاريخ سياسـي وحضاري حافل ، ولهـا ذكر عند كثير من الشعـراء وبخاصة منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميـلادي)[٤]. **(١٩) صُدَاء :** بالضم، والمد ، مخلاف باليمـن بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً ، سمي باسم القبيلة ، وهو : يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بـن زيد بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبـأ[٥]. وتكتب صداء أحياناً بدون همزة في آخرهـا (صُـدا) بالضم ، وهي قبيلة من مذحج ، ومساكنها في سرو مذحج ، أو من السروات الواقعة إلى شمال نجران وظهران الجنوب ، جاء منها وفد إلى الرسول (ﷺ) وأعلنـوا إسلامهـم ، ونجد في كتب التاريخ والسير ذكـر للصدائين ، ويوجد في الأفلاج مـكان يطلق عليـه (صداء) ، أشارت إليـه بعض المصادر التراثيـة المبكرة[٦]. **(٢٠) ضِلَع :** بكسر أوله ، وفتح ثانيـه ، أشار ياقوت إلى مواطن عديدة تسمى (ضلع) وليس شَـيء منهـا في بلاد تهامة والسـراة [٧]، وأقول إنه يوجد اليـوم أماكن عديدة في تهامة

---

(١) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٣٩٢ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٦، ٢٥٩ ، ٣٨١ .

(٤) نأمل أن نرى من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد من يتخذ بلاد صبيا موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتورة ، كما أن النية موجودة عندنا للقيام برحلة في جنبات محافظة صبيا وتدوين شئياً من تاريخها الحديث والمعاصر .

(٥) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٣٩٧ .

(٦) انظر الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة (٣٣٢هـ) ، جمع وتحقيق محمد علي الأكوع (بغداد: دار الحريـة للطباعة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ص ٨٩، ٩١ ، انظر أيضاً مجلة العـرب ، التي يملكها ويشرف عليها حمد الجاسر ، مج٥، ص٣١٠، ٣٩٨. مج ٢١، ص ٢٠٣ .

(٧) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٤٦٠ .

والسراة يطلق عليها اسم (ضلع) ، وبعضها جزء من وادي أو جبل أو هضبة أو قرية أو ناحية ، وهذا ما تأكد لي أثناء رحلاتي في المناطق الممتدة من الطائف إلى نجران أو من جازان إلى مكة. **(٢١) الضَّمْدُ :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وهو موضع ناحية اليمن بين مكة واليمن على الطريق التهامي ، ويقال أنها من قرى عثر من جهة الجبل ، وقد جاء ذكرها في عصر الرسول (ﷺ)[١]. وضمد هي إحدى نواحي محافظة صبيا في منطقة جازان، ولها واد يعرف باسمها وهو في مصاف واديي جازان وصبيا ، ومنابع وادي ضمد تأتي من جبال فيفا وبني مالك . ويذكران ضمد أخذت اسمها من واديها ، وكانت تعرف من قبل بـ (هجر) ، وبلدة ضمد الحالية أنشئت تقريباً في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، وفي وادي ضمد ولد وعاش الشاعر القاسم بن هتيمل ، وعرفت ضمد بأنها موطن الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء ، ومازالت حتى اليوم من حواضر جازان العلمية والثقافية الرئيسية[٢] ، **(٢٢) ضَنْكان :** بالفتح ثم السكون، ويروى بالكسر، ثم كاف ، وآخره نون ، وهو واد في أسفل السراة يصب إلى البحر وهو من مخاليف اليمن[٣]. وضنكان من بلدان محافظة البرك الواقعة على ساحل البحر الأحمر، وهو أحد روافد وادي ذهبان ، وضنكان من أماكن التعدين القديمة ، يذكره الهمداني في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، قائلاً: "**... ثم بلد حرام كنانة**[٤]**: وهو وادي أتمة وضنكان ، وهو معدن غزير ولابأس بتبره** "[٥] .ويوجد في وادي ضنكان اليوم حجارة كبيرة ، لونها يميل إلى الحمرة والسواد ، ويبدو أن هذه الحجارة في المكان الذي كان يستخرج منه بعض المعادن . ومازال ضنكان يحمل نفس الاسم إلى اليوم ، ويقع شمال مدينة القحمة ويحيط به بعض الجبال والحرار وجزء من وادي ذهبان ، والذاهب إليه عبر وادي ذهبان أو وادي حمضة ، والطريق إليه ممهدة وسهلة العبور[٦].

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٤٦٢-٤٦٣ .

(٢) هناك العديد من العلماء والفقهاء الذين عاشوا وينتمون إلى بلاد ضمد ، وهناك دراسات محدودة خرجت عن هذه البلاد ، ونأمل أن نرى من أبنائها أو من أبناء جازان من يدرس تاريخ وفكر وحضارة هذه الحاضرة الجازانية العريقة . للمزيد انظر ، العقيلي ، المعجم ، ص ٢٦٦-٢٦٧ ، البلادي ، بين مكة واليمن ، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٤٦٤ .

(٤) بنو حرام قبيلة كنانية صريحة فهم أبناء حرام بن ملكان بن كنانة بن مدركة بن إلياس بن نزار بن معد بن عدنان ، وقد أولد ملكان ستة أبناء ، أحدهم حرام ، وموطن كنانة الرئيسي بتهامة ، حلي بن يعقوب ، وكان لكنانة في القرون الأولى من عصر الإسلام إمارة قوية تعرف باسم (إمارة بني حرام) أو (إمارة حلي بن يعقوب) ، انظر غيثان بن جريس ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٥٦ وما بعدها .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٢٥٩ .

(٦) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة البرك والقحمة في النصف الثاني من عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) .

رابعاً: حروف الطاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف :

(١) الطائف : بعد الألف همزة في صورة الياء ثم فاء ، وهو في الإقليم الثاني ، وبالطائف عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة ، عمّرها حسين بن سلامة، وهو عبد وزر لأبي الحسين بن زياد ، صاحب اليمن ، في حدود سنة (٤٣٠هـ) ، فعمر هذه العقبة عمارة يمشي في عرضها ثلاثة جمال بأحمالها[١]. فصل ياقوت الحديث عن الطائف ، فذكر سكانها ، وسبب تسميتها، وخيراتها الاقتصادية وعلاقاتها بمكة المكرمة ، ثم ظهور الإسلام ، وحرب الرسول (ﷺ) لأهل الطائف ، وأخيراً دخولهم الإسلام [٢]. والطائف من حواضر الجزيرة العربية الرئيسية ، وهي أول بلاد السروات من جهة مكة، وتشبه تضاريسها بقية أرض السراة الممتدة من قحطان وظهران الجنوب حتى مدينة الطائف. ورد ذكرهم في معظم كتب التراث الإسلامي فأشارت إلى تركيبتها الجغرافية والسكانية ، وتاريخها السياسي والحضاري منذ العصور القديمة وعبر أطوار التاريخ الإسلامي ، وذكرت أهميتها الحضارية لبلاد الحرمين ، وعلاقة سكانها مع قبيلة قريش وغيرهم من قبائل الحجاز ، وتحدث عنها بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين المتقدمين والمتأخرين والمسلمين وغير المسلمين ، ومازالت الطائف حتى اليوم من مدن الحجاز الحضارية المهمة ، وهي محافظة رئيسية تتبع إمارة منطقة مكه المكرمة . **(٢) طَوْد :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وهو الجبل العظيم، واسم علم للجبل المشرف على عرفة وينقاد إلى صنعاء ، ويقال له السراة[٣]. وهذه السروات لها أسماء عديدة مثل: الحجاز ، أو جبال الحجاز ، أو السراة ، أو الطود، ويسميها بعض أهلها (ساق الغراب) ، لسواد جبالها وارتفاعها وصعوبتها وضيق مسالكها ، وتسمى كل ناحية فيها باسم أهلها وقبائلها مثل: سراة قحطان ، وسراة عسير ، وسروات بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو ، وبلقرن وعليان وشمران وخثعم ، وغامد ، وزهران ، وبني مالك ، وبلحارث وغيرها حتى مدينة الطائف[٤].

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٨-١٢ .

(٢) الطائف بوابة بلاد السراة الشمالية إلى بلاد الحجاز وغيرها ، ولها علاقات سياسية وحضارية مع بلدان السروات الممتدة من شمال الطائف إلى بلاد اليمن ، ونأمل أن نرى باحثين ومؤرخين جيدين فيدرسوا تاريخ هذه المدينة وصلاتها مع السراة والسرويين منذ بداية عصر الإسلام حتى وقتنا الحاضر ، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٤٦-٤٧ .

(٤) هذه السروات قديمة جداً في تاريخها وجغرافيتها وهي تستحق دراسات علمية عديدة ومتنوعة .

(٣) العَبْلاء: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ويشير إلى موقع في الطائف قريباً من سوق عكاظ[١]. ويشير إلى موضع آخر يسمى: العبلاء أو العبلات، ويذكر أنها بلدة كانت لخثعم وبها صنم ذو الخلصة، وهي من أرض تبالة[٢]. ومازالت العبلاء تحمل اسمها إلى اليوم في ديار أكلب، ويوجد فيها العديد من الآبار القديمة والآثار التي تدل على قدمها التاريخي[٣]. **(٤) عتْود:** بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح الواو، اسم موضع بالحجاز، ويقال واد، قال ابن مقبل:

جلوساً به الشعب الطوال كأنهم ... أسود بترج أو أسود بعتودا[٤].

وقال بديل بن عبد مناة:

ونحن منعنا بين بيض وعتود ... إلى خيف رضوى من مجرى القبائل[٥].

وعتود من الأودية الرئيسية التي تأتي منابعه من سروات حاضرة أبها وما جاورها، ويتجه جزء من مياهه إلى الشرق حتى يصب في وادي بيشة، والجزء الآخر يتجه غرباً تجاه محافظة الدرب في جازان حتى يصب في البحر[٦]. **(٥) عَثَّر:** بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وآخره راء مهملة، وهو موضع، ويروي ياقوت نقلاً عن عمارة اليمني قوله: عثر مسيرة سبعة أيام في عرض يومين، وهي من الشرجة إلى حلي، وهي معروفة بكثرة الأسود، وفي رواية أخرى تذكر أن عثر بلدة باليمن بينها وبين مكة عشرة أيام[٧]. وعثر لها تاريخ سياسي وحضاري حافل، فالكثير من كتب التراث ذكرت موضعها في شمال منطقة جازان، وكان يطلق عليها مخلاف عثر من شمال مدينة صبيا إلى بلاد البرك وحلي شمالاً، وكانت بلدة عثر العاصمة الرئيسية لهذا المخلاف، وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تم توحيد منطقة جازان

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٨٠ـ ٨١.

(٢) المصدر نفسه، كما أشار البكري إلى هذا الموضع أيضاً.

(٣) نجد الهمداني يذكرها في أكثر من مكان من كتابه: صفة جزيرة العرب، ويوردها الحزازة العامري في شعره فيقول:

روبت قيعتا تبالة غيثاً ... فذاوات الآصاد فالعبلاء

وهناك أسماء عديدة في اليمن والسراة والحجاز تعرف باسم العبلاء، انظر الهمداني، ص٢٥٠، ٢٩٢، ٣٧٩، ٣٩٢.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٨٣.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) وادي عتود من الأودية الكبير في عسير وجازان، ويعيش عليه العديد من القرى والعشائر ويستحق أن يكتب عنه بحث أو رسالة علمية توضح تاريخه وجغرافيته عبر أطوار التاريخ الإسلامي.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٨٤ـ ٨٥.

(مخلاف حكم ، وعثر) في إدارة واحدة تحت اسم المخلاف السليماني ، نسبة إلى الرجل الذي وحدها ، وهو سليمان بن طرف الحكمي ، واستمرت مدينة عثر في أوج مجدها حتى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، ثم بدأت تندثر بعد أن انتقلت أسرة الهواشم إلى ناحية جازان العليا(١) . ولا يعرف مكان اليوم باسم عثر ، وإنما مكانها معلوم عند أهل محافظة بيش ومن حوله ، باسم (ساحل الجعافرة)(٢) .

(٦) العُداف: بالضم ، والدال المهملة ، واد أو جبل في ديار الأزد بالسراة (٣) . ولا أعرف مكاناً بهذا الاسم في السروات وتهامة ، مع أنني سمعت بعض الرواة في سروات الباحة وعسير يقولون أن هناك بعض الجبال والأودية يطلق عليها اسم العدفة ، والعديف ، والعادف . ونجد الهمداني يذكر أن في سروات الحجر وبخاصة بلاد بني شهر وبني عمرو اسم مكان يعرف بـ (العديف) ، ثم يقول " وهي عقبة تنصب مياهها إلى وادي خاط ، وساكنه بنو عامر الغورية من الحجر(٤) . ومازالت بلاد خاط في تهامة بني عمرو وبني شهر معروفة حتى وقتنا الحاضر ، وهي مدينة متطورة في أبنيتها وخدماتها(٥) .

(٧) العُرْشُ، عَرشَانُ : العرش ، بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره شين معجمة ، وقد يضم ثانيه ، وهو جمع عرش. وعرشان ، بلد باليمن (٦) . وأبو عريش اليوم إحدى مدن منطقة جازان الرئيسية ، ولها ذكر في كتب التاريخ والأدب خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة ، وكانت عاصمة إمارة الشريف حمود أبو مسمار في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، ولها صلات مع بلاد اليمن وعسير وأجزاء عديدة في الجزيرة العربية . وياقوت يذكر اسم العرش والعرشان ، ولا يفصل في ذلك ، وجاء قبله اليعقوبي والهمداني اللذان ذكرا أنها من جازان وتقع بين الشرجة

---

(١) للمزيد عن تاريخ عثر انظر : اليقعوبي ، والهمداني ، وعمارة اليمني وعدد من الجغرافيين المسلمين الأوائل ، كما أن بعض المستشرقين أشاروا إليها في دراساتهم ، ومازالت هذه البلاد بحاجة إلى دراسات أثرية قد تكشف لنا شيئاً من تاريخها الحضاري الذي لم يصلنا ولم يذكر في المصادر والمراجع التقليدية .

(٢) هذا ما سمعته أثناء زيارات عديدة لمنطقة جازان وبخاصة محافظتي الدرب وبيش ، وللمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٤، ص ٢١-٨٦ ، ٢٢٧ وما بعدها . ج٦، ص ١٩ وما بعدها .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٨٨ .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٢ وهذا المكان الذي أشار إليه الهمداني هي عقبة اليوم تنزل من شعف النماص ، قريباً من المستشفى إلى خاط ، والعمل فيها حالياً لتكون الطريق الرئيسي الذي يربط بين النماص وخاط والمجاردة في تهامة .

(٥) للمزيد عن خاط وما حولها من بلاد تهامة انظر: القسم الثالث المنشور في هذا المجلد .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٠٠-١٠١ .

وعشر ، وهي فعلاً كذلك [١]. وهناك بعض المؤرخين المتأخرين في جازان يقولون إن أول من اختط مدينة أبي عريش كان رجل من آل الحكمي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) حيث ابتنى له عريشاً يتعبد الله فيه ، فصار الناس يقصدونه لطلب العلم منه ، ويرددون في أقوالهم ذهبنا أبا عريش ، أو هذه أبو عريش [٢]. **(٨) عَرْعَر:** هو شجر يقال له الساسم، ويقال له الشيزي، وهو شجر يعمل منه القطران، وهو اسم موضع قريباً من مكة، ومواضع أخرى عديدة نجدية [٣]. وأقول إن الذاهب في أرجاء السروات الممتدة من الطائف حتى بلاد ظهران الجنوب وقحطان، وبخاصة أعاليها وسفوحها الغربية فإنه سيلاحظ كثافة غطائها النباتي ، ومعظم نباتاتها من شجر العرعر، فلا تخلو سراة أو بلاد أو قبيلة سروية من جبال وأودية مكسوة بشجر العرعر، وبعضاً من تلك الجبال أو الأودية تسمى بجبال العرعر أو أودية العرعر [٤]. **(٩) عَشَمُ:** بالتحريك، وعشم قرية كانت بشامي تهامة مما يلي الجبل بناحية الحسبة [٥]. وقال العشمي من شعراء اليمن في قديم العصر أيام الصليحي [٦]. ومن ينظر إلى كتب التراث السابقة لياقوت الحموي يجد أنهم لم يذكروا مدينة عشم ، مع أنها كانت من المخاليف التابعة لمكة وهي تقع في محيط مركز المظيلف وقريباً من جبلي شدا الأسفل والأعلى في تهامة منطقة الباحة [٧]. ويعد ياقوت أول من ذكرها وأوضح مكانها إلى حد ما. وهي اليوم بلاد مندثرة ضمن ديار زُبيد وقريبة من تهامة زهران ويوجد فيها الكثير من الآثار والنقوش، وقد كتب عنها الأستاذ حسن إبراهيم الفقيه كتاباً يقع في أكثر من خمسمائة صفحة ، سماه (مخلاف عشم) [٨]. **(١٠) العَقيق:** بفتح أوله

---

(١) انظر: أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي . كتاب البلدان . ملحق بكتاب الأعلاق النفيسة لأحمد بن رسته (البلدان) ، المطبوع في بريل في ليدن (١٨٩١م) ، ص ٣١٧ . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٤٢ .

(٢) وأقول أن أبي عريش قديمة في تاريخها ، وربما أخذت اسمها من العرش ، وهي المنازل المبنية من القش ، التي كانت المساكن الرئيسية لأهل تهامة إلى عهد قريب. وهذه الناحية صدر عنها عدد من البحوث والدراسات خلال القرون الماضية المتأخرة ، ومازال هناك الشيء الكثير من تاريخها وحضارتها الذي لم يجمع ولم يدرس ونأمل من المؤرخين الجادين في منطقة جازان أن يجتهدوا في دراسة هذه المدينة الجازانية العريقة .

(٣) ياقوت ، معجم ، ج٤، ص ٤٠٤ .

(٤) هذا ما عرفه الباحث أثناء سيره في أرجاء بلاد السروات خلال العقود الأربعة الماضية .

(٥) الحسبة: هي الأحسبة ، وهي بلدة ووادي في منطقة القنفذة ، ومذكورة في عدد من كتب التراث الإسلامي .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٢٦ .

(٧) ومن مؤلفي كتب التراث القدماء ابن سعد ، والأزرقي ، واليعقوبي ، والهمداني ، وابن خرداذبة وغيرهم فنجدهم ذكروا أمكنة قريبة من عشم مثل: الشدوان ،ووادي يبة وقنونا ، وحباشة وغيرها ، لكنهم لم يشيروا إلى هذه البلاد التاريخية والحضارية ما عدا الهمداني الذي أشار إليها إشارة خجولة .

(٨) انظر الكتاب من مطبوعات مطابع الفرزدق بالرياض (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .

، وقافين بينهما ياء مثناة من تحت ، والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض ووسعه عقيق [١]. ويستطرد ياقوت فيذكر عدداً من الأعقة (الأودية) في الحجاز ونجد ، ونقول إن بلاد السراة مليئة بالأودية التي يطلق على الواحد منها اسم (عقيق) أو (العقيق) ، وهذا ما شاهدته في سروات قحطان ، وعسير، ورجال الحجر، وبلاد غامد وزهران ، وبعض من هذه الأعقة مأهولة بالسكان وغنية بخيراتها الطبيعية مثل وفرة المياه وتنوع النباتات الجبلية والزراعية[٢]. **(١١) عُكَاد، وعُكْوَتَان:** عكاد جبل باليمن قريب من زَبيد، والعكوتان، هما: جبلان مشرفان على زبيد باليمن، ومن أحدهما عمارة اليمني، ومن موضع يقال له الزرائب[٣]. ويقول الراجز:

إذا رأيت جبلي عكاد وعكوتين من مكان باد
فابشري ياعين بالرقادِ[٤].

وقول ياقوت إن عكاد أو العكوتين قريباً أو تشرفان عليٍ زبيد فهذا قول غير صحيح، لأن عكاد أو العكوتين تقعان ضمن منطقة جازان وقريباً من مدينتي الدرب وبيش ، ومدينة زبيد في الجمهورية اليمنية وتبعد عن هذين المكانين حوالي (٣٥٠ـ ٣٨٠) كيلاً ، واليوم لا نجد أي مكان يعرف باسم عكاد ، وفي شرق محافظة صبيا يوجد جبلين صغيرين يعرفان باسم العكوتين ، أحدهما يطلق عليه العكوة اليمانية ، والآخر العكوة الشامية[٥]. **(١٢) عُكاظ :** بضم أوله ، وآخره ظاء معجمة ، وسمي عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار ، وفي عكاظ يقام سوق العرب الشهير، المعروف بسوق عكاظ في الجاهلية وصدر الإسلام [٦]، وهو في محيط حاضرة الطائف، ذكره كثير من مؤلفي كتب التراث، واختلفوا أحياناً في تحديد موقعه الدقيق ، وهو يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الطائف، وأعيد بعثه من جديد منذ عدة سنوات، وأصبح يقام فيه مهرجان سنوي كبير يعرف بـ (مهرجان سوق عكاظ) [٧]. **(١٣) عَكُ :** بفتح

---

(١) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٤، ص ١٣٨ ـ ١٤١ .
(٢) مشاهدات الباحث في بلدان السروات خلال الأربعين عاماً الماضية .
(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٤١، ١٤٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٤٣ .
(٥) هناك جبلان آخران يعرفان بـ (العكوتين) في بلاد بني الغازي بمنطقة جازان ، ولا ندري أيهما يقصد ياقوت الحموي. ونأمل أن نرى باحثين جادين وأساتذة في علم الآثار فيدرسون لنا هذه المواضع التاريخية الحضارية ، وإن فعلوا ذلك فقد يطلعون على معارف لا نجدها في كتب التراث المبكرة .
(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٤٢ .
(٧) لقد شاركت في الموسم الثاني لهذا المهرجان ، عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ومازال هناك غموض في تحديد الموقع

أولـه ، والعـك في اللغة الحبس ، وعك قبيلـة يضاف إليها مخـلاف باليمن ، ومرساها قبالـة جزيـرة دهلـك . وقيل هي عـك بن عدنان بن عبـد الله بن الأزد بـن يشجب بن يعـرب بن قحطـان ، وقيل هو عك بن عدنان بن أدد أخو معـد بن عدنان [١]. وعك من العشائر العربية التهامية التي لها ذكر في الجاهلية ، دخلوا الإسلام ، وجرى لهم أحداث سياسية مع غيرهم في مواطنهم من أرض تهامة ، ولا نعرف مكانهم اليوم ، لكنهم كانوا في أجزاء من تهامة اليمن ، ولهم ذكر في كتب السير والتاريخ والتراث[٢]. **(١٤) عُلْيَب:** بضم أوله ، وسكون ثانيه ، ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة، وآخره باء موحدة ، يذكر أنه موضع في تهامة ، وقال عنه أبو دهبل الجُمَحّي أنه واد فيه نخل ، ويفهم من الشعر الذي قاله أنه يقع جنوب مكة ، قال:

ألا عَـلِـقَ الـقـلـبُ المـتَـيّـم كُـلُـثـماً ... لجوجاً ولم يلزم من الحُب مَلزَما
خـرجـتُ بـهـا مـن بـطـن مكة بـعـدمـا ... أصـاتَ المـنـادي للـصـلاة وأعْـتـمـا
فـمـا نـام مـن راع ولا ارتـد سـامـرٌ ... مـن الحـي حتى جـاوزت بـي يلملما
ومـرّت بـبـطـن الـلـيـث تـهـوى كأنما ... تـبـادر بـالإصـبـاح نَـهْـبـاً مُـقـسَّـمـا
وجـازت عـلـى الـبـزواء والـلـيـلُ كاسرٌ ... جـنـاحـيـه بـالـبـزواء ورداً وأدهـمـا
فـمـا ذَرّ قـرنُ الـشـمـس حتى تبينت ... بـعُـلْـيَـب نـخـلاً مـشـرفـاً ومـخـيـمـا[٣].

وقال أبو دهبل أيضاً:

لقد غال هذا اللحد من بطن عُلَيَب ... فتى كان من أهل الندى والتكرم [٤].

ويذكـر الهمـداني عليـب فيقـول: " هـو واد بين الخبتـين ، خبت البـزواء ، وخبت أذن، وهـو في مساقط بلاد بـارق من غور تهامة"[٥]. وقوله هو مـن مساقط بلاد بارق

الدقيـق لهـذ السـوق ، ونأمل أن يتوصل الآثاريـون إلى دراسة وتحديد موضعه الحقيقـي ، وهو بدون شك يوجد ضمن حاضرة الطائف .

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٢) نأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعة أم القرى ، أو الملك خالد ، أو جازان فيدرس عشيرة عك في بحث أو رسالة علمية موثقة .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٤٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٤٨ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٣ .

غير صحيح ، لأن جل وادي عليب لكنانة وسراته لدوس ، ويسكن أعاليه اليوم بطون من زهران . وأقول: عليب واد من أودية تهامة ، ويطلق على أسفله الشاقة اليمانية قريباً من الساحل ، وتأتي منابعه من سروات زهران ثم يسير غرباً حتى يصب في البحر. وله روافد عديدة . ويوجد عليه عدد من القرى مثل: الحريقة ، والجرين ، والحجرة[١] ، وساحله يسكنه الأشراف في قرية تسمى الشواق ، ومن جبال أعالي وادي عليب جبل نخرة وجُل سكانه من زهران، وجبال حضا[٢] . **(١٥) عَمْـقَ :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره قاف ، عمق الشيء ، أي قعره ، ذكر ياقوت أماكن عديدة بهذا الاسم في الطائف ، والمدينة المنورة ، وفي وادي الفرع بين المدينة وتبوك[٣] .كما يوجد في محافظة البرك قرية صغيرة تسمى عمق ، وهي تبعد عن مدينة القنفذة تجاه الجنوب تسعين كيلاً ، وأعتقد انها بلدة حديثة ، إذا لا نجد لها ذكراً في كتب التراث الأوائل[٤] . **(١٦) عين، أو (العين) :** يذكر ياقوت أمكنة في الجزيرة العربية معروفة باسم (عين) أو (العين) ، ولا نجده يذكر شيئاً من هذه المواضع في تهامة والسراة[٥] . وأقول إن الأوطان السروية والتهامية مليئة بالأسماء التي تعرف بالعين ، أو عين كذا ، وهذا ما عرفته وشاهدته أثناء تجوالي في هذه البلاد من نجران إلى الطائف ، ومن جازان إلى مكة المكرمة ، فلا تخلو أي سراة من هذه البلاد أو ناحية من تهامة إلا ويذكر فيها مواضع تسمى باسم عين أو العين[٦] . **(١٧) الغبغب :** بتكرير الغين المعجمة والباء الموحدة ، ويقال كان الموضع الذي ينحر فيه للات والعزى بالطائف ، وخزانة ما يهدى إليهما بها [٧] . وقد سألت بعض أعيان ووجهاء الطائف عن هذا الاسم فذكر لي بعضهم أنهم لا يعرفون اليوم أي موضع بهذا الاسم [٨] . **(١٨) الغَوْر:** هي تهامة ، وقيل إن الغور تهامة مما يلي اليمن [٩] . ونجد عشرات المصادر والمراجع تفصل الحديث عن

---

(١) الحجرة من بلدان تهامة زهران ، ولها واد يسمى باسمها ويصب في عليب من الشمال الشرقي ، وهي اليوم مدينة توجد فيها الكثير من الخدمات ، ومؤخراً صارت محافظة تتبع لإمارة منطقة الباحة .

(٢) مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٥٦ .

(٤) مشاهدات الباحث في أوائل عام (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م) .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٧٤. ١٨١ .

(٦) مشاهدات الباحث وسيره في بلدان السراة وتهامة خلال الأربعة عقود الماضية .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٨٥ .

(٨) هذا ما حدث أثناء زيارتي بلدة الطائف في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

(٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

الغـور أو تهامـة ، فهناك مـن حدد موقعهـا ، وطبيعتها ، وذكر سكنهـا ، واختلافها عن السـراة ، أو علاقتهـا الجغرافية والاجتماعيـة بالسروات ، وتهامة المعنيـة في دراستنا هـي واسطـة العقد للأغـوار أو التهائم الممتدة مـن اليمن إلى الشام. ونقـول إن تهامة (الغور) جديرة إلى أن تدرس تاريخياً وحضارياً منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر[١]. **(١٩) فَرَسان :** بالفتح والتحريك ، وآخره نون[٢]، وهي جزيرة أو جزر في البحـر الأحمر، وتتبع إدارياً إمارة منطقة جـازان، ويستوطنها لفيف من السكان ، ولها تاريخ سياسي وحضاري يعود إلى ما قبل الإسلام ، وهي من المنتجعات الرئيسية لمنطقة جـازان أو من يرتادها مـن الزوار والسواح وغيرهم[٣]. **(٢٠) فَيفَـاء :** بالفتح وتكرير الفـاء ، ذكـر ياقوت مواقع عديدة عرفت بهذا الاسـم ، وبعضها في بلاد الحجاز، ودون أشعاراً عديدة لكثيّر عزّة يذكر فيها اسم فيفا ، فقال :

وقـد علـمت تـلـك المطـيـة أنـكـم متى تسلكوا فيفا رشاد تحـردوا [٤].

ولا نجـد ذكراً لفيفاء وجبالها الشاهقة الواقعـة في الناحية الشمالية الشرقية من منطقـة جازان ، ويبلـغ ارتفاع هذه الجبال أكثر من ستة آلاف قـدم فوق سطح البحر ، ويستوطن بلاد فيفاء العديد من العشائر العربية الماجدة ، وجزء من جبالها يشتبك مع بعضـ الجبال في الجهوريـة اليمنية ، وهذه الجبال غنية بثرواتهـا النباتية والحيوانية، ولهـا تاريخ سياسـي وحضاري مذكور في بعضـ المصادر اليمنية وغيرهـا من المصادر والمراجع العربية والأجنبية [٥]. **(٢١) قَرَما :** بالتحريك والتخفف ، وميم بعدها ألف ، والقرم الأكل الضعيف ، ويقال إنها قرية بوادي اليمامة[٦] ، ولايذكر ياقوت موضعاً بهذا الاسم في السراة أو تهامة ، وأقول إن في منطقة القنفذة واد يعرف باسم (قرماء) ، في آخـره همزة ، وتأتـي مسائله من تهامة غامد وزهران ويصب في البحر ، ويستوطن هذا

---

(١) لقـد سرت كثـيراً في بلاد الغور (تهامة) وشاهدت الكثير من نقوشهـا وتاريخها وحضارتها وهي فعلاً جديرة بالبحث والدراسة.

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٢٥٠ .

(٣) جزر فرسان تستحق أن يفرد لتاريخها وحضارتها العديد من الكتب والبحوث العلمية ، ونأمل من جامعة جازان أن تدعم وتشجع من يقوم بذلك .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٨٥ .

(٥) هنـاك بعض البحوث والكتابات والدراسات عن تاريخ وجغرافية وحضارة بـلاد فيفاء ، ومازالت بحاجة إلى دراسة علمية موثقة ، ونأمل من جامعات الجنوب السعودي أن تلتفت لدراسة مثل هذه المواضع الجديرة بالبحث والدراسة .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٢٩-٣٣٠ .

الـوادي سكان من قبائل زهـران وزُبيد وبعض الأشراف ، ولا نجـد أحداً من المتقدمين يذكر هذا الوادي أو هذا المكان ، وربما كان انعزال أجزاءٍ عديدة من تهامة والسراة هو الذي جعل المؤلفين الأوائل لا يعرفون عنها شيئاً . **(٢٢) قَرْن:** بالفتح ثم السكون ، وهو ميقات أهل اليمن والطائف ، يقال له قرن المنازل ، قال عمر بن أبي ربيعة :

ألم تسـأل الـرَّبْـعَ أن ينطقا بقـرن المنـازل قـد أخْـلـقَـا؟[١].

وقـرن المنازل اليوم ضمن حاضرة الطائف ، وعلـى مقربة من أعالي جبال الهدى التـي يمـر بها طريق مزدوج يربط الطائف بمكة المكرمـة ، ويطلق على هذا القرن اسم وادي المحـرم ، ويوجد به بعض المنازل السكنيـة، وبه جامع كبير في مكان الميقات مزود بالعديـد من الخدمـات مثل دورات المياه ، وأماكن للغسـل ، ومواقف للسيارات ، وبعض الباعـة الذيـن يبيعـونٍ للـزوار والمعتمرين مـا يحتاجونه أثنـاء أدائهـم مناسك الحج والعمـرة[٢]. **(٢٣) القنفذة :** يقال أنها من مياه بني نمير[٣]. ونقول إن القنفذة بضم القـاف والفـاء، وإسكان النـون ، وفتح الذال المعجمة ، بعدها التـاء المربوطة ، هي بلدة قديمـة عرفت في اليمـن، وهناك بلدة على ساحـل البحر الأحمر جنوبـي مدينتي مكة المكرمـة وجدة بحوالي (٣٠٠) كيـل ، وهذه الناحية الأخيرة عرفـت منذ نهاية العصرٍ الإسلامـي الوسيـط ، وعندما نبحث عنهـا في بعض المصادر المبكـرة لا نجد لها ذكراً مـع أنهـا تقع عند مصب وادي قنونا في البحر الأحمـر . ومنذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) علا صيتها وازدادت شهرتها ،وبدأ يتردد ذكرها في العديد من المصادر ، ومنذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) صار لها دور حضاري وسياسي ليس في بلاد تهامة ولكن على جميع بلدان السراة الممتدة من الطائف إلى نجران ، بل عرفت في بعض الوثائق بأنها بوابة السراة ، أو ميناؤها الرئيسي. واليوم أصبحت من المدن الرئيسية في تهامـة ، وهي إحدى محافظات مكة المكرمـة ، ويوجد فيها معظم الخدمات والمؤسسات الإدارية ، ولها مستقبل زاهر إذا خدمت حضارياً وتنموياً ، وهذا ما يتطلع إليه أهلها[٤].

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٣٢ . يذكر ياقوت أسماء وأماكن عديدة عرفت باسم (القرن) ، المصدر نفسه ، ج٤، ص ٣٣٢- ٣٣٣ .

(٢) يتردد الباحث على هذا الميقات منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي ، وكان وضعه في الماضي مزرياً ، فلا خدمات ، ولا مرافق جيدة للمعتمرين ، واليوم أصبح الميقات مزوداً بكل الخدمات التي يحتاجها الحاج والزائر للبيت الحرام .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤٠٨ .

(٤) للمزيـد انظـر: كتابنا الموسوم بـ بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥م) ، ص٢٠ وما بعدها ، والقنفذة بحاجـة إلى بحـوث علمية توثيقيـة . ونأمل من جامعات الجنـوب أن تخدم هذه الناحيـة وغيرها من النواحي الجديرة بالبحث والدراسة .

(٢٤) الكُلاب : بالضـم ، وآخره باء موحدة، والكلاب من أيام العرب المشهورة ، ومنها الـكلاب الأول ، والـكلاب الثـاني ، وأشهرها الثاني ، الذي وقع بـين بني تميم وبين بني الحارث بن كعب ، وانهزم فيه بنو الحارث وأسر قائدهم عبد يغوث بن صلاءة الحارثي، الذي قال في أسره قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أيـا راكبـاً إمـا عـرضـت فبلغن   نـدامـاي مـن نجـران أن لا تلاقيا

أبـا كَـرِبٍ والأيـهـمـين كليهما   وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا

أقـول وقـد شـدوا لسـاني بنسعة   معاشر تيمٍ أطلقوا عن لسانيا[١].

خامساً: حروف اللام، والميم، والنون، والواو، والهاء، والياء:

(١) اللات : هـو اسم صنـم كانت تعبده ثقيف ، ويقال إن الـلات رجل من ثقيف فلما مـات ، قالـوا أنه لم يمت وإنما دخل الصخرة ، وصارت من الأصنام التي يعبدون ، وقد ورد اسم اللات في القرآن ، وعندما أسلم أهل الطائف أرسل الرسول (ﷺ) إليها أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماه[٢]. وذكرت اللات في عدد من التفاسير وبعض كتب التراث الإسلامـي ، ولا نجـد لهذا الاسم ذكراً اليوم . **(٢) لوي طفيـل:** واد بين اليمن ومكة ، قتل فيها هلال الخزاعي عبدة بن مرارة الأسدي غيلة في قصة يطول شرحها، فقال هلال :

أبـلـغ بـني أسـد بـأن أخـاهـم   بـلـوى طفيـل عـبـدة بـن مـراره

يـروي فـقيرهـم ويمـنـع ضيمهم   ويـريـح قبـل المعتمين عشاره[٣]

ولا نـدري أين يقـع هذا الموضع ، لكن المتجـول في سروات الباحـة وعسير وأجزاء من تهامـة يجد أمكنة يطلـق عليها وادي طفيل ، وشعب طفيل، أو شعبة الطفيل ، أو راس طفيل وفي هـذه البـلاد كان يسمى بعض أبنائهـم طفيل أو الطفيـل ، وهو تصغـير (طفل)[٤].
(٣) الليْث : بكسر اللام ثم الياء الساكنة ، والثاء المثلثة من الفعل لاث يلوث وهو واد بأسفل السراة يدفع في البحر ، أو موضع بالحجاز ، قال غاسل ابن غزية الحربي الهذلي :

---

(١) ياقـوت ، معجـم البلـدان ، ج٤، ص ٤٧٣-٤٧٤ . ويوم الكلاب الثاني سمي أيضـاً بأسماء أخرى عديدة مثل: يوم ثيتل ، ويوم حر الدوابر وغيرها .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٢٤ .

(٤) هذا ما عرفه الباحث وسمعه أثناء سيره في نواحي عديدة من تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الماضية .

وقد أنال أمير القوم وسطهم   بالله يمطو به حقاً ويجتهد

تراجعا فتشجوا أو يشاج بكم   أو تهبطوا الليث إن لم يعد باللدد[١].

وأقول: بلدة الليث تنسب إلى واديها ، وهو واد كبير يأتي من سروات جنوب الطائف ثم يسير في منطقة الأصدار ثم الخبت حتى يصب في البحر . وحاضرة الليث تبعد عن مكة نحو الجنوب حوالي (١٨٠-١٩٠) كيلاً ، وهي من المحافظات التابعة لإمارة منطقة مكة ، وفيها مناطق عديدة صالحة للزراعة ، ويوجد بها معظم المؤسسات الإدارية ، وإذا كان ياقوت وغيره قد ذكروا اسم (الليث) ، فالمقصود وادي الليث الذي يهبط من بلاد السراة ، أما مدينة الليث فاسمها معروف منذ القدم ، لكن لا نعرف متى أصبحت بلدة مأهولة بالسكان ، وفيها اليوم حركة اقتصادية وحضارية نشطة[٢]. **(٤) لِيَة :** بالكسر، وتخفيف الياء، وهو واد لثقيف ، قال الأصمعي : "**لية واد قريب بالطائف أَعلاه لثقيف وأسفله لنصر بن معاوية**". وأقول: أن ليه واد يقع جنوب الطائف بحوالي (١٠-١٥) كيلاً ، ومازال اسمه لية إلى اليوم ، ويسكنه بعض من قبائل الطائف مثل ثقيف وغيرها ، وفي بلدة لية تنمية حضارية وعمرانية حسنة[٣]. **(٥) مخلاف أومخاليف وادعة، ويام، وجنب، وسنحان، وزبيد، ونهد :**[٤] يذكر ياقوت هذه المخاليف، أو البلدان الممتدة من نجران جنوباً إلى شمال بلاد قحطان وأجزاء من شهران ، وهذه النواحي تنسب إلى القبائل التي تستوطنها، ومازال أهلها يسكنونها حتى الآن ، وذكر هذه الأوطان وسكانها عدد من المصادر الإسلامية المبكرة مثل كتب النسب كابن الكلبي وغيره ، وبعض مؤلفات الرحالة والجغرافيين الأوائل ، وفي مقدمتهم الهمداني الذي أسهب في الحديث عن طبيعة بلادهم ، وأنسابهم ، وشيء من تاريخهم وحضارتهم [٥]. **(٦) مَذْحِج :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ،وكسر الحاء المهملة ، وجيم [٦]. ومذحج قبيلة عربية قحطانية

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٨ .

(٢) وادي الليث له روافد عديدة ، وهناك العديد من الجبال والقرى المتناثرة في محافظة الليث ، والبعض منها يظهر عليها القدم التاريخي . وبلاد الليث فقيرة في ميدان البحوث والدراسات ونأمل من جامعة أم القرى أن تدعم وتشجع بعض أساتذتها وطلابها لدراسة هذه الناحية التي لها ذكر في كتب التراث المبكرة ، ولها نشاط تاريخي وحضاري خلال القرون الثلاث الماضية .

(٣) مشاهدات الباحث وزيارته لوادي وبلدة لية في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٧٠ .

(٥) وأقول أن هذه الأوطان السروية الممتدة من نجران إلى بيشة مازالت بحاجة إلى دراسات تاريخية وأثرية وحضارية علمية موثقة، ونأمل من جامعات نجران ، والملك خالد ، وبيشة أن توجه أساتذتها وتدعمهم وتشجعهم لدراسة مثل هذه البلاد ذات العراقة التاريخية .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٨٩ .

امتــدت من بطن اليمن إلى قرب وادي الدواسر وبيشة وأبها ، ولها تاريخ عريق ، وخرج منها فرسان وشعراء وقادة وعلماء ، وبعض من قبائل قحطان الحالية تعود أنسابها إلى تلـك القبيلة العربية المذحجيـة القديمة[(١)]. **(٧) المعمل:** قرية مــن أعمال مكة ، ويقال لبنــي هاشم في وادي بيشة ملك يقال له المعمــل[(٢)]. ويسرد ياقوت قصة هذا المكان وما يوجـد فيه من الخـير والمياه والزروع ، ومــا جرى فيه من صراعات بــين بعض العشائر التــي تسعى للسيطــرة عليه في عصر الدولة الأموية، وما قام بــه الخليفة الأموي هشام بــن عبد الملك عندما أرســل إلى هذا المكان عدداً من العبيد لخدمته والحفاظ عليه من اعتــداءات العشائر، وينهي ياقوت حديثــه بقوله " **إن مطلوباً معمل يعمل فيه، فذهب اسمه المعمل إلى اليوم**"[(٣)]. ثم يذكر شعراً للعجير السلولي في هذا المكان (مطلوب) أو (المعمل) فيقول :

لا نــوم للعــين إلا وهــي ساهــرة ... حتى أصيب بغيظ أهــل مطلوب

إن تشتموني فقد بـدلت أيكتـكم ... زرق الـدجـاج وتجـفـاف اليعاقيب

قد كنت أخبرتكم أن سوف يعمرها ... بـنـو أمـيـة وعــداً غـير مـكـذوب[(٤)].

ولا نجـد اليــوم في بيشــة مكاناً يعـرف باسم المعمــل أو مطلـوب ، ويتضح من هذه الروايــة التي سردهــا لنا ياقوت إن بيشــة كانت من المواضع التي نالــت اهتمام ورعاية الخليفــة الأمــوي الــذي أرسل إليها بعضــ الموالي والعبيــد الذين يشرفــون على خدمة وحماية ثرواتها وخيراتها الاقتصادية[(٥)]. **(٨) ملكان :** بلفظ تثنية الملك واحد الملائكة: جبل بالطائف ، وقيل مليكان ، بكسر اللام ، واد لهذيل على ليلة من مكة وأسفله لكنانة، وقيــل مَلكان جبل في بلاد طيئ، وكان يقال له ملَّــكان الروم ، لأن الروم كانت تسكنه في الجاهليــة[(٦)]. وأقول: وادي ملكان يأتي جنــوب مكة بحوالي (٥٥-٦٠) كيلاً ، وله منابع

---

(١) نأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد فيدرس جذور تاريخ هذه القبيلة العربية في الجاهلية والقرون الأولى من عصر الإسلام .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ١٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٥٨ـ ١٥٩ .

(٥) أقول إن بلاد بيشة بجميع جبالها وأوديتها وبلداتها جديرة بالبحث والدراسة ، وتستحق أن يصدر عنها عشرات الدراسات، ونأمل من جامعة بيشة أن تقوم بهذه المسؤولية على خير وجه فتؤسس مراكز بحثية نشطة تعمل على دراسة موروث هذه البلاد العربية الإسلامية .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص١٩٤ .

تأتي من سروات هذيل قريباً من الطائف ، وتسير في بلاد الخبت حتى تصب في البحر ، ومازال يعرف بهذا الاسم حتى اليوم(١). **(٩) المنطبق :** صنم كان لعك والأشعريين وهو من نحاس يكلمون من جوفه ، فلما كُسر في صدر الإسلام وجدوا فيه سيفاً فاصطفاه الرسول (ﷺ) ، وسماه مخذماً(٢). والأشعريون وعك من أهل تهامة، في البلاد الممتدة من جنوب جازان إلى داخل بلاد اليمن الحديثة ، ولا ندري لماذا سمي هذا الصنم بهذا الاسم؟ هل هو نسبة إلى مكان أو إنسان أو شيء آخر(٣). **(١٠) مَوْر:** بالفتح ثم السكون ، وآخرة راء ، وقال عمارة : مور وذو المهجم والكدراء والوديان هذه الأعمال الأربعة جل الأعمال الشمالية من زَبيد(٤). ومور واد كبير من أودية تهامة اليمن القريبة من منطقة جازان(٥) ، ويسكنه العديد من القرى والعشائر اليمانية (٦). **(١١) المَهْجَم:** بلدة وولاية من أعمال زبيد ، وأكثر أهلها خولان(٧). والمهجم بفتح فسكون آخره ميم ، كانت مدينة عامرة من أمهات مدن الجزء الشمالي من تهامة اليمن القريبة من أرض المخلاف السليماني ، واليوم أصبحت مندثرة ومهجورة . **(١٢) مَهْجَرَة :** بالفتح ثم السكون ، وجيم مفتوحة ، وهي بلدة في أول أعمال اليمن (٨). وتقع في شمال بلاد وادعة بعد قرية الغيل من جهة الشمال ، ويأتي بعدها قرية الطلحة ، وقد تبدل اسمها اليوم إلى (المهاجرة) ، وهي قرية كبيرة يستوطنها لفيف من الناس ، ويوجد بها العديد من الخدمات الحكومية مثل المدارس وغيرها(٩). **(١٣) : نجْرَان:** بالفتح ثم السكون ، وآخره نون ، ويفصل ياقوت الحديث عن نجران ، سبب تسميتها بهذا الاسم ، ونسبتها إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن قحطان ، وهي من مخاليف اليمن من ناحية مكة ، ثم

---

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض الهذليين في المنطقة الواقعة بين مكة والطائف في شهر صفر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) .
(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢١٢ .
(٣) أقول إن تاريخ الأديان والأصنام في بلاد تهامة والسراة قبل الإسلام من الموضوعات التي لم تدرس ، وتستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيتولاه بالبحث والتوثيق .
(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٢٠ -٢٢١ .
(٥) من أودية منطقة جازان الرئيسية وادي عتود ، ووادي بيش، ووادي جازان ، ووادي خلب ، وأودية أخرى كثيرة في عموم الأوطان الجازانية . مشاهدات الباحث وسياحته في بعض مناطق جازان خلال سنوات ماضية من هذا العقد .
(٦) للمزيد عن موقع مور وأهميته الحضارية انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٧٥، ١١٤، ١٢٣، ١٤٧، ٢٥٨، ٣٤٨، ٣٨١ .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٢٩ .
(٨) المصدر نفسه ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٢٩ .
(٩) رحلة في محافظة ظهران الجنوب من (١١/٢٩ - ١٤٣٧/١٢/٢هـ) .

يذكر قصة ذي نواس واحراقه نصارى نجران ، وكيف أسلم أهلها ؟ ، وقصة نصارى نجران في عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين [(١)]. ونجران إلى الشرق والجنوب الشرقي من منطقة عسير ، ولها تاريخ طويل خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة ، وهي إحدى المناطق الرئيسية اليوم في المملكة العربية السعودية ، ويوجد بها جامعة ومطار إقليمي وجميع المؤسسات الحكومية والأهلية [(٢)]. **(١٤) نَعْمَان:** بالفتح ثم السكون، وآخره نون ، هو وادٍ بين مكة والطائف، ويقول الشاعر فيه:

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا فقد أضحى هوانا يمانيا

نسائلكم هل سال نعمان بعدنا ... وحب إلينا بطن نعمان واديا

عهدنا به صيداً كثيراً ومشربا ... به ننقع القلب الذي كان صاديا[(٣)].

ووادي نعمان من أودية الحجاز ، وهو يقع على الطريق السريع الذي يربط بين الطائف ومكة، ومنابعه تأتي من أعالي جبال الطائف ، ويسير حتى يمر من جنوب عرفة، ثم يتصل بعرنة ، ويتغير الاسم إلى (وادي عرنة) ، (ويطلق على وادي نعمان قديماً (نعمان الأراك) ، وذلك لكثرة شجر الأراك فيه [(٤)]. **(١٥) وَجُّ:** بالفتح ثم التشديد، والوج في اللغة: عيدان يتداوى بها ، ووج هو الطائف أو واد في الطائف، ووج نسبة إلى وج بن عبد الحق من العمالقة ، وقيل من خزاعة . قال فيه أبو الصلت والد أمية يصفه [(٥)].

نحن المبنون في وج على شرف ... تلقى لنا شفعاً منه وأركانا

إنا لنحن نسوق العير آونة ... بنسوة شعث يزجين ولدانا[(٦)].

وقال عروة بن حزام:

أحقاً يا حمامة بطن وج ... بهذا النوح إنك تصدقينا

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٦٦-٢٧٠ .

(٢) للمزيد انظر: غيثان بن جريس . نجران (ق١-ق٤هـ) ، ص ٢٣ وما بعدها ، المؤلف نفسه ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١-ق١٠هـ) ، ج٢، ص ٢٩٩-٣٥٦، للمؤلف نفسه ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) ، ج٨، ص ١٥-٧٠ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٩٣ .

(٤) تجوال الباحث في هذا الوادي في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٦١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٣٦١ .

غلبتك بالبكاء لأن ليلي أُواصِلُهُ وإنك تهجعينا
وإني إن بكيت بكيت حقاً وإنك في بكائك تكذبينا[١].

ووج حي من أحياء الطائف اليوم ، وهو مكتظ بالسكان ، ويوجد به جميع الخدمات من أسواق وحدائق وبعض المؤسسات الإدارية مثل: المدارس ، والمستوصفات الحكومية والخاصة وغيرها[٢]. **(١٦) الوَشَل:** بالتحريك ، واللام ، والوشل الماء القليل ، ويقال الوشل اسم جبل عظيم بناحة تهامة وفيه مياه عذبة[٣]. وأثناء تجوالي في مناطق جازان ، وعسير، والباحة ، والقنفذة سمعت بعض الناس في تلك النواحي يذكرون اسم (الوشل) ، والمقصود به أمكنة في بعض الجبال والأدوية والنواحي يجتمع فيها مياه عذبة ، ترتادها بعض الطيور والسباع وأحياناً الحيوانات الأليفة ، واسم وشل يطلق على أماكن عديدة في هذه المناطق الجنوبية السعودية [٤]. **(١٧) الهَدّار :** بتشديد الدال ، ويذكر أن الهدار من نواحي اليمامة ، وبها كان مولد مسيلمة بن حبيب الكذاب[٥]. وأقول: إن الهدار اسم جبل في سروات عسير ، وفي الجزء الشمالي من بلاد بللسمر السروية [٦]. وربما كانت هناك أمكنة أخرى في تهامة والسراة تسمى بهذا الاسم. **(١٨) هرْجَاب:** بالكسر ثم السكون ، والجيم ، وآخره باء موحدة ، وهو العظيم الضخم من كل شيء، يقول فيه الشاعر:

إلا أن خير الناس رسلاً ونجدة بهرجاب لم تحبس عليه الركائب[٧].

وأقول: هرجاب واد ، وهو أحد روافد وادي بيشة، يقع شمال خميس مشيط بحوالي (١٥٠) كيلاً، وجنوب بيشة بحوالي (٨٠) كيلاً ، وسكانه عشيرة بني واهب من شهران ، ويتبع إداريا محافظة بيشة ، ويوجد فيه معظم الخدمات التعليمية والإدارية والصحية[٨]. **(١٩) هَرُوب:** من قرى صنعاء[٩]، وأقول هروب ناحية من

---

(١) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٣٦٢ .
(٢) هذا ما شاهده الباحث أثناء زيارته للطائف في عامي (٣٦، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥-٢٠١٦م).
(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٧٧ .
(٤) هذا ما سمعه الباحث وشاهده في أكثر من ناحية من مناطق الجنوب السعودي .
(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٩٤ .
(٦) جبل مرتفع في سروات بللسمر ، ويمر به طريق الأسفلت الذي يخرج من أبها إلى تنومة ثم النماص .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٩٧ . .
(٨) سار الباحث في جنبات وادي بيشة في إحدى الزيارات التي قام بها إلى محافظة بيشة عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) .
(٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤٠٣ .

نواحي منطقة جازان ، وهي اليوم محافظة في الجهة الشرقية من المنطقة ، وتبعد عن مدينة جازان حوالي (١١٠) كيلاً تقريباً ، ويسكنها عدد من العشائر مثل: الصهاليل، والعزيين وغيرهم، ويوجد في هذه البلاد العديد من المواضع السياحية الجميلة ، وفيها من يمارس مهن الرعي والزراعة[١]. **(٢٠) هُضَاض:** بالضم والكسر ، وتكرير الضاد المعجمة ، والهض: سرعة سير الإبل ، والهضاضَ ، اسم موضع ، قال تأبط شراً:

إذا خلفت باطنتي سرار وبطن هضاض حيث غداً صباح[٢].

ويشير الهمداني أن هضاض ناحية تقع بين نجران وصعدة ، وأقول أيضاً إن هناك طريقاً تربط بين سروات حداد بني مالكٍ جنوب الطائف وبلدة أضم في تهامة ، ويجري الآن العمل فيها حتى تكون شرياناً حيوياً يربط بين تهامة والسراة في تلك النواحي[٣]. **(٢١) يَبَة:** بالتحريك ، يبه وعليب قريتان بين مكة وتبالة[٤]. قال كثير يرثي صديقه خندفاً الأسدي:

عداني أن أزورك غير بغض مقامك بين مصفحة شداد

وإني قائل إن لم أزرهم سقت ديم السواري والغوادي

بوجه أخي بني أسد قنونا إلى يبة إلى برك الغماد[٥].

وقول ياقوت: (بية بين مكة تبالة) غير صحيح ، والصواب أنه بين مكة وحلي ، وهو إلى حلي وواديها أقرب . وهناك من نطق الكلمة بعدة أشكال مثل: يبه ، يبة ، يبت ، يبا ، والصواب هو ما ذكره ياقوت (يبة) . ووادي يبة من الأودية الكبار الذي تأتي منابعه من سروات رجال الحجر وبخاصة بني شهر وبني عمرو ، ويسير غرباً بين واديي قنونا وحلي حتى يصب في البحر الأحمر جنوب حاضرة القنفذة ، والوادي له روافد عديدة من أعالي السروات حتى تهامة ، ويستوطنه العديد من العشائر الأزدية القحطانية

---

(١) زيارة الباحث لمناطق هروب وما حولها في شهر جمادى الأولى من عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). للمزيد انظر: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الرابع ، ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤٠٦-٤٠٧ .

(٣) انظر الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٥ . كما سمع الباحث بعض الأخبار من بعض المالكين في مدينة الطائف عن عقبة هضاض التي يجري العمل فيها حالياً .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤٢٨-٤٢٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٤٢٩ .

والكنانية العدنانية [١]. **(٢٢) يَلَمْلَم :** ويقال ألملم ، والململم المجموع ، موضع على ليلتين من مكة ، وهو ميقات أهل اليمن ، وفيه مسجد معاذ بن جبل ، ويقال جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث ، وقيل هو واد هناك [٢].

ويلملم واد من أودية الحجاز التهامية ، وتأتي منابعه من سروات بني سفيان ، حوالي ثلاثين كيلاً جنوب غربي الطائف ، ويسير غرباً فيمر بالسعدية ،التي هي بلدة يلملم قديماً ، ومازالت تعرف بالسعدية حتى اليوم ، ثم يصب في البحر الأحمر جنوب جدة . وفي هذا الوادي الكثير من الأشجار وبخاصة شجر الأراك ، ولا يخلو من بعض الأراضي الزراعية ، ويستوطنه عشائر من هذيل وبني فهم وبعض الأشراف [٣]. وفي يلملم يقول أبو دهبل الجمحي :

سريت بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادي للصلاة وأعتما

مما نام من راعٍ ولا ارتد سامرٌ ... من الحي حتى جاوزت بي يلملما [٤].

وقال طفيل :

وسَلَهَبَة تنضو الجياد كأنها ... رداةٌ تدلّت من فروع يلملما [٥].

(٢٣) اليمن : بالتحريك ، قال الشرقي: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها ، ويقال إن الناس كثروا بمكة لم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن ، وهي أيمن الأرض فسميت بذلك . ويقول ياقوت ، قولهم تيامن الناس فسموا اليمن فيه نظر ، لأن الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار ، فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين ، وكذلك الجهات الأربع ، إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فإذا يصح [٦]. وقال الأصمعي : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشِّحْر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة ، وبينونة : بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن ، وقيل: حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن وادي يبه والبلاد التي يمر من خلالها انظر: غيثان بن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٢٥ وما بعدها ، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢، ص ٣٣١ ومابعدها .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤٤١ .

(٣) مشاهدات الباحث ومروره من السعدية (يلملم) مرات عديدة خلال السنوات الماضية .

(٤) عاتق البلادي ، بين مكة واليمن ، ص ٢٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٨ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤٤٧ .

إلى صنعاء ، وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود ، واليمن تجمع ذلك كله [١]. وأقول إن بلاد اليمن أرض واسعة في جنوب الجزيرة العربية ، وهي البلاد المعروفة بحواضرها الرئيسية مثل: صعدة ، وصنعاء ، وتعز ، وعدن وزبيد وغيرها ، ونجد المصادر الجغرافية والتاريخية المبكرة تفصل الحديث عن أقاليمها ، ومدنها وحضارتها وصلاتها مع غيرها من البلدان، كما أن كثيراً من كتب التراث الإسلامي أسهبت الحديث عن اليمنيين داخل بلادهم وخارجها . ومن يستقرئ تاريخ وحضارة اليمن منذ العصر القديم وعبر أطوار التاريخ الإسلامي يجد أنه ظهر فيها العديد من الحضارات والدول المتفاوتة في عصورها وإنجازاتها وسياساتها وعقائدها . وللأسف أن من ينظر في أحوال اليمن اليوم يحكم على تخلف هذه البلاد وشعبها ، ولا يعرف حضارتها وأمجادها التاريخية العريقة منذ عصور ما قبل الإسلام ، وكيف كانت مطمعاً لكثير من الإمبراطوريات والدول الكبرى قديماً مثل: الروم ، والأحباش، والفرس وغيرهم [٢].

رابعاً: آراء ووجهات نظر :

أشرنا في هذا القسم إلى الكثير من الموضوعات التي احتوتها بعض كتب التراث الإسلامي، والموجودة في محيط بلدان تهامة والسراة الممتدة من نجران وجازان إلى مكة المكرمة والطائف. ونحن بهذا العمل نلفت نظر الباحثين والدارسين وطلاب الدراسات العليا إلى أن هذه الديار يوجد فيها بلدان قديمة لها تاريخ وحضارة ، وبعضها مازال يعرف بالاسم الذي ورد في المصادر القديمة ، والبعض الآخر اندثر ولا نجد له ذكراً ، كما أن هناك مواضع كانت صغيرة ومحدودة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، واليوم أصبح الاسم القديم يطلق على أرض واسعة مثل: الطائف، ونجران ، وبيشة ، وصبيا ، والبرك ، وبيش وغيرها . ونأمل أن نرى باحثين جادين ومجتهدين فيدرسون هذه البلدان دراسة علمية موثقة . كما نأمل من الجامعات المحلية وطلابها وأقسامها الأكاديمية وبخاصة طالبات وطلاب الدراسات العليا وكذلك أعضاء هيئة التدريس أن يلتفتوا إلى دراسة هذه الأمكنة المذكورة في هذه الدراسة ، وأقول إن بعضها يستحق أن يصدر عنها رسائل وبحوث أو كتب في مئات الصفحات . (والله من وراء القصد) .

---

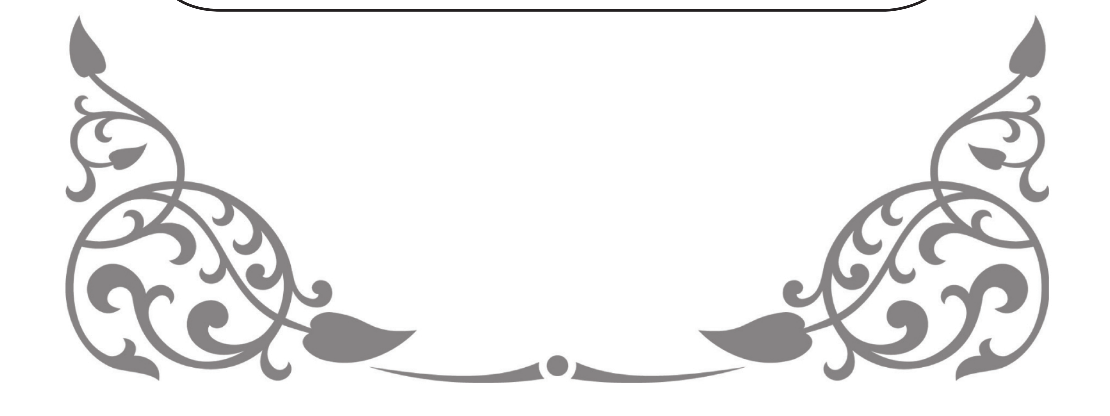
(١) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٤٤٧ .

(٢) بلاد اليمن عريقة في تاريخها وحضارتها ، وللأسف تعاقب عليها حكومات ودول خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة فأرهقت أهلها ودمرت ممتلكاتها وحضارتها ، مع أنها بلاد ذات أصالة وعمق تاريخي عظيم .



القسم الثاني

دراسات، وتحقيقات، وتصويبات على بعض الأوطان والأمكنة والبحوث عن أجزاء من تهامة والسراة



القسم الثاني

دراسات، وتحقيقات، وتصويبات على بعض الأوطان والأمكنة، والبحوث عن أجزاء من تهامة والسراة.

أولاً: مدخل:

في هذ القسم ننشر أربعة موضوعات: الأول والرابع للأستاذ علي بن سدران الزهراني الذي فصل الحديث في عمله الأول على أوطان عشيرة دوس وغيرها من عشائر زهران الأزدية، كيف كانت في الجاهلية؟ وكيف حظيت بالسبق ودخولها في الإسلام؟ وفي مشاركته الأخرى أورد تصويبات وإضافات وانتقادات قيمة على المادة التاريخية المنشورة في المجلد التاسع من سلسلة كتاب: **القول المكتوب في تاريخ**

الجنـوب. أما الدراسة الثانية فهي لأستاذ أكاديمي ومتخصص في التاريخ الإسلامي، إنـه الدكتـور/ محمد بن منصور حاوي الذي قصر دراسته على: (**قلعة الثريا ودرب جازان العليا في ضوء المصادر التاريخية**). أما الدراسة الثالثة فهي لباحثين مجتهدين همـا :(١) الأستاذ عبدالله بن حسن الرزقـي القرني.(٢)الأستاذ أحمد بن مريف آل سعيـد البارقي اللـذان زودانا ببعض القـراءات والتفصيلات عن موقـع سوق حباشة. وهـذان الباحثان مشكوران على ما درسا وناقشا عن هذا السوق التاريخي، ولكل منهما وجهة نظر، ونأمل أن نصل إلى القول الصحيح عن موقع هذا السوق القديم .[١]

ثانيـاً: صور من تاريخ وحضارة بـلاد دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام[٢]. بقلم أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني[٣].

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	تمهيد	٩٩
ثانياً:	صـور مـن تاريـخ وحضـارة عشـيرة دوس وغيرها مـن عشائر زهران في الجاهلية والإسلام	١٠٠
ثالثاً:	الخلاصة	١٣٣

أولاً: تمهيد:

أوطـان زهران إحدى أجزاء بلاد السـراة وتهامة ، وتقع إلى الشمال من قبائل غامـد وبني عمر. وسكانها هم أزد السراة الذين تعـود أصولهم إلى بلاد اليمن. ولهذه الديـار تواريخ سياسية وحضارية متنوعة، ومن أشهـر وأقدم قبائلها عشيرة دوس التي

(١) وصلتنا أقوالٌ ووجهات نظر أخرى مختصرة عن هذا السوق ، وهي من باحثين وطلاب مجتهدين ، لكن ينقصها الدقـة في الرصد والتوثيـق لهذا إكتفينا بدراستي الرزقـي والبارقي لاشتمالهما على بعضـ الإجراءات العلمية الأكاديميـة. ونأمل من كل باحث جاد ومجتهد أن يوثـق معلوماته من مصادر علمية قديمة وموثوقة ، ولا يقصر دراسته واطلاعه على مراجع ثانوية ينقصها الدقة والتوثيق. (ابن جريس).

(٢) العنـوان الـذي أرسل لنـا صاحب البحث هو : قبيلة دوس أول قبيلة من زهران شرُفت بالإسلام . وبعد قراءة الدراسة كاملة تم تعديل العنوان السابق إلى هذا العنوان المذكور أعلاه ، وذلك من أجل توافق العنوان مع المادة العلمية. (ابن جريس).

(٣) ابـن سـدران من مؤرخـي بلاد زهران وغامد ، ولـه عدد من الكتـب والبحوث المطبوعة . للمزيـد عن ترجمته انظـر. غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب. الأجزاء الخامس ، ص ٢٦٩ ، والسابع ص١٨٩-٢٥٣ ، والثامن، ص ١٥٩-٢١٠ ،والعاشر، ص ١٢١-١٧١ . (ابن جريس).

ينتسب إليها عدد من الصحابة (رضوان الله عليهم) أمثال الطفيل بن عمرو الدوسي وأبو هريرة (رضي اللّه عنهما) . وهذه الدراسة التي بين أيدينا لأحد أبناء زهران ، إنه علي بن سدران الزهراني الذي كتب صفحات من تاريخ هذه البلاد في عدد من الكتب والبحوث ، ومن ضمنها هذا البحث الذي يحتوي على صفحات من تاريخ قبيلة دوس في الجاهلية والإسلام ، ولا تخلو الدراسة أيضاً من صور تاريخية أخرى عن بعض الأمكنة والعشائر الزهرانية الأخرى . ونقول لصاحب البحث(ابن سدران) شكر الله له فلقد فتح أبواباً عديدة تدور في فلك حضارة وتاريخ أرض وسكان زهران. ونأمل منه أو من أي باحث مجتهد أن يضاعفوا الجهود لدراسة سروات وتهامة زهران التي تم استيطانها منذ آلاف السنين ، وهي جديرة أن تدرس ويصدر عنها عشرات الدراسات المتنوعة في موضوعاتها وأهدافها [١] .

ثانياً : صور من تاريخ وحضارة عشيرة دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام .

الحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، رب يسّر . دوس هي إحدى قبائلَ زهران العظام ، تنتسب إلى عدثان بن عبد اللّه بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث ، والمعروف في السابق منها قبيلتان هما منهب بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب ، وفهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد اللّه بن زهران . وتدخل في الأخيرة قبيلة : بني الطفيل (بالطفيل) رهط الطفيل بن عمرو الدوسي رضي اللّه عنه ، لأنهم يعودون إلى قبيلة سُليم ابن فهم بن غَنْم بن دوس . والقبيلة الثانية هي : فهم بن غنم بن دوس، وبقية نسبها كما ورد في نسب قبيلة بني منهب ، ومنهم الصحابي الجليل : أبو هريرة رضي اللّه عنه . ويؤخذ من نسب هاتين القبيلتين أن منهب بن دوس ، هو عم فهم بن غَنْم بن دوس[٢] .

---

(١) نعم منطقة الباحة (غامد ،وزهران ،وبني عمر) من البلاد التي لم تخدم بحثياً وبخاصة في ميادين التاريخ والآثار واللغة والأدب وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية . ونأمل أن تقوم جامعة الباحة بواجبها فتسخر مراكز البحوث والباحثين لدراسة هذه البلاد العريقة في تاريخها وحضارتها وأمجاد رجالها عبر أطوار التاريخ. (ابن جريس).

(٢) يا أستاذ علي أشكرك على هذا الطرح ،وأرجو أن تزودنا بقراءات مطولة وعميقة في تاريخ وحضارة وأنساب بلاد غامد وزهران . (ابن جريس).

أما في هذا العصر فتنقسم دوس إلى خمس قبائل هي : دوس بني فهم ، ودوس بني منهب ، ودوس بني علي، ودوس آل عيَّاش ، ودوس بالطفيل ، وكل قبيلة معروفة بشيخها وديارها .واسمها مشتق من الدوس كما قال ابن دريد الأزدي في كتابه الاشتقاق: الدوس: مصدر داسه يدوسه دوسًا ، وكل شيء وطئته فقد دسته، والذي يداس به مدوس ، والمدوس ما يسن به الصيقل السيف، وهو قول الشاعر[١] :

وأبيض كالغدير ثوى عليه   قيون بالمداوس نصف شهر

وجاء في كتاب "الزاهر في معاني كلمات الناس" قال أبو بكر : الدوس : تسوية الحديقة وتزيينها وهو مأخوذ من دياس السيف ، وهو صقلُهُ وجلاؤه . يقال : داس الصيقل السيفَ يدوسُهُ دَوْسًا ودياسًا : إذا صقله وجلاه . قال الشاعر[٢] :

صافي الحديدةِ قد أَضَرَّ بصقلهِ   طولُ الدِّياس وبطنُ طيرٍ جائع

ويقال للحجر الذي يُجلى به السيف : مِدْوَس . أنشد أبو العباس لأبي ذؤيب الهذلي[٣] :

وكأنما هو مِدْوَسٌ متقلِّبٌ   بالكفِّ إلا أنه هو أَضْلع

وجاء في معجم "لسان العرب" يُقَالُ : نَزَلَ العدوُّ ببَني فُلَانٍ في الْخَيْلِ فجاسَهُم وحاسَهُم وداسَهم إذا قَتَلَهُمْ وَتَخَلَّلَ دِيَارَهُمْ وَعَاثَ فيهِمْ . وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي الزهراني ، في كتاب "العين" : والدَّوْسُ : الدِّيَاس ، والبقر التي تَدُوس الكُدْس هي : الدَّوائس .. والمِدْوَس : الذّي يُداسُ به الكُدْس يُجَرُّ عليه جَرًّا . والجميع مَداوِس . والمِدْوَسُ : خَشَبةٌ يُشَدُّ عليها مِسَنٌّ يَدوسُ بها الصَّيْقلُ السَّيْفَ حتّى يَجْلُوَهُ، وجمعه مَداوِس ، والدوس : شدة الوطء بالأقدام حتّى يتفتَّت ما وطئ . وفي كتاب "تهذيب اللغة" يُقَال : طَرِيقٌ مَدُوسٌ . والخَيْلُ تَدُوسُ القَتْلى بحوافرها : إذا وطئَتْهم . وَأَنْشد : فداسُوهُم دَوْس الحَصيد فأَهْمَدُوا[٤] وَقَالَ أَبُو زيد : فلانٌ دَيْسٌ من الدِّيسَة : أي : شجاعٌ شَديد يَدُوس كلَّ مَنْ نَازَلَه . وورد في قاموس "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" دَاسَ الرَّجُلُ الْحِنْطَةَ يَدُوسُهَا دَوْسًا وَدِيَاسًا وكل ما ورد لا تخرج عن معاني الشدة والقوة

---

(١) العباب : (١١٠) . والشاعر هو : أبو أسامة معاوية بن زُهَيْر الجُشَميُّ (ابن سدران) .

(٢) كتاب :الفاخر ٥٧ بلاد عزو (ابن سدران) .

(٣) ديوانه :٦ (ابن سدران).

(٤) تهذيب اللغة :٣١/١٣ ، ولسان العرب : ٩٠/٦ بلاد عزو . (ابن سدران).

والصّلابة . وتقع دوس في الجزء الشمالي الغربي من سراة زهران وتهامتها ، لقول أبي الفداء بعد أن ذكر القبائل النازحة عن مأرب ومن بينها دوس : وسكنت بنو دوس إحدى السروات المطلة على تهامة وكانت لهم دولة بأطراف العراق ، وأول من ملك منهم : مالك بن فهم بن غنم بن دوس(١) .

ودوس معروفة بهذا الاسم منذ أن كانت ضمن قبائل زهران الأخرى في موطنها الأصلي بسبأ حول سد مأرب الشهير ، لقول الشيخ حمد الجاسر ، نقلا من كتاب السيرة لدغفل: وسارت أولاد دوس ابن زهران بن نصر بن الأزد في أهاليهم إلى أرض تهامة ، فجاوروا أولاد معد بن عدنان فيها(٢) . ولذا فقد ظن بعض المؤرخين أنها قبيلة مستقلة لا يربطها نسبٌ بزهران ، والصحيح أنها إحدى قبائل زهران النازحة من أرض سبأ ، ولكن لشهرتها في الإسلام وكثرة المسلمين من هذه القبيلة الزهرانية في أول الإسلام أكثر من غيرها من قبائل زهران الأخرى فكان الرجل منهم إذا قيل له ممن الرجل قال : من دوس . مما جعل بعض النسابين يعتقد أنها ليست من زهران . ويورد الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في سبب اشتهارها آنذاك عن جدها زهران عدة أمور نوجزها فيما يلي(٣) (١) سكناهم في قمة السراة ، مما جعل بلادهم حصينة ، أكسبتهم قوة وتماسكا ، وبقاء . (٢) انتشار أفرادها خارج بلادها ، حيث انتقل منهم أناس إلى عمان والعراق ، فكونوا إمارتين في تلك البلاد(٤) . (٣) مسارعة رجالها إلى الإسلام ، وبروزُ كثير منهم في جانب من جوانب المعرفة الإسلامية. (٥) (٤) إخلاص كثير من رجالها وصدقهم في تلقي الدعوة الإسلامية . وما قاله الشيخ يعد حقيقة واقعة في حق أفراد هذه القبيلة الدوسية ، وأحب أن أضيف نقاطًا أخرى ، أراها من وجهة نظري متممة لتلك الأسباب الداعية إلى شهرة ذلك الفرع الدوسي وغلبته على أصله "زهران" ، وعلى غيره من

---

(١) يا أستاذ بن سدران مازال هناك قبائل أزدية زهرانية وغامدية لها تاريخ عريق ومذكور في كتب التراث الإسلامي ، ونرجو أن تتولى هذه العشائر أو القبائل بالدراسة والتوثيق والتحليل . (ابن جريس) .

(٢) في سراة غامد وزهران . ٢٢٣. (ابن سدران) .

(٣) في سراة غامد وزهران : ٢٢٦. (ابن سدران).

(٤) الحقيقة أنها ثلاث إمارات .الأولى في عُمان برئاسة مالك بن فهم الدوسي، والثانية والثالثة برئاسة ابنيه ، واحدة في الحيرة برئاسة ابنه جذيمة بن مالك المعروف بالأبرش، والأخرى في مكران من أرض فارس برئاسة ابنه سليمة بن مالك.(ابن سدران).

(٥) هناك عشرات الرجال الذين خرجوا من عشيرة دوس ومن غيرها من قبائل تهامة والسراة ، فأبلوا بلاءً حسناً في الفتوحات الإسلامية ، وفي بناء الحضارة الإسلامي ، ونأمل أن يتولى هذا الجانب أحد الباحثين الجادين فيكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أقسام التاريخ في المملكة العربية السعودية. (ابن جريس) .

فروع زهران الأخرى فأقول : (أ) إن من يتتبعُ أسماء القبائل العربية المهاجرة من أرض سبأ، يجد أن بعض المؤرخين عد دوسًا وبعضًا من بطون زهران الأخرى من بين تلك القبائل المهاجرة التي كانت حول السد ، وهذا يعني أن هذه البطون التي تفرعت عن زهران كانت معروفة بمسمياتها تلك ولما تزل في مواطنها الأصلية بسبأ ، ومن بينها قبيلة دوس ، وحين انتقلت إلى مواطنها الجديدة في السراة ، وعُمان ، والعراق ، ظلت محتفظة بمسمياتها التي عرفت بها من قبل ، فشهرت بها واستغنى رجالها ومن نزح معهم من قبائل زهران الأخرى بتلك المسميات عن غيرها .(ب) وهناك حقيقة أخرى وهي أن أكثر رجال زهران المشهورين في العصر الجاهلي وصدر الإسلام إنما كانوا من هذه القبيلة الدوسية . من أمثال: الطفيل وأبي هريرة رضي الله عنهما . وفي العصر الجاهلي أمثال : مالك بن فهم الدوسي ، حاكم عُمَان، وابنه جذيمة الأبرش ، حاكم الحيرة بأرض العراق ، وعمرو بن حممة حكيم العرب وغيرهم . (ج) كانت دوس في العهد الجاهلي مركزًا من مراكز العبادة الوثنية المعروفة لدى عرب الجزيرة ، فاكسبها ذلك شهرة واسعة .

ويزعم النَّسَّابون أنهم من ولد عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر[١]. وأن ليلى بنت الظرب (أخت عمرو بن الظرب العدواني) هي أم دوس بن عدثان[٢]. لكن ليس هذا بصحيح ، لأن نسب قبيلة دوس كما ورد عند قُدَامَى النسابين يتصل بيعرب بن قحطان ، جدّ القبائل اليمنية ، ولا يمت إلى العدنانيين بصلة . فنسبها المتصل بيعرب بن قحطان كالتالي: دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٣]. ويشتركون هم وبقية قبائل زهران الأخرى ، وكذاك قبائل الأزد في هذا النسب اليعربي[٤]. أما كيف استقرت دوس على هذا الجزء السروي من سراة زهران ، فيذكر لنا المؤرخون أن قبائل الأزد ومنها قبيلة زهران هاجرت من أرض سبأ باليمن ، قبيل انهيار سد مأرب وذلك في عام

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢٤٣/١). (ابن سدران).

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٤٣٣/٢). (ابن سدران).

(٣) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (٢٧١/١). (ابن سدران).

(٤) يا ابن سدران إن عشائر السروات وتهامة الممتدة من اليمن إلى الحجاز تحتاج إلى دراسات علمية موثقة ليس في الأنساب فقط وإنما في ميادين عدة وبخاصة في العصور السابقة للإسلام ، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. (ابن جريس).

(١١٥) قبل الميلاد ، وسارت بجموعها حتى وصلت أرض تهامة فاستقرت بها ، ولما تلاحقت الأزد ضاقت بهم تلك الأرض ، فاتفقت قبيلة بني بجيلة "بني مالك" مع بني الحارث بن عبد الله بن يشكر بن مبشر بن الصعب بن دهمان بن نصر بن زهران. وهم الغطاريف على إجلاء قبيلة خثعم عن جزء من أرض السراة، إذ كانت أغلب أرض السراة آنذاك لقبيلة خثعم فاتفقت الغطاريف وقبيلة بجيلة (بني مالك حاليًّا) على الاستعانة بقبائل الأزد القاطنة في الجزء التهامي لدحر قبيبلة خثعم عن جزء من ديارها على أن تُسْكن قبائل الأزد في تلك الأجزاء بعد تحريرها ، ولما تمكنت الغطاريف وبجيلة وسائر قبائل الأزد من هزيمة خثعم ، أسكنت الغطاريف قبائل زهران القادمة من تهامة في نواحي سراة زهران ، فسكنت دوس في الشمال الغربي من سراة زهران ، فيما يعرف بسراة دوس ، ومن قبائلهم في هذا الوقت : بنو منهب ، وبنو فهم ، وبنو علي، وبنو الطفيل (وبالطُّفيل) وآل عَيَّاش ، وسكنت بنو أوس (بنو يوس) الجزء الجنوبي من سراة زهران فيما يُعرف بسراة النمر بن عثمان ، ومن قبائلهم حاليًّا : "بنو كنانة ، وبالخزمر ، وبنو حسن ، وبيضان وبنو عامر". وسكنت بنو سلامان شرقي قبيلة دوس وشمالي قبيلة بني أوس فيما يُعرف حاليًّا بديار بني عُمَر، ومن القبائل التي سكنت ديار بني سلامان من بعدهم: بنو عَدْوَان ، وبنو حُرَيْر ، وقُرَيْش ، وبنو جُنْدُب ، وبنو بَشِيْر. فكانت الغطاريف لها السيادة على بقية قبائل زهران ، لأنها هي التي أسكنتهم تلك البلاد، لقول الأصفهاني في كتابه الأغاني[1] : "إن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر ابن الصعب بن دهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع، لأن الرياسة في الأزد كانت لقومه، وكان يقال لهم الغطاريف ، وهم أسكنوا الأسد (الأزد) بلد السراة". ولم يبطل تلك الإتاوة إلا عم حاجز بن عوف السلاماني الزهراني ، من قبيلة سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران، اسمه مالك بن ذهل ابن مالك بن سلامان، كان فارسا مهيبا وهو الذي أبطل عادة المرباع التي كانت عليهم لبني عمهم الغطاريف، فلقد غزت بنو فقيم بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، الغطاريف فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان ، فأغاثوهم حتى هزموا بني فقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم، فأراد الحارث الغطريفي ، أن يأخذ ربع الغنيمة كما كان يفعل في السابق ، فمنعه مالك بن ذهل السلاماني ، من ذلك ، وفي ذلك يقول حاجز في أبيات له[2]" :

---

(١) الأغاني : ٢١٢/١٣، ٢١٣. (ابن سدران).

(٢) انظر : الأغاني: ٢١٣/١٣ .أكرر القول هذا الكلام الذي أوردته ذكرته بعض كتب التاريخ والأدب ، وهي من المصادر الرئيسية في دراسة التاريخ ، لكن مازلنا بحاجة إلى معرفة كتب النسب في هذه الأقوال.(ابن جريس).

أبـــي ربـــع الـــفـــوارس يـــوم داج وعـــمـــي مـــالـــك وضـــع الـــســـهـــامـــا

وعـن حـرب قبائـل الأزد قبيلة خثعـم وزحزحتها عـن هذه الديـار ، يقول ياقوت الحمـوي في معجمه (١/٣١٩) : "وأقامت خثعم بن أنمار في منازلهم من جبال السراة وما والاها جبل يقال له : شن وجبل يقال له : بارق وجبـال معهما ، حتى مرت بهم الأزد في مسيرهـا مـن أرض سبأ وتفرقها في البلاد ، فقاتلـوا خثعما فأنزلوهم من جبالهم ، وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزد شنوءة : غامد وبارق ودوس وتلك القبائل من الأزد ، فظهـر الإسلام وهم أهلها وسكانها" . هذا فيما يخص قبائل زهران التي في السراة ، أمّـا التـي في تهامة فلا تخـرج عن أصل قبائل سراة زهران المـار ذكرها ، حيث آثروا البقـاء في تهامـة بعد طلوع غالبيتهـم إلى أرض السـراة كما رأينا سابقًـا وهي : قبيلة الشُّغْبَان ، وقبيلة بالمُفَضَّل ، وقبيلة أولاد سعدي ، وقبيلة آل عبد الحميد ، وقبيلة أحلاف باللَّسْـوَد ، وقبيلـة آل سعـد ، وقبيلـة الجُبَّر ، وقبيلـة أحلاف دَوْقَـة ، ويندرج تحت هذه المسميـات قبائل أخرى ، بالإضافة إلى مجموعة قبائل تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة . وكان لقبائـل زهران ميناء بحري في قرية دوقة الواقعـة على البحر الأحمر ، ذكر ذلك الأستاذ : علي السلوك، نقلاً عن الشيخ عبد المجيد بن راشد بن رقوش ، رحمهما الله ، حيـث قال لـه : إن ابن عائض ، حاكم عسير سابقًا كلف غامد وزهران بشراء سفينتين ، وقـد قامـا بشـراء سفينتين بمبلـغ أربعمائة ريال وربـع وثمن ! وقد أبحرتـا من ميناء دوقـة[1] . وقـد تقابلت أثناء زيارتي لدوقة ، في صيف عـام (١٤١٤هـ) ، مع أحد أبنائها الطاعنـين في السن، وهو إمـام أحد المساجد في دوقة ، فذكر لي أنه كانت توجد بالفعل فُرْضَـة في عهـد الملك عبد العزيـز آل سعود وأن الآمـر عليها آنذاك أحـد أبناء دوقة ، ويُدعـى : صالـح بن عبد الله بن زيلع الزهراني . ويحدثنا التاريخ أن حكامهم كانوا من أنفسهم حيث حكمهم في العهد الجاهلي أَسَر من قبيلة الغطاريف، بعد استقرارهم على أرض السـراة ، ومالك بن فهم الدوسي ، قبل رحيلـه إلى عُمَان ، ثم من بعده آل حُمَمَة ، وقـد عرفنـا منهـم : حممة بن الحارث ، وابنـه عمرو بن حممة ، الـذي بلغ من العمر قرابـة أربعمائـة سنة [2]، وهو القائـل لدوس بعد ترؤسه عليهم "يـا معشر دوس ؛ لقد

---

(١) المعجـم الجغـرافي لبلاد غامد وزهـران : ١٠٢ . يا علي ذكرت في هذه السطور عـدة مواضيع مثل صلات قبائل السـراة بفروعهـا في تهامة وبخاصة التي تقع عند سفوح جبال السروات الغربيـة. وكذلك أهمية البحر الأحمر وبعض موانئـه التي تخدم سكان السراة وتهامة . وللأسف إن هذه الميادين لم تخدم بحثياً ، ونأمل من المؤرخين الجادين من يتولاها بالدراسة والتحليل. (ابن جريس) .

(٢) هذا قول مبالغ فيه . (ابن جريس) .

كلَّفتموني ثقْلاً ، إن القلب يخلق كما يخلق البدن ، ومَن لكم بأخيكم إنْ كنتم سوَّدتموني فـإني ألنتُ لكم جانبي ، وخفَّفْت عليكم مئونتي وتحمَّلت مئونتكم[١] .." ثم انتقل الحكم قبيل الإسلام إلى أبي أزيهر الغطريفي ، وبعد ذلك إلى سعد ابن أبي ذُباب وقيل ذئاب ، والطفيل بن عمرو الدوسيين رضي الله عنهما ، ولما جاء الإسلام جدد رسول الله ﷺ ، الإمـرة لسعد بن أبي ذباب الدوسي ، على دوس واستمر في إدارة دفة حكم القبيلة حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أما الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ، فقـد آثَر الجهـاد في سبيل الله على المشيخة فالتحق بجيوش المسلمين مجاهدًا في سبيل الله مـع رسـول الله ﷺ، إلى أن استشهد في يوم اليمامـة ، في عهد أبي بكر الصديق . رضي الله عنه ، أما في العصر الأموي ، فلا نعلم عن ولاة دوس أو قبائل زهران الأخرى شيئًـا ، غير أنه من المؤكد أنها كانت تتبع إمـارة الطائف، كبقية قبائل الأزد الجنوبية . وفي عهد المهدي العباسي ، عين عبدالرحمن بن عبد الله بن النعمان الدوسي على إمرة السراة[٢]، فقتل بعد عام تسعة وستين ومائة في معركة مع أحد أمراء عسير واسمه علي بـن محمد[٣]. ومنذ أواسط القرن الثالث الهجري، سرى الضعف يدب في جسم الدولة العباسيـة ، مما أطمع فيها الـولاة والحكام، فصاروا يستقلـون بالحكم مع احتفاظهم بسيـادة اسمية للخليفـة القابع في قصره القانـع بما يرسل إليه، فكانـت زهران كبقية القبائـل العربية الأخرى التي انفصلت عن السلطـة الحاكمة في بغداد ، تُحكم بواسطة شيوخ من أبنائها ، ولا شأن لهم بالحكومة المركزية ، وكانت تلك الفترة مظلمة لا تفصح عن أحد من حكامهم إلا ما كان من القرون الأخيرة فقد ذكرت الوثائق أن زعامة دوس كانـت لشيـوخ من أسـرة آل خضران ، من بنـي منهب بن دوس من قريـة (عَمَضَان) ، وأسـرة آل الصُّغَيـِّر من بني فهم بن غنم بن دوس ، من قرية كانت تسمى (مَحْظيَّة) . اسمهـا الآن "الْهَـرَّة" وظلوا حكامًا عليها إلى عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وأول شيخ عُرف من أسرة قبيلة بني منهب هو : الشيخ خضران بن عطية المنهبي الدوسـي المعـروف بخضـران الأول ، كما أن أول شيـخ عرف من قبيلة بني فهـم هو الشيخ: مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي ، وقد قتل في أبها مع الأمير العسيري : محمد بن عائض ، سنة (١٢٨٩هـ) ثم انقسمت القبيلة في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

---

(١) لطائف الأخبار وتذكرة الأبصار : ٤٥ (ابن سدران) .

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٨٢/١) . تاريخ الولاية أو الإدارة في بلدان تهامة والسراة خلال عصور ما قبل الإسلام وبعده لم تدرس ومن الموضوعات الجديدة ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيتوله بالبحث والتوثيق (ابن جريس) .

(٣) امتاع السامر بتكملة متعة الناظر : ٩٠ . (ابن سدران) . هذه المعلومة يجب أن توثق من مصدر أو مصادر مبكرة وليس من مرجع حديث . (ابن جريس) .

، إلى خمس قبائل هي : مشيخةٌ تضم قبائل بني منهب ، وبني الطُّفيل ، وبني علي ، وآل عَيّاش ، في يد شيوخ آل خضران من قرية (عَمَضان) ، ومشيخة قبيلة بني فهم ، في يد شيوخ آل الصُّغَيِّر من قرية (الهَرَّة) التي ذكرنا سابقًا أن اسمها كان (محظية) ، وأول شيوخها هو الشيخ : مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي . كما تقدم ، ثم انتقلت مشيخة بني فهم من أسرة شيوخ الصغير ، إلى أسرة شيوخ الدَّامُوك الفهمية بقرية (آل خَاجَة) ، وأولهم الشيخ : سعيد بن محمد الداموك ، وشيخهم الحالي هو الشيخ خضران بن فراج بن سعيد بن محمد الداموك ، إثر وفاة والده الشيخ فراج بن سعيد الداموك ، وفي سنة (١٣٦٦هـ) ، انفصلت كل من قبيلتي بني علي ، وآل عياش ، عن مشيخة قبيلة بني منهب وكونتا مشيختين ، الأولى وهي مشيخة بني علي ، بزعامة أول شيخ لها هو الشيخ فرحة بن علي العلوي الدوسي ، من قرية (رَمَس) سنة (١٣٦٦هـ). ولما توفي أعقبه ابنه الشيخ : عبد ربه ابن فرحة ، والشيخ الحالي هو الشيخ مساعد بن عبد ربه العلوي الدوسي ، مع العلم أنّ القبيلة لَمّا كانت تتبع لمشيخة ابن خضران كان لها شيوخ من أبنائها يقومون على رعاية مصالح أفرادها ، عرف منهم الشيخ : الشاطئ بن فايز من قرية (الرّيحان) ، والشيخ سعيد بن عيِّفَة ، من قرية (آل عيِّفَة) ، والشيخ : مشرف بن حكيم العلوي الدوسي، من قرية (رَمَسَ) ، ثم استقرت المشيخة في بيت الشيخ فرحة بن علي . وترأس على المشيخة الثانية وهي مشيخة آل عَيَّاش بعد انفصالها في العهد السعودي الثالث ، الشيخ : مسفر بن عبد الله العياشي الدوسي ، من قرية (غُدَي) ثم ابنه الشيخ عيسى بن مسفر بن عبدالله العياشي الدوسي، ثم انتقلت المشيخة إلى الشيخ يحيى بن أحمد العَيَّاشِي الدوسي، من القرية نفسها، وفي أثناء مرضه كان يدير المشيخة ابنه محمد ابن يحيى العياشي الدوسي ، بينما احتفظ شيوخ آل خضران بقبيلتي بني منهب وبالطفيل ، وشيخهم في هذا الوقت هو : الشيخ عوض بن خضران المنهبي الدوسي، وعندما نشأت الحكومة السعودية الأولى انضمت قبيلة زهران إليها وشاركت قبائل دوس بجيش لغزو جنوب العراق، مع الإمام سعود بن عبد العزيز ابن محمد ، بقيادة الشيخ مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي ، شيخ قبيلة بني فهم الدوسية . كما شاركت في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في فتح المدينة النبوية بقيادة الأمير أحمد بن عَبّسِي الفهمي الدوسي[1] . بالإضافة إلى مشاركات لحفظ الأمن داخل البلاد قام بها الشيخان راشد بن جمعان بن رقوش الزهراني ، والشيخ

---

(١) انظر لما سبق : كتابنا :بطون قبيلة زهران : يا علي سردت معلومات عامة من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، ولا نقول إلا شكر الله لك ، ونأمل أن نرى بعض الباحثين من دياركم أو من أبنائنا طلاب الدراسات العليا فيتولوا هذه النقاط العامة التي أشرت إليها فتدرس في بحوث تفصيلية موثقة. (ابن جريس) .

مَكّي بن جَمَل الغامدي . وتخلل تلك الحقبة التي كانت دوس تدار بواسطة شيوخ من أبنائها أنْ دخلت دوس وسائر قبائل زهران سراة وتهامة ، تحت شياخة الشيخ : علي القُفْعي: من قرية قُرَّا ، إحدى قُرَى قبيلة بيضان بالسراة ، جاء في منشور أرسله الإمام سعود ابن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، أحد حكام الدولة السعودية الأولى، إبَّان دخول الحجاز تحت حكم آل سعود ، سنة ألف ومائتين وثماني عشرة هجرية: " وأمير العامَّة علي القفعي ، ولَزْمَتُه[1] يقوم على الأمراء، فالأمير اللي يقوم بحق الإمارة أجره على الله ، واللي ما يقوم ويعمل بما دبرنا يعزل ويحط يرابط فى الثغر[2]" . ثم حكم من بعده القائد الحربي الأمير : بخروش بن علاس بن مسعود القرشي الزهراني ، من قرية "العُدَيَّة" التابعة لقبيلة قريش ، أسماه بوركهارت في كتابه : " رحلات في شبه جزيرة العرب : ٤٠٣ " "شيخ زهران" . ولما مات مقتولا عام : (١٢٣٠هـ) انتقلت المشيخة إلى الشيخ : جمعان بن راشد بن رقوش ، من قرية "بني سار" التابعة لقبيلة بني عامر إحدى قبائل بني أوس الزهرانية ، عام: (١٢٥٨) ثم إلى ابنه راشد ابن جمعان بن رقوش، وقد حكما زهران قُرَابة مائة سنة من عام : (١٢٥٨هـ-١٣٤٨ هـ) [3]. ثم استقلت بعد هذا التاريخ كل قبيلة بشيوخها لأسباب خلافية .

وقد شهرت دوس في الجاهلية بثقل مركزها القبلي بين القبائل العربية ، حيث كانت من القبائل ذات الجانب المرهوب بين قبائل العرب ، فغدت بعض القبائل تخطب ودها ، ورغبت في التحالف معها كقبيلة قريش وثقيف العدنانيتين، أورد خبر هذا الحلف "ابن حبيب" صاحب كتاب : المنمق في أخبار قريش (٢٣٣) فقال: "فلما حالفت قريش ثقيفا قالت قريش لثقيف : نطلب من دوس ما طلبنا منكم من الشركة في الدار ، فقالت ثقيف : بل دوس تحالفكم ، فركب عبد يا ليل بن معتب ، ومسعود بن عمرو ، وهما من ثقيف ثم من الأحلاف في نفر حتى أتوا دوسا فقالوا لهم إن قريشا طلبت منا أن ندخلهم في وجّ وأن يدخلونا في الحرم ، فأبينا ذلك عليهم ثم حالفناهم ، فرغبوا إلى ما عندكم فأدخلوهم وليدخلوكم وحالفوهم ، فحالفت دوس قريشا" . وقبل هذا الحلف

---

(١) معنى لَزْمَتُه ، واجبه . (ابن جريس) .

(٢) انظر كتاب : بطون قبيلة زهران : ٣٣٠ . (ابن سدران) .

(٣) تخللها سنوات غَزْل يسيرة من قبل الأتراك لأسباب غامضة ، (ابن سدران) . أعتقد يا علي أنها معلومات مبالغ فيها . كما أن القائد بخروش بن علاس وكذلك أسرة آل رقوش تستحق أن يفرد لها دراسات علمية موثقة . ونأمل من أساتذة التاريخ في جامعة الباحة ، أو بعض المؤرخين الأكاديميين من زهران أن يدرسوا هذه العناوين في بحوث علمية موثقة.(ابن جريس) .

وبعـده كان رجال من قبيلة زهـران عقدوا أحلافًا منفردة مع رجـال من قبيلة قريش ، وذلـك لرعايـة مصالحهم بمكة حيث أنهم كانوا كثيرًا مـا يقضون بعض الوقت في مكة المكرمـة، فكان لا بد من عقد مثل تلـك الأحلاف الفردية لتحاشي المضايقات من بعض السفهاء . وكان من رجال دوس المشهورين في الجاهلية حممة بن الحارث الدوسي ، كان من أسخى العرب، ومطعم الحاج في مكة المكرمة[١] ، فقد كان يفد إلى مكة وقت موسم الحـج بقافلة محملـة بالطعام ، فيزاحـم أعيان قريش وكرماءها علـى إطعام الحجاج طيلـة أيـام الموسم ، وكان مـن أجمل العرب ، فإذ ما نزل مكـة تقَنَّع مخافة أن يفتتن به النسـاء أو يصـاب هو بالعين . ذكر ذلك ابن حبيـب في كتاب المحبر (٢٣٢) . أمّا ابنه عمـرو بن حممة الدوسي ، حكيم العرب فقد كانت تتحاكـم إليه العرب قُرابة ثلاثمائة سنة ، فعن مجالد الشعبي ، قال : " كنّا عند ابن عباس ، وهو في ضفة زمزم يفتي الناس إذ قام إليه أعرابيّ فقال : أفتيتهم فأفتنا قال : هات ، قال : ما معنى قول الشاعر[٢] :

لذي الحِلمِ قبل اليوم ما تقرع العصا وما علّـم الإنسـان إلّا ليعلما

فقـال لـه ابن عبّاس : ذاك عمـرو بن حممة الدّوسي ، قضى بـين العرب ثلاثمائة سنـة ، فكبـر فألزموه السابع أو التاسـع من ولده ، فكان إذا غفل قـرع له العصا . فلما حضـره الموت اجتمـع إليه قومه فأوصاهـم بوصية حسنة فيها حكـم ، تقدم نصها[٣] . وقـد جمع أبا عمـرو : حممة بن رافـع الدوسي ، وعمرو بن الظـرب العدواني ، مجلس عنـد ملـك من ملوك حمير ، فقال لهما الملك : تساءلا حتـى أسمع ما تقولان . ويبدو أن الملـك ليس بحاجة إلى تساؤلاتهما لبعض ، ولكنه يريد اختبار فصاحتهما . فقال عمرو لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال عند ذي الرثية[٤] العديم ، وعند ذي الخلة[٥] الكـريم ، والمعسـر الغريم ، والمستضعف الهضيم . قال: مـن أحق الناس بالمقت ؟ قال : الفقـير المختال ، والضعيف الصوال، والعي القوال . قال: فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال: الحريصـ الكانـد[٦] والمستميد[٧] الحاسد ، والملحف الواجد . قـال : فمن أجدر الناس

---

(١) انظر : العقد الفريد : (٣٣٦/٣) ، (ابن سدران).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٦١٥/١) والبيت للمتلمس وهو في ديوانه : ٢٦(ابن سدران).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٦١٥/١). (ابن سدران) .

(٤) الرثية: وجع المفاصل واليدين والرجلين . (ابن سدران) .

(٥) الخَلّة: الحاجة. والخُلّة: الصداقة. (ابن سدران) . من يدرس كتب التراث يجد هناك الكثير من الحكم والأقوال التي صدرت من رجال يعودون في أصولهم إلى بلاد تهامة والسراة. حبذا أن نرى من يدرس الأقوال السديدة ، والأمثال والحكم التي عرفتها بلاد السراة وتهامة خلال عصور ما قبل الإسلام وبعده. (ابن جريس) .

(٦) الكاند: الذي يكفر النعمة . (ابن سدران) .

(٧) المستميد: المستعطي . (ابن سدران) .

بالصنيعة ؟ قال : من إذا أُعطِي شكر ، وإذا مُنع عذر ، وإذا مُوطل صبر ، وإذا قدُم العهد ذكر . قال: من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قرب منح ، وإن بعُد مدح ، وإن ظلم صفح ، وإن ضُويق سمح. قال : من ألأم الناس ؟ قال : من إذا سأل خَضَع ، وإذا سُئل مَنَع ، وإذا ملك كَنَع[(١)] ، ظاهره جَشَع[(٢)] ، وباطنه طَبَع[(٣)] . قال : فمن أحلم الناس؟ قال : من عفا إذا قدر ، وأجمل إذا انتصر ، ولم تُطغه عزة الظفر. قال : فمن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصب عينيه ونبذ التهيُّب دَبْر أذنيه[(٤)]. قال: فمن أخرق[(٥)] الناس ؟ قال : من ركب الخطار ، واعتسف[(٦)] العثار ، وأسرع في البدار قبل الاقتدار . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يأس على المعهود. قال : فمن أبلغ الناس ؟ قال : من حلى المعنى المزيز[(٧)] باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحزيز . قال: من أنعم الناس عيشًا ؟ قال : من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف. قال: فمن أشقى الناس ؟ قال من حسد على النعم ، وتسخط على القسم ، واستشعر الندم على فوت ما لم يحتم. قال: من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس وأبدى التجمل للناس[(٨)]، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم . قال : فمن أحكم الناس ؟ قال من صمت فادَّكر، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر. قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخرق مغنمًا ، والتجاوز مغرما[(٩)]" .

أو تلك المفاخرة التي جرت بين طريف بن العاصي الدوسي ، والحارث بن ذبيان ابن لجا بن منهب، وكلاهما من قبيلة دوس ، عند بعض مقاول حمير ، وما فيها من بلاغة[(١٠)] وبيان . واشتهر من رجالهم في العصرين الجاهلي والإسلامي: جندب بن

---

(١) كنع : تقبض يريد أنه ممسك بخيل . (سدران) .
(٢) الجشع : أسوأ الحرص . (ابن سدران) .
(٣) الطبَعَ : الدنس . (ابن سدران) .
(٤) يقال : جعلت الشيء دبر أذني إذا لم ألتفت إليه . (ابن سدران) .
(٥) الأخرق : الأحمق . (ابن سدران) .
(٦) الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية ، وركوب الأمر على غير معرفة . (ابن سدران) .
(٧) المزيز من قولهم : هذا أمر من هذا أي أفضل منه وأزيد .
(٨) يا سبحان الله أقوال وعبارات جميلة في معانيها ومظانها وما تحث عليه . وهذا لا يستغرب فأهل السراة ظهر فيهم الشعراء والحكماء قبل الإسلام وبعده . ومازلت أقول أن هذه البلاد غنية بموروثها المحتاج إلى جمع ودراسة وتحقيق . (ابن جريس).
(٩) الأمالي للقالي :٢٧٦/٢. العقد الفريد : ١١٧/٢. (ابن سدران) .
(١٠) انظر : كتاب : الأمالي ، لأبي علي القالي : ٧٣/١ . (ابن سدران) .

عمرو بن حممة بن عوف الدَّوْسي (رضي الله عنه) ، كان يقول في الجاهلية: "إنَّ للخلق خالقًا لكني لا أدري من هو" ؟ فلما سمع بخبر النبي ﷺ خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة : فكان جندب يقدِّمهم رجلاً رجلاً[١]" . اسْتُشْهِدَ بأَجْنَادِينَ وقيل باليرموك ، وقال قبل استشهاده وهو يحض الأزد على قتال الكفار : "يا معشر الأزد إنه لا ينجو من القتل والعدو والإثم إلا من قاتل ، ألا وإن المقتول الشهيد والخائب من تولى ، ثم أخذ يقول يا معشر الأزد : إنه لا يمنع الراية إلا الأبطال[٢]".

ومنهم " مُعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ، رضي اللّه عنه ، كان على خاتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ، فاستعمله أبو بكر وعمر رضى اللّه عنهما على بيت المال"[٣].

وهو الذي سقط منه خاتم النبي ﷺ[٤] ، في عهد عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه ، في بئر أريس بالمدينة النبوية ، أراد أن يناوله عثمان وهو جالس على حافة البئر ، فسقط فيما بينهما ، وكان منْ حَديد مَلْوِيٍّ عَلَيْه فضَّةٌ[٥]. وسواد بن قارب الدوسي رضي اللّه عنه، كان أحد كهان العرب في الجاهلية ، اشتهر بالكرم أدرك الإسلام فأسلم ، وصحب النبي ﷺ ، وكان شاعرًا ألقى بين يدي الرسول ﷺ قصيدة تعد من عيون الشعر العربي ، وكان له رئي من الجن يزوده بالأخبار، فلما أسلم انقطع عنه رئيه ولما بلغ دوس وَفَاة رَسُول اللّه- ﷺ - قَامَ حينَئذ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الأَزْد ، إنّ منْ سَعَادَة الْقَوْم أَنْ يَتّعظُوا بغَيْرهمْ وَمنْ شَقَائهمْ أَلّا يَتّعظُوا إلّا بأَنْفُسهمْ وَمَنْ لَمْ تَنْفَعْهُ التّجَاربُ ضَرّتْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَسَعْهُ الْحَقّ لَمْ يَسَعْهُ الْبَاطلُ. وَإنّمَا تُسْلمُونَ الْيَوْمَ بمَا أَسْلَمْتُمْ به أَمْس وَقَدْ عَلمْتُمْ أَنّ النّبيّ - ﷺ - قَدْ تَنَاوَلَ قَوْمًا أَبْعَدَ منْكُمْ فَظَفرَ بهمْ وَأَوْعَدَ قَوْمًا أَكْثَرَ منْكُمْ فَأَخَافَهُمْ وَلَمْ يَمْنَعْهُ منْكُمْ عدّةٌ وَلَا عَدَدٌ. وَكُلّ بَلَاء مَنْسيّ إلّا مَا بَقيَ أَثَرُهُ في النّاس وَلَا يَنْبَغي لأَهْل الْبَلَاء إلّا أَنْ يَكُونُوا أَذْكَرَ منْ أَهْل الْعَافيَة للْعَافيَة ، وَإنّمَا كَفّ نَبيّ اللّه عَنْكُمْ مَا كَفّكُمْ عَنْهُ فَلَمْ تَزَالُوا خَارجينَ ممّا فيه أَهْلُ الْبَلَاء دَاخلينَ ممّا فيه أَهْلُ الْعَافيَة حَتّى قَدمَ عَلَى رَسُول اللّه - ﷺ - خَطيبُكُمْ وَنَقيبُكُمْ فَعَبّرَ الْخَطيبُ عَن الشّاهد وَنَقّبَ النّقيبُ

---

(١) حياة الصحابة (٢٣٨/١) . (ابن سدران) .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٣/٢) . (ابن سدران) .

(٣) إمتاع الأسماع (٢٣٨/٩) . (ابن سدران) .

(٤) الكامل في التاريخ (٧٥٥/٢) . (ابن سدران) .

(٥) البداية والنهاية : (٣٧٧/٥) . كلما وسع الباحث قراءاته في كتب التراث الإسلامي ، وحاول معرفة تاريخ وتراث أرض وسكان السراة وتهامة فإنه بدون شك سوف يجد أعلاماً كثيرين ينتمون إلى هذه البلاد ولهم تاريخ وآثار حسنة . (ابن جريس).

عَـنْ الْغَائِب. وَلَسْـتِ أَدْرِي لَعَلَّهُ تَكُونُ لِلنَّاس جَوْلَةٌ فَإِنْ تَكُـنْ فَالسَّلاَمَةُ مِنْهَا: الْأَنَاةُ وَاللَّهُ يُحِبّهَا ، فَأَحِبّوهَا ، فَأَجَابَهُ الْقَوْمُ وَسَمِعُوا قَوْلَهُ". ولما مات الرسول ﷺ ، رثاه بالقصيدة التالية :

جلَّتْ مُصيبتكَ الغدّاة سوادُ	وأرَى المصيبة بعدها تزدادُ
أبقى لنا فقْد النبيّ محمد	صلَّى الإله عليه ما يعتادُ
حزناً لعمركَ في الفؤاد مخامِراً	وهل لِمَنْ فقدَ النبيّ فؤادُ
كُنَّا نحل به جناباً مُمْرِعاً	جَفَّ الجنابُ فأجدبالرُّوَّادُ[١]
فبكتْ عليهِ أرضُنا وسماؤُنا	وتصدَّعَتْ وجْدًا به الأكبادُ
كان العيان هو الطريف وحزنه	باقٍ لعمركَ في النفوس تلادُ
إن النبيَّ وفاته كحياته	الحقُّ حقٌّ والجهادُ جهادُ
لو قيل تفدون النبي محمداً	بُذِلَتْ له الأموالُ والأولادُ
وتسارعتْ فيه النفوس ببذْلها	هذا له الأغياب والأشْهَادُ
هذا وهذا لا يرد نبينا	لو كان يفديه فداه سوادُ
إنّي أُحاذِرُ والحوادثُ جَّمة	أمراً عاصفا ريحه إرعاد
إن حل منه ما يخاف فأنتم	للأرض إن رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب	زدتم وليس لمنية مزداد

توفي رضي الله عنه في السنة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية الشريفة[٢]. وقد اصطدمت قبيلة دوس بقبيلة قريش في حروب عديدة كان منها :

---

(١) الجنـاب : مـا قرُبَ من مَحَلّة القوم . المُمْرِعُ : يقالُ مرَع المكانُ والـوادي مَرْعاً ومَرَعاً وأمْرَعَ كُلُّه: أخصب وأكلأ ، أنشد للأعشى في اللسان(٤١٨٣/٦) وهو في ديوانه ٢٨٥ . (ابن سدران) .

سَلس مُقَلَّدُهُ أسيْـ ... ل خَدُّهُ مَرِعٌ جَنَابُهُ

(٢) الروض الأنـف (٢١١/٢) . (ابن سدران) . هنـاك الكثير من الأعلام في ميادين شتى ، وجميعهم من بلدان تهامـة والسراة،حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تراجم أولئك الأعلام في الجاهلية والقرون الخمسة الأولى من عصر الإسلام .(ابن جريس) .

(*)مقتل أبي أُزيهر الدوسي:

كان مـن حديـث أبي أزيهر بـن أنيس بن الخيسـق بن مالك بن سعـد بن كعب بن الحـارث بـن عبـد الله ابن عـامر وهو الغطريـف بن بكر بن يشكر بـن مبشر بن صعب بـن دهمان بـن نصر بن زهـران بن كعب بن الحـارث بن كعب بن مالك بـن نصر بن الأزد ، أنـه كان حليفًـا لأبـي سفيان بن حرب وكانـت دوس أخوالـه، وكان لا يعرف إلا بالدوسـي، فكان يقعد هو وأبو سفيـان في أيامهما في قبة لهما فيصلحان بين من حضر ذلـك المـكان الذي هما فيه، وكان أبـو أزيهر قد زوج ابنته عاتكة، أبـا سفيان فولدت له محمـدا وعنبسة، وزوج زينب بنت أبي أزيهر، عتبة بن ربيعة ، فولدت له ربيعة ونعمان ، ثـم خلـف عليها أبو حبيب بن مهشم بن المغيرة، فولدت له وزوج ابنة له أخرى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ثم أمسكها عنه، فلم يدخلها عليه حتى مات، قـال وكان بلغ أبا أزيهـر بعد ما زوجه وأخذ المهر منه أنه غليـظ على النساء يضربهن، فحبـس أبو أزيهـر ابنته عنـه، وأمسك المهر، قال ابـن حبيب، وذكـر إبراهيم بن عبد الرحمـن بن نعيـم الأزدي ، عن أشياخ الأزد أنها هديت إليه ، فلما هديت إليه قال : أنا أشرف أم أبوك ؟ قالت: لا بل أبي ؛ لأن أبي سيد أهل السراة ، وأن العرب يصدرون عن رأيه وإنما أنت سيد بني أبيك ، ومنهم من ينازعك الشرف، فرفع يده فلطمها ، فهربت إلى أبيهـا ، فحلف ألا يردهـا وأمسك المهر ، ولما حضر الوليد بـن المغيرة، الموت أوصى بنيـه الثلاثـة وهم : خالد وهشـام والوليد ، فقال لهم : أي بنـي؛ أوصيكم بثلاث : دمي في خزاعة فلا تطلوه ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقري[1] عند أبي أزيهر الدوسـي فـلا يفوتنكم به. فلما نزل الناس سوق ذي مجاز ، وهو سوق من أسواق العرب ، فنزل أبو أزيهر على أبي سفيان بن حرب، فأتى بنو الوليد ، فسألوه المهر ، فقال : أما وأنتمـا تحت ظلال السيوف فـلا ، فضربه هشام بن الوليد، فقتلـه، وكان مقتله بعد ما هـاجـر رسول الله ﷺ ، وانقضـى أمر بدر ، وأصيب من أصيب من أشراف قريش من المشركين ، فدعا رسول الله رسول الله ﷺ، حسان بن ثابت رضي الله عنه، فقال له : يا حسان إنه قد حدث بين المطيبين وأحلافهم شر ، فقل في مقتل أبي أزيهر شعرًا تحرض بـه المطيبـين على الأحلاف[2] ، وانبعث حسان يحرض في دم أبي أزيهر ويعير أبا سفيان

---

(١) العقر: المهر المدفوع من الزوج للزوجة . (ابن سدران) . الصلات بين أهل مكة وبلاد تهامة والسراة قديمة جداً ، وتلك الصلات في عصور ما قبل الإسلام وبعده لم تدرس في بحوث علمية ، وتحتاج إلى من يدرسها ويوثقها . (ابن جريس).

(٢) ابـن حبيـب ؛ المنمـق في أخبـار قريش : ٢٠٠ . المطيِّبـون هـم : بنـو هاشـم وعبـد شمـس والمطلـب ونوفـل بنـو عبد منـاف، وبنو أسـد بـن عبـد العزى ، وبنوزهـرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة ، وبنـو الحارث بن فهر. والأحلاف هم : بنو عبـد الدار بن قصي ، وبنو مخزوم بن يقظة ، وبنو جمح بن عمرو ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص ، وبنو عدي بن كعب . انظر المصدر السابق : ٢٠٠ .

خفرته ويجبنه، فقال في أبيات[١]:

غدا أهل حضني ذي المجاز بسحرة[٢] **وجار ابن حرب بالمغمَّس ما يغدو**

فلما بلغ قوله يزيد بن أبي سفيان خرج فجمع بني عبد مناف وصاح في المطيبين فاجتمعوا وأبو سفيان بذي المجاز، قال: أيها الناس، أخفر أبو سفيان في جاره وصهره فهو ثائر، فتهيأ يزيد، واجتمع بهم وبرز بهم، فلما رأت ذلك الأحلاف اجتمعوا فخيموا قريبًا، فلما رأي ذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، خرج على فرس له حتى أتى أبا سفيان بن حرب، فأخبره الخبر، وكان أبو سفيان حليمًا منكرًا يحب قومه حبًّا شديدًا، وخشي أن يكون في قريش حرب في أبى أزيهر، فدعا بفرسه فطرح عليها لبدًا ثم قعد عليه، وأخذ الرمح ثم أقبل إلى مكة وبها الجمعان، وجعل أبو سفيان بن الحارث يقول في الطريق لأبى سفيان بن حرب: فداك أبي وأمي أحجز بين الناس، فجعل لا يجيبه إلى شيء حتى قدم عليهم، فوقف بين الجمعين وقد تهيأوا للقتال، فنظر فإذا اللواء مع ابنه يزيد، وهو في الحديد مع قومه المطيبين، فنزع اللواء من يده وضرب به بيضته[٣] ضربة هدَّه منها ثم قال: قبحك الله! أتريد أن تضرب قريشًا بعضها ببعض في رجل من الأزد؟ لعمري ما بدوس عجز عن طلب ثأرهم، سنؤتيهم العقل[٤] إن قبلوه، ثم نادى بأعلى صوته: أيها الناس، إن خلفنا عدو شامت. يعني النبي ﷺ ومتى نفرغ مما بيننا وبينه، ننظر فيما بيننا وبينكم، فلينصرف كل إنسان منكم إلى منزله، فتفرقوا وأصلح ذلك الأمر، وبلغ أبا سفيان قول حسان فقال: يريد أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس، فبئس والله ما ظن. وأرسل أبو سفيان إلى مائتي ناقة فعقل بها أبا أزيهر، ثم بعث بها مع رهط من قريش فيهم ضرار بن الخطاب، إلى قوم أبي أزيهر بالسراة، فأتوا بالدية رهط أبي أزيهر، فقبلوا منهم، ثم أمهلوا حتى إذا أرادوا الانصراف شدت عليهم الغطاريف، وهم أهل الحارث بن عبد الله بن عامر الغطريف والنمر ودوس، فقتلوا بعضهم ونجا بعضهم، فهرب ضرار بن الخطاب

---

(١) ديوان حسان: ٩١. (ابن جريس).

(٢) حضني: مثنى حضن وهو الجانب والناحية، بسحرة: السحر بفتح السين: الفجر. المغمس: جبل شرقي عرفات ،وقيل: المحصَّب(ابن سدران).

(٣) البيضة: غطاء على الرأس يتلقى به الفارس الضربات. (ابن سدران). كان في الجاهلية حروب وصراعات بين قريش وبعض قبائل السراة، وكان أيضاً بينهم صلات اقتصادية واجتماعية. وكل هذه الموضوعات لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين لأبحاث أكاديمية أو رسائل علمية. (ابن جريس).

(٤) العقل: الدية. (ابن سدران).

واستجار بامرأة من دوس يقال لها أم غيلان، فأدخلته منزلها وأجارته وأقبلت الأزد، فلما رأتهم أخرجت بناتها حسرًا دونه، فلما جاءت دوس تطلبه قالت: إني قد أجرته وحرماتكم حسر دونه، فإن شئتم اهتكوا الستر واستحلوا حرمته، فتركوه لها، فانصرف وهو يقول في أبيات:

جزى الله عنا أم غيلان صالحًا فهن ... ونسوتها إذ هن شعث عواطل

دفعن الموت بعد اقترابه دعت دعوة ... وقد برزت للثائرين المقاتل

دوسًا فسالت شعابها ... برجل وأردفها الشروج القوابل[(١)]

وعلم حسان بن ثابت رضي الله عنه بالأمر، وخشي أن تسكت دوس بعد أخذ الدية، فقال يحرضها على قريش:

يا دوس إن أبا أزيهر أصبحت ... أصداؤه رهن المضيَّح فاقدحي[(٢)]

حرباً يشيب لها الوليد فإنما ... يأتي الدنية كل عبدٍ نحنح[(٣)]

وابكي أخاك بكل أسمر ذابل ... وبكل أبيض كالعقيقة مصفح[(٤)]

وبكل صافية الأديم كأنها ... فتخاء كاسرة تدف وتطمح[(٥)]

وطِمِرَّة مرط الجراء كأنها ... سيد بمقفرة وسهب أفيح[(٦)]

إن تقتلوا مائة به فدنية ... بأبي أزيهر من رجال الأبطح[(٧)]

فهيج هذا القول دوساً ، وتنادوا لأخذ الثأر ، فأغاروا على قريش ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم جعلوا يترصدون عيرهم ، فيقتلون من قدروا عليه حتى رضوا منهم، وفرضوا عليهم إتاوة ديناراً في كل قتب ، فرضوا بذلك ، وقال شاعرهم الدوسي يرد على حسان بن ثابت :

---

(١) الشروج : الفرق ، واحدها الشرج على وزن القبر. (ابن سدران) .

(٢) اقدحي: أثيري. (ابن سدران) .

(٣) النحنح : اللئيم . (ابن سدران) .

(٤) العقيقة : البرق وسط السحاب كأنه سيف مسلول. المصفح : العريض المال . (ابن سدران) .

(٥) فتخاء : عُقاب ، وفي البيت إقواء . (ابن سدران) .

(٦) الطمرة بكسر الطاء والميم والراء المشددة المفتوحة : السريعة ، يصف الفرس ، ومرطى الجراء: سريعة. السيد: الذئب ، السهب : الفلاة . الأفيح : الواسع . (ابن سدران) .

(٧) الأبطح : مكة ، وانظر الأبيات في ديوان حسان : ٤٥ . (ابن سدران) .

ألا أبلغا حسان أعني ابن ثابت ... بأنا ثأرنا من قتيل المضيَّح

ثلاثين من أبناء فهر بن مالك ... وعشرين إلا واحدًا لم يتيَّح

تركنا سراة الحي تيمًا وعامرًا ... وسهمًا ومخزومًا كشاء مذبَّح[١]

ولابد من أخرى على أبطحيهم فدونكها ... تقر بها عين الشجي المدبَّح[٢]

يا ابن الفريعة شزبًا ... شماطيط أمثال القطا المتروح[٣]

تُنسِّي هشام بن الوليد ورهطه ... سخينة بيع الأتحمي المسيَّح[٤]

وتذكر بعض المصادر أن بعضًا من قبائل الأزد شاركت قبيلة دوس في حربها لقريش مكة ثأرًا لأبي أزيهر الدوسي ، ومن تلك القبائل قبيلة بارق ، لقول شاعرهم سراقة الأكبر بن مرداس معددًا بعض مَن قتلوهم من صناديد قريش بأبي أزيهر :

لقد علمت بنو أسد بأنا ... تقحمنا المشاعر معلمينا[٥]

تركنا بعككا وابني هشام ... وحربًا والمسيب إذ لقينا

وعوفًا بعده العوام رهنًا ... ولم نك من قريش أوجرينا[٦]

تركنا تسعة للطير منهم ... بمكة والسباع مطرحينا

فلما إن قضينا الدين قالوا ... نريد السلم قلنا قد رضينا

وضعنا الخرج موصوفًا عليهم ... يؤدون الإتاوة آخرينا[٧]

---

(١) سراة الحي : أشرافهم . (ابن سدران) .

(٢) المدبح : الذليل . (ابن سدران) .

(٣) الفُريعة: أم حسان بن ثابت . الشزب : الخيل الضمر. شماطيط : فرقاً . القطا : جمع القطاة ، وهي طائر في حجم الحمام . المتروح : السائر في العشي . (ابن سدران) .

(٤) السخينة : طعام كانت تتخذه قريش من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، تأكله في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال وكانت تعير به . انظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (٣٨/١) . والأتحمي : ضرب من البرود ، والمسيح من الثياب: المخطط . (ابن سدران) . التاريخ الأدبي في أرض السروات في الجاهلية وصدر الإسلام من الموضوعات التي لم تدرس حبذا أن يتصدى لهذا الموضوع أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد . (ابن جريس) .

(٥) المشاعر: مكة . معلمينا من أعلم نفسه إذا وسمها بسيماء الحرب. (ابن سدران) .

(٦) أوجرين : خائفين . (ابن سدران) .

(٧) الإتاوة : نوع من النكال كالجزية. (ابن سدران) .

لنا في العير دينار مسمى به حز الحلاقم يتقونا
ولولا ذاك ما جالت قريش شمالاً في البلاد ولايمينا

فلم يزل ذلك عليهم يؤدونه إلى الأزد ، حتى ظهر النبي ﷺ ، وطرحه فيما طرح من سنن الجاهلية . وقد جرى بين قبائلها أي (قبائل دوس) في العصر الجاهلي حروبٌ أهلية ، من أهمها حربان هما "يوم حضَرَة" ، ويوم "ثُروق" ، أعرضنا عن ذكر تفاصيلها خشية الإطالة . ومن شعرائهم وأدبائهم : في الجاهلية : مالك بن فهم الدوسي ، وولده سليمة ، وعمرو بن حممة الدوسي ، حكيم العرب ، وكهمس بن شُعيب الدوسي ، ذكره أبو حاتم السجستاني في المعمرين ، وقال عنه: عاش أربعين ومائة سنة[1] وغيرهم . أمّا في الإسلام فمنهم : عدي بن وداع العقّي رضي الله عنه، واسم العقّي منقذ بن الحارث ، وقيل الحارث بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران[2] . وكعب بن معدان الأشقري ، من ولد سعد بن عائذ بن مالك بن عمرو بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبدالله ابن زهران ، له قصائد تعد من غرر القصائد العربية[3] . ووهب بن جرير بن حازم بن زيد بن عبدالله ابن شجاع الجهضمي . من ولد مالك بن فهم بن غنم ابن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران الأزدي ، له أرجوزة طويلة في وصف طريق الحج من البصرة إلى مكة المكرمة[4] . ومُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْد بن عتاهية بن حنتم بن الْحسن بن حمامى بن جرو بن وهب بن وَاسع بن سَلَمَة بن حَاضر بن حنتم بن ظَالم بن حَاضر بن أسد بن عدى بن عَمْرو بن ملك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بْن عبد الله بن زهران بن كَعْب بن الْحَرْث بن كَعْب بن عبد الله بن مَالك بن الازد بن الْغَوْث[5] .. ورد عن السمعاني (٣٤٣/٥) قوله فيه : "كان يقال هو أعلم الشعراء وأشعر العلماء" ، وجاء في كتاب " معجم الشعراء العرب" : من أئمة اللغة والأدب ، قال عنه صاحب مصنف : الوفيات والأحداث (٧٦) : إمام اللغة وشيخ الأدب ، سلفي ، له ثناءٌ على أهل الحديث" كما قال عنه القفطي في كتابه " المحمدون من الشعراء

---

(١) السجستاني : المعمرون والوصايا: ٢٩ . (ابن سدران) .
(٢) القصائد الحسان لبعض شعراء غامد وزهران. ١٧٥ . (ابن سدران) .إن تاريخ الأدب والشعر والشعراء في سروات غامد وزهران قبل الإسلام وبعده من الموضوعات التي لم تدرس ونأمل من أساتذة اللغة في جامعة الباحة أن يتولوا هذا الموضوع بالبحث والتوثيق . (ابن جريس) .
(٣) المصدر نفسه . ٢١١. (ابن سدران) .
(٤) المصدر نفسه . ٢٧٥. (ابن سدران) .
(٥) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (١١٥/١) . (ابن سدران) .

وأشعارهم (٦١)" : الإمام، العلامة ، اللغوي ، الإخباري ، الفاضل ، الكامل، الشاعر ، شيخ المشايخ ، فريد الوقت ، نادرة الدّهر ، إمام الأمصار" . من تصانيفه : الجمهرة في اللغة ، اشتقاق أسماء القبائل ، أدب الكاتب، المقصور والممدود ، وغريب القرآن لم يكمل[١] . له ديوان شعر ، حققه: محمد بدر الدين العلوي. ومنهم اللغوي البارع: علي بن حسن الهنائي ، الملقب : "كراع النمل" صاحب كتاب : "المنجَّد" في اللغة[٢]، وغيره من المصنفات اللغوية المفيدة . ولو ذهبنا نعدد علماءهم وأدباءهم في اللغة والشعر في الجاهلية والإسلام لضاق بنا المجال لكثرتهم ، وما أوردناه يكفي للتعريف بهم .

وكانت لهم عدة ممالك في الجزيرة العربية وخارجها ، فكانت لهم مملكة في القطر العُمَاني بزعامة مالك بن فهم الدوسي ، أسسها في ذلك القطر إبان رحيله إليه، وأخرى في الحيرة من أرض العراق ، بزعامة ابنه جذيمة بن مالك بن فهم الدوسي، الملقب بالأبرش أو الوضاح ، لبرص كان به ، وثالثة في أرض فارس ، بزعامة ابنه سَليمة بن مالك بن فهم الدوسي ، أسسها بعد أن رحل إلى "مكران" من أرض فارس عقب قتله والده مالك بن فهم ، بطريق الخطأ ، وذلك خوف بطش إخوته به ، ورابعة في العهد الإسلامي بتهامة زهران ، بزعامة سلاطين من قبيلة بني سُليم الدوسية القاطنة في الجزء التهامي الزهراني ، وهم يعودون في قبيلة دوس ، حيث كان يتصدر اسم الحاكم منهم عبارة "السلطان بن السلطان" . وتعد قبيلة دوس في العصر الجاهلي من القبائل المتحضرة ، إذ كان لها قرية كبيرة تسمى: "ثُرُوَق" في وادي ثروق الحالي ، التي ذكر ياقوت الحموي في معجمه وجود منبر فيها ، والمنبر في العادة لا يكون آنذاك إلا في القرى الكبيرة ، وهو مُعَدٌّ للخطابة وإعلان الحرب ، أو إقرار السلم ، وخلع الصعاليك، وكتابة العهود والمواثيق والأحكام التي تتخذها القبيلة ، يفد إليها العرب من كل مكان للتحاكم على يد حكيم العرب : عمرو بن حممة الدوسي ، ولتأدية الطقوس الوثنية عند صنميها الشهيرين (ذي الخلصة ، وذي الكفين) ، وللتسوق في سوق تلك القرية الجامعة المسماة سوق (سُلَيم) . التي كانت تعقد في السنة مرتين فقط ، لمدة ثلاثة أيام الأولى في عيد الفطر والثانية في عيد الأضحى. وفي الجانب الغربي من تلك السوق التاريخية، تحت شجرة عظيمة تسمى: "الرُّقَّاعَة" يوجد حجر كبير مستو رسم عليه خطوط لعبة (القَطْرَة) المسماة في اللغة (القِرْق) لا تزال تشاهد بوضوح على ذلك الحجر إلى وقتنا

---

(١) معجم المؤلفين . (١٨٩/٩). (ابن سدران) .
(٢) البحث اللغوي عند العرب . (٢٨٩/١) . (ابن سدران) .

الحالي، وحوله حجارة كالمقاعد ربما وضعت للمتفرجين على اللاّعبَيْن الاثنين وهما يلعبانها ، وكل واحد منهما يلعب بتسعة أحجار ،كل حجر أكبر من الحَمَّصَة . ويطلق عليها أم تسع، وهناك الصغيرة وتسمى "أم ثلاث" لأنّ كل واحد من اللاعبين يحمل ثلاثة أحجار يلعب بها ، جاء في لسان العرب (١٠/٣٢٢) : "وَمِنْ كَلَامِهِمْ : "استوىَ القرْقُ فَقُومُوا بنَا أي اسْتَوَيْنَا في اللّعب فَلَمْ (يَقْمُرْ) وَاحدٌ منَّا صَاحبَهُ""[1]. ومن أسمائها كما ورد في كتاب: "تاج العروس" ١١/ ٥٣٠" : "السُّدَرَ". إلاَّ أَنها مشهورة في زهران باسم : "القَطْرَة". ومما يدل على تحضر قبيلة دوس وبقية قبائل زهران الأخرى في العصر الجاهلي، وأخذها بأسباب الاستقرار تلك الوثائق المسماة (الشَّدَّات) الوثائق المنظمة للأسواق الأسبوعية المنعقدة في كل قبيلة وأمور الناس الاجتماعية الأخرى ، فقد أعطت لكل حادثة حكمًا جزائيًّا ، لردع المعتدي في تلك الأسواق ، أو الطرق المؤدية إليها ، وبسطت الأمن في ربوع ديارها ثلاثة أيام لرواد الأسواق ، بحيث يأمن المرء على نفسه ، وعلى بضاعته ومشترياته فيما يسمى (بعقود السوق) وعقود السوق تشمل حماية من يدخل قبيلة راعية السوق التي تُعقد في حماها ، وتأمين الطرق المؤدية إليها ، فجعلت يومًا قبل يوم انعقاد السوق ، بحيث يستطيع المرء المبيت في السوق بتجارته ، أو في أحد البيوت المجاورة دون أن يعترضه أحد ، حتى ولو كان غريمه أحد أفراد قبيلة صاحبة السوق ، فله حرية السير في طرق السلطان ، حتى يصل إلى السوق بأمان تام ، ويوم انعقاد السوق ، بحيث لو قابل الرجل قاتلَ أبيه وسط السوق فلا يعترض سبيله ، ويومًا بعد يوم انعقاد السوق ، وذلك لتأمين طريق عودة المتسوقين إلى ديارهم وهم آمنون . جاء في شدتي (وثيقتي) سوقي (الخميس والثلاثاء) بقبيلة بني فهم الدوسية ، الأولى كانت تعقد بقرية (آل نعْمَة) والثانية ببلدة (برَحْرَح) وكلتا القريتين من قُرَى قبيلة بني فهم : " وكنَّهُم (وكأَنَّهم) مع المبلي حيال يد واحدة والبالي غرازه حُوّب[2] أذنه ، وكنَّ (وكأنَّ) الأخ ما يؤخذ في جُرم أخيه ، ولاً الولد يؤخذ في أبيه ، ولا (ابن) العم يؤخذ في جرم ابن عمه، وكنَّهُم دخلوا بني فهم في عقود سوق الخميس وسوق الثلاثاء، بني فهم من حُضْوَة إلى سَيْحَان ، ويوم الخميس لبني فهم آمن ضامن ، من صبح يومه إلى صبح الجمعة ، وكنَّ يوم الثلاثاء لبني فهم آمن ضامن ، من صبح يومه إلى صبح الربوع ، وباقي عقد

---

(١) هي ليست بقمار حتى يُقال هذا القول بعاليه ،فلا جُعل فيها ولا بين اللاعبين شرط ،وإنما هي موضوعة للتسلية لا غير ، ولو قال: "فلم يغلب واحد منا صاحبه". لكان صواباً. (ابن سدران) . أشكرك يا علي على هذا السرد التاريخي ، وهذا مما يؤكد على أن أرض تهامة والسراة لها تاريخ قديم ومتنوع ولكنه للأسف ضاع لعدم تدوينه ،وما زال منه النزر اليسير متناثر في كتب التراث الإسلامي . (ابن جريس) .

(٢) حُوَّب : مصطلح محلي له عدة معاني ، وهو هنا بمعنى يخص نفسه . (ابن سدران) .

الخميس بين أهله، وباقي عقد الثلاثاء بين أهله، وكنَّ شدَّات السوقين البندقة إلى ناضت[١] بلا سبب، ففيها عشرة ريال وأربعون معزِّرة[٢] وإن آسَتْ[٣] فعتبها مثل نَصِّ ما يحكم به الشرع[٤]، وإن حصل منها موت فنَقَا بالمفتعل، والجنبيَّة إلى سُلَّت بلا ساية، فعليها ثلاثة ريال وعشرون معزِّرة، وإنْ حصل منها سبب فعتبها مثل عطَبَها، والحجر و(العصاة) إلى ضُرب بها، عتبَها مثل عَطبها، ومعزِّرتها عشرون، والسوق من المكتفلات ..[٥]". وجاء في شَدَّة (وثيقة) سوق الخميس التي كانت سوقًا جامعة لقبائل بني عُمَر ببلدة الأطاولة بسراة زهران: "ومن الشروط الذي بينهم فإنه آمن ضامن بأمن الله و(أمِن) أهله: الجارم الرقبة وغرق اليد، وإن شرط هذا السوق من ظُهر نهار الربوع إلى ظهر نهار الجمعة، وإن في (الهوشات) أن في الحجر شاتين، وإن أخطأ ففيه شاة. وأن في مَشْقَة الجنبية شاة، وإن ضرب بها وسال الدم ففيها ثور. وإن المشعاب والعصا إلى ضُرب بها ففيها شاة، وإن سال الدم ففيها شاتان ورضا المضروب. ونكسة العود فيها شاة. واللطمة فيها شاتان..[٦]". وجاء في شَدَّة (وثيقة) سوق ربوع الصفح بقرية الصَّفْح التابعة لقبيلة بالخزمر، إحدى قبائل بني أوس بسراة زهران: "وإن ما يقع في العقود إنه في وجه الكفلاء[٧]، المثل بمثله في الرقاب والمال برأسه أو مثله، والسَّاية في الأجنبي[٨]، إن كانت من الأحلاف فنذر الشريعة وعزير أربعين من الكفلاء، والرقاب فيها النَّقَا[٩]، وإن كانت من أجنبي في أجنبي، فكلٌّ يقوم بقبيله حتى

---

(١) قوله: "ناضَت" أي أُطْلقَت. (ابن سدران).

(٢) قوله "المُعَزِّرَة" هم مَن يقومون بأخذ العَزير من المتعدِّي، والعَزير لهجة محلية يقصد بها التغريم، وهو بخلاف التَّعْزير، فالتعزير حكم شرعي يحكم به القاضي على المعتدي فيما دون الحدود الشرعية أمَّا العزير فهو عُرْف قبليَ يحكم به العَارفَة على من يعتدي على غيره في نفسه وأهله أو أملاكه، وصورته: إمَّا يدفع للقبيلة دراهم معلومة أو يذبح لهؤلاء المعَزِّرَة كبشًا أو أكثر أو ثورًا، والجرم يقرر مقدار التعزير.

(٣) أي جرحت.

(٤) يوجد الكثير من الوثائق الحديثة في أيدي الأسر والأفراد في بلاد تهامة والسراة. ومثل هذه المصادر مهمة فيجب جمعها وحفظها وتشجيع دراستها وتحليلها. (ابن جريس).

(٥) انظر: بطون قبيلة زهران: ٤٧٦. (ابن سدران).

(٦) بطون قبيلة زهران: ٥٧٥. (ابن سدران).

(٧) لكل سوق هيئة تشرف عليها يسمون الأمناء أو الكفلاء. (ابن سدران).

(٨) قوله: الساية في الأجنبي؛ أي التعدي على الأجنبي، والمقصود بالأجنبي كل مَن هو من غير أفراد القبيلة صاحبة السوق. (ابن سدران).

(٩) "النَّقَا": حكم قبلي وهو: القصاص لا غير، فمن قَتَل لا بد أن يُقْتَل في الشريعة أو الطبيعة كما يسمونها، لكن "النقا" في عرفهم حكم جائر، ويأتي جوره من أنهم إذا لم يتمكنوا من القاتل إمَّا لمَنَعَته أو هربه أو موته، فلابد أن تُعَيِّن قبيلته أحد أفرادها لتقتله قبيلة المقتول، وغالبًا ما يكون خامل الذكر في قبَيلته أو ممن لا يستفاد منه. والغريب أن هذا الضحية لا يعلم بما دُبِّر له، وتُسَهِّل قبيلته الطريق لقتله. (ابن سدران).

ترتفع البيض ، ولا منهم من (يذخر) قبيله ، وإنهم حيالٌ على المفتعل وإذا كان عدوًّا فالبلاد والسوق مفروشة للسَّبَّاب ولا قبيل يحوطه حتى تطلع البيض من السَّبَّاب ، ولا عليهم (لُغَا) إلا بما ذكر ، وهوْشَة السوق ما فيها مَعَصِّب[1] ، والمَعَصِّب مثل الفاعل شرطهما واحد ، والجنبيَّة إذا سُلَّت في السوق ولم تُكَوِّن[2] فعزير أربعين، وإن كَوَّنَت فنذر الشريعة وعزير ستين ، ومن ضرب بالعصا فعزير أربعين ، ومن شال الحجر ورمى به ولم يصب فعزير عشرين ، وإن أصاب فنذر الشريعة وعزير أربعين ، إلاَّ الفارع إذا ضَرَب بالعصا فلا عليه وجه، إلاَّ أن يُستحانّ منه ، فعليه يمين ما عَصَّبْت ، وإنّ ما يلحق المفتعل[3] في السوق إنّ ما فيه وجه من الكفلاء وأنه يستحق ما (جاه) في هوشة السوق وأمَّا النقا في الرقَبَة فلا فيها إلاَّ الجارم ..[4] ". كما خصصت لجنة من أفراد القبيلة صاحبة السوق ومن مهامها الإصلاح بين المتخاصمين، وفض المنازعات التي قد تحدث في محيط السوق ، والإشراف على مكاييل وموازين الباعة ، بعد أن فرضت عليهم توحيدها لتطابق ما لدى تلك اللجنة . فإن تطابقت معها تركوها له ، وإلاَّ أنذروا صاحبها بعدم استعمالها في ذلك اليوم ، وعليه أن يعمل على مطابقتها بما لدى اللجنة، وإن هبط بها السوق في الأسبوع القادم وهي ناقصة كسروها أمام رواد السوق، ومما يجب التنبيه عليه هو أن تلك القوانين المنظمة للأسواق الأسبوعية ، مأخوذة من القانون العام ، المعمول به بين قبائل زهران كافة ، إلى جانب عملهم بقانون الشريعة الإسلامية الغراء ، فقد عثرنا على نظام متكامل يشبه قانون الأحوال الشخصية ، يسمى (الست اللوازم[5]) ، ويقصد بالست اللوازم في مفهوم القوم : هي ما يَلزم الوفاء بها ، واللوازم الست التي التزموا بها وناصروها في هذا القانون المكتوب هي حماية الرَّحِيمُ، والحِلفُ، والسَّدِيْدُ، والجَارُ، والزَّادُ، وفي بعض النسخ: القصبة المربوعة، وهي الديرة التي تخص القبيلة ، وفي بعض النسخ : والضَّيْفُ . بدل القصبة[6]. ثم وضعوا لكل لازمة من تلكم اللوازم الست في حال ارتكابها جزاءات بدنية وغرامات مالية ، وعندما بدأوا في

---

(١) المُعَصِّب هو المنحاز إلى أحد المتقاتلين بقصد نصرته . (ابن سدران) .

(٢) قوله: "تكوّن أي تجرح . (ابن سدران) .

(٣) قوله : المفْتَعِل ؛ أي البادئ بالقتال فهو ليس في وجه الكفلاء ، ولا له حق المطالبة بأرش ما أصابه ، ومثل ما تقول العامة : يلحس دَمَه .. (ابن سدران) .

(٤) بطون قبيلة زهران : ١٧٢ . (ابن سدران) .

(٥) أوردنا لها بحثًا في كتابنا : بطون قبيلة زهران ، من صفحة : ٣٨ إلى صفحة ٧٣ . (ابن سدران) .

(٦) ليست بلاد زهران الوحيدة التي تمتلك مثل هذه الوثائق وإنما توجد مثل هذه الأنظمة والأعراف عند عموم قبائل تهامة والسراة. وقد جمعنا مئات الوثائق الاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية خلال الأربعين سنة الماضية، ومعظم تواريخها منذ القرن العاشر الهجري . (ابن جريس) .

تطبيقها ظهرت لهم لوازم أخرى ، فأوصلوها إلى عشر لوازم ووضعوا لها أيضًا عقوبات وغرامات مناسبة ، أوضحتها في كتابي : (بطون قبيلة زهران) . ولعلي أنشرها بتوسع في بعض مؤلفات الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس[١] ، وفيما يلي أمثلة لبعض ما وضعوه لتلك اللوازم من عقوبات وغرامات . ولنبدأ بالحلف الذي يتم بين الأفراد أو القبائل فقالوا عنه : والحِلْفُ أَقْوَى لازِمَة ، وَإِنَّ الحِلْفَ وَالشُّرَكَاءَ الذِّيْنَ بَيْنَهُمْ شَدَّةٌ وَإلاَّ كِتَابُ حِلْفٍ إِنَّهُمْ مُلْزَمُوْنَ بِمَا فِي شَدَّتِهِمْ[٢] .

وقالوا عن السديد ، وهو الرفيق في الطريق :وَفِي عُرْضَةِ السَّدِيْدِ مَعَ سَدِيْدِه سَبْعَةُ رُوْس مَطَابِيْقَ لِلْقَائِم بِهَا، وَرَاسَان تَقْدَى ثَوْبَ الرَّوْعَة بَيْنَ السَّدِيْدِ وَالمُسَدِّ بِرِضَا السَّبَّاب[٣] . وقالوا عن الجار المجاور : وَالْجَارُ لاَ فِيْه فَكَّة ، وَلاَ لَكَ مِنْهُ نَجَاة ، فَلاَ يَسْلَمُ جَارُهُ مِنْهُ إلاَّ بَعْد يَبْدِي بِه السُّوْقَ ثَلاَثَ مَرَّات ، مِنْ ثَلاَثَة أَسْوَاق ، وَيُنَفِّرُ دَبْشُهُ[٤] ثَلاَثَ مَرَّات مِن مَرَاحه ، وَتُكَسَّرُ تَوْرَتُهُ[٥] . وَبَعْدَهَا مَا عَلَى المُتَجَوِّرِ سُبَّةٌ[٦] . وقالوا عن الزَّاد: وَإِنَّ مَنْ تَمَتَّعَ فِي قَرْيَة بِمَتَاع وَخَرَجَ مِنْهَا وَذُبِحَ، فَإِنْ كَانْ ذُبِحَ فِي دِيْرَة الْقَرْيَة فَتَلْزَمُهُمْ لاَزِمَةُ فِي الزَّادِ وَالْبِلاَدِ[٧] . وَإِنْ قُتِلَ فِي غَيْرِ بَلَدِ الْقَرْيَةِ الَّذِي تَمَتَّعَ فِيْهَا ، فَإِنَّ اللاَّزِمَةَ عَلَى

(١) نحن على استعداد لنشر بحوثك يا أستاذ علي بن سدران، وذلك لما تمتاز به من الدقة والرصانة، ونأمل أن تواصل جهودك أيضاً في دراسة الكثير من الموضوعات الجديدة والمتعلقة بأرض وسكان غامد وزهران.(ابن جريس) .

(٢) الحلف : عقد بين اثنين أو قبيلتين على التناصر والتآزر ، وألاَّ يغدر أحدهما بالآخر .. (ابن سدران) .

(٣) إذا أحد اعترض السديد وهو يمشي مع سديده ، فللسديد من معترضه سبعة روس جديدة من القماش، ويلحقها رأسان تقسم بين السديد وسديده لقاء الروعة التي لحقت بهما. (ابن سدران) .

(٤) أي أن الجار ملزم بجاره لقرابة الإسلام وقرب الدار من الدار، إلا أن ينفد صبره من أفعاله السيئة ومضايقاته المتكررة له ولأهل بيته وجيرانه، ولكي يكون في حلٍ منه أمام القبائل فعليه أن يعلن ذلك للملأ من على شرفات ثلاثة أسواق، ثلاث مرات متتاليات ، وبعدها يطرد . (ابن سدران) .

(٥) التَّوْرة : وعاء يشبه القدر مصنوع من الفخار المحروق يُصنع فيه الطعام . وهي عربية فصيحة ففي حديث أنس (رضي الله عنه): فصنعت أمِّي أم سُليم حيسًا فجعلته في تور . صحيح مسلم برقم : ٢٥٧٢ . ويقصد بالمتجور مُجير الجار .الحلف : عقد بين اثنين أو قبيلتين على التناصر والتآزر ، وألاَّ يغدر أحدهما بالآخر .. (ابن سدران) .

(٦) أي ما على جاره ملام فيما يفعل بجاره بعد أن يبلِّغ بقبيح فعله هُبَّاط السوق ثلاث مرات من على شرفات ثلاثة أسواق ، ويقال في المثل الشعبي : للجار سبع زلات . وإذا تعدى بعد ذلك تبرأ منه جاره بالطريقة التي وردت في النص. (ابن سدران) . من يقرأ مثل هذه الوثائق المحلية يجدها تعكس عدة جوانب مثل : (١) صور من التاريخ الاجتماعي لأهل البلاد . (٢) مستوى اللغة أو اللهجات المستخدمة في هذه الوثائق . (٣) قدرة أهل البلاد على إيجاد أنظمة وأعراف تسير حياتهم وتعايشهم مع بعضهم البعض. (ابن جريس) .

(٧) أي في زادهم الذي أكله لأن الزاد لازمة من الست اللوازم ، وفي بلدهم الذي قُتل فيها فإن القصبة وهي الديرة لازمة من اللوازم الست ... (ابن سدران) .

أَهْـلِ الْبِلاَدِ[١]. وقالوا عن القصبة ، وهي الديرة المربوعـة : وَفِي وَطْيَةِ الدِّيْرَةِ الْمَرْبُوعَةِ الْمَرْفُوعَـةِ لَـوْ طُردَ فِيْهَا قَوْمٌ وَلاَ وَقَعَ بَيْنَهُمْ سَايَةٌ ، فَعَلَـى كُلِّ رَجَّالٍ مِنْهُمْ نِصْفُ رَاسٍ[٢]. وقالوا عن الضيف إِنْ بَارَ الضَّيْفُ فَتُكْسَرُ صَحْفَتُهُ الَّتي أَكَلَ مِنْهَا مِنْ عِرَاقِ السُّوْقِ، وَذَلِكَ بَعْدُ يَعْتَبُ الذَّمِيمُ ثُمَّ يَعْتَبُ الْجَارُ ثُمَّ يَعْتَبُ السَّدِيْدُ، وَإِذَا بَارُوا كُلُّهُمْ أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ بِأَسْمَاءِ الْـكِلاَبِ[٣]. وقالوا عن السوق : وَالسُّوقُ مِـنَ الْمُكْتَفِلاَتِ عَنِ الذِّمَّةِ ، وَعَنِ الضَّيْفِ ، وَعَنِ الْجَـارِ ، وَعَنِ السَّدَادِ ، وَعَنِ الطَّوِيْلَةِ وَالْقَصِـيْرَةِ . وَالسُّوْقُ يَكْفُلُ مَنْ يَهْبِطُهُ وَيَصْدُرُ مِنْهُ وَيُصِيْبُهُ آتِيْه .

حتـى الحصن المبني في أي مكان من أرضـ القبيلة ، إذا ما تجرَّأ الأعداء وهدموه أو شبـوه (أحرقوه) فإن له عقوبة رادعة فقالـوا : وَفِي الْحِصْنِ السَّامِي إِذَا هُدَّ أَوْ شُبَّ، أَنَّ فِيْـهِ أَرْبَـعَ رِقَابٍ ، وَإِلاَّ يُبْنَى بِحَصى مِنْ غَيْرِ حَصَاه[٤]، وَيُـزَادُ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ذِرَاعٌ[٥]. وتطرقـوا في هذا القانون المسمى : (السـت اللوازم) إلى بعض الأفراد في المجتمع ممن اعتبروهم ناقصي الأهلية فأصدروا بحقهم الفقرة التالية : وَأَرْبَعَةٌ مَا تَطْلُعُ بِهِم الْبَيْضَا وَلاَ تُطْلَـعُ لَهُمْ وَهُمْ : الْمَيْسِي يَعْنِي الْمُخَنْثَـى[٦] ، وَالأُنْثَى ، وَالْعَبْدُ ، وَالْهُتَيْمِي[٧]. وَلاَ فِيْهِمْ لاَزِمَةٌ وَلاَ قَتْلٌ ، إِلاَّ دِيَةٌ مُنَقَّصَةٌ تُسمَّى أَثْلاَثًا ؛ ثُلُثٌ يَطِيْحُ وَثُلُثَانِ تَرْجِعُ أَثْلاَثًا : حَبٌّ ، وَغَنَمٌ

---

(١) التي قُتل فيها ... (ابن سدران) .

(٢) لقاء ما أحدثوه من بلبلة وتشويش . ولأنها ليست بمكان قتال .. (ابن سدران) .

(٣) أي إذا تجاوز الضيف حدوده يُشْكى إلى كل هؤلاء قبل اتخاذ قرار بشأنه ، فإن عجزوا عن إقناعه بالعدول عن غَيِّه ، فعندئذ يُكسر الماعون الذي صُنع له فيه الطعام وهي الصَّحْفَة . وتقدَّم أيضًا كسر الإناء الذي عُمل له الطعام فيه وهي التَّوْرَةً أيضًا ، للدلالة على البراءة منه ، ومن بعد ذلك فلمن له الحق عليه النيل منه ، وإن لم يقم كل هؤلاء بردع الضيف عن غوايته ومالوا إلى جانبه ، فيحق بحقهم مناداتهم من على السوق بأسماء الكلاب إهانة لهم . (ابن سدران) .

(٤) أي أن الحصن المبني ، إذا هدمه قوم أو أحرقوه ، ففيه نقا بأربع رقاب من أبناء القبيلة التي أقدم بعض أفرادها على هدمه أو إحراقـه ، ولا تنـازل عن نقا القتـل إلاَّ أن تتعهد القبيلة الفاعلة ببنائه بحصى غير حصاه التي بني بها ... (ابن سدران) .

(٥) ليُعلم إنه بُني عُنوة بعد هَدمه أو حرْقه . (ابن سدران) . نشكرك يا أستاذ علي بن سدران على نشر مثل هذه الوثائق التي تعكس صوراً من تاريخ وحضارة بعض عشائر زهران . وحبذا أن نرى أشخاصاً آخرين أمثالك ينقبون ويدرسون تاريخ أهلهم وبلادهم عبر أطوار التاريخ . (ابن جريس) .

(٦) هو الْخُنْثَى الذي بين الذكر والأنثى . (ابن سدران) .

(٧) هؤلاء لا تنشر لهم البيضاء من على شرفات الأسواق ولا يدعون لأخذها ، ولا يعتبرون من أهل اللوازم ، والهتيمي (في عُرف زهران) هو الذي لا أصل له . فلو قتل أحد هؤلاء فليس فيه إلاَّ دية منقَّصة يتم سدادها كما هو مفصل في النص ، وقد يستغرق سدادها ثلاث سنين من ثلاث ثمار ، لأن الثمرة وهي المحصول تتم في سنة واحدة . (ابن سدران) . إنها أعراف وعادات لا تتوافق مع منهج الإسلام وشرع الله ، فالناس في أحكام الشرع سواسية. (ابن جريس) .

قَاطِعَـةُ الْجَلَّة[١]، وَدَرَاهِمُ . وَتَكُوْنُ مِنْ ثَلَاث ثِمَارٍ . وهذه اللوازم التي بلغوا بها عشرًا تم وضعها من قبل ثمانية رجال : سبعـة من زهران وواحد من بني مالك ، ثم فرقوها بين قبائـل زهـران من أجل العمل بها في "الرقاب والقصَـاب" . كما قالوا في حكم المرأة: " وَمَـنْ أَفْتَـاهُ عَلَى مَرَته ، إِنْ كَانَ لَـزَّمَ أَمَارِيَّةً أَوْ كَوْنَ وَسْمٍ ، فَهُوَ صـدْقٌ إِنْ ذَبَحَهَا وَذَبَحَهُ فَـلاَ فِيْـه إِلاَّ دِيَةٌ مُنَقَّصَـةٌ ، وَهِيَ مَا فِيْهَا دِيَـةٌ[٢]. وَإِنْ أَفْتَـاهُ الرَّجُلُ عَلَى مَرَتـه وَارْتَجَعَ وَكَـذَّبَ نَفْسَهُ[٣]، فَلَهَا عَلَيْه يُبَرِّيهَا بِخَمْسِ حُلاً ، وَلِـكُلِّ وَاحِد مِنْ أَهْلِهَا رَأْسٌ مُطَلَّقٌ وَتُرَدُّ عَلَيْـه[٤]. وقـد استمد عُرَّاف زهـران أحكامهم القبلية من هـذه القوانين عند حاجتهم إلى إصـدار حكم على أحد أَخَلَّ بنظـام القبيلة أو ارتكب جُرْمًا أوجب عقابه، وفيما يلي حكـم أحـد عُرَّاف زهران ويدعى أحمـد بن شماس الدوسي ، بعـد أن وجِّه إليه السؤال التالي: **مِن أحكام أحمد بن شماس الدوس، ما يلي:**

الحمـد لله رب العالمـين ، الذي أظهـر الحق ونار ، وكسر الباطـل وحار ، والصلاة والسـلام علـى محمد المختار ، آناء الليـل وأطراف (النهار) ، يعلم مـن يراه من وُلاة الإرشاد وحُكَّام البلاد ، لقد سَأَلَنا عبد الكريم والدَّعبة ، وقالوا : لنا جار من بني مالك ثـم جـاه ضربة عصا في رأسه ، ثم أرسلْنا للمقَضِّي المُعْتَبَر ، ثم شَطَّاه على يدي أخيار ، ثـم وجده صحيحًا لا خلل فيه ، ثم بعـد ما صَحَّ سَدَّيْنَاه في دَمه وَحَفَا وَصَفَا وبَدَا البيضا وهَبَـط السوق وطرد الوفاق ، ثـم زاد مَرض ومات ، ثم قاموا يَدَّعُون أهله فيه ويقولون: مـا غَـدَا به إلاَّ رأسه ، فنحب نسْألك ما يَصِـح في ذلك الأمر ، أفتونا جزاكم الله خيرا. (*)**حكـم العارفـة : أحمـد بـن شماس الدوسي، بمـا يلي**: الحمـد لله رب العالمين ،

---

(١) الجلة عند زهران هي مكان مسيل الوادي الذي لا تصلح أرضه للزراعة. ومعنى قاطعة الجلة أي من غنم ترعى في الجلة، ولا يتكلـف قاتـل أحد هـؤلاء شراء الغنم لدفعها ديـة ، وإنما يدفعها من غنمه التي ترعـى. والله أعلم . (ابن سدران) .

(٢) معنى هذا القول: إن افترى زيد على امرأة عمرو ، وأبلغه بأنها ترتكب الفاحشة وعثر الزوج على بيِّنة جليّة، إمَّا قبض عليه عندها ، أو رماه فجرحه ثم وُجد الجرح فيه بعد القبض عليه، أو أن الواشي ذكر علامة في الرجل. فله قتل الزوجة والرجل الذي يأتيها ولا دية للمرأة البتة ، أما الرجل فله دية ولكن ناقصة ، وقد تقدم تفصيل الدية المنقصة وكيف تُعطى . (ابن سدران) .اللهم لك الحمد فالشرع الحنيف وضح الحقوق والواجبات لكل مسلم (ابن جريس).

(٣) أي افترى عليها أولاً ثم عدل عن ذلك . (ابن سدران) .

(٤) أي تُـرَدُّ المـرأة علـى زوجها لكونها بريئة ممـا رُميت به ، ويَكْسو كل واحـد من أهلها رأسًا مـن قماش .. (ابن سـدران) . كـم نحن في أمس الحاجة أن يكتب تاريخنا من مصادر موثوقة ، والوثائق تعد من المصادر التي يثق بهـا المـؤرخ ويعتمد عليها في تدوين التاريخ. ولا تخلو بلادنا مـن آلاف الوثائق عند عامة الناس ، وفيها صور من التاريخ الحضاري لهذه الأوطان التهامية والسروية. (ابن جريس) .

نقـول الجواب والله الموفـق للصواب : إنَّ رسول الله ﷺ يقـول :)ولو أن الناس أعطوا بدعْواهم لادَّعَى ناس أموال ناس ودماءهم[١] . فَنَجُوا الدَّعَبَة بهذا المَقضِّي وأربعة شهود أنهـم لقيوا رأسه سالم العيـب ، فواجب على الدَّعَبة خمس وعشـرون حلِيَة أنه ما جاءه قَـدَرَه من هـذه الضَّرْبة فلا عاد عليهم اعتراضـ ، ما له قُبْلَة لحيث أنَـه اسْتَدَّ وصَدَر، (وإنْ) عَدمـوا في ذلـك فيحلفـون أهـل الولد خمسا وعشريـن حلِيَة ما قتلـه إلاَّ أنتم يا دَعَبَـة ، وما ضَوَاهُم يُحْسَب من الدِّيَة ، قال بذلـك أحمد بن شمَّاس، من سوالف مبنيَّة وأحـكام عربيـة ، وصلـى الله على محمد وآله والسـلام . ختم. فتأيَّـد حكمه من قبَل مجموعـةً من العُـرَّاف وشيوخ القبائل ، وأوَّلهم العارفة : موسـى بن أحمد ، حيث قال : " الحمـد لله رب العالمـين، لقـد أشرفـت أنـا يـا موسى بـن أحمـد ، على ما قـال ابن شماسـ ، فوجدنـاه عين الصـواب، لا خلل فيه ، علينا إمضاه والعمـل بمقتضاه ، وصلى الله علـى محمـد وآلـه والسلام . وأيَّد الحكـم عارفة آخر يُدعى: حميديـن بن مسفر ، بقولـه : الحمـد لله ، الجـواب والله الموفق للصـواب ، لقد نظرنا في السـؤال وما فيه ، ومـا قالـوا العُرَّاف فهو عين الصـواب ، إلى بَدَت البيضا مِن عِرَاق السـوق وأعفا وأقفا (فلا له بعد ذلك رجوع ، يكون عند مَن يراه معلوم) ، حميدين بن مسفر. ثم تلاه الشيخ: خضـران بن عطيـة الدوسي ، شيخ قبيلة دوس فقال: الحمـد لله ، الجواب والله الموفق للصـواب، لقـد أشرفت على ما في بطن هذه الورقة من قول العُرَّاف فهو عين الصواب، ومَـن قال بغيره فقد أخطـأ ، فيصح إمضـاه والعمل بمقتضاه قال بذلـك خضران ابن عطيـة ، غفر الله له ولوالديـه . ختم وبعد أن تأيد الحكم من كل هؤلاء العُرَّاف عُرضت على أحد علماء الشريعة وهو الفقيه: أحمد ابن علي الحرَفي ، للنظر في القضية والحكم مـن وجهة شرعيـة ، فقال : الحمد لله وحده أشرفتُ على قـول العُـرَّاف وما حكموا به ، فحكمهـم موافـق حكم الشرع ، وما كان موافقا قول الشـرع فهو صحيح ، يكون عند مَن يراه معلوم ، قال بذلك : أحمد بن علي الحَرَفي . ختم[٢] .

ولقـد سارعـت دوس إلى الإسـلام طواعية ، فقد كان رجالهـا في العصر الجاهلي يسافرون إلى مكة للحج والتجارة ، وكان أول من أسلم منهم : الطفيل بن عمرو الدوسي

(١) الحديـث في صحيـح سنن النسائي : برقم : (٥٤٢٥) ، بتحقيق الألباني رحمه الله . (ابن سدران) . يتضح لنا نقـاء العقيـدة في أوطان تهامة والسراة . نعم قد يوجد بعض المخالفات الشرعية بسبب الجهل بالعلوم الشرعية ، لكن عموم الناس يحملون عقائد جيدة يوحدون فيها الله عز وجل ويرجون رحمته ومغفرته . (ابن جريس) .

(٢) بطون قبيلة زهران : صورة الوثيقة رقم : (٤) . (ابن سدران) .

رضي الله عنه ، فقد كان يسافر إلى مكة كثيرًا وله حلف مع بعض رجالها ، وفي بعض سفراته إلى مكة[١] سمع من بعض القرشيين أن الله عز وجل اختار محمدا ﷺ ليكون نبي هذه الأمة ، وأنه أتى بدين جديد يخالف ما عليه العرب ، فحذروه من مقابلة النبي ﷺ، حتى لا يسمع منه فيتبعه ، ولشدة تحذيره له وضع في أذنيه قطنًا لئلا يسمع كلامه ، فأبى الله إلا أن يسمع منه في المسجد الحرام ، فإنه لما رأى النبي ﷺ، قائمًا يصلي اقترب منه ، ولنترك ابن سعد في طبقاته يحكي قصة إسلامه فيقول عنه: "قدم الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه مكة ورسول الله ﷺ ، بها ، فمشى إليه رجال من قريش فقالوا: يا طفيل إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، إنا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا منه ، فلا تكلمه ، ولا تسمع منه ، قال الطفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه ، فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أذني كرسفًا فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله ، حتى كان يقال لي : ذو القطنتين ، قال : فغدوت يوما إلى المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت قريبًا منه ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله ، فسمعت كلامًا حسنا ، فقلت في نفسي : واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته ، وإن كان قبيحًا تركته . فمكثت حتى انصرف إلى بيته ثم اتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت معه فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا - للذي قالوا لي - فوالله ما تركوني يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم إن الله أبى إلا أن يسمعنيه ، فسمعت قولاً حسنًا فاعرض علي أمرك ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليه القرآن فقال : لا والله ما سمعت قولاً قط أحسن من هذا ولا أمرًا أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق فقلت : يا نبي الله ، إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : ﷺ ، اللهم اجعل له آية ،

---

(١) حددها صفي الرحمن المباركفوري ، صاحب كتاب: "الرحيق المختوم" (١٢٠) : بعام (١١) من البعثة الشريفة ، ولا أدري ما مستنده في ذلك ، سيما وأن أمر ظهور المصطفى ﷺ اشتهر بين القبائل من أول سنة بُعث فيها . (ابن سدران) . هناك مصادر أولية تؤرخ للطفيل بن عمرو الدوسي، وهناك كتب للسير والتاريخ أشارت إلى شيء من أعماله. وفي صفحات سابقة ناقشت يا ابن سدران صفحات من التاريخ الاجتماعي الحديث والمعاصر في بلاد زهران، ثم رجعت الآن للحديث عن عشيرة دوس الزهرانية في الجاهلية وصدر الإسلام . (ابن جريس) .

زاد ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب: تعينه على ما ينوي من الخير . قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر ، وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت : اللهم في غير وجهي ، فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم ، فتحول النور فوقع في رأس سوطي ، فجعل الحاضرون يتراؤون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق .. إلى آخر تلك الحادثة التي نقلت دوسا من الشرك إلى الإسلام ومن الظلمات إلى النور[١]. ومن عبادة الأصنام إلى عبادة رب الأنام ، وأسلم معه في تلك الرحلة الميمونة زوجه وأبوه وأبو هريرة . وأخذ الطفيل وأبو هريرة في دعوة دوس إلى الإسلام ، فلما استعصت عليهما ، عادا إلى مكة يشكوان عصيان دوس إلى الرسول ﷺ ، ويطلب منه الطفيل الدعاء عليهم لعدم دخولهم في الإسلام ، فامتنع ﷺ ، من الدعاء على دوس قائلا للطفيل : رضي الله عنه ، إن فيهم مثلك كثير . ثم رفع يديه بأبي هو وأمي ﷺ، وقال : اللهم اهد دوسا وأت بهم . والحديث في الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ، أنه قالها ثلاث مرات. ولما أراد الرسول ﷺ ، أن يدعو بالهداية لدوس ، توضأ ، فظن أبو هريرة أن سيدعو عليهم فقال: (فلما صلى النبي ﷺ ، خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا فصحت: واقوماه ، فلما دعا لهم سري عني[٢]. وجاء في كتاب: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٢٤) : أن الطّفيل لما قدم مكّة ذكر له ناس من قريش أمر النبيّ ﷺ ، وسألوه أن يختبر حاله ، فأتاه فأنشده من شعره ، فتلا النبيّ ﷺ ، الإخلاص والمعوّذتين ، فأسلم في الحال ، وعاد إلى قومه ، وذكر قصّة سوطه ونوره. أما الرواية التي تذكر بأن الطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه ، خرج حتى أتى مكة حاجًّا ، وقد بُعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة .." إلى آخر ما ورد فيها . فليست من الصحة في شيء لقول الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ، للرسول ﷺ وقد عاين اضطهاد قريش له ﷺ ، وتحذيرها الطفيل من مقابلته مما حدا بالطفيل رضي الله عنه، دعوة المصطفى ﷺ، إلى دوس لحمايته من أذى قريش ، قائلاً له " هلم إلى حصن حصين ، وعدد وعدة . فأبى ذلك رسول الله ﷺ ، للذي ذخر الله للأنصار . ولو كان الطفيل رضي الله عنه،

---

(١) هذه المعلومات مفصلة في بعض مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة . ونقول إن تاريخ غامد وزهران في الجاهلية وصدر الإسلام يحتاج إلى أن يدون في كتاب أو رسالة علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني: (١٣/ ٢٢٠) . (ابن سدران) . ترجع هنا يا علي في توثيق معلوماتك إلى الأصفهاني (الأغاني) ، وهناك مصادر سابقة للأصفهاني ، وتعد أولية وموثوقة أكثر من الأغاني ، وكان عليك الرجوع إليها .(ابن جريس).

قابل الرسول ﷺ في المدينة النبوية لما كان لهذا القول معنى، لمنعته ﷺ، بالأنصار من أذى قريش. وليس من الصحة أيضاً قول بعض المؤرخين من أن دوسًا التي بزهران إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك الأنصاري[١]:

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

نخيرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً او ثقيفاً

فقالت دوس حين سمعت ذلك: اذهبوا فخذوا لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم. قلت: هذا محال؛ لقوله بعد هذين البيتين:

فَلَسْتُ لِمَالِكٍ إِنْ لَمْ يَزُرْكُمْ ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفًا

وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا

حيث جعل دوسًا مع ثقيف في بلد واحد وهو الطائف، ولعل كعب بن مالك الأنصاري، يشير في شعره إلى دوس بن عدوان، لقول الدكتور جواد علي في مُفَصّله (٩٨/٨): "أما أبناء عدوان بن عمرو فهم زيد، ويشكر، ودَوْس. ويقال إنهم دَوْس التي في الأزد، وكانت ديارهم بالطائف، ثم تركوها بعد نزول ثقيف فيها وارتحلوا إلى تهامة". قلت: لم يرد عن المؤرخين أن دوس زهران سكنت الطائف ثم رحلت عنها إلى تهامة. ثم إنَّ هذا الشعر بالطبع، قيل بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة، بل إنه قيل بعد فتح مكة أي في السنة الثامنة كما يقول ابن كثير رحمه الله وغيره[٢]، في حين تذكر كتب السير أن دوسًا أسلمت زمن البعثة النبوية الشريفة. وذلك بفضل من الله عز وجل ثم ببركة دعوة الرسول ﷺ لهم بالهداية. ولقد هاجر الطفيل بن عمرو وأبو هريرة رضي الله عنهما، في السنة السابعة من هجرة الرسول ﷺ بأربعمائة رجل وامرأة والتحقوا برسول الله ﷺ، وهو يقاتل يهود في خيبر وشاركوا جموع المسلمين في الفتح وأقسم لهم الرسول ﷺ من غنائمها، ثم إنهم شاركوا أيضًا في فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة النبوية، فكيف يقال إنها أسلمت فرقًا من شعر مالك بن فهم، وهي قد شاركت في فتح خيبر ومكة وما بعدهما من فتوح! حتى إن الرسول (ﷺ)، أمر الطفيل رضي الله عنه، بعد فتح مكة أن يذهب إلى دوس لحرق صنم ذي الكفين ويجمع من قومه لحرب

---

(١) ديوانه: ٢٤. (ابن سدران).

(٢) ابن كثير: ٦٥٢/٣. وقال البيهقي في كتابه: دلائل النبوة: (١٥١/٥): وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالك حينَ فَرَغَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ مَكَّةَ، وَحُنَيْنٍ، وَأَجْمَعَ السَّيْرَ إِلَى الطَّائِفِ". القصيدة ومنها البيتان بعاليه. (ابن سدران).

الطائف ، فَقَالَ الطّفَيْلُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ الله أَوْصني . قَالَ ﷺ : أَفْشِ السّلَامَ ، وَابْذُلِ الطّعَامَ، وَاسْتَحْي منْ الله كَمَا يَسْتَحْيِي الرّجُلُ ذُو الْهَيْئَة منْ أَهْله . إِذَا أَسَأْت فَأَحْسنْ ، [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ][1] . فانحدر من دوس بعد أن أحرق صنم ذي الكفين بأربعمائة فارس ، وافى بهم رسول الله ﷺ ، في الطائف[2] .

وقد ورد في فضل قبيلة دوس جملة من الأحاديث النبوية الشريفة منها دعوته ﷺ لهم بالهداية كما تقدم ، ويا لها من فضيلة من رسول مجاب الدعوة انقادت دوس بعدها إلى الإسلام زُرافات ووحدانا ، ونجتزئ من فضائلهم على لسان رسول الله ﷺ ، ما يناسب المقام ، فلقد امتدح الرسول ﷺ أهل اليمن ودوس من اليمن ، ونسب الإيمان إليهم ونعتهم برقة القلوب ، ومن كان قلبه رقيقًا كان أسرع إلى طاعة الله وامتثال أوامره ، كما وصف المصطفى ﷺ ، بأن الفقه في الدين ، وهو الفهم له ، والحكمة وهي العلم المتصف بالأحكام المشتمل على معرفة الله تعالى ، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النَّفس وَتَحْقِيق الْحق وَالْعَمَل به والصد عَن اتباعَ الْهوى وَالْبَاطل ، مما يمتاز بهما أهل اليمن ، كل هذا جاء في حديث رواه الشيخان فقالا " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا ، الْإِيمَانُ يَمَان ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ" . ويقول ابن حجر رحمه الله ، في فتح الباري : (وَسَبَبُ الثَّنَاء عَلَى أَهْل الْيَمَـن إِسْرَاعُهُمْ إِلَى الْإِيمَان وَحسن قبولهم لِلْبُشْرَى حِينَ لَمْ تَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيم)[3] . وهاجرت أم أبي هريرة رضي الله عنها وعنه ، مع ابنها من أرض دوس إلى المدينة النبوية وهي مشركة ، وكان ولدها يرغبها في الإسلام وهي ممتنعة ، فلما دعا لها الرسول ﷺ ، بالهداية قائلا كما ورد في صحيح مسلم : "اللهمّ اهد أمّ أبي هريرة" أسلمت . وفي هذا يقول أبوهريرة رضي الله عنه، لرسول الله ﷺ : "قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهَ ﷺ: "اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ" . ويقول أبو هريرة رضي الله عنه ، بعد هذا الدعاء المبارك ، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي[4]" . قلت أنا : (غير الرافضة) عليهم من الله ما

---

(١) مغازي الواقدي: (٩٢٣/٣) . وقول: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ" . هي من الآية الكريمة من سورة هود : ١١٤ . (ابن سدران) .

(٢) كما أشرت سابقاً إلى قبيلة دوس وغيرها من قبائل السراة مازالت تحتاج إلى دراسات علمية موثقة ، والأمل في جامعاتنا المحلية فتفتح بعض المراكز البحثية التي تدرس أرض وسكان هذه البلاد. (ابن جريس) .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (١٩٢/١٥) . (ابن سدران) .

(٤) صحيح مسلم (١٩٣٨/٤) . (ابن سدران) .

يستحقون، فإنهم ناصبوه العداء. وورد في كتاب "الجامع لابن وهب": "أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَقَالَ: "يَا نَبِيَّ اللَّه الْعَنْ دَوْسًا، فَوَاللَّه مَا رَأَيْتُ قَوْمًا قَطُّ أَفْتَكَ رَجُلًا وَلا أَفْتَكَ فَتَاةً مِنْهُمْ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: يَا قَوْمَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "إِنَّا لَمْ نُبْعَثْ طَعَّانِينَ وَلَا لَعَّانِينَ وَلَكِنَّا بُعِثْنَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ[1]".

وفي كتاب "الأدب المفرد" عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: أَهدى رَجلٌ من بني فَزَارة للنَّبي ﷺ نَاقةً فعوضه، فَتَسخَّطهُ، فسمعتُ النبيَ ﷺ على المنبر يَقول: "يَهدي أحدُهُم فَأعوِّضُه بقدر مَا عندي ثُم يَسخَطُه، وأيم اللّه لا أقبلُ بعد عَامي هَذا من العَرب هَديةً إلَّا من قُرشي أو أنْصَارِيٍّ أَوْ ثقفي أَوْ دَوسي" والحديث صحيح ورد في "الصحيحة" للألباني برقم (١٦٨٤). وقال محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، صاحب كتاب "التيسير بشرح الجامع الصغير" في شرح هذا الحديث": "لأَنهم لمكارم أَخْلَاقهم وَشرف نُفُوسهم وَطيب عنصرهم لَا تطمح نُفُوسهم إِلَى مَا ينْتَظر إِلَيْه السِّفْلَة والرَّعَاع من استكثار الْعِوَض على الْهَدِيَّة، وَنبهَ بالمذكورين على مَن سواهُم مِمَّن اتّصف بشرف النَّفس[2]".

أما في الإسلام، فقد زادهم الله رفعة به، فكان منهم الحافظ المتقن وهو أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه، أحفظ الصحابة لحديث المصطفى ﷺ، والفارس المغوار الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، والقائد المحنك جندب بن عمرو بن حممة الدوسي (رضي الله عنه)، هؤلاء نماذج من صحابة دوس رضي الله عنهم، أما من التابعين وتابعيهم فلا يحصون كثرة، حيث كان منهم الحافظ لكتاب الله والمحدث والقاضي والوالي والأمير والقائد واللغوي والشاعر، ومن يقرأ سير الرجال يجد أن رجال دوس لهم الصدارة فيما من شأنه رفعة الإسلام وأهله[3]، فلقد شاركت دوس بقسميها في زهران وعُمَان، وما تفرع عنها في العراق، وفارس، وبلاد الشام، قبائل العرب الأخرى، في محاربة أهل الشرك والفساد، وتوسيع رقعة الإسلام، بدءًا من عهد الرسول (ﷺ)، وعهد خلفائه الراشدين، ومن أتى من بعدهم من أمراء المسلمين وولاتهم، فكانوا في جيش المسلمين لمحاربة المرتدين، وكانوا مع جيوش المسلمين في فتح العراق،

---

(١) الجامع لابن وهب (٤٧٣).. (ابن سدران).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٣٢٤/١). (ابن سدران).

(٣) نعم من دوس ومن اليمن وبلاد تهامة والسراة رجال كثيرون أسهموا في بناء التاريخ والحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها. ونقول إن أفراد تراجم مطولة لأولئك الأعلام من الواجبات على مؤرخي هذا العصر وعلى الباحثين الجادين من أهل هذه البلاد. (ابن جريس).

وفارس ، والشام ، ولا يزال ميناء في (لبنان) يسمى إلى هذا اليوم (ميناء الزهراني). باسم الصحابي الجليل جنادة بن أبي أمية الزهراني (رضي الله عنه) ، قائد الأسطول الحربي الإسلامي في عهد معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، وكانوا مع عمرو بن العاص في فتح مصر، وكان أبو هريرة (رضي الله عنه)، في المعارك التي شارك فيها يطوف على المجاهدين ويحرضهم على القتال قائلاً لهم : "تزينوا للحور العين" ، وجعل رسول الله (ﷺ) ، لما أتوه في خيبر شعارهم في الحرب "يا مبرور" . لقول : "الطُّفَيْل بن عَمْرو رَضِيَ اللَّه عَنْهُ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّه ، اجْعَلْنَا مَيْمَنَتَكَ، وَاجْعَلْ شِعَارَنَا : "يَا مَبْرُورُ" ، "فَفَعَلَ ﷺ" ثم أصبح هذا الشعار فيما بعد لكافة الأزد[1] وكانوا في جيش موسى بن نصير لفتح الأندلس ، ومنهم بعد عودتهم من فتح الأندلس ، مَن وزر في دولة الأدارسة بالمغرب العربي إبان ظهورها . وهو الوزير مصعب بن عمير بن مصعب الأزدي الزهراني ، وهذا الوزير أي مصعب بن عمير ، هو الذي اختار للأمير إدريس ، موقع مدينة (فاس) فاختطها في حدود سنة اثنتين وتسعين ومائة والتي تليها[2]. وكان لهم دور بارز في قمع الفتن وإخماد الثورات التي كانت تهيج بنواحي فارس وغيرها من بلاد الإسلام ، فقد شاركوا آل المهلب في حروبهم ضد الخوارج ، وأخلصوا الطاعة لأمراء هذا البيت ، وبيت آل المغيرة وغيرهم من أمراء وقادة المسلمين ، أينما ساروا بهم ساروا . ومن الأماكن التاريخية في قبيلة "دوس" والتي حفظ التاريخ لنا أسماءها : جبل "العِرْنَين" وهو حمى لهم ، يشرف على قرية: "الْجُبُوْر" قرية أبي هريرة الدوسي (رضي الله عنه) ، وعلى عدة قُرَى تابعة لقبيلة فهم الدوسية ، وفيه يقول مالك بن فهم الدوسي ، بعد أن هاجر إلى أرض عُمَان شرقي الجزيرة العربية[3]:

وفي العرنين كنا أهل عز ... ملكنا بربرا وبني قران

وجبل "عَوِيْرَة" بدوس ، وفيه كانت وقعة : "حِضْرَة" بين قبيلة بني الحارث من بني يشكر من الغطارفة ، وقبيلة دوس ، فكان الظفر في هذه الحرب لدوس[4]. وعلى هذا الجبل في الوقت الحالي قرية عامرة تسمت باسم الجبل: "عويرة". وهي من قُرَى قبيلة "بني الطفيل" إحدى قُرَى دوس . وقُدُومُ ضَان : وهو جبل يشرف على وادي ثروق من الناحية الشرقية ، ورد ذكره في حديث معركة خيبر ، فقد جاء في كتاب : مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب (٤٧) أنه : " ثنية بجبل في بلاد دوس

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢٩١/٣) . (ابن سدران) .
(٢) انظر : الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى : ٣٠ ، وبيوتات فاس الكبرى : ١٣. (ابن سدران) .
(٣) الأنساب : للصحاري العماني : ٢٣٧ . (ابن سدران) .
(٤) المصدر نفسه ، ٢٧٤.(ابن سدران) .

بالسراة يقال لها قدوم ضأن" . و" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحُوهَا ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَسْهِمْ لِي ، فَقَالَ بَعْضُ بَنِي سَعِيدِ بْنِ العَاصِ: لاَ تُسْهِمْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : "هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَلٍ" ، فَقَالَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ : وَاعَجَبًا لِوَبْرٍ، تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قَدُومِ ضَأْنٍ ، يَنْعَى عَلَيَّ قَتْلَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ ، وَلَمْ يُهِنِّي عَلَى يَدَيْهِ ، قَالَ : "فَلاَ أَدْرِي أَسْهَمَ لَهُ أَمْ لَمْ يُسْهِمْ لَهُ"[1]" .

ومن العَقَبَات التي تصل سراة زهران بتهامتها عقبة "ذي مَنْعَا" التي ورد لها ذكر في حديث إسلام أبي هريرة رضي الله عنه ، على يد الطفيل بن عمرو الدوسي ، رضي الله عنه ، حيث " كان أبو هريرة هو وأهله في جبل يقال له : "ذو منعا" ، فلقيه الطفيل بطريق برحرح [2]" . وهذه العقبة إلى الجنوب الغربي من بلدة "برحرح" الدوسية ، أنشأت الحكومة منها طريقا يصل السراة بتهامة ، وقد تم القضاء في العصر الحديث على جيش الغزاة الترك من قبل رجال دوس ، أسفل هذه العقبة في موضع منها يسمى: "الباب" لا تزال قبورهم ظاهرة إلى هذه الساعة ، وذلك سنة (١٣٠٠هـ) [3]. ومن بلدانهم قرية "ثَرُوق" ذكرها الأصفهاني، والحموي الذي قال عنها : "ثَرُوق: مرتجل، لم أر هذا المركّب مستعملا في كلام العرب : وهو اسم قرية عظيمة لبني دوس بن عدثان بن زهران بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد ، جاء ذكرها في حديث حممة الدوسي، وفي حديث وفود الطّفيل بن عمرو رضي الله عنه ، زمن البعثة النبوية الشريفة، على النبي ﷺ ، أنه أسلم ورجع إلى قومه في ليلة مطيرة ظلماء حتى نزل ثروق ، وهي قرية عظيمة لدوس ، فيها منبر ، فلم يبصر أين يسلك ، فأضاء له نور في طرف سوطه ، فشهد الناس ذلك ، وقال : أنار أخذت على القدوم ثم على ثروق لا تطفأ الحديث ، وقال رجل من دوس في حرب كانت بينهم وبين بني الحارث بن عبد الله وهم الغطاريف :

قد علمت صفراء حوساء الذّيل	**شرّابة المحض تروك القيل**
ترخي فروعا مثل أذناب الخيل	**أنّ ثروقا دونها كل الويل**
ودونها خرط القتاد بالليل	**وقد أتت واد كثير السيل[4]**

---

(١) صحيح البخاري . (٢٤/٤) . (ابن سدران) .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني ، ٢٢٠/١٣ . (ابن سدران) .

(٣) كتاب بطون قبيلة زهران : (٤٥٦) . (ابن سدران) . هذا الكلام حقيقة فقد قمت بجولة في بلاد غامد وزهران عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ورأيت الكثير من الآثار والأمكنة التاريخية ، ونأمل من المؤرخين والآثاريين الجادين أن يدرسوا هذه البلاد دراسة علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٤) معجم البلدان : (٧٧/٢) . (ابن سدران) .

وثُـرُوق الآن : واد زراعي عظيـم يضم معظم قُرَى قبائل: دوس بن منهب وبنـي علي وآل عيَّاشـ ، وفي موضـع منه كان صنم ذي الْخَلَصَـة الذي هُدِم في عهد الرسول ﷺ ، غـير أنه ليسـ الصنم الذي هدمه جرير بن عبدالله البجلـي رضي الله عنه . وحُضْوَة: قريـة جاهليـة قديمة من قرى دوس بني فهم ، بين جبـال شاهقة ، في وسط غابة كثيفة الأشجـار، بُنيت على واد سُمي باسمها ، وهو أحد روافد وادي تربة المشهور ، وقد عثرتُ علـى بيت من الشعر لحاًجز بن عوف السلاماني الزهراني ، يذكر فيه تَعَرُّض دوس في هـذه القرًية لغـارة شعواء وأرجح أنهـا بسبب تلك الغارات التـي كان يشنها الغطاريف عليهم ، يقول حاجز بن عوف[1] :

رَمـوا دوسـًا بحضـوة ثـم أمسـوا　　　علـى دوسٍ كَـذى الـدَّاءِ الكَظِيـمِ

وقـد أنشـأت الحكومة في هذا الوادي سَـدًّا للاستفادة من مياه الأمطـار حال نزولها لري المزروعات المنتشرة حوله لأبناء القرية . وحَجْرَة دوس هو واد في تهامة دوس عليه حاليًّا مدينة اسمها الْحَجْرَة ، وهي قاعدة قبيلة بني سُليم الشُّغْبَان الزهرانية ، حصل فيه وقعة في الجاهلية : بين بني كنانة ودوس، وهو إلى اليوم يعرف بحجرة دوس ، قال ابن وهب الدوسي في أبيات[2]:

إن تـؤت حجرتنا نعقد نواصيها　　　ثـمّ نكن كـالـذي بـالأمـس يعتدل

ثالثاً : الخلاصة :

هـذا مـا تيسر لنا سرده مـن تاريخ هذه القبيلـة الدوسية الزهرانيـة العريقة ، في هذه العجالة ، والتي هي بحاجة إلى دراسة عميقة لتسليط الضوء على تاريخها وسير رجالها ، وما دار علـى تراب أرضها من أحداث جسـام ، وفي مثقفيها من يستطيع القيام بذلك[3]. نرجو أن نكـون قـد وفقنا إلى تزويد القراء ببعض تاريخها المجيد ، والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انتهيت من تحرير هذه المدونة في (١٤٣٨/٤/٢٠ هـ) . (علي بن محمد بن سدران الزهراني) .

---

(١) أبو عمرو الشيباني ، كتاب الجيم : ١٨٣/٣. (ابن سدران) .

(٢) معجم البلدان : (٨٨/٣) . (ابن سدران) . في هـذا العام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) وفي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) تجولت في تهامة وسروات زهران وغامد وشاهدت الكثير من الشواهد التاريخية التي يعود زمنها إلى العصر الجاهلي وعصور الإسلام المبكرة. وأقول لجامعة الباحة وغيرها من المؤسسات العلمية إن مثل هذه الأمكنة تحتاج إلى دراسة وتوثيق.(ابن جريس)

(٣) شكر الله لك يا علي بن سدران على هذا التدوين التاريخي الذي شمل شيئاً من تاريخ عشيرة دوس في الجاهلية والإسـلام ، وكذلـك عشائـر وأمكنة أخرى من بلاد زهـران تهامة وسراة . ونأمل منكم يـا أبناء غامد وزهران وبخاصة أرباب القلم والمتخصصين في علوم التراث الإسلامي فتدرسوا تاريخ وحضارة أهلكم وبلادكم ، وهذا من الواجب عليكم فعله. والله الموفق. (ابن جريس) .

ثالثاً: قلعة (الثريا) ودرب جازان العليا في ضوء المصادر التاريخية . بقلم الدكتور/ محمد بن منصور حاوي[1] .

(١) الدكتور محمد حاوي من مواليد قرية السلامة في محافظة صبيا عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) ، حصل على درجة الدكتوراه عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، وهو الآن على درجة أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي، عضو في عدد من اللجان والمؤسسات العلمية والأكاديمية عمل رئيساً لقسم التاريخ في جامعة الملك خالد (١٤٢٩هـ-١٤٣٥هـ/ ٢٠٠٨-٢٠١٤م) ، أنجز عدداً من البحوث العلمية مثل: (١) تحقيق كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم لأبي علي مسكويه (رسالة لدرجة الماجستير). (٢) منهج المؤرخ محمد بن يوسف الصالحي في كتاب السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد) (رسالة لدرجة الدكتوراه) . (٣) موقف النبي(ﷺ)من الأسرى في ضوء ما ورد في مؤلفات السيرة النبوية . (٤) الأوضاع الأمنية لحجاج اليمن في عصر الدولة الرسولية (جمعية التاريخ والآثار في دول مجلس التعاون الخليجي) . (٥) الفقيه العلامة محمد ابن علي بن عمر الضمدي، دراسة تاريخية (مجلة الدرعية) . (٦) ملامح الحياة العلمية والفكرية في المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة (مجلة العلوم الإنسانية ـ كلية البنات ـ الأزهر) .(٧) دور حجاج اليمن في الحياة التجارية بمكة المكرمة في عصر الدولة الرسولية (الجمعية التاريخية السعودية) . (٨) علماء وأعلام المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري من خلال مخطوطة فوائد الارتحال للحموي . جمع ودراسة توثيقة (جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي) . (٩) رحلة الإمام عبدالله بن علي المؤيدي إلى بلاد عسير من خلال مخطوطة التحفة العنبرية لأبي علامة. توثيق ودراسة . (١٠) كتاب النور اللائح في مشائخ صالح (دراسة وتحقيق). وهناك بحوث ودراسات علمية أخرى بعضها منشور وأخرى في طريقها للنشر. (ابن جريس) .

أولاً: المقدمة :

(*) القلاع والحصون في المخلاف السليماني (منطقة جازان):

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد: تعتبر القلاع والحصون من الآثار التاريخية الهامة والشواهد السياحية العسكرية المميزة كما أنها مصدر آثاري مهم للباحثين ، والمؤرخين عند إجراء دراسات تتعلق بتوضيح الجوانب السياسية والحضارية بمجمل عام[١] . ومنطقة جازان أو ما كان يسمى بالمخلاف السليماني. الممتد من الشرجة (الميناء القديم المندثر) إلى أطراف حلي بن يعقوب. التي تقع حالياً في جنوب المملكة العربية السعودية[٢]، من المناطق الهامة والغنية بآثارها ، وتاريخها ، حيث تعد القلاع والحصون من أهم المعالم الأثرية التي تنتشر في أكثر من موقع ، سواءً ما اندثر منها واختفت معالمه ، أو تلك التي لا تزال أطلالها شاهدة على أهميتها ومكانتها التاريخية والعسكرية، وطرازها المعماري الذي يدل على تقدم أساليب البناء لوسائل الدفاع العسكرية في المخلاف قديماً . ولا يمكن حصر جميع القلاع والحصون في المنطقة في هذه المقدمة وإنما نشير إلى بعضها مما اندثر، أو لايزال بعض أطلاله ماثلاً إلى الآن ينتظر اهتمام الجهات المعنية وعنايتها بالترميم والحماية.

فمن أشهر القلاع الموجودة الآن قلعة " أبي عريش " التي يُطلق عليها أكثر من مسمى وهي قديمة التأسيس ، حيث يعود تأسيسها إلى القرن العاشر الهجري، ثم جددها الأتراك. عندما سيطروا على المنطقة. في العام (٩٩١هـ/١٥٨٣م) ، وكلما وقع بها الخراب تم تجديدها حتى كان آخرها في عهد الشريف حمود آل خيرات ولاتزال أطلالها قائمة [٣]. ومن القلاع الماثلة الآن قلعة الدوسرية الواقعة في وسط مدينة جازان الساحلية ، وتقع على جبل متوسط الارتفاع تطل على المدينة من جانب ،

---

(١) نشاهد في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية الكثير من الحصون والقلاع والقرى القديمة ، التي تستحق دراسات علمية أكاديمية . ونأمل أن نرى جامعات الجنوب المحلية نهتم بهذا التراث المعماري الذي يعكس صوراً تاريخية حضارية لهذه البلاد العربية . (ابن جريس) .

(٢) لقد تجولت في أرجاء هذه البلاد ، وهي فعلاً تحتوي على بعض الآثار العمرانية ، وقد اندثر الكثير منها ، ونأمل أن نرى الهيئة العليا للسياحة وكليات السياحة والآثار في بلادنا فتدرس و تهتم بهذا الموروث الحضاري المهم . (ابن جريس) .

(٣) علي بن عبد الله النعمان الضمدي، العقيق اليماني(مخطوط مصور عن نسخة محمد نصيف بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز) ، ص ٣١٣.

والبحـر من جانب آخر[١] . ومن القـلاع الدائرة قلعة المعنق في محافظة الحرث وبناها الأمـير عز الدين بـن الحسين بن عز الدين القطبي ، واتخذها سكناً ومركز دفاع عقب خـروج القطبين من جازان العليا[٢] . والجدير بالذكر أن بعض جدران الغرف الداخلية للقلعـة لاتزال قائمة ، وإن كانت الأشجار قد غطت أغلـب أطلالها[٣] ومنها كذلك قلعة (مختارة) وهي قلعة بناها الحسن بن خالد الحازمي ، وزير الشريف حمود آل خيرات ، وتقـع إلى الشرق من مدينة ضمد الحالية والتي قامـت على أنقاض ضمد القديمة[٤] ولا تـزال بعض أطلالها متماسكة [٥] كمـا أن هناك العديد من القلاع في مواقع مختلفة من المنطقة ، أو في سهولها وجزرها ، ولعل أشهرها قلعة الأتراك بفرسان ، حيث لاتزال مبانيها متماسكة في أجزاء منها[٦] . ومع كثرة هذه القلاع ، والحصون ، فإن قلعة جازان العليـا (الثريا) موضع البحث كانت أبعد صيتـاً وأشهر ذكراً على الرغم من اندثارها ، واختفـاء معالمها لارتباطها بأحداث تاريخ حكام المخلاف وتعرضها لحملات عسكرية أدت بها في النهاية إلى الخراب والهدم .

(*) **جازان العليا :** على الرغم من ورود لفظ (جازان) في بعض النصوص القليلة القديمة عند الهمداني وغيره[٧] .فإنه من غير الواضح ما إذا كان المقصود بهذا اللفظ اسـم الوادي الذي هو بطبيعة الحال أقدم من اسم المدينة أم هو اسم للمدينة نفسها ؟ والمعروف أن أسماء القرى والمدن الواقعة على الأودية إنما تأخذ وتستمد اسمها من اسم الـوادي الواقعة عليه كضمـد ، وصبيا ، وبيش وغيرها[٨] . لذلـك لا يبعد في هذه الحال

---

(١) يبـدو مـن كلام البهكلي في نفح العود أن أول من بناها هو الشريف حمـود آل خيرات. انظر: ص ٣٥٤، بتحقيق فـؤاد الشامـي، صنعاء ، (١٤٢٥هـ) ، وعلي جابر شامي، دليل المواقع الأثريـة في منطقة جازان ، طبع وإشراف إدارة العلاقات العامة بإمارة منطقة جازان . د ت ، ص٢٠ .

(٢) البهكلي ، العقد المفصل، ورقة ٧ .

(٣) علي جابر شامي . المرجع السابق ، ص٢٦ .

(٤) البهكلـي ، نفـح العود ، تحقيـق الشامي ، ص٣٥٤، ومحمد حيدر النعمي ، الجواهـر اللطاف في أنساب أشراف صبيا والمخلاف (مخطوط مصور عن مجموع بمكتبة الكبسي ، صنعاء رقم ٢٦، ص٤١ ، بترقيمي) .

(٥) حجـاب الحازمـي ، القاسـم بن هتيمل ، حياته من شعـره ، مطابع الشرق الأوسـط ، ط١، الرياض ، ١٤٢٤هـ، ص٤٧ ، هامش (٢) وهي المسماة الآن بقلعة الحمى. (علي جابر شامي، المرجع السابق ، ص٢١) .

(٦) علي جابر شامي ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٧) في صفـة جزيـرة العرب . للهمداني ، تحقيق الأكوع ، الرياض ، دار اليمامة ، (١٣٩٤هـ) ، ص ٧٦، ١٢٦، وانظر المقدسـي ، أحسـن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار السويدي للنشر ، ط١، (٢٠٠٣م) ص١٠٥، عندما ذكرها ضمن المخاليف في اليمن .

(٨) انظر العقيلي ، مقالات رصينة وتحقيقات أمينة ، مطبوعات نادي جازان الأدبي . (١٤٢٠هـ) ، ٩٤.

أن تكـون جـازان قد أخذت اسمها من وادي جازان المشهـور[١]. وأياً ما كان الأمر، فإن جازان العليـا[٢] لم تشتهر وتصبح عاصمة للمخلاف إلا بعـد سقوط إمارة السيلمانيين بعـد مقتل، أو وفاة الأمير المؤيد بن قاسم أمير المخلاف حينها سنة (٦١٥هـ/١٢٠٨م) تقريبـاً نتيجـة الصراع مـع الأيوبيـين في اليمن[٣]. ومـن المرجح أنه عقـب ذلك انتقل فـرع من الغوائم إلى جـازان ورأوا فيها مكاناً استراتيجياً تتحقـق فيه مزايا عديدة ما بـين وقوعها علـى حرة مرتفعة[٤]. وخصوبـة الأراضي، وتوفر الميـاه الصالحة للشرب والزراعـة، حيـث ملاصقتها للضفـة الجنوبية من وادي جازان وهـي أمور لا تتوافر في عثر التي كانت عاصمة للمخلاف السليماني قبل جازان. لكننا لا نعرف على وجه الدقة متـى تأسست جـازان العليا وأصبحـت عاصمة للمخلاف؟ كمـا لا نستطيع الجزم بمن اتخذهـا عاصمة للمخلاف من أمراء الغوانم حكام المخـلاف وقت ذاك[٥]، وربما كان هـذا الغموض دافعاً لبعض مؤرخي المخلاف للاجتهاد في معرفة تاريخ التأسيس، وأول مـن اختطها. فيذهب المؤرخ النمازي في كتابـه: " **خلاصة السلاف** " إلا أن اختطاط جازان الأعلى كان في زمن آخر ملوك الأشراف الغوانم الشطوط أهل باغتة الأمير وهاس بـن سليمان صاحب جازان المشهـور بالمقلم ... إلخ[٦]. وعلى الرغم من أن هذه المعلومة تفـرد بها النمازي إلا أن اللبس والغموض قـد اكتنفها، ومع ذلك فإنها تثير العديد من التسـاؤلات حـول شخصية المقلم، من هـو؟ ومتى كان حكمه للمخـلاف؟ وغيرها من أمـور ليس هـذا البحث موضع مناقشتها[٧]. ولعلنا نستنتج في ضوء ما ذكره النمازي أن

---

(١) علـي جابـر شامي، البيان في توثيق تسمية جـازان، مقال بمجلة مرافئ، نادي جازان الأدبي، ص٧٤٧، محرم ١٤٢٦هـ/مارس ٢٠٠٥م)، ص ١٩٥.

(٢) سميت بالعليا تمييزاً لها عن جازان البندر عاصمة المنطقة الآن الواقعة غرب الأولى على ساحل البحر، العقيلي، المعجم الجغرافي (منطقة جازان)، دار اليمامة للنشر، الرياض، (١٣٨٩هـ)، ص١٠١، والآثار التاريخية في منطقة جازان، ص٣٧.

(٣) العقيلـي، المخـلاف السليمـاني، دار اليمامة للبحـث والنشر، ط٢، ١٤٠٢هـ، ج١، صـ٢٠٨، والزيلعي، مدينة جازان الأثرية، مجلة الدارة، ع٢، س٢٠، ١٤١٥هـ، ص ١٠١.

(٤) هـي مـا يسمـى بالمراح وهي حرة مرتفعة تكـثر بها الصخور البركانيـة ولعلها ما كان يطلـق عليه جبل الجرد، حيـث يذكـر العقيلـي أن جازان العليا تقع فوق جبـل الجرد وتمتد إلى ضفة وادي جازان مـن الشمال وهو موقع استراتيجـي يجعـل المدينـة ترتفع عن عـدوة الوادي الجنوبيـة حتى تكاد تطـل عليه، العقيلـي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٢٦١، حاشية رقم (١).

(٥) الزيلعي، مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش مؤرخ سنة (٨٦٨هـ)/١٤٦٤م)، ص٩٧.

(٦) خلاصـة السـلاف (مخطوط مصور عن نسخة بيد الموكلـي بقرية أبي السلع. بيش. غير مرقمة) ورقة ١٣، ٥٥ بترقيمي.

(٧) تناول جوانب هذا الموضوع الأستاذ علي جابر شامي في بحثه، البيان في توثيق تسمية جازان فانظره.

انتقال مدينة جازان العليا من مرحلة كونها قرية إلى عاصمة للمخلاف كان في زمن الأمراء الغوانم مع عدم التسليم بما ذهب إليه النمازي من تحديد اختطاط المدينة، لأن الأمير وهاس بن سليمان الذي يذكر أنه كان آخر أمراء الغوانم الشطوط أهل باغتة لا يمكن أن يكون هو الذي اختط جازان الأعلى: لأنها كانت موجودة منذ القرن السابع الهجري، وهي مقر الأمراء الغوانم الذين عاصر بعضهم شاعر المخلاف ابن هتيمل (ت٦٩٤هـ/١٢٩٦م) بدليل ورودها في قصائده التي مدحهم بها كما ستأتي الإشارة. هذا إلى أن الأمير وهاس بن سليمان صاحب باغتة - إن كان هو المقصود بلقب المقلّم في نص النمازي[١] - كان معاصراً لأمير جازان الغانمي في النصف الأخير من القرن السابع الهجري وهاس بن محمد بن هاشم بن غانم، يدل على ذلك قول الشاعر ابن هتيمل المعاصر للاثنين من قصيدة له يؤنب وهاس بن محمد الغانمي صاحب جازان.

وهاس أغنيك لا وهاس باغتة   أميرها ابن سليمان بن منصور [٢]

وبدأت بعد ذلك، نتيجة الضربات التي نزلت بها، تفقد أهميتها، وخاصة بعد نزوح الأهالي منها، ومفارقتهم لها ابتداءً من حملة أبي نمي عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م)، وهدم القلعة والمباني السكنية وطرد السكان منها ثم لحقها الخراب بعد ذلك كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

أما في وقتنا الحاضر فإن جازان العليا قد اندثرت وقامت على أطلالها قرية صغيرة يطلق عليها وعلى بقايا المدينة المندثرة قرية " الجدر" وهي تقع على بعد (٨كم) إلى الشمال الشرقي من مدينة أبي عريش وإلى الشرق من قرية حاكمة، وتطل على وادي جازان المشهور من الناحية الجنوبية له، حيث أقيم قريباً منها مشروع سد وادي جازان، وأطلال المدينة مغطاة بغابة من شجر الأراك الذي يمتد على مساحة كبيرة منها ويبدو أن هذه الأشجار كانت تغطيها منذ زمن متقدم حيث يذكر كل من النعمان الضمدي (ت:١٠٦٤هـ/١٦٥٣م) في العقيق اليماني، وكذلك البهكلي (ت ١١١٤هـ/١٧٠٢م) في كتابه العقد المفصل أن الاراك كان يغطي مساحة كبيرة منها، بحيث لا يمكن تبيّن

(١) المقلم شخصية يكتنفها الكثير من الغموض ولا يمكن كما قال الزيلعي في رده على العقيلي أن يكون وهاس بن سليمان هو المقلم إلا أن يكون مقلماً آخر، انظر: الأوضاع السياسية هامش ٢، ص ص ١٣٩- ١٤٠ وربما كان من ذرية سليمان ابن وهاس بن سليمان بن منصور أمير باغتة.

(٢) ابن هتيمل، ديوانه المسمى (درر النحور) دراسة وتحقيق عبد الولي الشميري، ط١، صنعاء (١٩٩٧م)، ج١، ص٤٢٨، ق ١٠٤.

البقايا ، اللهم إلا ركام الحجارة ، وبعض أطراف السور ، وما يمكن أن يكون في زمن سالف قصور أو مبان وحصون من بقايا أساسيات غطيت بأشجار الأراك الضخمة كذلك. [١]

(*)سور جازان العليا (درب النجا) :

وردت ألفاظ " درب النجا "درب" " الدرب" مقرونة غالباً باسم جازان العليا / سواءً في شعر ابن هتيمل أو الجراح بن شاجر، أو عند مؤرخي المخلاف ، ويبدو أنهم قصدوا من وراء ذلك تمييز جازان العليا بدربها المشهور أو سورها ، حيث أنها المدينة الوحيدة في المخلاف السليماني التي كانت محاطة بسور ذي أبراج[٢]. وقد وردت الإشارة إليه عند شاعري المخلاف الآنفي الذكر وذكرا من منعته وقوته وعلوه وسماكته، وكثرة أبراجه مما هو مبثوث في ثنايا ديوانيهما. [٣] بيد أننا مع كل هذا نجد بعض الباحثين يذهبون إلى أن المقصود بلفظ "درب النجا"[٤]، أو "درب جازان" إنما هو اسم للمدينة نفسها[٥] . وهذا في رأيي ليس صحيحاً إذ إن لفظ "الدرب" أو"درب " هنا إنما المقصود به السور الذي كان يحيط بقسم من مدينة جازان العليا ، ولشهرته وما كان يتمتع به من ميزات القوة والمتانة وصخوره الضخمة التي مازال بعضها ماثلاً إلى الآن . لذلك قرن باسم جازان حتى كاد أن يطغى عليها . وأصبح من ثم يكتفي باسم السور دلالة على المدينة ، والدليل على ذلك أن لهذه التسمية ما يماثلها في بلاد اليمن المجاورة التي تتطابق مع المخلاف السليماني ، وتندمج اجتماعياً وعمرانياً وسكانياً وحضارياً نتيجة الجوار ، وتماثل الثقافات ، والعادات بل الخضوع في بعض الفترات وبخاصة في عهد الرسوليين والطاهرين للهيمنة السياسية ، لذلك فقد تشابهت وتماثلت أشكال العمارة،

---

(١) يتبين ذلك لكل من زارها . وقد زرتها في ذي الحجة من العام (١٤٢٦هـ) . كما زارها العقيلي والزيلعي وأعطيا نفس الوصف (انظر: الآثار التاريخية للعقيلي ، ومدينة جازان الأثرية في ضوء نقش للزيلعي) ..

(٢) العقيلي ، الآثار التاريخية لمنطقة جازان ، ص٥١، والجراح بن شاجر الذروي ، ص ٣١-٣٢. والعقد المفصل ، ص ، (١٢٠) (ملحق المحقق) .

(٣) انظر : ديوان ابن هتيمل ، تحقيق الشميري في ٣ مجلدات . وديوان الجراح تحقيق العقيلي . مطابع الرياض. الرياض ، (١٣٨٥هـ/١٩٦٩م) ، ص ص ٣١-٣٢ .

(٤) يظهر أنه سمي بذلك نظراً لمنعته ، فهو طريق النجاة لمن تحصن به.

(٥) العقيلي ، الآثار التاريخية ، ص٣٧، وتاريخ المخلاف السليماني ج١ ، ص ٢٦١ ، والزيلعي ، مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش مؤرخ سنة ٨٦٨هـ ، مجلة الدارة ، ، ص٩٧، وعلي جابر شامي ، البيان في توثيق اسم جازان ، ص١٩٧ وما بعدها ، وغيرهم.

ومسمياتها وأنواعها ، وبالرجوع إلى تسميات الأسوار عند بعض المؤرخين اليمنيين نجد أنهم يطلقون لفظ " الدرب" و "درب" على الأسوار، أو الحيطان العالية ، والمتينة المحيطة بالمدن والقلاع . فمثلاً يذكر المؤرخ الشريف في اللآلئ المضيئة أن الإمام أبا القاسم العياني (٣١٠-٣٩٥هـ / ٩٢٢-١٠٠٤م) أمر بهدم "درب صعدة" قال: "وهو حائط دون القرية فهدم"[١]. كما أطلق لفظ الدرب كذلك على سور صنعاء المحيط بها فقال في أثناء كلامه عن حركة الإمام "يوسف الداعي" " فأمر بهدم درب صنعاء فهدم "[٢]. ويعضد ما ذهبنا إليه أن المؤرخ النمازي صاحب "خلاصة السلاف" نص صراحة على أن الدرب إنما هو سور جازان الأعلى فقال في معرض كلامه عن حملة "أبي نمي" شريف مكة على جازان عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) "... ودخل جازان فخرب القلعة ، ودمرها إلى الأرض، وأخرب الدرب[٣]. كما أن لفظ "الدرب" ورد في شعر ابن هتيمل (القرن السابع الهجري) في أثناء بعض القصائد التي كان يمدح بها بعض أمراء جازان ومنها قوله :

فأدلج من بروج " الدرب" يهوي　　　إلى السلبين من أهل ومال

وقوله من قصيدة أخرى :

إذا ما رماح الخط لم تُرْدِ هارباً　　　إلى " الدرب " أردته رماح المكائد

وما خلفه من حصن صرح ممرد　　　وكان كشيطان من الجن مارد

أو قوله :

لاذ بالدرب ثم أدلج لم يسترجـ　　　ـف لما نزلتم بحصاره[٤]

كما ورد لفظ الدرب عند الشاعر الجراح بن شاجر الذروي أحد أشهر شعراء المخلاف السليماني في القرن العاشر وكان مقرباً ولصيقاً بالأمير المهدي بن أحمد بن دريب أمير جازان في الفترة ما بين (٩١٢- ٩٢٥م/١٠٥٦- ١٥١٩م) بل إن شهرة الأمير

---

(١) مخطوط مصور عن نسخة مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء) ق ٢٥ ورقة ١٠٥.

(٢) ق٢ ورقة ١٠١ ، وانظر أمثلة أخرى في كتاب ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون لابن الديبع ، تحقيق محمد الأكوع ، ط٢، (١٤١٩هـ/١٩٨٨م) ، ص ٤٢٠، والأدلة على أن لفظ الدرب يقصد به السور كثيرة ، انظر أمثلة لذلك في مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار لابن فند ، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء ، ط١، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، ج، ص٦٦٥وغيرها.

(٣) ورقة ٥١ من خلاصة السلاف .

(٤) ديوان ابن هتيمل تحقيق الشميري ، ج١، ص ٢٦٧، ٤٤١ ، ج٢، ص ٧٢٣وغيرها .

المهـدي استمدت صداها من مدائح هذا الشاعر الذي وضع ديواناً كان معظمه في مدح الأمير المهدي[١].

فمن ذلك قوله :

حـين قـابلـت درب جـازان لاحـت وبـدت لي قصـورها الخـالـديـة[٢].

وقوله :

فعطفاً فـإن الـدرب أصبح مغضباً وكـاد لـرحبـان عليه يـحـارب[٣]

ونستنتج أن هذه الألفاظ تدل على أن المراد بالدرب تحديداً السور المشهور المحيط بالمدينـة، أو بجـزء منها بما فيها القلعة وقصور الأمـراء وليس المقصود به اسم جازان العليـا عـن غيرها من مدن "المخلاف السليماني" ويقود هـذا إلى أن نتساءل متى بني السـور؟ وفي عهـد أي من الأمراء بُنـي؟، والحقيقة أننا لا نكاد نقـف على إجابة قاطعة واضحـة تستند على معلومات أوردهـا مؤرخو المخلاف أو غيرهم تذكـر تأريخ تأسيس وبنـاء السـور أو اسم الأمير الذي بناه . وكل ما يمكن قولـه هنا ، أن السور كان موجوداً في عصـر الشاعـر ابن هتيمل ، أو قبله بدليل ما ورد الإشارة إليه في شعره الذي مدح به بعض أمراء الغوانم حـكام وادي جازان الذين كانوا يتخذون من جازان الأعلى عاصمة لهم كما تقدم ، ونجد أن أبرز شخصيتين عاصرتا الشاعر ابن هتيمل في القرن السابع الهجـري همـا وهاس بن محمد بن هاشم بن غانم وابنه محمـد بن وهاس أمير جازان في ذلـك الوقت[٤]. وبنـاءً على ما ورد في شعر ابن هتيمل مـن أوصاف لقصور جازان، ودربهـا، وتحصيناتهـا ، وتشبيههـا بالصرح الممـرد أو كشيطان من الإنس مـارد[٥] ، يمكننا أن نستدل منها على أن المدينة كانت وقتها محصنة ومن أهم تحصيناتها دربها، أو سورها الضخم المنيع ذي الأبراج العديدة عالية البنيان[٦].

---

(١) العقيلي ، الآثار التاريخية ، ص٤٤ .

(٢) ديوان الجراح ، ص ٨٩ .

(٣) ابـن هتيمـل ، ديوانه بتحقيق الشميري ، انظر القصائد رقـم ٧ ، ٥٩ ، ٧٧، ١٠١، ١٠٤، ١١١، ١١٤، ١١٩، ١٢١، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٨٥ وغيرها .

(٤) ديوان ابن هتيمل ، ج١، ص ٤٤١ وغيرها .

(٥) المصدر نفسه ،ج٢، ص٧٨٩، ج١، ص٤٢٩ ، وانظر العقيلي ، الآثار التاريخية في منطقة جازان ، ص ص ٣٨ـ ٣٩، ولاتزال بقايا أبراج السور ظاهرة إلى الآن .

(٦) العقيلي ، الآثار التاريخية ، ص ٥٣ـ ٥٥ .

كما نستدل من بقايا السور الماثلة حالياً أنه لم يكن مضروباً على جميع المدينة، بل على جزء منها ربما كان هو القسم الأكبر من المدينة أو هو الحي الرئيس الذي يضم قصور الامراء الغوانم وأقاربهم وحاشيتهم في المدينة وقلعتها الثريا[١]، بدليل وجود آثار مبانٍ تقع خارج السور وبخاصة من الناحيتين الشرقية والجنوبية[٢]. ولا نعلم علم اليقين أن كانت هذه المباني الواقعة خارج السور من عهد الأمراء الغوانم والقطبين أمراء جازان الذين حكموا خلال الفترة بين القرنين السابع والعاشر الهجريين أم استحدثت بعد ذلك؟ لكن الواقع يدل على أنه كانت هناك مساكن ومبانٍ خارج السور وقتها بدليل ورود معلومات عنها في بعض المصادر، حيث يذكر المؤرخ ابن فهد مثلاً في أحداث حملة محمد بن بركات على جازان عام (٨٢٢هـ/١٤٧٧م) أن المباني كانت داخل المدينة وخارج سور المدينة[٣]، ويظهر أن كثيراً من المباني الواقعة خارج السور كانت عششاً[٤]، ويستنتج من بعض النصوص أن السور كانت له بوابتان غربية وشرقية[٥]، يدل لذلك أن الشريف محمد بن بركات في حملته على جازان عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) وأثناء السعي بين الأميرين للصلح اشترط شريف مكة للموافقة عليه أن يدخل المدينة من باب ويخرج من الآخر، فرفض أمير جازان[٦]. وربما كان له أكثر من باب، حيث يذكر العقيلي في زيارته لبقايا المدينة عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) أن البوابة الرئيسية للسور تقع في الناحية الغربية[٧]. والذي يظهر من بقايا الحجارة الضخمة الموجودة حالياً أن بناء السور كان قوياً محكماً، ويتمتع بمتانة عالية بدليل أن شريف مكة أبانمي بن بركات اضطر في أعقاب حملته عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) على جازان أن يبقى عاماً كاملاً حتى ينتهي من هدمه مع القلعة، وإن كانت بقاياه تشير إلى أنه لم يهدمه جميعه وإنما هدم منه أجزاء[٨]. وظهر من خلال الزيارة التي قمت بها أن هناك بوابة تقع في الضلع الجنوبي للسور ولم أستيقن إن كانت هناك بوابة من الجانب الشمالي لزحف المساكن على جزء كبير من السور.

---

(١) وضعت وكالة الآثار بوزارة التربية والتعليم بالتعاون مع إدارة المتحف والآثار بجازان مسقط أفقي تقريبي لبقايا السور وهو غير دقيق بطبيعة الحال.

(٢) انظر، الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص ٥١.

(٣) في كتابه الدر الكمين بذيل العقد الثمين، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط٢، مكة ١٤٢٥هـ، ج١، ص١٦.

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة، وانظر كذلك إتحاف الورى، تحقيق عبد الكريم الباز جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٨هـ، ج٨، ص٦١٣.

(٥) العقيل، الآثار التاريخية، ص ٥٤.

(٦) ابن فهد، الدر الكمين، ج١، ص١١٦، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١٤.

(٧) الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص ٥٤.

(٨) جار الله بن فهد، المنى بذيل بلوغ القرى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، ج٢، ص ٧٠٠.

علـى أية حال تعرضـ السور عبر حكم الغـوانم والقطبين ومن بعدهـم إلى الهدم والإخـراب عند كل حملـة حربية تشن على حـكام المدينة ، سواءً كانـت هذه الحملات مـن مكـة أو من اليمن كما سيأتي توضيح ذلك في المباحث الآتية . وفي كل مرة كان يعاد ترميم السور مع ترميم القلعة ، وإعادة بنائها حتى أخرب وأهمل في القرن الثاني عشر الهجـري عقب طرد الشريف أحمد بن غالـب من المخلاف عام (١١٠٥هـ / ١٦٩٣م) ، وقد زار المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي، مدينة جازان الأثرية في عام (١٣٧٩، ١٣٨٣هـ/ ١٩٥٩، ١٩٦٣م) وتـرك وصفاً دقيقاً للسور المبني من الأحجار البركانية ، حيث يرى أن ارتفاع السور كان يقارب (١٢) ذراعاً ، وأن بين كل (٢٥٠) ذراعاً تقريباً برج على مدار السـور كما أن عرض مـا بقي منه يتراوح بين (٦) إلى (٧) أذرع وأن محيطه يزيد على أربعة كيلو مترات[(١)]. كما زار الزيلعي المدينة وذكر أن بعض بقايا السور يصل ارتفاعها في بعض الجهات إلى ثلاثة أمتار[(٢)].

ونخلصـ هنا أن السـور كان من أبرز معالم جازان العليـا ، وأهم تحصيناتها وأنه كان موجوداً منذ بداية اختطاطها كعاصمة للمخلاف السليماني في عهد الأمراء الغوانم منذ أوائل القرن السابع الهجري، وأنه المقصود بلفظ " الدرب " أو "درب جازان" الذي يرد في المصادر ، والكتابات التاريخية المحلية.

ثانياً : قلعة الثريا:

١ـ سبب التسمية :

مـن أهم التحصينات والمباني الدفاعيـة التي كانت تشتمل عليها مدينة جازان العليـا المندثرة القلعـة المشهورة التـي عرفت عنـد مؤرخي المخـلاف السليماني بقلعة (الثريـا) ولم نقف على معلومات تدلنا على سبب هذه التسمية ، ومتى أطلق عليها هذا المسمى ؟ بيد أن أول إشارة وردت عن هذه التسمية كانت في بعض الأبيات الشعرية التي

---

(١) العقيلي ، الآثار التاريخية ، ص ٥٣ .

(٢) انظر : بحثه مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش ، ص ١٠١ . وللأسف فيبدو أنه كلما تقدم الزمن زحف السكان على البقية الباقية من آثار السور فقد شاهدت بعض المباني عند زيارتي في ذي الحجة عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) قـد اتخـذت من بقايا السور أساسـات لها وعلى الرغم من محاولات وكالة الآثار تسويـر بعض الأماكن والبقايا من السور وأساسيات المباني القديمة إلا أنها في حاجة ماسة إلى تكاتف الجهود من أكثر من قطاع من قطاعات الدولـة لدفع عدوان السـكان على بقايا المدينة ، والحفاظ على البقية الباقيـة ، وتشكيل لجان عمل ، وحفريات وتنظيف لأشجار الأراك الهائلة التي غطت المكان.

تضمنها ديوان شاعر المخلاف في القرن العاشر الهجري الجراح بن شاجر الذروي الذي كان شاعر الأمراء القطبيين الذين حكموا المخلاف السليماني ما بين (٨٠٣-٩٤٣هـ/ ١٤٠٠- ١٥٣٦م) [١]. إذ يقول من قصيدة له في مدح الأمير محمد المهدي[٢] :

وترى (الثريا) سمكها عال على بدر السما وعلاه[٣]

ويستشف من قوله هذا أن القلعة سامقة البنيان تكاد من طولها تسامت الثريا علواً وارتفاعاً وإشرافاً على غيرها من قصور المدينة ومبانيها. كما يتضح من قول الشاعر سبب تسمية قلعة جازان بـ (الثريا) . ويؤكد هذا أن الاسم يرد عند مؤرخي المخلاف ويذكرونه في سياق ما يروون من أحداث تاريخ القطبيين دونما إشارة عن سبب هذه التسمية الأمر الذي يعزز ما ذكرناه آنفاً.

٢ـ تأسيس القلعة وتاريخ تشييدها:

من المشكلات التي يواجها الباحث في التاريخ المحلي للمخلاف السليماني في العصور الإسلامية الوسيطة قلة المعلومات ، بل ندرتها في بعض الفترات التاريخية المتقدمة ذلك لأن التدوين التاريخي في المخلاف السليماني بدأ متأخراً منذ القرن العاشر الهجري تقريباً ، فقدت بسببه الكثير من أخبار المخلاف في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، كما ساهم إهمال المؤرخين الآخرين من مكيين ويمنيين في رصد جميع أو أغلب الأحداث المحلية للمخلاف واقتصار بعضهم على ما له علاقة وصلة بأحداث مناطقهم فقط أو تلك الأحداث المشتركة [٤] ، وكان لفقد مؤلفات تاريخيه لبعض مؤرخي المخلاف دور في غموض هذه الفترات من مؤلفات كالعقيق اليماني ، وخلاصة السلاف قد حوت جل ما اشتملت عليه تلك المفقودة[٥] . ومع هذا فإن المتوفر

---

(١) على الرغم من شهرته كشاعر المخلاف في القرن العاشر ، إلا أننا لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا (محمد بن أحمد العقيلي، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، ط١، (١٤١١هـ /١٩٩٠م) ، ج١، ص٢٣٠وما بعدها.

(٢) هو محمد بن أحمد بن دريب الملقب بالمهدي ، أشهر أمراء المخلاف السليماني ، كان ممدوح الشاعر الجراح كان جواداً كريماً له مجالس تجمع العلماء والشعراء (النعمي القبي، الجواهر اللطاف) (مخطوط) ، ورقة ٣٦، والزيلعي ، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية ، ص١٨٦.

(٣) انظر : ديوان الجراح بن شاجر ، دراسة وتحليل ، محمد العقيلي ، مطابع الرياض ، ط١، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

(٤) على اعتبار أن المخلاف السليماني يقع بين الحجاز واليمن ، والتقارب الجغرافي والثقافي والسياسي بين بلاد المخلاف واليمن وبخاصة في العصور الإسلامية الوسيطة ، ولذلك تضمنت بعض كتب التراجم اليمنية الترجمة لعدد من أعلام وعلماء المخلاف .

(٥) أشار عبد الله النعمان ، والنمازي في كتابيهما إلى بعض هذه المؤلفات المفقودة وصرحا بالنقل عنها في مواضع من كتابيهما.

من المعلومات لا يشبع نهم الباحث، ولا يساعد في تغطية العديد من الجوانب التاريخية للمخلاف وبخاصة ما قبل القرن العاشر الهجري التي لايزال يكتنفها الكثير من الغموض ، ومازالت الفجوات التاريخية قائمة لا يمكن سدها لندرة أو انعدام المعلومات التي تعين الباحث في عمله[١]. لذلك لا نكاد نجد فيما وقع تحت أيدينا من تواريخ المخلاف المحلية شيئاً يدل على تاريخ بناء وتأسيس القلعة، كما لم نقف على معلومات مؤكدة عن الأمير الذي أمر بتشييد قلعة (الثريا) . اللهم إلا إشارات وردت عند البهكلي لم يذكر لها مصدراً محدداً . وهي اجتهادات في الأغلب الأعم تذهب إلى (أن العامر لهذه القلعة ليس إلا خالد بن قطب الدين) أول أمراء الأشراف القطبيين الذين أصبحوا حكاماً للمخلاف السليماني بعد بني عمومتهم الأشراف "الغوانم" في أول القرن التاسع الهجري حيث يقول : " اعلم أني قد طالعت بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد " للديبع مطالعة الاستقصاء فلم أره ذكر عمارتها القديمة مع ذكره لملوك زبيد وعمارتهم إلى مدة بني طاهر رأس المئة التاسعة ، وطالعت "قرة العيون في أخبار اليمن الميمون" له أيضاً إمراراً لا استقصاء ، ولا إخاله ذكر عمارتها. وبعض تاريخ أبي الحسن الخزرجي ولم أر فيما رأيت ذكراً لعمارتها ، ولا أظن العامر لها غير خالد بن قطب الدين وأولاده . ولو كان لملوك زبيد فيها عمارة لما أغفلها الديبع مع ذكره لعمارة البرك وهي أحقر منها قدراً وأبعد مسافة. [٢]ومع أن المؤرخ النمازي يتابع البهكلي في اجتهاده السابق إلا أنه يطرح مع ذلك رأياً آخر يذهب فيه إلى أن أول من اختط القلعة كان آخر ملوك المخلاف السليماني من الأشراف الغوانم المشهورين بالشطوط ، ولم يقطع برأي جازم بل في كلامه صيغة التضعيف "قيل" حيث يقول في كتابه خلاصة السلاف : "اعلم أن لهذه القلعة المشهورة بالثريا من الأخبار المذكورة في تواريخ اليمن وغيره من الأقطار مما لا يضبطها انحصار[٣]، وقد سبق ما ذكرناه أن أول اختطاطها كان في زمان آخر ملوك المخلاف من الأشراف الغوانم المشهورين بالشطوط [٤]، وقيل كان اختطاطها في

---

(١) تبرز جهود مؤرخ المخلاف المرحوم محمد العقيلي في كتابه المخلاف السليماني وكذلك د. الزيلعي في كتابه، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان ، ولكن مع ذلك هناك فجوات وقفت قلة المعلومات دون سدها في تاريخ المخلاف المبكر والوسيط .

(٢) العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، تحقيق العقيلي ، ص٥٣ .

(٣) كذا قال وقد نقبت في الكثير من المؤلفات التاريخية اليمنية المطبوعة منها والمخطوطة فلم أجد أحداً ذكرها ولا أشار إليها. ولا أعلم أي تواريخ يذكر ، ولعله اطلع على شيء مما لا يزال الآن مفقوداً أو في حكمه .

(٤) الشطوط هم فرع من الغوانم السليمانيين الذين حكموا المخلاف السليماني : " وكان هؤلاء الأمراء الشطوط بباغتة ويظهر أنهم تفرقوا عقب مقتل الأمير المؤيد على يد الأيوبيين فقسم سكن باغته وهم الشطوط ، وآخر سكن جازان وهم الغوانم (للمزيد من التفصيلات انظر : العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني (بحث منشور بمجلة العصور مج٦ ، ج٢، يوليو (١٩٩١م)، ص٢٦٧ وما بعدها.

زمن الأمير "خالد قطب الدين" أول ملوك المخلاف من الأشراف القطبيين والله أعلم "[١]. ولا نستطيع تأكيد ما ذهب إليه العقيلي من استدلاله ببعض شعر ابن هتيمل الذي ذكر فيه "الدرب" والحصن على أن المقصود قلعة الثريا من مثل قوله:

إذا ما رماح الخط لم ترد هارباً ... إلى الدرب أردته رماح المكائد

وما خلفه من حصن صرح ممرد ... وكان كشيطان من الجن مارد[٢]

فما ورد من شعر ابن هتيمل المستشهد به ليس فيه التصريح بوجود القلعة وإلا لذكرها ابن هتيمل باسمها الذي أورده الشاعر الآخر في القرن العاشر "الجراح بن شاجر" خاصة وأنها مما يمكن أن يباهى به ، وإنما ورد لفظ "حصن" في البيت السابق . ومع أنه لا يدل صراحة على قلعة "الثريا" إلا أن هذا اللفظ يؤكد وجود حصون أو حصن في مدينة "جازان العليا" حينها قد تكون قلعة الثريا خاصة مع وصف الشاعر له بأنه (كشيطان من الجن مارد) ، أو حصون أخرى بناها أوائل الأمراء الغوانم في جازان.

٣- مساحة القلعة :

يعتبر البهكلي أول من حاول الإشارة إلى مساحة القلعة في كتابه: (العقد المفصل بالغرائب والعجائب) عند كلامه عن قيام الشريف أحمد بن غالب في عام (١١٠٤هـ/١٦٩٢م) [٣] بإعادة بناء وتشييد القلعة للتحصن بها أمام الهجمات التي كان يشنها عليه قبائل المخلاف وأئمة اليمن وغيرهم ، وقد اعتمد على رواية غيره في تقدير هذه المساحة ، لذلك لم يورد رأياً قطعياً فقال: "وروى لي بعضهم أنها مسحت فجاءت ثلاثة معاود إلا ثُمن معاد وقيل: ثلاثة معاود وقيراط"[٤]. ويبدو أنه قام بزيارة إلى القلعة عندما بدأ الشريف أحمد ابن غالب بالاستعداد لإعادة بنائها - كما سيأتي - فوجد

---

(١) خلاصة السلاف (مخطوط) ورقة ١٠٤ بترقيمي .

(٢) الديوان بتحقيق الشميري ، ج١ ، ص٢٦٧ ، وانظر العقيلي ، الآثار التاريخية في منطقة جازان ، ص٣٨، ٥٢ .

(٣) قدم إلى المخلاف السليماني من مكة وحكمها حكماً غير مستقر لرفض غالب أهلها له ما بين عامي (١١٠٢، ١١٠٥هـ / ١٦٩٠، ١٦٩٣م) حيث طرد منها وعاد إلى مكة، العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٣٧٤ وما بعدها.

(٤) انظر مخطوطة الجامع بصنعاء ضمن مجموع ص ٣٧. وفي طبعة العقيلي ص٥٣ "ثلاثة معاود إلا ثمن معاد وقيراط" وقدرها العقيلي بـ(١٠٤٠٠م²) كما قدرها د. الزيلعي بحوالي (٧٠٠٠م²) وقوله هذا غير دقيق فإن المعاد يتراوح بين(٣٥٠٠م²) و٤٠٠٠م² وعلى ذلك فهي تتراوح بين ١٠٠٠٠م² وأكثر من ١٢٠٠٠م² أي أنها أكثر من ١٠٠م² طولاً في مثلها عرضاً ولا مبالغة في ذلك إذا ما عرفنا سعتها وكثرة غرفها كما ذكر العقيلي الذي زارها عام (١٣٧٩هـ ، ١٣٨٣هـ) .

أن جزءها القديم من الجانب الغربي يبلغ بمقاس الذراع سبعة أذرع ونصف ذراع، وأن بـه باباً قام الشريف أحمد بن غالب بسده[١]. وبما أن الذراع بالمقاييس الحالية يساوي (٤٨) سم تقريباً فإن ذلك يعني أنه يقارب ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريباً [٢]

وللأسـف فـإن أطلال القلعـة الآن قد محيت تمامـاً وما بقي منها ممـا اطلع عليه العقيلـي عـام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)فغالبـه امتدت عليـه مساكن الأهالي الذيـن أقاموا منازلهـم علـى أطلال مدينة جازان وجـزء غطته أشجـار الأراك الضخمة حتى أصبح مـن الصعوبة بمكان تحديـداً دقيقاً ، أو حتى تقريباً[٣] وكان العقيلي قد اطلع في زيارته عـام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) على ما يظن أنـه بقايا القلعة فذكر أنهـا تتكون من عدد من المبـاني ، وان جدرانهـا مطلية بالنورة وأن بهـا غرفاً كانت يومهـا متماسكة البنيان في بعض جوانبها ، يصل ارتفاع بعضها إلى ستة أذرع تقريباً ، كما يوجد بداخل القلعة بئر واسعـة ، وأغلب مبان وغـرف القلعة مردومة ، أو مدفونة تحـت ركام الأتربة والأشجار غير أنه لم يذكر مساحتها ، ولعل اندثار الكثير من معالمها حال بينه وبين ذلك [٤] .

٤ـ الكوارث وحالات الخراب التي مرت بها القلعة :

قـال النمـازي في الخلاصة : " واعلـم أنه منذ أول اختطاط قلعـة جازان المشهورة بالثريـا ، فإنها لم تسلم من أمور الخراب ، وغـارات الدمار على تكرر الأعوام والدهور إلى هذه العصور فقد توالت عليها العديد من الضربات ، وأتى على بنيانها تكرر الغارات ، وحصـل لها أنواع من الخـراب والدمار ما يُقارب ثلاث مرات منذ أول اختطاطها إلى آخـر عمارة بنائها على يد ابـن غالب حال ولايته من الإمام الناصر لدين الله على هذه الجهـات"[٥]. والحـق أن مدينة جازان العليـا وقلعتها وسورها قـد تعرضت للكثير من التخريـب والهدم كما قال النمازي نتيجة الحـروب التي شنها عليها أشراف مكة وأئمة اليمـن ، إضافـة إلى حملات أمير حلـي بن يعقوب وجيوش الأتـراك المرابطين في زبيد

---

(١) العقيلي ، العقد المفصل ، ص ٥٣، ط .

(٢) انظر ، سليمان الرحيلي ، الطريق النبوي إلى بدر، الدارة ، ع٣ ، س١٤ ، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٢٣.

(٣) الزيلعي ، مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش مؤرخ سنة ٨٦٨. مجلة الدارة ، ص٩٩، والمرجح أن البيوت بنيت في المكان الذي يعتقد أن به آثار القلعة ، لذلك من الصعب جداً التنقيب عن بقاياها في ضوء حالة المكان الآن .

(٤) الآثار التاريخية لمنطقة جازان ، ص ٥٤ .

(٥) خلاصـة السـلاف (مخطوط) ورقة ١٠٤. وانظر العقـد المفصل للبهكلي ص ٥٣، فقد أشـار إلى بعض ما حل بالقلعة من الخراب والهدم .

وغيرها باليمن والمخلاف . ومنذ أن قامت إمارة القطبيين في المخلاف السليماني في عهد أول أمرائها " خالد بن قطب الدين - عام (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) تقريباً[١] واتخاذهم من جازان العليا مستقراً لحكمهم والمدينة تزدهر وتتسع ويتبارى أمراؤها في عمارة الدور والقصور ذات القباب التي تذكرنا بنمط البناء الأندلسي[٢] . والغرف العديدة التي تحاكي غرف الجنان كما يقول شاعرهم " الجراح بن شاجر الذروي " :

غرف حكت غرف الجنان وفاخرت ـــ بـ " محمد "[٣] قمر السما وعلاه

أو قوله في قصيدة أخرى :

حين قابلت (درب جازان) لاحت ـــ وبدت لي قصورها الخالدية[٤]

والمتأمل في شعر ابن شاجر الذروي سيتعرف من خلال وصفه للقصور وبهاء بنيانها وحسن عمارتها على أن المدينة كانت تشهد ازدهاراً عمرانياً ورفاهية في العيش وقوة مضطردة كانت تأبى البقاء في محليتها ضمن منطقة المخلاف السليماني وتدفع إلى التوسع شمالاً وجنوباً ، وتسعى إلى التحرر من التبعية حتى ولو كانت إسمية في فترات عديدة . لكن ذلك كان يُجابه برفض من قوة في الشمال تمثلت في أشراف مكة وتوابعها ، وسلاطين اليمن من الرسوليين والطاهريين في الجنوب . ومع حالات العداء التي كانت تظهر على السطح بين فينة وأخرى ، فإن أول من جرؤ على انتهاك حرمات مدينة جازان الأعلى وضرب أمرائها والعيث فساداً في المخلاف ، وهدم قصور جازان، وقلعتها وسورها هم أشراف مكة بنو عمومة القطبيين أمراء المخلاف حينها[٥] . وسأتقصى

---

(١) الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ص ١٦١ .

(٢) العقيلي ، جازان العليا في عهد الأمير المهدي القطبي، مقال منشور في مجلة المنهل ، وأعيد نشره في كتابه ، مقالات رصينة وتحقيقات أمينة ، مطبوعات نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٠هـ ، ص ص ٤٠-٤٥ .

(٣) هو الأمير : محمد المهدي القطبي الذي حكم بين سنتي (٩١٢-٩٢٥هـ/١٥٠٦-١٥٢٩م) تقريباً (الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ص ١٨٦-٢٠٥) .مختارات من ديوان ابن هتيمل ،

(٤) مختارات من ديوان ابن هتيمل ، تحقيق العقيلي ، ط١ ، الرياض (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، ص٧٢ .

(٥) ذكر بعض المؤرخين اليمنيين أن جازان تعرضت عام (٧٨٣هـ/١٣٣٧م) لحملة من السلطان الرسولي المجاهد علي كان سببها قيام الشريف صاحب جازان (كذا) باعتراض حجاج اليمن وهم في طريقهم إلى مكة وطلب منهم مكساً عجزوا عن دفعه فعادوا إلى اليمن وبطل حجهم ذلك العام فغضب الملك المجاهد وخرج في عساكر كثيرة إلى جازان فأخربها بعد أن هرب صاحبها الشريف عن مواجهته (الخزرجي : الكفاية والأعلام (مخطوط مصور ورقة ٢٨٠) ، والعسجد المسبوك للمؤلف نفسه (مخطوط مصور) . والديبع ، قرة العيون (٢٢٦-٢٧٧) .

هنا ما مرت به القلعة والسور من نكبات الهدم والإخراب وحالات إعادة الإعمار وما بين ذلك إلى خراب القلعة نهائياً في القرن الثاني عشر الهجري.

أ- حملة الشريف محمد بن بركات وخراب القلعة والسور عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م).

تعرضت القلعة للخراب والهدم في عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) على يد شريف مكة محمد بن بركات (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م) وذلك في أثناء حملته المشهورة على المخلاف السليماني وشنه الحرب على أمير جازان العليا والمخلاف الشريف أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين. وقد حفلت المصادر المتعددة ما بين مكية ويمانية ومحلية بإشارات عديدة لهذه الحرب وما حل بجازان، وقلعتها وسورها وأهلها من خراب ودمار وانتهاكات على يد محمد بن بركات أمير مكة. لكن سياق بعضها يختلف عن البعض الآخر، ففي الوقت الذي تذكرها المصادر المكية المعاصرة ببعض تفصيل، فإن المصادر التاريخية اليمنية والمحلية تذكرها بإيجاز ولا تقدم معلومات واضحة. حتى إن أهم مصدر محلي لتاريخ المخلاف السليماني - العقيق اليماني - يغفلها كلياً. على أية حال يذهب المؤرخون المكيون إلى أن أسباب حملة الشريف محمد على جازان تعود إلى: قيام أمير جازان أبو الغوائر أحمد بن دريب بإيواء الشريف "علي بن بركات" شقيق الشريف محمد[1] ومنافسه على إمارة مكة عندما وصل إلى جازان مفارقاً لأخيه لخصومة وقعت بين الاثنين حاول على إثرها "علي بن بركات" السفر إلى مصر لتقديم شكوى للسلطان قايتباي (ت٩٠١هـ/ ١٤٩٦م) سلطان مصر المملوكي حينها ضد أخيه أمير مكة محمد بن بركات، وقد حاول علي السفر إلى مصر عن طريق الموانئ الحجازية لكنها أغلقت في وجهه، وخشي أن يقبض عليه عمال أخيه ويمنع من السفر إلى سلطان مصر فكان أن قدم على صاحب جازان فاستقبله وأكرمه وساعده على الركوب من بندر جازان إلى سواكن ومنها إلى مصر[2]، فلما علم بذلك شريف مكة محمد بن بركات غضب، وعقد العزم على المسير إلى جازان لإقدام الشريف أبي الغوائر أحمد بن دريب على

(١) هو علي بن بركات بن حسن بن عجلان، شقيق شريف مكة محمد بن بركات. وقعت الخصومة والمنافرة بينه وبين أخيه محمد أكثر من مرة، وارتحل إلى مصر ثم أعيد إلى مكة، ثم فارقها إلى مصر عن طريق جازان بمساعدة أميرها أبي الغوائر. وانظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي، دار الجيل- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج٥، ص ١١٧-١٩٨، إتحاف الورى لابن فهد ٤/ ٤٨٤ وغيرها.

(٢) بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر. تحقيق محمد عبد النور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ج٣، ف ٢، ص ٧٥٩، ابن فهد، إتحاف الورى، ٤/ ٦١٣، النجم بن فهد، الدر الكمين ١/ ١١٦.

إيواء من ينفيه شريف مكة من عسكره ومنهم " ذوو عمر[١] الذين كانوا حينها يقيمون عند أبي الغوائر ويحظون برعايته[٢] وفي حين يفصح هؤلاء المؤرخون عن هذه الأسباب ويضعونها عاملاً رئيساً في غزو محمد بن بركات لجازان فإن مؤرخي اليمن والمخلاف لا يقدمون أسباباً واضحة لهذه الحملة ويكتفون بالإشارة إلى أن السبب ينحصر في حصول وحشة شديدة لسبب مشهور[٣]. ويذهب العقيلي إلى أن مطامع أمير مكة في ضم منطقة جازان إلى حكمه ومد نفوذه عليها كان السبب المباشر في حملته تلك، حيث كان لتخلي الطاهريين في اليمن عن مساعدة حليفهم أبي الغوائر صاحب جازان فرصة لضم جازان[٤]. لكن الزيلعي يستبعد ما ذهب إليه العقيلي بناءً على أن شريف مكة غادر المنطقة بعد فترة قصيرة من تحقيق النصر على صاحبها أبي الغوائر [٥].

على أية حال تضافرت هذه الأسباب دفعت بالشريف محمد بن بركات إلى الخروج إلى جازان في عساكر كثيرة واحتفال زائد حتى أنه اصطحب معه جميع أهله من الزوجات والسراي والذرية [٦]. ولما بلغ جازان في ربيع الأول سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) ترددت الرسل بينه وبين صاحب جازان أبي الغوائر فلم ينتظم بينهما صلح على الرغم من تدخل المشايخ بينهما، وقد اشترط محمد بن بركات أن يدخل مدينة جازان من باب ويخرج من الآخر للموافقة على الصلح، وهو ما رفضه الشريف أبو الغوائر أحمد بن دريب، وخرج بعساكره وصف للقتال أمام جيوش شريف مكة [٧]. وهنا نقف على

---

(١) هم مجموعة من قواد شريف مكة المعروفين بعبيد السلطان، وهم ممن كانوا موالي ثم أعتقوا وأصبحوا يقودون كتائب تحت إمرة أشراف مكة، لكنهم كانوا أحياناً يخرجون عن الطاعة ويعيثون فساداً وبخاصة تجاه الآخرين كما كان يطلق عليهم القادة العمرة. (انظر، التفصيلات في صفحات من تاريخ مكة المكرمة، تأليف، سنوك هورخرونيه، ترجمة علي عودة، الشيوخ، نشر دارة الملك عبد العزيز، ج١، ص١٩٦).

(٢) إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١٣، والدر الكمين، ج١، ص ١١٦.

(٣) ابن الديبع، قرة العيون، تحقيق الأكوع، ط٢، (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). ص٤٢٠، وبغية المستفيد تحقيق، يوسف شلحد، صنعاء (١٩٨٣م) ص ١٤٨، يحيى بن الحسين، إنباء الزمن (مخطوط مصور عن نسخة المكتبة الغربية بجامع صنعاء) ورقمه ٣٦١. والشرفي. اللآلئ المضيئة (مخطوط مصور) ق٣ ورقة ٤. والبهكلي، العقد المفصل بالعجائب والغرائب تحقيق العقيلي، ص٥٣، والنمازي، خلاصة السلاف (مخطوط) ورقة ٢٦ بترقيمي وغيرها.

(٤) تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٢٦٢.

(٥) الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان، ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ١٧٤.

(٦) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٤٢٠، الشرفي، اللآلئ المضيئة، ق٣، ورقة ٤. والبهكلي، العقد المفصل بالغرائب والعجائب، ص ٥٣.

(٧) الضمدي، العقيق اليماني، ص١٧١، والنمازي، الخلاصة ورقة ١٠٤.

وصفين مختلفين بين مؤرخي مكة والمؤرخ بامخرمة . فعلى حين يذهب مؤرخو مكة إلى أنه ما إن بدأ الالتحام بين أوائل عسكر شريف مكة محمد بن بركات مع عساكر صاحب جازان حتى قام بعض العسكر برمي النار في بعض بيوت أهالي جازان وكان غالبها عششاً فعلقت بها النار وانتقلت سريعاً بفعل الرياح الشديدة وأحرقتها جميعاً ، الأمر الذي أدى لاضطراب صاحب جازان وعساكره ، وكانت الهزيمة وهروب أبي الغوائر من الباب الآخر من المدينة ومعه عساكره ، وأخلوا مدينة جازان فدخلها محمد بن بركات وعساكره ، وعاثوا فيها فساداً قتلاً ونهباً وإخراباً[١]. بينما نجد رواية مختلفة عند "بامخرمة" تتلخص في أن الحرب وقعت بين الفريقين ودارت رحى معركة عظيمة كاد فيها الشريف محمد بن بركات أن ينهزم لولا لجوؤه إلى إغراء مجموعة من جيش صاحب جازان بنقود ذهبية مزيفة كان قد أعدها لمثل هذا الموقف، لذلك ما إن رأى بوادر الانحلال في جيشه حتى بث في معسكر صاحب جازان من أغراهم بتلك النقود التي كانت قطعاً من المحلقة طلاها بالذهب حتى لا يكاد من يراها يشك أنها ذهب أشرفية خصوصاً كما يقول "بامخرمة" العرب الذين لا يميزون بين وزن الذهب وخفة الفضة ، واستطاع بذلك إفساد الكثير من جيش صاحب جازان، فتخاذلوا عنه فحلت الهزيمة به وقتل من أصحابه نحو الخمسة عشر[٢]. ويتفق المؤرخون على أن جيش محمد بن بركات قد ارتكب الفظائع في جازان ، فقتلوا كثيراً من الرجال والنساء والولدان صبراً ، واستأسروا كثيراً من النساء الشرفاء وغيرهن ، وحملوهن معهم إلى بلدانهم ، وانتهكت الحرمات ، وانكشفت العورات، ولحق نساء صاحب جازان من الذل والإهانة وكشف الحجاب ما لم يكن لأحد في حساب وجرى على أهل جازان ما لم يخطر ببال أحد[٣]. وهذه فظائع عظيمة وظلم كبير وقع من شريف مكة محمد بن بركات على أهالي جازان وهو ما أدرك خطره وسوء عاقبته المؤرخ ابن فهد فعلق بقوله : " وكانت نازلة شنيعة عاد وبالها على أهل مكة ، فإنها أقحطت سنين عديدة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[٤]. لكن الغريب أن يُعدّ العصامي هذه المأساة التي نزلت

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٢، ص ٦١٤، وغاية المرام ، تحقيق فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى ، ج٢، ص ٥٢٤.

(٢) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣، ق٢، ص٧٥٩ .

(٣) انظر ، ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤،ص٦١٣، والدر الكمين ، ج١، ص ص ١١٦-١١٧. وسمط النجوم العوالي للعصامي ، القاهرة ، دت ، ج٤، ص ٢٧٧، وابن الديبع ، قرة العيون ، تحقيق الأكوع ، ج٢، ص ٤٢٠. وبغية المستفيد، ص١٤٨ ، ودرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المنظمة للجزيري ، ص ٣٣٨، غاية المرام لابن فهد ، ج٢، ص ٥٢٤وغيرها .

(٤) انظر ، إتحاف الورى ، ج٤، ص ٦١٤، والدر الكمين ، ج١٠، ص ١١٧ .

بأهـل جازان " فتحاً مبيناً " ويثني على الشريف ما فعله ، ويرى أنها أدت إلى أن تخافه القبائل وتمتلئ من مهابته الصدور(١).

وقد تعرضت قلعة الثريا وسور جازان" (دربها) للخراب والهدم على يد محمد بن بـركات في أثناء حملته هـذه فيذكر ابن فهد أن جيش شريف مكـة " أخربوا الحصن ، وجميـع مـا فيه ، وكان فيه جملة من المتاع والثياب والكتـب النفيسة ، وأحرق باقي البلد وخـرّب سورهـا ، وجميع ما فيها من الدور خلا المساجد"(٢). وقال ابن الديبع في وصف ذلك: " فاستباح صاحب مكة جازان وأهلها وأحرقها ، وأخرب سورها وتركها خاوية على عروشهـا ، ونهبت خزانته وفيها مـن الكتب النفيسة شيء عظيم ، ومن السلاح والثياب مـا جمعه أبوه وجده " بينما قال في بغيـة المستفيد : " ونهبت جازان وأحرقت ، وهُدمت دور الخلافـة وسور البلد"(٣). كما ورد هدم الحصـن (القلعة) والسور عند العصامي الذي قال : " وفيها (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) ، غزا الشريف محمد بن بركات جازان ، ونهبها ، وأحـرق حصنهـا ، وأخرب سورها ، وقتل عدة مستكثرة مـن رجالها ، وغنم شيئاً كثيراً مـن أموالها ، وأسر طائفة عظيمة من نسائهـا وأطفالها"(٤). ويعتبر هذا الخراب عند مؤرخـي المخلاف هو الخـراب الأول الذي حل بالقلعة وسور المدينـة(٥). أما أبو الغوائر أحمـد بن دريـب فقد عاد إلى مدينة جازان يلم ما تشعـث ، ويعيد بناء ما تهدم ، وبقي خاضعـاً لشريف مكة محمد بن بركات يؤدي إليه مالاً معلوماً يظهر أن بعضه كان عينياً ممـا تنتجه بلاده من الأطعمة وغيرها . حيـث يقول العز بن فهد عن ذلك : " وصاحب جازان من تحت أمره ويحمل الخوارج إليه في كل سنة (٦).

وفي عام (٩٢٤هـ/١٥١٨م) تعرض المخلاف السليماني وعلى الأخص وادي جازان لهجـوم من بني حـرام حكام حلي ابـن يعقوب مدفوعـين من شريف مكـة (٧). وحاول

---

(١) سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٧٧ .

(٢) إتحاف الورى ج ٤، ص ٦١٤، والدر الكمين ج١، ص ١١٧، في كتابه : قرة العيون ، ص ٤٢٠.

(٣) انظر بغية المستفيد بتحقيق ، عبد الله الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء، ١٩٧٩م ، ص ١٥٥.

(٤) انظـر ، سمـط النجـوم ، ج٤، ص ٢٧٧ . كما أشار إلى ذلك غيره ، انظر، العـز بن فهد ، غاية المرام ، ج٢٠، ص ٥٢٤، ٥٢٥ وغيرهم .

(٥) النمازي ، خلاصة السلاف ورقة ٢٦، والبهكلي ، العقد المفصل ، ص ٥٣ .

(٦) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق صلاح الدين إبراهيم ورفاقه ، دار القاهرة ، دت ج٢، ص ١٠٢٠ . والخوارج هي: ما يخرج من غلة الأرض (نقلاً عن تحقيق بلوغ القرى ، هامش ٢ ، ص١٠٢٠).

(٧) العقيق اليماني ، (مخطوط) ، ورقة ٦٥-٦٦من نسخة الجامع بصنعاء ، والديبع ، الفضل المزيد ص٣٨١.

صاحب جازان في ذلك الوقت الشريف المهدي بن أحمد مواجهتهم ولما لم يستطع المقاومة انسحب إلى مدينة جازان حيث تحصن بقلعة الثريا ودرب المدينة [١]. فكان أن عاث جيش الحرامي فساداً في وادي جازان وقراه من شرقه إلى غربه ، ومن البحر إلى الجبل ، ونهبوا الأموال وانتهكوا الحرمات [٢]. واضطر الأمير المهدي صاحب جازان إلى عقد هدنة مع الأمير (قيس الحرامي) تراجع بموجبها إلى بلاده " حلي بن يعقوب " [٣]. وعلى الرغم من أن وادي جازان ، وعاصمته جازان العليا قد تعرضت لحملة من العساكر الجركسية النازلة بزبيد في اليمن [٤]. بقيادة "اسكندر" الذي ما أن علم به أمير جازان حينها الأمير عز الدين بن أحمد حتى فر من مدينته ، واختفى ولم يعلم له الجراكسة مكاناً ، ولم يستطيعوا تحديد الجهة التي هرب إليها واختفى بها . فقاموا بتخريب جميع قرى ومدن وادي جازان بما فيها مدينة جازان العليا وتدميرها[٥]. إلا أنهم على ما يبدو لم يعرضوا للقلعة أو سور المدينة بخراب كبير بدليل أن النمازي يذكر أن الأمير عز الدين عاد إلى درب جازان بمجرد مغادرة الجراكسة عائدين إلى زبيد [٦].

ب ـ خراب جازان وقلعتها عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) :

في هذا العام تعرضت جازان وقلعتها الثريا للخراب وذلك على يد القائد الجركسي " سلمان الرومي" عندما خرج من زبيد قاصداً جازان لامتناع أميرها يوم أن توقف الشريف أحمد بن المهدي القطبي عن أداء ما عليه من أموال وخيول. للقائد " سلمان الرومي". فخرج إليه من زبيد وحط بأبي عريش ودارت مراسلات بين الطرفين ولم تنجح فتقدم قائد اللوند[٧]. "سلمان الرومي" في جيشه وضرب الحصار على الأمير أحمد بن المهدي ثم دخل عليه درب المدينة فلم يستطع صاحب جازان الصمود وحاول التحصن بالقلعة فدخلها عليه القائد "سلمان" عنوة وقتله وأخرب القلعة ، ودمر قصور

---

(١) نفس المصدر ، ورقة ٦٧ ، وخلاصة السلاف للنمازي ورقة ٣٠.

(٢) المصدران نفسهما ، نفس الصفحة ، والفضل المزيد لابن الديبع ، ص ٨١ .

(٣) الضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان (مخطوط) ورقة ٦٦ نسخة جامع صنعاء ، الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ص٢٠٤.

(٤) ذكرت المصادر المحلية أن سبب خروج القائد إسكندر يعود إلى قيام عز الدين بقتل أخيه الأمير المهدي الذي كان حليفاً للقائد إسكندر ، خلاصة السلاف ، ورقة ٣١. الوافي بوفيات الأعيان ورقة ٦٧.

(٥) النمازي ، خلاصة السلاف ورقة ٣٣.

(٦) المصدر نفسه ، ورقة ٣٤ .

(٧) هكذا أطلق عليهم مؤرخو المخلاف ، واليمن ويقصد بهم بقايا الجراكسة الذين خرجوا إلى اليمن والمخلاف أوائل القرن العاشر الهجري.

جازان وغيرها من المباني ، ونهبها وترك أهلها فقراء [١]. ويبدو أنه لم يلحق أذى كبيراً بالقلعة حيث أعيد ترميمها وبناؤها مرة أخرى في عهد الأمير عامر بن يوسف العزيز، ويظهر أنه قد اعتنى بإعادة بنائها عناية كبيرة وزاد من تحصينها وقوة بنيانها. لأن مؤرخي المخلاف يذكرون أن البلاد قد استقرت وازدهر بها العمران، وتنافس السكان في جازان وأبي عريش في العمارة حتى أصبح يُضرب بعصر الأمير عامر المثل في الميل إلى العمارة والتفنن فيها[٢].

ج ـ خراب القلعة والسور عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) ثم إعادة إعمارها:

تعرض المخلاف السليماني في عهد الأمير عامر بن يوسف العزيز لحملتين شنهما عليه (قيس الحرامي) أمير حلي بن يعقوب في عامي (٩٤٠ ، ٩٤٢هـ/ ١٥٣٣، ١٥٣٥م) لكنه باء في كلتيهما بهزيمة شنيعة على الرغم من المساعدات العسكرية التي قدمها له شريف مكة " (أبو نمي بن بركات) [٣]. وما إن بلغت أصداء هذه الهزيمة مسامع الشريف " أبا نمي" حتى أخذ يستعد لغزو المخلاف السليماني ، انتصاراً لحليفه أمير حلي[٤]. فاجتهد في جمع عساكر كثيرة من أهل ينبع والصفراوات والأودية، والطائف، وغيرهم حتى بلغ عدد خيلهم ما يقرب من (٧٠) فرساً كما بلغت عدد الرجالة ثلاثة آلاف ثم زاد عددهم لما بلغ حلي في طريقة إلى جازان فبلغ الخيالة قرابة (٦٠٠٠) من الرجالة[٥].ولم يكتف بذلك بل أخرج حملة عن طريق البحر للغرض نفسه[٦]. وتكاد المصادر المكية والمحلية تجمع على أن سبب هذه الحملة إنما هي نصرة أمير حلي " قيس الحرامي" وغضباً للهزائم التي أنزلها به أمير جازان" عامر بن يوسف العزيز"[٧]. ويذهب النهراولي إلى أن " استطالة عامر على شرفاء مكة بلسانه وادعاء الافتخار

---

(١) انظر ، العقيق اليماني (مخطوط) ورقة ٧١، وخلاصة السلاف ورقة ٤٠ .

(٢) العقيق اليماني ورقة ٧٢، وخلاصة السلاف ورقة ٤٣.

(٣) الضمدي ، العقيق اليماني ، ورقة ٧٤ النمازي ، خلاصة السلاف ورقة ٤٧. والعقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ٢٧٦. والكبسي ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مخطوط صفحة ١٣٦.

(٤) الكبسي ، المصدر السابق ، نفس الصفحة ، والضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان ، ورقة ٧٥ .

(٥) جار الله بن العز بن فهد ، نيل المنى بذيل بلوغ القرى ، تحقيق : محمد بن الحبيب الهيلة ، مؤسسة الفرقان الإسلامي، ط١ (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ج٢، ص ٦٦٠-٦٦٣.

(٦) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٧٢.

(٧) انظر ، إضافة لما سبق من المصادر ، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، للعز بن فهد ، تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى بمكة (١٤٠٦هـ-١٤٠٩هـ) ج٢، ص٦٦٧ومابعدها.

بحسامه وسنانه وذكر ما لا يليق بشأنهم الشريف ، والسفه عليهم بكل كلام قبيح ووضيع سخيف ، كان سبباً لخروج شريف مكة "أبي نمي" إلى جازان خاصة وأن هذه الأمور قد تكررت من الشريف "عامر" كما يقول النهروالي[١]. ولعل العلاقات الحسنة التي كانت بين الشريف "عامر" أمير جازان من جهة والعثمانيين، ووالي مصر من جهة أخرى[٢]. قد أخافت شريف مكة ، الأمر الذي ساهم مع الأسباب السابقة في أن يخرج أبونمي بهذه الأعداد الكبيرة والاستعدادات الضخمة براً وبحراً لغزو جازان ، وبطبيعة الحال لم تغب عنه حملة جده محمد بن بركات في غزوه للمخلاف عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) . فأراد لذلك كسر شوكة الأمير عامر صاحب جازان وإدخاله في طاعته[٣]. على أيه حال عقب وصول شريف مكة إلى وادي جازان دارت المراسلات مع صاحب جازان وحاول العلماء وأعيان الناس[٤] التدخل بالصلح بين الشريفين فلم يرضخ الشريف "عامر" لمطالب شريف مكة " أبي نمي" ، فخرج إليه وحاصره في جازان واستمر الحصار أكثر من عشرين يوماً [٥]، استطاع خلالها أن يهدم أماكن من السور والدخول إلى داخل المدينة ، ومن ثم دارت رحى معركة عظيمة انتهت بهزيمة صاحبها الشريف" عامر" ومقتل أكثر من ثلاث مئة نفس من أهل جازان واستولى شريف مكة على " نخب وخيل وخزانة صاحب جازان" وكانت خيله أكثر من مئة فرس" ونهب كل ما وجده في جازان[٦]. وبعد هروب أمير جازان منها إلى حرض[٧]. منهزماً في ثلة من أصحابه ، استولى شريف مكة على جميع البلاد وقام بهدم القلعة الثريا " وسور المدينة وبالغ في ذلك فأخرب جميع بيوت جازان العليا[٨]. وكان لقوة بناء القلعة دور في أن يبقى مقيماً بأبي عريش أكثر من سنة لكي يستطيع جيشه هدم القلعة والسور[٩]. فهدمت إلى الأرض كما يقول النمازي[١٠].

---

(١) انظر ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، دار اليمامة للبحث والنشر ، ط١، الرياض ، ١٣٨٧هـ. ص٨٧ .

(٢) العز بن النجم بن فهد ، غاية المرام ، ج٢، ص ٦٦٧. توطدت العلاقة بين السلطان العثماني والأمير عامر إلى درجة أن السلطان العثماني كان يرسل له بخلعة مع واليه على مصر.

(٣) النمازي ، خلاصة السلاف، ورقة ٥٠ بترقيمي .

(٤) ذكر النمازي في خلاصة السلاف ورقة ٥٢ أن من ضمن الوفد الذي أرسل إلى صاحب جازان بعض السادات من آل الحكمي.

(٥) ذكر جار الله ابن فهد أن الحصار ابتدأ يوم الثلاثاء (١٦ من شهر ذي الحجة واستمر إلى ٦ من محرم) ، (نيل المنى ، ج٢، ص ص ٦٩٠- ٦٩١.

(٦) جار الله بن فهد ، المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٦٧ .

(٧) اختلف المؤرخون في تحديد جهة هربه فمنهم من ذكر أنه هرب إلى "الحقار" وقيل إلى "الحمرة" وقيل إلى الجبال . والثابت أنه رحل إلى حرض ومنها إلى زبيد ، وقد يكون مر على هذه الأماكن جميعها أثناء هربه .

(٨) الضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان (العقيق اليماني) ورقة ٧٥، والنمازي ، خلاصة السلاف ، ورقة ٧٢ .

(٩) جار الله بن فهد ، نيل المنى ، ج٢، ص ٧٠٠- ٧٢٥، وقد رزق أثناء مقامه بولد فسماه جازان على اسم المدينة.

(١٠) خلاصة السلاف ، ورقة ٥٢ .

عقب ارتحال أبي نمي عن المخلاف ترك أحد أتباعه والياً عليه، متخذاً من أبي عريش مقراً لحكمه[١]. لكنه اضطر إلى مفارقتها عندما عاد الأمير "عامر بن يوسف العزيز" يصاحبه جيش من العساكر اليمنية أرسله الإمام يحيى شرف الدين إمام اليمن. وعندما رأى اليمنيون مدى الترحيب وحفاوة الاستقبال للأمير عامر من قبل سكان المخلاف قتلوه غيلة وهو نائم حسداً وغيظاً [٢]. ولم تطل هيمنة إمام اليمن على جازان فقد استولى عليها العثمانيون بعد أن قضوا على الجراكسة في زبيد، ومدوا سيطرتهم على أغلب بلاد المخلاف السليماني[٣]. ويظهر أن الأتراك العثمانيين قد أعادوا بناء القلعة وترميم السور مع أن كشافيهم الذين يتولون الإشراف على المخلاف كانوا يتخذون من أبي عريش مركزاً لهم إلا أن قلعة جازان التي أعادوا إعمارها كانت تستعمل كسجن تارة، وكخط دفاع، وموقع تحصن إذا ما اضطروا إلى استخدامها تارة أخرى. فأما استخدامها كسجن فيذكر الضمدي في كتابه أن كاشف المخلاف في سنة (٩٥١هـ / ١٥٤٤م) "حسن البهلوان" بلغ من جوره وظلمه في البلاد إلى الدرجة التي كان يروّع فيها سكان وادي جازان ويقبض على الكثير منهم ويحبسهم مكتفين ومقيدين في قلعة جازان، وكان ذلك سبباً في خراب البلاد وتشتت العباد [٤]. وكانت القلعة الحصن الحصين لوالي جازان وأبي عريش العثماني المسمى الأغا (الأحور) عندما حاصره الأمير عز الدين ابن إمام صنعاء شرف الدين يحيى، ويبدو أن الأتراك عندما أعادوا بناء القلعة وترميم السور وثقوا البنيان لأن عز الدين بقي ما يقارب (٥٠) ليلة ضارباً الحصار على القلعة، ولم يستطع دخولها على الأتراك، فعاد إلى أبي عريش وأحرقها، ثم انصرف عائداً إلى اليمن[٥]. وقد وجد الأتراك عناءً كبيراً من جيش عز الدين بن الإمام شرف الدين حيث كانوا يصعدون على قبة قبر الشريف أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين، وعلى قبة جامع جازان ومنارته ويرمون الأتراك بالرصاص، لذلك ما إن غادر عز الدين وجيشه منسحباً إلى اليمن حتى قام

---

(١) السنجاري، منائح الكرم، تحقيق: ماجدة فيصل، جامعة أم القرى مكة (١٤١٩هـ/١٩٨٨م)، ج٣، ص٢٥٥.

(٢) الضمدي، العقيق اليماني، ص ١٧٢، والنمازي، خلاصة السلاف، ورقة ٥٤.

(٣) المصدران نفسهما، انظر عيسى بن لطف الله، روح الروح فيما حدث بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق، إبراهيم المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١١١. النهرواني، البرق العثماني. ص٨٨، الكبسي، اللطائف السنية (مخطوط) ورقة ١٣٨، ١٤٢.

(٤) العقيق اليماني، ورقة ١٨٢، وانظر النمازي، خلاصة السلاف، ورقة ١٨.

(٥) العقيق اليماني، ورقة ١٩٢، والعقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٣٠٠.

الأتراك بهدم الجامع[١]. ومنارته وقبة الضريح[٢]. وجميع المباني الأخرى المحيطة بالقلعة[٣]. وبقيت القلعة مكاناً منيعاً يتحصن بها الأتراك العثمانيون أمام ثورات أهالي المخلاف السليماني ، فعندما نهض الأمير عبد الوهاب بن المهدي القطبي[٤]. على رأس جموع من سكان المخلاف السليماني لإخراج الأتراك من أبي عريش ومن المنطقة كلياً ، والتحم بهم بمساعدة أشراف صبيا الخواجيين وهزمهم ، فتراجعوا أمامه وتحصنوا بقلعة جازان الأعلى (الثريا) واحتموا بها أمام غارات السكان ، وقد حالت بحصانتها بينهم والوقوع في قبضته ومن معه من أهالي المخلاف وبقي الأغا "فرحات" متحصناً ينتظر المدد من زبيد " وكان كلما واتته الفرصة خرج منها في غارات خاطفة على أبي عريش وعاد سريعاً للقلعة ، ولأن الأمير عبد الوهاب القطبي ومن معه من أهالي المخلاف لم يستطيعوا الولوج على فرحات وعسكره في القلعة فقد تربص وأعد له الكمائن حتى تمكن من قتله في إحدى غاراته على أبي عريش[٥]. وعلى الرغم من أن مدينة "جازان العليا" فقدت منذ حملة أبي نمي عليها عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) وما بعدها مكانتها كمدينة مشهورة وعاصمة للمخلاف واستحوذت "أبو عريش" على الاهتمام ، إلا أن قلعة "الثريا" أبرز معالم جازان العليا لم تفقد أهميتها. وبقيت حصناً حصيناً يلوذ ويتمترس به كل من يحتاج إلى الحماية والتحصن ، سواءً من أمراء المخلاف أو الطارئين عليه من الأقوام الأخرى لذلك نجد أن الأمير عيسى بن المهدي القطبي يبادر عام (٩٧٤هـ/١٥٦٦م) إلى التحصن بها عندما بلغه خروج جيش الأتراك من اليمن بقيادة الأمير "حسين" ووصوله إلى "أبي عريش"[٦]. ولما لم يكن بالقلعة من الطعام والأعلاف ما يعين على البقاء والتحصن بها[٧]. بادر أول ما علم بخروج الأتراك إلى"جازان العليا" إلى ملاقاتهم في منتصف الطريق بين أبي عريش وجازان، ودارت رحى المعركة وانتهت بهزيمته وتراجعه إلى القلعة بعد أن أثخن الأتراك في جيشه .

---

(١) قال في العقيق اليماني ، ورقة ١٩٤ ، وكان مسجداً عظيماً .

(٢) الضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان ، نسخة جامع صنعاء ورقة ٨٢.

(٣) العقيق اليماني ، ص ١٩٤.

(٤) كان حينها يسكن قرية " البداح " قرية بجهة الحرث ، العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١ ، ص ٢٠٣، والمعجم الجغرافي لمقاطعة جازان ، ص ٥٧.

(٥) العقيلي ، المخلاف السليماني ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

(٦) العقيلي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٧٣.

(٧) الضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان ورقة ١٠٠ ، وقد علق على ذلك بأن القلعة لم يكن فيها "شحنة تعين على الحصار" وهذا يدل على أن القلعة كانت قبل ذلك مهملة.

وبقــي يفاديهم القتال ويراوحهــم وكل ذلك لا يحقق انتصــاراً ، حتى هب الأتراك في جموعهــم بعد أن استكملــوا الاستعدادات لضرب الحصار على القلعة وقبل وصولهم إليهــا خرج إليهم الأمير عيسى القطبي(١). ووقعت معركــة شرسة قتل فيها العديد من فرســان الأمير عيسى فاضطر للتراجع إلى القلعة، لكنه عندما أحس بالنقص في العدة والعــدد ورأى أن بقــاءه بالقلعــة ـ مع خلوها من العتاد والمؤن ـ لــن يوفر له الحماية غادر القلعــة منسحبــاً إلى الحقار، ومنها إلى المطهر بن شــرف الدين إمام اليمن حينها فلم يجد عنده طائلاً فعاد إلى بلدته السلب (٢). وبقي بها إلى وفاته(٣).

د ـ حملة جيش المطهر بن شرف الدين وخراب القلعة عام (٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، ثم إعادة بنائها على يد الشريف أحمد بن غالب :

رتب الأتراك حامية في قلعة الثريا بقيت تتحصن بها من هجمات الأهالي الموتورين مــن الأتــراك والرافضــين لحكمهم ، في الوقــت الذي كانت الحرب تــدور في اليمن بين " المطهــر بــن شرف الديــن " والأتراك في زبيد وغيرها من مدن اليمن(٤). وقد تمكن المطهــر مــن هزيمة الأتــراك مستفيداً من الثــورة العامة التي قامــت ضدهم في اليمن وتهامــة والمخــلاف السليماني(٥). فأخــرج جيشاً كثير العــدد والعُدة ، عــام (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) ، بقيــادة الشيــخ "ســراج بــن عثمــان" للاستيلاء علــى إقليم جــازان وطرد الأتراك، فلم تستطع الحامية الخروج إليهم من القلعة ، وتراجع من كان في أبي عريش إلى القلعــة فتحصنــوا بها فضرب عليهم الشيخ "سراج" ومعه العديد من سكان جازان حصــاراً شديــداً وضيقوا الخناق على مَنْ بالقلعة . ولم تطــل مقاومة الأتراك وقائدهم " الأغــا سنان طمطــاز" فأعلنوا تسليــم القلعة وما فيه بشرط الحفــاظ على أرواحهم وسلامتهــم، فأجابهــم إلى ذلك فغادروها عائدين إلى زبيــد(٦). وظفر الشيخ "ســراج" وجيشــه بما في القلعــة وكان كما يقول الضمدي : " يجل عن الوصف من العدد والسلاح والبنادق والمدافع وخزائن وتحف وبُرّ وجوخ ونحاس لا يحصر، وأموال، أرسلها كلها إلى

(١) المصدر نفسه ، نفس الورقة ،وانظر العقيق ،ورقة ٢٥١، ٢٥٢ .
(٢) قال العقيلي في المعجم الجغرافي ص ١٢٠ بأنها " مرج ومرعى بين العارضة والحرّث".
(٣) العقيق اليماني ورقة ٢٥٢، والنمازي ، خلاصة السلاف ورقة ١٩.
(٤) حســين عبد الله العمري ، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (٩٢٢-١٣٣٦هـ/١٥١٦-١٩١٨م) دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط٢ ، (٢٠٠١م) ، ص١٩ .
(٥) الضمدي ، العقيق اليماني ، ورقة ٢٥٣، والعمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ، ص٢٠.
(٦) العقيق اليماني ، ورقة ٢٥٣ .

المطهر[١]. ثم قاموا بإخراب القلعة وهدمها، كما أخرب الكثير من البيوت[٢]. ويذهب الضمدي إلى أن القلعة بقيت على خرابها إلى زمانه في القرن الحادي عشر الهجري ويصف حالها في زمانه[٣]. بما يدل على أن جازان - حيث توجد القلعة - قد فارقها أهلها وأصبحت خراباً مقفرة فيقول معلقاً: " وصارت من يومئذ خراباً لا أنيس بها قد نبتت فيها الأشجار، وتعطلت الديار، وانتشرت الأحجار تُصفّر فيها البوم إلى الوقت المعلوم[٤]. وبينما يذهب النمازي إلى أن القلعة بقيت على خرابها إلى أيام الشريف أحمد بن غالب الذي حكم المخلاف بين عام (١١٠١- ١١٠٥ هـ/١٦٨٩-١٦٩٣م) " فكان أول من بناها بعد ذلك الخراب[٥]. نجد العقيلي يذكر أن الجنود الإمامية اليمنية حاصرت المدير التركي في قلعة جازان عام (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) ، حتى استسلم بعد عشرة أيام[٦]. فإذا صح ما يقوله - حيث لم يذكر مصدره لهذه المعلومة - فذلك يعني أن القلعة قد أعيد ترميمها ربما من قبل الأتراك، لكن كلامه هذا لا ينبغي التسليم به خاصة إذا علمنا أن مصادره لا تكاد تعدو "العقيق اليماني" و "خلاصة السلاف" وربما غيرها . وقد مر معنا ما أكده الاثنان من أنها بقيت خرباً حتى بناها الشريف أحمد ابن غالب ، ويبدو أن العقيلي التقط ما ذكره المؤرخان وغيرهما في أحداث عام (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) من أن جيش إمام اليمن محمد بن القاسم يُساعده أشراف صبيا والمخلاف حاصروا الأغا "علي" الوالي التركي على إقليم جازان في القلعة نحو عشرة أيام[٧].ولم يذكروا أنها قلعة جازان مما يدل على أن المقصود إنما هي قلعة أبي عريش التي عمرها الأتراك عام (٩٩١هـ/١٥٨٣م) [٨]. يؤكد ما ذهبنا إليه أن المؤرخ اليمني الشرفي ذكر في حوادث (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) ما نصه :" وصل كتاب مقادمة الإمام من أبي عريش يذكرون أنهم دخلوا مدينة أبي عريش يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتحير الأغا الذي من جهة الأتراك في جماعة قليلة

---

(١) المصدر نفسه ، والوافي بوفيات الأعيان ورقة ١٠٠، والنمازي ، خلاصة السلاف ورقة ٦٥ .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) يفهم من كلامه في موضع آخر أنه كان حين تأليف كتابه في عام (١٠٤٢هـ) انظر ص ٣١٠ من العقيق .

(٤) الضمدي ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٣.

(٥) خلاصة السلاف ورقة ٦٥ .

(٦) تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ٣١٥.

(٧) الضمدي ، العقيق ورقة ٣٦٩، والجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ، منشورات العصر الحديث، ط٢، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، ص٢١٦، والشرفي ، اللآلئ المضيئة (مخطوط) ج٣، ورقة ٤٨٣.

(٨) الضمدي ، العقيق اليماني ، ورقة ٣١٣ .

مـن أصحاب في قلعة المدينـة " إلى أن قال(١) : " وفي يوم الإثنين ثاني وعشرين أو ثالث وعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة زحف جنود الحق وحملوا حتى لصقوا بدايـر القلعـة وسلمهم الله ـ سبحانه ـ من البنـادق .. إلى أن قال : " ثم احتالوا في نقب الداير ودخلت جنود الحق منه فلما أيقن الأتراك بالهلاك انحصروا واستسلموا إلخ(٢).

لذلك فقد بقيت القلعة خراباً ومدينة جازان العليا أرضاً مقفرة حتى أوائل القرن الثاني عشـر الهجري. ووصـل الشريف أحمد بن غالب (١١٠١هـ/١٦٨٩م) إلى إقليم جازان بعـد أن طرد مـن إمارة مكة نتيجة الخلاف الذي وقع بينه ـ عندما كان أميراً لمكة ـ وبين سعيـد بن سعد ومن معه مـن أشراف مكة (٣). واضطروا إلى الخـروج منها إلى اليمن طلبـاً للمساعـدة خاصة بعد أن صدرت أوامـر السلطان العثمـاني بالموافقة على تعيين الشريـف محسـن بن الحسين بن زيد أمـيراً لمكة (٤). ولما وصل إلى إمـام الزيدية وقت ذاك النـاصـر لدين الله محمد طلـب مساعدته فوعده خـيراً وولاه مؤقتاً على المخلاف السليماني حيث وصل إلى أبي عريش في صفر من العام (١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م) (٥). ومنذ وصولـه بدأ في توسيع رقعة حكمه في المخـلاف وشنّ عدة حروب أثارت السكان ، وبقايا أمـراء القطبيين وعلى رأسهم الأمير عـز الدين القطبي الذي كان في المعتق(٦). وأمراء صبيـا الخواجـين ، كما أثار توسعه ومطامحه أمير صعدة "علي بن أحمد المتوكل" فشن عليه حروباً لم ينجح خلالها في القضاء عليه فتراجع إلى صعدة . وكان ذلك سبباً في أن يـزداد الشريف أحمد بن غالب تجـبراً ويبطش بمن ظن أنهم ضده من أهل أبي عريش وغيرهـم(٧). فـازدادت العداوة والبغضاء له في قلوب الأهـالي لذلك رأى أن يبحث عن مـكان يوفر له الدفاع والحصانة إذا ما دهمته هجمات السكان وجيوش اليمن فكان أن اختار جازان العليا وقلعتها المشهورة المندثرة وعزم على إعادة إعمار القلعة فأعد العدة لإتمـام هذ العمل الشاق في مـدة وجيزة . ويصف لنا البهكلي اجتهاد الشريف أحمد في

---

(١) وضـع الشـرح في عنوانـاً جانبيـاً لفظه " فتح قلعة أبي عريش والاستيلاء على ما فيهـا " وكفى بهذا دليلاً على أن العقيلي ـ رحمه الله ـ أخطأ فيما ذهب إليه .

(٢) الشـرح في اللآلـئ المضيئـة ، ج٣، ص ص ٤٨٣ـ ٤٨٤ بترقيمي ، وقـد ذكر بالتفصيل مبلغ ما وقـع في أيديهم من الأموال والذخائر والأسلحة .

(٣) السنجاري، منائح الكرم ، ج٥ ، ص ٦١ ، ١٤٠، والعقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ٣٧٣.

(٤) السنجاري ، المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٠٨، ١٢٨ .

(٥) العقيلي ، المخلاف السليماني ، ج١، ص ٣٧٤ .

(٦) من قرى بني الحرث (العقيلي) المعجم الجغرافي مقاطعة جازان، منشورات دار اليمامة ، الرياض،١٣٨٩هـ ، ص٢١٢.

(٧) العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ص ٣٧٤ـ٣٧٥.

بناء القلعة وتوثيق هذا البنيان فيقول : " وفي غرة شعبان سنة (١١٠٤هـ/١٦٩٢م) ابتدأ في عمارة قلعة جازان وكانت الأشجار قد سترت أرضها فأمر بقطعها ، وكان يغدو إليها ويروح إلى أبي عريش ، ثم ضرب بها خيمة وأقام بغير سكن معه ، وجد في ذلك واجتهد ، وأقام وأقعد وأكثر من الصناع والأجراء وامتلأ بهم ذلك الموضع بعد أن كان مقفراً " إلى أن قال : " ولم يزل مهتماً بأمرها وشأنها مشغولاً بالعناية في إحكامها ، وتوثيق بنيانها ، ولم يدع أمراً تدعو الحاجة إليه عند الحرب وشدة الحصار إلا أمر بفعله فجاء أسلوبها غريباً ..إلخ[١]. وكان يغضب على الصناع كلما لاحظ تأخراً في إنجازها وبخاصة بعد أن بدأت قبائل المخلاف تهاجمه فكان أن "حرض على الصناع في تنجيز أبواب القلعة وانتهرهم على التراخي في ذلك"[٢]. ويظهر أن الصناع انتهوا من إنجاز القلعة، وسكنها الشريف أحمد ومن معه وبدأ يستقبل فيها زواره[٣]، وقام باستصلاح الأراضي الزراعية الخصبة حول القلعة وأنفق لأجل ذلك أموالاً كثيرة ، لكنه لم يتمتع بذلك حيث أخرج من المخلاف وطرد منه قهراً بعد أن اجتمعت قوى الأهالي بقيادة الأمير عز الدين القطبي ، ومساعدة مؤثرة من إمام صنعاء الذي أردف ذلك بإرسال مندوب من قبله إلى الشريف يأمره بالارتحال والعودة إلى الحجاز فغادر في رجب من عام (١١٠٥هـ/١٦٩٣م) [٤]. ويعلق على ذلك البهكلي بقوله : " ومن غريب صنع هذه الدار ورجوعها على رونق إقبالها بالإدبار أن الشريف لما تكمل له إتمام الغرض من بناء القلعة حتى كشرت له عن أنياب أقل حرحرها[٥] القلقلة والزعزعة وقد كان انفق أموالاً في تخريج أراض واسعة حولها يعدها للحراثة ما بين قطع الأشجار وإقامة الأعرام ، وبذرها في سنة تخريجها ولم يأت عليها الحصاد حتى جاء ما ينغصه[٦]. وعقب خروجه عادت "جازان العليا" إلى إقفارها وخلوها من السكان بعد أن بدأت تعمر ، كما خلت القلعة وأصبحت موحشة ، ويكفي لوصف حالها قول البهكلي : " وخرج من كان بالقلعة مقيماً وخوت على عروشها بعد أن كانت تغص بالأمم ، وتقصد لكل أمر شأنه يهتم " [٧].

---

(١) العقد المفصل ، (مخطوط) ورقة ٣٧ .

(٢) العقد المفصل، (مخطوط) ورقة ٤٦.

(٣) العقد المفصل ، (مخطوط) ورقة ٥٨ ، ٥٩ ويذكر أنه كان يسجن فيها من يقبض عليه من خصومه .

(٤) البهكلي ، العقد المفصل ، ط العقيلي ، ص٧٢ ، وتاريخ المخلاف ج١ ، ص ٣٨٦.

(٥) كذا وردت اللفظة في المخطوط ورقة ٦٦ وفي ط العقيلي وضع مكانها نقاطاً وقال" جملة غير مفهومة " ص ٧٣.

(٦) العقد المفصل ، روقة ٦٦

(٧) العقد المفصل ورقة ٦٥ .

هـ- حالة القلعة بعد خروج الشريف أحمد بن غالب:

يختلف مؤرخو المخلاف في بيان ما آلت إليه القلعة بعد رحيل بانيها الشريف أحمد بن غالب ونزوح الناس عنها وعن جازان فيذهب البهكلي إلى أن إمام صنعاء الهادي لدين الله [١] . الذي ساعد على طرد الشريف أحمد بهدم القلعة فهدمها كما يقول البهكلي : "ومحا محاسنها فشوه منظرها البض وعاد ربعها أسود بعد أن كان ذا بهجة أبيض"[٢] بينما يذهب النمازي في سياق حديثه عن الكوارث التي حلت بالقلعة وبناء الشريف أحمد بن غالب لها أنها " لا تزال بعد بنائها عارمة إلى حال هذا الزمان"[٣] . ويؤكد هذه المعلومة أن صاحب "نزهة الظريف في سيرة أولاد الشريف محمد بن أحمد " يذكر في سياق حوادث سنة (١٢٠٠هـ/١٧٨٥م) " أن الأمير يحيى بن أحمد توقف بقلعة جازان عندما نشب الصراع بينه وبين أخيه علي بن محمد ، وأنه اجتمع بكبار أهالي " أبي عريش" في مطرحه بالقلعة" [٤] . وأياً كان الأمر فإن القلعة وبقية مباني جازان العليا طالتها يد الخراب والاضمحلال وأكمل الساكنون بها اليوم ما تبقى منها فنقلوا حجارتها واستخدموها ، وغيروا معالمها وبنوا على أنقاضها ، ولم يبق إلا بقايا من سورها الحجري الذي سعت وكالة الآثار إلى تسوير بعضه. ولا تزال الأيام تظهر من خلال عوامل التعرية الطبيعية على شواهد قبور في مقبرتها القديمة تدل على عراقة تاريخ هذه المدينة المندثرة .

ثالثاً: الخاتمة : نتائج وتوصيات :

١. يتضح مما تقدم أن مدينة جازان العليا كانت عاصمة المخلاف خلال أكثر من ثلاثة قرون وأنها أشهر مدن المخلاف السليماني بعد اندثار مدينة عثر على ساحل البحر الأحمر التي كانت عاصمة المخلاف السليماني حتى القرن السادس الهجري تقريباً.

---

(١) وهو لقب الإمام الناصر محمد بن أحمد بن القاسم المهدي إمام صنعاء الذي تولى الإمامه باليمن ما بين عامي ١٠٩٧هـ - ١١٢٧هـ. انظر : الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ، منشورات العصر الحديث ، ط٢ ،(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ص ٢٢٩-٢٤٦.

(٢) العقد المفصل ، ص ٧٤ ، . طبعة العقيلي .

(٣) خلاصة السلاف ، ورقة ١٠٥ بترقيمي .. ويقصد منتصف القرن (١٢هـ/١٨م) .

(٤) انظر : عبد الرحمن البهكلي ، نزهة الظريف ، (مخطوط) ، ورقة ٤٠ بترقيمي .

٢. يتضح مدى الازدهار الذي تمتعت به المدينة خلال حكم الغوانم والقطبيين، ومن نتيجته تطور العمران وبخاصة العسكري منه الذي تمثل في بناء سور ضخم سميك حول جزء كبير من المدينة ، أو في بناء قلعتها المشهورة " الثريا " التي كانت من أشهر قلاع المخلاف السليماني على الإطلاق إن لم يكن على مستوى الجزيرة العربية عامة .

٣. تتبع البحث الكوارث التي حلت بجازان العليا وقلعتها وسورها منذ حملة الشريف محمد بن بركات عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) وحتى نهاية القرن العاشر الهجري وما بعده ، سواءً من أشراف مكة ، و الجراكسة والأتراك باليمن ، وغيرهم .

٤. ناقش البحث قضية مسمى درب جازان وتوصل إلى أن المقصود بهذه التسمية هو سور المدينة وليس المدينة نفسها .

٥. حاول البحث التوصل إلى رأي في توضيح تأسيس القلعة وسور المدينة ، والمقاربة ما أمكن في تحديد زمن تقريبي لذلك ، ولمن قام بتعمير القلعة بناءً على ما ورد في بعض المخطوطات والمصادر.

٦. أراد الباحث من هذا البحث توثيق تاريخ قلعة الثريا المشهورة ، وسور المدينة في ضوء الروايات التاريخية، بعد أن دثرت مدينة جازان وقلعتها ، واختفت معالمها وأطلالها وطواها النسيان .

٧. إن منطقة جازان ثرية بتاريخها وموروثها الحضاري ، وهي تستحق من جامعة جازان ومن جميع المؤرخين والباحثين الجادين أن يتولوا هذه البلاد بالدراسة والتنقيب عن آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية. كما نأمل أن نرى من بناتنا وأبنائنا الدارسين في برامج الدراسات العليا في أقسام الآثار والتاريخ في المملكة العربية السعودية أن يبذلوا قصارى جهودهم في دراسة هذه الأوطان التهامية وغيرها من بلاد تهامة الغنية بموروثها الحضاري[١] .

---

(١) هذه الإضافة من صاحب موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس) .

رابعاً: قراءات وتحليلات عن موقع سوق حباشة:

أولاً: تمهيد:

منذ أربعين عاماً وأنا أتجول في مناكب بلدان تهامة والسراة، وقلت كثيراً وأقول الآن أن هذه الأوطان ذات عراقة تاريخية وحضارية، وإن صدر عنها حتى الآن بعض الدراسات العلمية، إلا أنها مازالت بحاجة كبيرة إلى دراسة أرضها وسكانها منذ استيطانها في بداية التاريخ إلى وقتنا الحاضر[1]. وهذه الجزئية التي نمهد لها بهذه السطور تدور حول سوق حباشة، وهو سوق عرف في عصري الجاهلية والإسلام، وذكره عدد من الباحثين المتقدمين والمتأخرين، وفي هذا العام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) وصلني بعض الآراء والطروحات من بعض الباحثين الذين يسعون إلى تحديد مكان هذا السوق في أرض تهامة، وبعد فرز هذه الأعمال تم اختيار عملين فقط لباحثين من أهل تهامة هما: الأستاذ عبد الله بن حسن الرزقي القرني من العرضية الجنوبية، والأستاذ أحمد بن مريف آل سعيد البارقي من بلاد بارق. وهذان الأخوان لهما أطروحتان مختلفتان تماماً عن مكان السوق، ولا أرى بينهما أي تقارب فيما يناقشانه، فكل واحد منهم يدعي أن موقع هذا السوق في بلاده التي ينتمي لها، وسلاحهما التعويل على بعض النصوص التاريخية المنشورة في بعض المصادر التراثية التقليدية. ولهذا ارتأيت أن أنشر ما وصلنا منهما في هذا السفر من موسوعة: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، وأحياناً أذكر ما أراه من آراء ووجهات نظر في الحاشية. وآمل أن نرى دراسات علمية أثرية موثقة تدرس المواضع المختلفة عليها، التي يزعم أهلها أنها من

---

(١) أقول إن أقسام التاريخ، واللغة العربية وآدابها، وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم العلمية والإنسانية في جامعاتنا المحلية عليها واجبات كبيرة في دراسة حضارة وتاريخ وفكر هذه البلاد، وذلك لا يتحقق إلا بتوجيه الأساتذة الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا في خدمة هذه الديار وأهلها. ونأمل أن نرى من هذه الجامعات أعمال عملية وعلمية تصب في خدمة الصالح العام. (ابن جريس).

الأماكن الصحيحة لهذا السوق العربي الجاهلي[١].

ثانياً: قراءة في نصوص بعض المؤرخين والجغرافيين عن سوق حباشة . بقلم . أ. عبد الله بن حسن الرزقي القرني[٢].

١. المقدمة:

الحمد لله والصلاة السلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه . أما بعد،، فلا يخفى عن الكثير أهمية سوق حباشة ، تلك الأهمية التي اكتسبها من خلال وصول الرسول (ﷺ) إليه قبل البعثة في اتجاره مع السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) حيث ورد في كتاب: تاريخ الأمم والملوك للطبري ، في المجلد الأول الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) الصفحة رقم (٥٢١و٥٢٢) ، ما نصه: " حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر، وغيره ، عن ابن شهاب الزهري ، وقد قال ذلك غيره من أهل البلد: إن خديجة إنما كانت استأجرت رسول الله(ﷺ)، ورجلاً آخر من قريش إلى سوق حباشة تهامة[٣]. والمصادر التي تحدثت عن وصول الرسول(ﷺ) لسوق حباشة ،خلاف الطبري ، كثر، ولكن من باب الاختصار نكتفي بذلك[٤].

---

(١) هناك آراء ووجهات نظر ، وصلتنا عن هذا السوق من غير الأستاذين القرني والبارقي، وجميعها تدور في فلك هذا السوق، والاختلاف على مكانه في المنطقة الممتدة من شرق حاضرة القنفذة ، ومن تهامة بلقرن تحديداً، إلى وادي حلي في تهامة منطقة عسير . وسبب استبعاد هذه الأعمال هو عدم توفر الحد الأدنى من المناهج والطرق العلمية في تدوينها، وكذلك احتوى بعضها على صياغات لغوية ضعيفة ، وأحياناً بعيدة عن تاريخ وحضارة هذا السوق. (ابن جريس) .

(٢) عبد الله الرزقي من الباحثين المحدثين الجادين في بلاد العرضيات التابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة ، له بعض البحوث المطبوعة والمنشورة . للمزيد عن ترجمته انظر: غيثان بن علي بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطبعة الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ج٢، ص٤٠٣ وما بعدها . (ابن جريس) .

(٣) انظر ، تاريخ الطبري ، ج١، ص ٥٢١، ٥٢٢. (الرزقي) .

(٤) وصول الرسول (ﷺ) إلى سوق حباشة في تهامة سروات عسير أو غيرها يحتاج إلى دراسة وتأصيل ، وهل فعلاً جاء إلى

وعن تخريج مسمى سوق حباشة فقد أشرنا إلى احتمالات أسباب التسمية بكتابنا: **سوق حباشة دراسة تاريخية موجزة**، وذلك من خلال بعض معاجم اللغة، التي استشهدنا بها [(١)]. ونجد اللغويين أصلوا حباشة: فقالوا إنها الجماعة من الناس وليسوا من قبيلة واحدة، ومع أنه وقع اختلاف كبير بين المؤرخين في تحديد عدد من مواقع الأسواق التاريخية في الجزيرة العربية مثل سوق عكاظ، كما ورد بكتاب سوق عكاظ[(٢)]. إلا أن المؤرخين يكادوا يكونون مجمعين على كينونة سوق حُباشة بصدر قنونا، وخاصة الأزرقي والبكري، كما أشار بذلك الفقيه حسن في نصه المعاصر عن سوق حُباشة، كما ورد في كتاب بين مكة واليمن للبلادي [(٣)]. وكما سيأتي إيراده، ولقد غلب على ظن الكثيرين بأن موقع سوق حباشة في غير صدر قنونا[(٤)]. كأن يكون في بارق للاشتباه لما ورد في لفظ بارق (نص الأزرقي) [(٥)] ونص البكري: **"أرضها لبارق"** [(٦)]. لكن هناك عدة أمور تدحض هذا الاشتباه من عدة وجوه وتؤكد وقوعه بصدر قنونا، وسوف نورد نصوص أولئك المؤرخين الأوائل التي تشير مجتمعه إلى أنه بصدر قنونا، كما نختم هذا البحث بما أورده المؤرخ الباحث حسن إبراهيم الفقيه في نصه عن سوق حُباشة، ونحن نورد ذلك بالمصادر والمراجع المعتبرة ولا نميل حيث الجهوية والمناطقية، وفيما سيأتي نورد نصوص المؤرخين بحيث يتم إيراد النص كما هو ثم يعقبه تحليل نستند فيه على دلائل موثقة [(٧)].

هذا السوق في أرض بارق، إن الرجوع إلى كثير من مصادر التراث الإسلامي وكتب السنن وغيرها يجدها لا تذكر هذه الرواية، ونأمل أن نرى طالباً أو باحثاً جاداً يدرس لنا هذا الموضوع دراسة علمية موثقة. (ابن جريس).

(١) انظر، الرزقي. سوق حباشة (أبها: مطابع الجنوب، د. ت)، ص٥ وما بعدها. (الرزقي).

(٢) ناصر سعد الراشد. سوق عكاظ (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ١٢٠-١٣٥. (الرزقي).

(٣) عاتق البلادي، بين مكة واليمن (مكة: دار مكة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ١٤٩. (الرزقي).

(٤) يا عبد الله أنت تشير إلى أن هناك اختلافات حول موقع سوق عكاظ، وهذا كلام صحيح، وهو أشهر سوق جاهلي في الجزيرة العربية، ثم تختم حديثك بالحكم النهائي على أن سوق حباشة في وادي قنونا. وهذا في اعتقادي كلام غير دقيق حتى لو ذكر ذلك الأزرقي والبكري، كما أن غيرك ممن يجزمون ويؤكدون على أنه ليس في هذا الوادي وليسوا هم الآخرين متأكدين. وأقول أن الروايات تذكر أن سوق حباشة في تهامة، ومازلنا نحتاج ونتطلع إلى دراسات أثرية وتنقيبات وحفريات علمية لعلها تطلعنا على مكان هذا السوق الحقيقي. (ابن جريس).

(٥) الأزرقي. أخبار مكة (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ط٣، ج١، ص ١٩١. (الرزقي).

(٦) البكري. معجم ما استعجم. تحقيق مصطفى السقا (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ط٣، ج١، ص ٤١٨. (الرزقي).

(٧) هذا يا أستاذ عبد الله ما نريده ونتطلع إليه، ولا نرغب الانخراط في آفة المناطقية والإقليمية، مع أنني ذهبت وتجولت في بلاد تهامة الممتدة من تهامة الطائف حتى جازان فوجدت النعرات الإقليمية موجودة بقوة، وللأسف إن من يزينها ويشجع تواجدها هم من الطبقة المثقفة من الأساتذة والوجهاء والأعيان وأحياناً سادة القوم. والمشكلة نفسها عند أهالي السروات الممتدة من الطائف إلى نجران، وفي مناطق عديدة من بلدان المملكة العربية السعودية التي ترددت على زيارتها والتجوال فيها خلال الثلاثين عاماً الماضية. ونحن فعلاً في أمس الحاجة إلى العمل والتشجيع والإنجاز في محيط الإخوة والإنسانية والدين، وليس في مجال الطبقية أو النعرات القبلية. (ابن جريس).

٢ـ نصوص بعض المؤرخين والجغرافيين عن موقع سوق حُباشة .

أ ـ نص الأزرقي :

ذكر الأزرقي في كتابه: أخبار مكة . قوله : " وحُباشة سوق الأزد وهي ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليال ، وهي آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية حتى قتلت الأزد والياً كان عليها من غنى بعثه داوود بن عيسى بن موسى في سنة سبعة وتسعين ومائة ، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها ، فخربها وتركت إلى اليوم ، وإنما ترك ذكر سوق حُباشة مع هذه الأسواق لأنها لم تكن في مواسم الحج ، ولا في أشهره، وإنما كانت في رجب"[١].

ناقش المؤرخ عاتق بن غيث البلادي نص الأزرقي في كتابه : " بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات [٢]، ومن جملة ما ذهب إليه قوله : (١) نص البكري على أنه من صدر قنونا. (٢) يصعب الجمع بين بارق وقنونا. وبعد ذلك استدعى نص الباحث المؤرخ حسن بن إبراهيم الفقيه الذي أشار بأنه من صدر قنونا، كما سيأتي إيراده . وبالعودة إلى قراءة وتحليل نص الأزرقي نجد ما يلي: (أ) "قوله حُباشة سوق الأزد ، معروف أن قبيلة (بلحارث وبني البحير) هم من بلقرن . وقد حدد الفقيه السوق جنوبي غرب الفائجة (حاضرة بني البحير) بديار بلحارث بالحوائر (حداب القرشة من بلقرن) ، وبلقرن قبيلة أزدية من الأزد . (ب) ديار الأوصام ، أورد البلادي في المرجع المشار إليه آنفاً صفحة رقم (١٥٠) بأنه سأل الفقيه عن الأوصام من بارق فقال لايعرفون الآن " وقبل الحديث عن الأوصام ، نعلم أن الحباشة هي الجمع من الناس ، وليسوا من قبيلة واحدة، وهذه ميزة توجد في وادي قنونا ، فسكانه من قبائل شتى مثل: (١) فروع من الأزد ومنهم بلقرن وبخاصة بلحارث التي يقع سوق حُباشة بأرضهم ، وبني البحير، وبني سهيم. (٢) فروع من قبائل خثعم ، ومنهم حالياً: بنو المنتشر. وقبل الإسلام ،

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٩١، ١٩٢. (الرزقي) . هذا النص فعلاً ورد في كتاب الأزرقي ، والجميل فيه هي معلومات تخريب السوق عام (١٩٧هـ/٨١٢م) ، وذلك لقرب هذا التاريخ من عصر الأزرقي ، فقد كان معاصراً لهذا الحدث ، ووفاته كانت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . أما معلوماته عن موقع السوق وما يحيط به من معالم جغرافية فهي غير دقيقة لأنه حصل على معلوماته من الرواة، ولم يذهب هو إلى بلاد تهامة التي يوجد بها هذا السوق.(ابن جريس).

(٢) انظر ، البلادي ، ص ١٤٨ـ ١٥٠ .(الرزقي) .

فرع بني يوس (الأوس) بنـي يوس(الأواس) ، فرع من خثعم نزح إلى سراة خثعم ولم يـزل حتى اليوم . وقد رأى عدد من المؤرخين أن (الأواس) ورد مصحفاً بالأوصام[١]. وبالعودة إلى عبارة الأزرقي " وهي ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي، فهذا القول فيه جمع متفاوت غير معقول، فبلاد بارق تبعد عن قنونا وبينهما أودية ومسافات لا يمكن الجمع بينهما ، ووادي حلي يبعد كثيراً عن وادي قنونا ، ولا صلة جغرافية بين تلك الأودية ، ولعل مرد ذلك أن الأزرقي لم يقف بنفسه على موقع السوق ، وإنما اعتمد على روايات جانبت الصواب[٢].

وقول الأزرقي " وهي- يقصد السوق- من مكة على ست ليال " يؤكد صحتها الموقع الجغرافي لسوق حُباشة بصدر قنونا . لماذا؟ ، لأن قنونا هو الأقرب من مكة من وادي بارق ومن وادي حلي، وبارق وحلي تبعدان عن مكة بأكثر من ست ليالٍ ، والشاهد على ذلك ما أورده الحموي عن المسافة التي يبعد بها حلي عن مكة المكرمة ، فقال" حلي مدينة باليمن على ساحل البحر ، بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام"[٣]. والواقع أن بارق تبعد عن مكة أكثر من ست ليال[٤]. ومن ثم فالأزرقي أصاب في تحديد المسافة لموقع سوق حُباشة وبعده عن مكة بست ليالي، وهذا استدلال بالواقع الجغرافي القديم والحديث على أن موقع سوق حُباشة بصدر قنونا. ومن جهة أخرى فالمتأمل في نقاط مواقع سوق حُباشة من خرائط كتاب: أسواق العرب في الجاهلية

---

(١) يا عبد الله نجد في هذه النصوص التي أوردت خلط بين القديم والحديث ،فأنت مرة تعود إلى أقوال الأوائل ،ثم تنتقل فجأة إلى روايات المتأخرين مثل الأستاذ حسن الفقيه ،وبعد قراءة هذه المعلومات لم أستطع أن أخرج بخلاصة أو نتيجة.و يجب عليك أن تلتزم في أقوالك وتحليلاتك بأقوال المؤرخين المتقدمين ، وهو العنوان الذي دونته في أول بحثك عن هذه الجزئية. وحتى هذه اللحظة ، لا يستطيع القارئ أن يخرج بصورة محددة اللهم إلا إصرارك على أن هذه السوق في صدر وادي قنونا وفي بلاد بني بحير القرنية ، وكل هذا لا يكفي وكلام غير مقنع . (ابن جريس) .

(٢) هذه الحقيقة يا عبد الله ، فهو لم يزر منطقة تهامة ، ولا يدري أين موقع هذا السوق ، ومن ثم وقع في هذا الخلط الجغرافي الكبير ، ثم وقع في الخطأ نفسه كل من جاء بعدها . ولا أحد ينكر أن هذا السوق في تهامة ، لأن هناك أقوالاً متعددة أشارت إلى هذا الخبر ، لكن كل ناحية وردت في نصوص المتقدمين ، فأهلها اليوم يصرون على أن هذا السوق في بلادهم ، وليس هذا المنهج العلمي الدقيق والسليم ، وإنما الذي نريد معرفته هو موقع السوق الصحيح ، وقد نسمع في قادم الأيام من يظهر في تهامة بأقوال جديدة ويدعي أن السوق في بلادهم ، فالحذر الحذر من الإصرار الأعمى ، أو الجزم بأقوال نهائية دون الاعتماد على مصادر عملية وصحيحة . (ابن جريس) .

(٣) انظر ياقوت الحموي . معجم البلدان (طبعة بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج٢، ص٢٩٧(الرزقي).

(٤) يا عبد الله هذه البراهين ، بعد مكة عن حلي ست أو ثمان ليالي لا تكفي ، لأن القائلين بهذه الأقوال يرون ما سمعوه عن المسافات بين تلك الأمكنة ولم يزوروها أو يشاهدوا معالمها ، ثم إن السير من حلي أو بارق أو صدر قنونا يختلف من مسافر إلى آخر ، ومن قافلة إلى أخرى حسب ظروف الطريق، وإمكانات المسافرين وأهدافهم ، وهناك من يأخذ أوقاتاً أطول في هذه الطرق الشاقة والطويلة . (ابن جريس).

والإسلام [١]. سيجد أن ذلك الموقع ينطبق إلى حد كبير على صدر قنونا ، ويشير إلى أن ذلك الصدر من ذلك الوادي هو الأقرب إلى مكة المكرمة من الأودية الواقعة إلى جنوب وادي يبة كحلي وبارق[٢].

وقول الأزرقي: " كان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من (أول رجب) " يلاحظ من عبارة (أول رجب) ، يعني أن سوق " حُباشة سوق رجبية " . وفي آخر النص ما يثبت رجبية سوق حُباشة فقال: " **وإنما ترك ذكر سوق حُباشة مع هذه الأسواق ، لأنها لم تكن في مواسم الحج، ولا في أشهره وإنما كانت في رجب** " . وفي محيط غرب سوق حُباشة من صدر قنونا يوجد قرية تحمل اسم " المرجبات " إحدى قرى وادي قنونا على الطريق من الفائجة باتجاه سبت الجارة، وسألنا عدداً من كبار السن عن سبب التسمية فأجابوا بأن المقصود به النخيل التي في الوادي مقابل القرية الحالية . وربما يعني ذلك إنتاج ذلك النخيل في شهر رجب[٣].

ب ـ نص ياقوت الحموي :

أورد ياقوت في كتابه : (**معجم البلدان**) نصاً عن سوق حُباشة ، نأخذ منه ماله صلة بما نحن بصدده .فقال: " حباشة " بالضم والشين معجمة ، وأصل الحباشة الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة. وحَبَشت له حُباشة أي جمعت له شيئاً . وحُباشة : سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر

---

(١) انظر : سعيد الأفغاني . أسواق العرب في الجاهلية والإسلام . (مكتبة دار العروبة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ، ط٤، ص ٢٢٨، ٢٢٩.(الرزقي) .

(٢) كلامك يا عبد الله لا يخلو من الحقيقة فوادي قنونا وما جاوره أقرب إلى مكة ، والقول أنه يبعد عن مكة ست ليالٍ كلام معقول أيضاً ، وربما يبعد عن بلاد الحرمين أكثر من ذلك ، والذاهب في بلاد تهامة من العرضية الجنوبية إلى مكة المكرمة اليوم يدرك أن المسافة تحتاج إلى أكثر من ست ليالي مشياً على الأقدام أو على الدواب ، وربما يقضي المسافر في هذا السفر عشر ليال وأكثر. لكن الجزم بأن السوق يقع في صدر وادي قنونا، قول ينقصه الدليل الدامغ ، وسوف تستمر هذه الإشكالية حتى يأتي من يدرس لنا مواقع تهامة الأثرية، وعندئذ قد نصل إلى الحقيقة أو قريباً منها عن موقع هذا السوق. والجدل بدون شك سوف يستمر إذا بقينا نعتمد فقط على مرويات المصادر التقليدية . (ابن جريس) .

(٣) يا أستاذ الرزقي استنتاجك هنا لا يسنده رواية قوية ، فاسم هذه القرية المرجبات ، قد لا يقصد بها شهر رجب، وإنتاج النخل لا يستغرق شهراً وإنما يحتاج لفترة أطول . ثم إن مصدرك كبار السن الذين عاصرتهم وسمعت منهم في نهاية القرن الهجري الماضي وهذا القرن . فكل هذه الأقوال ضعيفة على إثبات أن موقع هذا السوق في هذا المكان الذي أشرت إليه . أما رجبية سوق حباشة فلا غضاضة في ذلك لأن هناك أكثر من مصدر أشار إلى هذه المعلومات .(ابن جريس) .

عن الزهري قال: لما استوى رسول الله (ﷺ) ، وبلغ أشده وليس له كثير مال استأجرته خديجة إلى سوق حُباشة ، وهو سوق بتهامة ، واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش ، قال: رسول الله (ﷺ) ، وهو يحدث عنها ، "ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا ، قال فلما رجعنا من سوق حُباشة ..." [١].

من خلال قراءة نص ياقوت الحموي نجد أنه لم يشر إلى موقع محدد لسوق حُباشة كما ذكر الأزرقي بأنه بصدر قنونا ، واكتفى بذكر مكانه بشكل عام فقال: " **وهو سوق بتهامة** " ، وقال أيضاً أنه "**من أسواق العرب في الجاهلية**" . وكان على الحموي أن يكون أكثر البلدانيين شمولية وإحاطة بجغرافية ومكان سوق حُباشة ، لأن من أهم بواعث تأليفه كتابه الشهير (معجم البلدان) هو (سوق حُباشة) ، عندما اختلف مع أحد أقرانه حول ضم أو فتح حرف الحاء من كلمة حباشة) [٢].

ج ـ نص البكري:

أورد هذا الجغرافي في كتابه : معجم ما استعجم ، قوله : " الحُباشة : بضم أوله وبالشين المعجمة أيضاً على وزن فُعالة ، ويقال حُباشة دون ألف ولام ، سوق للعرب معروفة بناحية مكة ، وهي أكبر أسواق تهامة ، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة . قال حكيم بن حزام وقد رأيت رسول الله (ﷺ) يحضرها ، واشتريت فيها بزاً من بز تهامة ، وهي من صدر قنونا ، أرضها لبارق." [٣]. ويوجد في النص عبارات نقف عليها ، مثل

---

(١) ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ج٢، ٢١١ . (الرزقي) . ليس لدينا أي تعليق على ما أورده الحموي، فسوق حباشة ذكرته كثير من المصادر وأثبتت مكانه في تهامة ، لكننا مازلنا حتى الآن لا نعرف مكانه الصحيح من أرض تهامة.(ابن جريس) .

(٢) للمزيد من التفصيلات انظر: أهم الأسباب التي جعلت ياقوت الحموي يدون كتابة : معجم البلدان ، وفعلاً الاختلاف على كتابة ونطق كلمة (حُباشة) كان من الدوافع الرئيسية التي جعلت هذا الجغرافي المسلم يؤلف معجمه . انظر: ياقوت ، معجم ، ج١، ص ١٠-١١. (ابن جريس) . ونقول يا أستاذ عبد الله أن كل المعلومات التي دونتها أعلاه لا تفيدنا كثيراً في تحديد مكان هذا السوق . (ابن جريس) .

(٣) عبد الله بن عبد العزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا(بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) . مج١ ، ج٢، ص٤١٨. ونقول أن مدة السوق ثمانية أيام ، ويفهم ذلك من قوله (كانت تقوم ثمانية أيام في السنة) . كما أن هذا السوق تشرفت بوصول الرسول (ﷺ) إليها قبل البعثة ، وذلك ما عرفناه من كلام حكيم بن حزام الذي رأى النبي (ﷺ) فيها ، وهنا اجتمع الشرف مع كبر السوق ، كونها أكبر أسواق تهامة . أيضاً أن لتهامة بز مخصوص لم يشر إليه المؤرخون في دراساتهم ، وهذا ما نفهمه من رواية حكيم الذي يقول (واشتريت فيها ـ يقصد السوق ـ بز من بز تهامة) . (الزرقي) .

قولـه : " سوق معروفة بناحية مكـة " . والمتتبع للتاريخ الإداري والسياسي خلال القرون الأولى مـن عصر الإسـلام يجد أن قنونا ناحية من نواحي مكـة ، وهي الأقرب لمكة من شقيقاتهـا الواقعـة إلى جنوبها كحلي وبارق وغيرها ، وهي كمـا أشار الأزرقي تبعد عن مكة بست ليالٍ . وكذلك حجم سوق حُباشة فهو "أكبر أسواق تهامة " .

ونتوقف أيضاً مع البز المذكور في النص ، والذي عُرف باسم (بز تهامة) . قال ابن منظـور في (لسان العرب) [1] . بزز ، والبز : الثيـاب وقيل ضرب من الثياب . والبزّاز ، بائـع البزّ . وقال والبزّ ، والبـزّة . السلاح ويدخل فيه الدروع ، والمغفر ، والسيف . ويبدو أن البـزّ ـ الـذي أشار إليـه ـ حكيم بن حزام : أنه (السلاح) الـذي يدخل فيه الدروع ، والسيف وغيره . ولعل: الأقواس ، والسهام ، والرماح هي من الأسلحة التي كانت تباع في سوق حُباشة ، وأن خام ومواد صناعة الأقواس والسهام والرماح متوفرة. وفي بيئة سوق حباشة يوجد شجـر الشوحط ، الذي تصنع فيه الأقواس والسهام والرماح. وفي محيط هذا السوق عدد من الجبال المليئة بأشجار الشوحط ، مثل: جبال حضوضى ، وصفاة ، وثميـدة[2] . ومن الثابت أن صناعة النبال والأقواس والرماح تقوم على شجر الشوحط وغـيره من أشجـار تهامة. وهذا ما ذكرته بعض المصادر والمراجـع التي أشارت إلى أن الرماح والسهام والأقواس تؤخذ من أشجار الشوحط والتألب والعتم وغيره . كما ذكرت مصادر مبكرة صناعة الحسك ، ونجد قريباً من أرض سوق حباشة لصدر قنونا محلة تسمـى (الحسك) ، وبها نقش رسم النمر الذي يوجـد على صخرة كبيرة بنفس أرض الحسكـة. وقد زار هذا النقش كل من الأستاذ والباحـث الآثاري حسن الفقيه ، والمؤرخ الدكتور غيثان بن جريس وقدرا عمره أكثر من خمسمائة سنة تقريباً [3] .

واختتـم البكري نصـه بعبارة : "**وهي من صدر قنونا أرضها لبـارق**" . وليعلم قارئ هـذه السطـور ، أن تحليل وتحقيق هذه العبارة ليس لكاتب هذا البحث فيها حرف واحد

---

(1) انظر : معجم لسان العرب لابن منظور (بزز) . (الزرقي) . يا عبد الله لا أدري ما هي الفائدة من إيراد هذه المعلومات ، فكل هذه التفصيلات لا تخدمنا في معرفة مكان السوق الصحيح ، وإنما هي معلومات زائدة لا تصب في خدمة عنوان هذه الدراسة . (ابن جريس).

(2) هـذه الجبال من المعالم الرئيسية في بلاد العرضيات ، وهي جديرة أن تدرس طبوغرافيتها وأشجارها ومعادنها وطيورها وحيواناتها . (ابن جريس) .

(3) يـا عبـد الله لقد ذكرت نقاطاً عديدة بدءاً بصناعة بعض الأسلحة من شجر الشوحط وغيره ، ثم الإشارة إلى النقش الذي يوجد في محلة الحسك أو الحسكة ، ثم المصادر التي أشارت إلى أهمية الشوحط وغيره في صناعة الرماح وغيرها. وكل هذه المعلومات بعيدة عن الهدف الرئيسي الذي قامت عليه دراستك وهو تحديد موقع سوق حباشـة ، هـذا هو الذي نريد تحقيقه ، ولا تذهب بنا بعيداً هنـا وهناك ، ومن ثم تشتت أفكارنا ، ولم نستطع أن نحقق أي نتيجة إيجابية لمعرفة موقع السوق الصحيح.(ابن جريس) .

من تعليق أو تحليل أو إشارة [١]، بل سنحيل القارئ إلى مؤرخين تناولاها بالتفسير والتحقيق . في صدر قنونا ، وحققها الباحث حسن بن إبراهيم الفقيه وقال أنه استنتج من القراءات والمشاهدات التي قام بها ميدانياً أن سوق حُباشة الذي أشار إلى موقعه الأزرقي والبكري يقع في بداية وادي قنونا[٢].

وعبارة (**أرضها لبارق**) . في معجم البكري ، فليس لكاتب هذه السطور فيها أيضاً تحليل ولا تعليق [٣]، وإنما نحيل القارئ إلى مؤلف: " كتاب القنفذة لصاحبه الباحث يحيى بن إبراهيم بن يحيى العجلاني الشريف الذي أورد تحقيقها في صفحة (٧٧) ، فقال: " صدر قنونا " وصدر أي وسط ، ووسط قنونا من المعقص إلى شرق القنفذة وبارق[٤]. ولعله يقصد بكلمة (بارق) أبرق وهي جمع أبارق ، وهي الأرض الغليظة التي فيها حجارة ورمل وطين ، وقنونا كذلك. ومن اعتمد على صدر قنونا مفسراً كلمة (أرضها لبارق) بأنها الأرض الغليظة التي بها حجارة ورمال وطين[٥].

وهنا نقدم بعض نصوص المؤرخين المتأخرين عن موقع سوق حباشة ، متناولين الصدر، أي صدر قنونا . كما أشارت بعض نصوص المؤرخين والجغرافيين الأوائل عن مكان هذا السوق . وهذا المؤرخ حسن بن إبراهيم الفقيه [٦]. يذكر أنه وجد من

---

(١) هذه المشكلة الكبرى يا أستاذ عبد الله أن تذكر أقوال وآراء غيرك من الباحثين المتقدمين والمتأخرين ، ولا يكون لك تعليق أو تحليل يقوم على براهين وشواهد قوية . واعلم أنك من أهل العرضيات ولك جهود تذكر فتشكر في بعض البحوث والدراسات التي تخص بلادك وأهلها . وكما ذكرت سابقاً أن سوق حباشة فعلاً في تهامة ، لكن الجزم بأنه في ووادي قنونا ، أو في بلاد بني بحير أو غيرها من أرض تهامة مازال يحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية أثرية. ونأمل أن نرى من كليات الآثار ومن المؤسسات المسؤولة عن الآثار أن تهتم بدراسة هذا السوق لعلها تفيدنا بالبراهين القاطعة وتحدد موقعه من أرض تهامة ، وهذا ما نأمله ونتطلع إليه . (ابن جريس) .

(٢) المشكلة التي تعاني منها يا عبد الله ، وهو المكان الصحيح لموقع سوق حباشة ، هي المشكلة نفسها التي واجهها حسن الفقيه، ويواجهها كل باحث عن موقع وتاريخ هذا السوق التهامي القديم . (ابن جريس) .

(٣) يجب أن يكون لك تحليل وتعليق، ولا تورد روايات الآخرين وبخاصة إذا كان يشوبها الخطأ أو الاضطراب. (ابن جريس) .

(٤) انظر : الشريف العجلاني . القنفذة نشأة وتاريخ (١٤٣٠هـ/٢٠١٠م) ، ص ٧٧ . (ابن جريس) .

(٥) يا عبد الله هذا الكلام الذي أوردته وأخذت به وهو من أقوال يحيى العجلاني ، كلام غير دقيق ، وغير علمي ، وقولكما الصدر هو الوسط ، ثم تسقطون هذا الوسط على وسط قنونا من المعقص إلى شرق القنفذة ، وأبرق أو بارق كما ذكرت. وأقول إن القارئ لهذه العبارات لا يخرج بأي فائدة تصب في تحديد أو ذكر موقع سوق حباشة ، وإنما ذلك الكلام زائد لا جدوى منه.(ابن جريس) .

(٦) الأستاذ الرزقي أورد ترجمة للأستاذ حسن الفقيه في متن دراسته والأفضل أن يضع هذه الترجمة في الحاشية، ولهذا استبعدناها من مكانها الذي وضعها فيه . ونشير هنا إلى خلاصة ما ذكر عنه . فهو حسن بن إبراهيم بن هادي الطويلي الفقيه، ولد بساحل يبة عام (١٣٥٨هـ) ، وعمل في عدد من الأعمال التعليمية والإدارية، وأصدر عدداً من الكتب والبحوث ، ومن اهمها مخلاف عشم ، ومدينة السرين الأثرية ، وكان له حضور جيد

القــراءات والمشاهــدات التي قام بها ميدانيــاً ، إن سوق حُباشة الــذي أشار إلى موقعه بعضــ المؤرخــين الجغرافيــين ، وبخاصة الأزرقــي والبكري ، يقع في بدايتــه تكون وادي قنونــا بعــد اجتماع الأوديــة : وادي رحمان ، ووادي الخيطــان ، ووادي الحفيان ، ووادي بيــان ، جنوبي غربي قرية الفائجة بحوالي (٤) أكيال ، وشرق المحلة المعروفة بالحوائر في بــلاد بلقــرن ، وبخاصة بلحارث ، ثم يقول: والنــاس هنــاك يسمون هذا الموضع السوق ، وينطبــق عليــه إلى حد كبير التحديد الجغــرافي القديم ، والآثار الموجــودة المشاهدة، بمــا في ذلــك من قبــور وبعض آبار حتــى المباني القديمــة [١]. وعندما نتأمــل في أقوال الأستــاذ الفقيه يتضــح لنا عدد من النقاط ، منها : (١) أن موقــع سوق حُباشة بصدر قنونــا. (٢) أن الفقيــه حــدد ســوق حُباشــة من صــدر قنونا (تحديــداً دقيقــاً) [٢]. (٣) استــدلال الفقيــه بأهل المكان ، وذلــك بقوله " والنــاس هنــاك يسمون هذا الموضع الســوق "[٣]. (٤) أن بالمــكان آثــار وقبور . وقد وجدنا في أقصــى غرب السوق مما يلي

في كثــير من المناشــط الاجتماعية والعلمية والثقافيــة ،وأثنى عليه عدد من الباحثين الذيــن قابلوه وأخذوا عنه بعضــ العلوم والمعارف الخاصة ببلاد تهامــة وبخاصة منطقة القنفذة. للمزيد انظر : مجلة عن تعليم القنفذة. (١٤٢٧هــ/٢٠٠٦م) ، ص٦١-٦٢، عاتق البــلادي ، بين مكة واليمن، ص١٤٩، غيثان بــن جريس. القول المكتوب في تاريــخ الجنــوب (عسير والقنفــذة) (١٤٣٢هــ/٢٠١١م) ، ج٢، ص٣٨٥ وما بعدها . للمؤلــف نفسه (بلاد القنفــذة خــلال خمســة قــرون (ق١٠-١٥هــ/ق١٦-٢١م) (دراســة تاريخيــة) (الرياض: مطابــع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص ٤٥٣-٤٧١ . (ابن جريس) .

(١) هــذا قــول نحترمه من الأستــاذ حسن الفقيه ، لكن مازال كلامــاً إنشائياً ، وكنا نأمل من الشيــخ الفقيه ومنك يا عبد الله، الرزقــي ، ومــن أصحاب التخصص في علوم الآثار والنقوش والحفريات أن يدرسوا هذه الآثار والقبور والشواهد الموجودة في هــذا الموقــع ، ومن يفعل ذلك فقد يجــد دليلا وبراهين قوية تؤكد مكان السوق وحدوده ، أما القول أن موقع السوق يوجد عند بداية وادي قنونا الذي تصب فيه بعض الأودية المحلية الكبيرة، ولا ندري كيف يكون هذا السوق عند التقاءهذه الأودية التي تشكل بداية وادي فحل مثل وادي قنونا، ألم يكن هذا الموقع خطيراً لتعرضه لسيول أودية كبار في بلاد العرضيات ؟ مع العلم أن الســوق يستمــر معقوداً أكثر من أسبوع من الزمان . هذه أمور يجب أن توضع في الحسبان . وقد وجدت من خلال جولاتي في بلدان عديدة في تهامة والسراة ، أن هناك أسواقاً أسبوعية عديدة كانت على مصبات بعض الأودية ، وقد تعرض بعضها للدمــار والخــراب من السيول ، وعندئذ نقلت مــن أماكنها الخطيرة إلى مواقع أكثر أماناً . المصــدر: مشاهدات الباحث في جازان ، وتهامة وعسير ، وسروات منطقة الباحة وتهامتها خلال العشرين سنة الماضية . (ابن جريس) .

(٢) قولك يا عبد الله أن الفقيه حدد موقع السوق تحديداً دقيقاً ، عبارة فضفاضة ، نعم قال إنه في صدر قنونا، ولكن ما هي الأدلة القوية التي فعلاً تؤكد هذا القول ، فهذه نصوص الأوائل عامة وغير دقيقة ، ولا يوجد دليل أثري أو دراسة علمية قوية تفصل في هذا الاضطراب والخلاف في مكان السوق (ابن جريس) .

(٣) أقــوال النــاس (هذا موضع السوق) ، أو أنه يطلق عليه السوق ، ربما يكون حقيقة ، لكن هل هذا السوق هو سوق حباشــة ؟ هذا هــو الكلام الفصل . لقد تجولت في بلــدان عديدة في جنوبي المملكة العربيــة السعودية، وسمعت ورأيــت أماكــن عديدة أطلق عليها اسم (الســوق) ، وعند سؤال النــاس القريبين من هــذه الأمكنة يقولون فعلاً هــذا سوق كذا وكذا ، وكان يعمل إلى نهاية القــرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهنــاك أماكن أخرى يقولون عن بعضها هذا يعرف باسم (السوق) لكنهم لا يدرون عن هذا السوق أي شيء . فما بالك بسوق من العصر الجاهلي مثل سوق حباشــة، ونقــول هذا مكانه لأن هذه الناحية يطلق عليهــا السوق. إنه قول ناقص ويحتاج إلى برهان ودليل قوي

مجرى وادي قنونا مقبرة قديمة جداً ، وفي محيط السوق بعض المواد الأثرية الفخارة والمعدنية . وهناك بعض الأمكنة التي ربما يكون لها صلة بالسوق مثل: القرشة ، والمرجبات ، والحسك . فالقرشة من التقرش وهو التجمع ، والحُباشة تعنى التجمع ، والمرجبات ، " نخل وقرية في محيط السوق" ، وسوق حُباشة رجبي . والحسك : " نوع من أنواع الأسلحة لعله مما كان يباع في السوق "[١] .

(*) عبد الله الرزقي وسوق حُباشة:

منذ أعوام (١٤١٦- ١٤٣٠هـ/١٩٩٦-٢٠١٠م) أوكل إلينا الباحث حسن الفقيه استكمال البحث في سوق حُباشة ، وقمنا بالبحث ، وتنفيذ عدد من الزيارات الميدانية وفعلاً وجدنا موضع السوق في المكان الذي أشار إليه الفقيه . ثم أصدرنا كتيباً بعنوان: (سوق حباشة) (دراسة تاريخية موجزة) [٢]، وحيث أنني لم أجد دعماً من الجهات الثقافية والمجتمعية ، ولقلة ذات اليد لم أستطع أن أنشر الكتاب على نفقتي ، وتكفل المجمع القروي في العرضيات ، الذي تأسس في عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، بطباعته ألف نسخة ، وقد نفدت ولم يتبق منه إلا نسخ قليلة جداً ، وتضمن هذا الكتاب عدداً من الموضوعات ، وأقول إنه لا يخلو من أخطاء إملائية ونحوية ، وهو بحاجة ماسة إلى إعادة طباعته[٣]. وقمنا فيما بعد هذا الإصدار بإعداد تقارير ولقاءات صحفية ، تناولت سوق حُباشة المكان والزمان ، ولقاءات تلفزيونية وإذاعية ، أوضحنا فيها حقيقة موقع سوق حباشة، وللأسف أن المؤرخين والإعلاميين وهيئة السياحة يذهبون بعيداً عن تناول هذه السوق التاريخي[٤].

يؤكد أو ينفي أنه سوق حباشة . (ابن جريس) .

(١) هذه المواد الأثرية ، والمواضع الجغرافية قد تفيد في الوصول إلى حقيقة تاريخية . وبخاصة لو درست هذه الأمكنة ، أو جمعت نقوشها وموادها الأثرية . (ابن جريس) .

(٢) انظر: الرزقي ، سوق حباشة ، (٥٦ صفحة) . (الرزقي) .

(٣) نشكرك يا أستاذ عبد الله الرزقي على جهودك في خدمة منطقتك ، لكن سوق حباشة مازال يحتاج المزيد من البحث والتنقيب حتى يعرف مكانه الصحيح في البلاد التهامية الممتدة من وادي قنونا إلى بلاد بارق ، فهو يوجد في هذه الناحية ، لكن حتى الآن لا نعرف مكانه الدقيق حتى وإن كان هناك محاولات من بعض الباحثين لتحديد موقعه . (ابن جريس) .

(٤) كما ذكرت سابقاً ، وقلت لك إنك يا رزقي من المواطنين الجيدين الذين يسعون إلى خدمة أهلهم وبلادهم ، وهذا ماعرفته وشاهدته وسمعته . أما تحديد موقع السوق فهناك بعض الإعلاميين والباحثين الذين تعرضوا للحديث عن هذا السوق ، لكن كل ما ذكروه أقوال إعلامية وصحفية وأحياناً شبه علميه لكنهم جميعاً لم يستطيعوا تحديد الموقع الدقيق لهذا السوق. (ابن جريس) .

ثالثاً: خلاصة الكلام :

نقول إن سوق حباشة يقع في صدر قنونا جنوبي غرب بلدة الفائجة بنحو (٤) أكيال من محافظات العرضيات في منطقة مكة المكرمة ، وأرض السوق منبسطة يحيط بها من الشمال تلال جبلية من خلفها الشمالي مجرى وادي قنونا ، ومن الجنوب أودية وتلال جبلية متوسطة ، ومن الغرب قرية الحوائر وتبعد عن الخط العام الحديث الذي يربط الفائجة بسبت الجارة عبر وادي قنونا بنحو (٢) كيلو تقريباً ، ومن الشرق مرتفعات وترى من خلفها جبال طلعة. ومساحة السوق نحو(٢٥٠×١٠٠) متر مربع ، وفيها بعض الصخور والأحجار الصغيرة والكبيرة. وهناك بعض الرواة من كبار السن من قال: "نحن منذ خلقنا ونسمع الأوائل يطلقون على هذه الناحية اسم السوق" . ويوجد في هذا المكان بعض الكسر الفخارية ، والآثار والنقوش الصخرية[١].ويكتسب هذا الموقع أهمية كبيرة ، فهو يقع قريباً من بعض المعالم الأثرية مثل: جبال ثميدة[٢]. وجبل ثربان من بعدها ، وفي شمالها وادي قنونا الذي له خاصية المياه الجارية طوال السنة، وبه شجر النخيل، الذي لا يستبعد أن تمره أحد أهم بضائع سوق حُباشة ، كما أنها تتوسط أقاليم، وواقعها يشير إلى ما أكده بعض المؤرخين من انها لقبائل شتى ، فكانت ومازالت في مكان يسكنه لفيف من العشائر ، وهي تتوسط شبكة طرق قديمة ، جنوباً إلى ثميدة ومنها إلى ثربان ، ومن ثميدة إلى شرق العرضيات، ومن الجنوب إلى سبت الجارة . وهناك أمكنة في نطاق سوق حُباشة ، ربما لها علاقة بهذه السوق ومنها حداب (آل قرشة) ، والتقرش يعني التجمع ، والمرجبات ، وسوق حباشة سوق رجبية ، وتوجد في ناحية لا تخلو من الآثار والنقوش . وقد استلمت هيئة السياحة والآثار الموقع المشار له، وقامت بترميزه وتحديده بمنائر حملت اسم هيئة السياحة والآثار ، إلا أننا مازلنا ننتظر اعتماد هذه السوق، وخدمته كما فعل بسوق عكاظ، هذا وقد قامت شركة جوجل باعتماد الموقع في صدر قنونا حسب التحديد الجغرافي الذي أشرنا إليه[٣].

---

(١) كلامك يا عبد الله نفس كلام الأستاذ حسن الفقيه . وتذكر أن هناك بعض المواد الأثرية والنقوش والآثار ويجب عليكم جمعها ثم إرسالها إلى بعض الأساتذة المتخصصين في علم الآثار والنقوش حتى يدرسوها ، وقد يتوصلون إلى براهين قوية توضح المكان الصحيح للسوق. أما روايات الأقدمين التراثية فمازالت قاصرة على أن تعطي صورة واضحة عن المكان الدقيق لهذا السوق الجاهلي. ابن جريس) .

(٢) سلسلة جبال ثميدة تمتد من وادي أبيان بالعرضية الشمالية حتى جبل ثربان ، ويوجد فيها الكثير من المعادن ، وهذه الجبال جديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٣) يا عبد الله نقاشك هو نفس أقوال وآراء الأستاذ حسن الفقيه . وأقول شكر الله لكما على ما بذلتما تجاه هذا السوق ، وكل ما ذكرتموه نقدره ونحترمه ، لكن إذا أخضعنا أقوالكما وأقوال من سبقكم من المؤرخين والجغرافيين المتقدمين فإننا لا نصل إلى نتيجة واضحة ودقيقة في تحديد مكان السوق ، وكل ما وصلنا هي آراء

ثالثا: سوق حباشة في بلاد بارق (تحقيق ودراسة) [(١)]. بقلم أ. أحمد بن مريف آل سعيد البارقي[(٢)].

ووجهات نظر ، وليس هناك دليل قاطع يحدد أرض هذا السوق التاريخي أما قولك عن هيئة السياحة والآثار فهي للأسف مقصره وغير منتظمة في عملها، فقد رأينا الكثير من الأمكنة التي وضعت عليها سياجات حديدية ، وكتبت عليها أنها من اختصاصها وتحت إدارتها ، لكنها لم تقدم أي شيء لهذه الأمكنة التاريخية ، فهناك أسواق ، وقرى ، وحصون ، وطرق ، وآبار، وأحمية، وكهوف ، وأماكن أثرية كثيرة، ، لكن هذه المؤسسة وأيضاً أقسام وكليات التاريخ والآثار في المملكة العربية السعودية مشتركة في هذا الإهمال والقصور الذي تعيشه هيئة السياحة والاستثمار، وكثير من المواقع التي حددت لم تقم على دراسة واستقصاء، وإنما اجتهادات ناقصة ، وأقول إن الوعي تجاه الأمكنة الأثرية مازال متأخراً عند المؤسسات العلمية والثقافية، وعند عامة الناس، وهذا ما يجب الانتباه له، والعمل على الارتقاء بهذا الشأن . (ابن جريس) .

(١) يفهم من هذا العنوان الجزم التام بأن موقع سوق حباشة في بلاد بارق الحالية . وهذا القول يجب أن يؤخذ بحذر والتأكد هل بلاد بارق الحديثة هي نفسها بارق القديمة ؟ . نعم ورد اسم بارق قديماً في تهامة والسراة، لكن لا نملك معلومات واضحة توضح مواقعها الدقيقة وتنقلاتها منذ العصر الجاهلي حتى استقرارها في موطنها الحالي . (ابن جريس) .

(٢) أحمد بن مريف بن أحمد بن حسن آل سعيد البارقي، من مواليد مدينة الرياض (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) . بدأ تعليمه في الرياض، ثم بارق، ثم الجبيل، وأخيراً حصل على درجة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية من جامعة الملك عبد العزيز في جدة عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) . حصل على عدد من الجوائز العلمية والتقديرية وخطابات شكر من عدد من المؤسسات الحكومية وذلك على جهوده ونشاطاته العلمية والثقافية فيما يتعلق بمحافظة بارق. عمل كاتب رأي متعاون في عدد من الصحف المحلية. اكتشف عدد(١٣) نقشاً صخرياً للغات قديمة وخط المسند والرسوم الحيوانية في محافظة بارق ، وتم تسجيلها في هيئة السياحة والتراث الوطني . لديه حوالي عشرة بحوث وأوراق عمل منشورة . وله ثلاثة كتب تم طبعها ونشرها ، وهي: (١) قبائل بارق المعاصرة (من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) . (٢) محافظة بارق بالتعاون مع محمد بن علي آل عبد المتعالي (١٤٣٦هـ/٢٠١٦م) .(٣) الآثار والتراث في محافظة بارق (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) ونقول : لقد قابلت هذا الباحث مرتين ، واطلعت على بعض بحوثه ودراساته فوجدته مثالاً جيداً للباحث المجتهد المثابر ، والذي أعجبني في شخصيته حبه لأهله وموطن آبائه وأجداده (أرض بارق) فهو يبذل قصارى جهده لخدمة هذه البلاد علمياً وبحثياً وثقافياً ، وهذا في اعتقادي من باب الوفاء للأهل والأوطان، ونتمنى أن نرى مثل الأستاذ أحمد في مواطن أخرى فيسعون إلى جمع تراث بلادهم وخدمتها ، وهذا واجب وطني على كل باحث ومتعلم ومثقف ، ولا أقول لابن مريف إلا شكر الله لك وأعانك على ما تقدم لموطن قومك من علوم ومعارف ، ونأمل أن نرى أمثالك في محافظة بارق وغيرها من نواح ومدن ومحافظات تهامة والسراة. (ابن جريس) .

١ـ مقدمة :

سوق حباشة من أسواق العرب الجاهلية، ويذكر أنه أقدم من سوق عكاظ ، وقد سبقه بخمسة أشهر ؛ واستمر سوق حباشة لأكثر من قرنين من الزمان قبل أن يدمر، حيث بدأ في الجاهلية واستمر في صدر الإسلام نحو قرنين . ظهر الإسلام وهو سوق مزدهر ، وزاره الرسول(ﷺ) قبل البعثة ، وكان يقام بأرض بارق، وهو من أسواق تهامة ، يقام في أول شهر رجب من كل عام ، وهناك سوق آخر يقام في رجب ، وهو سوق صحار، لكنه يعقب سوق حباشة. ذكره سعيد الأفغاني في كتابه (أسواق العرب) فقال: " **ولكن أكبر أسواق تهامة على الإطلاق سوق حباشة، وكان يتلوه سوق صحار إذ كانا يعقدان في شهر رجب من كل عام** [(١)].

سمي حباشة : نسبة إلى اجتماع الناس فيه من قبائل شتى ، ولهذا السوق ما لأسواق العرب القديمة الكبيرة من شأن ثقافي واجتماعي واقتصادي؛ كمجنة وذي المجاز وعكاظ. ومن أهميته أنه كان مرتاداً من قوافل قريش في فصل الشتاء في رحلتها الشتوية ، فيأتي تجار قريش بمنتجاتهم من الشام ومصر فيتاجرون بها مقابل تجارات أهل اليمن وتهامة والسراة فيقايضونهم ويبتاعون منهم [(٢)]. وقد مر بسوق حباشة عدد من مشاهير العرب وسادتهم ابتداءً بالرسول(ﷺ) ، ثم حكيم بن حزام الشريف، والشاعر العداء (الشنفرى) الجاهلي المشهور حيث قبض عليه وهو عائد من هذا السوق ، ومضاض الجرهمي آخر ملوك الجراهمة[(٣)]. وكان السوق وسيلة إعلامية وإعلانية ، فكان سبباً في ذيع صيت قبيلة بارق بين العرب لكون السوق بديارها[(٤)]. وكون بارق حاضرة قديمة مستقرة في بلادها منذ هجرت قبائلها من

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ص٢٦٣. (البارقي) . حبذا أن تكون أوردت تعريفاً موجزاً لسوق صحار المعاصر لسوق حباشة ، وأشرت إلى الصلات الحضارية بين السوقين . (ابن جريس) .

(٢) حتى هذه اللحظة لا نجد دراسة علمية توضح صلات قريش بأهل تهامة والسراة أثناء ذهابهم في رحلتهم الشتوية إلى اليمن. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً أو طالب دراسات عليا فيتخذ هذا الموضوع عنواناً لبحثه أو رسالته العلمية . (ابن جريس) .

(٣) كونك يا أحمد مهتماً بتراث منطقة بارق وما حولها ، ضع ضمن اهتماماتك إخراج دراسة عن هؤلاء الأعلام، وبخاصة عند زيارتهم تهامة . واعلم أن دراسة مثل هذه الموضوعات صعبة لقلة المصادر ، لكن اجتهد وربما تجد مادة علمية تخدمك في إخراج شيء عن هذه النقاط . (ابن جريس) .

(٤) هذا كلام غير دقيق فبارق مذكورة في كثير من كتب التراث بدون سوق حُباشة. ومازلنا يا أحمد حتى هذه اللحظة غير متأكدين من موقع السوق ، وكل أقوالك وغيرك تجاه هذا السوق مازالت تخمينات واجتهادات، ولن يفصل القول في مكان هذا السوق إلا دراسات أثرية وتنقيبات قد توصلنا إلى الموقع الصحيح لهذا السوق

مملكة سبأ، ومن خلال المصادر والمراجع القديمة ثبت أنه لم يكن هناك قبيلة في جنوب الجزيرة العربية برزت بحضارتها وأسواقها بل وبصحبتها للرسول مثل قبيلة بارق. فمنذ الجاهلية إلى القرن الأول والثاني الهجريين بلغت قبيلة بارق من المجد ذروته ومن العز غايته، واشتهرت بشرف صحبة رسول الله (ﷺ) ومشاركة أفرادها في معارك الفتوح والغزوات المبكرة [١]. كما اشتهرت بالصحاف البارقية المشهورة بالنقوش الإسلامية [٢]، وهذا مما يدل على حضارتها وترف عيشها مبكراً، فلا غرابة أن يكون سوقاً بحجم حباشة في ديارها، كون بارق حاضرة مستقرة منذ الجاهلية، فقد ارتبط تاريخ السوق بها، ولا غرابة أيضاً إذ لم يكن قد برز في ذلك العصر (صدر الإسلام) قبيلة ذات حضارة ومنعة وأسواق كقبيلة بارق، التي كانت ذائعة الصيت منذ الجاهلية وحتى القرن الثاني الهجري، كما أسهم وفودها على الرسول (ﷺ) لإعلان إسلامها في ذيع شهرتها. ولما تتمتع به بلاد بارق من موقع على طريق الرحلات، فقد كان سوق حباشة تحت حماية قبيلة بارق، كما أورد ذلك حكيم بن حزام [٣]. وكان سوق حباشة آخر سوق اندثرت إذ بقيت عامرة إلى عام (١٩٧هـ/٨١٢م). وذكر عاتق البلادي في كتابه (بين مكة واليمن) قوله: " كانت للعرب في جاهليتهم أسواق كثيرة يحرصون على حضورها كل عام، وتقع حمايتها على القبائل التي تقع هذه الأسواق في ديارها، وكان حظ الحجاز من هذه الأسواق كبيراً، فكان فيه منها: عكاظ ومجنة وذو المجاز وقرح وأخيراً حباشة" [٤].

التاريخي. (ابن جريس).

(١) يا أحمد أنا أقدر نشاطك واجتهادك المميز، لكن مثل هذه الأقوال فيها مبالغة، لأنك تتحدث عن بارق وكأنه لا يعيش في جنوب الجزيرة العربية أو بلاد تهامة والسراة إلا هذه العشيرة العربية، والمصادر فصلت الحديث عن قبائل عربية غيرها، كانت أكثر عدة ومجداً وشهرة وإسهامات من بارق. نعم بارق مذكورة أيضاً في المصادر نفسها، ولها تاريخها وأمجادها الداخلية والخارجية، لكن ليست الأشهر أو الأكبر صيتاً كما أشرت في أقوالك أعلاه. (ابن جريس).

(٢) انظر لسان العرب، لابن منظور (مادة بارق) (البارقي).

(٣) انظر: ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر العصور التاريخ، جريدة الرياض (٢٨/ديسمبر/٢٠١١م). (البارقي).

(٤) بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) .ص١٤٧.(البارقي). هذا الإطراء المبالغ فيه لبلاد بارق لا يفيد، وإنما يضعف مستوى البحث، ولابد أن نكون دقيقين في اختيار مفردات اللغة التي نكتب بها الدراسة، فتقول إن حكيم بن حزام ذكر" أن سوق حباشة كان تحت حماية قبيلة بارق "، وأشرت إلى وفد بارق على الرسول (ﷺ) وهذا صحيح، لكن ما هي علاقة هذا الوفد بالسوق. فالواجب يا أستاذ أحمد أن نحرص على تدوين أقوالنا بدقة مع مراعاة لغة الزمن الذي تتحدث عنه، فلا نذكر إلا نصوصاً أو كلاماً ورد فعلاً في مصادر مبكرة، ولا نعتسف العبارات ونطوعها حتى تتوافق مع ما نحن مقتنعين به ونداف عنه. (ابن جريس).

٢ـ حباشة في بعض المعاجم الجغرافية واللغوية :

أورد ياقوت الحموي قوله : " حُباشة بالضم والشين معجمة ، وأصل الحُباشة الجماعة من الناس، ليسوا من قبيلة واحدة ، وحبشت له حباشة ، أي جمعت له شيئاً، وحُباشة سوق من أسواق العرب في الجاهلية ... حباشة وهي سوق بتهامة" (١) . ثم ذكر في مقدمة معجمه أن من أول بواعث تأليفه هو اختلاف الناس في نطق لفظ (حباشة) فمنهم من نطقها بالضم وهو قوله ، ومنهم من ينطقها بالفتح.(٢) كما ذكر البكري سوق حباشة(٣) . فقال : الحباشة بضم أوله وبالشين المعجمة أيضاً على وزن فعاله ، ويقال حباشة دون ألف ولام ، سوق للعرب معروفة بناحية مكة وهي أكبر أسواق تهامة. وأشار ابن منظور في اللسان إلى مفردة حباشة ، فقال: " والاسم الحباشة : وحبشت له حُباشة إذا جمعت له شيئاً ، والتحبيش مثله وحباشات العير: ما جمع منه. واحتبش لأهله حباشة: جمعها لهم . وفي المجلس حباشات وهباشات من الناس أي ناس ليسوا من قبيلة واحدة ، وهم الحباشة والجماعة ، وكذلك تهبشوا ، وحبش قومه تحبشاً أي جمعهم. حبش: الحَبَش: جنس من السودان وهم الأحُبش والحبُشان ، وفي الحديث: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، أي اطيعوا صاحب الأمر وإن كان عبداً حبشياً، وقيل : هم الجماعة أياً كانوا لأنهم إذا تجمعوا اسودوا"(٤) .وذكرت حباشة في تاج العروس للزبيدي ، فقال:" والحباشة ، (كثمامة : الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة ، كالهباشة ، والجمع حباشات وهباشات (كالأحبوشة) بالضم والجمع الأحابيش ، وحباشة: (سوق تهامة القديمة)..." (٥) .

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢ ، ٢١٠. (البارقي).

(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص١٠(البارقي) .

(٣) انظر: معجم ما استعجم ، ج٢، ص ٤١٨. (البارقي) .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، (طبعة بيروت ، دار صادر) ، ج٤، ص ١٥-١٦.(البارقي) .

(٥) انظر: الزبيدي ، تاج العروس ، ص ٣٠-٣٣. (البارقي) . ليس عندنا أي اعتراض على هذه النصوص التي ذكرتها بعض معاجم الجغرافيا واللغة المبكرة فجميعها فسرت معنى كلمة (حباشة) ، وذكرت أنها سوق قديمة في تهامة . لكن بلاد تهامة واسعة فهي تمتد من مكة المكرمة إلى أرض عدن في اليمن . وهذه التفصيلات التي أوردها هذا الباحث ، وهي منقولة من عدد من المعاجم العربية ، ذكرها غيره من الباحثين الذين تعرضوا للحديث عن سوق حباشة . وقد رأينا الأستاذ الرزقي في بداية هذا المحور من أولئك الذين اقتبسوا من تلك المعاجم ، والعقبة الكؤود عند جميع من درس هذا السوق هو تحديد المكان الصحيح له في أرض تهامة . (ابن جريس) .

٣ـ تحقيق نصوص عن حباشة وردت في بعض كتب التراث:

(*)**قال ابن سعد في كتاب الطبقات الكبرى :** "أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدثنا معمر بن راشد ، عن الزهري، عن عروة قال: "كان حكيم بن حزام رجلاً تاجراً لا يدع سوقاً بمكة ولا تهامة إلا حضرها ، وكان يقول : كان بتهامة أسواق ، أعظمها سوق حباشة، وهي على ثمان مراحلٍ من مكة طريق الجند ، فكنت أحضرها وقد رأيت رسول الله حضرها ، فاشتريت بها بزاً فقدمت به مكة ، فذاك حين أرسلت خديجة إلى رسول الله تدعوه إلى أن يخرج لها إلى سوق حباشة ، وبعث معه غلامها ميسرة فخرجا ، فابتاعا بزاً من بز الجَنَدْ وغيره ومن ما فيها من التجارة ، فرجعا به إلى مكة فربحا فيها ربحاً حسناً، وكانت سوق تقام كل سنة في رجب ثمانية أيام "[١]. ونقول إن هذا الكلام من أقدم النصوص في كتب المتقدمين عن سوق حباشة، وما يذكر فيه إضافة ثرية ، فقد تفرد ابن سعد بذكر طريق الجَنَدْ الذي تمر معه القوافل القادمة من مكة إلى اليمن والذي يمر في غرب بلاد بارق[٢]. وبدأ النص بتوثيق أسماء الرواة الذين أخذ منهم ابن سعد. وقوله **:" كان بتهامة أسواق"** يدل أنه كان في تهامة أسواق أخرى غير حُباشة، إلا أن أشهرها حباشة على الإطلاق . وتهامة شريطان داخلي وآخر ساحلي؛ فالأول سهول محاذية لجبال السروات تمتد من صنعاء وتهامة اليمن إلى الطائف ومكة ، وأما الشريط الساحلي فهي نفود صحراوية محاذية لسواحل البحر من اليمن حتى تصل منطقة الحجاز شمال شبه الجزيرة العربية . وهذه المساحة بلا شك يمكن أن يكون فيها أسواق كثيرة للعرب يقصدونها على طرقاتهم إلا أن سوق حباشة غلبها بشهرته وأهميته وجمع القبائل التي تقصده[٣]. ثم قال : **" وهي على ثماني مراحل من مكة طريق**

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ، (دار إحياء التراث العربي ،بيروت) (١٤١٧هـ/١٩٩٦م). ج٨ ، ص ٥٠٣. (البارقي).

(٢) أنت تقول غرب بلاد بارق حالياً ، والذي نريد معرفته مساحة بارق في أيام ابن سعد، أو حتى في صدر الإسلام، ولو عرفنا جغرافية هذه البلاد آنذاك فإننا قد نصل إلى بعض النتائج الإيجابية عن محطات طريق الجَنَدْ أو غيرها من المعالم التي وردت في كثير من كتب التراث ، وتقع في البلاد التهامية الواقعة بين مكة المكرمة والمخلاف السليماني (منطقة جازان حالياً) . (ابن جريس) .

(٣) كلامك يا أحمد أنت وابن سعد لا بأس به ، لكن قولك يمكن أن يكون في هذه البلاد التهامية الواسعة أسواق كلام غير علمي ، بل إنها كانت مليئة بالأسواق ، فهناك مصادر عديدة مبكرة ومتأخرة تحدثت عن محطات الطرق التجارية التهامية التي تربط بين اليمن والحجاز ، وكانت معظم تلك المحطات تشتمل على أسواق عديدة قبل الإسلام وبعده ، كما أن هذه الأوطان مليئة بالقبائل العربية ، والمعروف أن كل قبيلة لها سوق أو أسواق أسبوعية عديدة ، وبعض هذه الأسواق مازالت معروفة ومرتادة حتى وقتنا الحاضر . وشهرة سوق حباشة لأنها سوق جاهلية واستمرت حتى القرون الأولى من عصر الإسلام ، وقد أشارت إليه بعض كتب التراث الإسلامي المبكرة

الجَنَـدْ "، أي أن السـوق يبعد عن مكة مسيرة ثمـان ليال أو ثمان شدات بالراحلة ، وإذا نظرنـا لموقع بـارق اليوم ، والموقع المحدد لحباشة فيها نجده مقارباً لهذه المدة بحسابها وفق شدة الراحلة من الإبل . وإن كان ابن سعد قد اختلف مع غيره في قياس المدة فغيره يقـول بست ليـال إلا أن الأمر يبقى تقريبياً [١]. وأما قوله : "من مكة طريق الجَنَد فهذا يـدل أن القوافل التي تقصد سوق حُباشـة تسلك طريق الجَنَد القديم الذي يمر بتهامة الداخليـة المحاذية لجبال السروات ، وهو خلاف الطريق الساحلي ، ويمر طريق الجَنَد من غرب بلاد بارق مروراً بسوق حباشة متجهاً شمالاً إلى مكة وجنوباً إلى اليمن . وهذا الطريق التاريخي له مراحل وعلامات يستدل بها العابرون له وهي علامات طبوغرافية وأخـرى أثرية من صنع الإنسان فمن هذه العلامات والإشارات : (١) وادي حلي جنوب بارق . (٢) ثم جبل قتروي. (٣) ثم مورد ماء (الجهفة) الواقع في بلاد العرام . (٤) ثم موقع المحاجي الأثري. (٥) ثم شعب المحانذ وما على ضفتيه من ركوم حجرية أظنها مقابـر ركامية جاهليـة .(والله أعلم) [٢]. (٦) ثم قرن القيدومـة ويوازيه غرباً قرن الخربـاء الذي يلتف حوله سوق حباشة ببارق ، وهي جبلان صغيران لا يزيد ارتفاعهما عن(٤٠٠م) عن سطح البحر. (٧) ثم وادي سهول فوادي يبة ثم جبلا البكرتين . (٨) ثم وادي قنونا. (٩) وكل هذه الإشارات هي علامات متعارف عليها للقوافل والمسافرين تدلهم على الاقتراب من موقع سوق حباشة قديماً . ولم يذكر منها المؤرخون والبلدانيون سـوى وادي حلـي وقنونا وإلا فإن كل مـا ذكر يعد علامات هامة يستـدل بها المسافرون الذيـن يسلكون طريق الجَنَدْ باتجاه سوق حباشة ومكـة المكرمة[٣]. والمسافة بين واديي

بسبب بعض الروايات التي أشارت إلى أن الرسول (ﷺ) وصل إليها ، وهذه الأقوال تحتاج إلى تحقيق وتثبت لأن كتـب السنن وغيرها من المصادر الموثوقة لم تشر إلى ذلك، وأيضاً ما ذكر عنها عندما خربت في عصر الخلفاء العباسيين الأوائل. (ابن جريس) .

(١) كلامـك حسـن ، وفي اعتقـادي أن المسافة بين بلاد بـارق الحالية ومكة المكرمة بعيدة جـداً ، وتستغرق القوافل في هـذه المسافـة أكثر مـن ثمانية أيام ، وبخاصة إذا كانـت القافلة كبيرة وينقلون بضائـع مختلفة مثل المواشي والحبوب وغيرها.(ابن جريس).

(٢) نعم يا ابن مريف أن الذي يعلم كل شيء هو الله. لكن في منهج البحث العلمي لا تقال هذه العبارة ، وإنما على الباحث الجاد أن يتأكد مما يدون ، وإذا كان غير متأكد فسوف يجد مفردات أخرى يستخدمها . وقولك (أظنها مقابر ركامية جاهليـة) ، فهذا ظنـك ، ولو درست هذه المقابر دراسة أثرية فمن السهل تحديـد تاريخها . وأنادي وأقول إن جزيرة العـرب وبخاصة المملكة العربية السعودية مليئة بالأمكنـة التاريخية الأثرية ، وجامعاتنا وأقسامنا العلمية والمؤسسات المعنية بهذه المواضع مازالت متأخرة ومقصرة جداً في دراسة هذا الميدان الحضاري المهم . (ابن جريس) .

(٣) يـا أحمـد أنت تذكر معالم هذا الطريق (الجَنَـد) وكأنك معاصر لاستخدامها ، ولـو سئلت ما هي مصادرك ؟ فإجابتـك سـوف تكـون حدسية، لأنـك لا تملك المصادر الأولية التي تسعفك في هـذا الجانب . وإن بحثنا في

حلي وقنونا هي جزء من امتداد طريق الجَنَد التاريخي ، وهي المساحة الواقعة في غرب بلاد بارق ، ويعلم أن ماقصده المؤرخون والبلدانيون في عدة نصوص حينما يقولون (من صدر قنونا وحلي) ، إنما قصدوا امتداد طريق الجَنَد الذي ذكره ابن سعد في الطبقات وعلى امتداد الطريق في غرب بارق تنتشر تلك العلامات الطبيعية والإشارات التي كان يستدل بها سالكو طريق الجَنَد "[١].

وبعد أن ضمن ابن سعد بعد السوق عن مكة بثمان مراحل قال حكيم : " فكنت أحضرها وقد رأيت رسول الله حضرها ، فاشتريت بها بزاً فقدمت به مكة... " وهنا أكد الصحابي الجليل حكيم بن حزام تردده على السوق كما أكد رؤيته الرسول الكريم في سوق حباشة وتعامله معه بشراء البز والقماش عندما كان الرسول يعمل في تجارة السيدة خديجة (رضي الله عنها) [٢]. ثم تابع حكيم بقوله : " فابتاعا بزاً من بز الجَنَد وغيره ومن ما فيها من التجارة ، فرجعا إلى مكة فربحا فيها ربحاً حسناً" : أي الرسول ﷺ وميسرة غلام خديجة (رضي الله عنها) الذي أرسلته للرسول يعرض عليه الخروج في تجارتها إلى سوق حباشة . وقوله : " **من بز الجَنَد** " أي من البز والقماش المنسوب إلى طريق الجَنَد الذي يقع عليه سوق حباشة . وقوله: "**وغيره ومن ما فيها من التجارة** " أي وغير البز من السلع والبضائع الأخرى التي كانت رائجة في سوق

المصادر المبكرة التي أشارت إلى الطريق التهامي الذي يربط بين اليمن وجازان حتى مكة المكرمة فإننا لا نجد ذكراً لهذه الأمكنة التي ذكرها ما عدا أودية حلي ويبه وقنونا وبعض المحطات القريبة من ساحل البحر الأحمر . وأقول إنك باحث مجتهد ، ويجب عليك التريث في إطلاق الأحكام النهائية التي تريد من خلالها أن تقول إن سوق حباشة في هذا المكان المحدد الذي أشرت إليه في بلاد بارق الحديثة، نعم قد تجادل وتنافح عن هذا الرأي ، لكنه لن يستقيم ويثبت إلا بأدلة واضحة ودامغة لا مجال لمعارضتها والطعن فيها . (ابن جريس) .

(١) يا أستاذ أحمد واديا قنونا وحلي وردا كثيراً في كتب التراث ، بل إن بلاد حلي نفسها قامت فيها إمارة لها تاريخ عريق خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. أما تفسيرك لما أشار إليه ابن سعد وما قصده ، وهذه العلامات التي أشرت إليها، فأقول مازالت هذه الآراء تحتمل الصحة والخطأ ، ولو تجولت في مناكب تهامة ما بين وادي قنونا وحلي وبارق فإنك سوف تجد عشرات المواضع الأثرية التي تحتوي على مواد أثرية وتراثية قديمة ، بل سوف تعثر على نقوش ورسومات صخرية . وقد نرى في قادم الأيام من يدعي أن سوق حباشة أو غيره في مكان كذا وكذا ، غير ما ذكرت وذكر أهل العرضيات ، ويبني أقواله ووجهات نظره على ما هو مقتنع به ، كما تفعل أنت في هذا البحث وغيرك ممن يدرسون سوق حباشة . (ابن جريس).

(٢) مجيء الرسول (ﷺ) إلى سوق حباشة قضية أخرى تحتاج إلى دراسات عديدة تنظر في جميع مصادر التراث الإسلامي، وفي نهاية الأمر قد تثبت هذه البحوث أو تنفي هذه الرواية . وهناك مواضع عديدة يا أحمد ذكرتها في دراستك هذه مثل: أودية قنونا ، ويبة ، وحلي ، وزيارة الرسول الكريم لسوق حباشة وغيرها وكل هذه العناوين جديرة بالدراسة ، ونأمل أن نرى من طلاب البحث العلمي الجادين من يتولاها بالبحث والتحليل والتوثيق. (ابن جريس) .

حباشة ، ولعل من أهم تلك السلع المواشي بأنواعها ، والمواد الغذائية والحبوب بأنواعها ، وبلاد بارق منطقة زراعية خصبة وتنتج العديد من المحاصيل في الماضي والحاضر ، ولعل منها الأواني المنزلية بكافة مواردها من الحديد والفخار وبالخصوص الخشبية منها لاشتهار بارق قديماً بالصحاف البارقية المشهورة بالنقوش الإسلامية الدقيقة ، وغيرها من السلع والبضائع(١). وقوله : " فرجعا به إلى مكة فربحا فيها ربحاً حسنا " أي : رجع الرسول والغلام ميسرة من سوق حباشة إلى مكة بما بقي من بضاعة خديجة (رضي الله عنها) وقد ربحا من البيع في تجارتها في سوق حباشة ، وهذا يدل أن سوق حباشة كان سوقاً نشطاً حيث يتمتع بقوة شرائية ، وإقبال كبير من جموع العرب التي تحتشد في ساحاته في هذه الفترة الموسمية الوجيزة التي لا تكاد تزيد عن ثمانية أيامٍ من أول شهر رجب . ولاشك أن سوقاً بهذا الحجم والضخامة والقوة الشرائية كان سوقاً شهيراً على مستوى أسواق تهامة وأسواق العرب عامة . ولا يقل شأن حباشة وأهميته عن أي سوق من أسواق العرب الأخرى(٢).

(*)**وذكر الأزرقي في كتابه :** أخبار مكة ، عن سوق حباشة قوله: " حباشة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليالٍ، وهي آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية حتى قتلت الأزد والياً كان عليها من غنى ، بعثه داود بن عيسى بن موسى سنة سبع وتسعين ومائة ، فأشار فقهاء مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربت وتركت إلى اليوم "(٣). وتحدث الأستاذ / عاتق بن غيث البلادي عن الأسواق فقال: " كانت للعرب في جاهليتهم أسواق كثيرة يحرصون على حضورها كل عام ، وتقع حمايتها على القبائل التي تقع هذه الأسواق في ديارها ، وكان حظ الحجاز من هذه الأسواق كبيراً ، فكان

(١) أقول : لقد أشرت إلى أبواب عديدة تفيد الباحثين مثل طالبات وطلاب الدراسات العليا. مثل: التجارة ، أو الأسواق الأسبوعية، أو الصلات التجارية بين بلاد تهامة وغيرها من المناطق القريبة والبعيدة في الجزيرة العربية ، وأقول أيضاً أن بلاد تهامة الممتدة من الحجاز إلى اليمن لم تخدم علمياً وبحثياً نأمل أن نرى من أبنائها الجادين من يدرس تاريخها وحضارتها عبر أطوار التاريخ . (ابن جريس) .

(٢) ما من شك أن سوق حباشة كان من الأسواق الشهيرة والمهمة ، ومن المؤكد أن في تهامة أسواقاً أخرى كبيرة ومشهورة أيضاً لكنها اندثرت وضاع تاريخها في عصور الجاهلية والإسلام . وحباشة كان من أكثرها حظاً فذكر في بعض المصادر المبكرة ، مع أن ذكره مازال مقتضباً ، فلا نملك صورة واضحة عن تاريخ هذا السوق منذ العصر الجاهلي حتى تم تخريبه في نهاية القرن الثاني الهجري(الثامن الميلادي) . (ابن جريس) .

(٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٩٥. (البارقي).

منها : عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز ، وقرح وأخيراً حُباشة " ، ثم علق على نص الأزرقي فقال: " يبدو من النص أن الأزرقي كان مدركاً تخريبها ، وأنه قد حصل العلم ، ولذا أرخ لها بما يغني عن الالتفات إلى غيره ، فهو أقدم من كتب عنها ، وكل من جاء بعده ناقل عنه في اعتقادي ، ولذا فإنا لا نجد في سبب وتاريخ تخريبها وهجرها ما نجده في أسواق هجرت قبل أن تبدأ العرب التدوين" قلت ، هنا نقاط تحتاج إلى مناقشة : (١) مقولة من صدر قنونا وحلي ؛ المكانان لا يمكن جمعهما فهما واديان يتباريان وبينهما عشرات الأكيال ، فهو إما من صدر قنونا أو صدر حلي . (٢) نص البكري على أنه من صدر قنونا . (٣) أجمعت النصوص أنه في ديار بارق ، وديار بارق من حلي وليست من قنونا ، ولا أعتقد أنهم كانوا ينزلون قنونا ثم أزيحوا عنها ، لأن كل ما جاورهم من ديار هي للأزديين وبارق أزدية . وكل هذه القبائل مازالت في منازلها القديمة. فهذا مشكل من عدة وجوه : (أ) لا يمكن الخلط بين صدر قنونا وصدر حلي . (ب) يصعب الجمع بين بارق وقنونا. (ج) ليس مع بارق إلا حلي " (٤) خالف الأزرقي في المدة التي تقضى في السوق فقال: الأزرقي هي ثلاثة أيام ، وقال البكري ثمانية أيام. وأرى قول أبي عبيد البكري هنا أرجح إذ ليس من المعقول أن يجتمع التجار كل سنة مرة واحدة ثم لا يقضون سوى ثلاثة أيام ، فهو وقت غير كاف. ثم ذكر البلادي لقاءه مع الأستاذ/ حسن الفقيه ونقاشه معه حول موقع حباشة ، ويتضح أن الفقيه لم يوصل البلادي للقناعة بموقع السوق بناحيتهم ، ويبدو الفقيه على غير الصواب ، ومازال البلادي يتحرى البرهان الذي وعده به[١] . وأقول بدأ الأزرقي بنسبة سوق حباشة إلى الأزد ، وبارق أزدية صريحة النسب ، ثم قال: "وهي (أي سوق حباشة) " في ديار الأوصام من بارق " في حرف جر يفيد الدخول ، ثم أتى بعده المجرور ديار الأوصام ، أي أن موضع السوق داخل ديار قبيلة الأوصام ، وقبيلة الأوصام من قبائل بارق القديمة، حيث ذكر ابن الكلبي في كتابه : جمهرة أنساب العرب ، وغيره من علماء النسب ، ذكر قبيلة (الأوصام) من بارق، فقد جاء في (مختصر كتاب جمهرة النسب)[٢] . ما

---

(١) أقول إن الأزرقي والبكري والبلادي والفقيه كلهم مجتهدون ، وأيضاً من جاء بعدهم ، وهم كثيرون ، وإذا رجعنا إلى نصوص البكري والأزرقي فهي روايات عامة عن مواضع في تهامة نقلوا معلوماتها عن بعض الرواة التهاميين أو غيرهم الذين التقوا بهم وسألوهم عن هذه الأمكنة فأخبروهم بما يعرفون ، وبالتالي وقع القائلون والمدونون في رصد هذه الأخبار غير الدقيقة ، ولا نقول إلا أنهم اجتهدوا ونقلوا لنا هذا التراث الجيد الذي لا يخلو من النقص والاضطراب . ومن بعد أولئك الأوائل جاء المتأخرون فدرسوا ما وصلهم من المتقدمين واجتهدوا في تدوين آرائهم ، لكننا حتى هذا الوقت وفي المستقبل سوف يبقى الخلاف قائماً حتى نصل إلى مصادر واضحة ودقيقة في تحديد سوق حباشة وما يحيط به من الأعلام الجغرافية . (ابن جريس) .

(٢) انظر : مختصر كتاب جمهرة النسب ، مخطوطة راغب باشا ، ص ٢٠٩ وما بعدها . (البارقي) .

نصــه : " ومــن بني ثعلبة بن عمرو الأوصــام وشبرٌ ولوذان والنبــاح قبائل كثيرة ، فمن الأوصــام الشاعر سنان بن أبي عطاء ، قتلته الحجر بطنٌ من السراة ، ومُنّذر بن عوف الشاعــر" وجاء في كتابه : (نسب معـد واليمن الكبير)[١] . تحت قوله "وهؤلاء بنو بارق بــن عدي" : " وولد عدي بن حارثة : سعــداً ، وهو بارق، بطن عظيم ، وعمرا ، وعمران، فولد بارق بن عدي كنانة ، فولد كنانة بن بارق: عوفاً ، وثعلبة ، وأنمارا " .. حتى قوله : " وولد ثعلبة بن عدي: حارثة . فولد حارثة بن ثعلبة: شنوءة، ولوذان ، والنباح والأوصام قبائل جماعة" . ولو لم يكتف الأزرقي بتحديد سوق حباشة في حدود قبيلة الأوصام ؛ بل أضــاف وقــال: " من بارق " (من) هنا حرف جــر تفيد التبعيض ، أي الجزء من الكل ، فاتــت من كحرف جر والمجرور بارق ، أي يتضح صراحة أن الأزرقي حدد موضع السوق في قبيلــة الأوصام ثم نسبهــا إلى بارق ؛ وهذا دليل راجح لا يقبــل التشكيك إذ أنه أورد أحــد الفــروع من بارق وحدده في بلادها ، ثم أكــد بنسبة الأوصام إلى بارق . فلا يخرج الســوق عــن بلاد بارق بأي حــال من الأحوال[٢] . ثــم قال: " من صــدر قنونا وحلي من ناحيــة اليمــن" (من) تفيد الابتــداء ، أي بداية موضع حباشة على وجــه التقريب ، ثم قال : " صدر قنونا: أي من ناحية قنونا ، أو بالاتجاه نحو قنونا ، فهو مقابل لوادي قنونا وباتجاههــا وناحيتهــا على وجــه التقريب " ، ولم يحــدد السوق في وادي قنونــا أو جواره مطلقــاً ، بــل أتى بذكر قنونا كأحد علامات طريــق (الجند) المؤدي إلى سوق حباشة . فكلمــة صــدر أظنها مصحفة وأظنه قصد (صدد قنونا) وصــدد : تعني ناحية الشيء أو باتجاهــه ، والتصحيف وقع في الحرف الأخير مــن الكلمة ، وما يؤكد قولي أنه قصد بكلمــة صدر (صــدد) : أي ناحية الشيء وقبالته. أنه جــاء في لسان العرب " الصدد: الناحيــة . والصدد : ما استقبلــك ، يقال: تصدى فلان لفلان ، يتصدى إذا تعرض له،

---

(١) انظر: نسب معد واليمن الكبير ، ج٢، ص ٤٦٥. (البارقي) .

(٢) يــا أحمــد هذا القول المطلق الجازم لا يتماشى مع المنهج العلمي الرصــين . نعم الأزرقي قال إن السوق في أرض الأوصــام مــن قبائل بارق ، وهذا كلام معقول ، لكن أين ذهبت الأوصام عــبر أطوار التاريخ الإسلامي من عهد الأزرقي حتى الآن ؟ إنها مشكلة كبيرة ، فلو عرفنا ماذا جرى للأوصام قد نستدل إلى نتائج أوضح وأدق . وأقول لــك إن بــلاد بــارق اليوم ليست هي بلاد بارق في الجاهلية أو حتى في عصــور الإسلام الأولى ، بل لابد أنه جرى عليها تحولات ، فقد هاجرت من اليمن إلى السراة و تهامة ، وهذه التنقلات لم تحدث في زمن محدود ، كما أنها خالطت عشائر أخرى ، وربما جرى بينها وبين بعضها البعض أو غيرها حروب أجلت بعض بطونها من أماكنها ، أو انصهرت أفخاذ أو بطون فيها في قبائل وعشائر أخرى. إن القول بأن الأوصام المسؤولة عن السوق من بارق لا يكفي ، ولابد من معرفة مكان هذه العشيرة البارقية ، وماذا جرى عليها . ويفهم من نص الأزرقي أن ولاية مكة المكرمــة التابعة للخلافــة العباسية كانت تعاني مع قبائل تهامة والسراة، وهذا مــا عرفناه من قتل الأزد للوالي الذي أرسله أمير مكة ، ومن ثم كان خراب هذا السوق وضياعه. (ابن جريس) .

قال الأزهري : " وأصله من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك " ، وقال الزجاج : معنى قوله عز وجل : " فأنت له تصدى " ؛ أي أنت تقبل عليه ، جعله من الصدد، وهو القبالة ، وقال الليث : "يقال هذه الدار على صدد هذه أي قبالتها " وحتى إذا صح أن رسم الكلمة هو (صدر) فإن صدر الشيء أوله وما ارتفع عنه بينما (الصدد) ناحية الشيء وباتجاهه كما تقدم معنا . جاء في تاج العروس " الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله حتى أنهم ليقولون : صدر النهار والليل "[١]. وعلى أية حال فإن الأزرقي حدد السوق في بارق[٢]. وما ذكره لقنونا وحلي إلا للدلالة إليه بمعالم الطبيعة المشهورة على وجه التقريب ، وإلا فهو بعيد من قنونا . وما يرجح قولي إن حباشة بعيد عن قنونا ما يلي : (١) مما ذكره الأزرقي عند قوله : " وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي، " إنما يفهم من النص أنه حدده صراحة في بارق ثم أراد أن يرشد إليه الغير عارفين به أنه صدر أو صدد قنونا أي من وجهه؛ وصدر الشيء أوله وما ارتفع عنه والصدد ناحية الشيء وباتجاهه كما تقدم معنا . جاء في تاج العروس " الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله حتى أنهم ليقولون : صدر النهار والليل " . وإذا افترضنا أنه قصد أول قنونا فكيف أردف بعد ذلك بصدر حلي. وما أطول المسافة بين الواديين فضلاً عن بداية كل منهما ؛ إضافة لذلك أنه لا يعقل تحديد موضع واحد في موقعين متباريين . وعليه يتبين أنه قصد باتجاه بين هذين الواديين العظيمين المشهورين ، والمسافة بينهما من جنوب وادي يبة ، هي بلاد بارق حتى وادي حلي، فإن كان هناك من يقول أنه في بداية تكون قنونا ، فهناك قائلون أنه في بداية حلي ، بل ومن باب أولى أن يقال فيه ،

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ، ومختار الصحاح للرازي ، في تاج العروس للزبيدي (البارقي) . يا أحمد لست بعيداً من الأستاذ الرزقي ، الذي أوردنا وجهات نظره عن سوق حباشة في بداية هذا المحور ، فكلاكما يطوّع بعض المفردات والعبارات التي تخدم أهدافكما ، وليس هكذا تناقش النصوص . فالزرقي في صفحات سابقة عسف بعض الجمل والمصطلحات مثل: الصدر ، والمرجبات ، والتقرش ، والبز وغيرها . وأنت هنا تفعل مثل ما فعل فتذكر أن المقصود بالصدر هو ناحية قنونا ، أو بالاتجاه نحو ... ، أو مقابل لوادي قنونا ، ثم تجزم أن عبارة (صدر قنونا) خاطئة ، والمقصود،من وجهة نظرك ، (صدد) . وتبدأ تذكر تصريفات عديدة لمفردة (صدر) و (صدد) في معاجم اللغة ، وأمثلة من القرآن الكريم وبعض المصادر اللغوية . وهذه تحليلات قاصرة ، لأن من يتأمل أقوالكم ، ونصوص الأوائل يجدها جميعاً لم تعرف الموقع الصحيح لهذا السوق القديم . (ابن جريس) .

(٢) إذا كان الأزرقي وغيره ذكروا بارق فهم أنفسهم لا يعرفون أين تقطن عشيرة بارق في عصورهم ، نعم إنها في تهامة، لكن هل هي تهامة بارق الحالية ، وأعتقد أن الإجابة (لا) ، فأرض بارق في السابق جرى عليها تحولات كما جرى على غيرها من القبائل حتى استقرت في مكانها الحالي . بل من يدرس تاريخ وحضارة عشائر بارق وما جاورها خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أنه حدث فيها انصهار واندماج وتداخلات مع بعضها البعض ، ومع غيرها من عشائر عسير ورجال الحجر الأخرى . فما بالك بهذه القبيلة وأرضها منذ خرجت من اليمن حتى نزلت بلاد تهامة ، إن البحث في هذه الموضوعات شائك ويجب التريث والتثبت من تاريخها الحقيقي . (ابن جريس) .

لكونــه من صدر بارق وقبالتها ويمر بديارها خصوصاً ان النص حدده في بارق أولاً، ثم ذكـر قنونا وحلي ، كمعالم شهيرة تحيط بالموقع عل وجـه التقريب وليس تحديده في أيا منهمـا بـل حدده في بارق . وعليه يستبعد كونه بقنونا لبعـده عن بارق ، وإنما ذكره على وجـه التقريب، وأما حلي فهو من غرب بارق ويمر بديارها ، والحقيقة أنه يكتفي بذكره أنـه في بـارق ، لكن أهالي تلك الناحيتين قنونا وحلي إنما يخوضون بغير هدى ، ولا دليل واضـح ويعرفـون في قرارة أنفسهم أنـه في بلاد بارق[١]. (٢) مما ذكـره الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) يتبين أن قنونا خارج عن حدود بارق وليس من أحوازها لا في الماضـي ولا في الحاضر. (انظر تحقيق نص الهمداني في آخر هذا التحقيق) . وبما أن الأزرقـي أوضـح أنه في بارق واتضح لنا من نص الهمـداني أن قنونا خارج بارق فإن ذلـك يؤكد ويرجح أن سـوق حباشة إنما هو في بارق . بينما يدحض وينفي قول القائلين أن قنونا كانت ضمن أحواز بارق قديماً[٢].

(٣) إن مجرد ذكره لقنونا وحلي إنما لتقريب المعلم الأقرب والأشهر لشهرة الواديين وسهولة معرفتهما ، ولوقوعهما على طريق الجند المار بسوق حباشة[٣]. وورد واديي حلي وقنونا في نفس النص، إنما يؤكد أنهما مجرد إشارات وعلامات على الطريق المار بسوق حباشة ، والذي يقع في المنطقة الفاصلة بين واديي قنونا وحلي، وهي المساحات الشاسعة

---

(١) لسـت وحـدك الـذي ينافح ويجـادل لإثبات حجتك ، لكنهـم الآخرون الذيـن يصرون أن هذا السـوق في قنونا وغيرهـم عندهـم مثلك حججهم وبراهينهم . ونجد أن موقع هذا السوق يدرسه عدد من الباحثين منذ خمسة عقـود مثـل: حمد الجاسر ، وحسن الفقيه ، وعاتق البلادي ، ويحيـى العجلاني ، وعبد الله الرزقي ، وأحمد بن مريـف وغيرهـم كثيرون ، وجميعهـم لم يتوصلوا إلى مكانه الصحيـح . وقد تكون يا أسـتـاذ أحمد ومعك فريق كبـير مـن أهل بارق أو من منطقة عسير تبذلون قصارى جهودكم لإثبات موقع هذا السوق في بلاد بارق الحالية . وهـذه جهـود أرجو أن تكون خالصة لوجـه الله ، وأن لا تتورطوا في وحل العنصريـة والعصبية القبلية النتنة . نحن كطلاب معرفة نريد الوصول إلى الحق والحقيقة ، ولا يهمنا أن يكون في تهامة عسير، أو تهامة العرضيات التابعـة لمنطقـة مكـة ، أو حتى في أي ناحية مـن نواحي تهامة الواقعة بين واديي قنونـا وحلي ، والذي نرجوه من الجميع الدفاع والبحث النزيه وعدم الطعن في نوايا الآخرين ، وأن نتعاون فيما بيننا للبناء والعمل الذي يخدمنا جميعاً في الدنيا والآخرة ، وهذه نصيحة من باحث محب للجميع يتمنى لهم كل خير ونجاح . (ابن جريس) .

(٢) وأقـول لـك ولغيرك أن وادي قنونـا تضاريس وجغرافيا معروفة ومذكورة منذ عصـور ما قبل الإسلام لكن أهل بـارق ، كتركيبـة سكانيـة ليسـوا ثابتين ، وإنما نزحـوا من اليمن مع غيرهـم من عشائـر الأزد ، وتفرقوا داخل الجزيرة العربية وخارجها ، فما هو دليلك على الأرض والطرق التي سلكوها عبر بعض أجزاء السروات وتهامة، وأنـا متأكـد أنك لا تعلم مقدار حجم هذه القبيلة في القـرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وحتى بدايات العصر الحديث ، نحن جميعاً نصدر آراء وأقوال عامة لكننا لا نملك مصادر موثوقة توضح لنا الأراضي التي نزلت بها بـارق في تهامـة ، وهل فعلاً نزلت من السراة إلى مكانها الحالي ، أم هي ساحت في الأراضي التهامية كما فعلت من قبل منذ خروجها من اليمن إلى تهامة منطقة عسير حالياً .(ابن جريس).

(٣) نعم لشهرة الواديين تم ذكرهما في كثير من كتب التراث، والأزرقي لا يعلم المسافة الكبيرة بينهما، ولا يعلم أين موقع سوق حباشة الدقيق بين هذين الواديين . (ابن جريس) .

مـن الجهة الغربية مـن بلاد بارق ، حيث حددنـا موقع السـوق[١] . والمسافة بين وادي قنونـا وحلي مسافة طويلة ويفصل بينهما وادي يبة الـذي يمر بشمال وغرب بلاد بارق ثـم يصب في وادي حلي غربـاً . فالمنطقة الفاصلة المتباعدة بين الواديين المذكورين حلي وقنونـا تؤكد قولنا وقول غيرنـا أن الأزرقي يشير للموضع على وجه التقريب . فقد أشار إلى أنه بناحية قنونا ، وأشرك في ذلك على السواء وادي حلي أيضاً ، أي أنها بالقرب من حلـي. فلماذا يقولون أنه أيضاً على ضفـاف حلي؟! فكما ظهر فريق يقول أنه على قنونا فقد ظهر فريق آخر يقول أنه على ضفاف وادي حلي . غير أنه لا يصح لا هذا ولا ذاك، لمـا قـد أكده نص الأزرقـي في بدايته أنه في بلادِ بارق . فكيف يخـرج فريق يقول أنه في قنونـا ، أو علـى ضفاف قنونا، فهذا لا يصح أبداً ؛ ففضلاً عن وضوح النص الذي يؤكد أنـه مـن بلاد بارق ، فإنه لا يصح ولا يمكن أن يكون على ضفاف الوادي لأن النص ذكر واديين وحدد الموضع بالتقريب بينهما ويفصل بين الواديين وادي يبة ، وما يدل على سعة المساحـة التـي خمنها الأزرقي ، فمن قنونا إلى حلي نحو مائة وخمسين كيلو ، ومن قنونا إلى بدايـة حد بـارق من الشمال نحو سبعين كيلو . ثم بعد ذلـك أردف قائلاً من ناحية اليمـن وهذا مـا يؤكد تعدد المواقع المشهـورة لديه ليقرب للقارئ موقـع السوق بالنسبة لأشهـر المعـالم والبلدان ، وقوله من ناحية اليمن يقصد باتجـاه الجنوب ، وقوله: " من ناحيـة اليمـن " . هذا يتفق مع واقع حدود بارقِ الواقعـة إلى الجنوب من مكة المكرمة . ومن المعروف عند العرب كل ما والى مكة جنوباً فهو يمن وما والاها شمالاً فهو شام [٢]. وأمـا قولـه : " وهي من مكـة على ست ليال" أيضاً يتفق تماماً مـع بعد المسافة من بلاد

---

(١) هـذا المكان الـذي حددته يا أحمـد وغيرك اجتهـادي ، وقد سبق مـن حدد أماكن أخـرى لهذا السـوق في تهامة العرضيـات ، وهـم مجتهدون أيضاً ، وقد يأتي بعدكم من يحدد أماكن لا نعلمهـا الآن ويدعون أن سوق حباشة كان يقـام فيهـا ، وهكذا تسـير العجلة ، ونبقى في هذه الاجتهـادات الفردية والجماعية التي لا تقـوم على أسس علمية ، وإنما تخمينات وتفسيرات مختلفة لنصوص المؤرخين والجغرافيين الأوائل. وأنادي من على صفحات هذه الموسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) في كليات وأقسام علوم الحفريات والآثار ، وأصحاب القرار السياسي والإداري، ورجال المال والجاه، والإمارات والجامعات أن تتضافر جهودهم في تكوين فريق علمي متخصص يقوم بالبحث عن الموقع الصحيح لهذا السوق ، وإن فعلوا ذلك فقد نصل إلى حقائق علمية تنهي هذا الجدل والخلاف بين المتقارعين ، وبالتالي ينتهي السباق المحموم بينهم على إقناع الهيئة العليا للسياحة أن مكان السوق هنا أو هناك ، فقد رأينا في تهامـة بلقـرن مكان عليه سياج من عمل الهيئة يدعي أهل البلاد أنه موقع السوق ، والعمل نفسه نراه في بلاد بارق ، وقد نرى من ينافس هؤلاء في المستقبل في أماكن أخرى من أرض تهامة . (ابن جريس) .

(٢) يـا أحمـد الأزرقـي خلط معلوماته بعضها ببعض لعـدم معرفته بهذه الأودية المتباعدة ، ومـن ثم وقع في هذا الخطأ عندما ذكر قنونا وبارق وناحية اليمن ، وأقول أنه غفر الله له أدخل من بعده في حلقة مفرغة ، فهذا أنت ، وهناك من سبقـك يفسـر أقواله ويطوعها حسب ما يريد ، من أجل الوصول إلى القـول إن سوق حباشة يقع هنا أو هناك . وكما ذكرت سابقاً كلكم مجتهدون ، لكنكم جميعاً غير متأكدين ولا متيقنين أين موقع السوق الصحيح . (ابن جريس).

بارق إلى مكة ، فقد روى الكثير من الجمالة والمعمرين من بارق أنهم كانوا يسافرون لمكة على الراحلة فيقيسون المسافة بشدة الراحلة من بارق إلى مكة فيقولون نستغرق ست شدات بالراحلة (أي ست ليال بالراحلة) . فمن المعلوم أن العرب قديماً تصف بمعالم التضاريس الجغرافية وتحدد المسافات بشدة الراحلة . فقوله من صدر قنونا إنما قصد به ناحيته كأقرب ما يمكن الاستدلال به إلى موضع السوق. ولو كان يقصد بالتحديد قنونا لقال على ضفاف وادي قنونا أو على وادي قنونا ، لكن قوله صدر/صدد قنونا يوحي ببعد المسافة وليس بالقرب منه أبداً ، ثم أتبع ذلك بقوله " وحلي " أي أنه غير متأكد إلى أي الواديين أقرب[١] ، فالإخوة المدعون أنه على ضفاف وادي قنونا لماذا لم يقولوا إنه على ضفاف وادي حلي أيضاً وهو الأقرب لبلاد بارق ؟! وهذا ما يشير إلى حقيقة عدم معرفة موضع السوق منذ خرابه ، فكيف يأتي هؤلاء اليوم ليؤكدوا أنه على ضفاف قنونا بالتحديد ؟ وقد واجه الباحثون والمؤرخون والخبراء صعوبة في تحديد موضع السوق بالتحديد ، فبأي خبرة وبأي شواهد أكد هؤلاء تحديد السوق في قنونا؟! وكيف تعامت أبصارهم عن وضوح النصوص التاريخية التي تصرح أنه في بلاد بارق ؟![٢] .

والحق أن كل الأوصاف في هذا النص تدل على أنه ضمن دائرة السوق الذي قمت بتحديده ، بفضل الله ، بعد البحث والتحري في المراجع وإجراء اللقاءات مع المعمرين وجميع الروايات ، ولما وجدنا به من آثار وأساسات ولقى أثرية من فخار ومواقد ومقابر جاهلية عظيمة وأساسات غائرة مدمرة يصدق عليها الخراب من أول نظرة ، ناهيك عن الروايات التي يتداولها المعمرون في عصرنا الحالي فيقولون إنها خربت أثناء غارة

---

(١) قولك هذا هو الصحيح والأزرقي غير متأكد من صحة ما يقول، لأنه لا يعرف الأرض ولم يصل إليها، وأنت وغيرك من أهل البلاد مازلتم غير متأكدين أين موقع السوق ، وكل ما تقومون به مجرد اجتهادات لا تقوم على حقائق علمية تبين الموقع الصحيح للسوق . (ابن جريس) .

(٢) يا أستاذ أحمد أنت تجاوب على استفساراتك عندما قلت إن الباحثين والمؤرخين والخبراء عجزوا حتى الآن عن تحديد مكان السوق منذ العصر الجاهلي ، ثم تنتقد الفريق الذين يدعي أنه على ضفاف وادي قنونا ، وتقارعهم بحجج واهية على أنه في المكان الذي حددته أنت ومن يقف معك وتمنح نفسك أنت وغيرك القرار النهائي بأنه في الموضع الذي حددتموه في بلاد بارق الحديثة. وأقول مثلما لكم الحق أن تدافعوا عن أقوالكم ووجهة نظركم فهم أيضاً لهم الحق نفسه ، ولكن في الأخير ما هي النتيجة؟ نعم كل فريق منكم سوف يتمسك برأيه ويدافع عنه ، ومن ثم فلن نصل إلى حل لهذه المشكلة حتى لو استطاع أي منكم استصدار قرار رسمي من الهيئة العليا للسياحة بأن موقع هذه السوق في ناحيته ، فالأمر علمياً سيبقى غير منطقي وواقعي ، ولا يمكن أن تحل هذه المعضلة إلا بتشكيل فريق علمي نزيه محايد فيدرس آثار ونقوش وحفريات هذه الأمكنة التي تدعون أنها مكاناً للسوق ، وعندئذ قد نصل إلى شواهد وبراهين حقيقية تحدد موقع السوق الحقيقي ، أما بقاء الأمر هكذا بين مد وجزر بين أهل بارق وقنونا فلن نصل إلى حل جذري وسوف تبقى المشكلة قائمة . (ابن جريس) .

قديمة لا يعرف تاريخها ، وإضافة لذلك اسم الموقع حيث تسمى قرية (الخرباء) ، ما يشير إلى مزيد من الدلائل ، وغير ذلك ما رواه لنا المعمرون مما تواتر إليهم من أخبار أسلافهم ، أنه كان سوقاً قديماً يشتهر ببيع القماش ، وقد أعادت إحياءه قبيلة حميضة قبل ثلاثة قرون ، أي في القرن الثاني عشر الهجري . ومعروف أن القبائل تعيد أسواقها متى ما تسنى لها ذلك . وموقع قرية الخرباء تنطبق عليه كل تفسيرات نص الأزرقي ، وهو من أوائل من ذكر حباشة وأقرب المؤرخين من ذلك السوق ، ومن أتى بعده من المؤلفين نقلوا عنه ، وأساءوا الوصف بالتحديد ، فبدلاً من أن يضيفوا لتقريب موقع السوق أكثروا من ذكر المعالم المحيطة والبلدان فشتتوا الفكر وأبهم السوق . إن النص السابق يدلل بما لا يدع مجالاً للشك أن سوق حباشة في بلاد بارق بلا منازع . فأولاً وقبل كل شيء معاصرة الأزرقي لذلك الزمن وهو الأقرب منه ، وهو أول من دون تاريخ سوق حباشة ، ثم نقل المتأخرين عنه ؛ فلذلك يعتد بكلامه ويحتسب بقراره ، حيث أنه توفي حوالي (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) ، وذلك يعني أن وفاته بعد خراب السوق بـ (٥٣) عاماً ، ومما لاشك فيه أنه قد عاصر ذلك السوق وسمع بأخباره مما يجعله أقرب المؤرخين من تلك الحقبة[(١)] . لكننا اليوم وبعد تضارب ثقافي مختلق ومتعمد ، يمكننا التحقق من نص الأزرقي بقراءة فاحصة عادلة ، يتراءى الأمل جلياً أن موضع السوق قد اقتربنا جداً من حقيقته بعد جدل كبير، ويبقى سرعة تحرك الجهة المختصة لبحث الموقع ودراسة المعثورات فيه لمطابقتها مع المدة الزمنية ، والاستحصال على المزيد من الأدلة والبراهين العلمية إن شاء الله . ومن ثم إعداد برامج متكاملة لإعداد أحياء السوق في

(١) يا أستاذ أحمد حديثك عن أقدمية الأزرقي وخراب السوق ، وأنه في بلاد بارق كل هذه الأقوال لا نجادلك أنت وغيرك فيها ، لكن الجزم بأنه في قرية الخرباء المعروفة حالياً قول يحتاج إلى دعم علمي وتثبت حقيقي. وعندما قلت أن مصادرك المصادر التقليدية كالأزرقي وغيره ، أو بعض المعاصرين الذين قابلتهم ورووا لك أقدمية هذه البلاد ، فكل هذه مصادر ومراجع لا تكفي لإثبات مكان هذا السوق في هذه القرية . ومن خلال حديثك ذكرت القرية المشار إليها يوجد فيها مواد أثرية عديدة ومقابر جاهلية فهذا الذي يجب العمل عليه، والواجب على الهيئة العليا للسياحة أن تدفع المال وتسخر علماء الحفريات والآثار لدراسة مثل هذه المصادر الأولية التي قد توصلنا إلى قرار علمي صريح ودقيق ينفي أو يثبت موقع السوق في هذه القرية وغيرها. وأقول إنني خلال الثلاثين عاماً الماضية تجولت في نواح عديدة من بلدان تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجران ورأيت أماكن أثرية كثيرة يوجد فيها رسومات صخرية ونقوش ، وآبار ، وقرى ومدن ، وأسواق، ومقابر، وطرق، وكهوف وجميعها تحتاج إلى من يدرسها أثرياً وتاريخياً وتراثياً. واعلم يا أستاذ أحمد أنك لست وحدك انت ومن يعارض في قتونا الذين يدافعون بحجة أو دون حجة على وجود مثل هذا الموروث الحضاري في أوطانهم، وأعتقد أن ما تقومون به قد يكون من باب حب الوطن والأهل، كما أشرت سابقاً ، لكن الواجب على الجميع أن لا تعمى بصائرهم فيدافعون عن كثير من القضايا من باب الانتصار للأهل والنفس ، فهذا شيء لا يقره الشرع ولا العرف ، وإنما الواجب علينا جميعاً أن ندرس موروثنا الحضاري دراسة علمية منهجية بعيدة عن التعصب والعنصرية . (ابن جريس) .

تظاهــرة ثقافيــة عالمية على أسس علمية رصينة وحقائق وآثــار أكيدة ليضيف لحضارة أمتنا العربية وبلادنا الغالية ويسهم في تعزيز الحركة السياحية وتنمية الوطن[١].

(*)**وتحدث البكري في معجمه عن حباشة ، فقال :** "الحباشة بضم أوله وبالشين المعجمة أيضاً على وزن فعالة ، ويقال حباشة دون ألف ولام سوق للعرب معروفة بناحية مكــة ، وهــي أكبر أســواق (تهامة) ، كانت تقــوم ثمانية أيام في السنــة ، قال حكيم بن حزام " وقد رأيت الرسول (ﷺ) يحضرها ، واشتريت منه فيها بزاً من بز تهامة . وهي مــن صدر قنونــا أرضها لبارق" [٢]. والبكري كغيره مــن الجغرافيين ضبط اللفظ ، ثم عــرف موقع السوق أنــه من أهم أسواق العرب المعروفة في تهامــة ، وبارق تقع في تهامة منذ ما قبل الإسلام وظهر الإسلام وهي في مواطنها الحالية بتهامة ، ثم حدد عدد أيام انعقــاد السوق وهي ثمانية أيام على الأرجــح ، إذ أن سوقاً موسمية يرتادها جموعاً من قبائــل العرب من أقصــى جنوب شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقاليم القريبة من بلاد بارق يحتاج وقتاً كافياً لتنوخ القوافل ويرتاح المسافرون من عناء الترحال المضني، ثــم يحتاجون لوقــت إضافي للتبضع من الســوق وأخذ مستلزماتهــم ، وبالإضافة لذلك اختــلاف وفود القوافل على السوق بين متقدم ومتأخر للحاق بمدة انعقاد السوق. ونرى أن القائلين بأن مدته ثمانية أيام هي الأرجح والأقرب للصواب . وأما من قال أن السوق ثلاثــة أيــام فهذا وقت غير كاف لراحة القوافل وتبضعها ومــن ثم مغادرتها ، كما أنه لا يحقق الفائدة الاقتصادية من سوق موسمي كهذا تفد إليه حشود من قبائل العرب. وبعد أن حــدد البكري موضــع السوق، وحدد مدته ، نجده يستشهــد بحديث حكيم بن حزام (رضي الله عنه) حيث ورد في نص حكيم ما يؤكد نزول سيد البشرية الرسول الكريم (ﷺ) في سوق حباشة ، فقال: " وقد رأيت الرسول (ﷺ) يحضرها ، وهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشــك مجيء الرسول للسوق[٣].ثم قال : " واشتريت منه فيها بزاً من بز تهامة ، وهذا

---

(١) هــذا الــذي ننادي به ، مع التأني في إصدار الأحــكام السريعة ، كما أن الجهات المختصة التي أشرت إليها يجب أن تتصف بالحكمة والنزاهة ، وتضع المعيار النهائي لتحديد هذا السوق هو الدراسات العلمية الأثرية المحايدة، والــذي نرجــوه من الجميع أن لا تُشــترى الذمم ، وهذا النــداء أوجهه لأصحاب القرار مــن منظمين ومسؤولين وباحثــين وآثاريــين وأعيــان وشيوخ ووجهــاء وغيرهم ممن له صلة بمثل هــذا الأمر وما شابهــه . واعلم أخي أن التاريــخ لا يرحــم فلــو انتصرنا اليوم في أقوالنــا ومدوناتنا وأعمالنــا ونحن لا نستحق هذا الانتصــار فقد يأتي بعدنــا من يوضح عورنا ، ويبين كذبنا وتدليسنا لتاريــخ الأرض والناس، وقبل ذلك لن نسلم من ارتكاب الذنوب والمعاصي التي تحبط أعمالنا وتوردنا المهالك . (ابن جريس) .

(٢) انظر : معجم ما استعجم ، ج٢، ص ٤١٨. (البارقي) .

(٣) كمــا ذكــرت سابقاً، مجــيء الرسول (ﷺ) في تجارة لخديجــة (رضي الله عنها) إلى سوق حباشــة ، موضوع آخر

يؤكد ثبوت تعامل حكيم بن حزام مع الرسول (ﷺ) بمعاملة تجارية تؤكد ما ورد عند الطبري وغيره عن ابن شهاب الزهري ؛ أن أم المؤمنين السيدة خديجة (رضي الله عنها) كانت قد استأجرت الرسول (ﷺ) في تجارتها إلى سوق حباشة قبل بعثته . وقول حكيم بن حزام : " اشتريت منه فيها بزاً من بز تهامة ، يتضح منه أن من أهم السلع الرائجة في سوق حباشة ، والتي ثبت متاجرة الرسول بها للسيدة خديجة هي سلعة البز وهو القماش ونوع من الثياب ، ؛ وقوله " منه فيها " : أي أنه اشترى من الرسول البز في سوق حباشة ، وهذا تأكيد آخر لوقوع الشراء من الرسول (ﷺ) في أرض سوق حباشة، وقوله : " وهي من صدرٍ قنونا أرضها لبارق " : أي أن سوق حباشة بالقرب من بداية الوادي وليس عليه تماماً ، ولا يعني القرب ، أنك ترى الوادي رؤيا العين ، بل هو مجرد علم وإشارة للمسافرين الذين يعرفون إشارات السوق وعلاماته ، حيث أن من علامات سوق حباشة : وادي حلي وهو أيضاً على بعد من السوق وورد ذكره في عدة نصوص عند الأزرقي وغيره ، فلا يعني أنه على وادي قنونا ، كما أنه لا يصح أنه على وادي حلي ، وإنما ذكر هذين الواديين كأشهر العلامات للمسافرين بالاقتراب من السوق (فمن ادعى أنه من صدر قنونا لماذا لم يدع أنه من صدر وادي حلي وهو الأقرب من بلاد بارق التي حددتها النصوص ؟ " [(١)] . وهناك علامات وإشارات إضافية للاستدلال على سوق حباشة ، وقد أشرنا إليها في سطور سابقة ، والمسافة بين وادي حلي ووادي قنونا هي مراحل وعلامات السوق ، وهي المساحة الواقعة في غرب بلاد بارق ، وعليه يعلم أن ما قصده المؤرخون والبلدانيون عندما يقولون (من صدر قنونا وحلي) ، إنما قصدوا امتداد طريق الجند الذي ذكره ابن سعد في الطبقات ، ويمر طريق الجند من غرب بلاد بارق وهو المساحة الممتدة بين واديي حلي وقنونا ، وعليه يبطل أي ادعاء لوقوع السوق على ضفاف قنونا أو حلي ، ولا يمكن ذلك لتباري المسافة بين الواديين ، وبوجود نص ابن سعد

يستحق دراسات وبحوث مطولة تنفي أو تثبت مجيئه (عليه أفضل الصلاة والسلام) إلى هذا السوق التهامي . وحبذا أن نرى باحثاً أو طالب دراسات عليا فيتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الموثقة مع مراعاة الاطلاع على جل المصادر الأولية التي تصب في خدمة هذا العنوان . والسائر في بلدانٍ تهامة والسراة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى مازالت بحاجة كبيرة إلى دراستها تاريخياً وحضارياً في شتى الجوانب منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر، والجميل أن هذه البلاد يوجد فيها أو قريباً منها حوالي سبع جامعات وفيها عشرات الأكاديميين، وبها عدد من مراكز البحوث العلمية ، وهذه المؤسسات التعليمية عليها مسؤوليات عظيمة لدراسة أرض وسكان هذه البلاد ، وأعتقد أن هذه الأعمال يجب أن تكون من أولوياتها وأهدافها الرئيسية . (ابن جريس) .

(١) هذا الكلام كررته في فقرات سابقة ، وهو اجتهاد منك، وكون موقع السوق مازال غامضاً ، ولا يعرف ، فلا يستبعد أن يأتي في المستقبل من يدعي أن هذا السوق في وادي حلي ، وتستمر هذه المجاذبات غير المفيدة ، وتبقى هذه الصراعات الثقافية التي لا تخدم البلاد والعباد ، والأفضل العمل بشكل علمي محترف ، والحكم النهائي هو للدراسات العلمية الأثرية التي قد تفصل هذه الاختلافات التي تقوم فقط على نصوص تاريخية ناقصة وغير دقيقة . (ابن جريس) .

الذي ذكر طريق الجند[١] . يثبت أن المقصود هو وقوع السوق على طريق الجند الممتد من حلي مروراً بسوق حباشة ثم وادي قنونا وما يليه [٢] . وعلى أية حال ينتفي التعلل بصدر قنونا حينما ختم حكيم بن حزام حديثه بقوله : " وهي من صدر قنونا أرضها لبارق " . فقوله أرضها لبارق ، ينهي أي خلاف ، ويحبط كل ادعاء ، وما بعد الحق إلا الظلال المبين . فكلمة (أرضها) تعود على بارق الموضع المشهور في تهامة . وكلمة (لبارق) اللام حرف جر وبارق اسم مجرور ، لموضع مشهور منذ الجاهلية ، وعليه يؤكد أنه في حدود بلاد بارق الحالية ولا يخرج عنها لا في الماضي ولا في الحاضر[٣] .

(*)**<u>ذكر عبد القادر البغدادي ، صاحب (خزانة الأدب) قوله :</u>** " وأما حُباشة بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد الألف شين معجمة ، فكانت في ديار بارق نحو قنونا ، بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة ، من مكة إلى جهات اليمن على ست مراحل . قال الفاكهي : " ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة ، وآخر ما ترك منها سوق حباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى العباسي في سنة سبع وتسعين ومائة"[٤] .ونجد البغدادي كغيره ضبط الشكل وبين لفظه ، ثم حدد موضع حباشة في بارق ، أي ما ينطبق ضمن حدودها ، ثم قال : " نحو قنونا أي باتجاهها كأقرب معلم

---

(١) انظر: ابن سعد ، <u>الطبقات الكبرى</u> ، ج٨ ، ص ٥٠٣ . (البارقي) .

(٢) ذكرت لك وجهة نظري سابقاً تجاه أقوالك المذكورة أعلاه . وأقول أن من يدرس طريق الجَنَد التي ذكرها ابن سعد في هيئة بحث أو رسالة علمية ، فقد يخدمنا نحن معاشر الباحثين ، ويسدي لنا معروفاً عن معرفة شيء من تاريخ وحضارة هذا الطريق الذي لا تذكره المصادر إلا قليلاً . (ابن جريس) .

(٣) اطلاق الحكم بهذه الطريقة لا يستقيم مع المنهج الأكاديمي الحيادي ، فقوله (من صدر قنونا أرضها لبارق) يفهم أن نفوذ عشيرة بارق وصل إلى وادي قنونا ، أو أنهم استوطنوا قنونا ثم هاجروا إلى الجنوب فيما بعد ، أو أن ابن سعد دون هذه المعلومات التي سمعها من بعض الرواة ، وهي فعلاً غير دقيقة إذا طبقناها على الواقع . والقول أن أرض هذا السوق لبارق، ، ربما يكون حقيقة ، ومن المحتمل أنه كان يشاركهم فيه عشائر أخرى من الأزد ، لأن قتل والي السوق الذي أرسله أمير مكة إلى حباشة كان الأزد هم الذين قتلوه، ولا ندري من أي فروع الأزد هؤلاء القتلة، ولم يقل البارقيون . أما قولك يا أحمد أن السوق في حدود بارق الحالية فهذا قول أيضاً غير دقيق ، لأن العشائر العربية قديماً تنتقل من مكان إلى آخر ، والهجرات العربية لقبائل وعشائر تهامة والسراة مثلها مثل غيرها من القبائل جرى بينها حروب وتحالفات ومصاهرات ، حتى إن العشيرة الواحدة تتفرع أحياناً إلى فروع عديدة وتستوطن أماكن مختلفة . ونلاحظ قبائل السروات من نجران حتى الطائف لها فروع عديدة في البوادي شرق السروات ، وفي بلاد العروض الواقعة عند جبال السروات من الغرب . وإذا جاء الواحد منا وأراد معرفة أنساب أسرته أو فخذه خلال الثلاثة قرون الماضية المتأخرة فإنه يجد صعوبة في الحصول على معلومات دقيقة حيال هذا الموضوع ، فما بالك بعشيرة أو عشائر يعود تاريخها إلى عصور ما قبل الإسلام ، واستوطنت أمكنة عديدة منذ خروجها من اليمن حتى استقر بها القرار في تهامة منطقة عسير. (ابن جريس) .

(٤) انظر: <u>خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب</u> ، ج٤، ص٤٢٨. (البارقي).

طبيعـي مشهـور . ونلحظ أنـه لم يكرر عبارة من سبقه بقولهـم : " من صدر قنونا " بل استبدلهـا بعبـارة " نحـو قنونا " ، وهنا يؤكد ويعضد قولنا أن مـا قصده الأزرقي بقوله " صدر " ، أي جهة ، أو نحو الشيء وبالقرب منه وليس فيه . وهنا نص البغدادي ، بعد أن قال : " في ديار بارق " ، أشار بعدها أنه نحو قنونا ولم يقل في قنونا ، إذ لا يصح ولا يعقل أن يقـول في بارق ثم يقول في قنونا . وهـذا واضح ولا يحتاج لمزيد ، ثم نقل عن الأزرقي أنـه يبعد من مكة بنحو ست مراحل، وهذا على المسافة والوقت من بارق إلى مكة قديماً بالراحلـة ، قـال ومن مكة باتجاه اليمن ، أي إلى جنوبهـا ، وبارق فعلاً تقع إلى الجنوب من مكة المكرمة بنحو ثلاثمائة وخمسين كيلاً . ثم ذكر قول الفاكهي متحدثاً عن أسواق العرب وقال : " إن عكاظ انتهى في عام (١٢٩هـ/٧٤٦م) أي أنه انتهى قبل خراب سوق حباشـة بنحو ثمانية وستين عاماً ، وإذا علمنا كما يذكر بعض الباحثين أن حباشة سبق في تأسيسـه سوق عـكاظ بنحو خمسة أشهـر، فهذا يعني أن سـوق حباشة استمر فترة أطول بكثير من عمر سوق عكاظ، إذ أنه تأسس في الجاهلية قبل الهجرة الشريفة وكان آخر أسواق العرب خراباً [١].

(*) **<u>وفي كتاب : عمدة القاري للعيني ذكرت</u>** " حباشة بضم الحاء المهملة وتخفيف البـاء الموحدة وبعـد الألف شين معجمة ، وكانـت بأرض بارق نحو قنونـا ، بفتح القاف وضـم النون المخففة وبعد الواو الساكنة نـون أخرى مقصورة ، من مكة إلى جهة اليمن علـى ست مراحل [٢].نقول إن العيني كغيره ممـن سبقه ، ضبط اللفظ ، ثم حدد موقع حباشـة بأنـه في أراضي قبيلة بارق ، فحرف البـاء يحـل مقام الحرف في ، ويأخذ معناه في الجملة بأنه في حدود بلاد بارق بالاتجاه غرباً نحو قنونا ، أي باتجاه الوادي ، فيكون قبله بمسافة ليست بالقصيرة ، كما يفهم من كلمة (نحو) فكلمة نحو لا تفيد التحديد ، وإنما تفيد التوجيه والإرشاد ، ونلحظ مجدداً أن العيني استبدل كلمة الأزرقي (صدر) بكلمة أوضح منها وهي (نحو) أي باتجاه الشيء ، ولا تعني التحديد بعينه ، وقد أتت كلمـة (نحـو) عند العيني والبغـدادي ، بينما استخدم من نسخ نص الأزرقي كلمة (

---

(١) ياأحمـد مـا ذكر البغدادي لا يذهـب بعيداً عن من سبقه ، فأورد ذكـر بارق وقنونا واللبس مـازال قائماً. وكما أشرت مـن قبـل أن قنونا واد عظيم وذكر كثيراً في كتب التراث وغيرها من المصادر والمراجع المتقدمة والمتأخرة ، وأيضاً بارق عشـيرة عربيـة أزدية ماجدة، لكن الذي نجهله نفـوذ بارق أيام تاريخ السوق في الجاهليـة وبداية عصر الإسلام، أين موقعها الحقيقي ؟ وما هو مدى اتساعها وهيمنتها ؟! وإذا عرفنا الإجابة الصحيحة لهذه الأسئلة وغيرها فربما نتوصل إلى معرفة المكان الصحيح للسوق ، هل هو ضمن جغرافية وادي قنونا أم خارجها . (ابن جريس) .

(٢) العيني ، <u>عمدة القاري</u> ، ج٤، ص ١٠٤. (البارقي) .

صدر) . ثم نقل عمن قبله ، أن الموقع يبعد عن مكة بمسافة تقدر بست مراحل الراحلة، وأشرنا أن مدة استغراق القافلة يرتبط بهمة المسافرين وعزيمتهم وظرفهم ، ولكن لا تقل المدة بين مكة وبارق عن ست مراحل ، ولا تزيد عن ثمان مراحل [١].

(*) **ويقول ابن الكلبي عن قبيلة الأوصام :** " وهؤلاء بنو بارق ، وولد عدي بن حارثة : سعداً ، وهو بارق، بطن عظيم ، وعمراً ، وعمران ، فولد بارق بن عدي : كنانة بن بارق : عوفاً ، وثعلبة ، وأنماراً " ... إلى قوله : " فولد حارثة بن ثعلبة : شنوءة ، ولوذان، والنباح والأوصام ، قبائل جماعة " [٢]. كما أشار الهمداني في كتابه : " صفة جزيرة العرب " إلى عدة مواضع وألحقها ببلاد بارق ، وهو مثل غيره من الجغرافيين المتقدمين الذين وقعوا في خلط كبير أثناء حديثهم عن البلدان ، هذا الرحالة والجغرافي اليمني، حيث قال: " وخبت البزواء بناحية عُليب ، وعليب واد بين الخبتين ، خبت البزواء وخبت أذن، وهو من مساقط بلاد بارق من غور السراة ، وهي بقرة والملصة ويسران وذات أعشار وتربان [٣]. جبل لهم من ناحية ذات أعشار، وأعلى قنونى "[٤]. وقوله : " خبت البزواء اسم علم اتبعه بإشارة استدلالية تشير إلى موقع آخر على وجه التقريب وهو وادي عُليب ، للدلالة أن الخبت بالقرب منه أو باتجاهه ، وليس في ذات الوادي ، ثم أوضح أن وادي عليب موضع يقع بين خبتين معروفين هما البزواء وأذن [٥]. ثم عرف موضع الوادي بالتحديد ، وقال : " هو من مساقط بلاد بارق ، فالضمير هو يعود إلى وادي عليب ، ثم اتبع الضمير بحرف جر يجر ما بعده ، فحدد مسار الوادي أنه يصب في بارق ، أي أن موضعه في حدود بارق ولا حتى بالقرب منها ، فوادي عليب واد في بلاد

---

(١) المدة بين بارق ومكة المكرمة قديماً تستغرق ربما أكثر من ثمان ليال ، وبخاصة إذا كانت القافلة كبيرة ، ومع المسافرين بضائع وسلع ثقيلة أو كثيرة ، كما يعتمد على الطرق المسلوكة إذا كانت سهلة مثل بلاد السهول والخبت فالسفر أسهل وأسرع من السير في الجبال والهضاب والأودية التي تأتي عند سفوح جبال السروات الغربية . أيضا توظيف مفردات اللغة مثل (صدر) أو (صدد) ، أو (نحو) كلها لا تكفي أن نصل إلى آراء نهائية تحدد موقع سوق حباشة على وجه الدقة . وقلت ومازلت أقول إن مخرجنا الوحيد هو العكوف على دراسة آثار هذه المناطق الأثرية المتنازع عليها في بلاد بارق أو وادي قنونا أو غيرها ، وإذا درست هذه البلاد أثرياً مع توخي الحذر والنزاهة والحيادية وعدم الانخراط في فخ العنصرية والعصبية فقد نصل (بإذن الله) إلى حل علمي وحقيقي . (ابن جريس) .

(٢) انظر: ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير ، ج٢، ص٤٥٦ . (البارقي) .

(٣) تربان : هو جبل ثربان في تهامة بني شهر وليس في بارق. (البارقي) .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب (طبعة مكتبة الإرشاد) ، ص ٢٩٧ . (البارقي) .

(٥) إذا صح أن البزواء هي (الوسقة) ، وإن خبت أذن هو حمر أذن المعروفين اليوم ، فذلك يدل أن البزواء وأذن لا يقعان بين مكة والمدينة ، بل هما إلى الجنوب من مكة المكرمة . وما يدعم قولي أن وادي عليب بالقرب منهما في محافظة الحجرة من تهامة زهران ، ويتضح لنا وقوع الهمداني في أخطاء من بداية النص ، فكيف يستدل به كنص مليء بالأخطاء . (البارقي) .

تهامة في محافظة الحجر، ليس له علاقة ببارق، ولا يصب إليها ولا يقترب منها ، وهنا يتضح لنا الخلط عند المؤرخين المتقدمين بين موضعين متفاوتين هما بارق ووادي عليب . ثم بعد ذلك ذكر مزيداً من التأكيد أن الوادي في بلاد بارق ، ثم عرف موقع بارق، ويتضح أن بارق هي النقطة الأكثر وضوحاً عنده ، لذلك قرب وادي عليب إليها ، كونها أشهر المواضع القريبة نسبياً من الوادي ، ويمكن الاستدلال بها ، ثم في سياق النص ، وقع في أخطاء أخرى فقال: " وهي ، والضمير يعود لبارق ، بقرة والملصة ويسران وذات أعشار وتربان جبل لهم ، وأعاد ملكية المواضع السابقة إلى بارق، ويفهم من النص أن بقرة وجبل ثربان ووادي إعشار من بلاد بارق ، والصحيح أن هذه المواضع خارج بارق ، وهي من حدود بارق مع القبائل المجاورة ، وليست في بارق قديماً [1]. ثم قال من ناحية ذات أعشار وأعلى قنونا ؛ ويفهم أن بارق بما تتضمنه من المواضع المتقدم ذكرها تقع إلى الجهة الشرقية من جبلي ثربان وذات أعشار ، وهذا خطأ أيضاً ، فبقرة تقع على حد بارق شرقاً والملصة جهة ربيعة من الغرب إلى بارق، ثم قال وأعلى قنونا ، فهذا يظهر التخبط في الوصف ، فبعد أن حدد المواضع في بارق ثم قربها إلى جبل ثربان وإعشار الواقع على الحد الغربي من بارق ، انتقل بعيداً جداً إلى وادي قنونا ، وذلك لشهرته لمزيد من الاستدلال على وجه التقريب بالأماكن المشهورة ، ويلحظ معرفته ببارق حيث عرف كل المواضع وحددها فيها ، ولما لبارق من تاريخ وشهرة عند المؤرخين ،

(١) لو أراد أحد ممن لا يحترم أمانة العلم والقلم لاستغل النص للهمداني ، وقال إن بقرة وثربان وقنونا ووادي عليبٍ وخبتي البزواء وأذن كلها تتبع بارق، ولو قلنا ذلك لظهر الحق جلياً من سكان تلك النواحي أنهم كانوا يوماً في عداد أو أحواز بلاد بارق، لكن أمانة العلم وشرف المهنة يحتم على ضمير المؤرخ المسلم ذكر الحقائق ونبذ الشبهات ، والبعد عن مواطن الزلل ومكامن الخلل من خلال التحقيق في النصوص ودراستها قبل إطلاق تفسيراتها أو تبنيها واعتمادها على ما فيها من خلل واضح وخلط جلي لا ينطبق على الأرض لا في الماضي ولا الحاضر. (البارقي) . يا أحمد اعلم أن لسان اليمن الحسن الهمداني ابن البلاد اليمنية واجتاز بلاد تهامة والسراة مرات عديدة ، وحفظ لنا معلومات لا نجدها عند غيره ، وإذا كان الأزرقي والبكري والحموي وغيرهم قد أشاروا إلى أمكنة عديدة في أرض تهامة والسراة ، ولم يسلموا من الوقوع في الأخطاء ، فالهمداني يتقدم عليهم في ندرة معلوماته ودقتها في كثير من المواضع التي احتواها كتابه (صفة جزيرة العرب) ، نعم لا ننكر أن هذا الكتاب لا يخلو من معلومات غير صحيحة . وذكره مثل هذه المواقع وعلاقاتها بأرض بارق ربما يكون فيها شيء من الصحة وبخاصة إذا كانت عشيرة بارق قد ساحت في الأرض من السروات وأجزاء من تهامة حتى استقرت في موطنها الحالي، لكنك تنافح وتجزم بأن بارق اليوم تستوطن مكانها الحالي منذ العصر الجاهلي أو صدر الإسلام، فهذا قول صعب تأكيده وإثباته . وفي نقاشك المذكور أعلاه أشرت إلى نقاط عديدة تعرض لها الهمداني ، وذلك بهدف القول إن بارق في مكانها الحالي وليس لها أي صلة أو علاقة بهذه الأوطان التي أوردها الهمداني ، وأقول لا تجزم بما ذكرت حتى تتوفر لك البراهين والدليل الواضح ، عندئذ تمسك بأقوالك ، وإذا لم تستطع الوصول إلى حقائق دامغة فاترك الموضوع قابل للنقاش والتحليل لعله يأت في قادم الأيام من يتوصل إلى معلومات صحيحة مبنية على مصادر مبكرة وموثوقة . (ابن جريس) .

لا يستغرب معرفتهم وإلمامهم بها ، لكنه كان يعرف أيضاً جبل ثربان ، وإن جاء مصحفاً بالتاء على غير الثاء ، ثم عرف قنونا فقال: " وذات أعشار وتربان[١] . جبل لهم[٢] . من ناحية ذات أعشار وأعلى قنونى " ، وهنا رغم أنه حدد جبل ثربان أنه يتبع لبارق، وإن كان مخطئاً ، إلا أنه أخرج وادي ذات أعشار ووادي قنونا من حدود بارق ؛ فبعد أن عدد مواضع من بارق قال إن تلك المواقع تتبع لبارق وأنها تقع ناحية ذات أعشار وقنونا إذاً النص واضح لم يدخل قنونا ضمن بارق أصلاً ؛ بل أخرج واديي قنونا وأعشار من حدود بلاد بارق[٣] . فكيف يستدلون بنص الهمداني على أن موقع قنونا كان من بلاد بارق ثم تخلت عنه ؟ هذا اصطياد في الماء العكر[٤] . وتفسير لا يوحي به النص لا في مبناه ولا معناه ، وقد قدمت استقراء للنص يتضح منه أن الهمداني عندما وصف وادي عليب أدخله في بارق رغم أنه ليس كذلك كما أوضحت سابقاً ، كما أن وادي عليب بعيد جداً عن قنونا ، وهو محور الحديث في النص ، فلما عرّفه أنه في بارق كان مخطئاً من الأصل ، ولا يعرف أن حدود بارق تاريخياً ولا في العصر الحديث كانت تمتد إلى خبت البزواء أو وادي عليب أو قنونا . فإذا نفينا امتداد حدود بارق تاريخياً إلى قنونا ، فمن باب أولى نفي امتدادها إلى خبت البزواء وهي الوسقة اليوم . وإنما لشهرة بارق كأكبر تجمع بشري حضاري قديم[٥]، ولما لها من حضور وشهرة استدل بها الهمداني لتحديد

---

(١) تربان : الصحيح (ثربان) . (البارقي) .

(٢) أي أن جبلي ذات أعشار وثربان تتبع لبارق ، وهذا غير صحيح . (البارقي) .

(٣) أنت تعترف أن الهمداني عالماً بذكر المواقع ، ثم تعود فتهاجمه وتصفه بالتخبط وخلط المعلومات ، وكما ذكرت أن هذا الرحالة اليمني يعد من الرواد والمبدعين فقد حفظ لنا الشيء الكثير من تاريخ وحضارة أهل تهامة والسراة . ونأمل أن نرى أحداً من طلابنا في قسم التاريخ جامعة الملك خالد فيتخذ ما احتوته كتبه عن السروات وتهامة موضوعاً لأطروحة الدكتوراه ، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لنا معاشر الدارسين فضلاً كبيراً . (ابن جريس) . أما أنت يا أستاذ أحمد فلا تضيق واسعاً وتحد بلاد بارق قديماً في مكانها المحدود في عصرنا الحاضر ، وإذا كانت هذه العشيرة العربية خرجت من اليمن وتنقلت في السروات ، ثم خرج منهم من ذهب إلى أماكن عديدة في الجزيرة العربية وخارجها ، فلربما فخوذ أخرى ساحت وتوسعت في أجزاء من تهامة وسروات بلقرن وشمران وخثعم ورجال الحجر ، وقد يكون منهم من اندمج وانصهر مع هذه القبائل اليمنية ، وبعضهم تدرجت بهم الحياة حتى استقروا في موضعهم الحالي في منطقة عسير. كل هذه الأطروحات والتساؤلات يا أحمد قابلة للنقاش ، ولا تتمسك بآرائك إلا إذا كان عندك حقائق دقيقة وفاصلة . (ابن جريس) .

(٤) لا أري ما ذكرت من فعل الآخرين بأنه (اصطياد في الماء العكر) فهذه عبارة غير لائقة، فالمناهج العلمية الراقية تحتم على الباحث أن يرقى في عباراته ولا يلجأ إلى الجمل والكلمات النابية ، وأقول اسمع منهم وناقشهم بهدوء ، وصاحب الحجة والدليل القوي هو الذي يكسب ، وفي اعتقادي أنكم جميعاً ، المؤيدون والمعارضون ، لا تملكون براهين قوية تجعل فريقاً منكم يسمع وينصاع للآخرين ، وسيبقى هذا الجدل قائماً حتى تظهر البراهين القاطعة التي توضح الحقيقة . (ابن جريس) .

(٥) قلت لك يا أحمد إن قولك هذا غير صحيح ولا دقيق فأرض بارق ، أو بارق العشيرة ، لم تكن أكبر تجمع بشري

وادي عليب بالنسبة إلى بارق ، إن بداية نص الهمداني بدأت من قوله " البزواء بين مكة والمدينة .. " ثم أكمل باقي النص ، فكان خبت البزواء هو المحور الأول في النص ، ثم ذكر أن خبت البزواء بناحية عليب ، وعليب كان المحور الثاني ، إذا هو عرف أولاً البزواء بوقوعها بين مكة والمدينة [١] . وهو بذلك ابتعد كثيراً عن بارق ، ثم رجع يقرب البزواء من وادي عليب ، وما أبعد المسافة بينهما ، والبزواء اليوم هي مدينة الوسقة تابعة لإمارة مكة المكرمة، وربما أن هناك موضع آخر يدعى البزواء بين مكة والمدينة ، وعلى أية حال أينما كان الموضعين فقد أخطأ الهمداني في نسبة البزواء إلى مساقط بارق . وقد جاء في لسان العرب لابن منظور قوله : " والبزواء : اسم أرض ؛ قال كثير عزة :

لا بأس بالبزواء أرضاً لو انها تطهر من أثارهم فتطيب

وقال ابن بري : البزواء في شعر كثّير صحراء بين غيقة والجار شديدة الحر ؛ وقال الراجز:

لا يقطع البزواء إلا المقحد أو ناقة سنامها مسرهد[٢]

(٤) حباشة عند بعض الباحثين المتأخرين :

نجد عاتق البلادي يتجول في أرجاء تهامة ويتحدث عن أرضها وسكانها ، ويشير إلى سوق حباشة أنه في أرض بارق وهم أصحابه وليس في وادي قنونا ، فقال: " أجمعت النصوص أنه - يقصد السوق -، في ديار بارق ، وديار بارق من حلي وليست من قنونا ، ولا أعتقد أنهم كانوا ينزلون قنونا ثم أزيحوا عنها، لأن كل ما جاورهم من ديار هي للأزديين بارق وشمالها ، وبارق أزدية وكل هذه القبائل لازالت في منازلها القديمة"[٣] . وهذا الاستقراء يؤكد وضوح النصوص التاريخية عند المتقدمين ، ولا يوجد هناك اختلاف بينهم أنه في بلاد بارق ؛ لكن الحقيقة أن هناك من يقود اختلاق حالة الخلاف فيستغل بعض المفردات لفتح شهية المدعين والباحثين عن موطئ قدم . وهنا يعم البلاء

وحضاري قديم لا في تهامة ولا السراة ولا اليمن ولا أي مكان ، لكن اندفاعك وربما تعصبك لأهلك وذويك جعلك تطلق هذه الأحكام العامة والكبيرة ، وليس هكذا يكون البحث والدراسة العلمية المتأنية والحيادية . (ابن جريس) .

(١) أقول ربما يكون هناك مواضع أخرى بين مكة والمدينة تحمل نفس الأسماء التي بين مكة وجازان . (ابن جريس.

(٢) انظر : لسان العرب ، ج١، (مادة بز) ويقول عاتق البلادي عن البزواء " وهذه هي التي ذكرها أبو دهبل في قصيدته الميمية ؛ حين قال: وجازت على البزواء والليل كاسر جناحيه بالبزواء ورداً وأدهما . وتسمى اليوم الوسقة ، لأنه حزم مرتفع بين عيار وحلية ، والوسقة كل ظهر مستو ، وهي صحراء واسعة تمتد غرباً إلى البحر. انظر البلادي ، بين مكة واليمن ، ص٥٤ . (البارقي) .

(٣) انظر: عاتق البلادي ، بين مكة واليمن ، ص٤٨ ، (البارقي) .

وتضيع الحقيقة [١] .

وهـذا هـو غيثان بن جريس يذكر سوق حباشـة في بارق، وكيـف كان له مشرفون مـن قبل إمارة مكـة ، وماذا جرى له من دمار وتخريب في نهايـة القرن الثاني الهجري (الثامـن الميـلادي) ، فقال: " يذكر الأزرقي وابـن فهد بأن حباشة آخر سوق خرب مـن أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه جند فيقيمون بها ثلاثـة أيام من أول رجب متوالية ، فقتلته قبيلـة الأزد في عام (١٩٧هـ/٨١٢م) ، فأشار أهـل مكـة على داود بن عيسى بتخريبهـا فخربها وتركـت ... " [٢] . ويتضح لنا أن أرض بارق وما جاورها كانت تحت إمارة مكة المكرمة التابعة للخليفة العباسي في بغداد [٣] .

---

(١) أحكامـك يـا أحمد قاسية ، والواجب أن تسمع النقاش ، ثم ترد ردوداً علمية ، ولا تلقي بالاتهامات على الآخرين فهـم أيضـاً مجتهـدون مثلك، وكل منكم يدافع عن حجتـه ، ولكن الذي نريد الوصول إليـه هي الحقيقة ، فقول البـلادي إن بـلاد بارق وما جاورها أزدية فهذا كلام صحيح في وقتنا الحاضر ، لكن لا نملك الدليل القاطع عن أماكنهم ومواضع استيطانهم وغيرهم من الأزديين في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، وهذا ما نريد معرفته بشكل واضح ودقيق . (ابن جريس).

(٢) انظـر: غيثان بن جريـس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (الرياض، مكتبـة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ج١،ص ٣٧٤ . (البارقـي) . للمزيد انظر الأزرقـي ، أخبار مكة ، ج١، ص ١٩١، ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٢، ص ٢٦٠-٢٦١ . (ابن جريس) .

(٣) استعرضـت كثـيراً مـن أقوال المتقدمـين والمتأخرين عـن تاريخ ومكان سـوق حباشة ، ونشرت ذلـك في كتابنا: بـلاد القنفـذة خـلال خمسـة قـرون (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م) ، الـذي صدر مـن مطابـع الحميضي عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص ٩٤ - ٩٧. وكنت يا استاذ أحمد آنذاك مثلك وغيرك في بلاد العرضيات أرى أن مكان هذا السوق في تهامة ، وذهبت مع القائلين أن مكانه في ناحية من وادي قنونا . وبعد مرور ست سنوات ، كنت زرت فيهـا بلداناً عديدة من تهامة والسـراة الممتدة من مكة والطائف حتى جازان ونجـران، ووقفت وسمعت أخباراً وقـرأت كتابات ومدونـات عن بعض الأمكنة ، أو الأحـداث ، أو الأعلام التاريخيـة والحضارية في هذه الأوطان الواسعـة والمختلفـة في تركيبتهـا الطبيعية والبشريـة . وبرز لي الكثير مـن الصراعات الثقافيـة والاختلافات العلميـة بين الكثير مـن الأفراد والجماعات ، أو القرى والبلدات والنواحي ، في هـذه الديار التهامية والسروية، وعنـد فحـص كثير مما شاهدت وسمعت ووقفت عليه وجدت أن عامل المناطقية أو العصبية القبلية من الدوافع الرئيسيـة لخلـق مثل هذه الصراعات والمشادات الثقافية . وعند مراجعـة وقراءة بعض مما وصلني مكتوباً عن بعض القضايـا الخلافية تبين لي عدم الاتفاق بين المختلفين ، وكل فريق يسعى إلى دحض وإبطال حجج وأقوال خصومـه ، دون الاحتـكام إلى الأدلة والبراهين التي تتصف بالنزاهة والحياديـة. ولهذه الأسباب أخذت منحى آخر ، وهو التأني ، والنداء بالتريث في قضايانا العلمية والأدبية والبحثية الشائكة ، ولا نقول التوقف عن البحث والدراسـة ، لكـن المفروض علينا جميعاً أن نتصف بالحيادية ولا ننسـاق وراء العصبية للعشيرة ، أو الأهل ، أو المـكان الـذي ننتمي له . وأقول إنني بحثـت في محتويات مكتبتي الخاصة أثناء تدوين هـذه السطور ، وحصرت حـوالي (٢٢) مشكلـة علمية خلافية في مناطق جازان ، ونجـران ، وعسير ، والباحة ، والقنفذة ، وكلها تدور في فلك الاختلاف وعدم الاتفاق حول أمكنة بعض الأسواق الأسبوعية ، أو القرى الأثرية ، أو مقابر تاريخية ، أو آبار ، أو أحميـة ، أو طـرق تجارية قديمة . وكل مـن يتحرك في إثبات أو نفي المواضع الصحيحة لهذه الأمكنة لا يخلو من السقوط في وحل النعرات والعنصريات العشائرية والجهوية والمناطقية . وأقول من الواجب على الجميع أن يتصفوا بالصدق والعدل والحياد في أقوالهم وأعمالهم . كما أن على الجامعات المحلية والأقسام الأكاديمية أن

ورداً علـى مقالة الأستاذ / حسن بـن إبراهيم الفقيه التي نشرها في مجلة حوليات حباشة العدد الخامس عشر: نجد حمد الجاسر قد فند ما أورده الفقيه في مجلة: حوليات حباشة، وذكره أن سوق حباشة في قنونا[1]. فقال "حوليات سوق حباشة، هذا عنوان كتاب يحوي اثني عشر بحثاً للأستاذ الدكتور عبد الله ابن محمد أبوداهش، تحقيقاً أو دراسة، سوى واحد منها عن (حُباشة) بقلم الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، ولي وقفة قصيرة عند الحديث عن (سوق حباشة) ، ذلك أن حبيبنا الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه أتى بمعلومات موجزة عن ذلك السوق، ويبدو من نشر مصور جغرافي لموقعه منسوباً إلى مجلة (العـرب) ، أن الباحـث الكـريم قد اطلـع على بحث منشـور في تلك المجلـة قبل أكثر مـن عشرة أعـوام (من ذي القعـدة وذي الحجة ١٤٠٥هـ) . ولن أعتـب عليه ، إن كان قـد اطلـع علـى ذلك البحث ، عـدم الإشـارة إليه، فقد سلـك نهجاً ليس هـو الأول من سالكيـه ، ولكننـي سأبـدي ملاحظات موجـزة عن تحديـد مواقع ذلك السـوق ، وعن إعـادة رسـم المصور الجغـرافي الذي بدأ في الكتـاب غير واضـح ، وفي وقفات قصيرة عمـا ورد في كلام الأسـتـاذ الفقيـه ، مـع ملاحظـة أن كل مـا نقـل مـن الأقـوال عـن تحديـد السـوق قد أوردتها في البحث المشـار إليه : (١) أورد الأسـتـاذ الفقيه من كلام الأزرقـي بهـذا النـص : " في ديـار الأوصام من بـارق إلى صدر قنونا وحلـي في ناحية اليمـن " . وفي هـذا الـكلام خطأ يغـير المعنى ، وصـواب كلام الأزرقي هـو: " وهي في ديـار الأوصـام مـن بـارق من صـدر قنونا وحلـي " . (٢) قـال الأستاذ الفقيـه قوله : " في ديـار الأوصـام مـن بارق يزيد من عبء الباحث إذا علـم أنه لا يُعرف في الحاضر أو الماضـي اسـم لقبيلة أو أرض بهذا الاسم (الأوصام) ، وإن كنت عددته تحريفاً لاسم (الأواسـ) القبيلـة الأزدية التي حلت هـذه السوق في ديارها آنـذاك من صدر قنونا ، وهـو الموقـع الذي يُعَد أقـرب إلى الصواب في أنـه يبعد ست ليال عن مكـة[2]. وغريب حقـاً أن يقـول الأسـتـاذ حسـن : لا يُعَرف في الماضـي ولا الحاضر اسم لقبيلـة أو أرض

تدلي بدلوها في الفصل بين هذه النزعات العلمية والثقافية ، وحذاري من التعصب لرأي أو قول دون آخر ، وإنما المنهج العلمي الصادق والمتزن هو ما يجب فعله والسير في ركابه . (ابن جريس) .

(١) رد الجاسـر منشـور في المجلـة العربية ، العدد (٢٤٢) السنـة (٢١) ربيع الأول عام (١٤١٨هـ الموافق يوليو / أغسطس(١٩٩٧م) ص ١٠٠-١٠١. (البارقي) .

(٢) المسافـر قديمـاً يستغرق من وادي قنونا إلى مكة ست ليال وربمـا أكثر ، أما بارق الحالية فهي تقع جنوب قنونا ويحتاج المسافر بالراحلة أكثر من ثمان ليالٍ وقد تصل إلى العشر . (ابن جريس).

بهذا الاسم (الأوصام) أليس من الحسن أن يقال: لا يُعرف في الزمن الحاضر ، أما الماضي فقد عُرفت قبيلة باسم (الأوصام) ، وجهل الأستاذ الفقيه لها ليس من العلم في شيء ، وكان الأولى القول: بأنه هو نفسه لا يعرف ، أما نفي العلم عن غيره فلا يتفق مع الحقيقة . (٣) متى حلت قبيلة الإواس من موقع هذا السوق ، وما هو المصدر الذي يعول عليه في ذلك ؟ إن إطلاق القول هكذا غريب من محقق فاضل كالأستاذ حسن الفقيه ، لقد أورد علماء النسب وإمامهم في ذلك ابن الكلبي ، ذكر قبيلة تدعي (الأوصام) من بارق ، فقد جاء في (مختصر كتاب جمهرة النسب) مخطوطة راغب باشا (ص٢٠٩) ـ ما نصه : " ومن بني ثعلبة بن عمرو الأوصام وشبر ولوذان والنَّبَّاح قبائل كثيرة فمن الأوصام الشاعر وسنان ابن أبي عطاء قتلته الحجر بطن في السراة ، ومنذر بن عوف الشاعر) . وجاء في كتاب (نسب معد واليمن الكبير) ـ ج٢، ص٤٦٥ " وولد ثعلبة بن عدي بن حارثة حارثة، فولد حارثة ابن ثعلبة شنوا ولوذان والنباح والأوصام قبائل جماعة) . وثعلبة بن عدي هو أخو بارق بن عدي ، وقد جاء في كتاب (الإنباه على قبائل الرواة) : وأما بارق : فماء بالسراة ، فمن نزله أيام سيل العرم كان بارقياً ، ونزله سعد ابن عدي بن حارثة ، وابنا أخيه مالك وشبيب ابنا عمرو بن عدي بن حارثة فسموا بارقاً (٤) وقال الأستاذ حسن عن (الأوصام) " وإن كنت أعددته تحريفاً لاسم (الإواس) القبيلة الأزدية التي حلت هذه السوق في ديارها آنذاك من صدر قنونا ، إلى أن قال : (وكانت الإواس صاحبة الموقع على نحو ما فصلت عنه في البحث المطول الذي أعددته عن هذا السوق ، وعزمت أن أنشره قريباً إن شاء الله . (لعل مما يفيد الباحث هنا أن يعرف أن الإواس من القبائل الأزدية التي تقطن السراة ، فقد جاء في كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام) المنسوب خطأ إلى الأصمعي : (سألت أبا علي الهجري عمن خرج مع أحمس بن أنمار ، فقال خرج معه بنو بجيلة بن أنمار ، وبنو أقبل بن أنمار ، فسألته عن أقبل ، فقال: منهم شهران وكود وناهس والأوس وإواس ـ إلى أن قال ـ هذه القبائل تعرف بخثعم وبجيلة . وفي كتاب مغلطاي (الاتصال في مختلف النسبة) الإواس ـ بكسر الهمزة ـ أبو أحمد الإواسي من شهران بن خثعم ، قال أبو علي الهجري : أنشدني رجزاً له . وقال الرشاطي : الإواسي في الازد . ذكر الهمداني قال الشنفرى بن مالك الإواسي ، ثم أورد له أبياتاً على قافية التاء . وفي (مختصر الفاسي لكتاب الرشاطي (الإواسي في خثعم ، وفي (معجم البلدان) رسم (عِيَار) : هضبة في ديار الإواس من الحجر ، ويوم حراق من أيامهم ، غزت غامد الإواس

بن الحجر ، فوجدوا خمسين رجلاً من الإواس في حضار ، فأحرقوهم في هضبة يقال لها عِيَار فقال زهير الغامدي :

نبغي الإواس بأرضها وسمائها … حتى انتهينا في ذوابة يكبدا

حتى انتصبنا في عيار كأننا … أظب وقد لبد الرؤوس من الندا

مما تقدم يفهم : أن الإواس كانوا من خثعم ، فدخلوا في قبيلة الحجر كغيرهم من قبائل خثعم ، وبلاد هؤلاء لا تزال معروفة (٥) لقد كان من الأولى ، وقد اختير لهذه الأبحاث إضافتها إلى اسم (سوق حباشة) أن يحدد الأستاذ الفقيه ، وهو من أهل تلك الجهة ، موقع ذلك السوق باختصار ، إذ لم ير المناسبة داعية إلى نشر بحثه كاملاً . ومن هنا : فقد حسن إيراد ما جاء في مجلة (العرب) عن تحديد الموقع : (في الجزأين الخامس والسادس الصادرين في شهري ذي القعدة وذي الحجة سنة (١٤٠٥هـ) .ص ٢٩١) بعد إيراد طائفة من الأخبار وأقوال المتقدمين عن ذلك السوق . وقبيلة بارق التي يقع سوق حباشة في بلادها لا تزال معروفة مستقرة في مواطنها القديمة التي هي في غور سراة عنز والحجر ، وهي أزدية قحطانية، صريحة النسب من مازن بن الأزد ، وقبيلة بارق أخت قبيلة ألمع التي لا تزال في بلادها القريبة من بلاد بارق، وقد تحدثت عنها في كتاب (في سراة غامد وزهران) . ويحد بلاد هذه القبيلة من جهة الشرق بلاد بني شهر من الحجر من الأزد أيضاً . وبارق بلادهم منتشرة في صدور قنونا ، وما حولها من فروع الأودية . ووادي قنونا من أشهر الأودية التي تخترق تهامة حتى تبلغ البحر عند ميناء القنفذة . وهذا الوادي لا يلي وادي حلي . كما يفهم من كلام الأزرقي . بل يفصل بينهما وادي يبة (يقع وادي قنونا على خط العرض (١٠ً . ١٩) وجنوبه وادي يبه على خط عرض (٠٠ . ١٩ً) ثم وادي حلي : (٤٠ . ١٨ً) على وجه التقريب . والأدوية الثلاثة مشهورة قديماً ، ومعروفة الآن" [(١)].

ونقول إن حمد الجاسر شخصية محايدة ، وبعيد كل البعد عن الطرفين ، وما

---

(١) الجاسر ممن اشار إلى موقع سوق حباشة ، وقال : إنه في وادي قنونا ، وفي تهامة بلقرن التابعة إدارياً ، إلى عهد قريب ، لمحافظة القنفذة . واليوم أنشئت محافظة العرضيات التي تعود في تبعيتها الإدارية إلى إمارة مكة المكرمة . وأقول إن الجاسر وغيره ممن درسوا موقع حباشة مازالوا جميعهم لا يعلمون أين مكانه الصحيح ، وكل الذي عندنا من بحوث ودراسات عن هذا السوق لا تستند على براهين قاطعة تحدد الموقع الصحيح لهذا السوق ، وإنما هي تفسيرات فردية ، ومصادرها نصوص بعض المصادر المبكرة التقليدية التي هي الأخرى غير متفقة فيما دونت . (ابن جريس).

أورده الفقيه من نص للأزرقي كان قد غير مبناه فجاء هكذا " **في ديار الأوصام من بارق إلى صدر قنونا وحلي في ناحية اليمن**" فأبدل (من صدر قنونا) بعبارة (إلى صدر قنونا) ، والصحيح ما ورد عند الأزرقي في قوله (وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي) . وهذا تجاوز من الباحث غيّر فيه المبني فتغير المعنى للجملة ، فبدلاً من أن تعني في ديار قبيلة الأوصام من بارق أصبح معناها أن موضع السوق يمتد من الأوصام إلى قنونا ، وتلك مسافة بعيدة لا يمكن أن يوجد السوق بها على امتدادها ، وإضافة لذلك تجاوز الأستاذ الفقيه إلى تغيير النصوص التاريخية ، يدل على تهاونه بالنصوص العلمية وتحريف مدلولاتها ، وبالتالي يدل على ما تواجهه قبيلة بارق من تداعيات لا تمت للحقيقة بصلة سوى أنهم يتحركون على عدة أصعدة لإثبات السوق بناحيتهم دون وجه حق[١] . وما ذكره الفقيه في مجلة حُباشة عن موقع قنونا ، وظنه أنه كان يتبع لبارق ثم تخلت عنه " **أظن أن بلحارث قد امتدت على الأرض في الأزمنة الماضية بعد أن انحسرت جارتها بارق عن أرض السوق وما حولها** "[٢] . وأقول أظنه استمد رأيه هذا من نص الهمداني ، عندما ذكر خبت البزواء ، وأذن ، ووادي عليب ، وقال إنها من مساقط بلاد بارق ، وهذا تخمين في غير محله ، بل ادعاء بالباطل لايستند لحقيقة تاريخية ، ولا تقره قبيلة بارق ، ولم نجد في تاريخ بارق ما يدل أن حدود بارق كانت تصل إلى وادي قنونا قديماً ثم تخلت عنها[٣] .

---

(١) يا أحمد أنت تكرر ما قال الجاسر ، ثم إن الجاسر نفسه غير متأكد من موقع السوق مع أنه أشار في دراسات أخرى بأنه ضمن وادي قنونا . فالاضطراب والاختلافات عن مكان هذا السوق واردٌ عند كل من درسه أو أشار إليه. أما . اتهامك الفقيه وغيره بأنهم يريدون إثبات السوق في ناحيتهم ، فليس هو وقومه الوحيدين في مثل هذا الشأن ، وإنما أمثالهم كثيرون، وأولهم أنتم يا أهل بارق وغيركم من منطقة عسير تسعون جادين لإثبات أن موقع هذا السوق في بلاد بارق الحالية ، وأصبحنا نعيش في نزاع محموم بين أهل قنونا وأهل بارق وقد يظهر لنا في المستقبل من أهلي حلي أو غيرهم من يدعون أن هذا السوق في اوطانهم الحالية . وأقول لكم جميعاً ومن يحذوا حذوكم في مناطق أو موضوعات أخرى عليكم بالتؤدة والتأني في كل ما تسعون إلى تحقيقه ، واخلعوا عباءات المناطقية والعصبية القبلية من على ظهوركم ، وتسلحوا بسلاح البحوث العلمية النزيهة والحيادية ، ولن يفصل هذا النزاع إلا بحوث أثرية وحفريات وتنقيبات علمية جادة تدرس كل المواقع المطروحة ، وقد نصل في النهاية إلى نتيجة علمية دقيقة تفصل في هذا الاختلاف . (ابن جريس).

(٢) انظر : مجلة حباشة ، عدد (١٥) ، ص ٢١ . (البارقي) .

(٣) كلامك يا أحمد غير علمي على الإطلاق ، نعم بارق الحالية لن توافق ولن تأخذ بهذا القول الذي ذكره الهمداني ، أو الفقيه أو غيره ، كيف يتم ذلك وصراعكم على أشده ، فكل فريق يدعي أنه على حق ، وحجته هي الأقوى . وأقول إن القبائل منذ العصر الجاهلي وعبر عصور الإسلام المبكرة والوسيطة ، وفي كثير من مواطن الجزيرة العربية ، يرحلون ويهاجرون من مكان إلى آخر ، بل هناك قبائل تضعف وتتقلص وأحياناً تتلاشى ، وهناك قبائل تبرز على الساحة ويندرج تحت مظلتها عشائر وبطون أخرى . وقولكم أن الأزديين من بارق أو غيرها في السراة أو تهامة في أماكنها

وقولـه هذا محاولـة للتذاكي بهدف إيهام الجمهـور بأن الأرض كانت لبـارق قديماً ثم تخلـت عنهـا ، موظفاً نص الهمـداني ، وكل ذلك مغـزاه واضح لإثبـات أن السوق بقي ضمن ديار بلحارث الأزدية بعد تخلي بارق عنها وهذا القول عليه عدة ملاحظات منها: (أ) محاولـة القـول بأن موضع قرية الفائجة بقنونا كان يوماً يتبع لبارق ثم تخلت عنه ، وبالتالي يهدف هذا الادعاء إلى التخلص من دلالة النصوص التاريخية التي تؤكد على أن سوق حباشة في حدود بلاد بارق. (ب) من المعروف أن حدود بلاد بارق التاريخية لم تصل يوماً إلى حدود قنونا وقرية الفائجة ، ومنذ القدم تعرف حدود بارق التاريخية من الجهة الشمالية مع بلاد بلقرن (عمارة) ، هي وادي ثالم وجبل الموعر وجبل المروتين ، فلـم تعرف قبيلة بارق أن لهم حدود في قنونا وقد تخلوا عنها ، ذلك ما يثبته كبار السن أبنـاء بارق ولا بلقرن ولم يسمعوا بـه من قبل ، ولم يرد به نص تاريخي لا في الماضي ولا في الحاضـر. ويبقـى مجرد محاولة لتمييع النص التاريخـي لكسب موقف يميل لكفته ؛ والحـق أن الأستاذ حسن الفقيه قد جانب الصواب [١]. (ج) يعد هذا القول أحد الأدلة الصريحـة علـى ما تواجهه بارق من تعديات ثقافية وادعـاءات رائجة لا صحة لها . ولا تمـت للواقع بصلة ؛ مغزاهـا معروف وهدفها مفهوم وهو إثبـات السوق بنواح لا تتصل بحقيقـة تاريخية بسـوق حباشة ، وبلا شك أن ما يدفع هـذه الادعاءات دوافع شخصية وأهـواء بشرية محضة لا تقر للتاريخ حقيقته ولا تعطـي للتحقيق العلمي فرصته ، وإنما تبقى دوافع مناطقية تغلـب الهوى على حقائق التاريخ الراسخة ، والنصوص التاريخية الشاهدة ، بأنه في بلاد بارق ، وذلك ما يستدعي سرعة تدخل الجهات المختصة لإيقاف هـذا الجموح المحمـوم والتضارب الثقافي المدفوع ضد بـارق وحضارتها التي تكفلها لها مراجع التاريخ والآثار ومظان الكتب والأخبار [٢].

الحالية منذ العصر الجاهلي فهذا قول خاطئ . وبارق الحالية ، أو غيرها من عشائر الأزد في السروات أو تهامة توزعـت وانتشـرت أو هاجرت أو تقلصت ، وإذا استطعنا معرفة تنقلاتهم وانصهارهم مع بعضهم البعض أو مع غيرهـم منذ خروجهم من اليمن حتى استيطانهم أماكنهم الحالي فربما نصل إلى بعض الحقائق التي تجاوب على ما يواجهنا من لبس أو غموض عن كثير من أخبارهم السياسية والحضارية . (ابن جريس) .

(١) إن الوقوف مع نصوصك هذه يا أحمد والتأمل فيها لا تفيد ولا توصلنا إلى نتيجة واضحة نستند عليها ، وقولك إنه لم يرد نص ينفي أو يثبت ما ذكره الفقيه ، أو أن كبار السن والمعمرين نفوا ما أشار إليه حسن الفقيه ، فكل هذه الأقوال لا يسندها برهان أو دليل . والمشكلة نفسها عند الفقيه أو غيره ممن يؤيدون قوله . أما أن بارق كانت في مـكان غـير مكانها الحالي ، أو أنها كانت صاحبة نفوذ أوسع مما هي عليه الآن فذلك أمر يحتمل وقوعه ، ولا تملك يا أحمد الدليل القاطع الذي ينفي هذا القول . (ابن جريس).

(٢) أكـرر قـولي لـك يا أحمد وغـيرك من أهل بـارق أو تهامة بلقـرن أو قنونا ، بـأن الواجب علـى الجميع التحلي بحسـن الخلـق وجودة الطـرح البعيد عـن المناكفات التي لا فائـدة منهـا ، والابتعاد عن رمـي بعضكم البعض

الخلاصة :

هذا بعض ما جاء في كتب المتقدمين والمتأخرين عن سوق حباشة ، وهناك المزيد ولا تتسع الدراسة المختصرة لذكرهم خصوصاً من مؤرخي العصر الحديث الذين يجمعون على وجوده ببلاد بارق لإجماع المؤرخين المتقدمين [١] . وإلى هنا فقد ثبت لجميع المؤرخين والباحثين أن السوق في حدود بلاد بارق[٢] . وعليه ، فما ظهر ممن يدعون أن السوق تقع في القنفذة أو قنونا أو غيرها ، إنما هي مغالطات واعتقادات باطلة وأهواء شخصية لا تمت للواقع بصلة ، وعلى كل باحث ومؤرخ أمانة دحضها والتصدي لها بالحقائق ومادلت عليه النصوص ، وتطبيقها على أرض الواقع ، لتستبين الحقيقة ، وتتجلي الغمة إزاء هذا الجدل المصطنع[٣] . ولما تقدم من عرض تاريخي وعلمي مدعم بالمصادر

بالاتهامات التي لا تجدي ولا تفيد مسيرة العلم والمعرفة الحقيقية .كما أوجه نداء أيضاً إلى الجهات المختصة بحماية ودراسة المواضع التاريخية والأثرية أن تضع نصب عيونها الانصاف والاجتهاد في الوصول إلى الحقيقة الواضحة التي تحل المشكلة ، وذلك لن يتم إلا بالتعاون المثمر بين هذه الجهات وأصحاب الاختصاص من علماء الآثار الجادين الذين ليس هدفهم إلا معرفة الحق والحقيقة . ويوجد في هذه البلاد ، ولله الحمد ، أقسام علمية أكاديمية جيدة . كما أن هذه الأقسام والهيئة العليا للسياحة يستطيعون أن يجلبوا من خارج البلاد أكاديميين مميزين يدرسون آثار وموروث هذه الأمكنة المختلف عليها . وأحذر الجميع من أهل البلاد ، أو من صناع القرار، أو من الأساتذة المتخصصين ألا ينخدعوا أو ينساقوا وراء بعض النداءات التي ليس هدفها إلا فرض حقائق مزيفة لا تقوم على سند علمي قوي . نحن جميعاً وفي أي مكان نبحث عن الصدق والواقع ليس إلا ، ولا يهمنا كيف تكون النتيجة إذا قامت على حوار ونقاش علمي صادق ورصين . (ابن جريس).

(١) أسمع وأقرأ عن المتأخرين الذين ناقشوا ودرسوا سوق حباشة، ومعظمهم يذكرون وجوده في أماكن متباينة من تهامة بلقرن، وفي نواح من شرق القنفذة ، ولا أجد ذكراً كثيراً أو دراسات منشورة تذكر وجوده في بلاد بارق الحالية وأنتم يا أهل بارق مؤخراً ومعكم فرع الهيئة العليا للسياحة في أبها، وربما بعض الأعلام الآخرين في إمارة منطقة عسير ، أو جامعة الملك خالد وغيرها يقولون ويصرون أن هذا السوق في محافظة بارق الحالية، وللأسف أن الذين يدعون أن هذا السوق في ناحية قنونا ، وأيضاً الفريق الذين ينادون بوجوده في بارق لا يملكون براهين قاطعة تحدد هذا السوق ، وكل ادعاءاتهم تقوم على نصوص مبهمة عند بعض المؤلفين المتقدمين ، وكلا الفريقين يدافع عما يريد إقراره وإثباته، وفي اعتقادي إذا اقتصروا فقط على هذه المصادر التقليدية فلن يصلوا إلى حل لهذه المشكلة ، والواجب على كل من له اهتمام بسوق حباشة أن يسخروا الغالي والنفيس في دراسة هذه المواقع المتنازع عليها وغيرها دراسة علمية أثرية لعلهم يصلون إلى حقيقة بينه وواضحة . (ابن جريس).

(٢) أنت تقول يا أحمد ثبت لجميع المؤرخين والباحثين أن السوق في حدود بارق " ، وتقصد بارق الحديثة ، وهذا قول غير صحيح ولا دقيق ، نعم ورد اسم بارق ، أو بلاد بارق عند المتقدمين ، لكن أعتقد أن أرض بارق الحالية ليست الأرض نفسها القديمة ، وليس عندكم برهان قوي يثبت ذلك ، ولو عرفتم من أين نزلت بارق من السراة إلى تهامة ، ثم كيف ساحت في الأرض حتى استقرت في مكانها الحالي ، فربما تصلون إلى إجابات لبعض النقاط الغامضة عن أرض وسكان هذه القبيلة ، وتصلون أيضاً إلى بعض الصور التقريبية التي تبين موقع هذا السوق من تهامة الممتدة من شرق القنفذة إلى وادي حلي . (ابن جريس).

(٣) جميعكم الفرقاء المتصارعون حول موقع السوق ، أوجدتم جدلاً مصطنعاً عقيماً ، وقد يظهر غيركم في المستقبل ويدعي أن هذا السوق في أمكنة أخرى غير المذكورة في بحوثكم وأطروحاتكم ، وأقول لكم جميعاً ولمن يأتي بعدكم لن تصلوا إلى حل جذري لهذه المشكلة ، إلا إذا توصلتم إلى دراسة أثرية وحفريات وتنقيبات علمية

والمراجع التاريخية التي تناولت موقع سوق حباشة عبر التاريخ، يتضح جلياً أن ما ذهب إليه القائلون بأن سوق حباشة بقرية الفائجة بالقرشة ببلقرن إنما هي أقوال واهمة لا ترقى حتى لمستوى الاجتهادية ، بل شخصية تدفعها نزوات وتعصبات تفتقر إلى الدلائل والشواهد الأثرية ، التي توصل للقناعة وتقطع الشك باليقين ، وهذه الأقوال المجانبة للصواب تمثل تجاوزاً متعمداً لمعايير الدراسة العلمية للآثار[1] ، وتجاوز على تاريخ وحضارة بارق المشهود له تاريخياً بالدلائل والبراهين ، وبهذا تتبين الحقيقة العلمية ، وتفنيد ما جاء من ادعاء لهؤلاء حول السوق ، جاءت بمغالطات للحقيقة التاريخية المعروفة من المراجع والمصادر ، وجاء مغالطاً للشواهد الآثارية التي لا تتفق مع الموضع المحدد بتاتاً ، فلا شواهد ولا نقوش ولا آثار أبداً ، تسمح بتأييد هذا الادعاء الباطل ، والتعدي على حضارة وتاريخ بارق[2] .

رابعاً : وجهات نظر :

بعد الاطلاع على هاتين الدراستين من أستاذين تهاميين كريمين خرجت بالعديد من الرؤى ووجهات النظر التي أذكرها في النقاط التالية :

١. نشكر هذين الباحثين على حبهما لأهلهما وبلادهما ، فتراهما يعملان ما في وسعهما لدراسة تاريخ وتراث وحضارة أوطانهما . وهذا ، كما ذكرت سابقاً ،

تؤكد أن هذا السوق في موضع محدد ، أما البقاء في محيط هذه الاتهامات ، والتشكيك في اعمال وأقوال ونيات بعضكم البعض ، فلن تصلوا ولن نصل معكم أيضاً إلى نتيجة وقرار نهائي في هذا الخلاف . (ابن جريس) .

(١) سمعت وقرأت بعض أقوالكم يا أهل بارق ، وأيضاً وجهات نظر وأقوال أهل العرضيات ، فوجدتكم فقط مبدعين في توجيه التهم لبعضكم البعض ، وليس عندكم أدلة دامغة تقطع هذا الجدل ، وإذا بقيتم بهذه الطريقة فلن نصل إلى حل أبداً ، وأقول لكم تعقلوا وأرشدوا وابتعدوا عن الإساءة لبعضكم البعض وتعاونوا لتخرجوا لنا معارف وعلوماً صادقة حقيقية تبين موقع هذا السوق التاريخي ، وهذا ما نرجوه ونأمله . (ابن جريس) .

(٢) عشيرة بارق والبارقيون منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي مشهود لهم بالقدح المعلى في إسهاماتهم التاريخية والحضارية داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ولا ينكر ذلك إلا جاحد أو حاقد ، ومن يستقرئ كتب التراث الإسلامي يجدها مليئة بذكر هذه العشيرة ومن ينتمي لها . لكن المشكلة التي نعيشها في هذا البحث هو موقع سوق حباشة ، الذي ذكر أنه في بلاد بارق قديماً ، وأهل بارق الحاليون يبذلون كل ما في وسعهم على أنه في ناحية ما من محافظة بارق اليوم ، ويدعون أن المصادر أثبتت ذلك ، والآثار والنفوس وغيرها أكدت هذا القول ، حسب زعمهم ، وعند مراجعة تاريخ البارقيين من الجاهلية إلى آخر العصور الإسلامية وبدايات العصر الحديث ، وكذلك مشاهدة الكثير من النقوش والآثار في تهامة مناطق الباحة وعسير ، فلم نستطع أن نتوصل إلى معلومات صحيحة لا غموض فيها تؤكد لنا التطور التاريخي لهذه العشيرة منذ نزولها من السروات إلى تهامة ، ولم نستطع أيضاً أن نصل إلى حقيقة صحيحة تؤكد وجود هذا السوق في ناحية بارق الحديثة والمعاصرة ، وكل ما يسعون له أهل بارق ومن قبلهم أهل قنونا وتهامة بلقرن تعد فقط اجتهادات وإصرارات لا تخضع لحقائق علمية تفصل القول في هذه الاختلافات والادعاءات . (ابن جريس) .

مــن بــاب الوفاء وحب الأوطان . ونأمل أن نــرى مثلهما في ديارهما ، وفي بلدان أخــرى من أرض تهامة والسراة التي هي فعلاً بحاجة كبيرة إلى دراسة تراثها وتاريخها وآثارها وحضارتها عبر عصور التاريخ .

٢. كل واحد من هذيــن الدارسين ، ووراءهما من يساندهما من بلادهم ، يدّعون أن سوق حباشة في محيط بلادهم ، وحجتهم ما ذُكر من نصوص محدودة عند بعض كُتاب التراث الإسلامي المتقدمين . وقد وجدت في هذين البحثين إصراراً شديــداً ، وتشنجــاً أحياناً ، عند كل من الأستاذيــن في الدفاع عن ما يدعيان ، ولا يتــورع الواحد منهما عــن تطويع بعض الأقوال ، والمفردات ، والعبارات التي وردت في النصوص القديمة من أجل خدمة ما يسعى إلى تحقيقه . وقد ذكرت في أكثر من حاشية من بحثيهما ، بأن ما يسلكانه من تشدد وتعصب لن يخدم الهدف العلمي السامي الذي يقود إلى معرفة المكان الصحيح لهذا السوق .

٣. ليــس الأستــاذان الرزقي والبارقــي أول من يدرس موقع هــذا السوق الجاهلي ويختلفــان في موضعه الصحيــح ، وإنما هناك بحوث حديثــة ناقشت نصوص المتقدمــين من مدوني التراث الإسلامــي ، وجميعهم خمنوا موقع هذا السوق ، ولا نجــد دليلاً قاطعاً يطلعنا علــى مكانه الدقيق حتى هذه اللحظة . ومع تطور وسائل الإعلام والتواصل نجد وتيرة الاختلافات والصراعات العلمية والثقافية تــزداد بين مــن يسعون إلى معرفة هــذا السوق . وهذان البحثــان وصاحبيهما ليــس إلا أنموذجاً مــن هذا الاختلاف . وهذا ما سمعتــه وشاهدته وقرأت عنه في هــذا العام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، عندما تجولت في البلدان التهامية الممتدة مــن محافظة محايــل في تهامة عســير إلى محافظة قلوة في تهامــة زهران[١] والشــيء المحــزن الــذي سمعته أيضــاً وعرفته في هــذه الجولــة أن بعضاً من أساتذة جامعتي الملك خالد والباحة وبعض المسؤولين في الإمارات والمحافظات وفروع الهيئة العليا للسياحة في منطقة عسير ، وبلاد القنفذة والعرضيات وما حولهــا لا يتورعــون من الانخراط في ميــدان الاختلافــات المتضاربة عن موقع ســوق حباشة ، وتراهم أيضاً مختلفــون ، فهناك من يدعي أنه في تهامة بلقرن وفي إحــدى نواحي وادي قنونــا ، وآخرون يقولون إنــه في محيط محافظة بارق

(١) انظــر تفصيــلات أكثر عن هــذه الرحلة وما تم تدوينه من خلالها في القسم الثالث مــن هذه الموسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثاني عشر ، وهو السفر الذي نحن بصدده . (ابن جريس) .

الحالية ، وآراء أخرى تقول في أمكنة أخرى من واديي حلي أو قنونا أو غيرهما. ومعظم الآراء والأقوال التي سمعتها لا تقوم على براهين منطقية وواقعية ، وإنما دافعها العنصرية والتعصب لناحية دون أخرى . كما أن بعض المشرفين أو الموظفين في فروع هيئة السياحة والآثار في منطقة عسير ، أو بلاد القنفذة، وعدداً محدوداً من المهتمين في الإدارة الرئيسية لهذه الهيئة في الرياض لم ينجوا من هذه الصراعات والاختلافات الثقافية المحمومة حول موقع هذا السوق. وأقول للجميع يجب أن يكون النبراس الأساسي والأهم هو الوصول إلى الحقيقة عن مكان هذا السوق، ولن يتم ذلك إلا بإنشاء فريق أثري علمي عملي يدرس المواقع المختلف عليها ، وإن حصل ذلك فقد نصل إلى بعض الحقائق الفاصلة التي تبين موقع هذا السوق .

٤. لاحظت ارتفاع بعض النداءات والأقوال ، بل اطلعت على بعض الخطابات أو المدونات والتقارير الرسمية والأهلية عند بعض أهالي محافظة العرضيات ، وسكان وعشائر محافظة بارق [١] ، وكل من هذين الفريقين المختلفين في تحديد مكان سوق حباشة ينادون بإعادة بعث سوق حباشة في بلادهما ، حتى يصبح مثل سوق عكاظ في محافظة الطائف الذي أصبح يعقد سنوياً في احتفالية رسمية عالمية [٢] . وأقول إن هذه المطالب من سكان هذه الأوطان التهامية وجيه ، لكننا حتى هذه الساعة لا ندري أين موقع هذا السوق هل هو ناحية وادي قنونا ؟ أم هو في محافظة بارق الحالية ، كما يدعي أهلها؟ إنها فعلاً معضلة

---

(١) يوجد في مكتبة الباحث العديد من هذه المدونات والخطابات ، ومعظمها لا تقوم على دراسات علمية رصينة ، وإنما كتبت وأرسلت بدافع التعصب للأهل والمكان ، وهذا عمل لا يستقيم مع المناهج العلمية والبحوث والدراسات الأكاديمية الحيادية.(ابن جريس) .

(٢) سوق عكاظ أشهر أسواق العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ومكانه في الجهة الشمالية الشرقية من حاضرة الطائف ، ويبعد حوالي (٤٥- ٥٠) كيلومتر من وسط مدينة الطائف اليوم . قامت العديد من المحاولات في العصر الحديث تدعو إلى إعادة إحياء هذا السوق ، وقابلت هذه الدعوات رفضاً دينياً كبيراً ، وأيضاً اختلافات عديدة في معرفة مكانه الدقيق، وأخيراً تم التوصل إلى عقده في مكانه الحالي عند التقاء الطريق التي تربط بين مدينة الطائف والطريق الذاهب إلى الرياض ، ويبعد عن مطار الطائف بالحوية حوالي (١٠-١٢) كيلومتر. ونجد أن الاختلاف بين المتقدمين والمتأخرين عن موقع هذا السوق يدور في محيط مكانه الحالي ، إلا أن المكان الذي يقام فيه السوق بشكل دقيق هو نقطة الخلاف ، والأمكنة المختلف عليها ليست متباعدة كثيراً عن بعضها البعض . المصدر: قدم الباحث محاضرة في موسم مهرجان سوق عكاظ الثاني في الفترة من (١٨-١٤٢٩/٨/٢٥هـ الموافق ١٩-٢٠٠٨/٨/٢٦م) ، والورقة المقدمة بعنوان: سوق عكاظ عند المتقدمين والمتأخرين (دراسة تاريخية) . (ابن جريس).

كبـيرة ، فالمسافـة من وادي قنونا إلى بارق الحاليـة بعيدة جداً . وسوق عكاظ الذيـن ينادون بالمساواة به مازال حتى الآن مختلفاً على مكانه الصحيح ، لكن الاختلافـات حول ذلك السـوق معقولة لأنها فقط تـدور في محيط كيلومترات محـدودة ، وقـد تم تجديد معظـم المواقع المختلفـة عليها في مـكان واحد عام عرف اليوم بعكاظ ، وصار السوق في محيطها . أما سوق حباشة فالفرق كبير ، والمناطـق المختلـف عليها متباعدة جـداً ، وأرى أنه من الصعـب تخمين مكان بعينـه . ثم إطـلاق اسم (سوق حباشة) عليه . وأقول لكل من له اهتمام بهذا الشـأن من أهل تهامة في العرضيـات أو بارق ، أو من له رأي ، أو قول ، أو قرار ، أو حتى باحث أو دارس، أن لا ينساقوا وراء النعرات العشائرية والقبلية ، فلا يكـون هدفهم إلا الانتصار لأنفسهم أو أهلهـم دون الالتفات إلى القول الحق ، والحقيقة الأكيدة التي يقوم عليها إعادة بعث هذا السوق. نحن لا نقول إن ذلك مستحيـل ، لكن مما سمعت وقرأت وشاهدت في محيـط بلدان تهامة والسراة القريبة من هذه الأمكنة ، المدعى أنها في محيط حباشة أو قريبة منه ، لا تنبي بالوصـول إلى الحقيقة التي نرجوها ونتطلع إليها . وإذا نجح فريق على الآخر دون الاستناد على براهين أثرية وحفريات وتنقيبات علمية قاطعة ودامغة لمكان السـوق الحقيقـي ، وإلا فلا جـدوى من هذه النـداءات والتحقيقـات والأقوال والآراء والتقاريـر التي يغلب عليهـا الصبغة المناطقيـة والعنصرية القبلية. (والله من وراء القصد).

خامساً: بعض التصويبات والإضافات على كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء التاسع) . بقلم أ . علي بن محمد بن سدران الزهراني [(١)] .

أولاً: مدخل:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، وبعد: في بدء مقالي أود أن أصحح بعض ما ورد في كتاب الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الشهري: "**القول المكتوب في تاريخ الجنوب" الجزء التاسع**، من أخطاء أغلبها نحوية، وليت الدكتورين: أنور العزاني، أستاذ النحو المساعد، والدكتور: إبراهيم بن محمد أبو طالب، أستاذ الأدب المشارك، راجعا الكتاب كله ولم يكن أغلبه أو أجزاء منه، لتلافي الأخطاء الشاملة الواردة في المتن والحاشية[(٢)].

ثانياً: تصويبات وإضافات على كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء التاسع):

صفحة (١٣) السطر السادس: "أن يأت". الصواب: "أن يأتي". **صفحة (١٧)** السطر الثاني عشر: "دورًا كبيرًا". الصواب: "دور كبير". **صفحة (١٧)** ألا ترى أستاذي أنَّ ملوك اليمن لم يصل حكمهم إلى شمال اليمن، لِما ذكره صاحب كتاب "تاريخ العرب القديم" بيومي مهران. حين أشار إلى لقب ملوك حمير بعد أن ضموا بعض البلاد اليمنية إلى مملكتهم، فقال (ص ٣٠٠): "وعلى أي حال، فإن عصر

---

(١) للمزيد عن الأستاذ علي بن سدران انظر متن وحاشية مشاركته في الدراسة الأولى بهذا القسم. (ابن جريس) .

(٢) الأستاذان الآنف ذكرهما أعلاه يعملان في كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك خالد. وهما من دولة اليمن الشقيقة، ولهما جهود علمية مباركة في تخصصاتهما. كما أن صاحب هذه الملحوظات (ابن سدران) أرسل أيضاً دراسة أخرى حول قبيلة دوس وقدم إسلامها، وقد نشرناها مستقلة في المحور الأول من هذا القسم. (ابن جريس) .

الدولـة الحميرية هـذا ، إنما تميز كذلك بأن لقب الملوك سرعـان ما تغير مرة أخرى ، فأصبح الواحد منهم يلقب بلقب : "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات ، وأعرابها في المرتفعـات وفي التهائـم" . قلـت: ومعلوم أن الهاء في كلمة "أعرابهـا" يعود إلى "سبأ وذي ريـدان وحضرمـوت ويمنــات" . والمناطق الشمالية عن عسـير ، ليست من أعراب هـذه القبائل اليمانيـة المذكورة . ولعل قوله : " في المرتفعـات وفي التهائم " إنما يقصد مرتفعـات اليمـن وتهائمها . لقول جواد علي ، صاحب كتـاب " المفصل في تاريخ العرب قبـل الإسـلام (٢٢/٦) : "وليس مـن السهل أيضًـا تصور بلوغ نفوذ "ملـوك سبأ وذي ريـدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الجبـال وفي تهامة المواضع التي ذكرها إخباريو اليمن وقد رأينا آثار الوهن بادية على تلك المملكة .. " . فكيف نوفق بين هذا القول ومن قـال عـن حكم الملك "أب كرب أسعـد" : قد امتد إلى التهائـم - بأعرابها وقراها - وإلى قبائـل "معد" التي تمتد منازلهـا من نجران إلى مكة ونجد" . فهل انحسر حكمهم عن هذه المناطق بعد هذا الملك ؟ ثم إن من تفرّد بهذا اللقب من ملوك حمير إنما هو : "أب كـرب أسعـد" ، لقول جواد علي في : "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٢٣/٤) : " ويلاحظ أن أهل الأخبار قد صيروا اسم "أب كرب أسعد" "أبكرب أسعد" "أبي كرب أسعـد" على هـذا النحو : "أسعد تبـع" و"أسعد تبع ابن ملكيكـرب" و"أسعد الكامل" ، فأسقطـوا "أب كرب" "أبكرب" منه ، وأخـذوا الجزء الأخير منه وهو "أسعد" . ويظهر أن فتوحاتـه كانـت قد تركت أثرًا في ذاكرة أهل اليمن، .. وقد تولى هذا الملك - على رأي المستشرقـين - الحكم منفـردًا من سنة (٤٠٠) بعد الميلاد حتى حـوالي سنة (٤١٥) أو (٤٢٠ب . م .) على رأي، أو من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠ب . م .) على رأي آخر ، أو مـن سنــة (٣٧٨) حتى سنة (٤١٥ب . م .) على رأي "فلبي" . والذي أراه أن حكمه امتد إلى مـا بعد السنة (٤٣٠) للميلاد، كمـا سأشرح ذلك في موضعه. وقد أضاف إلى لقب "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت" الذي ورثه من أبيه إضافة جديدة في آخره، هي : "واعربهمو طودم وتهمتم" ، أي : "وأعرابها في الجبال وفي التهائم" ، فصار بذلك أول ملك يحمل هذا اللقب" [١] .

صفحـة (١٨) أراك لم تتطـرق إلى ولاة زهران وغامد الذين عينهم الرسول (ﷺ)

---

(١) نحترم رأيك يا أستاذ علي وكل من كتب عن بلاد اليمن وعن ملوكها ، وأقول إن تاريخ اليمن القديم مازال يحتاج إلى دراسـات أعمق وأشمل مع الاعتماد علـى الحفريات والتنقيبات الأثرية التي قد تظهر لنا بعض التفصيلات والأخبار المخالفة لما وصلنا في الكتب والدراسات المطبوعة . (ابن جريس) .

في عهـده ، أو أولئك الذين سبقوا عهده فمن ولاةِ زهران الذين عينهم المصطفى (ﷺ) على دوس (وهران) الصحابي الجليل : سَعْدِ بْنِ أَبِي ذُبَاب أو ذباب الدوسي (رضي الله عنه)، واستمـر واليًـا على دوس (زهران) حتـى عهد الخليفة الراشد عمر بـن الخطاب (رضي الله عنه) ، جـاء في التاريخ الكبير للبخاري (٤٦/٤) : عَنْ سَعْـدِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمْتُ فَقُلْتُ : اجْعَلْ لِقَوْمِي مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ وَاسْتَعْمَلَنِي عَلَيْهِـمْ ثُـمَّ اسْتَعْمَلَنِـي أَبُو بَكْـرٍ ، وَعُمَرُ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمَا" . أمَّا ولاتهـم في السراة قبل الإسلام فقد ذُكر منهم : مالكُ بن فهم الدوسي ، وأخوه عمرو ، وحممة بن رافع ، وابنه عمـرو بن حممـة وغيرهم ، وهناك في عُمَان آل الجلنـدي ، وجذيمة الأبرش في الحيرة بالعـراق ، وسَلِيمـة بن مالك في مكران ببلاد فارس ، ومن قبل هؤلاء كان مالك بن فهم الدوسي[1] .

صفحة (١٩) السطر الأول : العبـارة في الطبري كالآتي : "وَبَعَثَ مَعَهُ – أي مع فروة – خَالِـدَ بْـنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَلَى الصَّدَقَـةِ " ، بزيادة (معه)**. صفحة (٢٠)** السطر السادس: "سعـد بن العاص" . والصواب : "سعيد بن العاص" . **صفحة (٢٤)** السطر السابع : الذي في كتاب : المحبر (٣٣/١) هي : ريطة بنت عبيد (وقيل عبيد الله) بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان .. (بزيادة : عبيد) . وصفحة (٣١) السطر (١٤) **صفحة (٢٤)** السطـر الحادي عشـر : الذي في تاريخ الطبري (٤٥٩/٧) : ووجه محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان على اليمن . فاسمه "يزيد" . وليس "زيد". وكذلك في نهاية الأرب في فنون الأدب (٦٠/٢٢) . **صفحة (٢٥)** (قلد الخليفة العباسي المقتدر: محمد بن يوسـف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الجهضمي الزهراني الأزدي ، قضـاء القضاة سنة : سبع عشرة وثلاث مائة . وهو منصب يعادل وزير العدل في هذه الأيـام ، فلمـاذا لم تشر إليـه (وحديثك عـن الأزد بعامة) ، وهـو كان في أكبر منصب قضائـي في ذلك الزمان ؟ وهو واحد من أربعـة قضاة من زهران تولوا هذا المنصب في دولـة بني العباس[2] . **صفحة (٢٦)** ومن ولاة **زهـران** : " **أبو هريرة** رضي الله عنه ، كان

(١) أشكـرك يـا ابن سدران على هـذه الإضافات العلمية الجيـدة ، وأرجو وأتمنى أن تفرد لنـا دراسة مستقلة عن التاريخ الإداري والمالي في سروات غامد وزهران منذ قبل الإسلام وخلال القرون الأولى من العصر الإسلامي . وهـذا الموضـوع فعلاً يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، وإن لم تستطع يا ابن سدران إخراج دراسة عن هذا العنوان فأرجو أن نرى أحد الباحثين الجادين في منطقة الباحة فيخرجه في هيئة بحث أو دراسة علمية موثقة .(ابن جريس) .

(٢) هـذه الدراسـة جهد لا ندعي فيها الكمال ، وليس من طبعـي أو منهجي أن أغمط حق أحد، ونحن جميعاً طلاب

علــى البحرين زمن عمــر بن الخطاب (رضي الله عنـه) ، وأحيانًا على إمــرة المدينة النبوية ، زمن معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) وجنادة ابن أبي أمية العبري ثم الزهراني الأزدي . (رضي الله عنه) ، أمير البحر في عهد معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)، وكثير غيرهم. انظر : تاريخ الطبري : (٨/ ٢٥) ، والكامل لابن الأثير : (٥/ ٥٨٢) . وتاريخ خليفة بن خياط: **صفحة (٤٢٥).** و"عبـد الجبار بـن عبد الرحمن بن زيد بن قيل بـن قيس بن زيد بن جابـر بـن رافد بن سبالة بن عامر ابن عمرو بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن عامر بـن بكـر بن يشكر بن مبشر بن الصعب بن دهمان ابن نصر بن زهران" . ولاه المنصور خراسـان سنـة أربعين ومائة للهجرة ، واستخلف على شرطـه أخاه عبد العزيز بن عبد الرحمـن الأزدي .و" عقبـة بن سلم بن نافع بن هلال بن صهبان بن هراب بن عائذ بن خنزيـر ابن أسلـم بن هناءة ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بـن زهـران" ، استخلفه محمد ابن أبي العباس السفاح ، على البصرة سنة مائة وسبع وأربعين للهجرة، فأقره المنصور على ولايتها وأضاف إليه البحرين ، فشخص عقبة إلى البحريـن ، واستخلف على البصرة ابنـه: نافع بن عقبة ، سنة خمسين ومائة[١]. وكثير غيرهم .

ومـن رجال غامـد : ورد في : تاريخ أصبهان = أخبار أصبهـان (١/ ١٠٠): مخْنَفُ بْـنُ سُلَيْـم ابْنِ الْحَارِث بْنِ عَوْف بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَامِر بْنِ ذُهْل بْنِ مَازِنِ بْنِ ذُبْيَانِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بـنِ الدُّوَلِ بن سَعْد مَنَاةَ بْنُ غَامد ، (رضي الله عنـه) ، اسْتَعْمَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالب (رضي الله عنه) ، وَوَلَّاهُ أَصْبَهَـانَ" . وسفيـان بن عوف الغامدي(رضي الله عنـه) ، قائد الأسطول الحربي زمن معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) وغيرهم . وعبد الرحمن بن نعيم بن زهير بن شهر بن رزيـق بن عـامر بن ذهل بن التوأم بـن بكر بن ثعلبة ابن الدول بن سعد مناة بن غـامد. كان شريفا ، من وجوه خراسان ، ولاه عمر بن عبد العزيز رحمه الله خراسان سنة مائة للهجرة " . والبحث يتطلب منك ذكر بعض هؤلاء مع مَن ذكرت من ولاة السراة ، لكونك تتحدث عن بلاد الأزد وأعلامها [٢]. **صفحة (٢٧)** السطر الرابع : صحة اللفظة (ثِمَالُهم)

علـم ، وهنـاك الكثير من الأعـلام المشاهير في الدولـة الإسلامية عبر أطـوار التاريخ الإسلامي وبعضهم مـن أرض تهامة والسراة ، ونأمل أن يظهر في المستقبل من يحصر هؤلاء الأعلام ويكتب عنهم دراسات مطولة .(ابن جريس) .

(١) تاريخ الطبري : ٨/ ٢٥ ، الكامل لابن الأثير : ٥/ ٥٨٢ . ،تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢٥ .(ابن سدران) .

(٢) أقـول بـلاد السراة وتهامة مازالـت بحاجة ماسة إلى دراسـة تاريخها وحضارة أهلها خلال عصـور التاريخ القديم والإسلامـي . ونأمل من طالباتنا وطلابنا في أقسام التاريـخ في المملكة العربية السعودية (برامج الدراسات العليا) أن يقوموا بدراسة هذه الأوطان وغيرها من البلدان المنسية عند كتاب التراث الإسلامي الأوائل .(ابن جريس).

(الثمال : الغياث الّذي يقوم بأمر قومه) قال الشاعر عبد الله ابن الزبعري[١] :

وقد علمت عليا معدّ بأنكم ثمالهم في المضلعات النوائب

صفحة (٢٨) السطر الخامس: هناك اختلاف بين عهد أبي بكر (رضي الله عنه) ، الذي كتبه لأهل نجران ، في كتابَي: تاريخ الطبري ، وكتاب : الخراج " . وهو اختلاف جوهري لم يشر إليه الدكتور .**صفحة** (٢٨) السطر الخامس عشر : كتاب عمر (رضي الله عنه) ، الذي أورده الأستاذ الدكتور في هذه الصفحة لم أجده في النسخة التي بحوزتي من كتاب البلاذري ، وإنما أورد جزء منه البكري في كتابه : "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٢/٦٦٠) . **صفحة** (٢٩) السطر الثاني : كتاب عمر (رضي الله عنه) ، لأهل نجران ، ليس في كتاب البلاذري كما ذكر الأستاذ الدكتور ، ولعله في كتاب آخر ، لكن ورد في كتاب "الخراج" : " أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : "وَجَّهَ يَعْلَى بْنَ أُمَيَّةَ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يُقَاسِمَ أَهْلَ الأَرْضِ عَلَى الثُّلُث وَالثُّلُثَيْنِ مِمَّا أَخْرَجَ اللَّه مِنْهَا مِنْ غَلَّة ، وَأَنْ يُقَاسِمَهُمْ ثَمَرَ النَّخْلِ مَا كَانَ مِنْهُ يُسْقَى سَيْحًا ؛ فَلِلْمُسْلِمِينَ الثُّلُثَانِ وَلَهُمُ الثُّلُثُ وَمَا كَانَ يُسْقَى بِغَرْب فَلَهُمُ الثُّلُثَانِ وَلِلْمُسْلِمِينَ الثُّلُثُ" . وكذلك في كتاب : مجموعة الوثائق السياسية ١٩٣ . وحبذا لو أورد الدكتور عبارة : "وسراة نجران" الخالية من التشكيل ، على النحو التالي : "وسُرَاة نجران" . لأن المقصود : بها هنا : كبار القوم ، حتى لا يظن القارئ أن الخطاب موجه للنصارى الذين في سَراة جنوب الجزيرة العربية وإنْ كانت وجهتهم معروفة لورود اسم "الكوفة" في الخبر ، مما يدل على أنهم سكان : "النجرانية" بالعراق ، التي رحلهم إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢] . **صفحة** (٢٩) السطر الرابع عشر : وددتُ أن يكتب الأستاذ الدكتور بعد قوله : "لنصارى نجران" : العبارة الآتية "الذين في النجرانية بالعراق" . لأن عمر (رضي الله عنه) ، في عهده رَحَّلهم إلى العراق ، في موضع سُمي "النجرانية" بناحية الكوفة ، ولقول علي(رضي الله عنه) ، في الكتاب الآتي: "لأهل النجرانية" أما كتاب علي(رضي الله عنه) ، الذي أورده الدكتور ففيه نقص كثير ، وقد أورده كاملاً صاحب كتاب "الخراج" لكن الدكتور اختصره ، وها هو نص الكتاب : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ

---

(١) ديوانه : ٣٠ . (ابن سدران) .

(٢) نحن مدينون لك يا ابن سدران ، فلقد صححت لنا معلومات كثيرة وقيمة في هذه الدراسة وما سبقها من دراسات ونأمل من سعادتكم ألا تحرموا طلاب العلم من بحوثكم وأقوالكم ووجهات نظركم الجيدة والسديدة (بإذن الله تعالى) .(ابن جريس) .

عَبْد اللّه عَليِّ بْن أَبي طَالب أَمير الْمُؤْمنينَ لأَهْل النَّجْرَانيَّة ، إِنَّكُمْ أَتَيْتُمُوني بكتَاب منْ نَبيِّ اللّه(ﷺ) فيـه شَرْط لَكُمْ عَلَى أَنفسكُـمْ وَأَمْوَالكُمْ ، وَإِنِّي وَفَّيْتُ لَكُمْ بمَا كَتَبَ لَكُمْ مُحَمَّد (ﷺ) وَأَبُـو بَكْـر وَعُمَرُ؛ فَمَنْ أَتَى عَلَيْهمْ منَ الْمُسْلمينَ فَلْيَـف لَهُمْ وَلا يُضَامُوا وَلا يُظْلَمُوا وَلا يُنْتَقَصُ حَـق منْ حُقُوقهمْ"[١] . **صفحة (٢٩)** السطـر السابع : "ضيف" . الصواب: "حُنيف" . السطر الثامن : "جزيتهم" . الصواب : "من جزيتهم" . **حاشية صفحة (٣٦)** السطر الثاني عشر: يقول الدكتور عن ثاج : "ماء لبنى الفرع من خثعم ، من مياه بيشة" . ويقول الحموي في معجمه : (٢/٧٠) : "ثاج : قرية بالبحرين ، قال : ومر تميم ابن أبيّ بن مقبل العجلاني ، بثاج على امرأتين فاستسقاهما فأخرجتا إليه لبنا ، فلما رأتاه أعور أبتا أن تسقياه ، فقال في قصيدة :

يـا جـارتَـيّ ، عـلـى ثـاج سبيلكما   سـيرا شـديـدا، أَلَمّـا تـعـلـمـا خـبري

والقصة وردت كاملة مع القصيدة في ديوانه (٦٩) ولعل ذلك هو الصواب لشهرة تلك القرية . **صفحة (٣٧)** السطر الثالث : "السواقي" . صوابها : "السوافي" . أي الرياح التي تسفي التراب .

قال ذو الرمة[٢] :

لـمـيـة أطــلال بــحــزوى دواثــر   عفتـهـا الـسـوافي بَـعـدنَـا والمـواطـر

حاشيـة صفحـة (٣٧) السطر الثاني : يقول الأستاذ الدكتـور عن وادي (أبو تراب) : "هو واد في مدينة بيشة يقال له أبو تراب" . والصواب "أن الاسم الوارد هو : "بَيْش" لا "بيشة" ، وهو واد فيه مدينة يقال لها : أبو تراب" كما جاء في كتاب : " معجم البلدان ٥٢٨/١" : "بيْشُ : بالشـين المعجمـة : من مخاليف اليمن ، فيه عـدّة معادن ، وهو واد فيه مدينة يقال لها : أبو تراب ، سميت بذلك لكثرة الرياح والسّوافي فيها .. ، قال ربيعة اليمني يمدح الصّليحيّ :

قـرنـت إلى الـوقـائـع يــوم بـيـش   فـكـان أجـلّـهـا يــوم الـسّـبـاق

ثـم ذكـر (بيش) في الصفحة نفسهـا فقال : "بِيشٌ : بكسر أولـه : من بلاد اليمن

---

(١) للمزيد عن تاريخ نصارى نجران في بلاد نجران نفسها وفي أرض الكوفة انظر: غيثان بن جريس. نجران (ق١ـ ق٤هـ/ق٧ـ ١٠م) (دراسة تاريخية). (الرياض : مطابع الحميضي (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الثاني) ، ص ٤٨٤ وما بعدها ابن جريس) .

(٢) ديوانه : ١١٦ .(ابن سدران) .

قرب دهلك، له ذكر في الشعر . قال أبو دهبل من أبيات له يذكره[١] :

لا تخالي أنّي نسيتك لمّا حال بيش ومن به خلف ظهري

ذكره الجاسر في معجمه (٥٦/١) فقال: "الوادي المعروف في منطقة جازان" .
قلت: قامت عليه الآن مدينة كبيرة . **صفحة (٣٩)** السطر الأول: "نكثر" . صوابها: "يكثر" .
حاشية صفحة (٣٩) السطر الثاني: ذكر الدكتور موضع باسم: "حنذ" وقال عنه: (موضع قريب من مكة من ديار بني سعد وعليه نخل ..) وأحال على لسان العرب . قلت : لم أجد هذا القول في "لسان العرب" بل وجدت فيه (٤٨٦/٣) : "وَفي أَعْراضِ مَدينَة سَيِّدنَا رَسُولِ اللّه ، ﷺ ، قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَدينَـة النَّبَوِيَّة فِيهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ يُقَالُ لَهَا حَنَذ" . وقد ذكرها أحيحة بن الجُلاح في رجزه فقال[٢] :

تَأَبَّرِي يَا خَيْرَةَ الفَسِيلِ تَأَبَّرِي مِنْ حَنَذٍ فَشُولي
إِذْ ضَنَّ أَهلُ النَّخلِ بالفُحُولِ

أمّا التي ذكرها صاحب لسان العرب فهي : "**حَنيذ**" فقال : "قَالَ الأَزهري : وَقَدْ رأيت بِوَادي السِّتارَيْن منْ ديَار بَني سَعْد عينَ مَاء عَلَيْه نَخْلٌ زَيْنٌ عامِرٌ وَقُصُورٌ منْ قُصُور مِيَاه الأَعراب يُقَالُ لذَلكَ المَاء حَنيذٌ ، وَكانَ نَشيلُه حَارًّا فإذا حُقنَ في السِّقَاء وَعُلِّقَ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى تَضْربَهُ الرِّيحُ عَذُبَ وَطَابَ" . **صفحة (٣٩)** السطر الثالث . قول : "وكذلك وادي ترج" كأنك تقارن هذا الوادي بمدينة "حنذ" السابق ذكرها في كثرة النخل ، ونسبت هذا القول في الحاشية لابن منظور لكن ابن منظور لم يصف وادي ترج إلا بأسوده الشرسة ، أو عبير ثمر الأُتْرُج المنتشر فيه ، ولعل تلك العبارة صادرة عنك لا عن ابن منظور . **صفحة (٤٢)** أغلب المصادر تذكر أن الرسول ﷺ : كُفِّن في ثلاثة أَثْوَاب بيض سَحُوليَّة لَيْسَ فيهَا قَميصٌ وَلا عمَامَةٌ . زاد في صحيح مسلم : "سَحُوليَّةٌ منْ كُرْسُفٍ" وكذلك في صحيح البخاري ، وهي رواية عن المفصل أيضًا مصدر الدكتور ، إلاّ أن الدكتور غيثان اعتمد على الرواية الثانية التي أوردها المفصل نقلا عن لسان العرب ، لكن وردت روايتان عن كتاب البداية والنهاية ، الأولى تذكر أن أحد الأثواب الثلاثة برد نجراني ، لقول أمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ "كُفِّنَ في ثَلاثة أَثْوَاب أَحَدُهَا بُرْدٌ نَجْرَانيٌّ" . والثانية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، (رضي الله عنهما) : "أَنَّ رَسُولَ اللّه (ﷺ) ،

(١) ديوانه : ١١٦ . (ابن سدران) .
(٢) معجم البلدان (٣١١/٢) . والرجز في ديوانه :١٦ (ابن سدران) .

كُفِّنَ فِي ثَلَاثَة أَثْوَاب ; فِي قَميصه الَّذي مَاتَ فيه ، وَحُلَّة نَجْرَانيَّة" الْحُلَّةُ ثَوْبَانِ[١] . وجاء في : "مغازي الواقدي (٢/٥٢٧) : "ثُمّ كُفِّنَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب صُحَارِيّة" . وفي : سيرة ابن هشـام (٢/٦٦٣) : "كُفِّنَ فِي ثَلَاثَـة أَثْوَابَ ، ثَوْبَيْنِ صُحَارِيَّيْنِ وَبُرْد حَبِرَة" . أَمَّا أن يكفن (ﷺ) ، في ثلاثـة أثواب كلهـا نجرانية ، فلم يورده سوى لسـان العرب . ولعل الصواب مـا ورد في أغلب المصادر لاسيما في صحيحي البخاري ومسلم [٢] . **صفحة (٤٢)** لم يذكر سعـادة الدكتور: وادي "أبيـدة" بيدة ، واشتهاره بصناعة الجبـاب الصوفية المسماة : "البِيْـدِي" . **صفحة (٤٤)** جاء في : مرويـات غزوة حنين وحصار الطائف (١/٢٩٦) عن الطفيـل بن عمرو الدوسي(رضي الله عنه) : "وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعًا ، فوافوا النبـي(ﷺ) ، بالطائـف بعد مقدمـه بأربعة أيـام ، وقدم بدبابة ومنجنيـق" . وهو أول منجنيـق رمي به في الإسلام ، لقول الزرقاني ، في "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنـح المحمديـة(٤/١٠) : وهو أول منجنيق رُمي به في الإسلام ، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين" . فلماذا لم تضفه مع قولك عن أهل جرش الذيـن إن ثبت صنعهم له ، وزهران الذين استقدمـوه ؟ [٣] . **حاشية صفحة (٤٤)** السطر الثاني : صحة لفظة : "الصنور" هي : "الضبور" . والشرح هو أما الصِّنَّوْر فقال عنها صاحـب لسان العـرب (٤/٤٦٨) : "البخيل السيّء الخُلُـق ، والصَّنانيرُ السيِّئُو الأدب ، وإن كَانُـوا ذَوي نَبَاهَـة" . **حاشيـة صفحـة (٤٥)** السطر الثاني : عجز البيـت: "الشرع" . والصـواب : "الشرعـيّ" . والشرعي المُوَتَّـر . لكن كيف نوجِّه قول الشاعر الشماخ الذي رد صناعتها إلى يثرب وليس إلى السراة فقال في ديوانه صفحة(٤٢٩) :

عَـنْـسٌ مُـذَكَّـرَة ،كـأَن ضُـلوعَـها أُطُـرٌ حَـنـاهـا الـمـاسِـخِـيُّ بـيَـثْرب

صفحة (٤١) السطـر الرابع عشر . صحة العبارة كما وردت في كتاب المفصل لجواد علي : " وقد كانت السلطات الحاكمة تأخذ "الخمس" من معادن "الفرع" ، و"نجران" ، و"ذي المـروة" ، و"وادي القـرى" . مما يدل على أن **الناس** كانـوا يستغلون مناجم هذه الأرضين في الإسـلام " . **صفحة (٤٦)** السطر الرابـع : في المتن وردت : "الحرائز" . وفي السطر الرابع: من الحاشية : "الحرائر" . والصواب ما ورد في المتن .

---

(١) البداية والنهاية (٥/٢٨٥) (٥/٢٨٤) . (ابن سدران) .

(٢) أشكرك يا أستاذ علي على هذا التوضيح والتفصيلات القيمة .(ابن جريس) .

(٣) تحليل جيـد ومازالت هـذه النقطة تحتـاج مزيد من الدراسـة والتفصيـل، وبخاصة صناعة مثـل هذه الآلات العسكرية الكبيرة، وهل فعلاً وجدت في أرض جرش .(ابن جريس) .

صفحة (٤٧) أورد أستاذنا الدكتور عن الأسواق قول جواد علي الآتي : "ويقصدها المشترون للشراء .." وذكر جواد بعد هذا الأسواق الموسمية . إلا أن الأستاذ الدكتور لم يأت بنموذج لهذه الأسواق الموسمية في بلاد السراة . قلت لقد كان في ديار دوس بني فهم في قرية (رَمَس) بوادي "ثُرُوق" التاريخي سوقًا موسمية تُسَمى : سوق سُليم" تعقد في السنة مرتين مرة في أيام عيد الفطر ومرة في أيام عيد الأضحى لمدة ثلاثة أيام في كل عيد ، وهذه السوق التاريخية بجوارها حَجَر القَطِرة الذي كتب عنه الشيخ حمد الجاسر رحمه الله ، في كتابه "في سراة غامد وزهران" . ذكر لي هذه المعلومة الشيخ عبد ربه رحمه الله شيخ قبيلة دوس بني فهم [1] . **حاشية صفحة (٤٧)** السطر الحادي عشر : الشعر : عجز البيت الأول: "لمؤخرة" . صوابه : "لآخرة" . وعجز البيت الثاني: "حسرة" . صوابه : "جسرة" . وعجز البيت الثالث : "تعلي" . صوابه : "تغلي" . انظر: ديوان أبي ذؤيب الهذلي: (٤٠) . **حاشية صفحة (٤٨)** السطر الخامس : بل كانت سوقا من أسواق العرب ضمت الأزد (أزد السراة) وغير الأزد ، قال صاحب كتاب : الروض الأنف (٢/ ٢٩٠) وَأُمّ زَيْد سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ [بْن عَبْد عَامر] مِنْ بَنِي مَعْن مِنْ طَيّء ، وَكَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ بِزَيْد لِتُزِيرَهُ أَهْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُ خَيْلٌ مِنْ بَنِي الْقَيْن بْن جسْر ، فَبَاعُوهُ بسُوق حُبَاشَةَ - وقيل بسوق عكاظ وهو الأغلب- وَهُوَ مِنْ أَسْوَاق الْعَرَب ، وَزَيْدٌ يَوْمَئذ ابْنُ ثَمَانيّة أَعْوَام، ثُمّ كَانَ مِنْ حَديثه مَا ذَكَرَ ابْنُ إسْحَاقَ" . إذًا هي سوق جامعة للعرب "الأزد" وغيرهم ، كغيرها من الأسواق الجاهلية والإسلامية القديمة [2] .

حاشية صفحة (٤٨) السطر التاسع عشر : يقول الأستاذ الدكتور عن أبي صيفي : " اشتريت حيّة من سوق حُبَاشَة.." . ولعل الدكتور يظن أنها سوق حباشة التي في تهامة الأزد كما يفهم من قوله، والصواب أنها السوق التي لبني قينقاع في المدينة النبوية، كما ورد في تكملة الخبر الذي أورده الدكتور من كتاب "ياقوت الحموي(٢/ ٢١١) ، وكما قال صاحب كتاب : "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (٤/ ٩٥) "حباشة أي بالحاء المهملة ثم الموحدة وشين معجمة بعد الألف، كثمامة سوق وكانت لبني قينقاع" ويوضحها أكثر

(١) يا أستاذ علي هذا أنت والجاسر وغيركما أشرتما إلى صور من تاريخ قبائل زهران في الجاهلية والإسلام. ونحن متعطشون إلى أن نرى دراسة تاريخية حضارية تفصيلية عن بلاد زهران (تهامة وسراة) ، وأنت يا أبو محمد أفضل من يتصدى لهذا الموضوع ،كونك من أهل هذه البلاد ، وأيضاً صاحب ريادة وتخصص في تاريخها وموروثها الحضاري . ونأمل أن نراك تخرج لنا هذه الدراسة في السنوات القريبة القادمة .(ابن جريس) .

(٢) تاريخ الأسواق في بلاد السراة في الجاهلية والإسلام من الموضوعات التي تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة . .(ابن جريس) .

صاحب كتاب "المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (٩٦/١) فيقول : "لأن بني قينقاع بالمدينة وهو اسم لسوقهم ، ويقع مكانه في عوالي المدينة" ويقول أيضًا " : ذكر أن صيفيا وأبا صيفي ابني هاشم بن عبد مناف ، من أَمَة سوداء، اشتريت من سوق حباشة، وهي سوق لقينقاع ، كان يملكها عمرو بن سلول أخو أبيّ بن سلول المنافق". إذًا فتلك الحادثة تمت في سوق بني قينقاع بالمدينة النبوية ولم تتم في سوق حباشة تهامة من أرض بارق والله أعلم[1]. كما ورد في الحاشية أن اسم ولد هاشم بن عبد مناف : "صيفًا ، والصواب: أن اسمه: "صيفي" كما ورد في كتاب معجم البلدان .**حاشية صفحة (٤٩)** السطر الثامن عشر: صحة اللفظة في المصدر: "الحفر. وليست: "الجفر". **صفحة (٥٠)** اختصر الدكتور كثيرًا من المواضع التي أتى عليها جواد علي وغيره ، في الطريق من نجران إلى مكة المكرمة ، ليته ذكرها للفائدة[2]. **صفحة (٥٢)** السطر الرابع عشر: صحة اللفظة : "بهدد" : "يهدد" . **صفحة (٥٤)** السطر الخامس: التي ولدت الكملة هي فاطمة بنت الخرشب الغطفانية ، كما جاء في كتاب: "شعراء النصرانية" وغيره حيث قال في نسبها : فاطمة بنت الخرشب واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان . وكذلك في المحبر ، على قصر في نسبها ، حيث قال: وفاطمة بنت الخُرشب الأنمارية : ولدت الكَمَلَة من بني عبس وهم (الربيع) الكامل و (قيس) الحفاظ ، وقيل الحناط ، و(عمارة) الوهاب و(أنس) الفوارس. وهي التي قيل لها وليس لأم خارجة "أي بنيك أفضل" والقائل لها كما جاء في كتاب : شعراء النصرانية (٧٨٧/٦) هو : عبد الله بن جدعان ، فقد " لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها : "نشدتك برب هذه البنية أي بنيك أفضل؟ فقالت : القول الذي أثبته الدكتور لأم خارجة ، وقيل أنها قالت غير هذا القول، وهو مبثوث في بعض المصادر . وهي إحدى المنجبات ذكر الزركلي أنه "يضرب بها المثل: " أنجب من فاطمة ". ولَمَّا أغار حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر الفزاري على بني عبس وظفر بها.. فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت خوفًا من أن يلحق بنيها عار فيها". وأمَّا زياد العبسي ، فلم يكن زوجًا لأم خارجة على كثرة مَن تزوجها وإنما كان زوجًا لفاطمة بنت الخرشب ، وهو والد بنيها المتقدم ذكرهم، جاء في كتاب "شعراء

---

(١) شكراً على هذا الإيضاح والتصويب . وللمزيد عن سوق حباشة تهامة انظر تفصيلات أكثر عن هذا السوق في الدراسة الثالثة من هذا القسم .(ابن جريس) .

(٢) الطرق التي تربط اليمن بالحجاز عبر بلدان تهامة والسراة تستحق أن يفرد لها دراسات مطولة في عصور ما قبل الإسلام وبعده. كما أن هذه الطرق بحاجة إلى دراسات أثرية أيضاً . (ابن جريس) .

النصرانية (٧٨٧/٦") : ولدت فاطمة بنت الخرشب، من زياد بن عبد الله العبسي سبعة فعدت العرب المنجبين منهم ثلاثة وهم خيارهم فمنهم الربيع ويقال له الكامل وعمارة وهو الوهاب وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة وقيس وهو البرد والحارث وهو الحرون ومالك وهو لاحق وعمرو وهو الدراك" .

صفحة (٥٦) السطر السابع : يقول الدكتور عن المرأة من الحمس : "وعند زواجها اشترطوا على زوجها أن يكون أبناؤها أحمسيين على دينهم" . وعزا هذا القول إلى جواد علي في كتابه: المفصل . قلت هذا القول يطلقونه على من لم يكن من الحمس ، لقول جواد علي ، مصدر الدكتور : " فكانوا إذا زوجوا امرأة منهم لغريب عنهم، أي لمن كان من الحلة اشترطوا عليه أن كل من ولدت له فهو أحمسي على دينهم[1]. "

وكما جاء في كتاب : دراسات في تاريخ العرب القديم (٣٨٠) : "وإذا ما تزوجت امرأة منهم بغريب عنهم، اشترطوا أن يكون أبناؤهم منهم" . **صفحة (٥٧)** السطر الثامن : الزواج من الأباعد تمارسه كل القبائل العربية جاهلية وإسلامًا ، والأمثلة على ذلك لا حصر لها. فمن الأباعد بعض جدات الرسول ﷺ ، كانت من الأزد (من زهران) وهي فاطمة بنت سعد بن سَيَل، أم قصي بن كلاب، وأخيه، وأختهما[2] . **حاشية صفحة (٥٧)** السطر التاسع : صحة العبارة كما وردت في مصدر الأستاذ الدكتور : "وكان لخلف (لحلف) من الولد عضرس (عفرس) ، وناهس ، وشهران ، وربيعة ، وكود ، وهم بطون ، وفي ناهس ، وشهران ، الشرف والعدد" . **صفحة (٥٨)** السطر السابع : "ختعم" . الصواب : "خثعم" . السطر التاسع: "بني أبي بكر" . الصواب : "بن أبي بكر" . **حاشية صفحة (٥٨)** صحة بيت مهلهل الثاني كما جاء في ديوانه ٣٧ :

لَـوْ بِـأَبَـانَـيْنِ جَـاءَ يَـخْـطُـبُـهَـا ضُـرِّجَ مَـا أَنْـفُ خَـاطِـبٍ بِـدَمِ

وأول شطر البيت الثاني : "لو" . وليس : "لما" . وأوائل عجز الثاني : "ضُرِّجَ مَا أَنْفُ" . **صفحة (٥٩)** السطر التاسع : الوارد في مصدر الأستاذ الدكتور : "دار أراكة" . وليست : "دار أبي أراكة" . وإنما وردت باسم "دار أبي أراكة" في كتاب : الإصابة في تمييز الصحابة (٢١٥/٦) و جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٨٨/١) . **صفحة (٦٠)**

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٦٢/١١). (ابن سدران) .

(٢) المنمق في اخبار قريش (٢٩/١) . (ابن سدران). أشكرك يا ابن سدران على هذه الإضافات والتصويبات القيمة . (ابن جريس) .

الشعر : في عجز البيت الأول : "ولا كلفت خبراً" . والصواب : "ولا كلفت خبزًا" . **صفحة** (٦٠) السطر الخامس ، قال الدكتور : "ويُطلق على المرأة الأسيرة اسم النَّزِيعَة" . قلت: النزيعة كما عرَّفتها المعاجم العربية هي التي تتزوج في غير عشيرتها . انظر على سبيل المثال : تاج العروس (٢٤٣/٢٢) ، والمعجم الوسيط (٩١٤/٢) . أمَّا تلك التي عناها الأستاذ الدكتور فتسمى "السَّبِيَّة" كما جاء عن لسان العرب (٣٦٧/١٤) والشعر الذي أورده الدكتور يفصح عن ذلك .**حاشية صفحة (٦١)** السطر الأول : جاء في " عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ٢١ : "سعد العشيرة بن مذحِج . وإنما قيل له سعد العشيرة ، لأنَّه كان يركب فيما قيل في ثلثمائة من ولده وولد ولده ، فإذا قيل له مَن هؤلاء؟ قال : عشيرتي . مخافة العين عليهم . وهو قول آخر لجواد علي ، في كتابه "المفصل" لم أر الدكتور تطرق إلى ذكره [1] . **حاشية صفحة (٦٢)** السطر الرابع: قول الدكتور عن ضمام بن ثعلبة " من بني سعد ابن بكر من السراة" . قلت هو من بني بكر بن سعد كما قال الدكتور ، لكن لم أطلع على من يقول بأنه من السراة ، . أي من بني سعد سكان السراة . حتى كتاب المفصل مصدر الدكتور لم يقل ذلك . فدل على أنه من بادية بني سعد ، التي سنتحدث عنها بعد قليل. **صفحة (٦٢)** السطر الأول : قول الدكتور " أن اختيار قريش وغيرهم نساء السروات لحضانة أو رعاية أبنائهم .. "٠قلت ظهر من تحقيقات عدة باحثين معاصرين أن من أرضع النبي(ﷺ) ، لم يكونوا بني سعد الذين هم سكنة السراة، إنما مَن أرضعه هم أهل بادية "بني سعد" التي بين مكة والطائف ، وقد تطرق إلى ذلك جملة من المؤلفين منهم الزركلي (٨٤/٣) حيث يقول: (وكانت منازل بني سعد بن بكر في الحديبيّة وأطرفها . وفي موضع آخر : (٢٧١/٢) : ونشأ . رسول اللّه (ﷺ) . في بادية بني سعد في الحديبيّة وأطرفها . (أي فيما بين السيل الكبير" قرن المنازل" إلى أوطاس) . وهو الصواب لأن ديار بني سعد الحالية التي في السراة بعيدة كل البعد عن مكة المكرمة . وفيما يلي بعض المصادر التي ذكرتهم في شرقي مكة : قال عرّام بن الأصبغ وقد ذكر : رهاط والحديبية وبعض قرى بني سعد بن بكر : صفحة ٦ " فهؤلاء القريّات لسعد وبني مسروح وهم الذين نشأ فيهم . أي الرسول (ﷺ) . وجاء في : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣٤٧/٦) : ومعجم البلدان (١٠٧/٣) ورهاط : [بضم أوله قرية على ثلاثة أميال من مكة]. وينقل

---

(١) وأقول إن عشيرة سعد العشيرة تستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة ، حبذا أن نرى أحد أبناء هذه العشيرة الباحثين فيدرسون تاريخها وأمجادها . (ابن جريس) .

أبو نعيم الأصبهاني في " دلائل النبوة (١/١٣٧) قول آمنة أم الرسول (ﷺ) لمُرْضعَته : "انْظُري ابْنِي هَذَا فَسَلي عَنْهُ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّهُ خَرَجَ منِّي شهَابٌ أَضَاءَتْ لَهُ الْأَرْضُ كُلُّهَا ، حَتَّى رَأَيْتُ قُصُورَ الشَّام ، فَسَلِي عَنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتُ يَوْم مَرَّتْ به ، حَتَّى إذا كَانُوا بذي الْمَجَازِ (وفي رواية أخرى سوق عكاظ) إذَا كَاهنٌ منْ تلْكَ الْكُهَّان ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ ، فَقَالَتْ : لَأَسْأَلَنَّ عَنِ ابْنِي هَذَا مَا أَمَرَتْنِي بِهِ أُمُّهُ آمنَةُ .. " . ومعلوم أنَّ ذا المجاز أو سوق عكاظ قريبان من بادية بني سعد . وفي تاريخ إربل ٢٣٩ : كانت منازلهم في الحديبية . وفي معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٢ / ٥١٣) من أوديتهم : قرن الحبال ، وهو واد يجيء من السراة . ومن مياههم: تقتد . قال الشاعر :

وَذَكَرت تَقْتُدَ بَرْدَ مَائِهَا فبدّت الحاجز من رعائها

وفي معجم قبائل العرب القديمة والحديثة أيضًا (١٢٣١/٣) : ومن أوديتهم : حنين. وفي معجم البلدان (٥٠٦/١) أن البوباة من بلادهم لقوله : "البَوْبَاةُ : بالفتح ثم السكون ، وباء أخرى: اسم لصحراء بأرض تهامة إذا خرجت من أعالي وادي النخلة اليمانية ، وهي بلاد بني سعد بن بكر بن هوازن ، قال رجل من مزينة :

خليليّ بالبوباة عوجا فلا أرى بها منزلا إلا جديب المقيّد

وفي المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (١٤٠/١) يقول عن : سعد بن بكر (قبيلة): بطن من هوازن العدنانية، وهم حضنة رسول الله ولا زالوا في منازلهم القديمة في "قرن المنازل" وجنوب الطائف في "بسل" و "مظللة" ، ولهم سراة تعرف باسمهم اليوم. وفي معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (١٩٥/١) : أملاح بفتح أوّله ، على وزن أفعال : موضع في ديار هوازن ، به مياه ملحة ، قال أبو جندب :

وغرّبت الدّعاء وأين منّى أناس بين مرّ إلى يدوم

وأحياء لدى سعد بن بكر بأملاح فظاهرة الأديم

ونكتفي بهذا القدر فليس الهدف الإسهاب بقدر ما هو إيضاح لبادية بني سعد ، الذين منهم حضنة الرسول (ﷺ) ، كما ورد في كتب الأقدمين والمتأخرين . **صفحة (٦٢)** السطر الثاني عشر : "عقيقة" . والصواب: "عقيصة" . وفي السطر الذي يلي يقول الدكتور: "ذوي العقيصتين" . والصواب: "ذو العقيصتين" ، أو " ذي أو ذا العقيصتين " على حسب موقع اللفظة من الإعراب . صفحة (٦٣) السطر الأول :

كذلـك عمرو بن حممـة الدوسي ، كان إذا نـزل مكة يتعمم مخافة النسـاء على نفسه . انظر كتاب : المحبر : ٢٣٢ . صفحة (٦٣) السطر الثامن : صحة الاسمين هما : "زرعة، زرعـة" . كمـا ورد في: جمهـرة أنسـاب العرب ، لابـن حـزم (٣٨٣/١) . **حاشية صفحة (٦٣)** السطـر السادس: يقول الدكتور: "أن من دار خثعـم وإلى الأندلس عثمان ابن أبي نسعـة .." وهذا القول مضطرب ، والصواب كما جاء في مصدر الأستاذ الدكتور غيثان: "جمهـرة أنسـاب العرب لابـن حزم (٣٩٢/١) "ومـن خثعم كان عثمان بـن أبي نسعة، وَلي الأندلس" **صفحة (٦٥)** من السطر الرابع : أخي أبا المثنى ؛ وددت عدم إيرادك تلك القَصـة المقتضبـة عن كرم عمرو ابـن معدي كرب ، فإنّ في تفاصيلهـا ما يزعزع إيمانه عند قُرّائك ، ولو أنها في الظاهر تدل على الكرم ، إلا أن فيها جملة من المساوئ المخالفة للإسلام يعرفها من قرأ أصلها ، سيما وأنها صادرة عن كتاب "الأغاني" ، وليست ببعيدة عـن إحالة الأستاذ محمد بـن زَيَّاد . . كما سيأتي . لقراءة كتـاب ذلك الرافضي المسمى عبد (رب) الحسين الموسوي ، ظنًّا منه أنَّ في ذلك الكتاب مَدْحًا لأبي هريرة (رضي الله عنه) .

حاشيـة صفحـة (٦٧) السطر الثاني عشر ، صحة عبـارة ذلك الخليفة "سليمان بن عبد الملك" إلى عامله بالطائف : أن أرسل إليّ بعسل أخضر في سقاء ، أبيض في الإناء، مـن عسل النّـدغ والسّحاء ، من حداب بني شبابة" . وتلك الحـداب لشبابة زهران كما يقول صاحب كتـاب "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٤٢٨/٢) : حداب بنـى شبابـة جمع حدب ، وهـو الغلظ من الأرض في ارتفاع ؛ كذلك فسّـر في التنزيل . وهى جبال من السّراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك ، من الأزد" . صفحة (٧٠) السطـر الثامـن ، في عجز بيت حسان بن ثابت رضي الله عنه : "أجسام" . والصواب : "جسم" . **صفحة (٧٠)** السطر الخامس عشر : "أنس بن مدرك الخثعمي" ، ليس صعلوكا كما قلت عنه يا دكتور، بل هو سيد من ساداتها لقول: جواد علي ، في كتاب : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤٧٤/١٨) : "أنس ابن مدرك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عـوف" الخثعمـي ، ثم الأكلبي ، والمعروف بـ "أبـي سفيان" . هو من الشعراء الجاهليين الذيـن أدركـوا الإسلام . وكان شاعرا وقد رأس ؛ إذ كان سيد خثعم في الجاهلية ، كما كان فارسها" . وهو قاتل : سليك بن السّلكة . انظر : المعارف (٩٢/١) . وجاء في كتاب " مـن اسمـه عمرو من الشعراء (٢١) : عن عبد الملك بن الماجشون قال : كان عمرو بن معدي كرب في مسجد الكوفة يحدث بأيامه في الجاهلية إذ قال : فلقيت أنس بن مدرك الخثعمي ، فطعنته فقتلته وأنس في القوم فقال أنس : حلاً أبا ثور : ها أنا جالسًا أسمعك

فقال: اسكت ويحك نوزغ هذه النزارية . نوزعها نكفها". ذُكر في كتاب "تلقيح فهوم أهل الأثر (١/٣٢٩) : أنه "عَاشَ أنس بن مدرك الْخَثْعَمِي مائَة وأربعا وَخمسين"[١]. **صفحة (٧١)** السطر السادس: صحة اللفظتين في الشعر: "منـاداة". الصواب: مفاداة. السطر السابع: "عائذة" الصواب: "عائدة". **حاشية صفحة (٧١)** السطر التاسع: صحة اللفظتين في الشعر: "تحبس". الصواب: "تحتبس". السطر العاشر: "تعس". الصواب: "في تعس". السطر الحادي عشر: "ما أرى". الصواب: "وما أرى". **حاشية صفحة (٧٢)** في صدر البيت الأول: "وأبي عوف" والصواب: وابن عوف. وفي صدر البيت الرابع: "فيا يزيد". والصواب: "فناد يزيد". "وياقيساً". والصواب: "وقيسًا". وفي صدر البيت الثامن: "عمه". والصواب: غمة. وفي عجزه "يحظى". والصواب: يحظى به. وفي عجز البيت التاسع: "حازي". والصواب: جازي. والأبيات الثلاثة الميمية هي تكملة الأبيات الميمية في أعلى الحاشية. **حاشية صفحة (٧٣)** السطر الحادي عشر: في صدر البيت الأول: "الصمصامة عمرو" الصواب: "صمصامة الزبيدي عمرو". وفي صدر البيت الثالث: "يديه". والصواب: "حَدَّيْه". في عجز البيت السادس: "اللاّم". والصواب: "السّلام". **حاشية صفحة (٧٤)** السطر الرابع: "عاينة" الصواب: "عانية". "نجح الثانية". الصواب: "نحج الثانية". "الشدائد الناحية" الصواب: "الشداد الناجية". **صفحة (٧٥)** السطر العاشر: ليت الدكتور استدل بتحريم الزنا بحديث الشاب الذي جاء إلى الرسول (ﷺ)، يستأذنه في الزنا، فهو أبلغ في الدلالة. السطر الرابع "تفطمينه". الصواب: "تفطميه". **صفحة (٧٧)** السطر الرابع: "زيد بن عمرو بن نفيل"، لم يكن من خثعم، وإنما هو من قريش من رجال عدي بن كعب، ترجمته في كتاب: "معجم الصحابة، للبغوي ٢/٤٤١" على النحو التالي: "زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن رياح بن عدي بن كعب". وجاء في سيرة ابن هشام (١/٢٢٤): قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرو بْن نُفَيْل فَوَقَفَ فَلَمْ يَدْخُلْ في يَهُودِيَّة وَلَا نَصْرَانِيَّة، وَفَارَقَ دينَ قَوْمه فَاعْتَزَلَ الْأَوْثَانَ وَالْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالذَّبَائحَ تُذْبَحُ عَلَى الْأَوْثَان، وَنَهَى عَنْ قَتْل الْمَوْءُودَة". وفي حاشية السيرة: (١/٢٢٥): "وَكَانَ زيد- فيمَا يُقَال- يَقُول للرجل إذا أَرَادَ أَن يقتل ابْنَته: لَا تقتلها، أكفيك مئونتها، فيأخذها، فَإِذا ترعرعت قَالَ لأَبِيهَا: إِن شئْت دفعتها إِلَيْك،

---

(١) نعم كلامك هو الحقيقة فأنس بن مدرك الخثعمي ليس من الصعاليك وإنما هو من سادات العرب. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخه وبطولاتها في الجاهلية والإسلام . (ابن جريس).

وَإن شئْتِ كفيتك مئونتها". وجاء في كتاب " البداية والنهاية (٢/٣٠٠) "عَنْ خَارجَةَ بْن عَبْـدَ اللَّه بْن كَعْب بْن مَالك قَالَ : سَمعْتُ سَعيدَ بْـنَ الْمُسَيِّب يَذْكُرُ زَيْدَ بْنَ عَمْرو بْن نُفَيْلَ فَقَـالَ : " تُـوُفِّيَ وَقُرَيْشٌ تَبْنِي الْكَعْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْوَحْـي عَلَى رَسُول اللَّه بخَمْس سنينَ ، وَلَقَدْ نَزَلَ به وَإنَّهُ لَيَقُولُ : أَنَا عَلَى دِينِ إبْرَاهِيمَ" . السطر العاشر : في الحَاشية: "يحي" . والصواب : " يحيي " [1].

صفحة (٧٨) مـن السطـر العاشر ، نقل الدكتـور عن ابن خلـدون بعض كلامه عن الحضـر والبـدو فكان النقل غـير واضح العبـارة ، لحذفه عدة عبـارات يتعلق بعضها ببعض لا سيما في آخر قول ابـن خلدون حيث يقول ابن خلدون : ".. متى دعاهم داع أو استنفرهـم صارخ" ، فقال الدكتور : " ويدافعون عن أنفسهم متى استنفرهم صارخ" . فجعل استنفار الصارخ هو الدفاع عن النفس . فما المانع لو أتى بقول ابن خلدون كاملاً؟ **صفحة (٧٩)** السطر الخامـس : تعددت محاولة حرب قبائل الجنـوب لأبرهة الحبشي، ومنعـه من التقـدم ، منها ما جاء في كتاب : "سيرة ابن هشـام (١/٤٦) : "فَخَرَجَ إلَيْه رَجُـلٌ مـنْ أَشْرَاف أَهْـل الْيَمَن وَمُلُوكهمْ يُقَالُ لَهُ : ذُو نَفْر ، فَدَعَـا قَوْمَهُ ، وَمَنْ أَجَابَهُ منْ سَائـر الْعَـرَب إلَى حَـرْب أَبْرَهَـةَ ، وَجهَاده عَنْ بَيْـت اللَّه الْحَرَام ، وَمَا يُريـدُ منْ هَدْمه وَإخْرَابه ، فَأَجَابَهُ إلَى ذَلكَ مَنْ أَجَابَهُ ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ فَقَاتَلَهُ ، فَهُزمَ ذُو نَفْر وَأَصْحَابُهُ.. " . وفي كتـاب المنمق في أخبـار قريش ، ما يدل على أن قبيلة غامـد هزمت قطعة من خيله لقولـه في صفحـة (٧٤) : وأقبـل الأشرم حتى مر بـالأزد ، فأرسل إليهـم خيلا فهزموا خيله، فقال عبد شمس بن مسروح الأزدي (الغامدي) في أبيات له :

نحن منعنا الجيش حـوزة أرضنا ... ومـا كـان منـا خطبهـم بقريب

ولـذا فـإن المحاولات تعددت مـن قبائل السـراة ، وليس من قبيلـة خثعم وحدها ، لمنعـه من السير بالجيش إلى مكة المكرمة، فينبغي أن تُذْكَر هاتان المحاولتان[2] . **صفحة (٨٠)** السطـر الثامن ، يقـول الدكتور إن العباس ابن مرداس من بـارق . قلت : العباس بـن مرداس ، من بنـي سُلَيم ، لقـول صاحب كتـاب : الاستيعاب في معرفـة الأصحاب (٢/٨١٧) في نسبـه: "العباس بن مرداس بـن أبي عامر بن حارثة بـن عبد بن عبس

(١) شكـراً جزيـلاً على هـذه التصويبات والإضافـات العلمية القيمة . وندعو لـك يا أستاذ علـي بالتوفيق والهدى والرشاد . (ابن جريس) .

(٢) تاريـخ أهـل السراة أثناء مرور أبرهة الحبشـي من بلادهم لم تدرس حتى الآن، وهـذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة . حبذا أن نرى أحد المؤرخين الجيدين فيتولاه بالدراسة والتوثيق . (ابن جريس) .

ابن رفاعة بن الحارث بن حيي بن الحارث بن بهثة بن سليم (بن منصور) السلمي . يكنى أبا الفضل، وقيل أبا الهيثم . أسلم قبل فتح مكة بيسير" . وانظر: كتاب : المتفق والمفترق (١٦٥٨/٣) . وبيت الشعر الذي أورده الدكتور هو في ديوان العباس السلمي في صفحتي : (١٦ ، ٧٩). **حاشية صفحة (٨١)** الشعر الذي أنشده سعد بن أبي وقاص(رضي الله عنه) ، في بجيلة ، لا يدل على شجاعتهم . وإن كانوا كذلك . كما قال الدكتور ، لأن تكملته في بعض الكتب ومنها تاريخ الطبري : (٥٨٠/٣) . بخلاف ذلك . وقد كان سعد، يرد في هذه الأبيات على بيت جرير البجلي(رضي الله عنه) الآتي[1] :

أنا جرير وكنيتي أَبُو عَمِرْو   قَدْ فَتَحَ اللّٰهُ وَسَعْدٌ فِي الْقَصِرْ

وفي الحاشية السطر السادس : الشعر "خيلاً" الصواب : "خيولاً" . وقد أورد الدكتور بيت جرير هذا في حاشية **صفحة (١٠٧)** قائلاً : وأنشد شعرًا ينسب فيه الجبن إلى سعد ، ومن ذلك البيت وأورده . فدل على أن أبيات سعد (رضي الله عنه) ، هي رَدٌّ على شعر جرير فيه . والله أعلم . **صفحة (٨٢)** السطر الثالث : دريد ، والصواب : دريدًا . وأبيات دريد الثلاثة التي أوردها في الحاشية لم تتوافق مع قصيدته التي في الديوان إلاَّ البيت الأخير . **حاشية صفحة (٨٢)** السطر الثامن ، صواب عجز البيت الثاني كما ورد في ديوانه :

بِذِى الرِّمث والأَرَطَى عِياضَ بن ناشبِ

وفي السطر الخامس والعشرين من هذه الحاشية : "طريقًا" الصواب: "طريقٌ" . **صفحة (٨٣)** السطر الخامس: مصدر الدكتور غيثان ، وددت لو يضيف نساء : "النخع" إلى نساء "بجيلة" في شهود حرب القادسية ، ويضيف "عصمة" إلى "المثنى وجرير" . كما أن مصدر الدكتور لم يأت على أنّ "أم كثير" من بجيلة ، فهل تأكّد لدكتورنا أنها من نساء بجيلة ؟ وقد ذُكر في أغلب المصادر ومنها "تاريخ الطبري" أنها : امرأة همام بْن الحارث النخعي ، ولم ينسبها إلى بجيلة السطر الحادي عشر : "حثعم" . والصواب: "خثعم". السطر السادس : في الحاشية : "لنا هذا الجيش" . الصواب : "لنساء هذا الجيش"[2] . **صفحة (٨٤)** السطر الثامن: قول الدكتور : "كمبتغي الصيد في عرين

---

(١) انظر : بيت جرير البجلي وأبيات سعد في : البداية والنهاية : (٥٣/٧) . (ابن سدران) .

(٢) أشكرك يا أستاذ علي على هذه الآراء والتوضيحات . (ابن جريس) .

الأسـد" . الصـواب في لفظـة "عرين" : "عِرِّيسَة" . وهو مَثَـل كما قال الدكتور ، ورد في مصـدره بلفـظ : "عريسـة" . ولقد ورد في عجز بيـت لعدي بن الرَّقـاع العاملي كما في ديوانه (١٧٦) :

فإنَّكَ والشِّعْرَ إذْ تُزْجِي قَوافِيَه ... كَمُبْتَغِي الصَّيْدِ في عِرِّيسةِ الأَسَدِ

وقـد ورد الشطر أيضًا في شعر الطرمـاح (١٢٢) لكني أرى صدره لا يناسب عجزه . **صفحتا (٨٤، ٨٥)** السطـر العاشـر والسطـران الأول والثالث صـ(٨٥) : "السحالي" . والصـواب : "السعـالي" . السطـر الثامـن: الشعـر: "رهفتـه" . الصـواب: "رهفنه" "ينقـب" . الصواب : "بنقب" . **حاشية صفحة (٨٥)** شعر تأبط شرًّا : صدر البيت الثالث : (فقلـت لهـا كلانا نضو أين) . وصواب عجز البيت الثـاني : "لقفر ، وقيل : "بسهب" . وصحـة عجـز البيت الخامس: "صريعًـا لليدين .." وصحة صدر البيـت السادس : " فلـم أنفك .." وصحة لفظة وردت في صدر البيت الأخير: "مخدج" . **حاشية صفحة (٨٦)** صحة صدر البيت الثاني وأول عجزه :

(تمنـى فتى منا فلاقَى ولم يكد ... غلامًا) . وصحة أول صدر البيت الرابع : "فقد شُـدّ في إحـدى .." . **صفحة (٨٨)** صحـة أول عجز الشطر الأول : "عتـيرة" . وصحة عجز الشطر الثاني : "أهذا" . **حاشية صفحة (٨٩)** السطر الرابع : ابن قتيبة في كتابه "المعارف" لم يقل : "إن أبا هريرة يكنى عبد الشمس، ويقال: عمير بن عامر ، ويقال : سكين" . وإنما كان يعـدد الاختلاف في اسمه عند بعض مَن ذكـره ، فقال (٢٧٧) "ويقال : عبد شمس . ويقال : عمير بن عامر . ويقال : سكين" السطر التاسع : في الحاشية : "غرس بالوادي" . الصـواب : "غَرْسُ الوَدِيِّ" . والوَديّ كما جـاء في كتاب : "غريب الحديث ، للقاسم بن سلام ٢٠٢/٤" : "هُوَ صغَار النّخل واحدتها وَدِيّة" . قَالَ الشَّاعِر[1] :

نَحن بِغَرْسِ الوَدِيّ أعْلَمُنَا ... منّا بِرَكْض الجِياد في السَّدَفِ

حاشية صفحة (٩٠) السطر التاسـع : ضَعْ قبل: "أمّـا إذًا فاذهب فحدث" لفظة : "قـال" . ليُفْهَـم أن القول قول عمر (رضي الله عنه). **صفحة (٩٠)** أبـو هريرة الدوسي(رضي الله عنه) ، أكـثر من روى الحديث عن الرسول (ﷺ) ، وقد كُتـب في حفظه وفضله وصحبته مؤلفات عديدة منها ما كتبه : محب الدين الخطيب ، وكتابه: الخطوط العريضة . عبد

---

(١) انظر : بيت جرير البجلي وأبيات سعد في : البداية والنهاية : (٥٣/٧) . (ابن سدران) .

الرحمن المعلمي، وكتابه: الأنوار الكاشفة. محمد عجاج الخطيب، وكتابه: أبو هريرة راوية الإسلام. عبد المنعم صالح العلي العزى، وكتابه: دفاع عن أبي هريرة. عبد الرحمن عبدالله الزرعي، وكتابه: أبو هريرة وأقلام الحاقدين. الحسن بن علي الكتاني، وكتابه: الرد على الطاعن في أبي هريرة وكثير غيرهم ممن عقدوا فصولا في ثنايا كتبهم، لكننا نرى في هذه الأيام الأستاذ محمد ابن زيَّاد الزهراني، في كتابه: بخروش بن علاس الزهراني، - على ما فيه من مغالطات - يستند إلى ما كتبه عنه أحد كُتّاب حضرموت، الله أعلم بعقيدته، فينقل عن هذا الحضرمي ترجمة يسيرة لأبي هريرة (رضي الله عنه)، وفيها الترويج لكتاب اسمه: (أبو هريرة) لرافضي محترق اسمه عبد (رب) الحسين شرف الدين الموسوي) كتبه عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أفرغ فيه من السب والشتم لهذا الصحابي الجليل ما لا مزيد عليه، كما أن هذا الرافضي في ذلك الكتاب كَذَّب أبا هريرة رضي الله عنه، فيما رواه عن الرسول (ﷺ)، من أحاديث، ولعل الأستاذ محمد بن زَيَّاد، لم يقرأ كتاب ذلك الحضرمي، الذي تمكن من دس السم في تلك الترجمة المقتضبة لأبي هريرة (رضي الله عنه)، والتي نقلها عنه الأستاذ محمد بن زيَّاد، دون الاطلاع على الكتاب الذي أحال عليه الحضرمي، وهو كتاب ذلك الرافضي، ربما لحسن ظنه في كاتب الترجمة، وفي آخرها دعوة لقراءة ذلك الكتاب القذر إلا من ذكر الله، فكان على الناقل أيًّا كانت ثقافته أن يتحقق مما ينقله عن غيره قبل إثباته، ولا يكون كحاطب الليل يجمع كل ما يجده، وعَتَبِي يَنْصَبُّ على مَن قَدّم لذلك الكتاب وراجعه، فهو من إخواننا السوريين الذين اكتووا ولا زالوا يكتوون بنار هذه الطائفة المنحرفة عن جادة الصواب، كيف لم يَتَنَبَّه لهذه الزلة الخطيرة ؟؟ لا سيما وأنَّ هذا الحضرمي لم يترض عن أي صحابي أورده في كتابه المذكور، فكان على الكاتب والمقدِّم للكتاب التَّنَبُّه لذلك، وإنني من هذا المنبر الثقافي: "**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**" أدعو كل من امتلك نسخة من كتاب الأستاذ: محمد بن زياد الزهراني، المذكور اسمه بعاليه أن يشطب السطرين الخامس والسادس من هذا المؤلَّف (ص ٦٢) والتي تشير إلى الدعوة لقراءة ذلك الكتاب المليء حقدًا وكرهًا لأبي هريرة الدوسي (رضي الله عنه)، وعن جميع صحابة المصطفى (ﷺ)[١].

(١) أسأل الله عز وجل أن يثبتنا على القول الثابت، وأن يجعل ما نكتبه وندونه حجة لنا يوم القيامة. وأن توقفنا عند كثير من الكتب والدراسات التي تحارب الإسلام والمسلمين سراً وجهراً فهي كثيرة جداً. والصراع بين الحق والباطل وجد من يوم خلق الله السماوات والأرض. وهو مستمر من ذلك الوقت إلى أن تقوم الساعة. والإنسان وبخاصة الباحث يجب أن يكون أميناً وحريصاً على صحة ما يكتب أو يسجل، وإذا اكتشف الإنسان أخطاءه

وفي الحاشيــة السطر السادس عشر. خبر عــن سعد الدوسي (رضي الله عنه)، لم يُفهم المــراد منــه ، وصوابه كما ورد في مصــدر الدكتور: " أن أعرابيًا ســأل النَّبيّ (ﷺ) عن الساعــة ؟ ومــر سعد الدوسي ، فقال رَسُول اللّه (ﷺ): " إن عمر هذا حتى يأكل عمره، لا تبقــى منهــم عين تطرف " . وليس في المصــدر: "ما أعددت لها .. " إلى نهاية ما أورده الدكتــور . ولعل الأستاذ الدكتور رواه عن كتاب "معرفة الصحابة لأبي نعيم" ففيه شبه مــن ذاك ، واللّه أعلــم . **حاشية صفحة (٩١)** السطر الخامس: "زئر النساء" . الصواب: "ذئــر النســاء" . وتأتي هــذه اللفظة على ثلاثــة أوجه : "ذئر و ذئــرن و ذئرت" وكلها بمعنــى واحد ، وهو المعنــى الذي أورده الأستاذ الدكتور لها . السطر الرابع عشر: قوله : "في مائــة وخمســة وخمسين راكبًا" . الصواب : "في مائة وخمسين راكبًا" . **صفحة (٩٣)** السطر الرابع : متى قال الرسول (ﷺ) : "مَنْ دَخَلَ تَحْتَ لِوَاءِ أَبِي رُوَيْحَةَ فَهُوَ آمِنٌ" . إنه يوم فتح مكة المكرمة . فهذه مكرمة لا ينبغي حجبها عن القراء . انظر : السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١١٧/٣) . والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشــرة (١٢٣/٢) . السطر الثالث في الحاشية : قوله "وبين بلالا" . الصواب : "وبين بــلالٍ" . وكذلــك يضــاف إلى حديث دكــين الخثعمي (رضي الله عنه) ، بعد قولــه : "نسأله" : "نَسْأَلُــهُ الطَّعَــامَ" . وقــد ذكر "الطعــام" في الحاشية وحبذا لو أتــى بالحديث كاملاً . **صفحة (٩٤)** السطــر الثالث. "فرط" الصواب" : "قــرط" . السطر الخامس: " فطار" . الصــواب : "فطارا" . **صفحة (٩٥)** السطر الأول، لم يكمل الدكتور حديث أبي الحكم ، وتكملته بعد قوله ﷺ: "ما أحسن هذا " : "فَمَا لَكَ منَ الوَلَد ؟ قال : لي شُريح ، ومُسلم ، وعبــدُ اللّه ، قــال : فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قلت : شريحُ ، قال: فأَنْتَ أَبُو شُرَيْح " . أوردته إتمامًا للفائــدة . وفي السطــر نفســه : "عَبْدَة مــن.. " . والصواب: "عَبْدَة بــنَ .. " . **صفحة (٩٥)** السطــر الثاني: "قَالَ : بِكَعْبَةِ نَجْــرَانَ" . الصواب: "قَالَ : قُلْتُ : بكَعْبَة نَجْرَانَ" . السطر الخامــس: يضــاف بعــد قول الرســول (ﷺ)، إنْ صح عنــه: "فقال يــا رب" قول النبي (ﷺ): "مسألة عائشة" . **صفحة (٩٥)** السطر الثاني عشر ، في الحديث النبوي الشريف لفظــة: " أن أعطــاه" صوابها" : فيما أعطاه" . وورد في معرفــة الصحابة (٣١٠٦/٦) . وأســد الغابــة (٣٨٨/٦) . أن يزيــد بن عبــد اللّه بن الشخير ، يروي عــن رجل من بني سُليــم. أما يزيد بن عبد اللّه بن الشخير فهو من بني عامر بن صعصعة ، لقول صاحب

فعليــه أن يســارع في تصحيحها حتى يتحلل من وزرها ، وأن لا يكابــر المسلم في البحث عن الحقيقة والرجوع إلى الصواب مهما كلفه الثمن ، واللّه من وراء القصد. (ابن جريس) .

كتاب : الطبقات الكبرى (٣٤/٧) . في ترجمة أبيه : " عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو أبو مطرف ويزيد ابني عبد الله بن الشخير. ولقول صاحب كتاب المعارف (٤٣٦/١) عن أخيه : " مطرف بن عبد الله ابن الشّخير " من " بنى الحريش ابن كعب بن ربيعة " . ويقول مُطَرِّف بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّه (ﷺ) فِي وَفْدِ مِنْ بَنِي عَامِر.. انظر: كتاب : الطبقات الكبرى (٢٥/٧). ولم يذكر أغلب المؤرخين في نسب هذه الأسرة "الجرشي" بالجيم إنما ذكروا "الحرشي" بالحاء ، لقول صاحب كتاب " الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٢٦/٣) : "من الحريش ، وهم بطن من بني عَامِر بْن صعصعة" . وانظر أيضًا : أسد الغابة (٢٧٥/٣) . **صفحة (٩٥)** السطر التاسع ، الحارث بن يزيد ، غير ربيعة الجرشي ، لقول صاحب "المعجم الكبير للطبراني ٦٥/٥" : حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيَّ يَقُولُ . وذكر الحديث . وانظر : معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٠٩٦/٢) ، وأسد الغابة (٢٦٧/٢) . **صفحة (٩٧)** السطر الرابع عشر. ينقل الدكتور عن الأغاني: أن أم عمرو بن معدي كرب الزبيدي من جرم. وفي الحاشية رقم (٤) ذكر أن جرم بطن من بجيلة .. ، إلاّ أن البلاذري قال بخلاف ذلك، حيث أرجعها إلى مرة بن جشم وسَمَّاهَا فقال في : أنساب الأشراف (٢٦٣/١١): ومرة بن جشم . فمن بني مرة : سلمى بنت الحارث بن مرة ، أم عمرو بن معدي كرب الزبيدي سبيئة . ويقال إنها ابنة زهير ابن أقيش العكلي . وخالفهما ابن عساكر ، في تاريخ دمشق (٣٧١/٤٦) فقال عنها : وأمه أسيلة بنت قيس من بني عجل . ووافقه ابن خلدون (٣٦١/٢) والزركلي (٧١/٢) وصاحب كتاب نهاية العرب . وكذلك صاحب معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٧٥٧/٢) : مصدر الدكتور . فليت الدكتور نظر هذه الكتب ورجّح ممن تنتسب أم الزبيدي عمرو ليريحنا من هذه الأقوال المتضاربة في نسبها .

صفحة (٩٨) السطر الرابع : الشعر: البيت الثاني : "صبحتم" . الصواب : "صبحتهم" . "ببرق" الصواب: "يبرق" . السطر الثالث: "درئية" الصواب: "دريئة" . السطر الخامس: "تلاقيتا" . الصواب : "تلاقتا" . "اللقا" . الصواب : "اللقاء" . صفحة (٩٨) السطر الحادي عشر: الرجز : "يا آل" . الصواب : "يال" . **صفحة (٩٩)** السطر الأول: الشعر: البيت الأول: "نا" . الصواب : "كنا" . ويقول محقق الديوان أن لفظة : "بهن" تصحيف . والصواب : "نهز" . عجز البيت الأخير : "الأجيال" . الصواب : "الأجبال" . **صفحة (١٠٠)** السطر الحادي عشر : "ألم" . الصواب: "ألمم" . "إن لنا" .

الصـواب: "إن بنا". **صفحة** (١٠١) السطر الثامن: يقول الدكتور عن تأبط شرًّا وقبيلته: "وكانـت قبيلته تضـم عددًا كبيرًا من الشعراء مثل الشنفرى". قلت الشنفرى ليس من قبيلـة تأبط شرًّا ، بل هو من الإواس من بطون الحَجْر . وقد قال الأستاذ الدكتور بذلك في حاشيـة صفحة (٤٩) .**صفحـة** (١٠١) السطر الرابع : في صدر البيت الثاني من شعر عمـرو ، كمـا ورد في ذلـك المؤلف المجهول : "دهينـة". الصواب : "رهينـة". وعجزه : "بقوتي". الصواب : "بهمتي". أمَّا البيت الأول فلم أجده في مصدر الدكتور غيثان . وبيـت تأبط شرًّا : "فأصبحت الغول". الصـواب : "فأصبحْتُ والغول". "جار تالك". الصـواب "جارتـا أنـت". وفي الحاشية : "رجـل". الصواب : "رجـلاً". "فلم رآهم". الصـواب : "فلمـا رآهـم". وتأبـط شَـرًّا لم يكن من رجـال الأزد ، فلمـاذا أوردته ؟ **صفحـة** (١٠٢) السطـر الثاني : أبيـات تأبط في أعلى الصفحـة : "متباطئا". الصواب : "متباطنا". السطر الثالث : "أو اثنين فلا". الصواب : "أو اثنين مثلينا فلا". السطر الرابـع من صفحة (١٠٢) "قُتـل اثنين". الصواب: "قُتل اثنـان". صحة مفردات شعر تأبـط بعد الأولى: "العواصـي". الصواب "العوص". "فتـى كان..". الصواب: "فتى نلتم كأنّ..". **صفحة** (١٠٢) من سطر (١٠) البيت الأول من شعر تأبط شرًا: "وقعها". الصـواب: "وقعهما". "خفيف". الصـواب : "حثيث". "الطليم حذار ثالة". الصواب: "الظليـم دعـا رئاله".**حاشية صفحة** (١٠٢) السطر الثاني : "فـآذوا نعمًا". والصواب : "فأخـذوا نعمًا". **صفحة** (١٠٣) صحة مفردات شعر الأفوه الأودي (الثلاثة الأولى) كما وردت في ديوانـه (٧٢) : "ولياليـه إلا". الصـواب : "ولياليـه إلال". وصحـة عجـز البيـت الثـاني : "ومدى قد تجتليها وشفار" "وصروف الدهر علـى أطباقه". الصواب: "فصـروف الدهـر في أطباقـه". ومـن الأبيـات الأربعـة في ديوانـه (٦٦) : و"يبنى". الصـواب: "يبتنـى". "بلغـوا الـذي كادوا". الصـواب : "بلغـوا الأمر الـذي كادوا". **صفحـة** (١٠٤) السطـر الحادي عشـر : صحة بيت عمرو بن الخثـارم الثاني كما ورد في كتاب : المحبر (٢٤٣) :

يـعـيـنـون الـغـنـيَّ عـلـى غـنـاه ويـــثـرو في جـوارهـم الـقـلـيـلُ

صفحـة (١٠٤) من مفردات صدر بيت عمرو بن خثـارم الأول: "ما كان". الصواب: "من كان" وآخر صدر البيت الأخير : "بينوا". الصواب : "تبينوا" .**صفحة** (١٠٥) السطر الخامس : صحة بيت المرأة الأول:

إن الـزمـان رمـاني منـه بـالمحن وذلـنـي بـفـراق الأهـل والـوطـن .

وهـذا البيت من جملة أبيات لم يرد فيها البيـت الثاني الذي ذكره الدكتور . ولعله في كتاب آخر لم أطلع عليه ، ولقد أكثر دكتورنا من شعر شعراء السراة ، إلا أنه لم يذكر بيتًا واحدًا لشاعر من زهران أو غامد ! فلماذا يا تُرَى؟[1] . **صفحة (١٠٨)** السطر الثالث: "حـل" . الصـواب كمـا في المصدر : "ودخـل" . وسبق أن قلنا سابقـا أن كتاب "الإمامة والسياسـة"، مدسوس على ابـن قتيبة السني ، ولـذا فإن تلك الخطبـة المزعومة التي أوردتها لجرير بن عبد الله البجلي ،(رضي الله عنه) ، ـ على ما فيها من نقص بعض حروفها ـ تحتاج إلى إثبات من مصدر آخر .**صفحة (١٠٩)** بيت الشعر: "فاللّه" . الصواب : "فلله" . "نـولا" . الصـواب : "نـوالا" . كل هـذه في ديوان عمرو الزبيـدي . وأما التي في كتاب العقـد الفريـد ، (٣١٩/١) فصـواب العبارة في المتن والحاشية كالتـالي: ".. فقال له : اذكـر حاجتك . فقال لـه : حاجتي صلة مثلي . فأعطاه عشـرة آلاف درهم، وفرسا من بنات الغبراء ، وسيفا جرازا ، ودرعا حصينة ، وغلاما خبازا ؛ فلما خرج من عنده . قال له أهل المجلس: كيف وجدت صاحبك ؟ قال: لله بنو سليم ! ما أشد في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللأواء عطاءها ، وأثبت في المكرمات بناءها . والله يا بني سليم ، لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجبنّاكم .." .

صفحتا (١١١، ١١٢) لم يأت الدكتور بخطبة قس بن ساعدة، من كتاب "الأغاني(٦)" كاملـة. **حاشية صفحة (١١١)** السطـر الثالث : بيـت الشعـر: "أحداكمـا" . الصواب : "أجدكمـا" . السطـر الرابـع : "مفـرج" . الصواب : "مفـرد". **صفحة (١١٢)** السطر الرابـع عشر: "وزوجوه" . الصواب : "وزوجوا" . **صفحة (١١٣)** صحة صدر بيت سحبان وائـل: "لَقَدْ عَلِـمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّنِي" . **صفحة (١١٣)** السطـر السابع : الشعر : "أكرم بهـا" . الصـواب : "أكـرم من بها" . "حسنـا" . الصـواب : "حسبًـا" . "في أشاهد" . الصـواب: "في المشاهـد" . ويقـال : إن قائل هذا الشعر هـو: عجلان بن سحبان. انظر:

---

(١) أولاً أشكـرك يا أستاذ علي على هذه التصويبات والإضافات ونسأل الله التوفيق حتى نعيد طابعة المجلدات التي خرجـت مـن موسوعة (القول المكتـوب ...) ونأخذ بكل الملحوظـات التي وصلتنا منك ومـن غيرك من الإخوة الباحثـين في بلدان الجزيـرة العربية. أما قولك أنني أغفلت شعر شعراء غامـد وزهران ، فلم يكن إغفالي لهم متعمـداً . وشعـراء تهامة والسـراة بما فيهم بلاد غامد وزهران فهم كثيرون ولهم تـراث أدبي كبير من العصر الجاهلـي وعـبر أطوار التاريخ الإسلامي . ونأمل أن نرى أساتـذة التاريخ والأدب واللغة في الجامعات المحلية في بلـدان تهامة والسـراة فيتولوا جمع وتدوين تراث أولئـك الشعراء والأعلام الذين عاشوا داخـل أو خارج أرض السراة وتهامة . (ابن جريس) .

المعـارف (٦١١/١) . وأنسـاب الأشـراف للبـلاذري (٢٤٦/١٣) . والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة (٣٥٣/١) . **صفحة (١١٥)** وددت لو نقل الدكتور كلام أبي هريرة (رضي الله عنه)وهـو يحث المقاتلين في معركـة اليرموك على الجهاد ، حيث ورد في تاريخ ابن عساكـر :(١٦٠/٢٠) قوله : "عـن عبد الأعلى بن سراقة عن أبيه قـال انتهينا إلى أبي هريـرة يعني يوم اليرموك وهـو يقول تزينوا للحور العين وجـوار ربكم في جنات النعيم مـا أنتـم إلى ربكم في موطن من المواطـن بأحب إليه منكم في مثل هـذا الموطن ألا وإن للصابريـن فضلهـم" . وإلاّ تلـك الخطبة التـي قالها سواد بن قـارب الدوسي ، عندما تـوفي النبـي (ﷺ)، فحينَ بَلَغَ دوس "وَفَـاةُ رَسُول اللّه- ﷺ- قَامَ حينَئـذ سَوَادٌ ، فَقَالَ : يَـا مَعْشَرَ الأَزْد ، إنّ منْ سَعَادَة الْقَـوْم أَنْ يَتّعظُوا بغَيْرهمْ ، وَمنْ شَقَائهمْ أَلّا يَتّعظُوا إلّا بأَنْفُسهـمْ ، وَمَـنْ لَمْ تَنْفَعْهُ التّجَارِبُ ضَرّتْهُ ، وَمَنْ لَم يَسَعْهُ الْحَقّ لَمْ يَسَعْهُ الْبَاطلُ ، وَإِنّمَا تُسْلمُـونَ الْيَـوْمَ بمَا أَسْلَمْتُمْ بـه أَمْس ، وَقَدْ عَلمْتُمْ أَنّ النّبـيّ- ﷺ- قَـدْ تَنَاوَلَ قَوْمًا أَبْعَدَ منْكُمْ فَظَفرَ بهمْ ، وَأَوْعَدَ قَوْمًا أَكْثَرَ منْكُمْ فَأَخَافَهُمْ ، وَلَم يَمْنَعْهُ منْكُمْ عدّةٌ وَلا عَدَدٌ ، وَكُلّ بَلاء مَنْسيّ إلّا ما بَقيَ أَثَرُهُ في النّاس ، وَلا يَنْبَغي لأَهْل الْبَلاء إلا أَنْ يَكُونُوا أَذْكَرَ منْ أَهْلِ الْعَافيَـة للْعَافيَـة، وَإِنّمَا كَفّ نَبيّ اللّه عَنْكُمْ مَا كَفّكُمْ عَنْـهُ ، فَلَمْ تَزَالُوا خَارجينَ ممّا فيه أَهْـلُ الْبَـلاء ، دَاخلينَ ممّا فيه أَهْلُ الْعَافيَة ، حَتّى قَـدمَ عَلَى رَسُول اللّه ﷺ . خَطيبُكُمْ وَنَقيبُكُـمْ فَعَبّرَ الْخَطيبُ عَنْ الشّاهـد وَنَقّبَ النّقيبُ عَنْ الْغَائب ، وَلَسْت أَدْري لَعَلّهُ تَكُونُ للنّاس جَوْلَةٌ فَـإِنْ تَكُنْ ، فَالسّلامَةُ منْهَا : الأَنَاةُ ، وَاَللّه يُحبّهَا ، فَأَحبّوهَا . فَأَجَابَهُ الْقَوْمُ وَسَمِعُوا قَوْلَهُ[1]" .

صفحة (١١٤) السطـر الرابع عشـر . أرى دكتورنا لم يعلق علـى خطبة الأمير خالد القسـري ، حينمـا فَضَّل مـاء تلك البئـر التي حفرها لأهـل مكة بأمر مـن سليمان بن عبدالملـك ، علـى ماء زمزم. وقد قـال رسول الله (ﷺ): ""خير مـاء على وجه الأرض مـاء زمزم فيه طعام مـن الطعم ، وشفاء من السقم" . صححـه ناصر الدين الألباني رحمه الله في : صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٢٧/١) .**صفحة (١١٦)** السطر الرابع عشـر: الـذي قَالَ : "مَـا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَـمَ بِالطِّبِّ مِنْ عَائِشَةَ" (رضـي الله عنها) . هو

---

(١) الروض الأنـف : ٣٢٣/٢ . (ابـن سـدران) .كما ذكـرت لك يا علي في هـذه الدراسة وفي دراستـك السابقة الموجـودة في أول هـذا القسـم بأن قبائل السـراة بما فيهم دوس لهـم أمجاد وتاريخ مشرق عـبر أطوار التاريخ الإسلامـي وبخاصـة في صـدر الإسلام ، حبذا أن نرى باحثـاً جاداً فيجمع مآثرهـم وتاريخهم من كتب التراث ويخرجها لنا في دراسة علمية. (ابن جريس).

عــروة ، وليــس هشام بن عــروة . ولم تتعلم عائشة رضي الله عنهــا ، الطب من الرسول (ﷺ) ، وإن كانت أخذت عنه الكثير ، وقد سألها : " عُرْوَةَ فقَالَ : " يَا خَالَةُ مِمَّنْ تَعَلَّمْتِ الطِّـبَّ ؟ قَالَـتْ : كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَنْعَتُ بَعْضُهُـمْ لِبَعْضٍ فَأَحْفَظُـهُ"[1] . **صفحة (١١٧)** السطـر الثـاني: "لا تعرني" . الصواب: "لا تَغُرَّنِي" . السطر الرابع: ورد في المصدر بعد قــول عمر (رضي الله عنه) : "لَعَـلَّ اللَّه" . قولـه - جَلَّ ذِكْرُهُ - . **صفحة (١١٧)** السطر الثامن. لم يــرد حديـث ضماد بن ثعلبة الأزدي (رضي الله عنه) ، في كتاب "الإصابـة" كما قال أستاذنا الدكتــور. والــذي ورد فيه هو: "ضمام بن ثعلبة السّعديّ" . أمّا ضمام ابن ثعلبة الأزدي ، فقــد ورد في عــدة كتب منها "دلائل النبوة للبيهقي" و "أســد الغابة في معرفة الصحابة (٤٣٨/٢) . **صفحة (١١٨)** يقــول الدكتــور عن نافع الجرشي ، بأنــه كان طبيبًا ، واستند علــى ابــن الأثــير في كتابه "أسد الغابة" . قلــت ابن الأثير لم يقل عنه بأنــه كان طبيبًا ، وإنما جعله راويًا حديث أحد الكهان فقال : "عن نافع الجرشي أنه حين بعث الله تعالى محمــدا كان كاهن في رأس الجبــل . وعنه في كتاب : السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٢٨٥) : "أن بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكــر أمــر رسول الله (ﷺ) وانتشر في العــرب ، وجاؤوا إلى كاهنهــم واجتمعوا إليه في أسفــل جبــل ، فنزل إليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائما متكئا على قوس، فرفع رأســه إلى السماء طويلا . ثم قال: يا أيها النـاس، إن الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها النـاس قليل" . لكن هذه القصة وردت باسم علي بن نافع الجرشي ، وأنَّ الكاهن غير نافع الجرشي ، ومن المصادر التي أوردتها كتاب "سيرة ابن هشام ٢٠٩/١" فهو يقول : "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ نَافِعٍ الْجُرَشِيُّ : أَنَّ جَنْبًا : بَطْنًا مِنْ الْيَمَن ، كَانَ لَهُمْ كَاهِنٌ فِي الْجَاهِلِيَّة ، فَلَمَّا ذُكِرَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) وَانْتَشَرَ فِي الْعَـرَب ، قَالَـتْ لَهُ جَنْبٌ : انْظُرْ لَنَـا فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُل ، وَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي أَسْفَلِ جَبَلِه ، فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ حِينَ طَلَعَتْ الشَّمْسُ ، فَوَقَفَ لَهُمْ قَائِمًا مُتَّكِئًا عَلَى قَوْسٍ لَهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلَى السَّمَـاءِ طَوِيـلًا ، ثُمَّ جَعَلَ يَنْــزُو ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّ اللَّه أَكْـرَمَ مُحَمَّدًا وَاصْطَفَاهُ ، وَطَهَّـرَ قَلْبَـهُ وَحَشَاهُ ، وَمُكْثُهُ فِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ قَلِيلٌ. ثُـمَّ أَسْنَدَ فِي جَبَلِه رَاجِعًا مِنْ حَيْثُ جَـاءَ" . أمّــا الذي قال: "يا رسول الله: أفي الطب خير ؟ قــال: نعم أنزل الدواء من أنزل الــداء" . فهــو أحد أطباء حــي أنمار، كما جاء في كتاب (ابن جلجــل) مصدر الدكتور ، وليس القائل نافع الجرشي .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٥٦/٣) . (ابن سدران) .

صفحة (**١١٩**) السطر الثامن . قول جرير رضي الله عنه ، عن أحوال الإسلام ، ورد في كتاب "الطبقات وغيره "وليس في كتاب "الأزرقي" . وآخر سطر في المتن : "جرير" . الصواب: "جريرًا" ولم أجد مسجد تبالة في كتاب الأزرقي . لكنني وجدت في كتاب "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (١/١٩٠) : "وَحكى الْمبرد أَن مَوضع ذِي الخلصة صَار مَسْجِدا جَامعا لبلدة يُقَال لَهَا العبلات من أَرض خثعم" . ولم يذكر تَاريخ بنايته .**حاشية صفحة** (**١٢٠**) خلط الدكتور ثانية بين صنم ذى الخلصة بتبالة الذي هدمه جرير البجلي رضي الله عنه ، وصنم ذي الخلصة بدوس الذي هَدَمَ ما بقي من جدرانه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم ، في عهد الدولة السعودية الثالثة . وكذلك في متن صفحة (١٢٢) [١] .**صفحة** (**١٢١**) السطر الثامن : "حانبا" . الصواب : "جانبًا" . ولم يكن زعماء خثعم مَن أمروا بصنع صنم (فراش) إنما هو أحدهم ، واسمه "راس الغول" كما جاء في ذلك المؤلف المجهول " : ثم إن الملعون أمر بإحضار الصناع بين يديه والأمم ففي عاجل الحال أحضروهم إليه فقال لهم أريد منكم أن تصطنعوا لي صنما كبيرا ويكون من الزبرجد الأخضر وعيناه من الياقوت الأحمر ويكون في أحسن ما يكون من الصناعات . فأجابوه بالسمع والطاعة وصنعوا له ذلك الصنم فلما رآه الملعون خر ساجدا من دون الله ، واتخذه إلها وأمر العربان بأجمعهم أن يسجدوا لهذا الصنم وسماه الرب فراش" [٢]. **صفحة** (**١٢٣**) السطر الثالث : الأسطر الأربعة في هذه الصفحة لم أجدها في ذلك المؤلف المجهول . السطر السادس من هذه الصفحة : "أعدائهم" . الصواب: "أعداءهم" . **صفحة** (**١٣٤**) السطر الخامس : "أجزائها" . الصواب : "أجزاءها" . **صفحة** (**١٣٧**) ذكر الزركلي في كتاب الأعلام أن وفاة عرام بن أصبغ نحو (٢٧٥هـ) وكذلك في معجم المؤلفين ، وهذا التاريخ مثبت على مخطوطة جامعة الملك سعود " : جبال تهامة وسكانها .. " . وكذلك عند محقق الكتاب عبد السلام هارون ، فعلام اعتمدت في وفاته عام(٣٠٢ هـ) ؟ **صفحة** (**١٣٨**) : ولد ومات ابن خرداذبة كما قال الزركلي " (نحو ٢٠٥ ـ نحو ٢٨٠ هـ) وفي معجم المؤلفين . توفي نحو ٣٠٠هـ . فهل توافقهما ؟ **صفحة** (**١٣٩**) السطر الرابع : "إخراج" . الصواب : "أخراج" . **صفحة**

---

(١) تاريخ الأصنام في بلاد تهامة والسراة يحتاج إلى جمع وتدوين ، ونأمل أن نرى أحداً من طلابنا في برنامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد فيتولى هذا الموضوع بالدراسة والتوفيق . (ابن جريس) .

(٢) لا أدري يا أستاذ علي عن مصداقية هذه المعلومات التي أشار إليها هذا المؤلف المجهول ، فهناك الكثير من المبالغات والروايات التي لا نجدها في أي مصدر آخر . وهذا الكتاب يحتاج إلى دراسة وتحقيق تؤكد أو تنفي ما ورد فيه من معلومات. (ابن جريس) .

(١٤٣) السطر العاشر : "المئين كيل". الصواب : المائتين كيل . "ن فروع". والصواب : "من فروع" . صفحة (١٤٦) السطر الثاني : الشعر في عجز البيت الثاني : "فؤادي" . الصواب : " فوادي" . السطر الخامس : "رنبة" . الصواب : "رنية" . **صفحة (١٤٧)** أين يقع وادي "أبيدة" بيدة ؟ وهل تؤيد من يقول: مات قدامة بن جعفر سنة (٣٣٧هـ)؟. **صفحة** (١٤٨) لم يقل قدامة بن جعفر ، في كتابه : "الخراج وصنعة الكتابة" : "من الطائف إلى تربة" . وإنما قال: "من الفتق إلى تربة" . والقول بعد هذه العبارة على تمامه . السطر العاشر: "وهي بطن وادي" . الصواب "وهي بطن وادٍ" .

صفحة (١٥١) لم يقل ناصر خسرو: "العمران قليل في بلاد العرب" . وإنما قال وهو يتحدث عن "فلج" . لعلها مدينة بأرض اليمامة يقال لها : فلج الأفلاج . كما في معجم البلدان (٢٧١/٤) : فقال عنها خسرو : " وَمن مَكَّة إليها ثَمَانُون وَمائَة فَرسَخ ، وَتَقَع فلج هَـذه وسط الصَّحـرَاء وَهي نَاحيَة كَبيرَة وَلكنهَا خربَتْ بالتعصب ، وَكَانَ العمرَان حين زرنَاهـا قاصرا على نصـف فَرسَخ في ميل عرضـا .. " . وفي السطر العاشر يضاف إلى المدن التي ذكرها الدكتور مدينة "عثر" . لأنها من المدن التي ذكرها صاحب الكتاب . **صفحة (١٥٢)** السطر العاشر ، يضاف إلى هذه الأودية وادي "العقيق" . لوجوده بالأصل . **صفحة (١٥٣)** السطر : الحادي عشر ، يقول الدكتور عن البكري : "وأورد اسم رنية بالنون .. قلت : الصواب أن البكري ناقل وليس هو القائل بدليل قوله عمن نقل عنه : "هكذا نقلته من خطّ يعقوب : رنية بالنون ، وغيره يقول: رقية ، بالقاف" . **صفحة (١٥٥)** السطر الأول . يبدو لي أن كلمة (والطائف) من قول الدكتور ، فهي لم تذكر في قول المؤلف . **حاشية صفحة (١٥٦)** السطر (١٢) : "مقتدرين" . الصواب : "مقتدرون" . **حاشية صفحة (١٥٨)** السطر (١٣) : "الحص" . الصواب : "الحصا" . **صفحة (١٦١)** السطر الخامس ، لفظة "وعروش" الصواب "وغروس" . والسطر السادس ، لفظة : "أكثرهم" صوابها : "أكثرها" . والسطر التاسع ، "بها" الصواب : "بهم" . "يفارقه" . الصواب : "يفارقهم" . **حاشية صفحة (١٦٢)** السطر الثامن: "نسخة" . الصواب: "نسمة. "كثير" . الصواب: "كثيرًا" . **حاشية صفحة (١٦٩)** "السطر الثاني عشر: عديدون" . الصواب: "عديدين" . **حاشية صفحة (١٧٤)** السطر الثالث : "أصفاع" . الصواب: "أصقاع" . **صفحة (١٧٥)** السطر السادس : مياه وادي تربة تأتي من سروات بجيلة كما ذكر الدكتور غيثان ولكن أساس منبعه من بلاد زهران . **صفحة (١٧٦)** السطر الرابع : عن وادي تُرَبَة ينقل أستاذنا الدكتور غيثان، عن عاتق البلادي قوله : "ويسيل هذا الوادي من سراة

غامد.." قلت: وادي تُربة لا يسيل من سراة غامد، ولكنه يسيل من سراة زهران يقطعها من الجنوب إلى الشمال. **صفحة (١٧٩)** السطر الرابع: "جزء كبير". والصواب: "جزءًا كبيرًا"[١]. صفحة (١٨١) السطر السابع: "رحالين وجغرافيين". والصواب: "رحالون وجغرافيون". **حاشية صفحة (١٨٤)** السطر الأول: "ذكر". الصواب: "ذكرًا". **صفحة (١٨٥)** السطر الرابع: "رائدان". الصواب: "رائدين". **صفحة (١٨٧)** السطر السابع: "ورينة". الصواب: ورنية". وفي الحاشية السطر الثاني: "لازلتا" الصواب: "لا زالتا". **صفحة (١٨٩)** السطر الرابع: "رحالين آخرين". الصواب "رحالون آخرون". الثالث عشر: "مطبقان". الصواب: "مطبقين". وفي سطر الحاشية السادس: "هذه الرحالة". الصواب: "هذا الرحالة".

حاشية صفحة (١٩١) السطر الأخير: "الثلاث". الصواب: "الثلاثة". **صفحة (١٩٨)** السطر الحادي عشر: "خمسون". الصواب: "خمسين". **صفحة (١٩٩)** السطر الثالث: "ويؤسسة". الصواب: ويؤسس". وكانت حكومة الأشراف تعتمد على جازان كمصدر من مصادر الاقتصاد لدعم الحكومة ماليًّا، فقد ذكر جيرالد دي غوري، صاحب كتاب "حكام مكة (١١١): "وكانت إيرادات (جيزان): (١٥٠٠٠) فضية ترد عن طريق الجمرك، وعشرة آلاف فضية من منجم الملح". **صفحة (٢٠٧)** السطر الثامن. "ثمانين". الصواب: "ثمانون". **صفحة (٢١٣)** جدول رقم (١) السطر الخامس: "المنصرمية". الصواب: "المنصرمة". **صفحة (٢٢٦)** السطر الثاني عشر: "الترف". الصواب: "التَّرَفُّه". **صفحة (٢٣٢)** السطر الأول. البيت لجرير وليس للأخطل، وصواب صدره: والتَّغْلبي إذا تنحنح للقِرَى .. انظر ديوان جرير: (٣٦٢) دار بيروت للطباعة والنشر. **صفحة (٢٣٦)** صحة شطر الرجز الأول في ديوان روبة بن الحجاج، صفحة (١١٦): رحب الفروغ مكرب العراقي ... **صفحة (٢٣٨)** السطر الثامن. (ولاّ). الصواب: "والاّ". **صفحة (٢٤١)** السطر العاشر. "ذُوحَدٍّ". الصواب: "ذُو جَدٍّ". **صفحة (٢٦٩)** السطر الأول. هذا البيت من بيتين، صدره صدر البيت الحادي والأربعين، وعجزه عجز البيت التاسع والعشرين، وروايته كالتالي: (إذا نحن لم نمسك بأطرافها قسرا).

---

(١) شكر الله لك يا أستاذ علي على هذه التصويبات والإضافات القيمة، ونأمل أن يوفقنا الله حتى نعيد طباعة العشرة أجزاء الأولى من (كتاب القول المكتوب ...)، ونقوم بتصويب جميع الملحوظات التي وصلتنا منك ومن غيرك. (ابن جريس).

لعل هذا البحث الجيد المقدم من الأستاذ محمد بن أحمد معبر، أحد ملازم كتاب يريد إصداره أو نواة لكتاب ينوي كتابته، وهو في الحقيقة جيد في موضوعه، وليت الأستاذ القدير ينظر في هذا البحث فيضبطه بالشَّكل، لأني رأيت معظم كلماته مُشَكَّلَة على غير وجهة الإعراب المتعارف عليها. **صفحة** (٢٩٠) السطر العشرون: "الدولة". الصواب: "المُدَوَلَة". **صفحة** (٢٨٧ – **منتصف** ٢٨٩) ليت الدكتور مجلي، أكمل لنا ضبط أسماء قبائل منطقة جازان بالشكل كما فعل قبل هذه الصفحة، ففيها فائدة لمن هم خارج منطقة جازان. **صفحة** (٢٩١) السطر الرابع عشر: المِرْكَن من أدوات الشرب، كما قال الباحث أعلى الصفحة، لكن كيف: "يستخدم في حفظ طحين الذرة أو الدخن". **صفحة** (٢٩٢) هذه من عادات العيد في عيد الفطر المبارك، وهي عند كل أهل الجنوب لا خلاف في ذلك، فهل السائد في جازان أن يتناول معظم الناس طعام الفطور في عيد الأضحى كما هو الحال في عيد الفطر أم ينتظرون به حتى ذبح الأضاحي كما جاءت به السنة الشريفة؟. **صفحة** (٢٩٣) السطر الثامن عشر: "الجازاتي". الصواب: "الجازاني". **صفحة** (٢٩٤) السطر العاشر. "إله". الصواب: "إليه". **صفحة** (٢٩٨) السطر الثاني عشر: "عسر". الصواب: "عسير". **صفحة** (٣٠١) السطر التاسع: "تسمى تنومة". صوابها: "تسمى في تنومة". **صفحة** (٣٠٢) السطر الخامس: "نوعًا". الصواب: "نوعٌ". **صفحة** (٣٠٤) السطر الرابع عشر: "الدُبُر": لهجة محلية. والصواب: الدُّجُر. وقد تكررت. وفي الحاشية: "كثير". والصواب: "كثيرًا"[1]. **حاشية صفحة** (٣٠٦) السطران الأول والثاني: "جزء". الصواب: "جزءًا" السطر الثاني: "ألعاب". الصواب "ألعابًا"، وكذلك السطر الثالث. **صفحة** (٣١٠) السطر الخامس عشر: يقول الكاتب: ".. وبعد صلاة العصر يقام الاحتفال الخاص بالزواج في منزل العريس بحضور أفراد قبيلته وغيرهم من المدعوين.." ثم قال بعد سطرين: "وما أن يصلون (يصلوا) - أي العصر كما يفهم من السياق - حتى يُقدم لهم (المُقَدَّم) والقهوة والشاي.." فهل يقدم لهم المقدم بعد الصلاة مباشرة، أم يبدأ الاحتفال قبل المقدم؟. السطر الثامن عشر. "أن يصلون". الصواب: "أن يصلوا". **صفحة** (٣١١) هل تتسع تلك المساجد للمصلين "التي عادة ما تكون صغيرة المساحة نسبيًا.. كما يقول الكاتب في القرى المأهولة بالسكان"؟ في الغالب أن القرى تبني مساجدها على قدر مصليها وتحتاط لمن يقدم عليها. **حاشية صفحة** (٣١٦) يقول الدكتور غيثان عن الحصون المنتشرة في الجزء

---

(١) أكرر شكري لك يا ابن سدران على هذه الملحوظات والتصويبات والإضافات القيمة. (ابن جريس).

التهامـي من مكة إلى جـازان ، وبعض مناطق شهران وقحطـان و .. " فجميع الحصون فيها مبنية من الطين ، وأحيانًا تكون الأجزاء السفلية منها بالحجارة والطين والطوابق العلويـة بالطـين " . قلت : هذا القول يمكن أن يُطبق على غالبية ما يلحق بعسير وجازان في تهامـة من حصون ، ولا يمكن تعميمه على عموم قبائل تهامة ، لأن في منطقة الباحة التهاميـة حصونًا مبنية بالحجـارة الخالصة ، ولو تجول الدكتـور في الأجزاء التهامية لزهران على سبيل المثال في قرية : "الْجُوَّة" أسفل عقبة الباحة وما حولها ، وفي "جَرْدَاء بنـي علي" الدوسية ، شمـال محافظة قِلْوَة لوجد حصونًا سامقـة جميع طبقاتها مبنية بالحجر الخالص [١].

صفحة (٣١٨) يقـول الدكتـور أبو عراد ، وهـو يتحدث عن المجالـس الأدبية ، تحت عنوان : (نبذة تاريخية) " عرفت المجالس الثقافية أو المنتديات الثقافية ، أو الديوانيات في المجتمـع الإسلامـي منذ وقت مبكـر.. " قلت : مـا دام دكتورنا العزيز بـدأ الحديث بإعطـاء لمحـة تاريخية عن هذه المجالس الثقافية (الأدبيـة) في الإسلام ، فكنت أتمنى أن يتحـدث عنها لدى المجتمع الجاهلي لكونها النـواة التي بذرت فيه واستمر العمل بها في الإسـلام، لقـول علي الجنـدي ، في كتابه (في تاريخ الأدب الجاهلـي ١١٦) : "كانت المجالـس الأدبيـة كثـيرة في العصـر الجاهلـي ، لكثرة المناسبـات التـي تستدعي هذه المجالس، وكان الأدب قوامها ، فحبب الكثير من الناس في حضورها ، والمداومة عليها ، لشغفهـم بالأدب وحبهم لـه ، إما إلقاءً ونشيدًا وإما سماعًا ومتعة ، وإما رغبة في حفظه وهضمه ، لتغذية مواهب أدبية ناشئة ، أو لصيانته ونشره في الآفاق بين مختلف الأجيال. كان الأدب يحظـى بالاهتمـام والعناية والرعايـة والنشر عن طريق السمـاع والمشافهة والروايـة ، واستمـر اهتمام العرب بالأدب كذلك في صدر الإسلام .. " . في تاريخ الأدب الجاهلي (١ / ١١٧) : ويكفي شاهدًا على استمرار المجالس الأدبية وترديد الآثار الأدبية عـن طريـق الرواية والمشافهـة وردود الأخبار الصحيحة عن حضـور النبي (ﷺ) هذه المجالـس، وطلبه أن يسمع شيئًا مـن القطع الأدبية الممتازة، فمن ذلك ما يرويه صاحب الأغـاني(١٨) عن أنس بن مالك قال:" جلـس رسول الله (ﷺ) في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ، يعني قوله:

---

(١) نعـم أتفـق معك يـا أستاذ علي وهذا ما شاهدتـه أثناء رحلة قمت بها في تهامة عسـير والباحة خلال شهر ربيع الآخـر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) . وأقول إن تاريخ العمـارة في هذه النواحي يستحق ان يفرد لها دراسات عديدة موثقـة . ونأمـل من جامعتي الملك خالد والباحة أن تشجع بعض أساتذتها على إنجاز مثل هذه البحوث . (ابن جريس) .

أتعرف رسمًا كاطراد المذاهب   لعَمْرةَ وحشًا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها ، حتى بلغ إلى قوله.

أجالدهم يوم الحديقة حاسرًا   كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله (ﷺ) ، فقال: "هل كان كما ذكر؟ " فشهد له ثابت بن قيس بن شماس، وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه وعليه غلالة وملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر"[١] .

حاشية صفحة (**٣١٩**) السطر العاشر : يقول الدكتور غيثان: "يتواجد الاستيطان.." **وفي حاشية صفحة:** (**١٦٠**) السطر الثاني : "متواجدًا" . قلت : لفظة "التواجد" بمعنى : "يوجد" أو ينتشر لم ترد في القواميس العربية ، وهي كما قال : عبد الهادي أبو طالب : صاحب كتاب : "معجم تصحيح لغة الإعلام العربي" : كلمة مُحْدَثَة : أي أدخلت إلى العربية حديثا" ويقول أيضًا " وكثيرا ما يستعمل الصوفيون هذه الكلمة "إنه يذكر الله في تَواجُد عميق" . وكلمة "يوجد" تغني عنها ، فيقال على سبيل المثال : يوجد أو ينتشر الاستيطان البشري .. ، وهي أيضًا في حاشية صفحة (٤٢٤) السطر التاسع . **حاشية صفحة** (**٣٢١**) السطر السادس : "المخاطبين" . الصواب : "المخاطبون" . **حاشية صفحة** (**٣٢٢**) السطر الرابع : "ذاتيٍ" . الصواب : "ذاتيًا" . **حاشية صفحة** (**٣٢٣**) السطر الثاني: "باحث" . الصواب : "باحثًا" . **صفحة** (**٣٢٤**) السطر قبل الأخير: "الدُّيُر" . وكذلك في **صفحة :** (**٣٣٠**) مصطلح محلي صوابه : "الدُّجُر" . **حاشية صفحة** (**٣٢٨**) السطر الثالث : "العاملين" . الصواب : "العاملون" . **صفحة** (**٣٣٦**) السطر الثالث : "الليص" لعل الكاتب يقصد "النَّيْص" وهو حيوان يأكل الذرة ، وقد عَرَّفه باسم (القنفذ) والقنفذ حيوان غير النيص وأصغر منه . **صفحة** (**٣٣٧**) السطر الثاني والعشرون : هل "الكانون" يوضع فيه الجمر ، أم يوضع على الجمر و(الحطب) لتستقر على ظهره أواني الطبخ والقهوة والشاي . قال أبو دهبل في ديوانه "٧٠" وهي التي اعتمدت عليها :

---

(١) وأقول يا أستاذ علي بن سدران أن بلاد السراة وتهامة عرفت الكثير من اللقاءات والمنتديات منذ العصر الجاهلي وعبر اطوار التاريخ الإسلامي . وهذا الموضوع يستحق أن يبسط في عشرات الكتب والرسائل والبحوث العلمية . ونشكر أبو عراد الذي طرح مثل هذا الموضوع ونأمل منه أو منك يا ابن سدران أن تزودنا بدراسات عميقة وموثقة في هذا الباب . كما نرجو من طلاب الدراسات العليا وأساتذة أقسام التاريخ واللغة العربية وآدابها في جامعات الجنوب السعودي أن يدرسوا مثل هذا الموضوع في عدد من البحوث الأكاديمية . (ابن جريس) .

تَجْعَلُ الْمِسْكَ والْيَلَنْجُوجَ والنَّدَّ   صِلاءً لَهَا عَلَى الْكَانُونِ

صفحة (٣٤٠) السطر الثاني : لعل "اللّومة" كما وردت عند أغلب القبائل ، هي الحديدة التي تركب في المحراث لشق الأرض . والله أعلم . **صفحة** (٣٤٠) السطر الثالث: "المِدْسَم" : تسمية محلية لِما تسوى به المزرعة بعد حرثها ، ولكن ما هو اسمها المتعارف عليه عربيًّا ؟ السطر السادس عشر . أليس السَّحْب هو المحراث وتلك الحديدة التي تركب في مقدمته السفلى تسمى: "السِّنَّة، أو حديدة السحب أو اللومة" وإلاَّ يختلف اسمه لدى أهل منطقة عسير ؟ **صفحة** (٣٤٤) السطر السادس ، لفظة "لَهَزّ" . لا تناسب المعنى الذي أراده الدكتور "أبو عراد" للَّبَن ، وأرى استبدالها ب "لَمَخْض" . جاء في : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١١٠٥/٣) : مَخَضْتُ اللبنَ أَمْخَضُهُ وأَمْخُضُهُ وأَمْخِضُهُ ، ثلاث لغات" . قال معاوية في : عيون الأخبار (٥٥/٤) :

إذا راح في قوهيّة متلبّسا   تقل جعل يستنّ في لبن مخض[1].

صفحة (٣٤٥) السطر الأول : يثقب في الرحى العليا ثقبان ، الأول في وسطها كما قال الباحث وذلك من أجل وضْع الحبوب داخله أثناء الطحن ، والثاني في أحد أطرافها يُثَبَّت فيه عود متين نسبيًّا بمقدار القبضة أو أرفع قليلاً ، لتدير به الطاحنة الجزء العلوي من الرحى عند إرادة طحن الحبوب . **صفحة** (٣٤٦) السطر الرابع عشر: "كلاً" . الصواب: "كلٌّ" . وفي الحاشية : "مدن" . والصواب : "مدنًا" . **صفحة** (٣٦٠) السطر الأول : "الأخوين" . الصواب : "الأخوان" . **صفحة** (٣٦٥) السطر الثامن : "تاريخيا بعيداً" . الصواب : "تاريخ بعيد" . **صفحة (٣٦٧ وما بعدها)** كشف الأستاذ الدكتور غيثان، بعض خفايا البيت الجامعي وما يحصل فيه من خلاف ، بين أناس مثقفين لا يفترض أن يصدر منهم مثل ذلك لمكانتهم العلمية ، وقد يستغرب المرء بعض ما صَرَّح به الأستاذ الدكتور، وأتمنى ألاَّ ينعكس ما يدور بينهم من تَحَزُّب على مستوى الطلاب التحصيلي. وأن يكون هذا التحزب في صالح العمليتين التعليمية و التربوية.[2]

صفحة (٣٦٨) السطر العاشر : "سعوديين آخرين" . الصواب : "سعوديون آخرون" . والسطر الحادي عشر : "فرق وأحزاب" . الصواب : "فرقًا وأحزابًا" . وفي الحاشية:

---

(١) نحن جميعاً نشكرك يا ابن سدران على هذه الاستدراكات والملحوظات القيمة ، ونسأل الله أن لا يحرمك أجر ما قدمت لنا ولطلاب العلم والمعرفة . (ابن جريس) .

(٢) هذا الذي نتمناه جميعاً ، ونسأل الله أن يصلح قلوبنا وأن يسخرنا لكل عمل صالح ومفيد في الدنيا والآخرة .(ابن جريس) .

السطر السادس": "صاروا". الصواب: "صارا". **صفحة** (٣٦٩) السطر الخامس: "الشرفية". الصواب: "الشرقية. **صفحة** (٣٧٠) السطر الرابع: "قائم". الصواب: قائمًا". وفي السطر الأول من الحاشية: "كثير". الصواب: "كثيرًا". والسطر العاشر: "القائمين". الصواب: "القائمون". **حاشية صفحة** (٣٧١) السطر العاشر: "رث وهزيل". الصواب: "رثًا وهزيلاً". السطر الحادي عشر: "محدودين". الصواب: "محدودون". **صفحة** (٣٧٣) السطر الرابع عشر: "مجدياً". الصواب: "مجد". **صفحة** (٣٧٤) السطر الرابع عشر: "كثير". الصواب: "كثيرًا". وكذلك في السطر الأول من الحاشية. **حاشية صفحة** (٣٧٥) السطر الرابع: "ضعيف". الصواب: "ضعيفًا". والسطر العاشر: "عديدون". الصواب: "عديدين". **صفحة** (٣٧٧) السطر السابع: "كبير". الصواب: "كبيرًا". **حاشية صفحة** (٣٧٨) السطر الخامس: "كل". الصواب: "كلاًّ".

حاشية صفحة (٣٧٩) السطر التاسع: "سروي". الصواب: "سرويًّا". والسطر العاشر: "تهامي". الصواب: "تهاميًّا". والسطر الثاني عشر: "ي منطقة". الصواب: "في منطقة". **صفحة** (٣٨٠) السطر الرابع: "شقق". الصواب: "شققًا". وفي السطر الرابع من الحاشية: "صور". والصواب: "صورًا". **صفحة** (٣٨١) السطر الأول: "فأجزائها". الصواب: "فأجزاؤها". والسطر الثاني: "وأجزائها" الصواب: "وأجزاؤها". السطر السابع عشر: "صور". الصواب: "صورًا". وفي السطر الثامن من الحاشية: "كثير". والصواب: "كثيرًا". **صفحة** (٣٨٢) السطر التاسع: "محدودي". الصواب: "محدودو". وفي السطر العاشر من الحاشية: "وأعوان". والصواب: "وأعوانًا". **صفحة** (٣٨٣) السطر السابع: "جزء". الصواب: "جزءًا". ثم ماذا عن الوضع السياسي والإداري في جنوب المملكة العربية السعودية، في عهدي الملكين: سعود وفيصل ابني عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمهما الله؟ **صفحة** (٣٨٤) السطر الخامس عشر: أمير منطقة الباحة الحالي هو: سمو الأمير مشاري بن سعود، استلم بعد أخيه سمو الأمير محمد يرحمه الله، وليس سمو الأمير: مشعل بن سعود. وفي الحاشية: السطر السادس: "جهود". الصواب: "جهودًا". **صفحة** (٣٨٧) السطر الثاني عشر: "المتمردين (الحوثيين)". الصواب: "المتمردون (الحوثيون) وفي السطر الأول من الحاشية: " أو الصفويين". الصواب: " أو الصفويون". **صفحة** (٣٨٨) السطر الثاني: "اليمنيين". الصواب: " اليمنيون". والسطر الثامن عشر: "الحوثيين". الصواب:

"الحوثيـون" . **صفحـة** (٣٨٩) السطـر السادسـ عشـر : "دوراً كبيراً" . الصـواب : "دورٌ كبـيرٌ" . **حاشية صفحة** (٣٩٠) ذكرت امتـلاك النساء في الوقت الحالي مزيدًا من الحرية والانطلاق ، فما تعليقك على تلك الحرية المنفلتة حاليًّا التي لا تعترف بوجود المحرم[1] ؟. **حاشية صفحة** (٣٩١) السطر الثاني : "ومن هن" . الصواب : "ومنهن" . والسطر الثالث : "كثير" . الصواب: "كثيرًا" . والسطر الرابع : "لرجال" . الصواب: "الرجال" . والسطر العاشر : "مجتمع واعي" . الصواب : "مجتمعًا واعيًا" . **صفحة** (٣٩٢) السطر الثاني عشر: "آبائهـم" الصـواب : "آباءهم" . والسطر السابع عشر: "أبنائه" . الصواب : "أبناؤه" . والسطـر الثامـن عشر : "بيوت وقصور" . الصـواب : "بيوتًا وقصـورًا" والسطر التاسع عشر : " أبنائهم" . الصواب " أبناءهم" .

حاشيـة صفحـة (٣٩٥) السطـر العاشـر : يقول الأستـاذ الدكتور غيثـان : "يتدثرن بالعبـاءات السوداء .." قلت لعل الصـواب ـ في رأيي ـ "يتدثرن بالعباءات السود" . لأن العباءات جمع ، قال تعالى في سورة فاطر ٢٧: "وغَرَابيبُ سُود" . ولم يقل سبحانه سوداء. كمـا يقول في السطر السادس من الحاشيـة أيضًا : "الحجابُ للنساء من قوانين الدولة السعوديـة الحديثـة" . قلت : الحجـاب قديم قدم الإسلام ، وهو مـن سننه ومحاسنه ، نـزل كما جاء في كتاب الطبقات الكـبرى (١٣٩/٨) : "سَنَةَ خَمْسٍ مـنَ الْهِجْرَة" وإنما طبَّقَتـه الدولـة السعوديـة امتثالا لشرع الله ، فقـد جاء عن سعد بن أبـي وقّاص (رضي الله عنه) : " اسْتَـأْذن عمر (رضي الله عنه) رَضيَ عَلَـى رَسُول الله (ﷺ) وَعنْدَهُ نسْـوَةٌ منْ قُرَيْش يُكَلِّمْنَـهُ وَيَسْتَكْثرْنَـهُ عَاليَةً أَصْوَاتُهُنَّ فَلَمَّـا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ فَبَـادَرْنَ الْحِجَابَ ، فَدَخَلَ عُمَـرُ وَرَسُولُ الله (ﷺ) ، يَضْحَـكُ فَقَالَ : أَضْحَكَ الله سنَّكَ يَا رَسُولَ الله . فَقَالَ النَّبيُّ (ﷺ) : "عَجبْـتُ مـنْ هَؤُلَاء اللَّاتـي كُنَّ عنْدي فَلَمَّـا سَمعْنَ صَوْتَكَ ابْتَـدَرْنَ الْحجَابَ" قَـالَ عُمَـرُ : يَا عَـدُوَّات أَنْفُسهنَّ أَتَهَبْنَني وَلَا تَهَبْنَ رَسُـولَ الله (ﷺ)[2]" . ومعلوم أن آية الحجـاب نزلت في القـرآن الكريم ، قال الله تعالى : "وَإذا سَأَلْتمُوهُـنَّ مَتاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مـنْ وَراء حجـاب ذلكُـمْ أَطْهَرُ لقُلوبكُـمْ وَقُلُوبهنَّ" . قبس من سـورة الأحزاب ، آية رقم (٥٣) . ونـزول آيـة الحجاب مما وافق قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعن أنس بـن مالـك رضي الله عنـه ، قال : قال عمر بـن الخطاب رضي الله عنـه : قلت لرسول الله ﷺ: لـو حجبـت عـن أمهات المؤمنين ؛ فإنـه يدخل عليك البر والفاجـر ، فنزلت آية

---

(١) في العقـود الثلاثـة الأخيرة وصل مجتمعاتنا العديـد من الأعراف والعادات الغربيـة والمختلفة عما عاشه الآباء والأجداد . والواجب إجراء دراسات مقارنة بين القديم والحديث من العادات والتقاليد . (ابن جريس) .

(٢) مشكاة المصابيح (١٧٠٢/٣) بتصحيح الألباني رحمه الله .. (ابن سدران) .

الحجاب[1]. وفي السطر السابع: "كثير". الصواب: "كثيرًا". **صفحة (٣٩٦)** السطر التاسع. "وافدين". الصواب: "وافدون". السطر التاسع عشر: "أنواع". الصواب: "أنواعًا". **صفحة (٣٩٧)** السطر الأول: "أم". الصواب: "أمَّا". "المقتدرين". الصواب: "المقتدرون". "أنواع". الصواب: "أنواعًا. السطر العاشر: "كثير". الصواب: "كثيرًا". والسطر الخامس عشر: "يحثونهم". الصواب: "يحثوهم". **صفحة (٣٩٨)** السطر العاشر: "نسائهم". الصواب: "نساؤهم". **صفحة (٣٩٩)** السطر الثاني: "آباءنا". الصواب: "آباؤنا". والسطر السادس: "الطعم". الصواب: "الطعام". وفي السطر الأول والثاني من الحاشية: "صل". الصواب: "صلى". السطر الثاني: "كثير". الصواب: "كثيرًا".

حاشية صفحة (٤٠٠) السطر الثاني. يقول الدكتور عن النساء: "كثيري الخروج". الصواب: "كثيرات الخروج". لأن "كثيري" تقال للرجال أو للمثنى من الرجل والمرأة. ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وأسلمني الزمان إلى أناس كثيري الغدر ليس لهم وفاء

انظر: تاريخ بغداد وذيوله: (١٩/١٠١).

حاشية صفحة (٤٠١) السطر السادس: "كثير". الصواب: "كثيرًا". والسطر السادس والتاسع: الأجازات ٢". الصواب: "الإجازات". "أجازة". الصواب: "إجازة". **صفحة (٤٠٣)** السطر الرابع: "قمم". الصواب: "قممًا". والسطر الثاني والعشرون: "آباءهم". الصواب: "آباؤهم". **حاشية صفحة (٤١١)** السطر الثالث عشر: "مثلك". الصواب: "مثل". والسطر الرابع عشر: "كثير". الصواب: "كثيرًا". **صفحة (٤١٢)** السطر الثاني عشر: "كليتي.. التابعتين". الصواب: "كليتا.. التابعتان". **صفحة (٤١٥)** السطر السادس: "لا يقارنوا". الصواب: لا يقارنون. **صفحة (٤١٧)** السطر الحادي عشر. "ثوار". الصواب: "ثوارًا" وفي الحاشية السطر الثاني: "كثير". الصواب: "كثيرًا". والسطر الثاني عشر: "صل الله". الصواب: "صلى الله". **صفحة (٤١٩)** السطر الرابع: "فكر تكفيري". الصواب: "فكرًا تكفيريًّا". وفي السطر الأخير من الحاشية: "متخصصين". الصواب: "متخصصون". **حاشية صفحة (٤٢٢)** السطر السابع: "طرق.. وفرق". الصواب: "طرقًا.. وفرقًا". **حاشية صفحة (٤٢٣)** السطر السادس: "أعضائها". الصواب: "أعضاءها". والسطر الحادي عشر: "حراك ثقافي". الصواب: "حراكًا ثقافيًّا". **صفحة (٤٢٤)** السطر الخامس: عَرَّبَت "التلفاز"

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان: (٢٠/٣١٢) (ابن سدران).

ولم لا تعـرب "الراديـو" . فتقول : المذّياع ؟ **حاشية صفحـة** (٤٢٦) السطر السابع : "مجتمع واحد" . الصواب : "مجتمعًا واحدًا" . السطر الحادي عشر : "بحوث" . الصواب : "بحوثًا" . **صفحـة** (٤٢٨) السطر الرابع : "كثير" . الصواب : "كثـيرًا" . **صفحة** (٤٢٩) السطر التاسع : "كتــب .. وبحــوث" . الصــواب : "كتبًا .. وبحوثــا" . وأراك لم تتحدث عن الصوفية التي شاعـت في تهامة زمن الإدريسي. **صفحة** (٤٣٠) السطـر الحادي عشر : "قطع" . الصواب: قطعًـا. السطر الخامـس: في الحاشية: "عدد" . الصواب : "عددًا" . **صفحة** (٤٣١) السطر الرابع: "مجهولين" الصواب: مجهولون. السطر العاشر: "كثير" . الصواب: كثيرًا . **صفحة** (٤٣٢) السطر السابع: "السعوديين" . الصواب: "السعوديون" . السطر التاسع: "فأبنائها" الصـواب : "فأبناؤهـا" . السطر الثالث عشر: "أسر" . الصـواب: "أسرًا" . **صفحة** (٤٣٣) السطر السادس : "أعداد" . الصواب: "أعدادًا" . **صفحة** (٤٣٤) السطر السابع : "بيوت" . الصـواب: "بيوتـا" . **صفحـة** (٤٣٥) السطر الثامـن: "أراضي" . الصـواب: أراض. **حاشية صفحـة** (٤٣٩) السطـر الأول : "جامعتين" . الصواب : "جامعتــان" . **صفحة** (٤٤٠) السطر الخامـس : "شــيء" . الصواب: "شيئًا" . هذا والله أعلم وأحكم ، وصلى الله على سيدنا محمـد وآلـه وصحبه وسلـم .(حــرر في: ١٤٣٨/٤/٢٠ هـ. علي بن محمد بـن معيض بن سدران الزهراني) [1] .

ثالثاً: خلاصة القول :

في نهاية هذه التصويبات والإضافات ليس أمامنا إلا الاعتراف بالفضل الذي أسدى لنا هذا العلم الزهراني الأزدي (علي بن سدران) ، فنقول له شكر الله لك وزادك من فضلـه وكرمه وجـوده . كما نأمل ونتطلع إلى أن يمـد الله في العمر حتى نراجع الأجزاء التي صدرت من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) فندقق معلوماتها ونصلح عيوبهـا . فلقـد وصلنا ملحوظات كثيرة من أساتذة وباحثـين فضلاء ، على الأحد عشر مجلـداً التي صدرت إلى هذا العـام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ولا تخلـو جميعها من أخطاء تستحق منا المراجعة والاستفادة من هذه التصويبات والإضافات . ومن على صفحات هذا السفر أرجو من أخي العزيز ابن سدران أن يضاعف جهوده فيزودونا ببعض الدراسات التاريخية والحضارية النوعية التي تختص بأرض وسكان بلاد زهران وغامد منذ عصور

---

(١) وأقـول يا أستاذ علي أن الصوفية انتشـرت في أجزاء عديدة من بلاد تهامة ، وربما مازال لها وجود وممارسات حتـى وقتنـا الحاضر . وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في بحوث عديدة . ونأمل من طلابنا في أقسام الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية أن تلتفت لمثل هذا الموضوع المهم . (ابن جريس) .

ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحديث والمعاصر. وأصر في طلبي على هذا الرجل الذي أفادنا كثيراً في عدد من بحوثه ودراساته التي اطلعنا عليها ونشرناها على صفحات كتاب (**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**) ، أو في بعض الكتب والبحوث التي طبعها ونشرها في أمكنة أخرى. والله أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى خدمة ديننا وبلادنا وأهلنا . والله من وراء القصد .

سادساً: آراء وتعليقات :

لقد احتوى هذا القسم على محاور متنوعة في عناوينها وأطروحاتها ، ومعظمها دراسات علمية موثقة من أساتذة وباحثين جادين ومجتهدين . وجميعها تدور في فلك أجزاء من بلاد تهامة والسراة . فهناك دراسة ناقشت تاريخ بعض العشائر السروية الأزدية التي أسهمت في تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها ، أنها عشيرة دوس وغيرها من عشائر زهران الأزدية . ودراسة أخرى بحثت ما جرى لقلعة الثريا في جازان من بناء وهدم خلال القرون الإسلامية الوسيطة والمتأخرة . وبحوث أخرى ركزت جميع معلوماته على موقع سوق حباشة التاريخي القديم . كما اشتمل القسم أيضاً على تصويبات وإضافات قيمة على أحد الكتب الحديثة التي طبعت ونشرت عن تاريخ وحضارة بعض أجزاء السروات وتهامة . ومن خلال محاور هذا القسم ، نقول إنه مازال هناك موضوعات جديرة بالبحث والدراسة ، نذكر منها ما يلي :

١. هناك عشرات العشائر والفخود والبطون السروية والتهامية التي يجب دراسة أنسابها وتاريخها وحضارتها في عصور ما قبل الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي .

٢. عرفت بلاد تهامة والسراة عشرات القلاع والحصون والقرى التاريخية والأثرية . وكل هذه القرى تحتاج من يدرس تاريخها والدور الذي لعبته في الحضارة الإسلامية. وللأسف أن من يتجول في أرجاء السروات وتهامة يشاهد الكثير من هذه الآثار العمرانية اندثرت وضاع تاريخها ، والمسؤولية كبيرة على جميع مؤسسات الدولة فالواجب أن تبذل جهوداً كبيرة للحفاظ على هذا الموروث الحضاري .

٣. سوق حباشة ليس إلا سوقاً واحداً من مئات الأسواق التاريخية التي عرفها

سكان تهامة والسراة . وإذا كنا نرى هذه الاختلاف الواضح والبين على موقع سوق حباشة ، فهناك أيضاً أسواق أخرى اندثرت ولا نعلم أي شيء عن مواقعها. ونقول إن مثل هذه الأسواق القديمة التاريخية جزء من حضارة وتاريخ هذه البلاد العربية ، والواجب على أقسام التاريخ ، والهيئة العليا للسياحة، وكليات الآثار أن تضاعف الجهود لدراسة أمكنة وحضارة هذه الأسواق .

٤. صدر حتى الآن عشرات الكتب والدراسات والرسائل والبحوث عن بلدان السروات وتهامة . والواجب علينا معاشر الباحثين أن نطلع على هذه الأعمال العلمية ، ونصحح ما ورد فيها من أخطاء ، ونستكمل ما فيها من نقص ونضيف عليها كل ما يخدم الحياة العلمية والثقافية والفكرية . وهذا ابن سدران وابن معبِّر من الباحثين الجادين الذين بذلوا جهوداً تذكر فتشكر في هذا الباب ، ونأمل أن نرى من يقتدي بهما في نقد وتصويب بعض البحوث التي صدرت عن مناطق الجنوب السعودي خلال المئة عاماً الماضية[1] .

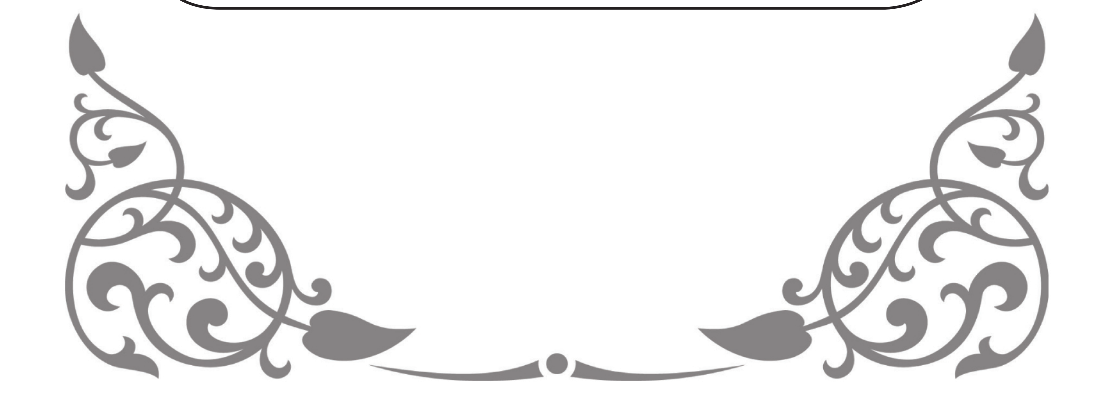
---

(١) من يطلع على العشرة أجزاء الأولى من كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، سوف يجد عدداً من البحوث النقدية التي صححت وصوبت بعض البحوث والكتب المنشورة . وابن معبِّر وابن سدران من أولئك الأعلام الذين بذلوا جهوداً طيبة في هذا الميدان . (ابن جريس) .



القسم الثالث

من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات ، وقراءات في بعض الكتب ، والوثائق، والبحوث)



القسم الثالث

من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات ، وقراءات في بعض الكتب ، والوثائق ، والبحوث) .

أولاً: مدخل :

يشتمل هذا القسم على صور من تاريخ بلدان تهامة الممتدة من شمال محايل عسير إلى قلوة زهران ، ويتكون من محورين رئيسيين هما : (١) ذكر شيء من تاريخ هذه البلاد من خلال مشاهداتي وانطباعاتي أثناء رحلتي في مناكبها . (٢) تدوين صفحات من تاريخها في العصور الإسلامية المختلفة المدونة في بعض المصادر والمراجع المنشورة وغير المنشورة .

ثانياً: رحلتي من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات ، وانطباعات) .

خرجت من مدينة أبها ، في رحلة علمية ، لمدة خمسة أيام ، من صباح يوم الخميس إلى مساء الإثنين (٧-١١/٤/١٤٣٨هـ الموافق ٥-٩/١/٢٠١٧م) ، وكانت وجهتي إلى محافظة محايل عسير[١] ، ومنها اتجهت إلى محافظة بارق[٢] ، وقضيت هذه الأيام الخمسة في مدن وقرى وجبال وأودية الأراضي الممتدة من مدينة بارق في تهامة منطقة عسير إلى مدينة قلوة في تهامة منطقة الباحة .

١- بارق والمجاردة :

وصلت إلى مدينة محايل عسير الساعة السابعة صباحاً ، وتناولت وجبة الإفطار في أحد مطاعمها التجارية المتوسط في جودته وخدمته ، ثم خرجت على الطريق الرئيسي المتجه إلى بلاد بارق ، وشاهدت محايل مدينة كبيرة فيها بعض الشوارع المزدوجة ، ومعظمها ذات السير الواحد ، وفيها أسواق ومحلات تجارية عديدة ، وعمائرها تتراوح من الطابق الواحد إلى الأربعة وأحياناً الخمسة طوابق ، ويوجد فيها معظم المؤسسات الحكومية وكثير من الإدارات والمؤسسات الأهلية والخاصة [٣] ، وبعد حوالي نصف ساعة سيراً في الطريق العام دخلت حدود محافظة بارق ، ومكثت فيها وفي محافظة المجاردة يومين أتنقل في أرجائها وأدون شيئاً من تاريخها الحديث والمعاصر[٤] .

---

(١) محافظة محايل عسير ، من المحافظات الرئيسية في منطقة عسير ، ولها تاريخ قديم وحديث ومعاصر ، وحتى هذه الساعة لا نجد أي عمل علمي يصدر عنها ، وسوف أكتب عنها كتابة موسعة في أحد أعمالي المستقبلية ، ونأمل أن نرى أحد من أبنائها يصدر عنها كتاباً أو دراسة علمية موثقة . للمزيد انظر : غيثان بن جريس " محايل عسير في العصر الحديث (دراسة تاريخية حضارية مختصرة " . بحث منشور في الجزء السادس من سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب .(الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، ج٦، ص ٢٠٧-٢٣٧ .

(٢) ورد اسم بارق في كثير من كتب التراث الإسلامي المبكرة ، والبارقيون انتشروا في مواطن عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وبارق المعنية في هذه الدراسة تستوطن موقعها في تهامة منذ زمن قديم ، وأشارت المصادر والوثائق إلى شيء من تاريخها في العصر الحديث ، وكانت إحدى المراكز الرئيسية لمحافظة المجاردة ، وفي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) فصلت من محافظة المجاردة، وأصبحت محافظة مستقلة من فئات (ب) . وأقول إن بلاد بارق أحسن حظاً من غيرها في تهامة الباحة وعسير، فقد صدر عنها بعض الدراسات والبحوث المنشورة في هيئة كتب أو رسائل علمية أو بحوث في مجلات ثقافية أو أكاديمية ، ومازالت أيضاً بحاجة إلى دراسات وبحوث نوعية في كثير من الجوانب التاريخية والأثرية والحضارية واللغوية والاجتماعية والثقافية .

(٣) كما أشرت سابقاً ، محافظة محايل تستحق دراسات عديدة ، واعلم أن كثيرين من أبنائها يحملون درجات عليا في التاريخ والأدب واللغة وعلوم أخرى عديدة ، نأمل أن نرى بعضهم يردون الجميل لأهلهم وبلادهم ويدرسون تاريخها وتراثها وحضارتها عبر عصور التاريخ ، وهذا في اعتقادي شيء ضروري وواجب على من لديه القدرة والاستطاعة .

(٤) لم أدخل المنطقة الشمالية الشرقية لمحافظة محايل ، وكذلك النواحي الشرقية لمحافظة بارق ، وأقصد بذلك مناطق الأصدار وما يقع عند سفوح جبال سروات بللحمر وبللسمر الغربية ، مثل بلاد فرشاط ، وخميس مطير، وجبلي هادي ، وضرم وما جاورهما، وهذه بلاد فعلاً تستحق الدراسة، وآمل من أبنائنا الطلاب وبخاصة الدارسين في برامج الدراسات العليا والذين ينتمون إلى هذه البلاد أن يدرسوا تاريخها وتراثها وحضارتها ، وهي جديرة بالبحث والدراسة .

أ- بارق :

اسم بارق المعروف اليوم قديم جداً ، وهو اسم رجل ينتسب في الأزد ثم في قحطان، أشارت إلى اسمه ونسبه كثير من المصادر والمراجع المتقدمة والمتأخرة ، وربما لفظة (بارق) تطلق على اسم علم جغرافي في جنوب الجزيرة العربية ، وهذا المكان قد يكون له صلة ببارق الإنسان ، الذي هو جد قبائل بارق الأزدية [١]. وبلاد بارق الحالية تبعد عن مدينة أبها في تهامة عسير حوالي (١٣٠-١٤٥كم) ، وهي أرض حارة في الصيف ومعتدلة في الشتاء ، وتتنوع تضاريسها من السهول إلى الجبال المتفاوتة الارتفاع . والظاهر على عموم المحافظة أن عجلة التنمية الحديثة وصلتها ، فجميع الأبنية الأهلية والحكومية ، الخاصة والعامة مسلحة ، وقليل من الناس مازالوا يعيشون في القرى أو المنازل القديمة[٢] . كما يوجد في هذه الناحية معظم المؤسسات الحكومية مثل: المحافظة، والمحاكم الشرعية ، وإدارات البلدية ، والدفاع المدني، والشرطة ، وفروع للأوقاف ، والهلال الأحمر ، ووزارة المياه ، وإدارات أخرى عديدة . وتوجد المدارس بجميع مراحلها في جميع أنحاء المحافظة ، وكذلك أبنية فرع جامعة الملك خالد في تهامة تقع في الناحية الجنوبية من محافظة بارق ، وهي تقريباً في الوسط بين محافظتي محايل وبارق[٣] . وذكر لي بعض البارقيين بعض الجبال والأودية المشهورة في المحافظة، مثل: (١) جبل ريدان في شرق المحافظة . (٢) جبل أثرب ، وهو في الوسط بين قبائل بارق وبني شهر ،

---

(١) تذكر بعض المصادر المبكرة إلى أن بارق هو : سعد بن عدي بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن ثعلبة ابن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وبارق القديم وقبائله خرجوا من بلاد اليمن وتناثروا في أجزاء عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ومنهم بعض عشائر محافظة بارق اليوم . وإذا حاولنا معرفة تتبع سير البارقيين في بلاد السروات وتهامة منذ خروجهم من اليمن إلى أن استقر بعضهم في تهامة عسير، فإننا نجد صعوبة كبيرة لأننا لا نملك المصادر الموثوقة التي ترصد سير رحلتهم وحروبهم وتنقلاتهم حتى العصر الحديث والمعاصر . وهذه مشكلة معظم قبائل الجزيرة العربية ، نعم هناك الكثير من كتب الأنساب والمصادر التي تذكر شيئاً من تاريخ هذه العشائر والقبائل ، لكن هناك حلقات كبيرة مفقودة ، ولا نجد معلومات واضحة وصريحة لهذه العقبات حتى الآن .

(٢) مكثت يوماً كاملاً أتجول في محافظة بارق وكان برفقتي أحد طلابي ، وهو الأستاذ محمد بن علي الجحيني ، وشاهدت قرى قديمة في محافظة بارق مثل : (١) قرية ساحل ، وهي بلدة بارق القديمة، ومعظم سكانها من عشيرة آل سباعي ، وفيها الكثير من الأبنية القديمة مثل المنازل والقصور الخاصة وبعض المرافق العمرانية الأخرى .(٢) قرية الشعراء في بلاد صعبان (٣) قرية القهبة . (٤) قرية اللوح في صعبان (٥) قرية المنزل التابعة لعشيرة آل سباعي . وهناك قرى وأبنية كثيرة قديمة ومندثرة في نواح عديدة من أرض المحافظة . المصدر: جولة الباحث في بارق يوم الخميس (١٤٣٨/٤/٧هـ) .

(٣) المصدر نفسه . زار الباحث بعض مديري المؤسسات الإدارية في بارق يوم (١٤٣٨/٤/٧هـ) ، مثل : إدارة مكتب التربية والتعليم ، ومكتب الدعوة والإرشاد ، وكتابة عدل بارق .

وهو إلى الشرق من المحافظة . (٣) وجبال الشعراء، وهتمان ، والصلبة . ومن الأودية: وادي بقرة ، والحمظ ، وثعيب وغيرها [١] .

ومن قبائل وعشائر بارق في العصر الحديث والمعروفة حتى اليوم (١) عشائر آل علي. (٢) آل جبلي . (٣) آل موسى بن علي .(٤) صعبان . (٤) المجامرة . وهذه العشائر يندرج تحتها عشرات القرى والأسر والأفخاذ . والناظر في محافظة بارق في وقتنا الحاضر يجد أنها مليئة بعناصر عربية وغير عربية ، والعناصر العربية من قبائل أخرى في المملكة العربية السعودية أو بعض البلاد العربية الأخرى ، أما غير العربية فهناك موظفون وعمال كثيرون يعملون في قطاعات عديدة وهم من بلدان إسلامية وغير إسلامية مثل: الهند ، والصين ، والفلبين ، والباكستان ، وبنجلاديش وغيرها من بلدان العالم [٢] .

وتاريخ أهل بارق الاجتماعي والاقتصادي المعاصر اختلف عن الماضي ، فالعادات والأعراف القديمة في اللباس ، والطعام والشراب ، والحياة اليومية تغيرت ، ومنها الذي ضاع واندثر ، وبعضها جرى عليها الكثير من الحذف والاضافة ، وظهر عادات وتقاليد حديثة مواكبة لحركة التطور والتمدن الذي يعيشه الناس ، بل أصبح هناك فجوات كبرى وأحياناً تباعد أو تعارض مع القديم والحديث . والشيء الملموس في محافظة بارق أو غيرها من مدن ومحافظات المملكة العربية السعودية أن الموروث الحضاري القديم وبخاصة في الحياة الاجتماعية يتلاشى ، وصار الكثير من هذا التراث مجهولاً عند جيل اليوم من الشباب وصغار السن[٣].

أما الاقتصاد فجرى عليه الكثير من التغير والنمو، نعم كان الآباء والأجداد قديماً يمارسون حياتهم الاقتصادية بطرق أولية وبدائية من حيث ممارسة الصيد ، وجمع

---

(١) أثناء سيري في أجزاء المحافظة كنت أشاهد قرى حديثة وقديمة كثيرة ، وكذلك هناك عشرات الأودية والجبال التي مررنا بها وتوقفنا عند بعضها ، وأقول إن بلاد بارق تستحق من يدرسها دراسات مطولة وبخاصة في ميادين القرى القديمة والحديثة والأودية والجبال ، ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين في جامعة الملك خالد يتولوا هذه الموضوعات بالدراسة والتحليل .

(٢) أقول إن أساتذة التاريخ وعلم الاجتماع عليهم مسؤولية دراسة مثل هذه المجتمعات التي تتنوع فيها طبقات المجتمع ، وبارق مجرد نموذج بسيط من التركيبة الاجتماعية التي يعيشها المجتمع السعودي منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وما تم ذكره أعلاه من عشائر أو فئات مجتمعية أخرى تستحق البحث والدراسة والتحليل ، ونأمل من جامعة الملك خالد أن تفتح بعض المراكز البحثية التي تدرس مثل هذه الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة .

(٣) أعتقد أن هذه معضلة كبيرة ويجب على المدارس، والجامعات ، والأسر ، ومؤسسات الدولة المعنية ، والإعلام ، والصحافة ، والوجهاء والأعيان والمربين ، والخطباء أن ينتبهوا لهذه الكارثة التي حلت بأبنائنا ومجتمعاتنا ، لأنه إذا تم الفصل بين القديم والحديث وبخاصة في القيم والمبادئ والأسس والأعراف والتقاليد الجميلة فإن المشكلة سوف تكبر ، وسيأتي جيل فاقد للهوية والانتماء إلى الأهل والأوطان .

الحطب وغيره ، أو الرعي ، أو الزراعة ، أو التجارة ، أو الحرف والصناعات التقليدية، والسبب في ذلك قلة المال في أيدي الناس ، وتواضع الحياة الاقتصادية ، أما اليوم فأصبح المال كثيراً عند الناس ، وتطوروا في مهنهم وتعليمهم ، وترك أغلبهم حياة الرعي والصيد والزراعة وانتقلوا إلى وظائف حكومية وأعمال تجارية وإدارية تدر عليهم عوائد أفضل من السابق ، ومن ثم فلا ترى من أهل بارق من يمارس الصيد أو الرعي وحتى الزراعة إلا قليلا ، وهذه صفة سائدة عند عموم المجتمع السعودي [(١)] .

لا يمارس الصيد والجمع والالتقاط إلا عدد قليل جداً ، فهناك من يقوم بصيد الطيور والحمام للتسلية ، والبعض يجمعون الحطب والفحم وبعضٍ الثمار لتباع في الأسواق الشعبية أو اليومية. أما الرعي فيمارس على نطاق ضيق ، وأحيانا يقوم بمهنة الرعي بعض العمال المستأجرين ، والزراعة يقوم عليها بعض العمال الوافدين ، ومازالت تزرع الذرة الرفيعة (الحمراء ، والصفراء، والبيضاء) ، والدخن، والخضروات وبعض الفواكه ، مثل: الخس، والجرجير، والبامية ، والفجل، والطماطم ، والبطاطس ، والعنب، والموز، والبرتقال[(٢)] .

ونلحظ التجارات والمهن الإدارية والاقتصادية والصناعية أنشط من غيرها ، فالذاهب على الشارع العام في محافظة بارق يراه يعج بالدكاكين والمحلات التجارية الحديثة والمتنوعة في مساحاتها ومعروضاتها ، ولا تخلو المحافظة من ورش فنية وصناعية تقوم على إصلاح السيارات وكثير من الأدوات والأجهزة والمعدات الأخرى. ومن الأسواق الكبيرة والحديثة التي شاهدتها في مدينة بارق سوق الراية ، وسوق الزهيري، ومجمعات ابن مفرح ، والغامدي، وهناك معارض للسيارات ، ومحطات للمحروقات ، وشقق ووحدات سكنية مفروشة ، ومطاعم و(بوفيهات) ، وبعض المكتبات التجارية [(٣)]. ولا تخلو أرض بارق من سوق شعبي حديث شمال المحافظ ، يباع فيه الكثير من السلع

---

(١) دراسة هذا التحول الاقتصادي خلال الستين عاماً الماضية جدير بالدراسة، ونأمل من أساتذة أقسام التاريخ والاجتماع في جامعة الملك خالد أن يدرسوا مثل هذه التغيرات وأسبابها ،و أحداثها ، ونتائجها. وهذا الموضوع يستحق الدراسة في عشرات البحوث العلمية .

(٢) يعمل بعض أهلٍ بارق في هذه المهنة التي ذكرناها أعلاه ، لكن ليست بالقوة والنشاط الذي كان عند الآباء والأجداد ، وليست أيضاً من المهن التي تدر أموالا كبيرة ، فهي تأتي بعد الأعمال الرئيسية اليوم مثل الوظائف الحكومية أو الأهلية، وممارسة التجارة وبعض الحرف والصناعات الأخرى . نأمل أن نرى من أبناء محافظة بارق من يدرس تاريخ الحياة الاقتصادية في العصر الحديث والمعاصر ، مع إجراء مقارنة بين الأوائل والمتأخرين في هذه الأعمال .

(٣) معظم العاملين في هذه الأسواق من العمالة الوافدة من بلدان عربية وغير عربية ، والسعوديون نسبة قليلة في هذه المهن والأعمال الاقتصادية الجيدة في عوائدها المادية. نأمل أن نرى أحد بناتنا أو أبنائنا الطلاب في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد يتولى موضوع التاريخ الاقتصادي في بارق خلال الثمانين سنة الماضية بالدراسة ، وهذا الموضوع جدير بالبحث .

المحلية ، مثل: المواشي ، والشعير ، والأعلاف ، وأدوات الزراعة ، وبعض البضائع المحلية والتراثية[١] .

هناك عدد من الطرق الحديثة في محافظة بارق، فلا تخلو ناحية أو قرية في المحافظة من طرق مسفلتة، ويتراوح عرض هذه الطرق الصغيرة بين الأحياء والقرى من (٦-١٠) أمتار ، أما الطرق التي تربط بارق مع غيرها ، فهي على النحو التالي : (١) الطريق الرئيسي الذي يخرج من محائل حتى يصل مكة ، وهذا الطريق يأتي من وسط مدينة بارق، وهو الشريان الرئيسي والأهم لهذه المحافظة ، وفيه أجزاء مزدوجة، وأخرى فردية ، والعمل قائماً في هذا الطريق كي يصبح مزدوجاً من أبها إلى محائل إلى بارق إلى المجاردة. (٢) طريق يخرج من محايل إلى الريش ، ثم خميس مطير، إلى ثلوث المنظر، ثم يعود إلى الشارع العام في بارق، ويتفرع من هذا الطريق فرعان : أحدهما إلى بلدة تنومة في السراة من عقبتي برمة أو ساقين ، والثاني من محبة بني شهر إلى المجاردة ، ثم يعود إلى الشارع العام في محافظة بارق. (٣) طريق الطحاحين الذي يتفرع غرباً من الشارع العام عند جسر وادي بقرة إلى حميد العلاية ثم إلى وادي حلي. (٤) الطريق من غرب حاضرة بارق إلى الملصة ثم إلى جمعة ربيعة ، ويخرج منه فرع آخر عبر سهول إلى جمعة ربيعة أيضاً . (٥) طريق من شمال محافظة بارق إلى ثربان ثم إلى جمعة ربيعة حتى يصل إلى القوز والقنفذة على ساحل البحر الأحمر. وعقبات (طرق) أخرى تنزل من السروات إلى محافظة بارق وما جاورها ، مثل: عقبة الجعدة من سروات بللحمر إلى بلدة فرشاط، وعقبة أخرى من سروات بللسمر إلى خميس مطير، وعقبتي ساقين وبرمة من سروات تنومة إلى وادي بقرة ثم الشارع العام من محايل إلى المجاردة عبر بلدة بارق[٢] .

---

(١) عرفت بلاد بارق (المحافظة) عدد من الأسواق الأسبوعية القديمة ، ومعظمها اندثرت ، وبعضها مازال يعمل على نطاق ضيق، ومن تلك الأسواق. (١) سوق خميس مطير، ويعمل بشكل بسيط ، وبلدة خميس مطير تعد المركز الإداري الرئيسي لتهامة بللحمر وبللسمر. (٢) سوق الثلاثاء (ثلوث المنظر) ، ويعمل على نطاق ضيق . (٣) سوق جمعة أثرب . (٤) سوق الأربعاء في بارق ، ويبدأ من يوم الثلاثاء إلى نهاية الأربعاء ، ويقع في قرية ربوع العجمة . وأقول إن الأسواق الأسبوعية في محافظة بارق كثيرة وجديرة بالدراسة ، بل إن كل سوق يحتاج إلى أن يفرد له دراسة مطولة ومستقلة ، ونأمل من أبناء بارق ومن المؤرخين الجادين في منطقة عسير أن يدرسوا هذه الأسواق التاريخية الحضارية ، وهي فعلاً تعكس صوراً من تاريخ هذه البلاد، وتستحق الحفاظ عليها ودراستها. المصدر: مشاهدات الباحث وجولته في أرض بارق يوم الخميس (١٤٣٨/٤/٧هـ) .

(٢) هذه الطرق والعقبات الآنف ذكرها أعلاه ، وغيرها من الطرق الموجودة في محافظة بارق اليوم لها تاريخ قديم ، حيث كان يسلكها الحجاج والمسافرون ، وأصبحت اليوم طرقاً واسعة ومسفلتة . وهي قديماً وحديثاً تربط بين بلدان ونواحي مهمة في تهامة والسراة وذات تاريخ وحضارة قديمة . ونأمل من مؤرخي منطقة عسير الجادين وطلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ في جامعات الملك خالد ، وجازان ، وأم القرى ، والباحة أن يدرسوا هذه السكك المهمة ، وبخاصة التي ورد ذكر بعضها عند مؤرخين متقدمين ومتأخرين ، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها أكثر من بحث ودراسة .

قلت حظيت بارق والبارقيون بذكر حسن في كتب التراث، ومنهم من شارك في مجالات عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس أعلام بارق منذ العصر القديم وعبر أطوار التاريخ الإسلامي[١]، وعندما ندرس أحوالهم في العصر الحديث نجد المصادر والوثائق لا تسهب الحديث عن رجالات بارق، وبخاصة من كان له باع في الإدارة، والرأي، والحكمة، والتعليم، والثقافة، والأدب[٢]. وهناك شذرات موجزة تشير إلى بعض الأسر والأعلام الذين كان لهم جهود طيبة خلال القرنين الماضيين، ومنهم أسرة آل ريان، والشيخ عبد الخالق بن مانع في بلدة نعص فيذكر أنهم كانوا أصحاب دروس شرعية في بلادهم، وكانوا يقدمون خدمات تعليمية ودعوية وإصلاحية بين أهلهم وفي أوطانهم[٣]. وعند ظهور التعليم النظامي في أبها، وجازان، والقنفذة امتدت آثار هذا المجال حتى شملت تهامة عسير من درب بني شعبة ورجال ألمع إلى بارق والمجاردة، وتطور التعليم في هذه البلاد حتى عم جميع المراحل بمحافظة بارق، وتخرج الكثير من أبنائها وبناتها، وارتقوا في سلم الثقافة والتعليم العالي حتى أصبح منهم أعداد كثيرة يحملون شهادات ودرجات عليا، بل إن بعض رجالات بارق برزوا في قطاعات علمية وإدارية وعسكرية ومدنية، واليوم أصبح مجمع فرع جامعة الملك خالد في تهامة قائماً على أرض المحافظة البارقية، وقد نشاهد في السنوات القادمة تطور أفضل وأسرع على الأرض وبين السكان البارقيين[٤].

وأخبرني بعض الأساتذة في بارق بأن هناك العديد من الأنشطة العلمية والثقافية، مثل: المدارس في التعليم العام فلها العديد من النشاطات على مستوى المدرسة والمحافظة، كما أن نادي أبها الأدبي افتتح في عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) لجنة بارق الثقافية، وهذه اللجنة تقدم العديد من الأعمال الثقافية كالمحاضرات المتنوعة، والأمسيات الشعرية،

---

(١) من يدرس هذا الموضوع دراسة علمية موثقة، فسوف يسدي لنا معروفاً ويطلعنا على تفصيلات قيمة عن هذه البلاد وأهلها.

(٢) هذه المشكلة شملت عموم بلدان تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة، وذلك لصعوبة الأرض، وضعف الحياتين الاقتصادية والتعليمية.

(٣) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس الحياة العلمية والتعليمية في تهامة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه.

(٤) إن تاريخ التعليم النظامي في تهامة عسير، أو في بارق من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ويستحق أن يصدر عنه عدد من البحوث والرسائل العلمية. وأنادي أبناء بارق وبخاصة الأساتذة الجادين وأقول لهم اعكفوا على دراسة تاريخ أرض وسكان بلادكم، وما تمر به من تنمية وحضارة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وهذا العنوان أيضاً جدير بالدراسة والتوثيق العلمي.

وقـراءات في بعض القصص والروايـات المطبوعة والمنشورة . وذكـر لي أن هناك أنشطة أهليـة كالمقهى الثقـافي ، وملتقى أصدقاء الحرف التي تمارس أنشطتها في المحافظة من عـام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، وجميع اهتمام هذه المنتديات يصب في خدمة العلم والثقافة التي تعود بالنفع والفائدة على أهل وشباب هذه الناحية(١) .

شاهـدت في بـارق صـوراً مـن العمـارة وبعضـاً مـن ميادين التنميـة في الترفيه والسياحـة . ففـي باب العمـارة ، هناك عشـرات الأبنية الحكومية المكونـة من الطابق إلى عـدة طوابـق مثـل: المدارس الحكوميـة، وأبنية فـرع جامعة الملك خالـد في جنوب المحافظـة ، وبعض أبنيـة المؤسسـات الإدارية الأخـرى ، ومنازل مشيـدة على الطراز الحديـث ، وتتكـون مـن أدوار ومرافـق عديـدة ، ناهيك عـن تزويقهـا وديكوراتها من الداخـل فهـي على مستـوى جيد من الجمـال والإتقان (٢) . ويتواجـد في محافظة بارق عشـرات المساجـد الكبيرة والصغـيرة ، وجميعها مـزودة بالكهرباء، والمـاء، والأثاث ، ودورات الميـاه ، والمكيفـات . وشاهـدت جوامع عديـدة رئيسية في المحافظـة مثل: (١) جامـع سـارة العجمي علـى الشارع العـام .(٢) جامع عـروة البارقـي.(٣) جامع عمر ابن الخطاب في شمال المحافظة . (٤) جامع الشيخ عبد العزيز بن باز في قرية الخوش في بـارق ، وهو أكبر جوامع بارق وأوسعها . وقد زرت معظم هذه الجوامع فوجدتها على مستـوى عال من الجـودة في البنـاء والتنظيـم ، وجميعها يتولى الإشـراف عليها مكتب الدعوة والإرشاد في بارق(٣) .

أمـا أماكن الترفيه والسياحة في محافظة بارق فهي كثيرة ومنها الأمكنة السياحية الطبيعية مثل: وادي بقرة ، ووادي البرداني والفاتح في بلاد صعبان ، وأجزاء من وادي يبـة ، وأوديـة: جبـال، والواديين ، والقصبـة، وثعيب ، ووادي شـري ، وأجزاء من وادي

---

(١) من خلال اليوم الذي قضيته في محافظة بارق ، وجدت أن الحياة الثقافية مازالت متواضعة ، نعم هناك بعض الشعـراء ، والباحثـين ، وطلاب العلم المجتهدين ، لكنهم يحتاجون إلى الدعم والتشجيع، وإن حصلوا على شيئ من ذلك فإن هذا الجانب المعرفي سوف يزداد ويتطور . ولا تخلو المحافظة أيضاً من بعض الصحف الإليكترونية ، وهنـاك العديد مـن المحاضرات الدينية والثقافية التي يشرف عليها مكتب الدعـوة والإرشاد ، ونأمل أن نرى محافظة بارق تسير في درب النمو والتقدم الحضاري في شتى المجالات الثقافية والتعليمية .

(٢) لم نتحـدث عـن جميع أنـواع العمارة في محافظة بارق مثـل القرى ، والمدن، والطرقـات ، والأسواق ، والمقابر ، والمدرجـات الزراعيـة ، والآبار ، وأبنية المؤسسات الحكومية والأهليـة والتجارية . وهذا موضوع كبير يستحق أن يدرس في بحوث ودراسات عديدة .

(٣) أقول إن تاريخ المساجد في بارق من الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها رسالة علمية ، أو بحث أكاديمي مطول ، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ في برنامج الدراسات العليا ، فيدرس هذا الموضوع في رسالة ماجستير أو دكتوراه .

خـاط ، ومطلات جبلي أثرب وقتروي[١] . أمـا الحدائق والمتنزهات في المحافظة قليلة ، وأهمها: (١) حديقة جبال ، وتعرف أيضاً باسم (متنزه بارق الوطني) ، وتقع في جنوب المحافظـة ، ومساحتهـا واسعة ، ومـزودة بالعديد من الخدمات مثـل: أرصفة للرياضة والمشاة ، وجلسات عائلية ، ودورات للمياه ، ومسطحات خضراء ، وبعض الأمكنة المزود ة بألعاب للأطفال . وترى هذه الحديقة مكتظة بالسواح والمتنزهين من بعد صلاة العصر حتى الساعات الأولى من الليل، ويزداد زوار هذا المتنزه في فصل الشتاء عندما يرتاده الكثـير من سـروات منطقة عسـير. (٢) حديقة خبت الحجري، وتقـع شمال محافظة بـارق ، ويذكـر أن هذا المنتـزه أكبر حديقة عامة في منطقة عسـير، ويوجد بها خدمات أكثر مما هو في حديقة جبال، وزوارها من الأفراد والأسر أكثر[٢] .

ب ـ المجاردة :

ذهبـت في الصباح الباكـرِ يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) من بلدة بارق إلى مدينة المجـاردة ، وقضيـت يوماً كاملاً في عمـوم المحافظة ، وقابلت بعضـ الأساتذة والأعيان الذين أفادوني في جمع بعض المعلومات عن هذه الناحية التهامية [٣] .

ويذكـر أن اسـم المحافظة جـاء منٍ اسم مدينـة المجاردة ، ولا نـدري ما هو سبب التسميـة ، لكـن المجـاردة تعرف أيضـاً باسم (الأجـاردة) ، ويبدو أن هـذا المصطلح جـاء مـن شدة هطول الأمطار التي تجـرد ما يقابلها من الأشجـار والأتربة والأحجار ، فأطلـق على المكان اسـم (المجاردة) أو (الأجاردة) ، وهنـاك رأي آخر يقول إن اسم المحافظـة نسبـة إلى رجـل يدعى لجرد من بني التيـم من أهل السـراة ، وهذه الأقوال تحتمل الصواب والخطأ ، ونأمل أن يظهر لنا في المستقبل مصادر موثوقة تؤكد لنا سبب تسمية هذه الناحية باسم الأجاردة أو المجاردة[٤] .

---

(١) جميـع هـذه الأمكنة طبيعية ، وتـرى بعض البارقيين وغيرهم مـن زوار المحافظة يرتادون هـذه المواقع لقضاء أوقات للراحة والاستجمام ، وهي تحتاج إلى العناية والتطوير من هيئة السياحة ومن المؤسسات الإدارية المعنية في محافظة بارق أو في منطقة عسير. وهذه نماذج ومازال هناك أمكنة عديدة لم نستطع مشاهدتها .

(٢) منطقـة عسـير ، أو بلاد تهامة والسراة من أجمل بلدان المملكـة العربية السعودية ، وتحتوي على مئات المواضع السياحيـة البرية والحدائق المخدومة مـن قبلِ البلديات والأمانات في مناطق جنـوب البلاد السعودية ، ومازال هناك قصور كبير في خدمة هذه البلاد سياحياً ، ونأمل أن نرى الإدارات والمؤسسات المعنية تضاعف الجهود في الارتقاء بالسياحة في بلادنا حتى تصبح واجهة للسواح من جميع بلاد العالم .

(٣) محافظة المجاردة من البلدان التهامية التي لم تخدم في ميدان البحوث التاريخية بشكل جيد ، ونأمل أن نرى بعض أبنائها من الدارسين والباحثين الجادين يدرسوا أحوالها الحضارية خلال القرون الإسلامية المبكر ة والوسيطة والحديثة.

(٤) مدينة المجاردة التي عرفت عموم المحافظة باسمها تستحق المزيد من البحث والدراسة ، ونأمل من فرع جامعة الملك خالد في تهامة ، أن تنشئ مركزاً للبحوث يهتم بدراسة تاريخ وموروث هذه البلاد التهامية العريقة .

ومحافظة المجاردة ، قبل انفصال بلاد بارق عنها ، تشمل بلداناً عديدة تمتد من محافظة القنفذة وبلاد العرضيات شمالاً إلى محافظة محايل جنوباً ، ومن سفوح سروات تنومة والنماص الغربية إلى بعض الأجزاء الشرقية من محافظة القنفذة وبلاد البرك غرباً[١] . وأثناء تجوالي في جنبات هذه المحافظة ، اتضح لي أمور عديدة أذكر أهمها في النقاط الآتية:

١. تنوع تضاريس هذه المحافظة بين الجبال العالية والمتوسطة والصغيرة [٢] ، ولا تخلو من بعض السهول ، وعدد من الأودية الكبيرة والصغيرة ، وأعظمها وادي خاط الذي يأتي من سفوح السروات الغربية ويسير غرباً حتى يصب في وادي حضوة ، والسليل في ناحية خاط[٣] ، ووادي جربة وعبس وغيرهما . ومناخ المجاردة حار في فصل الصيف ، ومعتدل في فصل الشتاء ، ويوجد فيها الكثير من النباتات والأشجار المتنوعة[٤] .

٢. عند سيري في أجزاء من المحافظة اتضح لي بعض الشيء عن تركيبتها السكانية، ومنها بلاد خاط في الناحية الشرقية من المحافظة ، وهي مجمع سكاني لبعض العشائر الشهرية والعمرية، ومن تلك العشائر: عشيرة المشاييخ، وتستوطن جنوب وادي خاط ، ومنهم من ينتسب في بني عمرو وآخرون يعودون في صلاتهم القبلية إلى بني شهر ، وأصول هذه العشيرة تعود إلى بعض قبائل الساحل، وقد نزحوا إلى موطنهم الحالي منذ زمن بعيد . وعشيرة آل فلعة في جنوب خاط ، وعشيرة آل شغيب تستوطن شمال خاط عند أسفل جبل تهوي. وعشيرة آل محمد بكسر الحاء والميم ، من بني عمرو ويقطنون شمال خاط . وعشيرة آل صَميد التَي كانت تسكن قديماً في أعالي الجبال ، واليوم تستوطن وسط خاط . وعشائر آل ماشي، وآل يثيبة ، وآل خشيل ، وبني قيس ، وآل الدهيس العمرية ، وعشيرتي الأفاقمة ، وآل شعثاء الشهرية[٥] .

---

(١) من بعد عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) استقلت عدد من المحافظات القريبة من محافظة المجاردة ، وبعض هذه المحافظات المستقلة كانت جزءاً من محافظة المجاردة أو مجاورة لها ، مثل: محافظة بارق، ومحافظة العرضيات ، ومحافظة البرك . وكل هذه المحافظات الجديدة مأهولة بالقرى والسكان ، وتستحق أن يفرد لكل واحدة منها دراسة علمية موثقة .

(٢) شاهدت في محافظة المجاردة عدداً من الجبال الكبيرة والمتوسطة مثل: جبل تهوي ويطل على مدينة المجاردة من ناحية الشرق، وجبال ريمان ، وعصالاً ، والمرحب ، وشيبان وكرفوس ، وجبل ثربان غرب مدينة المجاردة .

(٣) خاط : من البلدان التاريخية القديمة في محافظة المجاردة ، ومذكورة في بعض كتب التراث المبكرة ، تقع عند السفوح الغربية لسروات النماص .

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض الأساتذة في بلاد خاط والمجاردة ، وأيضاً ما شاهده أثناء تجواله في المحافظة في (٨/٤/١٤٣٨هـ) .

(٥) بلاد خاط تأتي في المرتبة الثانية بعد مدينة المجاردة من حيث كثافة السكان ، والتمدن والتنمية ، فيوجد فيها العديد من المؤسسات الإدارية والمدارس ، والأسواق والدكاكين التجارية. كما أنها تشتمل على العديد من القرى الحديثة والقرى التراثية القديمة .ولو درسنا كل عشيرة من العشائر الآنف ذكرها أعلاه تاريخياً وسكانياً

٣. حاضرة المجاردة : التي عرفت المحافظة باسمها تأتي في المركز الثاني بعد مدينة محايل في تهامة منطقة عسير، يوجد فيها مقر المحافظة ومعظم المؤسسات الحكومية والأهلية. ومن العشائر التي تقطن مدينة المجاردة : آل يحيى ، وآل سعيد بن علي ، وآل شغيب الضمو ، وآل كميت ، وآل صميد الملحاء، وبني حسين ، ومملح ، وبني زهير ، وقضريمة ، والظهرة . ومن الأحياء القديمة في مدينة المجاردة: الخطوة ، والمرصد ، والسودة ، والحدبة، والشرف ، والحواجر، والجبهة ، وقرن الميفاء . كما أنشأت بلدية المجاردة أحياء وشوارع جديدة مثل: أحياء الفيصلية ، والنهضة ، والأندلس ، والتقدم ، والصناعية ، والروضة . ومن الشوارع الحديثة: تبوك ، والقادسية ، واليمامة ، والطائف . وهناك طريق رئيسي يتصل بالطريق العام الذي يسير من محايل إلى مكة ، ويسير شرقاً إلى خاط ، وشمالاً إلى بني زهير وختبة وعبس، ويحيط بالمدينة حزام دائري[١] .

٤. بلاد عبس ، من الأجزاء الرئيسية في المحافظة ، وتبعد من مدينة المجاردة حوالي(٤٠) كم نحو الشمال ، وهي معتدلة في مناخها خلال أيام السنة ، ومن عشائرها : آل عبيد ،وآل عمار، وحيد عبس ، وآل قيس . ويحد منطقة عبس من الشمال والغرب محافظة العرضيات ، ومن الجنوب ختبة ، ومن الشرق سفوح سروات أجزاء من بلاد بني شهر وبني عمر وبلقرن ، ويوجد في هذه الناحية عدد من المدارس الحكومية وبعضاً من المؤسسات الإدارية وترتبط مع بلاد السراة بطريقين هما: عقبة تلاع التي تصعد إلى قرى آل جميرة ، والخضراء، وخشرم في محافظة النماص ، وعقبة بني عمرو التي تصل إلى مركز بني عمرو في السراة[٢] .

٥. ناحية ثربان:[٣] ، إحدى المراكز الرئيسية التابعة لمحافظة المجاردة ، يحدها من الشرق بارق والمجاردة ، ومن الغرب بعض عشائر حرب التابعة لمحافظة القنفذة،

وحضارياً فإننا سوف نجد مادة علمية كثيرة تعكس التاريخ والحضارة التي مرت به هذه البلاد منذ العصور الإسلامية الوسيطة حتى وقتنا الحاضر.

(١) وأقول إن مدينة المجاردة من المدن الحضارية الكبيرة في منطقة عسير ، وتستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة ومفصلة توضح تاريخها والتطور الحضاري الذي تعيشه منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد يجعل هذه المدينة موضوعاً لرسالته في الماجستير أو الدكتوراه .

(٢) منطقة عبس التابعة لمحافظة المجاردة تستحق أن تدرس جغرافياً وتاريخياً وحضارياً ، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الذي يدرسها دراسة علمية موثقة. مشاهدات الباحث وجولته في بلاد عبس يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) .

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض الأساتذة في بلاد خاط والمجاردة ، وأيضاً ما شاهده أثناء تجواله في المحافظة في (١٤٣٨/٤/٨هـ) .

ومـن الشمـال قبيلة عمارة بلقـرن ، ومن الجنـوب ربيعة المقاطـرة . وفي الماضي كان أغلـب سـكان تلك الناحيـة يقطنون أعالي جبـل ثربان ، وكثـير منهم اليوم يسكنـون شـرق الجبل وغربه ، بالإضافة إلى بـلاد الطلاليع التي يوجد فيها كثير مـن المؤسسات الإدارية مثل: مركز ثربـان ، والشرطة ،ومركز للرعاية الصحية ، وهيئة الأمـر بالمعروف وغيرها . والطلاليع في ثربان ينقسمون إلى قسمين ، هما: (١) آل عليـين ، وآل قـراد وآل معيـد . (٢) آل مجامـد غرب جبـل ثربان ، ومن قراهـم : الحفرة ، والضرس ، وبوعشرة ، وسلمة ، والسطة ، والكرى ، والفرعة ، وخريـب. ومـن عشائر ثربان أيضاً: آل غيلان ، والزوكة ، وآل حزمة ، وآل قحيم ، والعواجرة ، وآل سلمان ، وآل راشد . وهناك عشرات القرى التابعة لهذه العشائر، مثـل: البلقعة ، والشق ، والقرن ، والزهـيرة ، ومغلوث ، وفرواع ، وصفا ، والمنداة، والمبيرك ، والمروة ، والعريش ، وذو الحدق ، والهبطة ، والعطف ، والحلة[(١)] .

وأهـل ثربـان قديماً بـدو رعاة ، واليـوم وصلت عجلة التمـدن والحضارة إلى وطنهـم ، فنزلوا من قمة الجبـل إلى السهول، والتحقـوا بالمدارس والوظائف الحكومية، وهاجر بعضهم إلى المدن الكبيرة في أنحاء المملكة من أجل الوظيفة وتحسـين موارد الدخل . ومن معـالم ثربان العين الحارة التي توجد عند أسفل الجبل ، وهي مياه كبريتية يرتادها الكثير من الناس للعلاج والتداوي[(٢)] .

٦. يوجـد في ختبـة مركـز إداري يتبع محافظـة المجـاردة ، وكان تأسيسه في عام (١٤٣٠هـ/٢٠١٠م) ، وبلاد ختبة تبعد من مدينة المجاردة (٢٠) كيلومتر نحو الشمـال ، ويحدها مـن الجنوب والغرب حاضرة المجـاردة، ومن الشمال بلاد عبس ، ومن الشرق سفوح سروات محافظة النماص الغربية . ومن عشائرها : بلجـدع ، وبني حسين ، وبني زهير ، ويوجد فيها بعض المؤسسات الإدارية مثل: المدارس ، ومركز صحي، وخدمات للكهرباء ، والاتصالات وغيرها[(٣)] .

٧. تعد محافظة المجاردة من الأجزاء المتحضرة في منطقة عسير ، ومدينة المجاردة من المدن الكبيرة والرئيسية في هذه الناحية ، وذلك بما تشتمل عليه من تنمية عمرانيـة ، وتطور اقتصـادي وتعليمي وسياحي ، ناهيك عـن حياة السكان في

---

(١) جبـل ثربـان ، أو بلاد ثربان تستحـق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، نأمـل أن نرى باحثاً جاداً يدر س تاريخها وسكانها وأرضها منذ بداية عصر الإسلام حتى اليوم .

(٢) زرت هـذه العـين يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) ، فوجدتها مهيئة بدورات المياه ، وأماكن خاصة للرجال والنساء ، وعندها لفيف من الناس يلتمسون الشفاء من الله ثم من مياهها الكبريتية .

(٣) مشاهدات الباحث يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) .

محافظة المجاردة فهم متمدنون متحضرون في ألبستهم ، وطعامهم وشرابهم ، ووسائل حياتهم. وقد زرت محافظة المجاردة قبل خمس وعشرين سنة ، أي في يوم الجمعة (١٤١٣/٩/١٢هـ) ، وكتبت شيئاً من تاريخها الحضاري المعاصر[١]. وفي عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) زرتها مرة أخرى ، وشاهدت عجلة التنمية تسير فيها بشكل نشط وجيد ، وبخاصة في أسواقها ، وشبكة الطرق التي تصل إليها أو تخرج منها ، أو تربط أجزائها ببعض، وكذلك أبنيتها العامة والخاصة ، وتزايد مؤسساتها الإدارية وتوسعها ، وتطور التعليم وعدد المتعلمين فيها ، وتزايد الحراك والنشاطات الثقافية بين سكانها. وإذا فحصنا التاريخ الاجتماعي في هذه المحافظة وبخاصة في ميدان الأعراف والتقاليد واللهجات والفنون الشعبية وغيرها فإننا نجد كثيراً من القيم والتقاليد القديمة قد تراجعت وبعضها تلاشى وضاع ، وحل محلها أعراف وتقاليد حديثة وكثير منها مستورد من داخل وخارج المملكة العربية السعودية[٢].

٨. تحتاج محافظة المجاردة إلى دراسات متنوعة تفصل الحديث عن أرضها وسكانها وصلاتها بمن حولها، وأشكر بعض أبنائها الذين أصدروا بعض البحوث عنها[٣] . ولكننا مازلنا نتطلع إلى من يدرس هذه الناحية دراسة

---

(١) انظر تفصيلات أكثر عن تلك الرحلة القديمة عام (١٤١٣هـ) ، غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (الجزء الثاني) ص ٤٤٥ - ٤٥٦ ، وعنوان تلك الرحلة هو (رحلة أبها - المجاردة - خاط) (الجمعة ١٤١٣/٩/١٢هـ)

(٢) من العادات الدخيلة والجديدة على أهل محافظة المجاردة : المبالغات في الحفلات والمناسبات ، والإسراف في الأطعمة والأشربة ، وبعض التبدلات في الألبسة عند الشباب ومجتمع النساء ، والانبهار بالثقافات والفنون التي تشاهد في القنوات ووسائل التواصل المختلفة ، وتراجع ممارسة الفنون الشعبية القديمة ، وحل محلها أهازيج وفنون حديثة وكثير منها جاء من أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وإذا درسنا الأعراف الأسرية والصلات بين أفراد مجتمع المجاردة فهي الأخرى تأثرت سلباً ، وصار الناس يمارسون أعراف وتقاليد مستوردة تختلف عما عرفه الآباء والأجداد . وأقول إن دراسة التاريخ الاجتماعي في محافظة المجاردة والمقارنة بين القديم والحديث والمعاصر من العناوين الجديدة ويستحق أن يدرس في موضوعات عديدة، ونأمل أن نرى من الأساتذة الأكاديميين في جامعة الملك خالد من يدرس مثل هذا الميدان المهم والجدير بالبحث .

(٣) من الذين كتبوا عن محافظة المجاردة بلقاسم بن محمد الربيع ، الذي أصدر كتابه الموسوم بـ المعالم التاريخية والسياحية في محافظة المجاردة (أبها : مطابع الجنوب ، ١٤٣٤هـ) . هذا الكتاب صدر في (٢١٩) صفحة من القطع الكبير، وخرج في مجلد فاخر في أوراقه وصوره وخدمته الفنية والطباعية. وهذه الدراسة تاريخية ، ثقافية ، إعلامية عن أرض وإنسان محافظة المجاردة ،ويشكر الباحث على ما جمع ودون وحفظ من موروث حضاري، ونأمل أن نرى من أبناء محافظة المجاردة من يدرس كثيراً من المحاور التي أشار إليها الأستاذ بلقاسم الربيع وبخاصة في ميادين التاريخ الاجتماعي، أو الجغرافي، أو الاقتصادي ، أو الثقافي والتعليمي . وأقول إن في هذا المجلد عناصر كثيرة جديدة تستحق أن تكون عناوين

علميــة تحليلية موثقة ، ومــن يفعل ذلك فسوف يطلعنا علــى كنوز معرفية عن هذه الديار التهامية العريقة والقديمة في تاريخها وموروثها الحضاري (١) .

٢ـ العرضيات :

في يوم السبت وصباح الأحد (٩-١٠/٤/١٤٣٨هـ) تجولت في أجزاء عديدة من بــلاد العرضيات . والعرضيات البلاد الممتدة من محافظة المجاردة جنوباً إلى محافظة المخــواة شمالاً ، ومــن سفوح سروات محافظة بلقرن الغربيــة إلى الأجزاء الشرقية من محافظــة القنفــذة(٢) . ولا نــدري ما هــو سبب تسمية هــذه البلاد بــ (العرضيات) ، أو العرضيــة الجنوبية والعرضية الشماليــة(٣) .ويبدو أنها سميت بهذا الاسم لاعتراض جبالهــا وأوديتها وأرضها بــين السروات ومناطق الساحل ، وكل البــلاد المشابهة لها في الجغرافيا والواقعة إلى الغرب من جبال السروات والممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى

مستقلــة لبحــوث أو كتــب أو رسائل علمية. وهناك باحــث آخر ، هو حسن بن فيصل بن محمــد الشهري ، أصدر دراسة أكاديمية بعنوان : (بعض أسواق محافظة المجاردة في تهامة بني شهر خلال العصر الحديث " ، منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من عسير) . (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) (الجزء الحادي عشر) ، ص ٧٨-١١٣ . وفي هذه الدراسة فصل الباحث الحديث عن الأسواق الأسبوعية القديمة والحديثة والمعاصرة . وثلاث دراسات أخرى ركزت على محافظة المجاردة ، وهي للأساتذة : (١) محمد بن علي آل الجحينــي الشهــري . (٢) مفرح بــن علي بن عبد الله حبسان العمري . (٣) علي بــن عبد الرحمن بن سرده الشهــري. وجميع هــذه البحوث تدور حول تاريخ محافظــة المجاردة في العصر الحديــث والمعاصر، وتحتوي على تفصيــلات جديــدة في أبوابهــا وفقراتها . وجميع هذه الدراســات منشورة في كتاب : بلاد بنــي شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، في القسم السابع بعنوان : تصويبات وإضافات) على الكتاب الآنف ذكره (الطبعتان الثانية ، والثالثة /١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م/ ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م) ص ٣١٩ - ٣٩٤ .

(١) مــن خــلال زيارتي بلاد المجــاردة وما جاورها من تهامة بني شهر وبني عمرو اتضــح لي أن هذه البلاد مازالت بحاجــة إلى دراســات علمية تدور حول أعلامها ، وآثارها ، وتاريخهــا السياسي والحضاري في العصر الجاهلي وخــلال عصور الإسلام المبكرة والوسيطة والحديثــة والمعاصرة ، ونأمل من فرع جامعة الملك خالد في تهامة أن يؤسس بعض المراكز البحثية التي تعتني بهذه الجوانب العلمية.

(٢) والمقصــود هــو: حدود محافظــة القنفذة في عام (١٤٣٨هــ/٢٠١٧م) ، لأن بلاد العرضيــات أصبحت محافظة مستقلة ترجع إلى منطقة مكة المكرمة ، وكانت إلى وقت قريب مركزاً من مراكز محافظة القنفذة . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢، ص ٣٣١وما بعدها ، انظر أيضاً ص ٤٥٣- ٤٧١ .

(٣) كانــت العرضيــة الجنوبيــة ومركزهــا ثريــان المقــر الرئيسي لعموم بــلاد العرضيــات ثم فتح مركــز آخر في العرضيــة الشماليــة . وهاتان العرضيتان ذكرتا في بعض وثائق القرنــين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) بـ (العرضية اليمانيــة) و(العرضيــة الشامية) . وعندما تحولت إدارتها من مراكز إلى محافظة أطلق عليها اسم (محافظة العرضيــات) . وكانــت حتى بدايات هــذا العقد لا تعرف إلا بـ (العرضية الجنوبيــة) و (العرضية الشمالية) ، والمتجول في أرجائها اليوم يجد هذه المصطلحات مازالت المعروفة والسائدة ، ولكن في الخطابات الرسمية تكتب باســم (العرضيــات) . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢، ص ٣٩٨-٤٠١ . انظر أيضاً : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٤٣٧، ٤٣٩ .

قعر اليمن تعرف باسم العروض. وهذا ما وجدناه في بعض كتب التراث الإسلامي[١]. وكذلك في بعض المعاجم اللغوية[٢] .

وتمتد أرض العرضيات من الشمال إلى الجنوب حوالي (١٠٠- ١١٠) كيلومتر، ومن الغرب إلى الشرق (٤٠-٥٠) كيلومتر ، وتتشابه في جغرافيتها مع بلاد بارق والمجاردة[٣] . ويوجد فيها جبال عالية ومتوسطة وقليلة الارتفاع[٤] ، كما أن أرضها لا تخلو من السهول، وفيها عدد من الأودية الكبيرة، وأعظمها واديا قنونا ويبة اللذان تأتي منابعهما من أعالي السروات ، وترفدهما عدد من الأودية الصغيرة والمتوسطة في بلاد العرضيات حتى يصبا في البحر الأحمر[٥] . وفي ديار العرضيات الكثير من النباتات والأشجار البرية والمزروعة ، وهناك حيوانات وطيور برية وأليفة[٦] .

---

(١) بعض كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل ناقشوا تضاريس البلدان ، ومن هذه المعالم ما عرف بالعروض من جبال وأودية ونواحي داخل الجزيرة العربية وخارجها . للمزيد انظر : الهمداني ، وياقوت الحموي ، والإدريسي ، والمقدسي ، وابن خرداذبة ، وابن رسته ، واليعقوبي ، والمسعودي ، والقزويني ، والحربي ، وأبو علي الهجري وغيرهم .

(٢) هذا ما ذكره ابن منظور في معجمه (اللسان) ، حيث يقول " الأعراض قرى بين الحجاز واليمن ، وقولهم استعمل فلان على العروض، وهي مكة والمدينة واليمن وما حولها ، قال لبيد : نقاتل ما بين العروض وخثعما . أي ما بين مكة واليمن . انظر: معجم لسان العرب لابن منظور (عرض) . والذاهب في أرجاء بلاد تهامة والسراة يشاهد الكثير من النواحي والجبال والأودية المعترضة في مواقعها ، ويطلق على بعض الأمكنة في مناطق جازان ، وعسير، والباحة : العارضة ، والعرضية، والعارض ، والمعترضة ، والعروض. وأقول إن بلاد العرضيات المعنية في هذه الصفحات أخذت اسمها من طبيعتها الجغرافية واعتراضها في مواقعها بين نواحي ومناطق تحيط بها من كل جانب . للمزيد انظر ، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢، ص ٤٠٣-٤٠٤ .

(٣) البلاد التهامية ، الواقعة إلى الغرب من جبال السروات ، والممتدة من مرتفعات منطقة جازان إلى جنوب مكة المكرمة متشابه في أرضها ، ومناخها وتضاريسها ، ونباتاتها وحيواناتها ، وفي طبيعة سكانها وأصولهم وتاريخهم السياسي والحضاري. حبذا أن ندرس هذه النواحي في عدد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية .

(٤) من جبال العرضيات : ثميدة ، وربا ، وطنب ، وحضوصي ، وظلمان ، وصفا، والطويلة .

(٥) قنونا وييه من الأودية الفحول التي تجتاز بلاد العرضيات . وهذان الواديان مذكوران في بعض كتب التراث الإسلامي، وكل واد يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية تفصل طبيعته الجغرافية وتاريخه السياسي ، والحضاري . ومن الأودية الصغار التي ترفد واديي يبة وقنونا : وادي الأغرين (الغرين) ، وأودية نخال ، وجفن ، والجوف ، وطلعة ، وذرحة ، والحفيان، وبيان، والخيطان ، ورحمن ، والنظر وغيرها .

(٦) الثروات الحيوانية والنباتية في بلاد العرضيات من الموضوعات القيمة والجديدة التي لم تدرس ، وإذا كانت هذه الثروات قد أصابها اليوم الكثير من التدهور والانقراض ، إلا إنها إلى عهد قريب كانت الموارد الاقتصادية الرئيسية عند أهل البلاد . ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون ويبحثون هذه الموضوعات في الماضي والحاضر ويوضحون بالمقارنة والبحث والتحليل ما جرى على هذه الميادين من تطور أو تدهور مع ذكر العوامل المؤثرة في ذلك ، وما هي الآثار السلبية التي حلت على الأرض والسكان نتيجة تدهور هذه الثروات .

وسكان العرضيات قبائل عربية ماجدة ، وهم يلتقون في النسب مع القبائل العربية التي تستوطن محافظة بلقرن . والعشائر الرئيسية في بلاد العرضيات هم : فروع بلقرن في تهامة مثل: بنورزق ، وآل سليمان ، وعمارة ، وبلحارث . وفروع شمرانية عديدة مثل: آل مطاع ، وآل الروحاء وغيرهم . وفروع خثعم ، مثل: آل كثير، وآل الزارب، وبلعريان ، والعوامر ، وبنو المنتشر وغيرهم [١] . وفي رحلة سابقة قمت بها في محافظة بلقرن السروية في (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ الموافق ١٨-٢٠/أغسطس /٢٠١٦م) ، شاهدت التركيبة السكانية في هذه البلاد ، وجميع العشائر القاطنة في هذه الناحية هم : بلقرن ، وشمران ، وعليان ، وخثعم ، وأثناء السير في مناكب هذه البلاد ، والالتقاء بالأعيان والوجهاء ، اتضح لي أنهم على صلات نسبية قوية بإخوانهم من عشائر وأسر العرضيات [٢] . وأثناء تجوالي في العرضيات وجدت الشعور نفسه عند أهلها تجاه إخوانهم وقبائلهم من أهل السراة [٣] . ويسكن العرضيات اليوم عناصر عربية أخرى من داخل الجزيرة العربية ، أو خارجها ، وبعضهم من أهل السراة [٤]، جاءوا للعمل

---

(١) لم نفصل الحديث عن فخوذ وأسر وفروع هذه العشائر العربية القاطنة منذ قديم الزمان في العرضيات . وتاريخ هذه العشائر جدير بالبحث والدراسة ، ونأمل أن نرى من يدرس أصولهم ، ومواطنهم القديمة والحديثة ، وتاريخهم السياسي والحربي والحضاري عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر ، والوسيط، والحديث ، والمعاصر. ونأمل من مؤسسات التعليم العالي والأقسام الأكاديمية في جامعة الباحة وفروع جامعة الملك عبد العزيز في القنفذة أن تفتح مراكز بحوث علمية تهتم بدراسة مثل هذه الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة

(٢) وأقول إن تاريخ وأنساب والصلات الحضارية بين هذه العشائر في تهامة والسراة من الموضوعات التي لم تدرس إطلاقاً وتستحق أن يفرد لها بحوث ودراسات علمية موثقة .ونأمل من أبنائها الباحثين التهاميين والسرويين أن يعكفوا على دراسة أوضاعها التاريخية والصلات فيما بينهم عبر أطوار التاريخ الإسلامي .

(٣) إن الدارس للأنساب وتاريخ هذه العشائر في السراة وتهامة يجد أنهم من أصل ونسب واحد ، حتى وإن تفرعوا وانقسموا إلى فخوذ وقرى عديدة . ووجدت للأسف ، من أهل تهامة وبعض أهل السراة من يقول : نحن لا ننتسب لبعض وليس بيننا أي صلات في الدم والنسب ، وهذا كلام غير صحيح ، لأن من يتتبع نسب كل عشيرة منذ أن نزلت السراة ، وخرج بعض أفرادها إلى البوادي وتهامة ، ثم يدرس السمات الخَلقية ،والصفات والعادات واللهجات ، والتاريخ. فسوف يجد أن أصل الجميع في تهامة والسراة واحد ، والواجب على الجميع شيوخاً وأفراداً، والعامة والخاصة ، أن لا ينظروا من هذا المنظور الضيق ، وربما كان لبعض من ينكر ويتبرأ من هذا النسب والصلات أهداف ضيقة . والمشكلة نفسها نجدها عند بعض العشائر الممتدة من درب بني شعبة إلى جنوب مكة ، فهناك من يقول بهذا النفي ويدعم إنكاره، والحقيقة البينة أن قبائل السروات من ظهران وقحطان في الجنوب حتى فهم وعدوان في الطائف، هم وإخوانهم من العشائر القاطنة عند سفوح السروات من الغرب من أصل واحد ، وجميعهم قبائل جنوبية يمانية قحطانية .

(٤) نقصد بأهل السراة : أي من بعض العشائر القرنية أو الشمرانية ، أو الخثعمية الذين جاءوا من سروات محافظة بلقرن فامتلكوا أراض ومزارع وعقارات ، ومنهم كثيرون يعملون في التجارات وبعض الأعمال الاقتصادية في أوطان العرضيات . هذا ما عرفه الباحث وشاهده في بلدتي ثريبان ونمرة ونواح عديدة قريبة من الطريق العام الذي يخرج من المجاردة عبر العرضيات حتى بلدة المخواة .

أو الوظيفـة ، وبعضهم يستوطن هذه البلاد منـذ سنوات ، وعند الانتهاء من وظائفهم، فإنهـم يعـودون إلى مواطنهم الرئيسية[١] . وهناك عناصر غـير عربية ، ومنهم المسلم وغير المسلم ، مثل: الهنود ، والباكستانيين ، والبنجاليين ، والفلبينيين ، والإندونيسيين ، وبعض الأفارقة ، وربما قلة قليلة من بعض الدول الغربية ، أو كوريا ، أو الصين وغيرها ، جـاءوا للعمل المؤقت في عدد من الوظائف والمهن الأهلية والحرفية والاقتصادية ، وهذه العناصـر قليلـة إذ قارناها ببعض الحواضر والمـدن الكبيرة في تهامة مثـل: المجاردة، والقنفذة ، وصبيا ، وجازان وغيرها [٢].

لم تكـن رحلتي الأولى في العرضيات ، وإنما اجتزتهـا مرات عديدة خلال الثلاثين سنـة الماضيـة، وذلك عند ذهابـي وإيابي من عسير إلى الحجـاز ، ومروري من أرضها سريعـاً ، فلـم أدون شيئاً مـن تاريخهـا وحضارتها ، وأثنـاء جمع مادة كتابيـيّ: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثاني** . **وبلاد القنفذة خلال خمسة قرون** ، ذهبت إلى نـواح من العرضيات والتقيـت ببعض رجالها ، وتجولت في أرجائهـا ثم دونت شيئاً من تاريخها في رحلتي التي بدأتها من أبها إلى القنفذة يوم الأحد (١٤٣١/١٢/١٥هـ) ، وحصلـت على معلومـات عن أرضها وسكانها من بعض الـرواة أو المدونات التي سجلها بعض أبنائها عنها[٣] . وفي هذه المرة سرت في ربوعها لمدة يوم وبضع ساعات ، فشاهدت

---

(١) هذه الأجناس عرب من داخل المملكة العربية السعودية يعملون في كثير من الوظائف والمؤسسات الحكومية مثل: الشرطـة، والمحافظـة ، والمحكمة ، والدفاع المدني ، ومهنـة التدريس وغيرها . ومنهم آخـرون جاءوا من بلدان عربيـة مثل: اليمن ، ومصر، ولبنان ، وشمال إفريقيـا ، والسودان ، والأردن ، وجميعهم يعملون في أعمال ومهن حكوميـة وأهليـة، وفي عدد من المهـن الاقتصادية والاجتماعيـة والتعليمية . وإقامتهم مؤقتـة ، ويتبعون نظامياً وإداريـاً إلى الأفـراد والمؤسسات التـي جلبتهم للعمل عندهـا ، وأغلبهم من فئة الذكور ومنهـم عناصر نسائية قليلة. كما يوجد عناصر أخرى سعودية من أهل العرضيات ، وهم في الأساس جاءوا من إفريقيا أو بلدان أخرى عديـدة، وأصولهم غير عربية ، وبعضهم كانوا رقيقاً ، ثم أعتقوا وأصبحوا من أهل البلاد وينتسبون إلى عشائر سادتهم الأوائل ، وصاروا جزءاً من النسيج الاجتماعي السعودي في جميع الحقوق والواجبات .

(٢) هـذا مـا شاهده الباحث في نمرة وثربان وغيرهـا من المحلات التجارية على قارعـة الطريق الرئيسي الممتدة مـن المجـاردة إلى المخـواة، وربما ضعف التطـور والتنمية في هذه الناحيـة كان السبب في قلـة العمالة . ما عدا فـرع شركـة أسمنـت المنطقة الجنوبية في تهامة الذي يقـع في ثلوث عمارة القرنية بالعرضيـة الجنوبية ، ويبعد مـن الشـارع العام الذي يربط المجـاردة بالمخواة حوالي عشـرة كيلومترات ، ويبعد من مدينـة المجاردة حوالي (٥٠-٦٠) كيلومتراً. وهذا المصنع تم افتتاحه في شهر رجب عام (١٤٢٨هـ الموافق شهر يوليو (٢٠٠٧م) ، وينتج حـوالي (٤,٥٠٠,٠٠٠) طن كلنكر سنوياً ، ويعمل فيه أثناء زيارته يوم السبت (١٤٣٨/٤/٩هـ) حوالي (٦٠٠) موظف معظمهم من دول عربية وإسلامية وغير إسلامية . المصدر: مشاهدات الباحث وزيارته للمصنع وتجواله في أجزاء من بلاد عمارة القرنية في (١٤٣٨/١٠/٩هـ).

(٣) للمزيد انظر المادة المدونة عن تلك الرحلة في كتاب : بلاد القنفذة ، ص ٣٠٣- ٣٥٠ ، وانظر أيضاً تفصيلات في بعض الوثائـق ، وما دونه الأستاذ عبد الله الرزقي القرني عن طبيعة أرضها وتاريخ سكانها في العصر الحديث . غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثاني ، ص ٣٩٨. ٤٣٤ .

بعض معالمها ، وقابلت بعض رجالها ، وخرجت في هذه الرحلة ببعض الرؤى والمعلومات التي لم أذكرها في البحوث السابقة ، ومما تم جمعه ورصده ما يأتي :

١. تجولت في الجزء الجنوبي من العرضية الجنوبية وبخاصة في بلاد عشيرة عمارة القرنية التي يوجد مصنع الأسمنت في أرضها ، ورأيت عدداً من قراها : مثل قرية الويد ، وفيها يقع مركز الويد ، ويعقد فيها سوق ثلوث (ثلثلاء) عمارة الأسبوعي[١] ، وقرية قرن هذيل شمال قرية الويد ، وقرية قرن قريش[٢] ، وقرى الأبطاح ، وحلفن ، والبدلة ، والعينة . كل هذه القرى وما حولها من النواحي تراهم يسكنون منازل مسلحة بالأسمنت والحديد ، وحولهم بعض الأبنية الحجرية القديمة ، وهذه الصفة السائدة في عموم أرض العرضيات. فالقرى القديمة أصبحت مهجورة ، وشيد قريباً منها قرى جديدة تتكون منازلها من طابق وطابقين ، وبعض المنازل أو العمارات التجارية والأهلية قد تصل إلى أربعة أدوار وأحياناً خمسة . وهذه القرى المذكورة أعلاه تكاد تكون نموذجاً لباقي قرى العرضيات من حيث مواد البناء ، ومرافق الأبنية والمنازل في كل قرية ، وتتفاوت بعض المنازل في أنحاء العرضيات حسب إمكانات أصحابها وظروفهم الاقتصادية.

٢. واصلت السير شمالاً حتى وصلت بلدة ثريبان ، وتجولت في أرجائها ، والتقيت ببعض رجالها مثل الأستاذ / عبد الله الرزقي القرني ، ثم ذهبت حتى وصلت بلدة نمرة في العرضية الشمالية ، وخرجت ببعض الصور التاريخية والحضارية مثل:

أ - يعد الطريق الرئيسي الممتد من مركز الويد إلى نمرة هو الشريان الأساسي لبلاد العرضيات ، ومنه طرق أخرى مسفلتة تخرج إلى نواح عديدة شرق وغرب هذا الشريان الحيوي ، كما أن هناك أيضاً طرقاً تتفرع منه إلى مدن القنفذة ، والقوز وسبت الجارة غرباً ، أو إلى أجزاء من أرض السروات مثل: عقبة شمران ، وعقبة سبت العلاية

---

(١) يذكر أن سوق ثلوث عمارة كان يعقد في قرية الثلوث (الثلاثاء) غرب وادي يبة شمال قرية السبطة ، ثم انتقل أخيراً إلى قرية الويد لوقوعها على الطريق الرئيسي الذي يربط المجاردة بالمخواة .

(٢) لاندري ما سبب تسمية هاتين القريتين باسم هذيل وقريش، والدارج عند أهل هذه البلاد أن تجار أهل الحجاز كانوا يمرون بهذه الناحية ، منذ العهد الجاهلي وعبر عصور الإسلام المختلفة ، ومنهم هذيل وقريش الذين كانوا يستريحون في هذه الأمكنة فسميت بأسمائهم . وربما كان بعض الهذليين والقرشيين قد نزحوا من الحجاز واستوطنوا هذه المواضع فعرفت بأسمائهم.

وغيرها . ويوجد على هذا الطريق الرئيسي معظم المحلات التجارية والأهلية والحكومية مثل: بعض المؤسسات الإدارية ، والبنوك ومؤسسات أهلية ، والأسواق ، والدكاكين ، والورش الصغيرة والكبيرة [١].

ب - بلدتا ثريبان ونمرة[٢]، هما أكثر المواضع تمدناً ، مع أن المدنية فيهما مازالت متواضعة . وثريبان القرية القديمة التي نشأت حول قلعة البرحة ، ومازالت قائمة حتى اليوم . وفي العقود الماضية المتأخرة أستحدث مخطط ثريبان السكني ، ويقع إلى الجنوب من البلدة القديمة ، ويتكون تقريباً من (٣٨٠) قطعة بمساحة (٤٠٠م٢) للأرض الواحدة ، وقد شيدت معظم هذه الأراضي بعمارات عامة وخاصة حديثة ، وتتراوح أدواره من الواحد إلى الأربعة والخمسة أدوار. وهناك طريق مزدوج يخرج من وسط مخطط ثريبان إلى الشارع العام ، ويربط المخطط نفسه عدد من الشوارع المسفلتة ، وقد سميت بعضها بأسماء أعلام من التاريخ الإسلامي ، ويوجد فيه عدد من المؤسسات الحكومية، وعلى مقربة من ثريبان عدد من القرى[٣] . ومن ثريبان تسير عقبة مسفلتة إلى شعف سبت العلايا في بلقرن السراة . أما قرية ثريبان القديمة فتتكون من عدة أحياء بالإضافة إلى سوقها الشعبي ، وأحياء القرية القديمة هي : حارة السوق ، وودن الخبزة ، وحي الزحليطه ، وحي الخشن ، وحي الدرعية ، وحي الزهوة، وحي صدر الشامخ ، وحي فقاسة ، وحي المملح . أما قرية نمرة فهي المقر الرئيسي الحالي للعرضية الشمالية ، وكان المركز الإداري في قرية المبنى ببلعريان ، ثم انتقل إلى نمرة في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . ويوجد في نمرة كثير من المؤسسات الإدارية والأهلية ، وهي حديثة مقارنة ببلدة ثريبان[٤]

---

(١) إذا قارنا العرضيات مع غيرها من حواضر ومدن تهامة مثل: المخواة ، أو المجاردة ، أو محائل عسير، فإن هذه الناحية مازالت متأخرة كثيراً في التنمية ، فلا يوجد فيها أسواق تجارية كبيرة ، أو إدارات خدمية كبيرة ، ووجدت أهل البلاد يتذمرون ويأملون أن تتطور بلادهم في مجالات عديدة حتى تصبح مواكبة لغيرها من البلدات والمدن والحواضر المتطور حضارياً وتنموياً في بلاد تهامة والسراة .

(٢) مصطلح ثريبان ربما جاء من اسم رجل يدعى ثريبان ، وقد يكون هناك سبب آخر لهذا الاسم ، ولا نملك دليلاً واضحاً يؤكد لنا ذلك . أما نمرة في العرضية الشمالية فيوجد قريباً منها مكان يعرف بهذا الاسم فسميت القرية به ، ويقال أن هذا الموضع كان موطناً للنمارة التي مفردها (نمر) . المصدر: هذا ما سمعه الباحث من أهل ثريبان ونمرة . وأقول إن هاتين البلدتين تستحقان دراسات علمية موثقة ، ونأمل من الباحثين والمؤرخين فيهما أن يخدموا أرضها وأهلها ببعض البحوث العلمية الرصينة .

(٣) مثل قرى مشرف ، وآل طارق، والملحة ، والحقو ، والمخلفة ، ونقمة العبادلة، والبشامة ، وبادي، وجميعها تتبع مركز ثريبان الإداري . المصدر : مقابلة مع عبد الله بن حسن الرزقي القرني في ثريبان يوم السبت (٩/٤/١٤٣٨هـ) .

(٤) بلدة ثريبان مذكورة في عدد من المصادر والوثائق والمراجع الحديثة خلال القرون الثلاثة الماضية ، أما نمرة فهي حديثة النشأة والبلدتان (ثريبان ونمرة) تعدان الحاضرتان الرئيسيتان في العرضيات ، ونشأ قريباً منهما بعض المخططات السكنية والمنشآت العمرانية ، لكن المنطقة عموماً مازالت بحاجة إلى تطوير في جميع المجالات التنموية .

.

ج - يوجد في هذه البلاد العديد من أنواع العمارات مثل: الطرق الداخلية بين القرى، والأحياء الحديثة ، وبعض الأبنية الحكومية والأهلية في ثريبان ونمرة وفي المراكز والأمكنة القريبة من الطريق الرئيسي بين المخواة والمجاردة . ومما شاهدت عمارات الجوامع والمساجد ، والأسواق ، وبعض المواضع السياحية . وقد حصرت حوالي (١٦) جامعاً ومسجداً مثل: جامع أويس القرني بمركز الويد في عمارة ، وجامع الجوف بآل سليمان، وجامع عمر بن الخطاب بالنبيعة ببني رزق ، وجامع آل حجي بمركز شمران ، وجامع الحجرة بنخال آل سليمان ، وجامع الأمير أحمد بن عبد العزيز بثريبان القديمة ، وهو قيد الإنشاء على نفقة الأمير أحمد ، وجامع الملك عبد العزيز ، وجامع المخطط وكلاهما في مخطط ثريبان السكني ، وجامع نمرة في سوق نمرة القديم ، وجامعي المخطط وعبد الله بن الزبير في مخطط نمرة الحديث وكلاهما على نفقة الملك فهد بن عبد العزيز ، وجامعي عبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان في الناحية الجنوبية من نمرة ، وجامع الفائج في قرية الفائجة ببني بحير ، وجامع أبو بكر الصديق في أبيان ، وجامع المروة بالعوامر. وجميع هذه الجوامع والمساجد كبير ة وحديثة ومزودة بجميع الخدمات من سجاد، ومكبرات للصوت ، وكهرباء ، وماء ، ومكيفات وغيرها[1] . ويقوم على خدمة هذه المساجد عدد من أبناء المنطقة أئمة ومؤذنين وخدماً ، ورأيت في بعض المساجد أفراداً من جنسيات هندية وبنجالية وباكستانية وبورمية يقومون على تنظيفها وفتحها وإغلاقها ، والقيام أحياناً بالأذان وإمامة الناس في الصلاة وبخاصة من عنده علم بالقرآن وعلومه [2].

والأسواق أنواع: أسواق أسبوعية وهي كثيرة ، ومنها الذي اندثر ، وأخرى مازالت قائمة علي نطاق ضيق . ومن الأسواق الشعبية القديمة : سوق الأحد لبني رزق ، ولا يعمل حالياً . وسوق السبت بمركز شمران ، تم نقله من قرية الروحاء إلى مكانه الحالي ومازال قائماً حتى الآن . وسوق الجمعة بثريبان ، وهم الآن في طور إعادة عمارته ،

---

(١) هذا ما عرفه الباحث وشاهده وسمعه من بعض رجالات العرضيات ، وهذه المساجد جوامع كبيرة ، كما شاهدت أثناء سيري في ربوع المنطقة عشرات المساجد والمصليات الصغيرة في جميع قرى العرضيات ، ووقفت أيضاً عند بعض المساجد القديمة في بلاد عمارة وبني رزق القرنية ، وبني المنتشر والعوامر الخثعمية ، وبعضها مازال عامراً يرتاده المصلون ، وأقول إن دراسة تاريخ المساجد والجوامع القديمة والحديثة في العرضيات من الموضوعات التي لم تدرس ، ونأمل أن نرى مؤرخاً أو باحثاً جاداً يوثقها ويدرسها خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) .

(٢) للأسف هذه الظاهرة مشاهدة في عموم أنحاء المملكة العربية السعودية والخلل يحدث غالباً من الأئمة والمؤذنين الرسميين، الذين هم سعوديون فتراهم لا يواظبون على خدمة مساجدهم التي يأخذون أجورا عليها ، وإنما يكلفون بعض الأشخاص الوافدين مثل الباكستانيين وغيرهم للقيام بأعمالهم ويعطونهم على ذلك شيئاً من المال .

الثلاثاء بعمارة ، وخميس الجوف بآل سليمان ، وخميس بني المنتشر في قرية المعقص، والثلاثاء ببلعريان ، والأربعاء في بني بحير ، والثلاثاء في بني سهيم ، والأحد في العوامر. وجميع هذه الأسواق اندثر بعضها وقل نشاط البعض الآخر ، ولها تاريخ عريق خلال القرون الماضية ، وقد حصلت على بعض الوثائق لعدد من هذه الأسواق ، ووجدت تاريخ تلك الوثائق خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، ويوجد فيها العديد من البنود التي توضح أسماء العشائر أو الأسر التي تشرف على سير تلك الأسواق ، وبعض الأنظمة والقوانين التي تضبط الأمن وتحافظ على سمعة السوق [١]. أما الأسواق اليومية فتوجد في جميع أنحاء المنطقة ، ومعظمها بقالات وأسواق صغيرة يوجد فيها الكثير من السلع الضرورية ، ولا تخلو بلدة أو قرية من هذه الأسواق ، ومعظمها على جانبي الطريق العام وبخاصة في بلدتي نمرة وثريبان وما حولهما . كما يوجد بعض الأسواق الكبيرة نوعاً ما ، مثل: سوق (مول) الحازمي ، ومجمع الأسر المنتجة في العرضية الشمالية ، ومجمعات العثمان وديم في العرضية الجنوبية .كما أنشأت البلديات مركزين للفواكه والخضروات وسلع وأغذية أخرى في نمرة وثريبان، ومعظم العاملين فيها من السعوديين [٢].

نجد بلاد العرضيات ذات مناظر حسنة ، ولم أشاهد أمكنة سياحية مخدومة من قبل البلديات ، ومن أماكن السياحة الطبيعية وادي قنونا ويبة وفروعهما ، فهناك مواقع عديد ة في هذه الأمكنة تمتاز بجودة غطائها النباتي ، وتضاريسها المتنوعة ، ومما شاهدت وادي نعمة أحد فروع وادي يبة ، ووادي النظر شرق ثريبان على طريق عقبة بلقرن ، والعضد في شعب بلحارث ، ونضدن بجبل ثربان ، ووادي الحفياء ببلاد بني المنتشر في شعب أم سالم ، والبعيرين في بلاد بني سهيم ، وأودية قنونا ، والعشر ، والنظر [٣].

---

(١) عدد من هذه الوثائق توجد في مكتبتنا ، ونسعى إلى إصدار دراسة وافية عن الأسواق الأسبوعية في تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وسوف يصدر بعض من وثائق أسواق العرضيات في هذه الدراسة . كما نأمل أن نرى باحثاً جاداً من أهل العرضيات يكتب عن تاريخ أسواقهم الأسبوعية خلال القرنين الهجريين الماضيين ، ونحن على استعداد أن نتعاون معه ونزوده ببعض المصادر والوثائق التي تصب في خدمة هذا الموضوع .

(٢) الأعمال التجارية والحرف والصناعات من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين رسالة أو كتاب ، مع دراسة الأيدي العاملة في هذه الأعمال . ويوجد في بلاد العرضيات كثير من هذه الأعمال، لكنها أقل مما رأيناه في المجاردة أو المخواة أو القنفذة . والعرضيات مازالت تعاني من قصور في الأسواق الكبيرة ، وفي اعتقادي لو فتحت طرق واسعة تربط القنفذة والمجاردة وغيرها بهذه البلاد ، فإن التجار الكبار والمستثمرين سوف يأتون إلى هذه البلاد للتجارة والاستثمار .

(٣) هذه بعض الأمكنة السياحية الطبيعية التي شاهدتها أو سمعت عنها ، ويوجد بين ثريبان ونمرة بعض الأمكنة السياحية التي أقامت فيها البلديات مظلات ، لكنها خالية من أي خدمة ، وإنما هي أشكال عارية لافائدة منها، وأقول إن البلديات في هذه البلاد مهملة ومقصرة بشكل كبير ، فلم تستغل الأمكنة الطبيعية الجميلة وتخدمها سياحياً ، كما أن الحدائق والمتنزهات التي هي من واجب البلديات غير موجودة ، وإن كان هناك بعض الحدائق الصغيرة ، لكنها لا تفي بالغرض . المصدر: مشاهدات البحث يوم السبت وصباح الأحد (٩-١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

د - وإذا بحثنا عن مهن الرعي والصيد والزراعة لا نجد لها نشاطاً ملحوظاً ، وذلك لأسبابٍ عديدة ، مثل: هجرة الناس وبخاصة الشباب من بلادهم إلى المدن الكبيرة بحثاً عن الوظيفة ، ومصادر أفضل مما يجنونه من مهنتي الزراعة والرعي ، كما أن معظم أفراد المجتمع تخلوا عنٍ ممارسة أعمال الرعي والزراعة ، وإن كان هناك من يمارسها ، فهم قليلون ، وغالبا يستعينون ببعض العمال الوافدين . كما أن حياة المدنية جعلت جميع طبقات المجتمع يركنون إلى الراحة والاسترخاء والبعد عن هذه الحرف التي تحتاج إلى جهود ومواظبة كبيرة ومستمرة [١].

هـ - نجد بلاد العرضيات حظيت بشيء من التعليم والثقافة [٢]،ففي العهد القريب، أي خلال العقود الستة الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) يذكر أنه تواجد فيها عدد من المعلمين والمتعلمين والكتاب والمساجد التي تقوم على تدريس الناس وتفقيههم في أمور دينهم [٣]. وقد بدأ التعليم النظامي في العرضيات في نهاية الستينيات من القرن

---

(١) تاريخ الصيد والرعي والزراعة في العرضيات من العناوين الجديدة التي لم تدرس، وتستحق أن تكون موضوعات لرسالة ماجستير أو دكتوراه ، أو كتب علمية . وكذلك المهن والحرف والصناعات التقليدية تستحق أيضاً البحث والدراسة ، ونأمل أن نرى باحثين جادين من بلاد العرضيات فيدرسون هذا الموروث التاريخي والحضاري ، وهذا من الواجب على كل صاحب فكر وقلم قادر على أن يخدم أهله وبلاده .

(٢) إذا حاولنا معرفة التاريخ الثقافي والتعليمي في العرضيات خلال عصور الإسلام المبكرة والوسيطة والحديثة فإننا نجد صعوبة كبيرة ، لأننا لا نملك المصادر الموثوقة التي تبين لنا ذلك . ولكن ما من شك أن هذه البلاد ، مثلها مثل غيرها من بلدان تهامة والسراة ، فأهلها مسلمون على مذهب أهل السنة والجماعة ، وإن كانت أرضهم وعرة ومعزولة ، لكنهم كانوا على صلات جيدة بأرض الحرمين في تجاراتهم وحجهم ، ثم إن رحلة القرشيين التجارية إلى اليمن كانت تمر قريباً من بلادهم في الجاهلية وصدر الإسلام ، ودعوة الإسلام وصلت إليهم مبكراً ، وعاشوا حياة إسلامية في تعاملاتهم العامة والخاصة ، ولابد أن يكون بينهم من يفقههم في أمور دينهم ويقضي حوائجهم في مواريثهم ، وأنكحتهم ، وصلواتهم وصومهم وكل ما يتعلق بأوضاعهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية . وهذا ما عرفه التهاميون والسرويون منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحديث ، وللأسف إن عموم أرض السراة وتهامة سادها الجهل والعزلة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وهذا مما أثر على ضياع تاريخها وحضارتها ، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان والنشاط الحضاري منذ عصر التاريخ القديم .

(٣) وجدت في بعض وثائق الدولة العثمانية ، وعصر الإدريسي، وبدايات الدولة السعودية الحديثة ، وسمعت من بعض الرواة وأبناء العرضيات ذكر أسماء عدد من المساجد القديمة في العرضيات التي كانت تقدم فيها بعض الدروس العلمية والدينية ، الموجودة في عدد من القرى مثل مساجد : الجعافر ، والفائجة ، والمبنى ، والمعقص ، والمروة ، وآل حذيفة ، والسر، وآل يعلى وغيرها . وذكر عدد من الكتاب والمعلمين الذين كانوا يمارسون مهنة التعليم في العرضيات حتى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومن تلك الكتاتيب ، كتاب: أحمد بن عبد الله بن وهاس في بني رزق ، وكتاب محمد بن أحمد الشيبان في بادية بني عمارة ، وكتاب علي محسن اليماني في بني سهيم ، وكتاب عبد الإله بن أحمد اليماني في قرية الفائجة ببني بحير، وكتاب علي عبادل الحذيفي في قرية القرن ببني سهيم ، وكتاب محمد بن إبراهيم الحذيفي في قرية واسعة ببني سهيم . ومن المعلمين والمتعلمين في العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) : عبد الخالق بن حنش الرزقي ، وسعد وأحمد أبناء عون السيد ،

(١٤هـ/٢٠م) ، حيث افتتحت مدرسة ثريبان (العرضية سابقاً) في عام (١٣٦٧هـ /١٩٤٧م) ، ثم مدرسة الفائجة سنة (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) ، وتزايدت مدارس البنين والبنات حتى أصبح عددها اليوم (١٨٦) مدرسة لجميع مراحل التعليم العام ، و(١٢) روضة ، ويدرس في هذه المدارس والرياض حوالي(١٣٣٠٠) طالباً وطالبة، ويشرف عليها مكتبان للتعليم في بلدتي نمرة وثريبان، ويتبع هذين المكتبين والمدارس التابعة لها إدارة التعليم في القنفذة[1]. وتفتقد هذه الناحية إلى مؤسسات التعليم العالي فلا يوجد فيها كليات أو أقسام علمية جامعية ، وليس فيها أي تعليم فني أو تدريب مهني ، كما أنها خالية من أي مدارس ورياض أهلية ، والقصور في هذه الجوانب واضح ، مع أن المنطقة مأهولة بالقرى والسكان ، وبعض الخدمات السابق ذكرها في ميدان التعليم نجدها متوفرة في بارق والمجاردة، وفي القنفذة ، وفي المخواة وقلوة[2].

وحسن ومحمد أبناء أحمد الضحوي ، وعلي بن حنش بن عبد الله الرزقي . كما اطلعت على بعض الصكوك الشرعية والوثائق المحلية الخاصة ببلاد العرضيات فوجدت فيها أسماء وتوقيعات شيوخ وقضاة ، ورأيت بعض الوثائق الخاصة ببعض المؤسسات الإدارية في القنفذة وبيشة وأبها وفيها ذكر لبعض الأمكنة والبلدات في العرضيات ، وبعض هذه الوثائق عليها أسماء قضاة أو رجال حكمة وعلم صادقوا عليها. والأستاذ محسن بن علي بن سالم آل محسن السهيمي ، من مواليد العرضية الشمالية ، ومن الشعراء والأدباء الحاليين في العرضيات زودني بمذكرة عن الحركة العلمية في العرضيات ، ومعظم مادة تلك الصفحات منقولة من بعض المقالات المنشورة في بعض الصحف المحلية . ويوجد نسخة من هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبتنا . وأقول إن التاريخ العلمي والتعليمي والثقافي والفكري في العرضيات من الموضوعات التي لم تدرس ، ونأمل أن نرى أحد المؤرخين والباحثين الجادين من أرض العرضيات ، أو من بلاد تهامة والسراة ، أو من جنوبي البلاد السعودية يدرسه دراسة علمية توثيقية في هيئة كتاب أو رسالة علمية أكاديمية . وحسب علمي أن في بلاد العرضيات بعض الأكاديميين الذين يعملون في جامعاتنا المحلية ، وعليهم واجب كبير تجاه أهلهم وبلادهم في دراسة موروثها الحضاري ، وهذا من باب رد الجميل والوفاء للأهل والأوطان .

(١) بلاد القنفذة وعموم منطقة تهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة حتى البرك ومحائل عسير ، والمجاردة ، وبارق، والعرضيات، والمخواة وقلوة فقيرة في ميادين البحوث العلمية التاريخية والأثرية والحضارية . والتعليم والفكر والثقافة من المجالات المهمة والجديرة بالدراسة ، ونأمل من أبناء هذه المناطق أن يخدموا بلادهم علمياً وبحثياً وثقافياً ، مع الحرص على أن تكون أعمالهم ودراساتهم حيادية ومنصفة ، وأن لا يتعصبوا لمكان دون آخر، وأن يكون الهدف السامي هو البحث عن الصدق والحقيقة في كل ما يدرس ويدون .

(٢) من خلال جولاتي في بلدان تهامة والسراة خلال الثلاثين عاماً الماضية ، ومعاصرة التطور والتنمية التي تمر بها المملكة العربية السعودية ، فإنني وجدت بعض النواحي في مناطق عسير، وجازان ، والباحة ، والقنفذة وجنوبي الطائف ومكة المكرمة ، ورنية وتربة والخرمة وغيرها لم تنل حقه من الرعاية والتطوير في الميادين الخدماتية. وبلاد العرضيات من البلدان المنسية ، إن صح التعبير، في خدماتها السياحية ، والتعليمية ، والصحية ، والثقافية، ونأمل أن نراها في وضع تنموي أفضل خلال السنوات القليلة القادمة.

ويـورد الأسـتـاذ محسـن السهيمـي[١]. نبـذة مختصرة عـن الحيـاة الثقافية في العرضيـات، ويذكر أنها مرت بأربع مراحـل : الأولى من صدر الإسلام ، وركز على دور سوق حباشة الذي يقال إنه في بلاد العرضية الجنوبية. والثانية : ماذكره بعض الرحالة المسلمـين وغير المسلمين عـن أجزاء من العرضيات في القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . والثالثة : بداية التعليم النظامي في هذه البلاد في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) واستـدل بروايتي جمـال ناجي (الطريق إلى بلحـارث) ، وإبراهيم نصر الله (براري الحُمَّى) . والمرحلة الرابعة والأخيرة : منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) وأشار إلى وصول بعض الصحف ووسائل الإعلام إلى العرضيات ، وهجرة بعض أبنائها للوظيفة والتدرج في سلـم العلـم والمعرفة ، ثم إنشـاء اللجنة الثقافيـة في القنفذة، واللجنـة الثقافية في العرضيات ، وما نتج عن هاتين اللجنتين من حراك ثقافي ومعرفي ، وأخيراً سرد أسماء عـدد من الأساتذة والأدباء والمعلمين والمثقفين الذين برزوا في الساحة الثقافية والأدبية والعلمية ، وجميعهم من سكان العرضيات[٢].

وأقول إن ما ذكره السهيمي وبخاصة في المرحلتين الأولى والثانية لا يعكس أي صورة مـن صـور التعليم والثقافـة . لأن موقع سوق حباشـة مازال مختلفاً عليـه ، فهناك من يقـول إنـه في وادي قنونا ، وآخرون يدعون أنه في بـارق ، وفريق ثالث يذكر أنه في حلي ، ولا نجـد أي معلومات دقيقة عن موقع هذا السـوق الصحيح ، وعن النشاطات الثقافية والتجاريـة والاجتماعية التي كانـت تقام فيه في الجاهلية وصدر الإسلام. ومنذ تدميره في نهاية القرن (٢هـ/٨م) حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، لا نجد أي شيء عن تاريخ وحضارة وفكر وثقافة هذه البلاد. وفي المرحلة الثانية إذا كان ورد بعضـ الشذرات التاريخية عن العرضيـات عند بعض الرحالة فذلك أيضاً لا يفيد، ولا نجـد فيـه أي حراك علمي وثقافي . أمـا المرحلة الثالثة فلا تعكـس هـاتين الروايتين

---

(١) هو محسن بن علي بن سالم السهيمي ، من مواليد قرية شاظي ببني سهيم في العرضية الشمالية ، يحمل درجة الماجستير في مناهـج وطرق تدريس اللغة العربية مـن كلية التربية بجامعة أم القـرى ، ويعمل في مهنة التعليم لمادة اللغة العربية والموهوبين من عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) حتى الآن ، عضو في عدد من اللجان المحلية ، وحالياً هـو رئيس اللجنة الثقافية بالعرضيات والتابعة لنادي جـدة الأدبي ، وهو شاعر وله ديوان مطبوع بعنوان (وجه الصبـاح) ، صـدر عن نادي الطائف الأدبي (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، وله كتـاب آخر بعنوان : في أزمات الوعي ... إشكالات فكرية وثقافية واجتماعية . (بيروت : دار الانتشار العربي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) .

(٢) مذكـرة في سبـع صفحـات من تدوين محسـن علي السهيمـي، رئيس اللجنـة الثقافية في العرضيـات ، بتاريخ (١٤٣٨/٤/٥هـ). وصورة منها توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية .

المشار إليهما أعلاه أي نشاط ثقافي وعلمي وفكري متقدم لأهل البلاد حتى وإن فتحت المدارس النظامية ، مع أن هذه المرحلة مهمة جداً لأهل المنطقة فقد وصل إليها بعض الأساتذة المتعاقدين الجيدين مثل جمال ناجي ، وإبراهيم نصر الله وغيرهما كثيرون ، وهؤلاء بدون شك كانوا يحملون فكراً وعلماً وثقافة ، وإن كانت المنطقة وأهلها آنذاك يعانون من الجهل والفقر والتخلف العلمي والثقافي ، إلا أن هؤلاء المعلمين كان لهم فكر وثقافة فتأثروا وأثروا في إيجاد حراك ونشاطات ثقافية وفكرية وتعليمية ، وهذه الحقبة الممتدة من نهاية الستينيات في القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ/ ٢٠م) بحاجة ماسة إلى دراسة وتوثيق[١].

وخلاصة القول : فإن بلاد العرضيات واسعة الأرجاء ، متعددة القرى ، وهي ذات كثافة سكانية جيدة، ومن خلال جولتي في أرجائها خرجت ببعض النتائج والتوصيات التي أسردها في النقاط الآتية:

١. تقع هذه البلاد على واديين فحلين (قنونا ويبة) . وهذان الواديان لهما تاريخ عريق، وتوجد على ضفافهما الأراضي الزراعية الغنية بتربتها ونباتاتها ، إلا أننا نراها اليوم هجرت ، بل جرى الاعتداء على الغطاء النباتي في هذين الواديين بالتجريف ، وقطع أشجارها ، والمتاجرة في رمالهما ، والواجب على المؤسسات الحكومية المعنية ، وعلى أعيان ووجهاء وحكماء القبائل أن يتعاونوا في الحفاظ على بيئة هذين الواديين النباتية والحيوانية والمائية ، وإن فعلوا ذلك فإن نتائج ذلك سوف تكون نافعة وإيجابية على جميع أرض العرضيات وسكانها .

٢. كما أشرنا سابقاً ، الواجب على صناع القرار في هذه البلاد، والجهات الرسمية الحكومية والأهلية ، والتجار المستثمرين أن يقوموا على خدمة هذه الناحية سياحياً وتعليمياً وصحياً. فهناك الكثير من الأمكنة الطبيعية الجميلة التي تستحق أن تخدم من قبل الهيئة العليا للسياحة ووزارتي الزراعة والبلديات ، وكون هذه المحافظة تتبع إدارياً لإمارة مكة المكرمة ، فإن الإمارة نفسها عليها مسؤولية عظيمة في الالتفات لهذه البلاد وتنميتها سياحياً ، وتعليمياً ، وللأسف إنني لم أجد فيها أي قسم أو كلية جامعية ، ولا يوجد فيها أي مدرسة أو معهد

(١) وأقول إن تاريخ التطور والتنمية في العرضيات خلال الأربعين سنة الماضية من الموضوعات الجيدة التي تستحق البحث والدراسة ، مع ذكر العقبات ، وما عانته هذه البلاد وما زالت تعانيه من نقص حضاري في الجانبين المادي والمعنوي.

فنـــي أو أهلـــي ، وربما يكـون القصور ـ في أهلها فهم لم يطالبـوا بهذه الخدمات المهمــة والضرورية ، وإن كان هناك من يطالب فلابـد أن تتضافر الجهود بين أهــل البــلاد ليوصلوا أصواتهم إلى الجهــات العليا ـ في الدولــة، وإن فعلوا ذلك فلن يعـودوا مخذولين ، وسوف يحصلون على مـا يسعون إلى تحقيقه. وكذلك الخدمــات الصحية فهــي الأخرى ضعيفة ، وإن وجـد مستشفيان حكوميان ـ في العرضيتين ، فإن خدماتهما فقط لاتزيد عن (٥٠) سريراً والواجب على وزارة الصحة أن تضاعف طاقة هذين المستشفيين.

٣. شبكة الطرق البرية مازالت محدودة ، نعم هناك طرق ضيقة وصغيرة وقديمة تربط بين القرى ، أو بين العرضيات وما جاورها من البلدان ، والذي يجب على وزارة المواصــلات أن تضاعف الجهد فتوســع الطريق الرئيسي الذي يسير من المجاردة إلى المخواة عبر العرضيات حتى يصبح مزدوجاً ، وهذه ضرورة ملحة ، فهــذا الطريق لا يخدم أهل العرضيات فقـط ، وإنما يخدم جميع المسافرين الذيــن يسيرون بين مناطق عســير والباحة ومكة المكرمة . والواجب على إمارة مكــة المكرمــة أن تبــذل جهوداً كبــيرة مــع وزارة المواصلات حتى يتــم إصلاح وتوسيــع هذه الشريــان الرئيسي الهام . وإن تم ذلك فــإن كثيراً من الخدمات الأخرى سوف يسهل تنفيذها .

٤. إن أعيــان البــلاد ووجهائهــا ورموزهــا ومثقفيهــا ، والمقيمــين ـ في العرضيــات أو خارجهــا عليهــم جميعاً بــذل الجهود ـ في الارتقــاء بفئات الشبــاب (ذكوراً وإناثــاً) تعليمياً وثقافيــاً ، وأن لا يركنوا إلى الراحة، أو التجاهل ، أو التغاضي، أو اللامبــالاة ، فعليهــم مسؤولية كبيرة تجاه بلادهــم وأهليهم ، لأنهم يملكون من النفــوذ والقوة واتساع العلاقات والسمعة مــا يجعلهم قادرين على إيصال أصواتهــم إلى صنــاع القرار ـ في الدولة ، ومــن يستطيــع أن يساهم ـ في ميادين التطور والتنمية ـ في ديار العرضيات[1] .

---

(١) من خلال تجربتي الطويلة وسيرى ـ في بلدان تهامة والسراة منذ بداية تسعينيات القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومقابلتي بعض الوجهاء أو عليه المجتمع ـ في المدن والحواضر الكبيرة ـ في المملكة . وعند سؤال بعضهم عن أوطانهم ومساقط رؤوسهــم تراهــم غــير مكترثين، بل بعضهم يقولون إنهــم لا يعرفون عنها شيئاً وقد خرجــوا منها قبل أربعين أو خمســين سنــة ، ولا يهمهم كيــف تكون حياة الناس فيها . وليــس عندهم أي استعــداد أن يساهموا بأي شيء ـ في تطويرها وتنميتها .

٥. لا تخلو بلاد العرضيات من العنصريات والتعصبات القبلية العقيمة ، وللأسف إن البعض تراه يتعصب لقريته أو ناحيته ، ويغمط حقوق الآخرين ، وهذه المشكلة وجدتها عند كثير من سكان تهامة والسراة ، وهذه وأيم الله لا تساعد على التقدم والتطور الحضاري الحيادي والمنصف ، ونحن معاشر المثقفين ورجالات البلاد وأعيانها علينا مسؤوليات كبيرة في خدمة بلادنا على منهج كتاب ربنا وسنة نبينا ، محمد رسول الله (ﷺ) ، وأن نحرص ونبذل الجهود على أن نكون إخوة متحابين فنخدم ديننا وأرضنا وأهلنا دون أن نتعصب لإنسان دون آخر أو ناحية دون أخرى.

٦. تفتقر بلاد العرضيات إلى المكتبات العامة ، وإلى المتاحف التاريخية والتراثية، وإلى الديوانيات والمجالس والمنتديات العلمية والثقافية والحضارية . ولو قلنا إنه لا يوجد فيها مثقفون وأدباء وأرباب قلم ، فذلك كلام غير صحيح ، وإنما فيها من أبنائها من يحمل درجات علمية عالية في شتى العلوم ، وفيها وجهاء، وأثرياء ، وعقلاء ، وحكماء ، لكنني لم أر لهم أي مشاركة أو إسهامات عامة تعود على الأرض والأهل بالفائدة والنماء .

٣ـ المخواة وقلوة :

خرجت من العرضية الشمالية حوالي الساعة العاشرة صباح الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) ، وقضيت بقية ذلك اليوم ويوم الإثنين (١١/٤/١٤٣٨هـ) في محافظتي المخواة وقلوة التابعتين لإمارة منطقة الباحة[1] . وكانت المسافة بين طرف العرضيات الشمالي ومدينة المخواة حوالي (٢٠-٢٥) كيلومتر، وأثناء سيري في تلك الطريق ، ذات السير الواحد، ما عدا كيلوات محدودة في الجزء القريب من حاضرة المخواة ، وهناك بعض القرى الصغيرة والقريبة من هذه الطريق ، كما لا تخلو تلك الطريق من محطات للوقود ومحلات تجارية صغيرة ، وبناشر وإصلاح عجلات للسيارات وبعض الخدمات

(١) في الماضي قمت برحلة ميدانية في منطقة الباحة لمدة عشرة أيام في (٢٩/١١- ٩/١٢/١٤٣٣هـ الموافق ١٥-٢٥/١٠/٢٠١٢م) ، وزرت مناطق عديدة في تهامة وسروات هذه البلاد ، ومن النواحي التي زرتها حاضرتي المخواة وقلوة وبعض الأجزاء التابعة لهاتين المحافظتين ، وللمزيد انظر ، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الخامس) ، ص١٥٩- ٢٦٤ .ومحافظتا المخواة وقلوة لم تخدما بحثياً ، ويوجد في منطقة الباحة عشرات الباحثين والدراسين وبعض المؤرخين إلا أنهم لم يخدموا بلادهم في ميدان الدراسة والبحوث التاريخية والحضارية والعلمية، وبلاد قلوة والمخواة من أكثر النواحي المنسية في ميدان الدراسات ، ونأمل من جامعة الباحة أن تدعم وتشجع من يدرس أرض وسكان هذه الأوطان وغيرها من بلدان منطقة الباحة ، وهذا أمر ضروري وواجب على الجامعة .

الأخـرى المحدودة . وعند وصول مثلث المخـواة القنفذة تظهر لوحة إرشادية عليها سهم نحو اليمين ويذكر تحته أسماء (المخواة ، وقلوة ، وقرية ذات عين ، ثم الباحة) . وسهم آخـر نحو اليســار ويذكر تحته (المظيلف والقنفذة) الواقعـة على الطريق الدولي الذي يخـرج من اليمين إلى مكة وجد ة . ويقابـل مثلث المخواة من الشمال جبل أجرد متوسط الارتفاع ، فاتجهت نحو اليمين ذاهباً إلى حاضرتي المخواة وقلوة [١] .

أ ـ المخواة :

المخواة اسم لمحافظة واسعة الأرجاء في تهامة منطقة الباحة ، وتعد من المحافظات الرئيسيـة بعد محافظتي بلجرشي والمندق في السراة [٢] . ويذكر أن المخواة سميت بهذا الاسـم ، وسميـت أيضاً بـ (رزقة) و (الصيادة) [٣] ، والمخواة هو الاسم الذي اشتهرت به منذ مئات السنين [٤] .

وعند ذهابي من المثلث تجاه مدينة المخواة سرت في طريق مزدوج ، وشاهدت عليه العديـد من المؤسسات الحكوميـة مثل : المستشفى العـام ، وإدارة الضمان الاجتماعي، والإدارة النسائيـة التابعـة لإدارة تعليـم المخـواة ، وبعـد عدة كيلومـترات وجدت سوق الثلاثـاء الشعبي بالمخواة ، وفيه عدد من السيـارات الكبيرة والصغيرة التي تبيع بعض الحبـوب والأعـلاف ، وذكر لي بعضـ التجار الذيـن قابلتهم في السوق أنـه ينشط من عصر يوم الإثنين ويشتد نشاطه إلى مغرب يوم الثلاثاء. ويوجد في أطراف السوق بعض (الهناجـر) الحديدية التي يستخدمها الباعة أثنـاء عرض بضائعهم ، كما يوجد على محيطـه بعض الدكاكين المسلحة التي تعرض فيهـا تجارات عديدة خلال أيام الأسبوع. وواصلـت سيري إلى وسـط مدينة المخواة الحديثـة فوجدتها تعـج بالدكاكين التجارية

---

(١) المصدر : مشاهدات الباحث . في الساعات الأولى من يوم الأحد (١٠/٤/١٤٣٧هـ) .

(٢) للمزيـد انظـر تفصيلات عن منطقة الباحة في كتابنا : القـول المكتوب في تاريخ الجنوب . الأجزاء (الخامس ، والسابع ، والثامن ، والعاشر ، والثاني عشر) .

(٣) يذكـر أنها سميت المخواة لأن أهل واديي ضيان وراش في بلدة المخواة تصاحبوا و(تخاووا) فسميت بهذا الاسم . أمـا رزقـة : فهي ذات موقع استراتيجي لأنها تتوسط عـدداً من النواحي ، والرزق والخير فيها كثيراً ، ومن يقصدها فإنه يسترزق من تجاراتها وخيراتها. واسم (صيادة) ، إذا كان إنسان له غريم أو ثأر عند أحد أقاربه فإنه يذهب إلى المخواة كي يصيد غريمه ، ويأخذ من ثأره . وتعرف أيضاً باسم (السر) ، لأنها مثل السر وسط الإنسان وذلك لتوسطها بين القرى والأودية . المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان المخواة في ليلة الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٤) سوف يكون لنا حديث عن تاريخها وذكرها في بعض المصادر والوثائق في نهاية هذا القسم . ونأمل من إحدى بناتنا أو أحـد أبنائنا في أقسام التاريـخ بالجامعات السعودية ، والدارسين في برامج الدراسات العليا ، أن يدرس تاريخ حاضرة المخواة السياسي والحضاري خلال القرون الثلاثة الماضية ، وهو موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة .

المتنوعة في معروضاتها ، والعاملون في هذه المحلات من العمال الوافدين وأغلبهم من اليمن وبلاد الشرق مثل: الهند ، والباكستان ، وبنجلاديش ، وهناك عدد من المطاعم (والبوفيهات) ، وفيها عدد من السعوديين والعمال الوافدين الذين يتناولون بعض الأطعمة والأشربة . والملاحظ أن بعض السعوديين يجلسون مع بعض العمال ، وجلست قريباً من بعضهم لتناول بعض المشروبات ، فوجدتهم يتفاوضون ويتناقشون في بعض الأعمال التجارية والحرف المهنية[١] . وقضيت ساعات عديدة أتجول في أرجاء المدينة ، والتقيت ببعض الإخوان الذين قاموا بالسير معي إلى ربوع هذه الحاضرة ، ثم ذهب معي بعضهم إلى حاضرة قلوة التي تبعد عن المخواة (٣٥) كيلومتراً نحو الشمال ، ثم العودة في مساء الأحد إلى المخواة[٢] . ومما سمعته وشاهدته في المخواة ما يأتي :

١. تقع مدينة المخواة على ضفاف وادي ضيان وراش ، ومناخها حار في الصيف معتدل في الشتاء ، وتتنوع تضاريسها بين الجبال والهضاب والأودية. ومن أهم جبالها شدا الأعلى وشدا الأسفل[٣] ، وجبل شُعران في الناحية الشرقية ، وجبل الجرف الذي تقع عليه بلدة المخواة القديمة ، وجبل القيد في الشمال الشرقي من المدينة ، وجبل نبايع في الجنوب الشرقي[٤] . ومن الأودية : وادي راش الذي يمتد من أعالي عقبة الباحة نحو الجنوب، ووادي ضيان يمتد من الشرق إلى الغرب ، وتأتي منابعه من بلاد حزنة في سروات غامد ، ووادي بطاط ويمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال ، ووادي سقامة بين المخواة وقلوة ، وهو إلى المخواة أقرب، وأودية : ممنا ، ومنجل، وهوران ، ومليل ، والملح . وبعض الأودية السابقة مثل: راش ، وضيان وغيرهما تلتقي جنوب المخواة عند قرية المشايعة ، ومن هناك يبدأ وادي الأحسبة الذي يصب في البحر شمال القنفذة[٥] .

---

(١) يكثر العمال الوافدون في كل مكان من البلدان التي مررت عليها في هذه الرحلة من بارق والمجاردة إلى المخواة ، إلا أنني شاهدتهم بكثرة في كل من المخواة والمجاردة ، وتراهم يتولون جميع الأنشطة التجارية والحرفية في أسواق هذه المدينة. وهذه ظاهرة تراها في جميع مدن وحواضر المملكة العربية السعودية . وأقول إنهم يربحون ويجنون أموالاً كثيرة من هذه الأعمال ، والأولى أن يعمل الشباب الوطني في هذه المهن الجيدة ، وللأسف نسمع عن البطالة العالية بينهم ، وهناك فرص عمل مربحة لكنهم لا يرغبون العمل فيها .

(٢) هناك عدد من الإخوان الكرام الذين استقبلوني في المخواة وساروا معي في أرجائها ، ثم ذهبوا معي إلى مدينة قلوة ، وهم: الدكتور عبد الرحمن الشعشاع ، والأساتذة موسى بن داود العُمري، وعبد العزيز محمد العُمري، وعبد الرحمن حمياني، وعلي محمد عبد الهادي . وقابلنا في قلوة الأستاذ علي بن أحمد الهيمطي . فلهم مني جزيل الشكر والتقدير وأسأل الله أن لا يحرمهم أجر ما فعلوا وقدموا .

(٣) انظر تفصيلات عن هذين الجبلين في صفحات تالية من هذا القسم .

(٤) يوجد في حاضرة المخواة عدد من الجبال التي تستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة تفصل تضاريسها ، ومواقعها وما يوجد فيها من النباتات والطيور والزواحف وغيرها .

(٥) لم تدرس هذه البلاد جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً واقتصادياً وآثارياً ، ونأمل من جامعة الباحة أن تؤسس مراكز بحثية تهتم بهذه الأوطان في شتى الميادين ، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة .

٢. يستوطن حاضرة المخواة عشائر بني عُمر بفرعيها الرئيسين العلي والأشاعيب[(١)] ، وهم سكانها منذ عصور قديمة[(٢)] ، وفي العقود الماضية المتأخرة تغيرت التركيبة السكانية في هذه الناحية فاستوطنتها عناصر عربية أخرى من غامد وزهران وبعض العشائر في بلاد تهامة والسراة ، وهناك أفراد وأسر جاءت للعمل فيها من بعض بلدان المملكة العربية السعودية ، أو من دول عربية أخرى . كما يعيش في هذه الحاضرة اليوم أعداد غير قليلة من بلدان إسلامية وغير إسلامية مثل: الأتراك ، والهنود ، والباكستانيون ، والبنجاليون وغيرهم [(٣)] .

٣. تتمتع مدينة المخواة اليوم بالكثير من الخدمات الحديثة ، فجميع أبنيتها العامة والخاصة السكنية والتجارية مسلحة بالحديد والبلك ، وتتراوح عمائرها من طابق واحد إلى خمسة وأحياناً إلى ستة وسبعة طوابق ، والشارع العام الذي يخرج من مثلث المخواة المظيلف إلى قرية ذات عين في عقبة الباحة [(٤)] ، أو قلوة، وهو الطريق الأكثر نشاطاً في الحركة الاقتصادية [(٥)] . وهناك قرى قديمة في هذه الحاضرة ، بعضها مازالت آثارها باقية ، والبعض الآخر تم إزالتها وحل بدلاً منها أحياء جديدة. ومن هذه القرى القديمة . قرية الجرف ، وهي بلدة المخواة القديمة[(٦)] . وقرى الحواجر ، والقزة ، والطناطنة جنوب وجنوب غرب المدينة . وقرى المدق، والمشايعة ، والحوى في الجنوب الغربي ، وقرى

---

(١) يقول بعض الرواة إن سكان بلدة المخواة قديماً من بني عُمر آل علي ، وفرع الأشاعيب هم الأكثرية في بني عمر ويستوطنون أماكن عديدة خارج قرية المخواة القديمة . هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان ووجهاء حاضرة المخواة في (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن قبائل منطقة الباحة في تهامة والسراة (زهران ، وغامد ، وبني عمر) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد غامد وزهران ، للأستاذ علي بن صالح السلوك (الطبعة الثانية) (الرياض: منشورات دار اليمامة،١٤٠١هـ/١٩٨١م) (٣١٢صفحة) ، انظر أيضاً ، "فروع قبائل وقرى غامد وزهران وبني عمر" مجلة العرب ، السنة الخامسة ، ربيع الأول (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، الجزء التاسع ، ص ٨٧٤ ٨٧٩ .

(٣) غالبية هؤلاء السكان من الذكور ، وهناك عناصر نسائية محدودة من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية يعملن في الخدمات المنزلية ، والقطاعات الصحية وبعض المهن التجارية والحرفية مثل: المشاغل النسائية ، والمدارس الأهلية وغيرها .

(٤) قرية ذات عين من الأمكنة الأثرية الهامة في المملكة العربية السعودية ، وهي غير مخدومة ، ومسؤولياتها على إمارة الباحة، والهيئة العليا للسياحة، فالواجب على هاتين الجهتين أن تبذلا قصارى جهودهما تجاه هذا المعلم التاريخي والأثري، وهو جدير بذلك . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٥ ، ١٨٥ .

(٥) العمارة والطرق في محافظة المخواة جديرة بالدراسة ، وتستحق أن تكون عناوين لبعض البحوث والرسائل العلمية.

(٦) سوف نذكر عنها بعض التفصيلات في نهاية هذا القسم .

الأشاعيب في الشمال الشرقي[١] . ومن أحياء مدينة المخواة الحديثة : حي الفيصلية غرب الطريق الرئيسي في المدينة، ويوجد فيه عمائر كبيرة ، ويحتوي على عدد لابأس به من المدارس وبعض الإدارات الحكومية. وحي الحدب غرب الطريق الذاهب من المثلث إلى عقبة الباحة ، وفيه بعض المؤسسات الإدارية مثل: المحافظة ، والبلدية ، والشرطة ، والمحكمة . وأحياء الخالدية ، والقفيل ، وسيال ، والأخير يوجد به بعض أبنية فروع جامعة الباحة في المخواة[٢] .

٤. شاهدت بعض المساجد القديمة المندثرة في بلدة المخواة القديمة ، وأصبحت غير صالحة للاستخدام ، وهناك عدد من الجوامع الكبيرة المجهزة بجميع الأدوات والخدمات ، ومنها: مسجد الردحة وسط المدينة ، وهو من أقدم المساجد ، وحل محله جامع السوق ، ومسجد الحدبة في وسط المدينة ، غرب المستشفى القديم، ويعرف اليوم بجامع عمر بن الخطاب ، وهو من أكبر الجوامع ويُصلى فيه على الجنائز ، ومسجد الزربة في السوق القديم وحل محله جامع خالد بن الوليد ، ومسجد القزة وحل محله جامع القزة ، وهو من أقدم الجوامع في المخواة ، وجامع البخاري في حي الحواجر وهو أكبر وأحدث جوامع المخواة ، وجامع حي الفيصلية ، وجامع إمام الدعوة ، وجامع أبو بكر الصديق [٣] .

٥. ترتبط حاضرة المخواة بطرق عديدة قديمة تتصل بأجزاء عديدة في تهامة والسراة مثل: قلوة ، وسروات الباحة في غامد وزهران ، والحجرة ، وناوان، والقنفذة ، والمظيلف [٤] . واليوم هناك طرق حديثة تربط أجزاء المحافظة بعضها ببعض ، وطرق داخلية مسفلتة تصل بين جميع الأحياء في المدينة.

---

(١) قرى بني عمر الأشاعبة في المخواة ، وجميع القرى التاريخية القديمة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة.

(٢) التاريخ الإداري والمالي لمحافظة المخواة من الموضوعات التي لم تُدرس إطلاقاً ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً من أهلها ، أو من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الباحة يدرس هذا العنوان دراسة علمية .

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض الخطباء والدعاة ، وما تم حصره ، ومن المؤكد أن هناك مساجد وجوامع أخرى في مدينة المخواة وفي القرى التابعة للمحافظة . وأقول إن تاريخ الدعوة وتاريخ المساجد في عموم المدن والمحافظات التي مررت بها في هذه الرحلة من بارق إلى قلوة تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والدراسات . ونأمل من أقسام التاريخ والشريعة وأصول الدين في جامعتي الملك خالد والباحة أن تفتح عدداً من مراكز البحوث التي تهتم بمثل هذه الموضوعات ، وهذا من واجبات هذه المؤسسات العلمية والتعليمية .

(٤) تعد المخواة من البلدان الغنية بالزراعة ، والأسواق التجارية ، فكانت حلقة وصل بين الأجزاء السروية والتهامية الساحلية، وبعض البلدان المجاورة في تهامة زهران والعرضيات وعسير وغيرها . ودراسة التاريخ الاقتصادي للمخواة من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية. وتاريخ الطرق القديمة والحديثة في محافظتي المخواة وقلوة من الموضوعات الجديدة في أبوابها ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .

أمـا الطـرق الرئيسية التي تربط المخـواة مع غيرها من البلـدان ، فهي (١) طريـق جازان عسير ثم العرضيات إلى المخـواة . (٢) طريق بلجرشي المخواة عـبر وادي حزنة ، وهنـاك عقبتان من المخواة إلى بلجرشي في السراة ، الأولى عقبـة حزنة عبر وادي ضيـان ، والثانية : من بلجرشي إلى بني دحيم ثم وادي ضيـان . (٣) طريق من المخواة إلى قلوة والحجـرة والشعراء . (٤) طريق من المخـواة إلى ناوان ثـم المظيلف ، ويتفرع جنوباً إلى القنفـذة ، وشمالاً إلى مكة وجدة . (٥) طريق (عقبة) من المخواة مروراً بوادي راش إلى الباحة.

عرفـت المخواة بعض الأسواق الأسبوعية ، وأهمها سوقهـا الشعبي القديم يوم الخميس [١] ، وكان مـن أنشط الأسواق ، ويعرف اليوم بسوق الثلاثاء ، ومازال قائمـاً حتـى الآن . وتكتـظ المخواة اليـوم بالعديد من السلـع والأسواق الكبيرة والصغـيرة الحديثة ، ومن يذهـب على طول الطريق الرئيسـي في هذه المدينة فإنه سوف يجد جميع البضائع المستوردة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعوديـة وخارجهـا ، ومن أكبر هذه الأسـواق الحديثة . سـوق الراية ، وسوق الحازمي ، ومركز الحياة التجاري ، وأسواق بن زرعة ، والأسواق الحرة [٢] .

٦. لا تخلـو حاضرة المخواة وما حولها مـن المناطق السياحية الطبيعية مثل: وادي سقامـة شمال مدينة المخـواة ، وضفاف واديي ضيان وراش ، وقرية ذات عين، وجبلـي شدا الأسفـل والأعلى المطلان على المخواة وقلوة مـن الناحية الغربية. ولا يوجـد داخـل المخـواة متنزهـات أو حدائـق من أعمـال البلديـات ، وإنما هنـاك متنزهان كبـيران بين قلوة والمخواة ، وهما يقعـان على مساحة كبيرة ، ومخدومان بالعديد من الخدمات مثل: دورات المياه ، وبعض الألعاب ، وممرات للمشي والرياضة ، والأشجار ومسطحات خضراء [٣] .

---

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض رجالات المخواة ، ويوجد ذكراً لهذا السوق في بعض الوثائق والمصادر التي يعود تاريخها إلى القرنـين الماضيـين . ومـن أهم السلـع التي كانت تصدر من القنفـذة إلى سوق الخميس بالمخـواة : الملح ، والتمور ، والأقمشة ، وسلع أخرى عديدة تصدر من الحجاز واليمن إلى القنفذة . كما يصدر إلى هذا السوق بعض سلع السروات مثـل: اللوز ، والعسـل ، والسمن ، وبعض الحبوب والمحاصيل السروية . ودراسة تاريـخ الأسواق الأسبوعية في محافظتي المخواة وقلوة من العناوين الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين لرسائل ماجستير أو دكتوراه .

(٢) ذهبـت إلى بعض هذه الأسواق فوجدتهـا تشتمل على أنواع وأشكال عديدة من الألبسـة ، والأطعمة ، والأثاث ، وأدوات أخـرى متنوعة . كما وجدت العاملين فيها من الوافدين وبعض السعوديين والسعوديات . ومدينة المخواة تعد من المدن الكبيرة والرئيسية في تهامة الباحة وما جاروها .

(٣) مازالت مدينة المخواة غير منظمة في أحيائها وشوارعها ، فهناك عقبات في مداخل ووسط المدينة ، وهي بحاجة إلى شبكة طرق أوسع وأفضل . كما تحتاج إلى فتح طرق كبيرة تدخل وتخرج وتحيط بالمدينة . وقد ذكرت ذلك لبعض رجالات المخواة من معلمين ومثقفين ، وكذلك أوصلت هذا الاقتراح إلى محافظ المحافظة وبعض وجهاء البلد .

٧. عرفت المخواة بعض الكتاتيب المحدودة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهذا ما سمعناه من بعض الرواة في مدينة المخواة وما حولها ، وكذلك العثور على بعض الوثائق التي تشير إلى بعض الأعلام اليمنيين الذين كانوا يجتازون هذه البلاد أثناء خروجهم من اليمن لأداء مناسك الحج ، ومنهم من يتوقف في بعض المحطات لتعليم الناس القراءة والكتابة ، وشيء من القرآن الكريم[(١)] . بدأ التعليم النظامي في المخواة في بداية السبعينيات ، وأول مدرسة فتحت في عام (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م). ثم تزايدت عدد المدارس حتى أصبح عددها اليوم (٣٥٤) مدرسة ابتدائية / ومتوسطة/ وثانوية للجنسين (بنين وبنات) ، وعدد من رياض الأطفال، وإجمالي عدد الفصول (١٧٨٥) فصلاً، يدرس فيها حوالي (٢٧٥٧٧) طالباً وطالبة، موزعون على أربعة قطاعات : المخواة ، وقلوة ، وغامد الزناد، والحجرة، ويشرف عليها إدارة تعليم المخواة [(٢)] . وافتتحت جامعة الباحة كلية العلوم وآداب في المخواة، وفيها بعض التخصصات العلمية والأدبية . وقد زرت تلك الكلية فوجدتها متواضعة في إمكاناتها وموقعها وخدماتها الإدارية والتعليمية [(٣)] .

أما النشاطات الثقافية والفكرية والدعوية فتمارس في المدارس ضمن برامج الأنشطة الطلابية ، وفي المساجد وبعض المراكز الدعوية المؤقتة التي تقام أثناء فصل الشتاء ، ويأتي من داخل منطقة الباحة وخارجها من يقدم المواعظ والدروس الدينية والثقافية في هذه التجمعات أو في جوامع المحافظة ، ومكتب الدعوة والإرشاد في المخواة

---

(١) بعض المعلمين اليمنيين كانوا يتوقفون في بلدات وقرى من تهامة والسراة أثناء ذهابهم للحج ، ويقومون على تعليم بعض العلوم اللغوية والشرعية ، ويحصلون على أجور قليلة مثل الحبوب وبعض الألبسة أو النقود . وأيضاً قرب المخواة من القنفذة وبعض حواضر السراة مثل بلجرشي وغيرها فجعل بعض الدعاة أو المعلمين يفدون إلى المخواة لتدريس أبنائهم وبناتهم وإمامتهم في الصلاة وقضاء حوائجهم الدينية مثل: تقسيم المواريث ، وعقد الأنكحة ، وخطب الجمعة وغيرها .

(٢) لم نجد تعليم أهلي واسع ما عدا روضتين ومدرستين ابتدائيتين للبنات . وأقول إن تاريخ التعليم العام الحديث في محافظات المخواة ، وقلوة ، والحجرة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس ، ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه . ونأمل أن نرى أحد أبناء هذه المحافظات يتخذ من هذا الموضوع عنواناً لكتاب أو رسالة علمية . المصدر: أوراق وإحصائيات عديدة وصلتني من الأستاذ عبد الله عبد الهادي العُمري ، رئيس التخطيط المدرسي في إدارة تعليم المخواة ، وهذه الأوراق توجد ضمن وثائق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.

(٣) تجولت في أمكنة عديدة من تهامة والسراة خلال الخمس سنوات الماضية ، وشاهدت بعض النواحي تعاني من عدم وجود أقسام أو كليات جامعية ، وأحياناً توجد فيها كلية أو كليتان فيها بعض الأقسام الأكاديمية المحدودة والجودة فيها ضعيفة لنقص الإمكانات الضرورية ، وتدني مستوى المكتبات والمختبرات التي يحتاجها الطلاب والأساتذة في إنجاز أعمالهم . وأستطيع القول بأن هذا النوع من التعليم العالي لا يختلف كثيراً في المستوى عن التعليم العام .

يقـوم بالدعوة والتنظيم لمثل هــذه الأنشطة الثقافية والفكرية والدعوية . وذكر لي أثناء وجـودي في المخواة أن نادي الباحة الأدبي اعتمـد إنشاء لجنة ثقافية في مدينة المخواة، ومـن مهام هذه اللجنة عقد الأمسيـات الشعرية ، وإلقاء بعضـ المحاضرات الثقافية ، وقراءة بعض الروايات والقصص الأدبية [١] .

ب ـ قلوة :

اسـم قلـوة جاء من القلي ، وهـو شوي الشــيء ، فيقال : قليت الحـب أو اللحم أي أنضجتـه ، وربما سميت بهذا الاسم لشدة حرها أثنـاء فصل الصيف . ويقال أيضاً أن القــلا : أي البغضـ والكراهيــة ، فارتفاع حرارة الجو في الصيف جعـل الناس يكرهون الإقامة فيها . وربما نسبتها إلى مكان اسمه قلوة ، أو إلى شخص يدعى قلوي أو القلوي ، أو القــالي [٢] . وتبعـد مدينــة قلوة عن المخــواة شمالاً نحـو (٣٠-٤٠) كيلومتر ، وتقع بـين ثلاثة جبـال رئيسية : شد الأعلـى في الجنوب ، وجبل نيس في الشمـال ، وجبل ربا في الناحيـة الشماليـة الغربية ، ومساحتها تقريبـاً (٣×٥) كيلومترات ، ويعبرها شارع مـزدوج من الشمال إلى الجنوب ، ويقدر عرضه بـ (٤٠) متراً ، ويطلق عليه شارع الملك فهـد ، وشوارع أخرى صغـيرة تتفرع من هذا الشارع الكبيرة ، وبعضها مزدوجة وأخرى ذات اتجـاه واحـد [٣] . ومعظم سكانها الرئيسيين من قبائل زهران ، ومن العشائر التي تستوطنها ، عشيرة قلوة ، وعشير ة الأحلاف ، وفي أجزاء من محافظة قلوة عشائر تتبع بعضـ القبائل الزهرانية في السراة [٤] . كمـا يوجد في مدينة قلوة العديد من الأجناس العربيـة وغير العربيـة الذين يعملون في مهـن وحرف اجتماعيـة واقتصادية وسياحية

---

(١) نأمـل مـن أحد أبناء محافظة المخواة أن يدرس النشاطات الثقافيـة والفكرية في هذه الناحية منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضـر ، ويحرص على جمع وتدوين النشاطات التـي قدمها المعلمون الوافدون من بلـدان عربيـة أثناء عملهم في مهنـة التدريس في أنحاء المحافظـة . والمؤكد أن هناك أساتـذة وأعلام كان لهم إسهامـات علميـة وثقافية وأدبية وفكرية ، وجمع مادة هذا المحور من الـرواة والطلاب والرجال الذين عاصروا تلك الحقبة الممتدة من سبعينيات القرن الهجري الماضي إلى عشرينيات هذا القرن.

(٢) هـذه اجتهـادات من الباحث ، وقد سألت في محافظة قلوة عن سبب التسمية فلم يفدني أحد بالسبب الصحيح لهـذه التسميـة، وقد يكون عنـد بعض رجالها تعريف دقيق وصحيح ، وآمل أن نـرى باحثين جادين من أهل قلوة يقومون على دراسة تاريخها وأنساب سكانها وحضارتها . ولمزيد من التفصيلات عن كلمة القلى أو القلوي انظر فعل (قلا) في معجم لسان العرب لابن منظور.

(٣) مشاهدات الباحث مساء الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٤) محافظـة قلـوة كبـيرة المساحة ، وزيارتنا اقتصرت علـى مدينة قلوة التي هي مركز المحافظـة ، وقد زرت هذه المحافظة وكتبت عن شيء من جغرافيتها وتاريخها في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) ، انظر كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ١٦٠ وما بعدها .

عديـدة [١] . ويعيش فيها أفراد وأسر عربيـة سعودية جاءوا من أمكنة عديدة في جنوب البـلاد السعودية وغيرها للعمل والإقامة ، وأكثر من يستوطنها من هذه الشريحة قبائل غامـد وزهران وبني عمر، وذلك لقربهم من هذه البلدة ، ولصلاتهم النسبية والعرقية مع سكانها الأصليين [٢] .

ويبدو أن مدينة قلوة أفضل من مدينة المخواة في تنظيمها وتخطيطها ، فيوجد فيها وعلـى مقربة منها بعض الحدائق والمتنزهات الجميلـة ، ومنازلها وشوارعها ومرافقها في وضـع أحسـن مما رأيت في مدينة المخواة ، والواضح أن بلدية قلوة لديها رؤيا وحسن تدبير في تخطيط المدينة ونظافتها وتنظيمها. والمنازل العامة والخاصة في المدينة تتراوح من دور واحد إلى أربعة أو خمسة أدوار ، ومدينة قلوة أصغر مساحة من مدينة المخواة، وذكـر لي أنهـا أقـدم الإدارات الحكومية في تهامة غامد وزهـران في العصر الحديث ، ويوجـد فيها اليوم معظـم المؤسسات الحكوميـة وبعض الإدارات الأهليـة مثل: البنوك التجاريـة ، وبعض المستوصفات الخاصة[٣] . ورأيت فيها عـدداً من المساجد والجوامع الكبيرة مثل: جامع الملك خالد ، وجامع ابن عثيمين ، وجامع المنح، وجامع الخليف، وتقع جميعها شمال المدينة ، وجامعي الملك فهد ، والسوق الشعبي وسط المدينة ، وجامعي بن باز ، وضبيعة في جنوب المدينة [٤] .

ويذكـر لنـا علي أحمـد الهيمطي[٥] أن أول سيـارة دخلت إلى قلـوة كانت في بداية السبعينيـات [٦] ، ثم تسـير إلى بلدتي المخواة والحجرة. والطـرق الرئيسية التي تربط قلـوة مع غيرها من البلدان المجـاورة .(١) طريق قلوة المخواة . (٢) طريق قلوة حفار،

---

(١) العناصر العربية وغير العربية الوافدة إلى المملكة العربية السعودية يوجدون في جميع مدن وقرى البلاد ، وهم مقيمون مؤقتون في وظائفهم وأعمالهم ، وعند الانتهاء يعودون إلى أوطانهم .

(٢) قبائـل زهـران ، وغامد ، وبني عمر في تهامة والسراة متداخلون في البلاد ، وفي الأنساب وفي الصلات الثقافية والاجتماعيـة والجغرافية . وهذه القبائـل الثلاث تستحق أن يصدر عنها عشـرات البحوث والكتب والدراسات التاريخيـة والحضارية والاجتماعية واللغويـة والثقافية وجامعة الباحة عليها مسؤولية كبيرة لدعم وتشجيع مثل هذه الموضوعات والبحوث العلمية.

(٣) مقابلة شخصية مع الأستاذ علي أحمد الهيمطي في منزله بمدينة قلوة مساء الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٤) مشاهدات الباحث عصر الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٥) أحـد أعيـان ووجهاء مدينة قلوة ومن المعلمين الأوائل في هذه المحافظة ، ولـه سيرة ذاتية من تدوينه نشرها في كتـاب : بعنـوان : هذه سيرتـي ، ولا يوجد عليه معلومـات للنشر ، ويقع في (١٤٥) صفحة مـن القطع الصغير ، ونسخة من هذا الكتاب في مكتبة الباحث .

(٦) المصدر نفسه ، كما أجريت مع الهيمطي مقابلة بمنزله في مدينة قلوة يوم الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

وحفار مركز إداري على الساحل بين القنفذة والليث. (٣) طريق قلوة الحجرة ثم يسير إلى الشعـراء وإلى الشاقـة الجنوبيـة التابعة لمحافظة الليـث . (٤) طريق من قلوة إلى الباحة في السراة عبر عقبة الملك خالد[١] .

ومـن الأسواق الأسبوعيـة في مدينة قلوة وما جاورها من المراكـز والنواحي . (١) سوق الثلاثاء في بلدة قلوة، ويعمل يوم الإثنين ويعرف بالثلاثاء ،والسبب أن سوق المخواة يعمل الثلاثاء ، وكان يقام يوم الخميس ، لهذا رأى أهل قلوة أن يعقد سوقهم يوم الإثنين حتى لا يتضارب زمنياً مع سوق الثلاثاء في المخواة. (٢) سوق خميس الشعراء في مدينة الشعـراء، ومـازال قائماً حتى الآن. (٣) سـوق الأحد في مدينة الحجـرة ، ويعمل حتى اليـوم[٢] ، (٤) سـوق السبت في الرميضة ويتبع لمحافظة قلوة ، وهو حديث النشأة . أما الأسـواق الحديثـة في مدينة قلوة فهي منتشـرة في أنحاء المدينة وتتفـاوت في الأحجام والسلـع ، ومـن أكبرها: مركز العائلة ومعظم سلعه مـواد غذائية وسلع أخرى ضرورية، وسـوق (مـول) الـرواد ، ومجمعـات ابن مستـور ، والهيمطـي، وسيتي مـول ، ومعظم المعروضات في هذه الأسواق ألبسة وأدوات للزينة [٣] .

يتحـدث بعض الراوة عن التعليم في قلـوة ، ويذكرون أسماء بعض المعلمين القدماء الذيـن مارسـوا القراءة والكتابة قبل السبعينيات ، وكانـوا على قدر بسيط من المعرفة، وأحيانـاً يخلطون بين ممارسـة الشعوذة والتعليم [٤] ، ثم افتتحـت أول مدرسة في بلدة قلـوة عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) ، وفي تلك المدرسة معلم واحد ، يدعى حسين بن محمد بن خماش العمري ، يقوم على تدريس الطلاب صباحاً ومساءً ، واستمرت هذه المدرسة

---

(١) اسم هذا الطريق سابقاً ، عقبة مساعد ، نسبة إلى مساعد بن رقوش ، أحد شيوخ زهران في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وتسـير مـن ديار عشائر بيضان في السراة حتى تصل إلى أعـالي وداي دوقة، ومنه إلى مدينة قلوة ، وهي غير مستخدمة في الوقت الحاضر . انظر : غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس) ، ص ٢١٥. وأقول إن الطرق والعقبات في بلاد غامد وزهران وبني عمر تهامة وسراة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة، ونأمل من بعض أساتذة جامعة الباحة أن يدرسوا مثل هذه الموضوعات الجيدة والجديدة في بابها .

(٢) زرت هذا السوق وكتبت عنه أثناء زيارتي لمنطقة الباحة في (٢٩/١١-١٢/٩/١٤٣٣هـ) ، وهو من الأسواق التاريخية القديمة ، للمزيد انظر، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس) ، ص١٨٢.

(٣) تاريخ التجارة والأسواق في محافظة قلوة من الموضوعات الجديدة وتستحق أن يصدر عنها دراسة علمية موثقة .

(٤) ممارسة الكهانة والشعوذة منتشرة في بعض بلدان وقرى تهامة والسراة ، سمعت ذلك وقرأت عنه أثناء تجوالي في أوطـان هـذه البلاد منذ بدايـة القرن (١٥هـ/٢٠م). وهذا الميدان يستحـق البحث والدراسـة ، ونأمل من الباحثين والمؤرخين الجادين في البلاد السروية والتهامية أن يدرسوا مثل هذا الموضوع الشائك والمهم للبحث .

إلى عـام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) ، وتخـرج فيها خمسة طلاب ، وعُيّن منهم ثلاثة معلمين، اثنـان في المدرسـة نفسها ، وهما: عبـد الخالق بن مستور ، ومستور بـن أحمد. والثالث يحيـى بلقرون الذي صار معلماً في دوقة الأحلاف[١] . وفي السبعينيات أيضاً وصلت إلى المنطقة جهود الشيخ القرعاوي الذي نشر الكثير من كتاتيبه ومدارسه في بلدان عديدة مـن تهامـة والسراة[٢] . وفي عـام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) توقفت مدرسة قلـوة حتى عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ثم افتتحت المدرسة مرة أخرى ، وتلاها فتح مدارس عديدة للبنين والبنات ، حتى أصبح التعليم العام منتشراً في جميع قرى محافظة قلوة . وافتتحت أيضاً بعض الأقسـام العلمية الجامعيـة في كلية العلوم والآداب في قلـوة ، ويوجد موقع جديد لكلية التقنية ، ومدرسة واحدة محدودة للتعليم الأهلي[٣] .

٤ـ الشدوان الأسفل والأعلى:

جبلا شـدا الأسفل والأعلى من أطول جبال المملكـة العربية السعودية، ويقعان في محيـط محافظتـي المخـواة وقلـوة[٤] ، وهمـا إلى الأولى أقـرب. وفي يـوم الإثنـين (١١/٤/١٤٣٨هـ الموافق ٩/يناير/٢٠١٧م) رافقني الصديـق الدكتور/ عبد الرحمن الشعشاع[٥] ، وبعض الإخوان من مدينة المخواة في رحلة إل جبلي شدا[٦] ، وقضينا ذلك اليوم نتأمل التركيبة الجغرافية السكانية لهذين الجبلين . فالجبلان ذوا حزون وصخور

---

(١) تاريـخ التعليـم خلال القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبداية هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعـات التي لم تدرس ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو بحث علمي.

(٢) للمزيد عن جهود الشيخ عبد الله القرعاوي في جنوبي البلاد السعودية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) ، انظر: غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ـ١٣٨٦هـ/١٩٣٤ـ١٩٦٦م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) . (الجزء الأول) ص ٢٦٠ وما بعدها .

(٣) قلوة مدينة تهامية قديمة حديثة ، ولها تاريخ إداري وحضاري واجتماعي واقتصادي وتستحق أن يفرد لها عدد مـن الدراسات التاريخية والآثاريـة والحضارية . ونأمل من أبنائها ، وبخاصة الباحثين وأساتذة الجامعات ، أن يدرسوا بلادهم ويخدموا أهلهم ، وهذا من الواجب عليهم تجاه أوطانهم وذويهم .

(٤) ارتفاع جبل شد الأسفل (١٧٠٠م) ، وجبل شدا الأعلى (٢٢٠٠م) فوق سطح البحر. هذا ما سمعه الباحث من بعض الدارسين والباحثين في محافظة المخواة .

(٥) ابـن الشعشـاع من أهل بيشة ، أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابهـا في كلية العلوم والآداب في محافظة المخواة ، عرفتـه منـذ أكثر من عشر سنـوات عندما كان يدرس لدرجة الدكتوراه في الجامعـة الإسلامية بالمدينة . وهو شخص لطيف المعشر، على قدر كبير من الأخلاق والأدب .

(٦) من أولئك الأصحاب، الأساتذة علي محمد عبد الهادي الغامدي، وناصر الشدوي، كما التقينا في أعلى شدا الأسفل بإخوان آخرين وكان معهم العم حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي الغامدي، الذي استضافنا لوجبة الغداء ،وأفادنا بمعلومات كثيرة ، وعمره يتجاوز (٧٥) عاماً .

ومسالـك صعبة، وهما مأهولان بالسكان منذ القدم[١]، وسكان شدا الأسفل يعودون في نسبهم وولائهم إلى عشيرة بني عبد الله الغامدية السروية ، وكذلك الجزء الجنوبي من شدا الأعلى ، أما الجزء الشمالي من شدا الأعلى فأهله من زهران . ومناخهما بارد في الشتـاء ، معتدل صيفاً ، وفيهما عشرات الأنواع من النباتات ، وأنواع عديدة من الطيور والحيوانـات [٢] . ويشرفان على قرى ومدن من الأراضي التهامية ، فمن الشرق يطلان علـى وادي سقامـة وأجزاء من حاضـرة المخواة ، ومن الغرب على بلـدان نيرا وناوان ، ومـن الجنوب على بعض أودية ونواح من المخـواة ، ومن الشمال على وادي يحر وأجزاء أخـرى من محافظـة قلوة [٣] . وأثنـاء جولتي القصيرة في هذيـن الجبلين[٤] ، خرجت ببعـض الصـور التاريخيـة الحضاريـة التـي شاهدتهـا وسمعتهـا ، واذكـر أهمهـا في النقاط الآتية :

١. مـررت من حـول هذين العلمين مرات عديـدة خلال الأربعين عامـاً الماضية ، ولم أتمكـن من صعودهما ، وسمعت أنهمـا يحتويان على الكثير من الرسومات الصخرية ، وعندما ذهبت إليهما شاهدت نقوشاً عديدة على بعض الصخور ، ورسومات آدمية وحيوانية يعود تاريخها إلى آلاف السنين قبل الإسلام ، وسألت بعض من رافقني عن هذه الآثار ، هل اكتشفت ودرست؟ فقالوا لقد زارها عدد من الباحثين العرب والأجانب ، وخرج عنها بعض الدراسات المحدودة . وأقول إن طبيعـة هذين المكانين وما يحتويـان عليه من مصادر تاريخية منقوشة على صخورها تستحق أن يسخر لها المال والعلماء الجادون والمنصفون حتى يدرسوا ما تشتمل عليه من موروث حضاري .

٢. سرنا في طريق مسفلت في أجزاء من الجبلين ، وأخبرني أحد الرفاق أن المسافة من المخواة إلى أعلى قرية في شدا الأعلى حوالي(٢٤) كيلومتراً ، وصعدنا بعد

---

(١) الشدوان مذكوران في بعض المصادر التاريخية والحضارية المبكرة ، قال فيها بعض الأدباء قديماً وحديثاً شعراً ونـثراً . وتتبـع تاريخ وحضارة هذيـن الجبلين من العهد القديم إلى اليوم من الموضوعـات التي تستحق أن تكون عنوانـاً لكتاب أو رسالة علمية ، ونأمل أن نرى أحـد المؤرخين الجادين يكتب عن تاريخهما وذكرهما في النقوش والآثار والمصادر التقليدية .

(٢) يذكر أن في هذين الجبلين الكثير من النباتات والحيوانات النادرة ، وبعضها انقرض في العقود الماضية .

(٣) هذا ما شاهدناه من أعالي الجبلين في (١١/٤/١٤٣٨هـ) .

(٤) استغرقت رحلتنا في هذين الجبلين حوالي عشر ساعات وهي غير كافية لدراسة تراثهما وجمع موروثهما العلمي والحضاري.

انتهاء الأسفلت في طريق صعبة ، ولا يسير فيها إلا سيارات قوية ذات دفع رباعي. وصعود شدا الأسفل أسهل من شدا الأعلى الذي يتكون من قمتين، إحدهما في الناحية الشرقية وهي وعرة ويصعب تسلقها ، والقمة الأخرى غرباً، وهي أكثر ارتفاعاً لكن الصعود إليها أسهل . ويطلق على القمة الشرقية (القارة) ، والقمة الثانية (مصلى إبراهيم) [١].

وقال أحد الرواة إن تمهيد الطريق من أسفل هذين الجبلين ، حتى أصبحت صالحة للاستخدام بالدواب، بدأ عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) [٢] ، وفي حوزتنا بعض الوثائق التي تؤكد هذه الرواية ، وتشير إلى أسماء بعض العمال الذين شاركوا في فتح تلك الطريق في عامي (١٣٨٦هـ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦، ١٩٦٨م) [٣] . وواصل المواطنون الشدويون فتح طرق ترابية على حسابهم الخاص من ثلاث جهات للجبلين ، وفي عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) استلمت وزارة المواصلات هذه الطرق للإشراف عليها وصيانتها ، ومنذ بداية العشرينيات من القرن (١٥هـ/٢٠م) تم سفلتة الجزء الشمالي من شدا الأعلى ، وسفلتة حوالي عشرة كيلومترات من شدا الأسفل ، وبقي الجزء الجنوبي من شدا الأسفل غير مسفلت ، ومازالت المطالبات في سفلتته جارية حتى الآن [٤].

٣. هذان الجبلان مأهولان بالسكان [٥] ، وفيهما أنماط معمارية عديدة . ففي شدا الأعلى عدد من القرى مثل: قرية الكبسة وفيها مواقع سياحية جميلة

---

(١) مساحة هذا المصلى حوالي (٢×٣م٢) ، ويتداول الناس رواية أن المقصود بـ(إبراهيم) ، هو إبراهيم بن الأدهم، وهو قول غير دقيق ، ومن المحتمل أن نسبة هذا المصلى إلى رجل صالح يدعى إبراهيم ، وربما يكون من أهل البلاد، أو من الحجاج الذين كانوا يأتون من جنوب شبه الجزيرة العربية عابرين بلاد تهامة إلى مكة والمدينة المنورة.

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض رفاقه وأكد ذلك علي بن عبد الله الشدوي الغامدي من أهل شدا الأعلى في (١١/٤/١٤٣٨هـ) .

(٣) بعض هذه الوثائق في مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة ، وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ١١٠- ١١١. وقد حصل على عدد من الوثائق غير المنشورة من مدينتي المخواة وقلوة وبعض رجالات جبلي شدا ، وسوف ندرسها مستقبلاً ونخرجها في دراسة مستقلة .

(٤) المصادر نفسها . طرق شدا المسفلتة محدودة على الأجزاء السفلى من هذين الجبلين ، ومازالت الأجزاء العلوية غير مسفلتة، والواجب على وزارة المواصلات ، والهيئة العليا للسياحة ، أن تضاعف الجهود لتسهيل طرق هذين الجبلين وسفلتتها ، حتى تكون من المعالم السياحية المشهورة والمرتادة من سياح الداخل والخارج .

(٥) كانت هذه الجبال مأهولة بسكانها قديماً ، واليوم هجرها أكثرهم ونزلوا إلى المخواة وإلى مدن ونواحي عديدة في المملكة العربية السعودية . ومازال بعضهم يسكنها حتى الآن ، ومنهم من يستوطن المخواة أو قلوة إلا أنهم يترددون عليها في الإجازات وبعض أيام الأسبوع . كما يوجد فيها الآن بعض العمال الوافدين من اليمن أو الهند والبنجلاديش الذين يعملون في خدمة بعض سكانها مقابل أجور شهرية .

يرتادهــا السياح للتنــزه والتسلق، وقرية السلاطين وتتكون مــن ثلاثة أقسام : فرعة السلاطين ، والغُمار ، وبجاد . وفي الغمار فتحت أول مدرسة ابتدائية عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ، ومدرسة بنات عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) . وقرية الملاليح وتشتمـل على ثلاث قــرى صغيرة هي : فرعة الملاليـح ، واللحن ، وقرن. وهذه القــرى ملاصقة لمصلى إبراهيم ، وجبل القــارة ، وتشتهر بزراعة البن والموز. وقريــة المساعــدة ، وكان يوجد فيهــا الطبيب الشعبي لعموم جبـل شدا الأعلى ويدعي (أحمد الفقيه) [١] . وقرية لهن ، وهي من أفضل قرى الجبل انبساطاً ، ويوجد فيها بعض المزروعات، وقرى أخرى في أسفل الجبل مثل: مليل، والأحد بالقفــرة . وتــتراوح أسر هذه القــرى قديماً من (٣٠-٤٠) أســرة، وحالياً من (٥-١٥) أســرة ، وسبــب هــذا التناقص هجــرة معظم الأسر مــن الجبل إلى مدينتــي قلــوة والمخــواة وإلى حواضر أخــرى في المملكة ، لقلــة مظاهر التطور والتنميــة في هذا الجبل، ولتحسين أوضاعهــم الاقتصادية والاجتماعية . ومن قرى شدا الأسفل الطرف ، وآل ساحة ، والنَمرة ، والروس ، والفرع وهي أكبرها ويوجـد فيها بعضـ المؤسسات الإدارية ، وبها حــوالي (٤٠-٥٠) أسرة ، وقرية الحلــوق وهي أصغرها فلا يوجد بها إلا حــوالي خمسة منازل[٢] . ومنازل أهل شدا القديمة مشيدة بالحجارة والطين ، وتتراوح مساحاتها من غرفة إلى أربع أو خمس غرف ، حسب إمكانات أهلها ، واليوم قام بعض السكان بإنشاء منازل مسلحــة تتكــون من طابق أوطابقين ، وكل طابق يتكــون من عدة غرف. وتوجد الكهــوف في جبلي شدا وبخاصــة شدا الأسفل ، وصار بعضهــم يشيد الكهوف ويوسعهــا ويزوقها ، ويخدمها بالماء والكهربــاء حتى أصبحت مجالس صخرية جميلــة ، وقد استقبلنــا العم حسين بن حسن بن ضيــف الله الشدوي في كهف بشــدا الأسفــل تزيد مساحته عــن (١٠٠م٢) ، وأخــبرني أن هناك من يمتلك

---

(١) عاش أحمــد الفقيــه في هــذه الناحية ، ومارس بعض النشاطــات الدعوية مثــل : إمامة النــاس في الصلاة ، ومعالجتهــم بالقــرآن ، وتوفي في العقــد الثاني من القرن (١٥هــ/٢٠م) .مقابلة مع علي بن عبــد الله الشدوي الغامــدي في إدارة تعليــم المخــواة في (١١/٤/١٤٣٨هــ) . وعلي الغامــدي من مواليد قريــة السلاطين في جبل شــدا الأعلى عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) . درس مراحل التعليم الأولى بالمخواة وحصل على درجة البكالوريوس في الفيزياء من جامعة الملك عبد العزيز ، ويعمل حالياً رئيساً لقسم النشاط الطلابي بتعليم المخواة ، وأيضاً أميناً عاماً للجنة الخطة الاستراتيجية لتطوير محافظة المخواة .

(٢) مقابلــة مــع حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي الغامدي في (١١/٤/١٤٣٨هـ) . وهو من أهل شدا الأسفل ، ومازال يقضي معظم أوقاته في قريته ومسقط رأسه في شدا .

كهوفاً أصغر وأكبر من هذه المساحة ، وهذه من المعالم السياحية التي يتميز بها جبلا شدا . ويتبع قرى شدا قديماً وحديثاً بعض المرافق المعمارية المهمة مثل: الآبار ، والمقابر، وفي بعض القرى مساجد كبيرة لصلاة الجمعة ، وأسواق أسبوعية [١] .

٤. يذكر أن أهالي شدا كانوا يمارسون عبادتهم في منازلهم ومساجدهم ، ويأتيهم أحياناً من يعلمهم أمور دينهم في المخواة أو في قراهم الرئيسية في الجبل. ومن أولئك المعلمين والدعاة في القرن (١٤هـ/٢٠م) الشيخان علي بن مغرم الغامدي، وإبراهيم بن مسلم من سكان حزنة غرب سروات بلجرشي ، وأحمد وسعيد أبناء فرحة من أهل شدا ، اللذان تعلما على يد هذين الشيخين السابقين، ثم قاما بنشر المعرفة والعلم الشرعي بين أهلهم من سكان شدا الأسفل . وفي الثمانينيات من القرن الهجري الماضي افتتحت مدارس نظامية في الشدوين ، وكان كثير من طلاب تلك المدارس متفوقين على مستوى منطقة القنفذة ، بل إن بعضهم كانوا من الأوائل على مستوى المملكة العربية السعودية[٢] .

ومن الأشخاص الذين عملوا في مهنة التعليم قبل وبعد نشأة المدارس النظامية الأساتذة : أحمد بن عيفان الغامدي ووالده من قبله ، وعبد الله بن أحمد الغامدي[٣] ، وأحمد بن معيض الغامدي، ومحمد أحمد الغامدي ، وعلي الغامدي من فرعة غامد ، وسعيد بن محمد صمان من المخواة ، وبعض المعلمين من نيرا مثل: سعيد بن محمد بن

---

(١) جبلا شدا ذوا تاريخ وحضارة إنسانية ، ففي الماضي البعيد والقريب يتضح لنا الكثير من البراهين والشواهد التي تؤكد صحة الحياة البشرية النشطة فيهما . أما في عصر التطور والتنمية الحضارية التي تعيشها البلاد السعودية اليوم فالحياة في هذين الجبلين شاقة جداً حتى وإن كان مازال فيها أناس يستوطنونهما ، وعندهم بعض الخدمات الإدارية والتعليم والصحية . وأكبر مشكلة تعاني منها هذه الجبال وأهلها هو وعورة تضاريسها التي لا تساعد على العيش فيها بسهولة ويسر . وتحويل هذين الجبلين إلى مناطق سياحية اقتصادية قد يكون مجدياً إلى حد ما لو وجدت خدمات صادقة توفر الراحة والاستجمام للزوار والسياح.

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة في المخواة يوم الإثنين (١١/٤/١٤٣٨هـ) . بالإضافة إلى مذكرة وصلتنا من الأستاذ ناصر الشدوي أثناء رحلتنا في بلاد قلوة والمخواة ، وصورتها موجودة ضمن أوراق مكتبتنا .

(٣) عبدالله الغامدي من مواليد شدا الأعلى عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ، تعلم في شبابه مبادئ القراءة والكتابة ، وعمل في مهنة التجارة في بعض حواضر الحجاز الكبرى مثل: مكة وجدة والطائف ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ، وبذل جهوداً عديدة في خدمة أهالي شدا ، فطالب بفتح مدارس نظامية للبنين والبنات ، وفتح طريقاً تسلكه السيارة ويصل إلى أجزاء من جبلي شدا، كما ساهم في عمارة بعض المساجد المحلية في الشدوين ، وغيرها من الخدمات الإنسانية والخيرية المدونة في بعض الوثائق التي وصلتني من ابنه علي بن عبد الله . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٠- ١٢٥ .

صالـح ، وسعيد أحمد غرابان ، ومحمد حسن ربيع[١] . ويذكر أن بعض سكان الشدوين ترقـوا في التعليـم حتى صار منهم اليـوم أساتذة في تخصصات عديـدة ، ومن بناتهم وأبنائهـم من يحمل درجات عالية كالبكالوريوس ، والماجستير ، والدكتوراه ، ومنهم من تدرج في سلم الوظائف الإدارية والمالية والعسكرية والمدنية [٢] .

٥- مشاهدات عامة :

في ختام هذه الرحلة ، لا أدعي أني سجلت كل ما يستحق الدارسة والتدوين في هذه البـلاد الواسعـة من بارق إلى قلـوة ، ولكني أخال إنني أشـرت إلى نقاط علمية رئيسية تستحق البحث والدراسة المستفيضة من بناتها وأبنائها المتعلمين الحريصين على حفظ تراث وتاريخ وموروث هذه الأوطان التهامية. ومازال لدينا فقرات نرغب الإشارة إليها ، وهي على النحو التالي :

أ- عـدم وعـي الناس بأهمية البيئة ، فترى الكثير منهـم يسعون إلى إتلاف الغطاء النباتـي ، والقضاء على الطيور وبعض الكائنات الحيـة ، وتلويث الأرض برمي القمائم والمخلفات الآدمية وغيرها في الأودية والجبال أو في الطرقات والقرى والمدن ، وكل هذه السلوكيات تؤثر سلباً على حياة الأرض والسكان [٣] .

ب- هـذه البـلاد تنعم بالأمـن والاستقرار ، ويمارس أهلها عباداتهـم بكل سهولة ويسـر ، وهذا مـا شاهدته في الطرقـات ، والأسـواق ، والمدارس ، والمساجد والجوامع والتجمعات العامة والخاصة الصغير ة والكبيرة . ومن يدرس تاريخ هذه الأوطان خلال العقود الأولى والوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قبلها فإنه سوف يتضح له الخوف والجهـل والفقـر الذي كان سائـداً في أنحاء هـذه الأوطان ، وغيرها مـن بلدان المملكة

(١) المصـادر نفسهـا . نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ التعليم والثقافة في الشدوين والمخواة وقلوة خلال المئة سنـة الماضية. وذكـر الأستاذ علي عبد الله الغامدي في إدارة تعليم المخواة أن والده عبد الله بن أحمد الغامدي كان يسعى إلى نشر الفكر والتعليم والثقافة في المخواة وشدا الأعلى ، فأنشأ عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م) أول مكتبة تجارية في بلدة المخواة ، وجلب الراديو والكهرباء إلى سكان شدا الأعلى في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) أهالي جبل شدا أذكياء في أقوالهم وأفعالهم ، ومنهم من عُرف بالرزانة والحكمة والشعر النبطي قديماً ، وفيهم اليـوم الكثير من المثقفـين والمتعلمين ، وآمل أن يخرج من تلك الفئات من يدرس لغة وتاريخ وحضارة واقتصاد وتعليم وثقافة أهل شدا الأسفل والأعلى ، ومن يفعل ذلك من أبنائها أو بناتها فإنه سوف يسدي إلى أرضه وأهله معروفاً كبيراً ، كما أنه سيرد شيء من المعروف والفضل الذي قدمته هذه البلاد العربية الأصيلة .

(٣) هـذه الجوانـب جديـرة بالبحث ، فتدرس الأسباب والأخطـار التي تنتج عن تدمـير البيئة وإتـلاف مكوناتها الطبيعية ، ونرجو أن نرى الجامعات المحلية تهتم بهذا الجانب في خططها وبحوثها واهتماماتها .

العربية السعودية ، واليوم تغير الحال من سيء إلى حسن ، ومن رعب وفوضى إلى أمن واستقرار[١] .

ج ـ لا يخلو المجتمع من مشاكل وسلبيات مثل: نبرة العنصرية والتعصب فهي موجودة عند بعض الأفراد ، والأسر ، أو القرى ، أو العشائر ، وهذا مرض اجتماعي عرفه العرب من قبل الإسلام ، ومازال يُمارس في بلادنا وبين أهلنا وإخواننا . كما يجب أن هذه البلاد المعنية في هذا القسم يتواجد في أرضها الكثير من النقوش والرسومات الصخرية والآثار ، ولا أحد يدرك أهميتها، بل إن أكثرها ناله دمار وخراب الإنسان. وكذلك الأمكنة التراثية والتاريخية مثل: القرى القديمة ، والأسواق ، والطرقات، والآبار، والمقابر، وبعض المهن والحرف الاقتصادية القديمة: كالصيد ، والرعي ، والزراعة ، وكثيراً من الصناعات التقليدية ، أصبحت من الماضي ولا نرى رعاية فردية أو جماعية، أهلية أو حكومية تفعل شيئاً لحفظ هذا التاريخ الذي عرفه الأوائل ، وعانوا كثيراً في بنائه وصيانته .

د ـ البلاد مليئة بالتاريخ الفكري، والثقافي ، والأدبي ، والعلمي. فهناك لغة ولهجات، وفنون شعرية وأدبية وثقافية ، وأهازيج ، وطرفة وفكاهة ، وأقوال وأغاني، وحكم ، وقصص ، وروايات ، وأمثال محلية. وهناك أيضاً أعلام نسائية ورجالية ، وعبر ودروس وحروب أسرية أو عشائرية أو قبلية ، وصلات داخلية وخارجية، ونشاطات دينية، واجتماعية ، واقتصادية ، ومعرفية. كل هذه الصور التاريخية والحضارية عرفها ومارسها إنسان هذه البلاد التهامية ، وتستحق من ينقب عنها ويجمعها ويدرسها ثم ينشرها لأبنائنا في هذه العصور الحديثة والمعاصرة . والفاحص للعلم والتعليم في هذه المنطقة يجد المدارس النظامية منتشرة في أرجائها، لكن مستوى التعليم ونوعيته هزيلة وركيكة ، والكم يغلب على الكيف، وهذه مشكلة عامة تعاني منها جميع مراحل التعليم في أرجاء البلاد السعودية[٢] .

---

(١) قرأت آلاف الوثائق والكتب والمراجع والمقالات التي أرخت للأرض والسكان في الجزيرة العربية منذ العصر القديم إلى وقتنا الحاضر ، ووجدت أن الرخاء والأمن والراحة التي يعيشها سكان المملكة العربية السعودية اليوم لم يسبقه عهد مشرق مثلما يعيشون في عصرنا الحاضر ، وهذا فضل من الله عز وجل ، ونسأل الله أن يديم أمنه ونعمته علينا وعلى جميع المسلمين..

(٢) من يقارن التعليم الحديث مع التعليم القديم فإنه يجد جودة التعليم في الماضي أفضل من عصرنا الحالي، نعم هناك إمكانات كبيرة اليوم ، وأموال كثيرة تصرف ، لكن مستوى الطالبة والطالب أضعف من السابق تفكيراً ، واجتهاداً ، وكتابة ، ورغبة في التعليم . قد يقول قائل هذا كلام غير صحيح ، فها نحن نشاهد أصحاب الشهادات العليا ، وبعض المبدعين والجادين ، وأقول كلام صحيح ، فهناك نماذج جيدة ومتفوقة ، لكن النمط العام الغالب على مستوى التعليم اليوم وأثره المعرفي ، والأخلاقي ، والاجتماعي الإيجابي أضعف بكثير من السابق .

هـ ــ شاهدت وعرفت وسمعت عن كثير من أهل هذه البلاد ، ففيهم خطباء في الجوامع ، أو معلمون وموجهون ومربون في المدارس ، أو موظفون كبار ، أو أساتذة في الجامعات ، أو أعيان ، أو وجهاء ، أو شيوخ قبائل ، أو أصحاب مال أوصناع قرار في أوطانهم ، أو حكماء وعقلاء. وكل هذه الفئات من النساء والرجال عليهم مسؤوليات كبيرة تجاه أنفسهم ، وأهلهم ، وأوطانهم، فهم الذين فيهم الأمل، وعليهم يُعتمد في عمارة الأرض ، وبناء أوطان صالحة تؤمن بربها ، وتعمل لخير دينها وأوطانهم . وإذا لم يتحمل هؤلاء المسؤوليات المنوطة بهم ، ويقومون بها على خير وجه للصالح العام والخاص ، وإلا فإن المجتمعات سوف تغرق ، وينالها الوهن والضعف والتفكك والانهيار[١] .

ثالثاً:صور من تاريخ بعض بلدان تهامة (من بارق إلى قلوة) :

١ـ من تاريخها في بعض المصادر المبكرة:

هذه البلاد المذكورة من أقل بلدان تهامة والسراة ذكراً في كتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيطة، لكننا نجد أحياناً إشارات قليلة عن بعض أجزائها وسكانها. ففي كتب التاريخ الحولية مثل الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن خلدون معلومات عن بارق وبعض التهاميين الذين دخلوا الإسلام في عهد الرسول (ﷺ) ، والذين ارتدوا في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، ولا تخلو كتب السير والمغازي من روايات أيضاً . وفي هذه المصادر العامة ورد أسماء بعض الأعلام الذين شاركوا في الصراعات السياسية والعسكرية في القرون الإسلامية الأولى داخل الجزيرة العربية وخارجها[٢] .

وكتب التاريخ الموضوعية التي تؤرخ لزمان ومكان محدودين مثل كتب الأزرقي ، والفاكهي ، والفاسي ، وبعض أسرة آل فهد المكية ، وتاريخ اليمن لعمارة الحكمي اليمني وغيرها ، يوجد فيها صفحات من تاريخ الحجاز وبخاصة مكة المكرمة ، وأجزاء من اليمن ، لا تخلو من معلومات تتعلق بالبلاد الممتدة من بارق إلى قلوة ، فهناك إشارات

---

(١) خلق الإنسان لعمارة الأرض ، والواجب على الفرد المسلم المؤمن أن يعمل لتحقيق هذا الهدف ، ومن يفعل ذلك فإنه سوف ينال رضا ربه (عز وجل) ، وخدمة الدين والنفس والأهل والوطن .

(٢) ركزت كتب التاريخ العامة مثل: الطبري وغيره على التاريخ السياسي والعسكري ، لكنها لا تخلو من بعض الشذرات . ومن يفحص هذه الكتب الحوالية فإنه يجد صوراً تاريخية عديدة ومحدودة عن تاريخ وحضارة تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز .

لبعض الأمكنة، وشذرات أخرى قليلة عن بعض الأحداث التاريخية في هذه البلاد[١] .

وفي كتب الطبقات والتراجم والأعلام معلومات عن تهامة بشكل عام ، وعن الأوطان التي ندرسها بشكل خاص . ومن تلك المصادر كتب الطبقات لابن سعد ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني . وهذه المصادر ذكرت روايات عن بعض الأعلام البشرية أو الجغرافية في تهامة مثل سوق حباشة وبعض من ارتاده في الجاهلية وصدر الإسلام من أهل الحجاز أو غيرهم، وأشارت أيضاً إلى أسماء تهامية عاصرت ظهور الإسلام في الحجاز ، وبعضها خرجت مع جيوش المسلمين للجهاد في سبيله في الشام وفارس ومصر وشمال إفريقيا وبلاد الهند والسند[٢] .

كما اشتملت كتب اللغة والأدب على معلومات تاريخية عن بلدان تهامة ، مثل: وادي قنونا ويبة، وبلاد بارق وغيرها فقد ورد لها ذكر في بعض المصادر المبكرة كمعاجم اللغة العربية الرئيسية مثل: اللسان لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، وكتب أخرى ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وخزانة الأدب للبغدادي ، وعمدة القاري للعيني، وبعض الدواوين الشعرية ، كديوان ابن هتيمل وغيره من شعراء اليمن أو الحجاز أو نجد ، أو شعراء كبار في الجاهلية والإسلام[٣] .

أما كتب الجغرافيا والرحلات فهي الأفضل في حفظ الكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية والحضارية عن تهامة من قلوة إلى بارق ، ومن أعم وأشمل هذه المصادر كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني ، ففي هذا السفر تفصيلات كثيرة عن مواضع وسكان عاشوا في هذه البلاد ، ولا تخلو معلومات هذا العالم اليمني من بعض الأخطاء غير المقصودة ، ومازال كتابه من المصادر الرئيسية عن بلاد تهامة والسراة

(١) ركزت هذه المؤلفات على تواريخ الحجاز واليمن ، ولقرب بلاد تهامة من هذه النواحي ، ثم للصلات التاريخية والحضارية للتهاميين مع الحرمين جعلت مؤلفي هذه المصادر يلتقون بأهل السراة وتهامة ، ويسمعون بعض الأخبار عنهم وعن بلادهم وما يدور فيها من أحداث سياسية سلبية وإيجابية .

(٢) من يفحص هذه المصادر فإنه يجد أسماء تهامية هاجرت إلى المدينة المنورة ، وأخرى خرجت أثناء الفتوحات الإسلامية إلى بلدان عديدة خارج الجزيرة العربية .

(٣) من أولئك الشعراء الشنفرى ، وأبو الحياش الحجري وغيرهما اللذان ورد في أشعارهم أسماء وقائع ومواضع في البلدان الممتدة من جازان جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً ، ومن الأمكنة التي ذُكرت بارق، وقنونا ، والسرين ، وعشم وغيرها. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يجمع الأشعار التي ذكرت أحداثاً ومواقع في بلاد تهامة والسراة ، وهي متناثرة في كتب التراث الإسلامي مثل الدواوين الشعرية القديمة ، وكتب الأدب واللغة ، وكتب التاريخ والتراث الأخرى . ومن يفعل ذلك فإنه سوف يسدي لنا معروفاً كبيراً ، وسوف يطلعنا على مادة علمية غزيرة وقيمة.

خـلال القـرون الأولى من عصر الإسلام [١] . ومصادر أخـرى مثل: المسالك والممالك، ومعجـم ما استعجـم للبكري، ومعجم البلـدان لياقوت الحموي ، وهـذه الكتب تأتي في المرتبـة الثانية بعد كتب الهمداني[٢] ، وفيها معلومات كثيرة عن تهامة ، والبلاد الممتدة مـن بارق إلى قلوة ورد لها ذكر لا بأس به ، فهناك مواضع عديدة تم الإشارة إلى شيء من جغرافيتها وتاريخها . ومصادر أخرى لا تخلو من اشارات طفيفة وأحياناً مبهمة عن بعض الأوطـان التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جـازان ، ومن تلك الكتب : أحسن التقاسيـم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، وسفرنامـة لناصر خسرو ، ورحلة ابن جبير ، وتاريـخ المستبصر لابن المجـاور ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفـاق للإدريسي ، ورحلة السلطان المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة المكرمة ، ورحلة ابن بطوطة وغيرها [٣] .

وكتـب الأنساب والموسوعات من المصادر الأولية التـي فيها لمحات تاريخية عن تهامة . فابن الكلبي في كتابه: النسب الكبير، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وفي كتب الأنسـاب للسمعاني والقلقشندي تفصيلات عن أصول القبائـل الأزدية التي استوطنت السـراة وتهامة ، ومعظـم العشائر القاطنة في تهامة من بارق إلى قلوة تنتسب في قبائل اليمـن وبخاصة قبيلـة الأزد ، ومازالت هذه العشائر تعيش في هـذه الأوطان حتى وقتنا الحاضـر[٤] ، والمصـادر الموسوعية مثل: نهاية الأرب للنويـري ، ومسالك الأبصار لابن فضـل الله العُمري، وصبح الأعشى للقلقشندي ، والمقصد الرفيع المنشأ للخالدي ، هذه

---

(١) الهمداني : هو الحسن بن أحمد بن يعقوب ، يكنى بأبي يعقوب ، ويعرف بالنسابة ، أو ابن الحائك ، ويسمي نفسه بـ (لسان اليمن) ، ويكني نفسه أيضاً بأبي محمد ، وهو من بلاد همدان في اليمن ، ومن علماء المسلمين الكبار ، ولـه كتـب عديدة في الأنساب ، واللغة ، والجغرافيا، والمعادن وغيرهـا . وكتبه من أفضل المصادر التي وصلتنا عن الجزيرة العربية خلال عصور الإسلام الأولى ، وتستحق أن يصدر عنها عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلميـة . للمزيـد انظـر: ، غيشـان بن جريس "بلاد السـراة من خلال كتاب صفة جزيـرة العرب للهمداني" . بحـث منشور في مجلة الدارة ، عدد (٣) النسـة (١٩) (ربيع الآخر، والجماديان /١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص ٧٦-١١١ . والبحـث نفسـه أعيد نشره في كتابنا: دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق ١-ق ١٠هـ/ق٧-ق١٦م) ، ج١ (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص ١٢٧- ١٦٤.

(٢) تستحق كتب البكري وياقوت الحموي دراسة وتحليلاً ، وبخاصة ما جاء فيها عن بلاد تهامة والسراة، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد ، برنامج الدراسات العليا ، فيتخذ من هذا الموضوع عنواناً لرسالته في درجة الماجستير أو الدكتوراه.

(٣) كتـب الجغرافيـا والرحلات المبكرة والمتأخرة تشتمل على تفصيلات كثيرة وجيدة عن بلدان تهامة والسراة ، ونأمل أن تدرس في موضوعات علمية موثقة . للمزيد انظر ، غيثان بن علي بن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيـون المسلمـون الأوائـل (ق٣-ق٨هـ) " مجلة المـؤرخ العربي ، عـدد (٢) ، المجلـد الأول (مارس/ ١٩٩٤م) ، ص٧٣-١٠٠ . وأعيد نشر هذه الدراسة في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) ، ج١، ص ١٦٥-١٩٦ . انظـر مجلـدات عديدة من موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنـوب ، ج٣، ص ٣٢١- ٣٩٤ . ج٤، ص ٢١-٨٦ . ج٥،ص٢١-٩١ . ج٩، ص١٣١- ١٩٤ . للمؤلف نفسه ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥م) ، ص١٥٩-٢٣٠ .

(٤) تاريخ أنساب بلاد تهامة من بارق إلى قلوة جديرة بالدراسة ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها في هيئة كتاب أو رسالة علمية .

الكتب موسوعية في معلوماتها، وتحتوي على تفصيلات تاريخية وحضارية (اجتماعية، واقتصاديـة، وجغرافية، وسكانية) عن بلاد تهامـة والسراة ، ولا تخلو من إشارات عن البلدان المعنية في مبحثنا [١] .

ومصـادر أخـرى متنوعـة في أطروحاتها ، وتحتـوي على فقرات مـن تاريخ تهامة الممتـدة من قلوة والمخـواة إلى بارق والمجاردة وما جاورها . ومـن أهمها : كتاب النبات لأبـي حنيفـة الدينوري من أهـل القرن الثالث الهجـري (التاسع الميـلادي) ، ويقع في عشرة مجلدات ، لكن لم يصلنا منها إلا ثلاثة فقط . وهذا المصدر يشتمل على معلومات كثـيرة عـن نباتات تهامة والسراة وكثير من الأشجار والنباتـات التي درسها تتواجد في منطقتنـا المدروسة في هذا القسم ، وفي أنحاء تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف إلى نجـران وجـازان[٢] . وهذا كتاب الأنواء لابن قتيبة من أهـل القرن الثالث الهجري أيضـاً ، وهذا المصدر فصّـل الحديث عن مواسم العـرب ، ومعرفتهم الكبيرة بفصول السنـة ، ومـا يتخللها من تغـيرات ، ومواسم الزراعـة والحصاد، وكل مـا يتعلق بالجو وتأثيراته على حياة الناس في جميع مهنهم الاقتصادية والاجتماعية [٣] .

ونقول إن المـادة المتوفرة عن تهامة في العصر الجاهلي والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطـة قليلة جـداً، وإن أشرنا إلى بعضـ المصادر الأولية التي ذكـرت شذرات من تاريخهـا ، لكنها لا تعطينا صورة واضحة عن حياة الناس في هذه البلاد . وأكثر القرون غموضاً الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى الثاني عشر الهجريين (الثامن إلى الثامن عشر الميلاديـين) ، فهـذه الحقـب لا نجد عنها الشـيء الكثير ، وإن ذكرت مواضيـع محدودة، أو أحـداث ، أو أعلام ، فمازال النقصـ الكبير واضحاً [٤] . وفي المصادر المكية الوسيطة وأوائل

---

(١) هـذه الموسوعـات تجمع لفيفاً مـن المعارف المتنوعـة في أبوابها ، والسـروات وتهامة ورد لهـا ذكر في صفحات وفصول عديدة من هذه المصادر .

(٢) السائـر في بـلاد تهامـة وبخاصـة المناطق الواقعة عنـد سفوح السـروات الغربية من جـازان إلى مكة المكرمة سـوف يشاهد آلاف الأنواع من النباتات والأشجار التي ذكرها الدينوري في كتابه، ومن يسأل أهل الخبرة بهذه النباتـات ثـم يقرأ ما كتبه هـذا العالم المسلم فإنه يجد معظـم مادته العلمية صحيحة متطابقـة مع أقوال أهل الدراية والخبرة من أهل البلاد .

(٣) إن القـارئ لكتـاب الأنواء، ثم السير في بلاد تهامة والسراة ويسمع لأقـوال وروايات الأوائل عن الأنواء ، وكيف كانوا يراقبونها ويتعاملون مع تغيراتها في زراعاتهم ورعيهم وحصادهم وتجارتهم ، فإنه فعلاً سيجد هذا العالم قد أبدع في تدوينه لكثير من الصور التاريخية

(٤) هـذا مـا اتضـح لي من خلال الاطلاع على مصـادر حجازية ويمنية عديـدة ، وأحياناً مصـادر عامة . والبلاد التهاميـة والسروية الواقعة بين اليمن والحجاز مأهولة بالسكان ، وغنية بمواردها الاقتصادية ، ولأهلها صلات حضاريـة مـع حواضر اليمن والحجـاز، لكن للأسف لا نجـد تاريخاً واضحـاً أو حتى صـوراً تاريخية محدودة لبعض هذه البلدان وسكانها، ما عدا المخلاف السليماني (منطقة جازان) ، ونجران ، والطائف فهناك بعض الكتابات والروايات عنها وهي متناثرة في مصادر ومؤلفات يمنية وحجازية .

العصر الحديث إشارات تستحق الجمع والدراسة عن البلدان الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والممتدة إلى الليث والقنفذة والمخواة وبارق والبرك ودرب بني شعبة وصبيا وجازان[١] .

وهناك مصادر ومراجع حديثة تصب في خدمة هذه البلاد ، ومنها: كتاب : **منائح الكرام في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم** . لتاج الدين بن تقي الدين السنجاري المكي من أهل القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) ، فقد ذكر معلومات قيمة عن أجزاء من تهامة وخص بلدة المخواة ببعض التفصيلات[٢] ، وسوف نذكر شيئاً من هذه المعلومات في نهاية هذا القسم [٣] .

وأصبحت القنفذة منذ القرن (١٢هـ/١٨م) ، من المدن والموانئ الرئيسية التي تؤثر وتتأثر بما يحدث في عموم بلاد تهامة والسراة ، وصارت بوابة البحر الأحمر الرئيسية على البلاد الممتدة من الطائف والليث إلى أبها ورجال ألمع ودرب بني شعبة [٤] ، كما أن وصول القوات العثمانية في العصر الحديث إلى مكة المكرمة والطائف والباحة وعسير وجازان جعل المؤرخين ورجال الحرب والسياسة يذكرون بلاد السراة وتهامة في مراسلاتهم ووثائقهم وتقاريرهم ، ومن ثم صار هناك من يدون ويكتب شيئاً من تاريخ البلاد الممتدة من محايل وبارق إلى المخواة وقلوة وما جاورها. وظهر في القرون (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) دراسات فصلت الحديث عن بعض الصور التاريخية التي عاصرها وشارك فيها السرويون والتهاميون . ومن تلك البحوث رحلات بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين ، مثل: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، للعباس بن علي

---

(١) أسير في أرجاء هذا الأوطان منذ أربعين عاماً ، والتقى ببعض أعيانها ووجهائها ، وجمعت شيئاً من وثائق وتراث أهلها. وهي بلدان ذات تاريخ وحضارة ، والواجب على الجامعات الموجودة في هذه الأجزاء أن تضاعف الجهود ، وتفتح مراكز علمية بحثية متخصصة ، وتجلب لها أساتذة مميزين حتى يدرسوا تاريخ وموروث وآثار وحضارة هذه الديار ، وهي فعلاً تستحق الرعاية والدعم . ومنذ ثلاث عقود وأنا أنادي أصحاب القرار ، والباحثين الغيورين ، والمؤسسات العلمية والثقافية في هذه البلاد ليعملوا ويجتهدوا في جمع تاريخ وموروث هذه الأوطان العريقة ، لكن حتى الآن لا نرى أي حراك أو اهتمام يصب في خدمة البلاد .

(٢) هذا الكتاب يقع في عدة مجلدات ، وفيه معلومات جيدة عن أهل تهامة والسراة ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يجمع ما دون وغيره من معاصريه عن هذه الأوطان التهامية والسروية ، ومن يفعل ذلك فإنه سيطلعنا على تفصيلات قيمة وجديدة في بابها .

(٣) الأستاذ عبد الرحمن حمياني العُمري من أهل المخواة أصدر مقالة عن المخواة القديمة ، وأشار إلى أهمية هذا المصدر ، للمزيد انظر: هذه المقالة منشورة في نهاية هذا المحور .

(٤) إن الصلات التاريخية خلال العصر الحديث والمعاصر بين القنفذة والأجزاء التهامية الداخلية ، وأيضاً السروات من الموضوعات المهمة للبحث والدراسة . وهناك مئات الوثائق غير المنشورة وعشرات الكتب والبحوث والرسائل التي تشتمل على تفصيلات عن هذه الفترة ، ونأمل أن نرى باحثين جادين ، من طلاب درجات الماجستير والدكتوراه ، يدرسونها في عدد من البحوث العلمية ، وهي تستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة .

الموسوي ، الذي زار أجزاء من تهامة زهران والقنفذة في عام (١١٤١هـ/١٧٢٨م) ، وكتاب: بلغة المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام ، ليحيى بن المطهر . ورحلة محسن بن عبد الكريم بن إسحاق. وكتاب: نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور (ﷺ) ، لإسماعيل جغمان. وهؤلاء الرحالة الثلاثة الآخرين يمنيون ، ومن أهل القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م) ، اجتازوا تهامة عند ذهابهم إلى أرض الحرمين، وذكروا شيئاً من تاريخها[١]. والرحالة السويسري جون لويس بركهارت (ت١٢٣٣هـ/١٨١٧م) في كتابه: **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية** ، دون بعض التفصيلات عن البلاد الممتدة من الطائف ومكة إلى سروات وتهامة غامد وزهران ، وهناك رحالة أجانب زاروا تهامة وكتبوا عنها في القرن (١٤هـ/٢٠م) مثل: السير كيناهات كورنواليس ، وسانت جون فلبي ، وتوتيشل ، وولفرد شيجر ، وجميعهم ذكروا حاضرة القنفذة وأجزاء من تهامة الباحة وعسير ، وفصل بعضهم الحديث عن الحياة السياسية والحضارية في بارق ، والعرضيات ، وقلوة والمخواة[٢]. ومن الرحالة العرب الذين أشاروا إلى هذه البلاد في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبعضهم في القرن(١٥هـ/٢٠م) الشريف البركاتي ، والشريف عبد الله بن الحسين ، وعاتق بن غيث البلادي [٣]. وهناك عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية التي فصلت الحديث عن تاريخ مناطق جازان ، وعسير، والحجاز، وموانئ البحر الأحمر، وبعضها باللغة العربية، وأخرى بلغات أجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية أو الإيطالية، أو العثمانية، أو التركية الحديثة [٤]. ومعظمها تعرضت لتاريخ أرض وسكان تهامة الممتدة من درب بني شعبة ورجال المع إلى المخواة وقلوة.

٢- من تاريخها في بعض الوثائق بمكتبة د. غيثان بن جريس العلمية :

من بارق إلى قلوة جزء من تهامة الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وأثناء دراستي في الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم بريطانيا ، ثم زياراتي إلى مصر ، وتركيا ، وسياحتي في مناكب السراة وتهامة ، ومقابلة الكثير من أعيانها وشيوخها ورموزها ، وتدريسي آلاف الطالبات والطلاب خلال الأربعين عاماً الماضية ، وإشرافي على بحوثهم

---

(١) للمزيد عن هؤلاء الرحالة ، انظر: غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ) ، ص ١٦٩- ١٨٠.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨١- ١٩٢- ٢١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٦- ١٩١، ٢١٤ .

(٤) هذا ما عرفه الباحث خلال العشرين سنة الماضية أثناء زيارته بعض المكتبات المركزية في المملكة العربية السعودية ، ومصر، وتركيا، وبريطانيا، وهولندا، وفرنسا، وإيطاليا . وكذلك حضوره بعض المؤتمرات والندوات أو مناقشة بعض الرسائل العلمية في جامعات عربية وغير عربية، وأيضاً اطلاعه على بحوث علمية محكمة ومنشورة عربية وغير عربية .

ورسائلهم العلمية ، تكون عندي خلفية لا بأس بها عن أوطان تهامة والسراة ، ووجدت مصادرها التاريخية متنوعة مثل: المخطوطات ، والمصادر المبكرة أو النادرة ، والآثار والنقوش والرسومات الصخرية ، والمقابلات ، والروايات الشفهية ، والمتاحف ، والصور الفوتوغرافية ، والوثائق المحلية والإقليمية والعالمية ، وقد توقفت مع هذا المصدر الأخير (الوثائق) فوجدت أماكنها متعددة ، ومعلوماتها متنوعة ، وخرجت ببعض الرؤى عن هذا المصدر المهم ، وأذكرها في النقاط الآتية :

أ- أهل هذه البلاد لهم عادات وأعراف وتقاليد ، وعندهم أملاك عقارية، ولهم أحداث وصراعات حربية وسياسية داخلية وخارجية ، وهذه الأنشطة تُروى وبعضها تدون في أوراق ووثائق محلية ، وفي المنطقة أيضاً إدارات ومؤسسات إدارية تشرف وتضبط سير الحياة العامة والخاصة . كل هذا وجدته في كثير من الوثائق التي استطعت جمعها خلال العقودِ الأربعة الماضية ، ومعظم هذه المصادر حصلت عليها من الأفراد والجماعات وأحياناً من بعض البيوتات العلمية في الأوطان التهامية والسروية ، أو من بعض الإدارات الحكومية في القنفذة أو جازان أو أبها أو غيرها من البلدان الجنوبية السعودية[(١)] . وهذه الوثائق توجد في ملكيتنا ، وقد نشرت العشرات منها في كتب وبحوث مختلفة[(٢)] ، ومادتها متنوعة مثل: الوثائق الاقتصادية كالبيع والشراء ، أو أسعار السلع ، أو حركة الأسواق الأسبوعية ، أو امتلاك بعض العقارات كالمنازل والمزارع ، أو التبادلات التجارية ، أو أسماء بعض التجارات أو التجار في القرى أو الأسواق ، أو المدن ، أو الموانئ، أو ذكر بعض الصناعات والحرف التقليدية ، وممارسة شراء موادها الأولية، وبيع مصنوعاتها الجلدية ، أو الخشبية ، أو المعدنية ، أو الحديدية ، أو النباتية ، أو الحجرية والفخارية . أو وسائل التعاملات مثل: البيع بالمقايضة ، أو النقود ، أو الدفع بالأجل ، وما يقابل هذه المعاملات من صعوبات[(٣)] . وهناك وثائق أخرى اجتماعية أو

---

(١) كثير من الوثائق التي استطعت جمعها من الأوطان المحلية مثل: محائل ، وبارق ، والعرضيات ، وقلوة ، والمخواة ، وباقي بلدان تهامة والسراة ، ومعظمها في التاريخ الحديث من القرن العاشر إلى الخامس عشر الهجريين ، وهناك وثائق قليلة قبل هذا التاريخ ، ومازالت في حوزتنا ، وهي غير منشورة وتقدر بعشرات الآلاف ، وتستحق أن تدرس في عدد من المجلدات.

(٢) انظر بعض كتبنا المطبوعة والمنشورة وهي تحتوي على عشرات الوثائق الجديدة والمتنوعة في مادتها العلمية ، وجميعها مازالت وثائق خام تحتاج إلى دراسة وتحليل ونأمل أن يأتي من طلابنا في الدراسات العليا ، أو من باحثين مجتهدين يصنفونها ويدرسونها .

(٣) عثرنا على آلاف الوثائق الاقتصادية المحلية ، وهي جديدة وغير منشورة ، وتوضح كثير من الجوانب التاريخية الحديثة في مدن وموانئ وقرى وأسواق الأراضي التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان. وما في حوزتنا من هذا النوع من الوثائق كاف لخروج عشرات المجلدات . ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يتعاون معنا حتى نصدرها في بحوث علميةً سهلة التداول .

تعليمية وثقافية ، أو سياسية أو عسكرية ، أو صلات إخوانية ، أو علاقات دبلوماسية[١] .

ب ــ من الوثائق الموجودة في مكتبتنا ما تم الحصول عليه من دور الأراشيف الوثائقية في مصر، وتركيا ، وبريطانيا وبعض الدول الغربية الأخرى . ومنها أيضاً ما وجدناه في دارة الملك عبد العزيز العامة ، او مكتبة الملك فهد الوطنية ، أو مكتبة الملك عبد العزيز العامة [٢] . وعدد هذا الصنف من الوثائق عندنا محدوداً ، فلا تتجاوز الآلاف ، وقد رأيت أعداداً كثيرة من هذه الوثائق في الأرشيف العثماني في اسطنبول وتاريخها من القرن (١٢- ١٤هـ/ق١٨- ٢٠م) ، وبعضها يناقش تواريخ عديدة في تهامة عسير والباحة، ومن المواضع المذكورة: بارق ، والمجاردة ، والمخواة ، وقلوة ، والأجزاء الشرقية من منطقة القنفذة مثل: القوز ، وسبت الجارة ، وثريبان ، ونمرة[٣] .

ج ـ صدر عدد من الكتب العربية والأجنبية ، وبحوث محكمة ورسائل علمية في بعض المجلات والجامعات السعودية والعربية والغربية . وكثير من هذه الأعمال تحتوي على وثائق تاريخية تخص الديار التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى صبيا وجازان[٤] . ويغلب على أكثرها أنها مصادر جديدة ، ومدروسة بطرق علمية[٥] .

٣ـ من تاريخها في بعض البحوث والمقالات المنشورة ، وغير المنشورة :

البلاد الممتدة من شمال محائل إلى المخواة وقلوة فقيرة في ميدان الدراسات العلمية، وغير متساوية فيما صدر عنها من بحوث ومقالات علمية منشورة وغير

(١) يوجد في مكتبة د غيثان بن جريس العلمية أكثر من (١٥٠) مجلداً من الوثائق العامة ، وكثير منها جمعت من أهل تهامة والسراة ، ومعظمها تعكس تاريخ المناطق الجنوبية السعودية خلال الثلاثة قرون الماضية ، وهي متنوعة وتشمل معظم جوانب التاريخ السياسي والحضاري في الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها .

(٢) مازال في هذه المكتبات وثائق كثيرة تتعلق بتاريخ بلدان السراة وتهامة ، ونأمل من طالبات وطلاب درجات الماجستير والدكتوراه في التاريخ الحديث بجامعاتنا السعودية أن يطلعوا عليها ويستفيدوا منها في أطروحاتهم العلمية.

(٣) جميع هذه المواضع تستحق أن يصدر عنها بحوث ودراسات علمية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، والحصول على مواد علمية تؤرخ لهذه الفترة توجد في الأراشيف والمكتبات السابق ذكرها أعلاه .

(٤) لم نفصل الحديث عن الوثائق وموضوعاتها وما تحتوي عليه من مواد علمية، فهذا ميدان واسع يحتاج إلى آلاف الصفحات،وإنما اقتصرنا على الحديث على الأوعية والأماكن الرئيسية التي يوجد فيها وثائق علمية تخدم تاريخ تهامة وبخاصة البلاد الممتدة من الحجاز إلى جازان ، وتقع مناطق بارق والمجاردة والعرضيات والمخواة . والشدوان ضمنها. وهذا العرض المختصر قد يفتح الباب لطلاب الدراسات العليا ، والمؤرخين ، والباحثين الذين يجمعون ويدرسون تاريخ هذه البلدان العربية السعودية .

(٥) رأيت خلال الأربعين عاماً الماضية كثيراً من هذه الدراسات المنشورة وغير المنشورة وفيها وثائق قيمة عن بلدان القنفذة، والبرك ، وبارق، والمخواة، ومحايل عسير، ورجال ألمع، والقحمة، ودرب بني شعبة ، والشقيق، وجازان وغيرها. وأرجو من أبنائنا الطلاب في أقسام التاريخ في برامج الدراسات العليا وكذلك الباحثين والمؤرخين من أهل تهامة أن يلتفتوا إلى هذه النواحي ، فيجمعوا وثائقها ومصادرها الأولية ويعكفوا على دراستها وتحليها .

منشـورة، وفي الصفحات التالية نذكر بعضـ أسماء هذه البحوث الحديثة والموجودة في مكتبتنا ، وهي على النحو التالي :

أ- صدر عن بارق عدداً من الدراسات المطبوعة والمنشورة ، مثل: بلاد بارق ، لعمر بن غرامة العمروي، والشارق في تاريخ وجغرافية .بلاد بارق ، لمحمود بن محمد البارقي. وبعضـ الكتب الأخـرى لأحمد بن مريـف ، ومحافظة بارق، الجزء الثامـن (١٤٣٦هـ) ، بالاشتراك مع محمد بن علي آل عبد المتعالي ، والآثار والتراث في محافظة بارق[١] .

ومن البحوث التي صـدرت عن محافظة المجاردة ، المعالم التاريخية والسياحية في محافظة المجاردة ، لبلقاسم بن محمد الربيع ، وهو في اعتقادي أفضل الموجود من حيث التنـوع في المادة العلمية ، وهو كتاب ثقـافي إعلامي ، ودراسات أخرى محدودة للأستاذ محمد بن علي آل الجحيني الشهري ، ومفرح بن علي العمري ، وعلي بن سرده الشهري، وحسـن فيصـل الشهري وهي منشورة في بعضـ مؤلفاتنا التي صـدرت خلال السنوات الماضية المتأخرة[٢] .

وهنـاك عـدد من البحـوث غير المنشـورة التي أنجزهـا بعض طلابنـا في المرحلة الجامعيـة خـلال الأربعة عقود الماضيـة ، وقد أوردهـا الأستاذ محمد بـن أحمد معبِّر القحطـاني في كتابه الموسوم: بـ : **دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية (ببليوجرافيا مشروحة) (١٤٠١-١٤٣٥هـ / ١٩٨١-٢٠١٤م)**[٣] . وهـي تشتمل علـى تفصيلات تاريخية وحضارية متنوعـة ، وجميعها لا يخلو من الصور الفوتوغرافية والوثائق التاريخية التي لم يسبق نشرها[٤] . ومن هذه الدراسات عن بارق والمجـاردة مايلي: (١) بـارق دراسة تاريخية مختصرة للبنـاء واللباس والطعام خلال القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثـين محمد بن علي بـن عبد الرحمن الشهـري ، ومريف

(١) هنـاك صفحـات متفرقـة في بعض الكتب عن بارق ، مثـل رحلة البلادي ، وعسير لمحمـود شاكر، وتاريخ عسير لهاشـم النعمـي ، وعسير لفؤاد حمـزة . وتأتي بحوث أحمد بن مريـف في المقدمة من حيث التنـوع والشمولية، ومازالـت محافظـة بارق بحاجة إلى دراسات علمية موثقة ، ونأمل من أساتذة جامعة الملك خالد، فرع تهامة أن يضاعفوا الجهود ويدرسوا هذه البلاد في شتى الميادين .

(٢) ذكرنـا هـذه الدراسات في صفحـات سابقة ، وهي منشورة في كتابي: بلاد بني شهـر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، ص ٣١٩-٣٩٤ ، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب ، (الجزء الحادي عشر) ، ص ٧٨-١١٣ .

(٣) هذا الكتاب يقع في (٥٥٠) صفحة ، صدر من مطابع الحميضي بالرياض (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) .

(٤) أورد بـن معـبِّر في هذا الكتاب عـدد (٤٠٥) بحثاً غير منشـور ، وتوجد في مكتبة غيثان بـن جريس ، وجميعها تدور حول موروث وتاريخ بلدان تهامة والسراة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى ، وهذه الدراسات في بحوث علمية موثقة.

بـن محمـد بن زاهـر البارقي ، ومحمد بـن يعن الله بـن عويضه القـرني ، في (١٨١) صفحـة[١] . (٢) بارق من ظهور الإسلام إلى أواخر العصر الأموي (دراسة تاريخية) ، للباحـث محمـود بن محمد عسـيري ، (٢٨١) صفحـة[٢] . (٣) بلاد بـارق والمجاردة : دراسـة تاريخيـة حضارية مختصرة خـلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين أحمد بن موسى بن علي البارقي ، وعامر بن إبراهيم بن علي الشهري ، (١٦٤) صفحة [٣] . (٤) تهامة بللسمـر في القرن (١٤هـ/٢٠م) (الحياة الاجتماعيـة والاقتصادية واللهجات) ، للباحـث يحيى بـن حسن بن محمد المعربي الشهـري ، (١٣٢) صفحة[٤] . (٥) تهامة عسـير: دراسـة تاريخية مختصـرة للحياة الاجتماعيـة خلال القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين حسن بن محمد بن حسن أسلمي ، وحسن بن ناصر بن محمد القرني ، وحسن بـن محمد بن عبـد الهادي الشهري ، ومحمـد بن علي بن محمـد آل عايضة ، (١٨١) صفحـة [٥] . (٦) بلاد المجـاردة : دراسة تاريخية مختصرة للحيـاة الاقتصادية خلال القـرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين محمد بن علي بـن محمد آل يحيى الشهري، ومشعمل بـن سحـاب بن أحمـد آل مجامد الشهـري ، وعامر بـن حسن بن عبـد الله الشهري ، وسعيـد بن حسن بـن حسين المالكي(١٠٨) صفحـة [٦] . (٧) دراسـة جغرافية مقارنة للأسواق الريفية الأسبوعية الدورية في منطقتي سراة وتهامة بني شهر ، للباحث صالح بن علي بن محمد الشهري [٧] . (٨) مخططات التنمية وتطور المدن الصغرى في المنطقة الجنوبيـة الغربية(مثال : مدينة المجاردة في تهامة بني شهر) ، للباحث مفرح بن سعد بـن عبدالله الشهري، (١٢٠) صفحـة [٨] .(٩) معجم جغرافي تاريخي لبلاد بني عمرو (بادية ، وسراة، وتهامة) ، للباحث سعيد بن عبد الرحمن جاري العمري ، وعبد العزيز بن سعيد آل حبيب العمري، وعبدالرحمن بن علي بن ديدح العمري، (١٦٧)صفحة [٩] .

---

(١) انظر بن معبِّر ، دليل البحوث الجامعية ، ص٩٣ .

(٢) المرجـع نفسـه ، ص٩٤. من خلال تجوالي في محافظة بارق ، وجدت البعض من أهلها يكتبون في آخر أسمائهم (العسـيري) ، وآخـرون (الشهري) ، وفريق ثالث (البارقي) . ومنهم صاحب هذه الدراسة (محمود) فهو من طلابـي في برنامـج الدراسات العليا ، واعلم أنه بارقي، لكنـه وغيره كثيرون من أهل بارق يكتبون (عسيري) أو (العسيري) ، وهذا التباين يحتاج إلى دراسة وتحليل.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٩٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٠٠ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٠٣.

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٣٢ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٢٨١ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ٣٩٧.

(٩) المرجع نفسه ، ص ٤٢٨ .

ب - تعاني العرضيات من نقص كبير في مجال البحوث العلمية[١] ، مع أن هناك بعض الصفحات المحدودة التي أنجزها عبد الله الرزقي القرني، وقد نشرناها في الجزء الثاني من سلسلة (**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**)[٢].

وكتيب أيضاً للرزقي نفسه عن سوق حباشة، وجزئيات محدودة في كتاب: **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ)**[٣]. وأثناء رحلتي الأخيرة في العرضيات اطلعت على دراسات محدودة ، وغير منشورة، من إعداد بعض أبناء هذه البلاد ، مثل: إبدال لام (أل) ميماً في لهجة أهل تهامة ، للباحث مكين بن حوفان بن مكين القرني[٤]، وقد اتصلت به هاتفياً وهو أستاذ مساعد في كلية قلوة بجامعة الباحة ، وحرصت على مقابلته لكن لم يتم ذلك ، وذكر لي أن رسالته للدكتوراه عن لهجات العرضيات وما حولها، ولم أطلع على هذه الرسالة حتى الآن[٥] .ودراسة أخرى بعنوان : (الحركة العلمية في العرضيات) للباحث محسن بن علي السهيمي[٦]. ومن البحوث غير المنشورة، والمذكورة في كتاب محمد بن معبِّر **(دليل البحوث الجامعية)** ، والمحفوظة في مكتبتنا ما يأتي: (١) تراجم لبعض شخصيات بلاد بلقرن التهامية التابعة لمنطقة مكة المكرمة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحث عبد الله بن أحمد بن محزي القرني ، (١٣٩) صفحة[٧]. (٢) تهامة بلقرن وشمران ، للباحث عبد المجيد بن حسن بن أحمد بن وهاس ، (٥٣) صفحة[٨] . (٣) دراسة تاريخية حضارية بلاد عمارة بمنطقة بلقرن (١٣٠٠-١٤٠٠هـ)، للباحث فائز بن محمد بن هاشل العماري ، (١٤٨) صفحة[٩]. (٤) الطعام واللباس في تهامة بلقرن (دراسة تاريخية مختصرة خلال القرن ١٤هـ/٢٠م).

---

(١) مازالت العرضيات تعاني من نقص كبير في جوانب اجتماعية، واقتصادية، وثقافية وتعليمية عديدة. ونأمل أن نراها في وضع تنموي أفضل في قادم الأيام .

(٢) انظر الكتاب ، ص ٢٨٣ـ ٤٣٤ .

(٣) انظر صفحات متفرقة من الكتاب .

(٤) صورة من هذه الدراسة توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ٢١م) ، الجزء السابع ، ص٢٢ـ ٣٥ .

(٥) موضوع اللهجات من العناوين العلمية الجيدة ، وهناك لهجات عديدة في بلدان تهامة والسراة ، ويجب على أقسام اللغة والأدب العربي في جامعات الجنوب السعودية أن تدرس هذا الميدان ، وتشجع أعضاءها وطلابها على دراسته فهو جدير بالبحث والتوثيق .

(٦) صورة من هذا البحث في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ /٢٠ـ٢١م) ، ج٧، ص ٦١ـ ٦٧.

(٧) انظر محمد بن معبِّر ، دليل البحوث الجامعية ، ص ١٥٧ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ١٩٩ .

(٩) المرجع نفسه ، ص ٢٦٠ .

للباحثين محسن بن سالم بن عبد الله الأحادبة القرني، ومرشد بن علي بن أحمد القرني ، وعبد العزيز بن عوض بن أحمد الثابتي الشهري، وعلي بن عزيز بن فاضل العمري (١٤٢)صفحة. [١] (٥) اللهجات المحلية في تهامة بلقرن ، للباحث مضحي بن محمد بن هشلول القرني، (١٠٦) صفحة [٢] .

ج ـ المخواة ، وقلوة ، والشدوان :

تعيش هذه النواحي نفس مشكلة أهل العرضيات من حيث قلة وأحياناً ندرة الدراسات والبحوث العلمية ، مع أن محافظة المخواة وما حولها أكثر تطوراً وتنمية من العرضيات [٣] ، ويوجد فيها بعض الكليات وأقساماً للتعليم الجامعي[٤] . ومما اطلعت عليه بحثان منشوران محدودان سطحيان . **الأول: مذكرات معلم في السعودية** ، في قرية حدب بني عاصم في المخواة ، لأستاذ فلسطيني ، عمل في التعليم في تلك الناحية في عام (١٣٨٥هـ) ، ودون شيئاً من مشاهداته وانطباعاته ، ونشرت هذه المذكرة في مجلة المعرفة التي تصدرها وزارة التعليم ، بتاريخ (١٤٣٢/٢/٦هـ) [٥]. **والدارسة الثانية بعنوان** : (شدا الأعلى هل هو جبل (ق) ، وهي منشورة في مجلة العرب ، الجزء (١١، ١٢) سنة (٤٩) ، الجماديان (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) [٦] ، للأستاذ ناصر الشدوي[٧] . كما اطلعت على كتيب بعنوان : **هذه سيرتي** ، للأستاذ علي بن أحمد اليهمطي ، أحد رواد التعليم في محافظة قلوة ، وإن كانت معظم مادة الكتاب عن سيرته الذاتية ، فإنه لا يخلو من معلومات حضارية تصب في خدمة تاريخ وتراث قلوة الحديث . ومن أفضل

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٣٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٧٥ .

(٣) هذا ما شاهدناه أثناء سيرنا وتجوالنا في هذه البلدان ، خلال رحلتنا المدونة في هذا القسم.

(٤) زرت بعض هذه الأقسام والكليات في المخواة وقلوة فوجدتها متواضعة في إمكاناتها ، ولا أحد من أعضاء هيئة تدريسها عنده الهمة أو الرغبة في بحث أو دراسة أي مجال من مجالات الحياة في هذه الأوطان ، وربما تكون المشكلة نفسها في الجامعة الأم في الباحة ، التي يجب أن تدعم وتشجع إنشاء مراكز للبحوث العلمية التي تخدم البلاد وأهلها .

(٥) صورة من هذه الدراسة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج٧، ص ١٢-١٧.

(٦) انظر المجلة ، ص ٨٥٩-٨٧٥ . وما طرحه الباحث في هذه الدراسة مجرد وجهة نظر، لكنها بعيدة عن الحقيقة والواقع .

(٧) ناصر الشدوي من أبناء جبل شدا الأسفل، وعنده اهتمامات بالنقوش والرسومات الصخرية في هذين الجبلين ، كما أنه يجتهد في التعريف بهما على مستوى المملكة العربية السعودية وخارجها . وقد زودني بمذكرة غير منشورة في (٩) صفحات عنوانها : النصوص والرسومات الآثارية في جبلي شدا الأسفل والأعلى . وهذه الورقات محفوظة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج٧، ص ٣٦-٤٤ .

مــا وصلني مذكر ة بعنوان : **المخواة القديمة ، التاريخ يطل من قمة جبل الجرف**(١) ، للأستاذ عبد الرحمن بن علي حمياني العُمري (٢) . ولجودة هذه المذكرة العلمية فضلت نشرها كما وصلتني ، فيقول: (على قمة جبل "الجرف" تقع قرية المخواة القديمة غربي المخواة الحاضرة الآن (٣) ، مشرفة على واديين عظيمين من الناحية الشرقية والشمالية الشرقيــة ، وهمــا: وادي ضيان ، ووادي راش ، في القطاع التهامي لمنطقة الباحة ، بعيدة عــن مساقط السيل على خلاف المخواة الموجودة حالياً التي تتربع الآن على نقطة التقاء الواديــين الكبيرين مما يجعلها مهددة باستمرار للسيول الجارفة(٤) . وبخاصة أحياء " الردحــة" و "السوق" . وتمثــل قرية المخواة القديمة تاريخياً لأجيــال مضت ولم يبق إلا الآثــار الشاهدة علــى حياة عامرة بالنشاط والحيوية والحكمــة والعناء ، فعندما تدخل تلــك القرية فإن منازلها تشعــرك بقوة أولئك الرجال، وإحــكام سيطرتهم على القرية مــن حيث توزيع البيوت ووضــع الممرات وتجميل الشرفات، بالرغــم من تلاصقها التام في أغلــب الأماكــن ، مما يــؤدي إلى الاختلافات والخصام بين ســكان القرية، وحدوث المشــاكل بكافــة أنواعها، ولكني وجدت جوابــاً أزاح حيرتي حول تمكــن السكان في هذه القرية العيش بسلام وسيطرتهم على كل مشكل يعكر صفوهم ، فأخبرني أحد المهتمين بالــتراث أن القريــة كان يسيطر عليها عشرة من الرجال، من أعيان القبيلة ، وكان لكل واحــد دور يؤديــه بكل إخلاص وأمانــة ، بل لا يسطو أحد منهم علــى صلاحيات الآخر، فكانوا معنيين بنظام القرية، والبت في القضايا الحادثة سواءً فيما يتعلق بالنظام داخل القريــة ، أو بالأحــداث الخارجية فلابــد فيها من رأي جماعي لأهــل القرية(٥). أما من ناحية بناء المنازل فقد وجدت أن بعض البيوت مكونة من عدة طوابق، وتستخدم الدرج

(١) صورة من هذه المذكرة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج٧، ص٧-١١.

(٢) عبــد الرحمــن حمياني مــن مواليد عام (١٣٨٤هــ/ ١٩٦٤م) بوادي ضيان في محافظة المخــواة . درس مراحل تعليمه الأولى في مدينة المخواة ،وحصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الباحة عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، والماجستير في تخصص القيادة التربوية من جامعة الباحة أيضاً عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). بــدأ عملــه في التعليم في مدينة جدة عام (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ثم انتقــل إلى المخواة ، وعمل في المكتبة العامة، ثــم الإشــراف التربوي، ويعمــل الآن مديراً لقسم التجهيــزات المدرسية في إدارة تعليم المخــواة. شارك في عدد مــن اللقــاءات، والاجتماعات، والندوات ، والمؤتمــرات، المحلية. وهو عضو في بعض اللجــان والمجالس التعليمية والتربويــة والثقافية، والإدارية، والاجتماعيــة ، والدعوية. وله مشاركات في عدد من الصحف والمجلات العربية المحلية والإقليمية . ويمتاز الأستاذ عبد الرحمن بحسن الخلق ، ولطف المعشر، وسهولة التعامل .

(٣) هذه البلدة مازالت ماثلة للعيان ، وهي مندثرة ، والواجب صيانتها وترميمها، (ابن جريس) .

(٤) للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٥، ص١٨٣-١٨٥ (ابن جريس) .

(٥) تاريــخ القــرى القديمة في بلــدان تهامة والسراة ، وكيفيــة إدارتها والتعايش فيها وما يوجــد عنها من اتفاقيات ووثائق جديرة بالبحث والدراسة في عشرات البحوث العلمية (ابن جريس) .

الحجري الداخلي للانتقال من طابق إلى آخر ، ولها غرف واسعة ومتعددة يفصل بينها جدران حجرية ، وهذا لا يعني تساوي كل المنازل من حيث الفخامة والجودة والاتساع ، فطول بعض المنازل يصل إلى (١٥) متراً وله غرف واسعة ، وفي المقابل هناك بعض الغرف تقدر مساحتها في حدود (٢×٣متر) [(١)]. أما القرية بشكل عام فتتخذ اتجاهاً طولياً على رأس الجبل من الشمال إلى الجنوب ، ويقع في الشمال الشرقي للقرية مساحة كبيرة ليس فيها أي بناء وتعتبر هذه المساحة مقر السوق كما أخبرني بعض كبار السن ، وهذا السوق مجاور للمسجد الكبير في القرية ، الذي تقدر مساحته بـ (١٠×١٨م) ، وهناك مسجد آخر صغير يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للقرية ، لكنه ليس عنده نهاية المنازل ، وتقدر مساحته بـ (٥×١٠م) ، وهو مطل على الوادي من الجهة الشرقية ، أما الممرات فهناك ممر رئيسي طولي يمتد من الجنوب إلى الشمال، وهو يقسم القرية إلى قسمين شرقي وغربي ، لكنه لا يقسم القرية بامتداد مستقيم إلى آخر القرية بسبب تهدم القرية في الوسط حيث يضطر الشخص إلى أن يسلك ممراً آخر من اليمين أو الشمال حتى يعبر إلى شمال القرية باتجاه مقر السوق ، وهذا الممر عندما يبدأ من الجهة الجنوبية ينتهي عند ساحة تقدر مساحتها بـ(١٥×٨م) ، ويتضح أن هذه المساحة كانت تؤدي دوراً اجتماعياً في القرية، مثل اجتماع أهل القرية فيها لحل مشكلة ، أو الاحتفال بمناسبة سعيدة . أما الحجارة المستخدمة في البناء فيظهر أنها من الجبل نفسه ، وبعض هذه الحجارة يصل طولها إلى متر ونصف وأخرى صغيرة جداً ، ووجدت في القرية بعض المنازل كبيرة وما زالت بنيانها متماسكاً وحجارتها كبيرة وشرفاتها مطعمة بحجارة (المروة) البيضاء رغبة في التزيين [(٢)] ، وهذه المنازل في الجهة الغربية للقرية . كما وجدت منازل في الجهة الشمالية بعد موقع السوق تشكل خطاً مستقيماً ومنفصلة عن القرية بمسافة بسيطة خاصة في الجهة الشمالية الغربية ، وبضعة منازل في الجهة الشمالية الشرقية . والقرية تحتل موقعاً على رأس الجبال بطول

---

(١) للمزيد عن تاريخ العمارة في بلاد تهامة والسراة ، انظر: غيثان بن جريس. عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) . (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ٣٧-٥٨. للمؤلف نفسه "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية) " . مجلة المنهل ، عدد (٥٧١) .المجلد (٦١) . العام (٦٦) شوال ذي القعدة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ، ص ٢٦-٤٩ . (ابن جريس).

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ قرى تهامة وسراة منطقة الباحة ، بل إن بعض القرى في هذه الناحية تستحق أن يصدر عنها أكثر من دراسة . هذا ما عرفه الباحث في هذه الرحلة ، ورحلة أخرى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (ابن جريس).

(٢٥٠) متراً تقريباً ، وأكبر عرض للقرية (٧٠) متراً ، وأقل عرض في حدود (٣٠) متراً ، أمـا جبل (الجرف) الـذي يمتد بمحاذاة الوادي الذي تتربع القريـة على رأسه فيبلغ طولـه من مدخل قرية" الخربان" شمالاً إلى مدخـل " المخاوي" جنوباً (١كم) تقريباً. أما مقابر القرية فتقع في الجهة الجنوبية للقرية في منخفض يعتبر سهل الحفر مقارنة برأس الجبـل ، وبعض آثار هذه المقابر مـازال موجوداً ، وهنـاك بنايـات صغيرة تبتعد عـن المقبرة باتجاه الشمال وقريبة من المنازل الجنوبيـة ومرتفعة عن الأرض مستطيلة الشـكل، وترتفع عن الأرض بمقدار متر واحد ومساحتها تقدر (٢×٣م) وهي في حدود تسعة . وخلال زيارتي للقرية وجدت بعض الكتابات والتواريخ على جدران بعض المنازل منهـا تاريخ منقوش كالتالي: (١٨صفر سنـة ١١٧٣هـ) ولكني لا أستطيـع الجزم أنها كتبـت في يـوم بناء القريـة أو بعده ، أو أنهـا كتبت فيما بعد عن طريـق بعض الزائرين للقريـة بعدما تهدمت ، حيث أن الكتابة علـى الحجارة باستخدام الحجارة وعن طريق النقـر عليها أمـر سهل ، ولكن أحد الزملاء أخبرني أنه يملـك وثيقة تاريخية أقدم من هذا التاريخ ، ومما يرجح صحة هذا التاريخ أنها مكتوبة على حجر في مكان مرتفع جداً في أحد الجدران الخارجية . والشيخ عون يحيى شاكر العُمري أحد كبار السن الحاليين ذكـر لي أن أهـل القرية كانوا يجلبون الماء من بئر عند أسفل الجبل من الجهة الشرقية ومحـاذ للـوادي اسمها (بئر عمر) ، وبئر أخرى تقع في الجهة الغربية للجبل ، أما المؤن والبضائع فكانت تأتي بها القوافل من بلدة القنفذة التي تقع على شاطئ البحر الأحمر، حيث أن البلدتين (المخواة والقنفذة) تحتلان مكانة تاريخية واقتصادية كبيرة ، وهاتان البلدتـان مقصد لكثير من التجار ومورد للبضائع لجميع المناطق المحيطة بهما ، وأيضاً كانت المخواة همزة وصل بين السراة والساحل ، فكان أهل السراة يبيعون منتجاتهم في المخواة، ويأخذون منها المؤن الأخرى التي تُجلب من القنفذة والمناطق الأخرى[١] .

لاشـك أن اهتمـام المصـادر التاريخية بوصف مـكان ما يمثل كنـزاً لا يستهان به، ويعطـي دلالة عظيمة للمكانـة التاريخية والاقتصادية والاجتماعيـة لذلك المكان ، وقد عـثرت علـى مصدرين ورد فيهما ذكر المخـواة في إشارات تاريخيـة مختلفة ، وبخاصة

(١) أشكـرك يـا أستـاذ عبدالرحمن على هذا السـرد التاريخي ، ونأمـل أن نرى أحد الباحثـين الجادين من أبناء المخـواة فيدرس هـذه المدينة أو المحافظة دراسة علمية في هيئة كتاب أو رسالة علمية. كما أن المدن الواقعة عند سفـوح السروات من الغرب والممتدة من جبال جـازان إلى قلوة والمخواة ذات تاريخ عريق وتستحق أن تدرس في عشـرات الكتـب والبحوث العلميـة ، ونأمل من جامعات الجنـوب السعودي أن تهتم بهذه البلـدات والحواضر ، فتدرسها في أعمال علمية موثقة . (ابن جريس) .

علاقتها بمكة المكرمة من الناحية الاقتصادية ، وأيضاً تعتبر محطة لعبور الحجاج، فأحد المصادر لمؤرخ مكي ، والثاني لرحالة أوربي. والكتاب الأول : **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم** ، الجزء الخامس لعلي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (١٠٥٧- ١١٢٥هـ) دراسة وتحقيق الدكتورة ملك محمد خياط، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) من منشورات جامعة أم القرى ، والمؤلف يذكر أحداث كل سنة على حدة ، ففي الجزء الخامس بدأ من أحداث سنة (١٠٩٧هـ) إلى أحداث سنة (١١٢٤هـ) ، فلما جاء إلى ذكر أحداث سنة (١١١٦هـ) ففي صفحة (٣٣٧) قال في السطر الرابع : " فدخل محمد بن عبد الكريم المخواة ، ونادى في بني علي وبني عمرو ، وبني زهران ، وغامد، والأحلاف " ثم استمر في ذكر الأحداث إلى صفحة (٤٠٦) ، ثم ذكر قصيدة للشيخ أحمد بن علان الصديقي قال: " وممن مدحه أيضاً صاحبنا الشيخ أحمد بن علان الصديقي وهنأه بقصيدة ، وهي هذه : أبا شاكر دُم قبلةً للمحامد موقي على رغم العدا والحواسد " ثم ذكر في البيت العاشر: " فإن نسألِ المخواة عن حال أهلها وعما دهاهم في الديار الأباعد" والقصيدة مكونة من (٤٩) بيتاً، ونجد اسم المخواة في ذلك المصدر قبل (٣١٥) سنة"[١] .

أما الكتاب الثاني فهو" **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية** " لمؤلفه جون لويس بوركهارت ترجمة هتاف عبد الله ، دار النشر : الانتشار العربي ، بيروت-لبنان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م) ، والكتاب مكون من (٣٩٩) صفحة ، وذكر في صفحة (٣٧٩) ما يلي: " في زمن السلم ، يكثر ارتياد الطريق الأخرى من مكة إلى اليمن بمحاذاة السفح الغربي للجبال الكبيرة ، فتصل القوافل أسبوعياً ، خاصة من المخواة التي تبعد خمس عشرة ساعة عن دوقة ، ويوماً واحداً عن مقاطعة زهران ، في الجبال . والمخواة هي مدينة كبيرة تبعد عن مكة مسافة تسعة أيام حين تسير القوافل ببطء ، وفيها أبنية حجرية ، وهي السوق التي يبيع فيها تجار زهران والمناطق المجاورة إنتاج عملهم إلى تجار مخواة الذين يرسلونه إلى مكة وجدة . والبلاد حول مخواة خصبة جداً وتسكنها قبائل بني سليم وبني سعيدان وبني علي الثلاثة ، وهناك أيضاً في مخواة العديد من قبيلة بني غامد ، إن التفاعل بين هذه المدينة ومكة كبير جداً في زمن السلم ، وربما تتزود مكة من هذا المكان بثلث مؤنها من الحبوب من مختلف الأنواع . وتقع الطريق

(١) للمخواة تاريخ قديم ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ ، برنامج الدراسات العليا ، بجامعة الملك خالد يدرس التاريخ السياسي والحضاري لهذه البلدة خلال القرون الثلاثة الماضية ، وهو موضوع جديد ويستحق الدراسة . (ابن جريس) .

بـين هاتـين المدينتين عبر الأوديـة بشكل أساسي ، وتقطع القليل فقـط من التلال . كما تقـع عليها بعض القرى التي يسكن في أكواخها البدو والمزارعون " [١] . ويجدر بي هنا أن أكـرر التشديد على عدم الخلط بين "مخواة ومخا" ، والمؤلف يذكر المخواة هنا بقوله (مخـواة) وأيضـا زهران يذكرها بضـم الزاى ، وهذا قد يرجـع لطبيعته غير العربية بالرغـم أنه كان يجيـد العربية ودقيق في الوصف ، وحتى بعض الأماكن يذكرها هكذا (الليـث يذكرها ليـث) ، أما القنفذة ذكرت صحيحة ، فقد يرجـع هذا للمترجم أو أن المؤلـف ذكرهـا بهذا الشكل ، قـال المؤلف: " والبلاد حول مخـواة خصبة جداً وتسكنها قبائـل بنـي سليم وبني سعيدان وبني علي الثلاثـة " ولعله يقصد بـ (بني سعيدان) بني زيدان ، وهم القبائل المعروفة الحالية والتابعة للشيخ ابن موالا والتي تسكن شمال شرق المخـواة . ولمـا وصف الكاتب المخواة قال: أبنية حجرية وهـذا ينطبق تماماً على المخواة القديمـة . أيضـاً أشار إلى خصوبة الأرض حول المخواة ، وهـذا مشاهد وبخاصة وادي الأحسبـة وغـيره من الأودية ، والأمر المهم هو : مكانة المخـواة التجارية سواءً للمناطق حولهـا أو بالنسبة لمكة المكرمة، حيث كانت تزودها بالحبوب ، والمخواة مجمع التجارات سواءً من السراة أو من القنفذة "[٢] .

ولي تعليـق بسيط على هذين المرجعين وهو : أنني لا أوافق المؤلفين في كل ما كتباه ، وبخاصة الرحالة جون لويس بوركهارت الذي له تجاوزات لا أوافق عليها ، وقد عمد إلى التشويـه في كثـير من المواقع في كتابه [٣] . أما كتاب منائـح الكرم فقد سجل أحداثاً في تلـك الحقبة بحلوها ومرها وما يهمنا هو أخذ الفائدة منه ومن الكتاب الآخر بعيداً عن الملابسـات الـواردة في هذه المصادر ، وربما يكون هناك مصادر أقدم مما أشرنا إليه ، ولكـن هـذا ما حصلت عليه[٤] . والباب مفتوح للجميع للبحـث والتقصي ، وهذه النقول

---

(١) من يطلع على كتب بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين ، والمصادر الحجازية والوثائق الموجودة في بعض دور الأرشيف في مصر وتركيا فإنه سوف يجد مادة علمية جيدة عن بلاد المخواة خلال الثلاثة قرون الماضية ، ونأمل أن يدرس هذا الموضوع في هيئة رسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام جامعاتنا السعودية .(ابن جريس) .

(٢) المخواة ، وقلوة ، والمجاردة ، ومحائل ، ورجال ألمع ، والدرب ، والشقيق بلدان داخلية في تهامة ولها تاريخ ، لكنها لم تخـدم مـن الباحثين في السابـق واللاحق ، ونأمل من أبناء هـذه البلاد وبخاصة الباحثـين وأرباب القلم أن يجتهدوا في دراسة وتدوين تاريخها السياسي والحضاري. (ابن جريس) .

(٣) يقصـد الحميـاني عمـوم كتاب هـذا الرحالة الأجنبـي ، ليس ما كتب عـن المخواة ، ومن يدرس كتب الرحالة الغربيـين فإنه سوف يجـد فيها بعض الأخطاء والمغالطات ، لكنها مازالت من المصـادر المهمة التي تشتمل على معلومات تاريخية وحضارية لا توجد في أي مصدر آخر ، وهي مهمة للقراءة والاطلاع . (ابن جريس) .

(٤) وأقـول نعـم أن هنـاك مصادر حجازية أخرى أشـارت إلى المخواة ، كما أن هناك وثائـق غير منشورة في داخل البـلاد وخارجهـا وفيها لمحات من تاريخ المخواة وما حولها ، ونأمل أن نـرى في المستقبل من يدرس هذه المدينة دراسة علمية موثقة. (ابن جريس) .

هدفها بيان مدى المكانة المرموقة التي كانت تحتلها المخواة عبر التاريخ بعيداً عن أي تفسيرات أو تأويلات أخرى، أو إثبات أمر أو نفيه. وهذا ما تيسر جمعه عن المخواة القديمة [١]، وقد أعرضت عن ذكر أسماء الأشخاص الذين كانوا يعيشون في القرية القديمة، وكذلك الفخوذ والعوائل التي كانت تسكن هناك، لحاجة هذا الموضوع لجهد أكبر. وقد لا يكون هذا المقام مناسباً لذكرها. وفي الختام أرجو أن تتحول تلك القرية الأثرية إلى مقصد للزائرين، وفتح طريق معبد للوصول إليها في يسر وسهولة، أو تحويلها إلى متحف بكل ما تعنيه هذه الكلمة " [٢].

وفي مكتبتنا بعض البحوث غير المنشورة عن المخواة وما حولها، وهي من الدراسات المنشورة في كتاب: دليل البحوث الجامعية، ومنها: (١) تهامة بلاد زهران: تاريخ وحضارة (١٢٥٥-١٣٥٥هـ/١٨٣٩-١٩٣٤م)، للباحث محمد بن سعيد بن عيسى المضحوي الزهراني، (٨٧) صفحة[٣]. (٢) محافظة المخواة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين محمد بن درويش الغشام الغامدي، وحمدي بن عامر بن موسى العماري، وعلي بن محمد بن علي الغامدي، (١٧٠) صفحة[٤]. (٣) محافظة المخواة: دراسة تاريخية حضارية مختصرة للصناعات التقليدية والحرف اليدوية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين حسين بن أحمد بن عبد الله العُمري، وخالد بن حسين بن مطر العمري (٩٠) صفحة [٥]. (٤) المخواة: دراسة تاريخية مختصرة عن الألعاب الرياضية ووسائل التسلية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين هاشم بن محمد بن حسن الناشري، وعبدالرحيم بن علي بن أحمد حمياني العُمري، وخالد بن حسن بن عبد الرحمن الشريف، وأحمد بن علي بن أحمد المرحبي[٦]. (٥) منطقة الباحة (بلاد بني عُمر وغامد وزهران) تاريخ وحضارة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، للباحث عبدالله بن علي بن سالم، (٢٨٥) صفحة [٧].

---

(١) نشكرك يا عبد الرحمن على هذه النبذة، وقد يأت في المستقبل من يتخذ مما كتبته دليلاً لدراسة أشمل وأوسع عن محافظة المخواة. (ابن جريس).

(٢) المثل الشعبي يقول " لايبني الأرض إلا حجارتها "، وأقول أن ما فعلت يا عبد الرحمن من جميل الصنع لأهلك وبلادك، ونأمل أن تتوسع في إنجاز دراسات تصب في خدمة محافظة المخواة، كما آمل أن نرى أمثالك يجمعون تاريخ وموروث بلادهم ومساقط رؤوسهم، ولو فعلنا جميعاً ذلك فإننا بدون شك سوف نساهم في حفظ بعض الشيء من تراث آبائنا وأجدادنا. (ابن جريس).

(٣) انظر محمد بن معبِّر، دليل البحوث الجامعية، ص ١٩٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٨٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٩٠.

(٦) المرجع نفسه، ص٤٠٠.

(٧) المرجع نفسه، ص ٤٣٩.

رابعاً: نتائج وخلاصات:

اتضح لي عن هذه البلاد التهامية عدة أمور ، أذكرها في النقاط الآتية:

١. سكانها الأصليون عرب يمنيـون يعودون في أصولهم إلى قبائل الأزد اليشجبية اليعربية القحطانية . كما أنهم وإخوانهم رجال الحجر وغامد وزهران من جد واحد ، ومازالت روابطهم النسبية سارية حتى وقتنا الحاضر.

٢. تشابـه الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة والتعليميـة والفكريـة بـين سـكان هــذه الأوطـان التهاميــة ، مع أن نسبة التطـور تتفاوت من ناحيــة إلى أخرى ، والعرضيات هي أدناها في ميدان الخدمات التنموية .

٣. عمـوم هذه البـلاد فقيرة في مجالات البحـوث والدراسات العلميـة ، والتاريخ والآثـار والحضـارة من الموضوعـات التي لم تُخـدم ، مع أنها مليئـة بالموروث الحضاري الذي يستحق جمعه وبحثه وتحليله .

٤. على أرباب القلم في هذه الأجزاء ، وعلى الجامعات والكليات والأقسام العلمية في جامعات الملك عبد العزيز ، وأم القرى ، والملك خالد ، والباحة ، وجازان مسؤوليات كبيرة تجاه جميع المناطق التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى مدن جازان ، وأبو عريش ، وأحد المسارحة ، وسامطة ، فالواجب دراسة تاريخها وتراثها الحضاري . كما أن على صناع القرار في هذه البلاد ، وعلى أصحاب رؤوس الأموال أن يبذلوا قصـارى جهودهم لخدمة أرضهم وسكانها ، وهذه مـن المسؤوليات الواجبة على هذه الفئات التي تستطيع المساهمة في بناء هذه الديار وتقدمها .

٥. مـن خـلال جولاتي في هذه الرحلة ، وأيضاً رحلات سابقة في منطقة القنفذة ، وجـازان ، وأجزاء من تهامة عسـير تأكد لي أن هذه البلاد تحتوي على الكثير مـن القصص والروايـات الشفاهية ، وبعض المخطوطـات والوثائق والمدونات التـي تمتلكها بعض الأسر والبيوتات العلمية ، كما يوجد على أرضها الكثير من المصـادر المادية متمثلة في النقوش ، والآثار ، والرسومات الصخرية ، وكذلك القـرى والحصون والأسواق والطرق القديمة . وكل هذه الموارد العلمية جديرة بالجمـع والحفظ ثم الدراسـة والتحليل، ولإنجاز هذه المهمـة لابد من تضافر جهـود الجميـع ، أهل البلاد أنفسهـم ، وجميـع الإدارات الرسمية والأهلية في هــذه النواحـي ، أو في أي ناحية أخرى في المناطق الجنوبية ، أو حواضر المملكة العربية السعودية الرئيسية .



القسم الرابع

قــراءات، وانـتـقـادات، وتصويبات على بعض الكتب والدراسات التي صدرت عن منطقة عسيروما حولها خـلال الـقـرن (١٥هـــ/ ٢١.٢٠م)

القسم الرابع

قراءات، وانتقادات، وتصويبات على بعض الكتب والدراسات التي صدرت عن منطقة عسير وما حولها خلال القرن (١٥هـ)[١]

مدخل[٢]:

سلكنا في بعض مؤلفاتنا وبخاصة سلسلة كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ، الاستفادة من كل علم أو قول يقودنا إلى الصواب والحقيقة . وفي هذا القسم نشر ثلاث دراسات في محيط الجنوب السعودي وبخاصة منطقة عسير. فالأولى، والثالثة للأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر القحطاني الذي درس كتابين حديثين ، الأول : للدكتور علي بن عبد الله بن موسى العسيري[٣] ، وعنوانه : **نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود** ،

---

(١) هناك بعض التصويبات والتعليقات على دراسات وكتب تتعلق بتاريخ وحضارة الجنوب السعودي منشورة في سلسلة كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، وللمزيد انظر الأجزاء العشرة الأولى من هذه السلسلة.

(٢) هذا المدخل من إعداد صاحب الموسوعة (ابن جريس) .

(٣) علي بن موسى زميل دراسة في جامعتي الملك سعود ثم الملك خالد، دراسته الجامعية الأولى كانت في اللغة الإنجليزية، ثم تخصص في علم التربية في درجة الدكتوراه ، وهو أستاذ أكاديمي جيد ، وعنده بعض الآراء والرؤى التي لا أتفق معه فيها ، وعند قراءتي هذه الدراسة المنشورة عن كتابه في هذا القسم استغربت من بعض نقاشاته وحواراته التي تتعارض مع بعض الثوابت الشرعية ، ونسأل الله لنا وله الهداية . (ابن جريس).

المطبـوع في طبعته الأولى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ويقع الكتاب في (٣٤٧) صفحة من القطـع الصغير[١] . أمـا الكتاب الثاني فهـو للأستاذ الدكتور محمـود شاكر ، بعنوان: **شبـه جزيـرة العرب (عسير)**، وأول طبعة صـدرت لهذا الكتاب كانت في العقد الأخير مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) ، واعتمد ابن معـبِّر في نقده على الطبعة الثالثة المنشورة عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) [٢] . أمـا الدراسة الأخرى ، والثانية في هـذا القسم ، فهي لباحث مجتهـد هو محمـد بن علي بن محمـد آل مسلم الشهـري[٣]، وعنـوان مشاركته: وقفة

---

(١) هـذا الكتـاب أهـدي إليّ مـن المؤلـف في حـرم جامعـة الملـك خالـد في (١٤٣٣/٦/٣٠هـ) الموافـق ٥/٢١ / ٢٠١٢م) ، وعليـه عبـاراتٍ إهـداء مـن المؤلف قال فيهـا " أخي الأستـاذ الدكتور الباحث المـؤرخ الأول لمنطقة عسـير والـذي يعد مرجعاً مهمـاً للتاريخ والإنسان بـارك الله في جهودك وأعانك. هذه محاولـة لقراءة الواقع وليسـت مـن أعمـال المؤرخـين من أمثالكـم ولكنها سرد مـن الذاكرة ، أرجـو أن يكون فيها ما ينفـع . أخوكم المحـب علـي بن موسى" . وأقـول لأخي الدكتور علي أشكـرك على هذه العبارات التـي لا أستحقها واعلم أنني تصفحـت كتابـك عندمـا أهديتـه إلينا ، لكنني لم أتعمـق في قراءته لضيـق الوقت ، وعندمـا وصلتني دراسة ابـن معـبِّر المنشـورة في هذا المجلد رقم (١٢) من موسوعة (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب) ، ورأيت بعض أطروحاتـك، عـدت فقرأت الكتـاب، ووجدت في نهاية كتابك أن عندك النية في طباعتـه ونشره مرة ثانية ، بل إنـك سـوف تترجمـه ، وأقـول أسـأل الله لنا ولـك التوفيق ، لكـن أنصح أخي علـي أن يراجع بعض مدوناته وأقوالـه وحواراتـه وبخاصـة ما يتعارض مع ثوابت الدين الإسلامـي الحنيف ، وأرجو يا أخـي علي أن تصغي لقـول إنسـان يحبك ويحب لك الخير ، إنه أخـوك (غيثان بن علي بن جريس) ، فلا تكتب وتجادل إلا في شيء يعـود عليـك بالنفـع في الآخرة قبل الدنيـا ، ووالله لا أقول لك إلا ما أرضـاه وأحبه لنفسي ، فعليـك يا أخي أن تراقـب الله في كل أقوالـك وأفعالـك حتـى تكون حجـة لك لا حجـة ووبالاً عليك يـوم القيامـة . والدراسة في مجملهـا جيـدة ، لكن راجع مـا ذكرنا لك في هذه الدراسة. اللهم إني نصحت وبلغـت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.(ابن جريس) .

(٢) الدكتـور محمـود شاكر، من أعلام التاريخ الحديث ، عمل في بعض الجامعات السعودية منذ العقود الأخيرة في القـرن الرابـع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، وله عشرات الكتب والدراسات في التاريخ الإسلامي المبكر والوسيـط والحديـث والمعاصـر ، ويستحق أن يصدر عنه وعـن منهجه العلمي أو البحثـي العديد من البحوث والدراسـات. أمـا كتابـه (عسـير) المذكـور في هـذا القسم ، فقـد اقتنيته مـن نهاية القـرن (١٤هـ/٢٠م) واستفـدت منـه في عـدد مـن دراساتي ، كمـا أن هناك نسخـة من هذا الكتـاب صـدرت في ثمانينيات القرن الهجـري الماضـي، وكان عليهـا اعتراضات وملحوظات من بعض الأسر والأفراد في منطقـة عسير ، ومن ثم سحبـت مـن الأسواق ومنع تداولها ، ثم أعـاد الأستاذ مراجعة الكتاب، وحذف منـه بعض الفقرات والسطور التـي جـرى حولهـا الاعتراضات ، وخرجـت هذه النسخـة في طبعتها الأولى عـام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ثم صدر منها طبعات أخرى عديدة .(ابن جريس).

(٣) هـو محمـد بن علي بـن محمد آل مسلـم آلِ النهي الدحيمـي الشهري مـن مواليد الرياض عـام (١٤٠١هـ)، يحمـل شهـادة الثانويـة ويدرس الآن انتسابـاً في جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلاميـة ، تخصص(إدارة أعمـال)، يعمـل في القطـاع العسكـري ، ومهتم بعلـم التاريـخ والأنساب ، ولـه بعض الكتـب والدراسات غير المنشـورة، ومنهـا: (١) جوانـب من التاريخ السياسـي والعسكري في الدولة النبوية والخلافـة الراشدة . (٢) معجـم شعـراء الأزد في الجاهليـة والإسلام . (٣) قبائل الهنوء بن الأزد عنـد النسابة ابن الكلبي. (٤) نشوة النصر في أخبار رجال الحجر . (ابن جريس).

تصويب وتوضيح على نسب ومكان الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان[١] . وسوف نقوم بنشر هذه البحوث ومراجعتها وتدوين ملحوظاتنا عليها في الحواشي ، مع إيراد مصطلح (ابن جريس) في نهاية كل حاشية تذكر ، ونأمل أن نصل إلى دراسة ونشر كل عمل علمي صحيح وموثق[٢] .

ثانياً : سيف الحداثة في الجنوب السعودي : قراءة في كتاب : (نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود) . بقلم أ . محمد بن أحمد بن معبرٍّ[٣] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	المقدمة	٣١٧
ثانياً:	**الملاحظات العامة** : (١) إهمال البسملة (٢) الحد المكاني والزماني (٣) الجنوب، (٤)مجلة العربي (٥) المثالية (٦) التفاصيل (٧) التكرار . (٨) ضبط الألفاظ. (٩) الحداثة	٣١٩
ثالثاً:	**التعليقات التفصيلية**: (١)تمهيد.(٢)صورة الغلاف.(٣)صلاة الفجر. (٤)قرآن الفجر.(٥)القروع.(٦)الاستعداد للعمل.(٧) الحوش أو الزريبة. (٨) الثّور.(٩) الرِّجال.(١٠)النساء . (١١) الظهيرة، وأذان الظهر.(١٢) العَشية .(١٣)الحمية للمزارع.(١٤) الجرن والدوس.(١٥)الذّرَاه.(١٦) الصِّناعة (١٧) الرَّعي.(١٨) الاستقاء .(١٩) الخبز.(٢٠) الأطعمة.(٢١) آداب الطعام.(٢٢) إدارة القرى.(٢٣) الجيرة والرفقة .(٢٤) بيوت الجنوب. (٢٥) النظافة واللبس . (٢٦) الحجاب . (٢٧) الحُبُّ والهوى . (٢٨) الزَّواج.(٢٩) الحَمْل.(٣٠)المرأة في المجلس.(٣١) الزيارات النسائية. (٣٢) تَعَدُّد الزوجات.(٣٣)خلاف الزوجين.(٣٤)الموت والعَزاء . (٣٥)ألف ليلة وليلة في الجنوب. (٣٦)لمحة تاريخية .(٣٧) الرسول ﷺ والأزد .(٣٨) علي بن أبي طالب والأزد.(٣٩)علاقة السّراة بمكة.	٣٢٦

(١) هذا العنوان من إعداد صاحب الموسوعة . (ابن جريس).

(٢) دائماً وأبداً لا ندعي الكمال في كل ما ندرس ونناقش وننشر ، وإنما نحن باحثون عن الحق والحقيقة ، فمن وجد لنا أخطاء فليصوبنا بكل رأي أو قول أو معلومة صحيحة (والله الهادي إلى سواء السبيل) . (ابن جريس).

(٣) انظر ترجمة ابن معبِّر ، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص١٦٥، محمد بن أحمد بن معبِّر . نقش القلم (١٣٨٢-١٤٣٥هـ) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م). (٤٤٦ صفحة) . (ابن جريس).

أولاً: المقدمة:

الحمد لله القائل: [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**]. والصلاة والسلام على النبي الخاتم الذي أرشدنا إلى الخير والصلاح في ديننا ودنيانا. أما بعد: فحين قرأت **كتاب (نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود)**[١] لمؤلفه الدكتور علي بن عبد الله بن موسى ، أدركت أنّ المؤلف يقوم بمناورة بارعة، حشد فيها كل طاقاته القولية . فمن خلال القراءة الأولى للكتاب تتكوّن فكرة عامّة مُؤدَّاها الإعجاب والانبهار بهذا المجتمع الجنوبي في مناطقه الإدارية الأربع (الباحة ، جازان، عسير، نجران). المجتمع الزاخر بالإيمان الخالص ، والحيوية المتدفقة ، والمُشْتَمل بالطُهْر والبراءة . المجتمع الذي لا يعرف البِدع والشركيات، المجتمع الذي يختلط فيه الفِتّيان والفتيات ولا تُسَجّل أي مخالفة أو تَحرّش !![٢]. هذا هو الوجه المُشْرق لمجتمع الجنوب السعودي، كما يصفه المؤلف.

ثم يدير المؤلف قلمه إلى وَجْه يتنزى حُزناً وألماً على مصير هذا المجتمع ، وقد أفسدت حياته الآلات والأدوات ، وحَوّلَتْه من مجتمع قروي إلى مجتمع مدني. ولا يصمد هذا الانطباع بِوَجْهيه السَّابِقين ؛ عند القراءة المتأنية الفاحصة الناقدة ، فالمؤلف وإنّ

---

(١) الطبعة الأولى ،(١٤٣٣هـ ، الرياض) ، ٣٤٧ ص . (ابن معبِّر) .

(٢) هكذا كان المجتمع الجنوبي السعودي في القرون الماضية . ونقول إن حياة الناس آنذاك تستحق دراسات علمية موثقة. والأمل في جامعاتنا المحلية ، فتسعى إلى خدمة هذه البلاد وأهلها . (ابن جريس) .

قال: (لا يعتمد هذا الكتاب على منهج بحث مُعَيَّن ، ولكنه سرد من الذاكرة ، مستعيناً بما رأيته وعملته وعشته وسمعته من المجتمع)[١] قد مارس أنواعاً - بقصد أو دون قصد - من المثاليات ، والمغالطات ، والإسقاطات ، والتعميمات ، والإطلاقات. وبعد هذه الممارسات يُشْهِرُ المؤلف (سَيف الحداثة) أي الحداثة الفكرية ، لا حداثة الآلات والأدوات ، ويرى في ذلك (الحداثة الخَلاَّقة) التي تحمل بشائر التغيير ، والسعادة للمجتمع الجنوبي. وكنت أتمنى أن المؤلف أخذ في اعتباره القُرَّاء من أبناء الجنوب ، ولاسيما الذين عاشوا نفس تجربته ، وتختزن ذاكرة كل واحدة منهم ما يملأ صفحات كتاب ككتابه[٢].

ولهذا كانت صفحات بحثي هذا (سيف الحداثة) كقراءة نقدية لكتاب (**نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود**) ، وهي صفحات سيغضب منها الدكتور علي بلاشك ، وأعزي نفسي أمام غَضْبته أنني أردت بها رضا الله سبحانه وتعالى بالمنافحة عن شَرْعه الكريم الذي تَعَبَّدنا به. ومما يجب عليّ قوله في هذه المقدمة أنّ المؤلف قَدّم عملاً رائعاً في مُجْمله، يحمل فكرة رائدة، لو احتذى بها الكثير من رجال ونساء منطقة عسير على وجه الخصوص ، وأضرابهم من مناطق الجنوب الأخرى على وجه العموم ، فإنهم سيحفظون لنا وللأجيال تراثاً كادت تعصف به عاصة الآلة والأداة ، أو هي قد عصفت به [٣].

ولا يهولنَّكم حجم دراستي هذه (سيف الحداثة) وما فيها من ملاحظات وتعليقات، فإن مجموع صفحات ما نقدته من كتاب (نساء بلا قيود ...) لا يزيد عن سبعين صفحة ، بمعنى أن هناك ما يقرب من ثلاثمئة صفحة لم أُعَلِّق عليها إلاّ ببعض الإضافات ، ممّا لا يجهلها المؤلف وبعض القرّاء . وهذا يعني أن كتاب (نساء بلا قيود ...) يحتل مكانة مُمَيَّزة ، ويستحق القراءة، ففيه الكثير مما لم يُسْبَق المؤلف به ، وهو بذلك قد أدَّى الواجب المطلوب منه ومن أمثاله [٤].

أما ما قمت به من ملاحظات وتعليقات ، فهي من الامتثال لقول الرسول ﷺ : (الدِّين النصيحة - ثلاثاً - قلنا لمن يا رسول الله ؟ . قال : لله ، ولكتابه ، ورسوله ،

---

(١) ص ١١ . (ابن معبِّر) .

(٢) الدكتور ابن موسى اجتهد، وجزاه الله كل خير، وحبذا أن نرى غيره من الأكاديميين والباحثين فيعملون مثل ما فعل ونحن يكمل بعضنا بعضاً ، وميدان النقد موجود لمن أراد أن يشارك بقول أو رأي يفيد . (ابن جريس) .

(٣) نأمل أن نرى باحثين جادين أمثال الدكتور ابن موسى ، وأصحاب الدرجات كثيرون في الجامعات ، لكنهم متقاعسون . (ابن جريس) .

(٤) نعم هذه حقيقة ففي هذا الكتاب إبداع وتميز ، والنقص والخطأ من طبيعة البشر . (ابن جريس) .

ولأئمة المسلمين وعامَّتهم)[١]. ثُمَّ لما قاله المؤلف في آخر كتابه: (وأترك لكم الكلام)[٢] مع طلبه – في آخر كتابه أيضاً – إبداء الرأي حول ما ورد في الكتاب. ولن يَضير المؤلف تراجعه عن بعض ما في كتابه[٣] ، وأظنه سيرجو محبّة الله تعالى القائل [**إنَّ اللّٰه يُحبُّ التَّوَّابينَ وَيُحبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**][٤]. وأسأل الله جَلّ في عُلاه أن يغفر لي وله ولسائر المسلمين ، وأن يرزقنا الإخلاص له قولاً وعملاً ، وأن يختم بالصالحات أعمالنا ، هو ولي ذلك والقادر عليه .محمد بن أحمد مُعَبِّر (١٤٣٧/٧/١هـ) .

ثانياً : الملاحظات العامة :

١- إهمال البسملة، والتحميد لله تعالى، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ .

والمؤلف كثير الاحتفاء بأهل الجنوب ، وأنهم لا يهملون الواجبات الدينية. حسب قوله. كما يسوق ألفاظ الأذان للصلاة كاملاً ، وبلغ عدد صفحات كتابه (٣٤٧صفحة) ، فهل ضاقت هذه الصفحات عن بضعة أسطر في أول الكتاب يدون فيها البسملة والحمدلة؟ والمؤلف من أهل الجنوب الذين يلتزمون بكل تعاليم الإسلام ، حسب قوله[٥].

٢- الحَدُّ المَكَاني والزّماني: يحتاج القارئ الذي لا يعرف الجنوب إلى بضعة أسطر عن جغرافية الجنوب ، مع خارطة توضيحية ، وهو ما يفتقده الكتاب عن الحدود المكانية[٦]. ولذا أرى أن يتم تحديد المكان اعتباراً من تاريخ بداية تسمية الجنوب بالمنطقة الجنوبية ، والغالب أن ذلك حصل بعد توحيد البلاد السعودية .أما الحَدّ الزَّمَني ؛ فيتضح من سياق كلام المؤلف في مواضع مُتعدّدة من كتابه بأنه ما قبل دخول الآلات والأدوات الحديثة، وما بعدها حتى اليوم . ويلزم ذلك معرفة تاريخ بداية دخول هذه الآلات والأدوات ، ولعل المذياع هو أول آلة دخلت، فمتى كان تاريخ دخوله؟ . **٣- الجنوب :** المنطقة الجنوبية : اصطلاح جغرافي إداري ، يُقْصَد به المناطق الإدارية الأربع (الباحة ، جازان ، عسير ،

---

(١) صحيح مسلم ، الحديث رقم (٥٥) .

(٢) ص٣٣٧. (ابن معبِّر) .

(٣) حسب علمي بالدكتور علي فهو أستاذ جاد وآمل أن يصوب ما وقع فيه من أخطاء ، وإذا كان له رأي أو وجهة نظر يطرحها ، وانا على استعداد أن أنشر أقواله وتعليقاته . والله ولي التوفيق (ابن جريس) .

(٤) سورة البقرة ، آية (٢٢٢) . (ابن معبِّر) .

(٥) معرفتي بابن موسى طويلة تزيد على ثلاثين عاماً ، وهو رجل. كما نحسبه. صالح في دينه وأخلاقه . وربما سقطت الملحوظة سهواً . (ابن جريس) .

(٦) نعم هذه ملحوظة جوهرية ويجب الأخذ بها في الطبعة الثانية . (ابن جريس) .

نجـران) في جنوب المملكة العربية السعودية[١]. وهذا هو مُرَادُ المؤلِّف حين يقول (أهل الجنـوب) أو (قـرى الجنوب) ، وعنـد التَّمَعُّن في صفحـات كتابه بقسميه لا نرى إلاَّ (منطقـة عسير) على أبعـد مدى[٢]، ولا سيما قرية المؤلف ومدينـة أبها . أمّا بقية بعض جهـات عسـير ، ومناطـق : الباحة ، وجازان ، ونجـران ، فليس لهـا أي حُضور في كتابه، إلاّ مـن خـلال اشتراكها في بعض مـا كتبه المؤلف عن قريته ، وعن مدينـة أبها. ولو أتعب المؤلـف نفسه وقـرأ بعض ما كُتب عن الجنوب – في مجال موضـوع كتابه – لوجد الكثير مـن المعلومات ، ومنها: (١) مؤلفات الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش . (٢)مؤلفات الأستـاذ علـي بن صالـح السلوك الزهـراني . (٣) مؤلفـات الدكتور غيثـان بن علي بن جُرَيـس. (٤) مؤلفـات الشيخ محمد بن أحمد العقيلي .(٥) سلسلة كتب (هذه بلادنا) التـي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب[٣]. وربما كان بعضها في مكتبته الخاصة ، وإن كان غير ذلك ، فهي في المكتبة المركزية لجامعة الملك خالد ، التي يعمل فيها . والكتاب بوضعه الحالي لا يُمَثِّل مناطق الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) ، فهناك من الفروق بين كل منطقة وأخرى ، بل يوجد الكثير من الفروق داخل المنطقة الواحدة .

وعلى سبيل المثال ، فإن ما كتبه المؤلف تحت عنوان (بيوت الجنوب)[٤]، لا يمثل إلاّ جزءاً من منطقة عسير ، فكل ما أورده حول أنواع المنازل من الجنوب ، وقد يكون الحجر هـو القاسـم المشترك في عملية البنـاء ، مع اختلاف في شكل المبنـى . فالمنازل في فيفا بمنطقـة جازان تختلف اختلافاً بَيّناً عن منازل بيشـة في منطقة عسير ، ومنازل تهامة زهـران بمنطقـة الباحة تختلف عن منـازل النماص بمنطقة عسـير ، ومنازل النماص تختلف عن منازل منطقة نجران .

بـل نجد الاختلاف داخل المنطقة الواحـدة ، فنجد في منطقة عسير صوراً مختلفة مـن أشكال المنازل ، ومواد البناء ، فمنازل رجال ألمع تختلف عن منازل تثليث وطريب ،

---

(١) المنطقـة أو المناطـق الجنوبية أوسع مما ذكرت ، أين ذهبت البلاد الواقعة جنوب مكة والطائف إلى بلاد زهران والقنفذة ؟ (ابن جريس) .

(٢) بـلاد عسـير صاحبة نفوذ علـى معظم مناطق الجنوب منذ بدايـات القرن (١٣هـ/١٩م) ، والمصادر والوثائق تؤكد ذلك ، وهذا الموضوع يستحق أن يفرد في دراسة مستقلة . (ابن جريس) .

(٣) هناك مئات البحوث والرسائل والدراسات الأكاديمية المنشورة ، وآلاف الوثائق غير المنشورة وجميعها تصب في خدمة تراث وفكر مناطق الجنوب السعودي منذ القرن العاشر الهجري إلى وقتنا الحاضر . (ابن جريس) .

(٤) ص ص ١١٤. ١٢٤. (ابن معبِّر) .

ومنـازل وادي ابـن هشبل تختلف عن منـازل تمنية .كما يجعل المؤِّلف مـنَ (الرَّقَف) طـرازاً سائداً في الجنوب ، علماً أن الرَّقَـف لا يُستعمل إلاَّ في أماكن محدودة في منطقة عسـير . وعندمـا تحدث المؤِّلف تحت عنوان (آداب الطعـام) لم نجد عنده مما يتعلق بـآداب الطعام ، والعبـارات الاصطلاحية المستعملة في هذا الشـأن ، سوى ما يُعرف في بعض جهـات عسير . ومثل ذلـك تحت عنوان (التحيـة في الطرقات) فـكل ما ورد في مضمونه لا يمثل إلاّ بعض جهات منطقة عسير . وعلـى ذلك جـرى قلـم المؤلف، فهو يتنفّس بعبق عسيري سَرَوي ، ولا سيما في مدينتي أبها وخميس مشيط وأحوازهما ، وإن طَـوَّح قلمـه إلى ربوع تهامـة ، فهو لا يجاوز التهائـم المتصلة بالجبـال أو أصدارها [١].

٤- مجلـة العربـي : قامـت مجلـة (العربي) الكويتيـة بإعداد استطـلاع عن عسير ، ونشرتـه في العـدد (١٢٨) في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٨٩هـ . وقـد أُولِعَ المؤلف بهذا الاستطـلاع ، فدأب على النَّقْـل منه للاستشهاد على ما يقول ، وبلـغ عدد المواضع التي حضـرت فيها مجلـة (العربي) سبعة مواضـع في الصفحـات(٢٠٨ ـ ٢٠٩/٢١٩/٢٢٣ ـ ٢٢٤/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩/٢٧٧ ـ ٢٧٨/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠/ ٢٨٩) . ومن المآخذ على اعتماد المؤلف على هـذه المجلـة ما يلي : (أ) جرى استطلاع مجلة العربـي في مدينة أبها ، وهذا يؤكد عدم شمـول الكتاب لمناطـق الجنوب، ولو استعان المؤلف ببعض المؤلفات التي ذكرتها سابقاً ، مع استطلاع مجلة العربي لما كان هذا المأخذ. ومدينة أبها لا تمثل منطقة عسير بشكل دقيـق ، فمـن باب أولى أنهـا لا تمثل الجنوب كافـة[٢].(ب) الاستطـلاع رحلة لمندوب المجلة ومرافقه الـمُصَوّر ، ومدة هذه الرحلة قصيرة، ولا يمكن لهذا المندوب أن يحصل علـى معلومـات دقيقـة ، فوقته لا يسمح لـه بالتَّقَصِّي . والاعتماد علـى هذا الاستطلاع كمرجـع وحيـد استعان بـه المؤلـف، لا يـؤدي إلى مصداقية علمية دقيقـة .(ج) مجلة العربـي، ولا سيما في مدة رئاسـة الدكتور أحمد زكي لتحريرها ، مجلة تحارب الحجاب والعفَّة ، في جميع أرجاء الوطن العربي، فقد اعتادت في استطلاعاتها إلى وصم الحجاب والمَحجبـات بالتخلف والرجعيـة ، حينما تضع صوراً للمحجبـات، أما صور النساء على

---

(١) نلتمس العذر لابن موسى فهو أستاذ عمل في مجال اللغة الإنجليزية في بداية دراسته الجامعية ، ثم اتجه إلى علوم التربيـة ، ويخـرج لنا هذه الدراسـة الجيدة ، فنشكره على ذلك . أما موضوعـات العمارة والطعام والشراب ، والعـادات والتقاليـد مثل التحية في الطرقات وغيرها ، فهذه موضوعات لم تدرس بشكل جيد ، ونأمل أن نرى باحثين جادين يتولونها بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٢) أتفـق مـع ابـن معـبرٍّ في هذا القـول ، وأشكر ابـن موسى على ما قـدم ، والواجب علـى الباحـث أن يطلع على أكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع التي تثري موضوعه أو دراسته . (ابن جريس) .

الشواطئ بالمايوه ، أو صورهن وهُنَّ سافرات ، فتصفها وصاحبات الصُّوَر بالتّقدم والحرية. ولا أقول هذا اعتباطاً ، فأنا أعرف مجلة العربي صفحة صفحة ، فقد بدأت في اقتنائها منذ سنة (١٣٨٨هـ) حتى اليوم (١٤٣٧هـ) .وبناء على ذلك فإنه لا يوثق بمجلة العربي في أحكامها حول الحجاب وغيره مما يخص المرأة ، إلاّ بحذر ، مع المقارنة بالكتب التاريخية التي تتحدث عن الفترة التي تتحدث عنها مجلة العربي . (د) لو قبلنا بما جاء في استطلاع مجلة العربي ، فإننا نقبل ذلك في إطار زمني محدود ، لا يُعَمّم على ما قبله وما بعده . **٥- المثالية :** يتحدث المؤلف عن أهل الجنوب بمثالية مُطْلَقَة ، لا يستثني ، ولا يُبَعِّض ، ومن ذلك : (أ) التزامهم بكل الأدعية والأذكار ، ويجعل ذلك صفة عامة ، ودَيْدَناً لا ينقطع ، وهذا يخالف واقعهم ، فهم لا يلتزمون بكل الأدعية والأذكار ، وهم الآن أكثر التزاماً بها ، ولذلك انتشرت كتب وكتيبات الأدعية والأذكار انتشاراً واسعاً . ولا يعني ذلك أنَّهُم الآن أفضل من سابقيهم ، ولا يعني – أيضاً – أن من سبقهم أكثر ترديداً لها من المعاصرين . والمعروف أنَّهُم في السَّابق لا يلتزمون بشكل عام بهذه الأدعية كلها ، فهم أكثر إيماناً واقَلّ كلاماً في هذه الأدعية والأذكار.(ب) يؤكد المؤلف بأن أهل الجنوب ـ كلهم ـ من المحافظين على الطهارة، والصلاة، وسائر العبادات .وكأنّه لا يعرف ـ أو يتجاهل ـ أنّ منهم المتساهل في العبادات ، ومنهم التَّارِك للصلاة والصِّيام. (ج) يرسم المؤلف صورة مثالية في موضوعه (إدارة القرى) فقبائل الجنوب قد تجتمع تحت لواء واحد ، وتنتقل المشيخة أو النوابة في سلاسة ، فلا مشاكل أو منازعات ، وتجتمع جميع الصفات الحسنة في كل شيخ . ومن الطريف أن المؤلف هنا خرج عن منطقة عسير ، ووصل إلى بلاد غامد وزهران، وذكر تسمية (العَرِيفة) عندهم ، وهي تقابل النائب عندنا في عسير . المهم أن ما أورده المؤلف عن المثاليات في إدارة القرى لا تتوافق مع الواقع حينذاك وحتى الآن . فقبائل الجنوب لا تجتمع تحت لواء واحد ، وكم حصل من الخلافات والمشاكل حول المشيخة أو النوابة ، وكم من شيخ أو نائب بخيل ، أو جبان. ويُذَكِّرنا المؤلف بهذه المثاليات بجمهورية أفلاطون ، أو مدينة الفَارَابي الفاضلة ، وهو أقرب إلى الفارابي[1] . **٦- التَّفَاصِيل :** أدَّى استغراق المؤلف في التفاصيل إلى ذِكر أشياء تُعَدُّ من البديهيّات ، ويُعْتَبرُ إيرادها من التَّزَيُّد الذي لا فائدة منه ولا جديد فيه

---

(١) أقول إن تاريخ إدارة القرى أو العشائر خلال القرون الماضية المتأخرة حتى الآن لم تدرس وتستحق أن يفرد لها بحوث ودراسات عديدة ، والأمل في أبنائنا وبناتنا من طلاب وطالبات الدراسات العليا في جامعاتنا الجنوبية السعودية . (ابن جريس) .

ومن ذلك : (أ) سياقه لألفاظ أذان الفجر في سبعة عشر سطراً (ص١٥) . (ب) وصفه التفصيلي لعملية التَّطَهّر والوضوء (ص١٨). (ج) استغراقه في تفاصيل صلاة الفجر ، حتى أنه يورد ألفاظ الإقامة كاملة (ص ص١٩-٢٣). (د) التفاصيل الزائدة عن الحاجة في موضوعه (الموت والعزاء) (ص ص١٨٤-١٨٧) ومنها : وصف صلاة الميت ، وهو يسميها صلاة الجنازة - ، ووصف اتجاه القبر ، ووصف اللحد ، وكيفية وضع الميت في القبر ، وغير ذلك . (هـ) استغراقه في تفاصيل الصلاة مما يعرف بالبداهة، وذلك في عنوانين هما: (الصلاة والعبادة) ص١٤٣. (و) (صلاة الجمعة) ص١٤٤[١].

٧- التَّكْرَار : يُكَرِّر المؤلف بعض موضوعات كتابه دون حاجة توجب التكرار ، ومن ذلك: (أ) أورد المؤلف في صفحة (١٧) موضوعاً بعنوان (الوضوء والطهارة) ثم كرر بعض ما جاء فيه في موضوع (صلاة المرأة) في (ص٢٧) ولا فرق بين وضوء الرجل والمرأة. (ب) يُكَرِّر المؤلف الموضوع الواحد تحت عدة عناوين ، ومن ذلك (الاستعداد للعمل) ص٢٩، و(الانطلاق للعمل) ص٤٤ ، و (الرجال) ص٤٦ ، و(النساء) ص٤٨ ، وبإمكانه صياغتها تحت عنوان واحد . (ج) تكرار الموضوع الواحد في عنوانين هما : (الظهيرة) ص٥٢، و (أذان الظُّهر) ص٥٣ . (د) تكرار موضوع الملابس في عنوانين هما: (النظافة واللبس) ص١٢٨ ، و (الملابس النسائية) ص١٣١. (هـ) تكرار موضوع العيد في أربعة عناوين ، وهي (العيد) ص١٣٥، (و) (عيد الفطر) ص١٣٧، و (عيد الأضحى) ص١٤١ ، و (عزائم الأضحى) ص١٤٢ ، مع استغراق في بعض التفاصيل دون الحاجة لها . (ز) تكرار موضوع السِّلاَح في عنوانين ، هما: (الأسلحة) ص٨٦ ، و (البندقية) ص٢٠٢ . **٨- ضبط الألفاظ :** قَدّم المؤلف مجموعة كبيرة من الألفاظ في مواضع متعددة من كتابه، وهي تخلو من الضبط ، مما يستشكل على بعض القراء قراءتها قراءة صحيحة ، ومن ذلك: (ا) القَرُوع .(ب) المُوَسَّم .(ج) العَثَّرِي . (د) القَرّف . (هـ) الشَّرِيم . (و) المِجْنَد [٢]. **٩- الحداثة :** تعاطى المؤلف مع (الحداثة) بمفهومين مُتَغَايرَيْن ، وهما :(أ) الحداثة بمعنى الشيء الحادث أو الحديث ، أي الجديد ، ويتمثل ذلك في الآلات والأدوات، التي كانت حديثة مع أول وصول لها إلى الناس- حينذاك- مثل : المذياع، والبَكَم ، والمُسَجِّل ، والغسالة ، والمكنسة ، والفرن ، ونحو ذلك.

---

(١) كان الواجب على الدكتور علي أن يعرض خطة بحثه وكتابه على بعض زملائه الأكاديميين حتى يتجنب الوقوع في بعض الأخطاء العلمية والمنهجية . (ابن جريس) .

(٢) دراسة المفردات المحلية واللهجات من الموضوعات الجديدة التي تستحق جهوداً كبيرة من الباحثين. (ابن جريس) .

وكان لهذه الآلات والأدوات - مع فائدة بعضها - بعض الآثار السلبية المؤدية إلى انصراف الناس عن أعمال الزراعة وغيرها[١]. ولا نختلف مع المؤلف حول هذا المفهوم للحداثة ، فهو في حدود الدّلالة اللفظيَّة للتعبير عن الأشياء الحديثة . (ب) الحداثة الفكرية ، وهي ما انغمس فيه المؤلف تحت عنوان: (حديث حول الحداثة)[٢]، وأخذ يصول ويجول بمفردات وعبارات لا تدع مجالاً للشك في تَقَمُّصه الحداثة الفكرية . ويتوافق كلام المؤلف عن الحداثة مع مبادئ الحداثة الفكرية ، فهو يقول : الحداثة هي التطور والتقدم والاختراع والاكتشاف والعلم والتقنية والقيم الناتجة عنها ، إضافة إلى الثقافة وأنماط التفكير وغيرها من نتائج التطور الطارئ على الإنسان الذي تغيرت مصادر معرفته ومعلوماته ، فتمكن من إحداث تغييرات جذرية في حياته وبيئته بهدف الحصول على حياة وخدمات أفضل . تلك الحداثة دخلت في كل مجال وكل شأن في الحياة سواء الخاص أو العام ، لتتغير معها أوضاع المجتمع إلى حال أخرى)[٣]. وقوله هذا يتطابق مع مبدأ الحداثة القائل:(الحداثة مذهب فكري شامل يدعو إلى التغيير) . ونقرأ للمؤلف قوله :(لهذا سوف يستمر النقاش والحوار والجدل والاختلاف حول الكثير من الموضوعات والممارسات ومنتجات الحداثة حتى يصل المتحاورون إلى مرحلة تكون فيها الحداثة ومعطياتها قد قفزت بالنقاش والحوار إلى موضوعات أخرى مستجدة نتيجة التسارع الكبير في الحداثة ومنتجاتها المختلفة ، ولن يزول هذا الحوار إلا بحوار مبني على العمل المؤسسي ، والبحث العلمي الجاد والتقاء المتحاورين حول العديد من الموضوعات التي تخدم المجتمع ومؤسساته وطموح أبنائه ، وبما يضمن لهم استقرارهم وسيادتهم فوق أراضيهم. على أن ينتج عن هذه النقاشات والحوارات قوانين وتشريعات تنظم العلاقة بين جميع أفراد المجتمع ، وبين المؤسسات ، ومنتجات الحداثة المختلفة[٤].

ويتوافق قوله هذا مع مبدأ آخر من مبادئ الحداثة ؛ فالحداثة تدعو إلى المواءمة بين الدِّين والواقع ، وتدعو في سبيل ذلك إلى النقاش حولهما . وبذلك يوضع الدِّين على قَدَم المساواة مع الأفكار البشرية ، ويصبح القرآن والسُّنَّة من موضوعات الحوار

---

(١) من يقارن تلك الآلات مع ما نعيشه اليوم ، لا يجد وجهاً للمقارنة ، فاليوم غزتنا أنواع كثيرة من أدوات التقنية حتى أصبحنا نقضي أجزاء كبيرة من أوقاتنا معها. (ابن جريس) .

(٢) ض ٣٢٤ وما بعدها .(ابن معبِّر) .

(٣) ص ٣٢٧ .(ابن معبِّر) .

(٤) ص ٣٣٠ . (ابن معبِّر) .

والنقاش. ويدور المؤلف مع مصطلح (الإنسانية)[١]، وهو مصطلح دار حوله فلاسفة الغرب، حتى قالوا (بالديانة الإنسانية) يتشارك فيها كل الناس، ويُستَمَدُّ منها أسباب الحياة المادية والعقلية والخُلُقيّة ، واحتكموا إلى الضمير ، فيقول (جان جاك روسو): (كل ما أحسه شرّاً فهو شرّ ، الضمير خير الفقهاء)[٢]. ويقول أيضاً : (على أن يكون هذا الدِّين ـ المسيحية ـ مقصوراً على العقائد الضرورية للحياة)[٣].ولذلك قال المؤلف وهو يعزف على وتَر الإنسانية: (أكتب ليس لنساء الجنوب وحدهن ،واللواتي أخذتهن نموذجاً للنساء في جميع القرى، وإنما لجميع نساء العالم ورجالهن ، ففي كل أرض وفي كل وطن وفي كل مدينة وهجرة وقرية وبيت امرأة ورجل ، هما عنوان لقصتنا الكبيرة التي لم نروها بعد لأبنائنا وبناتنا ، لنقول لهم جميعاً إن من في الأرض من بني البشر هم أهل قربى وأهل صلة ، هم أهل القرى الذين تربطنا بهم وحدة الجنس البشري الذي نسله من آدم وحواء ، وأصله من تراب ينتهي في التراب. والإنسان ليس عدو الإنسان ولكنه أخوه وأخته في الإنسانية، والجميع شركاء في الحياة ذكوراً كانوا أم إناثاً. ولو ربينا أبناءنا على القيم الإنسانية ، وكرامة الإنسان ، وحرمة دمه وعرضه وماله، وأعطيناه حقوقه ، وساويناه بأنفسنا ، وعدلنا معه ، لما أزهقت الأنفس، وأحرقت الأرض، وخربت الحياة بأيدينا نحن البشر . إن الحياة شراكة بيننا وبين كائنات كثيرة ، نتقاسم حلوها ومرها ، ونتبادل المصالح فيما بيننا لنعيش فيها ما شاء الله في سلام وإخاء، ومودة وصداقة وسعادة ، ثم نعود إلى حيث يجب أن نعود جميعاً، إلى التراب الذي خلقنا منه لنعود إليه، كل محاسب على عمله ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر)[٤].

وقول المؤلف في النَّص أعلاه : (إن من في الأرض من بني البشر هم أهل قربى...) يُنَافي رابطة العقيدة الإسلامية ، التي تُعَدّ فوق جميع الروابط من نَسَب ودَم ، ولا عبْرة بالانتساب إلى آدم عليه السلام ، فالذي خلق آدم وذُرّيته هو الذي حَدَّد رابطة العقيدة

---

(١) ص ص ٣٢٤ـ ٣٣٠ . (ابن معبِّر) .

(٢) الحداثة من الموضوعات التي أسهب فيها الباحثون في معظم جامعات ومراكز البحوث في العالم ، ولها محاربون ومؤيدون ، والإسلام لا يحارب التطور والحداثة ، لكنه يحارب الانحراف وعدم السير على طريق مستقيم في الأقوال والأفعال . (ابن جريس) .

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ . (ابن معبِّر) .

(٤) نساء بلا قيود ، ص٦ (ابن معبِّر) . وهذه الأقوال نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية ، والمشكلة في سلوكياتنا وعدم استقامتنا على منهج الله وفهم مصادر ديننا فهماً صحيحاً ، وإذا فعلنا ذلك فسوف نكون قدوة حسنة لغيرنا (ابن جريس) .

، فيقول جَلّ في عُلاه : [**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**].[1] ويقول سبحانه [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**].[2] ويقول تعالى [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ**][3]. ويقول تعالى [**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**][4] ويقول تعالى [**فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**] [5].

ثالثاً : التعليقات التفصيلية :

١.تمهيد : التزمت في هذه التعليقات الطريقة التي سار عليها المؤلف ، فهو يضع العنوان الجانبي، ثم يكتب تحته ما يُنَاسبه .فعند التعليق على موضوع من موضوعات كتابه أقوم بإثبات العنوان الجانبي الذي أثبته المؤلِّف ، ثم أدْرِج من كلامه ما يحتاج إلى تعليق ، ومن ثَمَّ أبدأ في التعليق . وقد طالت بعض النصوص المنقولة من كلام المؤلف في بعض الموضوعات ، ويعود ذلك إلى سببين: (أ) عدم تشتيت ذهن القارئ حين أحيله على كتاب المؤلف : (نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود) أثناء التعليق ، فقد لا يكون الكتاب بين يديه ، أو لم يقرأه أصلاً . (ب) وجود نصوص رائعة ، وهي تستحق الإظهار، وإمتاع القارئ بقراءتها . **٢.صورة الغلاف :** تعود صورة الغلاف إلى عام(١٩٧٧م) ، حيث نشرت في كتاب وثائقي بعنوان المملكة العربية السعودية. نشرته Satecy International ويتم نشرها بموافقة الناشر. وهي صورة معبرة للغاية، وتعكس نوعية مظهر المرأة وملابسها التي كانت تلبسها قبل عدة عقود. وتعد الصورة وثيقة تاريخية مميزة تعكس فترة زمنية مهمة من تاريخ الجنوب، الذي يمثل جزءاً من تاريخ التحول الكبير في المملكة العربية السعودية التي شهدت تطوراً سريعاً وانتقالاً كبيراً من حالة اجتماعية تقليدية إلى مجتمع متمدّن ضمن إطار الدولة الحديثة ومؤسساتها المختلفة. وقد تم تصميم الغلاف باللون الأسود الذي يمثل العباءة السوداء التي تلبسها المرأة، بينما تمثل الصورة نافذة مفتوحة على عالم النساء في الجنوب .

---

(١) سورة المجادلة ، آية ٢٢ . (ابن معبِّر) .
(٢) سورة التوبة ، آية ٢٣ . (ابن معبِّر) .
(٣) سورة الممتحنة ، آية ١ . (ابن معبِّر) .
(٤) سورة الحجرات ، آية (ابن معبِّر) .
(٥) سورة آل عمران ، آية ١٠٣ . (ابن معبِّر) .

يمُثَل الكلام أعلاه قراءة المؤلف لصورة غلاف كتابه . وتُعَدُّ الصُّورة – بالفعل – ذات دلالـة في زمنهـا ، ولكنهـا لا تحمل الدّلالة المكانيـة للجنوب السعودي كلّه ، فهـي تُمَثِّل بعض جهـات منطقة عسير .ومع مزيـد من التَّمَعُّن في وجْهَي المرآتين ، نجـد أنّ قطار الشَّباب قد جاوزهما ، وبذلك تفقد الصُّورة دلالتها التي يريدها المؤلف ، سوى دلالة كشف الوجه .ولكن لمـاذا أهمل المؤلف صُوراً في الجنوب السعودي قبل سنــة (١٣٩٧هـ) ، وقد ظهر فيها النساء محجبات الأوجه .وبمزيد من القراءة للصُّورة يَتَبَيَّن للناظر أنّ الملابس واسعة وفضفاضة ، بينما نجد البنت الصغيرة تلبس (الكُرْتة) وهي تتميز بضيقها .

٣ـ صـلاة الفجـر: كتب المؤلف تحت هذا العنوان (٩٣ سَطْراً) منها (٨٢ سطراً) في صفــة الصــلاة منذ الذهاب إلى المسجد حتــى يُسلّم الإمام ، مـع الأدعية التي تقال حـين الذهاب إلى المسجد ، والتي تقال بعد الصــلاة ، إضافة إلى كتابته سورة الفاتحة وسـورة الإخلاص . فما هـو الجديد ، وماذا يستفيد القـارئ ؟؟ وبعد ذلك قال المؤلف: (هــذه الصلاة هــي الصلاة نفسها التــي كان يصلّيها الرسـول – ﷺ – وأصحابه ولا تزال تُصلّى في مكة والمدينة. هي الصلاة نفسها التي يصليها أهل الجنوب منذ دخولهم في الإســلام برغبتهــم وفطرتهم حتى يومنا هذا. ولم يدخـل عليها لا تحريف ولا تبديل ولا زيــادة ولا نقصـــان. وهكذا هو حال الصلوات الخمس التــي يصليها أهل الجنوب في الظهـر والعصـر والمغرب والعشاء إضافة إلى الفجر. بـل أكثر من هذا إن أهل الجنوب يقومــون الليل ويتهجدون ويدخلون في خلوة مـع الله في منازلهم ومساجدهم. وبعضهم يقــوم بالكثير مــن النوافل مثل الصلاة بعد شروق الشمســ (صلاة الضحى))[1] . قلت: أهــل الجنوب يُصَلُّون ، ويَتَحــرَّون الصلاة الصحيحة، إلاّ أنّ بعضهم يقع في الخطأ وهو يعلم أو لا يعلم، وهذا من طبيعة البشر، فما بالك بمن يتساهلون أو يهملون الصلاة، ألم يقــل الله تعالى: [**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)**][2] . ولذلك قال [**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**][3] . وقال المؤلف:(لم يدخل عليها لا تحريف ولا تبديـل ولا زيــادة ولا نقصـان) . وهذا من المبالغة، فـكل ذلك يحصل من بعضهم. ومثل هــذه المبالغة في قوله:(أهل الجنوب يقومون الليــل ويتهجدون). وقد يُقبل ذلك منه في

(١) ص ٢٢ . (ابن معبِّر) .

(٢) ســورة الماعـون ، آيــة ٥ . نعم الجهل كان سائداً بين الناس ، ومن ثم فهــم يقعون في أخطاء عن غير قصد أثناء ممارســة صلواتهــم وعباداتهم الأخرى. وهناك وثائق كثيرة تذكر فقر الحيــاة العلمية والتعليمية ، مع أنه كان يوجد بعض القراء والمتعلمين الذين يعلمون الناس بعض شرائع الدين (ابن جريس) .

(٣) سورة الذاريات ، آية ٥٥ . (اب معبِّر) .

حال إرادته سياق الحالة العامة لأهل الجنوب كمسلمين يحرصون على أداء العبادات.

٤ـ قرآن الفجر: قال المؤلف: (بعد صلاة الفجر يتجه رجال الجنوب وخاصة كبار السن فيهم إلى نوافذهم للبحث عن ضوء النهار بعد أن يتناولوا مصاحفهم التي يتم المحافظة عليها في الرفوف الخاصة بها وقد تم تغليفها بالجلد حتى تتم حمايتها من التلف . يبدأ أولئك الرجال بقراءة القرآن الكريم بأصوات جهورية وكأن أصواتهم دوي النحل ، وأنت تسمع البيوت معظم البيوت في الجنوب تقرأ وتجود وترتل القرآن ترتيلاً . القرى الجنوبية في كل صبح تبدأ نهارها بالصلاة والقرآن الكريم والدعاء والاستغفار والتوبة والشكر والحمد . تهلل وتكبر وتحمد الله وتدعو للناس وللحيوان وللأرض وللعالم كله بالخير والرحمة من الله [**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**] (سورة الإسراء ، الآية ٧٨) . إنهم يؤمنون بالله ويتعبدونه بقراءة القرآن في الفجر ، ويتوقعون الأجر من الله . وهم بقراءة القرآن ينشدون الفلاح في الدنيا والآخرة . القراءة الجهرية كانت بهدف إسماع الناس القرآن ، وإسماع الحيوانات والكائنات ، بل وإسماع الأرض والجن وكل المخلوقات ، حيث يقول تعالى :[**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا(٢)**] (سورة الجن ، الآيتان١ ،٢) . حتى الطيور في الجنوب تزقزق وتغرد، وتزقر وكأنها تصدح بالدعاء . وكذا الغنم والماعز والبقر والحمير وكل الدواب والكائنات في الجنوب تبتهج بالصباح. بل إن الناس تشعر أن كل المخلوقات تكبّر وتهلل وتحمد هي الأخرى [**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)**] (سورة الإسراء ، الآية ٤٤) . فالديك في الجنوب هو أول من يرفع الأذان في وسط الطيور والحيوانات في القرية ، بل إنه يرافق أصوات المؤذنين ورجال القرية وهم ينادون للصلاة في الفجر ، والبعض منهم يقولون وهم في طرقهم إلى المساجد ((الصلاة الصلاة يا عباد الله)) .إنه الجنوب المؤمن الذي يفخر بسلامة العقيدة ونقاء المعتقد . حتى الشجر ، وهو يتنفس ، يشعر الكل بطهارته وعطره وهو ينشره في الحياة ليطيب الجميع ، ويملأ الحياة برائحته الزكية وبصلاته ودعائه وتسبيحه . الكل هناك في ذلك المكان يصلي ويتطهر ويعبد الله . الكل هناك لهم حياة لا تشبهها أي حياة فيما سواها . هناك يجتمع الإنسان والأرض والسماء والحيوان والنبات والماء وكل الكائنات حتى الوحوش في عبادة الله . أهل الجنوب لا يعرفون إلا الله في السماء ولا يوجد عندهم أي بدع ولا شركيات ولا خرافات

ولا قبور ولا أئمة . فطريون غير متمذهبين وحياتهم لا تسمح لهم بالغلو والتطرف . لأنهم مجتمـع متكافئ يشتركون في الحقوق والواجبات . يعرفون الواجبات الدينية تمام المعرفة ويلتزمـون بهـا ويؤدونها على خير وجه . حتى وهم يأكلـون ويشربون لا يأكلون من أجل أن يشبعـوا ، ولذلـك لا سمنـة فيهم ، فهم مثل نمـور وغزلان تلك الجبـال العالية ، ولكنهم يأكلون من أجل أن يعيشوا أصحاء أقوياء ويصبحوا قادرين على العمل والعبادة)[١] .

قلت : لا يخلو ما كتبه المؤلف تحت عنوان (قرآن الفجر) من المبالغة والمثالية ، ولا يخلو أيضاً من المصداقية ، فهناك من يقرأ القرآن بعد الفجر ، ولكنها ليست قراءة عامة في معظم البيوت . وقول المؤلف : (القراءة الجهرية كانت بهدف إسْمَاع الناس ... وكل المخلوقـات) فكيف تَسَنَّى له استطلاع هذا الهدف في جميع أنحاء الجنوب[٢] . ولا محلّ لاستشهاده بآيتين من سورة الجن . ثم نقرأ للمؤلف قوله : (أهل الجنوب لا يعرفون إلاّ اللّه ...) . هذا (النَّفْي المطلق) لا يتوافق مع الواقع بشكل دقيق ، فالبدع، والشِّركيات، والخرافـات ، والقبوريات ، والاستعانـة بالسحرة والمشعوذين ، والحلف بغير اللّه ، كانت منتشرة في جميع أرجاء الجنوب . ونَفْيُ التَّمذهب في الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) لا تقوم به حجة عند المؤلف ، فهو يرسل الكلام إرسالاً ، فالجنوب لا يختلف عن العـالم الإسلامي من حيث التمذهب بمذهـب مُعَيّن ، إضافة إلى وجود الفرَق الباطنية ، والطُّرق الصّوفية[٣] . والمؤلف - نفسه - يذكر في صفحة (٣٠٦) مذهب الشَافعي كمذهب لأهل الجنوب . ويدل هذا التناقض على عدم دقة المؤلف في أحكامه ، وأنّه لا يكلف نفسه عنـاء البحـث ، ويكتفي بمجـرد كتابة ما يخطر لـه . ويقول المؤلف عـن أهل الجنوب: (يعرفون الواجبات الدينية تمام المعرفة ويلتزمون بها ويؤدونها على خير وجه) . ولا أدري كيـف تمكن المؤلف مـن استقصاء أحوال أهـل الجنوب في عباداتهم ، ثـم يصدر حكماً عامـاً لا يستثني منهم أحداً . فهناك البعض - وهم قلّة - لا يعرفون الصلاة والصوم، وإنْ عرفـوا ذلك قاموا به علـى نَقْص .وقول المؤلف (الواجبـات الدينية) تعبير خاطئ عن (العبادات) ، فحياة المسلم حسب الشريعة تنقسم إلى عبادات، ومعاملات .

---

(١) صـ٢٣ . (ابـن معبِّر) . نعم يا دكتور علي هذه الحياة القديمـة عند الآباء والأجداد كانت جميلة بكل معانيها ، بـل كانـوا يسعـون إلى الفضيلة في أقوالهـم وأفعالهم ، واليوم مازال الناس في خـير ، لكن أمراضهم زادت في شتى الميادين . (ابن جريس) .

(٢) أعتقد أن ابن موسى يقصد الفضيلة والخيرية كانت عامة بين الناس ، وأنا متأكد أنه يدرك أن المجتمع لا يخلو من المقصرين ، لكنه قال ذلك لحبه وإعجابه بحياة الأوائل من أهل الجنوب (ابن جريس) .

(٣) الفرق الباطنية وغيرها من التيارات في جنوبي البلاد السعودية من الموضوعات التي لم تدرس ونأمل من أقسام التاريخ والشريعة في جامعات الجنوب دراسة مثل هذه المواضيع المهمة (ابن جريس) .

٥ـ القـروع[1]: وجبـة الإفطار، وتُنطق بفتح القاف أو ضمها .وتقال أيضاً: القُرَاعة .قـال المؤلـف: (إشعال النار في الموقد أو الميفى أو الموسـم أو التَّنُّور، وجميعها مواقد). قلت: حبذا لو حذف كلمة (الموقد) واكتفى بتعريفها في قوله (وجميعها مواقد). وقد عُـرف الميفـى منذ العصر العباسي، وورد ذكر التنور في القـرآن . أما المُوَسَّم فلا أعلم تاريخـه واشتقاقـه، إلاّ أنهم يضبطونـه بضم الميم وفتح الواو وفتـح السين مع الشَّدَّة . ويغلب عليهم ـ في عسير ـ تأنيث التَّنُّور ويُضاف إلى (المَلَهَب) كاسم للمطبخ (المِسْقَف) وسمي بالمسقف لأنه يكون في أعلى المنـزل، وسقفه أعلى السقوف[2] .

٦ـ الاستعـداد للعمل[3]: تحـدّث المؤلف عن (السَّفَـالي وهي الغرف التي في الدور الأرضي، المُعَدَّة لمبيت الماشية ومفردها: سفْلِي، وسفْل، والفصيح ضم السين . ويضاف إلى السَّفالي كلمة مُرَادفة هي (الرِّيشَة) وجمعها: رِيَش .

٧ـ الحَوْش أو الزَّريبـة[4]: الحَوْش: فناء المنـزل، ويقال لـه أيضاً: (الحَوي) أو (الحَصـير) .الزَّريبة: مـكان للمواشي يُسوّر بالشجيرات أو الحطب، ويقال له أيضاً: الزَّرْبَة، والزَّرْبَة أكثر دوراناً على الألسنة . والقُرَاش، بضم القاف، جمع: قَارِشَة .

٨ـ الثَّـور[5]: قـال المؤلف: (ويتم خرص الثور في أذنـه حيث يوضع له رباط بحيث يتـم اقتيـاده بأذنه) . قلت: الذي أعرفه هو خَزْم الثور، وذلـك بثقب أنفه لا أذنه[6]. وقال المؤلف: (لقد كان المزارعون يخلعون أحذيتهم ويضعونها في أطراف المزارع مثلما يخلعونهـا حين يدخلون منازلهـم ومساجدهم تقديراً واحترامـاً وتقديساً لها) .قلت: يغلـب عليهم عـدم لبس الحذاء، فجميع الطرق المؤديـة إلى المزارع خالية من الحصى والأشـواك ونحـو ذلك، وكما يقال: مِثْـل الكفّ [7]. وليس خلعهـم لأحذيتهم للتقدير أو الاحترام أو التقديس، وإنّما يخشون من الضرر الذي قد يلحق بالأحذية، ولا سيما إذا كان طين المزرعة مُبْتَلاًّ .

---

(١) ص٢٨ . (ابن معبِّر) .

(٢) حبـذا أن نـرى الأستاذ ابن معبِّر أو غيره فيدرسوا المفردات المحلية لأدوات الطعام والشراب ،واللباس والزينة، والزراعة، والتجارة، والحرف والصناعات التقليدية، والتعليم وغيرها . (ابن جريس) .

(٣) ص٢٩ . (ابن معبِّر) .

(٤) ص٣٠ . (ابن معبِّر) .

(٥) ص ٣٢ . (ابن معبِّر) .

(٦) الغالـب أنـه يخزم الثـور في أذنه، وهذا ما شاهدته منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) في سروات غامد وزهران ورجال الحجر وما جاورها . ولم أشهد في تلك النواحي من يخزم الثور أو غيره في الأنف .(ابن جريس) .

(٧) هذا الكلام مبالغ فيه، وإنما الطرقات مليئة بالأحجار والأتربة وغيرها .(ابن جريس) .

٩ـ الرِّجَال : قال المؤلف: (ينطلق المُزَارع إلى مزرعته إما ليحرث أو ليسقي أو يطوف البلاد ، بمعنى يتفقدها ويلقي عليها النظر أو يطرد الطيور أو الحيوانات من المزارع)[(١)] .
البلاَد: جمع لا واحد له، والمراد بها المزارع وتسمى الواحدة: (عَاسَ) أو (رَكِيب) أو (حَبَل) أو (غُفَار) أو (جِزْعة)[(٢)] .

١٠ـ النساء : قال المؤلف: (ثم يتجه البعض الآخر منهنّ إما للحطب من الجبال، ومن ((الأصدار)) وهي بطون الجبال العالية)[(٣)] .لو قال: للاحْتطَاب، فهي أَدَقّ . أما تعريفه للأَصْدَار ببطون الجبال العالية، فهذا يخالف الواقع ، فالأصدار ومفردها ((صَدْر)) تعني الأماكن القريبة من أعلى الجبال ، ويمتد الصَّدر منْ أعلى الجبل إلى نحو (٥٠٠م) في اتجاه النُّزُول ، وبطون الجبال ما بين الأصدار وأسافل الجبال[(٤)] .

١١ـ الظهيرة ، وأذان الظهر: وضع المؤلف (الظهيرة)[(٥)] كعنوان تحدث فيه بنحو (١٣) سطراً ، ثم أتبعه بعنوان آخر هو (أذان الظهر) . فليته جمعهما تحت عنوان واحد.

١٢ـ العَشِيَّة : ذكرها المؤلف بأنها العودة إلى ممارسة الأعمال بعد الزوال[(٦)] .
قلت: ما ذكره عن وقت العودة بأنه بعد الزوال نتفق عليه ، أما (العَشِيّة) فهي بعد العصر . وبعضهم يسمي هذه العودة إلى الأعمال (النَّشْرَة) بالفتح أو الضم أو الكسر للنون مع التشديد ؛ فيقال: نَشَرَ فلان ، أي ذهب إلى عمله ـ أيّاً كان ـ منذ وقت الزوال إلى العصر. وهي غير (البُرْهَةَ) التي تكون في الصباح .

١٣ـ الحِمية للمَزَارِع[(٧)] : قال المؤلف : (تبدأ السنابل والعذوق في الظهور ، وتبدأ معها مرحلة أخرى هي مرحلة (الحمية) للزرع . أو مراقبة المزارع من الطيور والحيوانات، وأحياناً من بعض المارة ممن يهيمون بين القرى والذين قد يعتدون على المزارع ليلاً .

---

(١) ص ٤٦ . (ابن معبِّر) .

(٢) المصطلحات اللغوية المحلية في عموم جنوبي البلاد السعودية منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى العقود الأولى من هذا القرن جديرة بالبحث والدراسة . حبذا أن نرى أحد أساتذة اللغة في جامعة الملك خالد فيعكف على دراستها (ابن جريس) .

(٣) ص ٤٨ . (ابن معبِّر) .

(٤) الذي عرفه الناس أن الأصدار هي السفوح الغربية لجبال السروات ، وما ذكره ابن معبِّر أيضاً صحيح . (ابن جريس).

(٥) ص ٥٢ . (ابن معبِّر) .

(٦) ص٥٥ . (ابن معبِّر) .

(٧) أشكر الدكتور ابن موسى على هذا الرصد الذي عرفناه في أيام شبابنا مع أهلنا وأقاربنا . ومثل هذه المعلومات انقرضت، ولم نعد نراها تمارس، وأبنائنا وأحفادنا لا يعرفون عنها أي شيء والواجب على الباحثين أن يحفظوا مثل هذا التراث ، ومازال هناك الشيء الكثير الذي لم يدون وسوف يضيع إذا لم يُسجل ويُحفظ. (ابن جريس).

فيتم بناء (عشة) للوقاية من الشمس والمطر ، وتكون مقراً للحامي ، وهي غالباً من العيدان ، ومن الأشجار الصغيرة ، وتغطى بالشجر والحشائش ، وقد تهدم بنهاية الموسم ، ليتم بناء أخرى في الموسم القادم . وفي الليل يوجد من يراقب المزارع أحياناً ، أما في النهار فيكون في المزرعة من يحميها ، ويستخدم أدوات عدة منها (الخيال) وهو على شكل هيكل لإنسان ، عبارة عن ثوب توضع بداخله عيدان وكأنه رجل واقف لإخافة الطيور . وأيضاً يتم استخدام (المرجمة) وهي عبارة عن كف محبوك من صناعة المزارع وتوضع فيها الحجارة ولها طرفان طويلان ويقوم الحامي للزرع بلف المرجمة وفيها الحجر فوق رأسه ثم يفلت أحد أطرافها لينطلق الحجر باتجاه الطيور أو الحيوانات التي قد تأتي على الزروع . وأحياناً يستخدم الحامي للزرع (المفقاع) ، وهو عبارة عن حبال صغيرة من القماش مضفورة ، وفي طرفها مثل (الفتيلة) المفكوكة ، وفي الطرف الآخر للضفيرة خشبة أو عصا صغيرة للمسك باليد. ويديرها الحامي حول رأسه بسرعة عدة مرات ثم يعكسها بسرعة لتعطي صوتاً مدوياً كأنه إطلاق رصاص من بندقية لطرد الطيور)[١] . أمّا (السنابل) فهي تختص بنبات البُرّ – أي القمح – ، والشَّعير .وهو يريد (بالعذوق) ثمر نبات الذُّرة، وهو ما يسمى في بعض جهات عسير (المَطْو) .ويضاف إلى اسم (الخَيَال) تسمية أخرى شائعة ، هي (تهْيَابَة) . وللمِرْجَمة اسم آخر هو: (المِيضَافَة) . وللمِفْقَاع اسم آخر هو: (المِخْرَاق)[٢] .

١٤ـ الجرن والدوس[٣]**:** قال المؤلف: (ويتم نقل الزَّرْع أيضاً حسب الكمية إمّا بالجمال أو الحمير وغالباً تقوم النساء بحمل الزَّرع إلى الجرن) . قلت: الزَّرْع لا يُنقل ، فالزّرع اسم للأرض المحاطة بسور، يقال: زَرْعُ كذا ، وقد يعنون بذلك الأرض والنبات معاً. أما الذي يُنقل فهو (النَّبَات) أو (المَحْصُول) من بُرٍّ أو ذُرَة أو شعير .والنساء يُشاركن في نقل النبات من الزَّرْع إلى الجرين ، ويمكن ترتيب نَقَلَة النبات هكذا : الحمير ، ثم الجِمَال ، ثم الرجال والنساء والأطفال ، وتتقدم الجِمَال على الجميع إذا كان المحصول من الذُّرَة لطول سيقان الذُّرَة . ثم قال المؤلف: (وتُسَمَّى هذه العملية : الدّويسة) . قلت: الأشهر: الدَّويس[٤] .

---

(١) ص٦٨. (ابن معبِّر) .

(٢) كان على الأستاذ ابن معبِّر إضافة بعض التعليقات التفصيلية على ما أورده ابن موسى في السطور السابقة . (ابن جريس) .

(٣) ص ٧٠ . (ابن معبِّر) .

(٤) أكرر شكري لابن موسى ، وآمل أن يواصل بعض دراساته في موروث الآباء والأجداد في منطقة عسير وما حولها. (ابن جريس) .

١٥ـ الذراة [(١)]**:** تضبط الكلمة هكذا: الذِّرَاة. ويقال أيضاً الذِّرَّى .قال المؤلف عن الكَسَّابة: (وقد تَجمّع كثير من النّاس الذين يأتون من مناطق بعيدة، ولا توجد لديهم مزارع، ويسمون ((متكسبين)) أو كسابة) .قلت: (الكَسَّابَة) الكلمة الشائعة ، ومفردها (كَسَّاب) . ويحدث خلال استلامهم الحبوب التَّنَافس الشديد بين الكَسّابة ، ويتضجرون حين يزيد عددهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى نقص الكمية لكل واحد منهم، ولذلك جرى المثل (الكَسَّاب غَمَّة الكَسَّاب) وأصبح يقال للمتنافسين على الشيء أيّاً كان[(٢)] .

١٦ـ الصناعة : قال المؤلف:(والحزام تحتزم به المرأة ويسمى أحياناً رشرش، وهو عبارة عن حزام غالباً من الفضة)[(٣)].قلت الذي يسمي (الرَّشرش) هو القلادة ذات الطبقات من الذهب ، ويُعَلّق في الرقبة ، ويَنْسَدِل على صدر المرأة .

١٧ـ الرَّعْي :قال المؤلف: (رعي الأغنام يُسَمّى ((المسرح)) والسارح هو الرَّاعي، والرعي من أهم الأعمال في القرى الجنوبية ، ويعدُّ الرَّعْي بالغنم والضأن وجميع المواشي من جمال وأبقار وحمير من أهم الوظائف التي يقوم بها أهل القرى الجنوبية)[(٤)] . قلت: الرَّعْي هو الاسم العام لعملية إخراج المواشي إلى المراعي ، ويطلق على القائم بذلك (الرَّاعي) وهذا هو الأصل اللغوي المعروف، وقد تستعار لفظة (الرّاعي) فتطلق على ربُّ الأسرة ، والحاكم ، والمتعهد للشيء بالحفظ والرعاية .أما (سَرَح) فهي بمعنى خرج لأداء أيّ عمل ، ومن هذه الأعمال (رَعْي المواشي) . أما (المَسْرَح) فتطلق على عملية الخروج بالمواشي إلى أماكن الرَّعي ، أو على الخروج لأداء أيّ عمل أو السفر، كما تُطلق على الأرض الفضاء ، سواء كان بها مرعى أم غير ذلك .ولفظة (السَّارح) لا تختص بالرّاعي فحسب ، بل تشمل كل من يخرج لأداء عمل ، أو مجرد الخروج فقط. والمؤلف يجمع بين الغنم والضأن ، ويكفيه إيراد الفظة (الغنم) فهي تشمل الضأن والمَعِز . وأورد المؤلف (الجمال، والأبقار ، والحمير) كمواشٍ يتم إخراجها إلى المراعي.

---

(١) ص٧٢ . (ابن معبِّر) .

(٢) كنا نشاهد هؤلاء الكسابة الذين يأتون من شرق السروات أو من تهامة ، وأحياناً من بعض البلاد والقرى المتجاورة في منطقة عسير وما حولها . (ابن جريس) .

(٣) ص ٧٨ . (ابن معبِّر) وهذا الحزام تلبسه النساء في المناسبات مثل الزواج والأعياد وغيرها ، أما أوقات العمل فإنهن يلبسن حزاماً من القماش أو حبال المرخ . (ابن جريس) .

(٤) ص ٨١ . (ابن معبِّر) ومهنة الرعي من المهن الرئيسية في جنوبي البلاد السعودية ، ويستحق هذا الموضوع أن يدرس في بحوث وكتب ورسائل عديدة. للمزيد انظر ،غيثان بن جريس. <u>عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)</u> (جدة: دار البلاد ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ١٢١ وما بعدها . (ابن جريس) .

أمـا الجمـال والبقر فلا يتم إخراجها إلى المراعـي إلاّ إذا كانت كثيرة العدد ، ولا سيما الجمـال عند أهـل البادية ، والبقر في تهامة . أمّا المعـروف في منطقة عسير السَّرَوِيَّة ، فإنّـه يتم إطعام الجمال والبقر عن طريـق (التَّلْقيم) حيث تؤخذ أعواد نبات (الذُّرة) ويكسـر العـود الواحد إلى عدة أجزاء ، ويصل طول الجزء إلى ما بين (٢٠ – ٢٥سم) ، ثـم تؤخـذ بضعة أعواد ويُلَفُّ عليهـا شيئ من البرسيم (القَضْب) ثـم يُدْفَعُ بها إلى فم الجمـل أو الثـور[١] . كما يتم وضع بعض التِّبْن أو البرسيم في مذاود (جمع مِذْود) فتأكل منها الجمال والبقر وغيرها. عندما يريدون زيادة إدْرَار البقر للحليب ، فإنهم يصنعون لهـا (الرِّوَاكَة) وهي خليط بقايا (العصيدة) والخبز ، ويضاف إليهما الماء والملح[٢] . أمـا الحمير فلا يتم إخراجها إلى المراعي ، وإنما تأكل ما تجده من أعشاب في القرية ، أو ما يحضّر لها في المذاود مثل بقية المواشي .

١٨ـ الاستقاء : قـال المؤلـف : (ثـم يوضـع ((الشنق)) وهو عبـارة عن حزام مصنـوع من سعف النخل، وكل امرأة لديها شنقان تضـع ظهرها على القربة ثم تدخل يدهـا في الشنـف من اليمين ثم الشنق من اليسار ، وتهـم بحمل القربة ، وهناك أماكن تستريـح فيها النساء وقوفاً والقرب على ظهورهـن ، ولكنهن يسنـدن ظهورهن وقوفاً ويسمـى: المنتسـم)[٣] . قلت: التَّسْميـة المعروفة (الشِّناق) وهي مـن شَنَقَ الشيء ، إذا رَفَعَـه وعَلّقـه . وتَشَنَّقت المرأة القِرْبـة ، إذا عَلَّقَتْهَا على ظهرهـا بالشِّنَاقين . والشِّنَاق : رباط دائري الشكل ، طول دائرته (١٤٠) سم تقريباً ، وعرضه في نحو (٨) سم تقريباً ، يصنـع من السعف ، وإطاره من الجلـد أو القماش. أما صفة استعماله ، فيكون بوضع القِرْبـة علـى مكان مرتفع بجوار نبع الماء بعد ملئها بالماء وربط فمها ، ثم بوضع الشِّنَاق الأَول مما يلي طرف القرية ، ويوضع الثاني مما يلي الطرف الآخر منها ، أي أن الشِّنَاق

(١) هناك أناس يرسلون أبقارهم وجمالهم إلى بعض الأحمية القريبة منهم ، أو إلى بعض البوادي أو مناطق الأصدار، ويتابعـون سيرهـا كل عدة أيام وهذا ما عرفته وشاهدته في بلاد رجال الحجر وبعض بلاد السراة من النماص إلى الباحة خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) . (ابن جريس) .

(٢) مـن علـى صفحات هـذا الكتاب (القـول المكتوب في تاريخ الجنـوب) أشكـر الأخوين الكريمـين الدكتور علي ابـن عبـد الله بن موسى ، والأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر علـى تدوين مثل هذه المعلومات التي تعكس صورة حضاريـة من حياة الآباء والأجـداد ، وأقول لهما ولغيرهما من الباحثين الجاديـن اجتهدوا واعملوا على حفظ موروثنـا التاريخـي والحضـاري وبخاصـة مـا عرفتمـوه ومارستمـوه مـع آبائكـم وأجدادكـم ، والله الموفق . (ابن جريس).

(٣) صـ٩٠ . (ابـن معبِّر) هـذا ما عرفته منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، بل نحـن عندما كنا شباباً مارسنا حمل المياه على ظهورنا ، وهناك من كان يحمل مياه الشرب والسقيا على الحمير . (ابن جريس) .

يبعـد عـن طرف القرية بنحـو (١٥ إلى ٢٠) سم، ثم تقوم المـرأة بالاستدارة ، وتجعل ظهرها على القربة ، والقربة في الوضع الأفقي ، ثم تدخل يدها اليمنى في الشِّنَاق لتعلقه علـى كتفها ، ومثل ذلك لليسـرى ، ثم تنهض بالقربة، وهذه العمليـة تؤدي إلى تخفيف الحمْـل ، وتساعـد على السير به لمسافـات طويلة . وإذا تعبت المـرأة لجأت إلى صخرة ونحَوهـا ، وأسندت حملهـا إلى هذه الصخرة لبرهة من الوقت لتستريح أو تَنَّتَسم . وفي اللغة:(النَّسَمُ والنَّسَمَة : نَفَسُ الروح ، وما بها نَسَمَة أي نَفَس . وتَنَسَّم : تَنَفَّس)[1] .

١٩ـ الخبـز: قـال المؤلف: (عندما يحين موعد الخبـز لأي وجبة كانت المرأة تتجه إلى (الميفـى) التنور الذي توقد فيه النـار ، وتجهزه للخبز ولإعداد الطعام . حيث تقوم بوضع الحطب في الميفى ، وقد تستخدم الجمر في إشعال النار وخاصة أن عيدان الثقاب أو الكبريـت لم تكن متوفـرة ، بل كان النـاس يتبادلون نقل الجمـر من منـزل إلى آخر . وأحيانـاً تستخدم الحجـارة في إشعال النار . وبينما النار تشتعـل في الميفى تتجه المرأة إلى أخـذ الكمية المطلوبة من الدقيق وتبدأ (بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم بارك لنا فيمـا أعطيـت) ، ثم تضعه في إناء من الخشب ، وتبـدأ في سكب الماء على الدقيق رويداً رويـداً حتى تشكل العجينة ، ثم تقوم بدعكهـا بيدها وعجنها مرات ومرات حتى تصبح جاهـزة للتقطيـع . عندها يتم قطـع العجينة إلى عدة قطع متساويـة ، ثم تقوم بفردها لتأخـذ شـكل قرص . تعود المرأة للميفى الذي يكون قـد أصبح حاراً بما فيه الكفاية. ثم تقوم بنقل النار إلى خارج الميفى لاستخدامها لاحقاً ، يلي ذلك تنظيف الميفى ، ومسحه بقطعة قماش تسمى (لحاحة) للتأكد من خلوه من العجاج الناتج من احتراق الحطب . بعدها تقوم بوضع الأقراص في الميفى واحداً بعد الآخر حتى ينتهي قرص الخبز . تتأكد من أن الخبز قد التصق بالميفى ، وأنه لن يسقط لتبدأ مهمة أخرى، هي إعداد القهوة. تأخـذ المـرأة النار المتوفـرة من الميفى وتضعهـا في (الصلل) الذي يجتمـع حوله جميع أفراد الأسرة في مكان هو عبارة عن جلسة العائلة . تضع الدلة في النار حتى تغلي المياه في داخلهـا ، وتكون قد أعدت القهوة ، أو تكون القهوة معدة سابقاً، حيث يتم (حمسها) في النـار ، ثم بعـد ذلك يتم طحنها في (الهاون أو المهراسـ) ، ويتم دقها حتى تصبح دقيقـة وجاهـزة لوضعها في الدلة المصنوعة من النحاس ، ويتـم إضافة بعض الحوائج كمـا يسمونهـا في الجنوب على القهوة مثل النخوة والزنجبيـل ـ الحوار ـ والهيل إن توفر وغـيره من الأشياء التـي تضيف مذاقاً خاصـاً على القهوة . وبعـد أن تصبح الأقراص

---

(١) لسان العرب (نسم) . (ابن معبِّر) .

جاهزة يتم ((قشطها)) من الميفى ووضعها في آنية مصنوعة من سعف النخيل تسمى (المنسف) أو (المشهفة) لتبريدها أيضاً لتحضيرها لم يأكل ، أو استعداداً لوضعها في (الجونة) ، وهي عبارة عن إناء مصنوع من سعف النخيل ، وتكون له فوهة كبيرة يغطى بغطاء على شكل قبعة . وهذه الجونة بأحجام مختلفة)[١]. (الميفَى) أو (الميفا) من الألفاظ المعروفة في العهد العباسي ، وقد شرح المؤلف لفظة (الميفى) بلفظة (التَّنُّور) والغالب في منطقة عسير تأنيث التَّنُّور الذي يوجد في (المسْقَف) أو (الملْهب) وكلاهما اسم للمطبخ ، ويكون في المطبخ مجموعة من التَّنَانير الثابتة في جانب من المطبخ .أمّا التَّنُّور المنفصل الذي يمكن نقله من مكان إلى آخر ، فيغلب عليه التَّذكير ، ويُسَمَّى أيضاً (الميفى). وليس كُلّ امرأة تنطق بالدعاء (بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم بارك لنا فيما أعطيت) فالغالب قولها (بسم الله) فحسب . وتُسَمَّى (اللِّحَاحَة) أيضاً : مَلَحَّة. ويُسَمّى (الهاون أو المهراس) : مُفْرَاز ، وتُسَمّى اليد التي يُدَقُّ بها : وَدِي .ويُسمَّى ما يُضاف على القهوة من نخوة وزنجبيل ونحوهما : حُوَاجة . أما شكل غطاء (الجُونَة) فهو على الشكل المخروطي ، وليس على شكل القُبّعة .

٢٠ـ الأطعمة : قال المؤلف:(أما العصيدة) فهي دائماً حاضرة في الغداء وفي العشاء. وخاصة مع اللبن ومع المرق . وهي عبارة عن دقيق يخلط بالماء الساخن ، ويعصد في الإناء فوق النار حتى يصبح جاهزاً للأكل . ويتم تحضيرها أيضاً مع السمن ومع العسل ، ومع اللبن والمرق حيث يفتجي من يأكل العصيدة . والافتجاء يعني أن يقطع جزءاً من العصيدة ويقوم بتكويرها بين أصابعه الثلاثة (الإبهام ، والسبابة ، والوسطى) ، ثم يضع إصبعه الإبهام في وسط العصيدة المكورة ، ويكوّن بها حفرة في النصف ليملأها بالمرق ، أو اللبن ثم يأكلها)[٢]. قلت : أخذوا الإفْتجَاء من (الفَجْوَة) ، لأن الآكل يقوم بعد تكوير القطعة من العَصيدة بعمل فَجْوَة فيها . وهناك لفظة أخرى لها نفس الدلالة ، وهي (الفَقْوة) ، وهي قطعة من العَصيد يُكَوِّرها الآكل في يده ، ثم يُدْخل إبهامه فيها لتُصْبح مُقَوَّرة ، أو مُجَوَّفة ، ثم يغمسها في المَرَق ، فيمتلئ جوف الفَقْوة ،

(١) ص٩٢ . (ابن معبِّر) . سرد جميل يا دكتور علي ، لكن ليس كل الناس يعدون خبزهم في الميفى ، وإنما هناك من يعمل خبز الملة الذي يدفن تحت الرماد والجمر ، وآخرون وهم كثيرون يعملون أقراص الخبز في الصاج الحديدي الذي يوضع فوق النار ، ويوضع عليه العجين حتى يستوي الوجه الملاصق للصاج ثم يقلب على الوجه الآخر ، وهكذا . (ابن جريس) .

(٢) ص٩٤ . (ابن معبِّر) أشكرك يا ابن موسى على هذا التدوين . وحبذا أن نراك أو غيرك من الأساتذة الباحثين في منطقة عسير فتدرسوا تاريخ الطعام والشراب في هذه البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة، وهذا العنوان من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة . (ابن جريس) .

ويرفعهـا إلى فَمـه .ولعلهم أخذوها من : (الفَقْء : نَقْرٌ في حجر يجتمع فيه الماء . وقيل : هو كالحفرة في وَسط الحَرَّة)[١] .

٢١ـ آداب الطعـام : قال المؤلف : (قوموا قـام حظكم ... وسمّوا بالرحمن .كل أكل وشـرب يذكر اسـم الله عليه قبل أكلـه ، ويحمد الله عليه بعـد الأكل في الجنوب مرات ومرات ، حتى وهم يقضمون الحب ، ويعتلكون البر (القمح) البلدي يسمّون ويدعون الله بالبركـة. هناك نظام متبع في الجنوب عنـد الطعام حيث يقول صاحب البيت للضيفان قومـوا قام حظكم ، ويبدأ الجميع بالغسيل ، وهذا يسمى (الرحوض) أو (الرحاض) ، وهـو عبـارة عن إناء يتم سكب الماء منه على يد من يغسـل يديه ، ويكون هنـاك إناء ثان تسقط فيه المياه الناتجة عن الغسل . وبعد أن ينتهي الجميع من الغسل يبدأون بسم الله الرحمن الرحيم ، وغالباً الكبير هو من يبدأ باسم الله يليه أهل بيته في الأكل ، وإذا كان هنـاك ضيف فيقول لهـم صاحب البيت المضيف وهو يدعوهم لـلأكل سموا بالرحمن . ليبدأ الضيوف بسم الله الرحمن الرحيم ، وأهل الجنوب لا يجلسون مع الضيف تقديراً لـه . ويتركونه وحـده أو وحدهم إن كانوا مجموعة[٢] . وقد يدخـل عليهم صاحب البيت فيقطـع لهم ويجبرهـم على الأكل . وقد درجت العادة في الجنـوب أن الضيوف أيضاً لا يأكلـون بشراهـة ويقومون عندما يقوم كبيرهم الذي قـدر متى يقومون من على الأكل . وطبعاً يراعى في ذلك وجود آخرين يمكن أن يلحقوا بتلك المائدة ، ويأكلوا منها . أو توزع على بعض من يرون لهم حقوقاً سواء من أهل القرية أو غيرهم . وبعض الضيوف يقوم بعدما (يدنونه) أهل المنـزل على الضيفة أو المائدة ، ومعنى يدنونه يجلسونه على المائدة. وعندمـا يغلق البـاب على الضيف يأخذ بعض الطعام ويعزلـه جانباً لأهل البيت خاصة إذا كان معـه مجموعـة ، والوجبة من اللحم . ومن هذه الآداب أن يحمد الله الناس بعد الأكل ، فعندمـا يعزمهم صاحب البيت على الأكل يقولون الحمد لله ، أكلنا ، الله يغنيكم بغناتـه ، ويكرمكم بطاعتـه . شيء طيب والله ما (وديناه) يعني مـا استحينا من الأكل (أي أننا أكلنا كفايتنا منه) ، بينما النواميس تقضي باحترام الموائد ، وبالتالي يصاحب تلـك الموائد الدعـاء والشكر لله على نعمه[٣] . ثم يتم الغسل مرة ثانية حيث يكون هناك

(١) اللسان (فقأ) . (ابن معبِّر) كما أشكرك يا ابن معبر ، وأرجو أن تدرس المفردات الخاصة بالطعام والشراب ثم تذكر أصولها في مصادر اللغة العربية . (ابن جريس) .

(٢) ليس في كل أنحاء الجنوب ، وإنما في مناطق دون أخرى . (ابن جريس) .

(٣) تلـك عادات جميلـة عاشها الآباء والأجـداد ، واليوم مازال بعضهـا لكنها ليست بالجمـال والمعنى الذي عرفه الأوائـل . ونحـن في أمسـ الحاجـة إلى إنجاز بحوث مقارنـة تبين حياة الأوائـل والمتأخريـن في آداب الطعام والشراب، وكذلك أنواع الأشربة والأطعمة القديمة والحديثة . (ابن جريس) .

مـن يسكب الماء بيد على من يغسل ويتلقى بإناء آخر الماء الناتج عن الغسل . تلي المائدة الرئيسية القهوة والشاي . وأحياناً الحقنة ، وهي اللبن الذي يقدم اليوم . أما ما يتبقى من الطعام فيوزع بطرق مختلفة حسب المائدة وكبرها ومحتواها ، فاللحم مثلاً يختلف عن موائد البر والسمن والعسل ، وقد يوزع على الجماعة الحاضرين فيما يسمى (النصد) فلا يأكل الرجل وحده ، وإنما يحمل نصيبه معه إلى بيته لتشاركه الأسرة في ذلك)[١].

قلت : لا غبار على كلام المؤلف بشكل عام، إلاّ أن هذه الآداب لا تسري على الجنوب كافة، فأغلبها في نطاق منطقة عسير على أبعد مدى . فالرَّحوض والرحاض ليس لهما من الشُّيوع والسَّيْرُورَة مثل (الغَسُول) الواسعة النِّطَاق. أما عادة عدم الجلوس مع الضَّيْف عند الأكل ، فهي عادة محدودة في بعض الجهات ، بل نجد قرية تلتزم هذه العادة ، بينما نجد قرية مجاورة لها لا تتقيد بهذه العادة .وكلمة (الحقنة) غير منتشرة ، وأشهر منها كلمة (الحَقِينَة) ولا سيما في بلاد بلقرن.وكلمة (اللبن) أوسع انتشاراً في كثير من جهات عسير .أما (النَّصَد) فيؤكل أثناء الوليمة ، ثم يُقَام إلى العصيد والمرق، ولكنّ البعض -ولا سيما الفقراء- يُؤثرون أولادهم على أنفسهم ، فلا يأكلون اللحم (النَّصَد) ويذهبون به إلى منازلهم[٢].

٢٢- إدارة القرى : قال المؤلف: (الجنوب عبارة عن قبائل كثيرة قد تجتمع تحت لواء واحد ينظم علاقتها من زمن لآخر ، وكل قبيلة لها شيخ شمل ، وتتبع لها مجموعة من القرى ، ولكل قرية نائب (عريفة) ينسق أمورها ، وهو مسؤول مباشر لدى شيخ الشمل . وكل قرية مكونة من أسرة أو فخذ ولها ممثل في كبار الجماعة أو رؤوس الجماعة أو أعيانها ممن يتخذ القرارات في القرية، ويعد كل ممثل للأسرة ضمن أعيان القرية حسب عدد الأسر ، فمثلاً يقال ، فلان سابع سبعة في جماعته ، يعني أنه واحد من السبعة الممثلين لسبع أسر تقطن القرية . ويختار ممثل الأسرة لكبر سنه أو مكانته في الأسرة . والأسرة هي المكون الأساسي لتنظيم القرية والقبيلة. ويتم اختيار النائب في القرية بناء على مشاورات واتفاق أو إجماع وتوافق بين أهل القرية على من يمثلهم ، ويكون مسؤولاً أمامهم وأمام شيخ القبيلة الذي يعد أعلى سلطة في القبيلة . وفي عجز أو وفاة النائب يمكن أن يرشح ابنه أو أحد أقاربه أو يتم انتقال النوابة إلى

(١) ص ٩٦. (ابن معبِّر) . هذه عادة تعكس روح التعاون والرحمة والألفة والود الذي كان يعيشه الأوائل مع أفراد أسرهم ومع جيرانهم ومن يعيش معهم . (ابن جريس) .

(٢) أسماء الأدوات وغيرها من المصطلحات تختلف من عشيرة إلى أخرى، ومن تهامة إلى السراة . وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في رسالة علمية. (ابن جريس) .

أسـرة أخـرى بالتوافق والتشاور . ويجري على شيـخ القبيلة ما يجري على النائب حيث يعد النواب وأعيان القرى هم من يسهم في ترشيح شيخ القبيلة عند فراغ هذا المنصب، ويكـون الترشيح حسب إجماع وتوافق النواب وأعيـان القبيلة على الشيخ الجديد. ويتم التشـاور بـين أعيان القـرى لاختيـار الشيخ ممن تتوافـر فيه سمات القيـادة والحكمة والصبر والشجاعة والكرم والعـدل وغيرها من الخصال الحميدة. وشيوخ القبائل هم من بأيديهم الحـل والربط واتخاذ الكثير من القرارات العامة بالتشاور مع النواب ومع أعيـان القـرى . حيث يعود نواب القرى إلى شيوخ قبائلهـم بما يجمع عليه أعيان القرى في أي رأي أو مشورة . وقد يلتقي شيوخ القبائل في حلف وتعاون وتكتل ضد أي مداهمات خارجية أو أطماع محيطة بهم . أما القرارات على مستوى القرى فتتم بين سكان القرية أنفسهـم بشـكل شورى في أي أمـر كان. وغالباً يتم التشـاور في المسجد الذي يعد مركز القريـة ، وأحيانـاً في بيـوت النواب في القرى حسـب المواضيع والقضايـا وحسب درجة حساسيتهـا وسريتها . وقـد يعقد الاجتماع في مناطق محايدة خـارج القرى، خصوصاً إذا نشب خلاف بين أفراد القرية أو بين القرى الأخرى المجاورة. وهذا الجو المفتوح من الشـورى والشراكة في اتخاذ القرار يؤسس للعدالة والمسـاواة والصدق ويحمي المجتمع مـن الاستغلال والاستبـداد والفساد . وحتى يسود الأمن والاستقـرار بين الناس تدخل القبائـل في كفالـة مع قبائل أخرى تكون هي الضامنة لعدم تكـرار الأحداث ، أو لمنع أي ثـأر أو نقض لما تم الاتفاق عليه . وتتم المكاتبة في هذا الشأن بين جميع الأطراف بوثائق تبـين الصلح ، وتبين الحقوق والواجبات على جميع الأطراف . وتُسمّى هذه المخطوطات قواعـد ، ويتم توقيعها مـن معظم الحضور والمشاركين . وشيوخ القبائل والنواب هم من يتلقى جميع المعلومات عن أوضاع الناس ، وهم من ينظم حياتهم وأيضاً هم من يقومون بتوجيههـم . ولا يخرج الناس عن إجماعهم علـى الكثير من القضايا، وخاصة القضايا العامة التي تستدعي مشاركة الجميع ، ومنها المشاركة في الحروب التي تنشب أحياناً مع الغـزاة للجنوب ، وتتواصل القبائل وتتحامـى فيما بينها مع وجود بعض الخروقات التي تتم بينها عبر تاريخهم الطويل من الحياة المشتركة)[١] .

---

(١) ص ٩٨. (ابـن معـبِّر) . طـرح جيـد يا ابـن موسـى ، وحياة أهـل الجنـوب السعودي تـدور في فلـك القبائل والعشائـر ، وشيـوخ القبائل كانوا أصحاب الحل والعقد وبخاصة في الماضي ، ومازال لهم دور مؤثر تحت مظلة الدولة السعودية الحديثة. وهنـاك آلاف الوثائق غير المنشورة التي تفصل الحديث عن تاريخ القبائل الجنوبية ، أوضاعهـا الإداريـة والسياسية ، تركيبتها الاجتماعية والاقتصادية ، حياتـه الثقافية ، وصلاتها ببعضها ، كما يوجد هناك الكثير من الوثائق التي تعكس صراعاتها الحربية ، وعلاقاتها بالإمارات والحكومات التي ظهرت في المنطقة منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الحاضر. وهذا الجانب كبير في معلوماته وتفصيلاته ويحتاج إلى دراسات في عشرات الكتب والبحوث العلمية . (ابن جريس) .

قلت: رسم المؤلف صورة مثالية لشيوخ القبائل ونُوَّابَهُم ، وكأنَّ عملية اختيار الشيخ تتم دون معارضة أو خلاف ، وهي صورة تخالف الواقع في كثير من الحالات .وقد بدأ حديثه بقوله: (الجنوب عبارة عن قبائل كثيرة قد تجتمع تحت لواء واحد ...) .فإن كان يعني بالجنوب مناطق (الباحة ، وجازان ، وعسير ، ونجران) فقد أبعد النُّجْعَة، فلم يحصل في عصور التاريخ أن اجتمعت قبائل هذه الناطق تحت لواء واحد ، إلاّ تحت لواء الدولة الإسلامية في بعض عصورها ، أو لواء الدولة السعودية[1]. أما إذا أراد بالجنوب منطقة عسير ، فهي كذلك لم تجتمع تحت لواء واحد ، إلاّ ما سبق ذكره عن المناطق الأربع . قد يحصل التحالف بين قبيلتين ، أو بضع قبائل على أبعد مدى . ومن المستحيل اتحاد قبائل الجنوب في المناطق الأربع تحت لواء واحد ، من خلال اتفاق شيوخ القبائل ، أي من دون وجود دولة غالبة على هذه المناطق ، ومن أهم العوامل المانعة: التباعد الجغرافي ، والاختلاف القبلي الناشئ من التباعد الجغرافي ، وعدم وجود المُسَوّغ الفعلي لهذا الاجتماع ، وعدم إمكانية جمع عشرات القبائل تحت لواء واحد[2]. أما قول المؤلف : (ويتم التشاور بين أعيان القرى لاختيار الشيخ ...) فإن الصفات التي سردها لا تتوافر كلها في شخص واحد إلاّ نادراً ، فكم من شيخ يُعَدُّ مَضْرِب المثل في البُخْل ، أو الظُّلم ، أو الرُّعُونة .فهناك المؤثرات التي تؤثر في اختيار الشيخ ، ومنها - غالباً - المصالح ، أو قوة وهيبة الشيخ، أو قدرته على توجيه التَّيَّار لمصلحته ، أو لما يُقدّمه من أعطيات وهبات ، ونحو ذلك .[3] ولا أعني بكلامي هذا التعميم المُطْلَق، فهناك الكثير من المشايخ وصلوا إلى منصب المشيخة عن طريق الجدارة والاستحقاق .

---

(١) تاريخ هذه البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة مازال غامضاً، والمؤكد أن القبيلة كانت هي المهيمنة في بلادها ، وربما يوجد بعض التحالفات بين القبائل في بعض النواحي.(ابن جريس).

(٢) من فضائل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) أنه استطاع أن يوحد شتات هذه القبائل تحت لواء دولة عصرية حديثة ، وفي حوزتنا مئات الوثائق التي تعكس معاناة هذا الملك العربي حتى نجح في توحيد شتات القبائل في الجنوب وغيرها تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسوله) ، وتحت علم دولة (المملكة العربية السعودية) .(ابن جريس).

(٣) نمتلك عشرات الوثائق التي تعكس صراع بعض الشيوخ على منصب المشيخة ، ومن هذه المصادر أيضاً ما يوضح الظلم والجبروت الذي كان يمارسه بعض شيوخ القبائل على أقوامهم ومن يتولى رعايتهم ، بل أحياناً كان معه أشخاص يطلق عليهم في بعض العشائر (الثمانية) أو (العشرة) ، وهم ثمانية أو عشرة أشخاص من المقربين إلى الشيخ ، وهم الذين يسيرون أمر قبائلهم بالتآزر والتكاتف مع شيخ القبيلة ، وأحياناً يصدر منهم ظلم وجور في أحكامهم على بعض أفراد القبيلة وبخاصة من يعارضهم أو يبين سلبياتهم . ومثل هذه الحالات شاهدتها في بعض عشائر رجال الحجر وما حولها خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م. (ابن جريس).

٢٣ـ الجيرة والرفقة : قال المؤلف : (يأتي الفرد من القرى والقبائل الأخرى فيطلب رفقة أهل قرى أخرى ، وتتم الموافقة له بالرفق بعد التشاور ، ويصبح بعدها رفيقاً ، ويذبح شاة الرفق ويدعو جميع أهل القرية التي سوف ينتسب إليها ، ويسمى نزل لأنه نزل بينهم . كما يأتي البعض للعمل مع أهل القرى سواء في المزارع أو لرعي الأغنام ، ويسمى بالجار . وقد تتحول الجيرة إلى رفق مع الوقت الطويل . ويصبح الجار من بين أهل القرية، ويجري عليه ما يجري عليهم من الحقوق والواجبات . وقد يعطى أرضاً ليصلحها ويحولها إلى مزرعة . وبعضهم يبدأ في شراء المزارع والأراضي من أهل القرية ويسمى هذا بالفيد)[١] . قلت : هذا هو الواقع الذي كان سائداً ، إلاّ أنَّ هناك مُسمّىً آخر للرَّفَق ، وهو (الغُرْم) بمعنى التحالف على الخير والشّر ، ويقوم المُغَارم بذبح (شاة الغُرْم) .

٢٤ـ بيوت الجنوب : قال المؤلف : (بيوت الجنوب متجاورة بل متلاصقة ببعضها البعض إلى درجة أن بيوتهم كأنها بيت واحد)[٢] . وقال أيضاً : (وهناك نماذج مختلفة من البيوت في الجنوب أهمها المبنية من الحجر ، ومن الحجر والطين ، ومن الطين فقط . وتمتاز بيوت الجنوب بالرقف وهو استخدام الحجارة المسطحة لحماية البيوت من الأمطار ، ومن تسللها إلى الداخل. ويتم صف الرقف جنب بعضها . ويحيط الرقف بالجدران الخارجية للبيوت الطين على شكل صفوف الواحدة فوق الأخرى)[٣] . قلت: يورد المؤلف – كثيراً – كلمة (الجنوب) ثم يتحدث عن بعض جهات منطقة عسير .

---

(١) ص١١٢.(ابن معبِّر) .أقول يا دكتور علي إن طرحك لهذه المعلومات جيد ، واعلم أنك عملت ما لم يعمله أصحاب التخصص من المؤرخين أو الباحثين . وأقول أيضاً أنك تملك حساً تاريخياً جيداً ، فأرجو أن لا تحرم طلابك وإخوانك من العمل في تدوين وحفظ موروث أهلك من أهل الجنوب ، وسوف يذكرك أبناؤهم وأحفادهم بخير لأنك حفظت جزءاً من تاريخ وحضارة أجدادهم .(ابن جريس).

(٢) ص ١١٤ . (ابن معبِّر) .

(٣) ص١١٥. (ابن معبِّر). تاريخ العمارة في عسير وما حولها من الموضوعات التي لم تدرس بشكل علمي أكاديمي، والذاهب في أرجاء منطقة عسير أو الجنوب السعودي ، ثم الرجوع لبعض المصادر والوثائق والرواة يعرف أن المنطقة عرفت أنماطاً عديدة من العمارة بل إنها متنوعة في مواد بنائها وأشكالها واستخداماتها . ونأمل من أقسام التاريخ في جامعات عسير ، ونجران ، والباحة ، وجازان أن تولي ميدان العمارة أهمية في خططها البحثية، وأن تفتح المراكز العلمية التي تحفظ موروث هذه البلاد والعمارة من الموروثات الحضارية الجديرة بالبحث والدراسة . للمزيد انظر: غيثان بن جريس ، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ) ، ص ٣٧-٥٨ . للمؤلف نفسه "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية) . مجلة المنهل. العدد (٥٧١) . المجلد (٦١) . العام (٦٦) شوال- ذو القعدة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ص ٢٦-٤٩ . ونشر هذا البحث أيضاً في كتاب لابن جريس عنوانه : بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ص ٣٣-٧٦ .

فقولـه : (بيوت الجنـوب متجاورة بل متلاصقة ...) لا يتوافـق مع كل مناطق الجنوب (الباحـة ، جازان ، عسير ، نجران) فليست كل بيوتها متلاصقة، حتى منطقة عسير ، هناك البيوت المنفردة عن غيرها ، ونرى ذلك في قرى بلاد شهران في محافظة خميس مشيـط ومراكزهـا ، وفي نجران ، والباحـة ، وجازان[1]. وقول المؤلـف أيضاً : (وتمتاز بيـوت الجنوب بالرَّقـف ...) والمؤلف يعرف تمـام المعرفة أن الرَّقـف لا يستعمل إلاّ في أماكن محدودة في منطقة عسير ، ونرى ذلك في مدينة أبها ، وقرى الشعف ، والواديين، وشعف جارمة ، ولا نراه في بلاد شهران .ثم يسترسل المؤلف في وصف عملية البناء التي تتوافـق مـع أساليب البنـاء في بعض جهات منطقة عسير ، وليـس كل الجنوب في جميع التفاصيل .

٢٥ـ النظافـة واللبس: قـال المؤلـف : (أهل الجنوب يتزينون رجـالاً ونساءً صغاراً وكبـاراً. وكان الرجـال يحلقون رؤوسهم ويتنظفـون بشكل مستمـر)[2].قلت : ليس كل الرجال يحلقون رؤوسهم ، إذ الأصل إرسال شعر الرأس ، وإعفاء اللحية ، ولا زال بعض أهل تهامة على عادتهم في إرسال شعر رؤوسهم .وقد ارتبط حلق شعر الرأس مع ظهور الغُـتْرة والطَّاقِيَّـة بعد سنة (١٣٥٠هـ) تقريباً ، ثم أصبـح الحَلْقُ مطلباً أساسياً لطلاب المدارس[3].

٢٦ـ الحجـاب: قـال المؤلف: (ارتبطت عفة المرأة وحشمتهـا وكرامتها في الجنوب بعفـة الرجـال وحشمتهم وشرفهم وكرامتهـم وحياتهم وترفعهم ، وعلـى تلك الأخلاق تربـى الجميـع ذكـوراً وإناثـاً . والمرأة محجبـة في الجنـوب ، لا تتنقب مـن الأجنبي أو الأجنـاب فهي تتحـدث بثقة في النفس ، وتـرد على من يسلم بالسـلام ، وتأخذ مسافة

---

(١) القـرى القديمـة تستحق دراسة علميـة ، وكثير منها اندثرت ، خلال جولاتي في مناطـق الجنوب وبخاصة بلاد السراة وأجزاء من تهامة لاحظت أن منازل القرى متلاصقة، ولا يفصل بينها إلا أزقة صغيرة . (ابن جريس).

(٢) ص١٢٨. (ابن معبِّر) اللباس والزينة من الموضوعات التاريخية الحضارية الجديرة بالدراسة في عموم المناطق الجنوبيـة وبخاصـة ألبسة وزينة الأوائل حتى العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، والتي مازلنا نشاهد بعضاً منهـا في المتاحـف المحليـة في بلـدان الجنـوب، أو بعضـ كبار السـن مازالوا يلبسـون شيئاً منهـا ، وفي بعض الأسواق الشعبية تعرض بعضها للبيع والشراء . (ابن جريس) .

(٣) إن عمـل دراسـة مقارنة عـن اللباس والزينة قديماً وحديثـاً من الموضوعات القيمة التـي تستحق دراسة علمية أكاديميـة . وللمزيـد عـن أنـواع الألبسـة والزينـة . انظـر: غيثان بـن جريـس ، عسـير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ص ٦٥ـ ٧٤. وهنـاك موضوعـات أخـرى درسـت هـذا المحور منشـورة في بعض أجـزاء (القـول المكتوب في تاريخ الجنوب) . وهناك عشرات البحوث غير المنشورة والموجودة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . للمزيـد انظـر: كتـاب محمد بن معـبِّر ، دليل البحـوث الجامعية في مكتبـة الدكتور غيثان بن جريسـ العلمية. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) . (ابن جريس).

كافيــة بينها وبين الآخرين . وهـي تجالس الأرحام مــن الأقارب والجيران وأهل القرية. وقــد تبــادر إلى دعــوة الشخصــ الذي تلقــاه في الطريــق أو عند منـزلها لمجــرد الكرم والضيافــة ونواميس القرية التي تعتبر الضيافة جــزءاً أساسياً من نواميسها . ولا ينكر عليهــا أحــد الضيافة للضيــف. وهي ليست بمعزل عــن أسرتها وأهــل قريتها ، فعندما يأتــي الغريــب وتعزمــه في غياب أو بعد الرجال عــن بيتها ، وخاصة عندمــا يبادر عابر السبيــل بالســلام والســؤال عن شخصــ أو بيت وترد المــرأة عليه ، فقــد تدعوه حسب تقييمها السريع له إن كان يستحق الدعوة لكبر سنه ومقامه ، وقد يكون قاصداً أهل بيتها، عندهــا تبادر بالدعوة وتقول لــه (امرق) يعني ادخل أو تفضل ثم تتجه لبعض رجال القرية لدعوتهــم للجلوس مع الضيــف إذا وافق على الدعــوة، وخاصة إذا كان لــه غرض من أهل بيتها. ويأتي الرجال من أهل القرية لمجالسته والتحدث معه ، وهي تحقق بهذا عدة مواقف، فهــي ترحــب بالضيــف ، وليست في خلوة معــه ، وأيضاً تعــبر عن قيم القريــة وتقاليدها في صيانــة سمعة أفرادها. ويكون هــؤلاء الرجال في انتظار صاحب المنــزل حتى يصل ويرحب بالضيــف ، ويشكر رفيقــه من قريته على مؤانستــه للضيف والجلوس معــه[1]. إنها نواميس القريــة الرفيعة والمترفعة عن الحساسيات التي تربــط الرجل بالمرأة . ترسل المرأة لصاحب البيــت تعلمــه بوجود ضيف في المنــزل سواء كان في مزرعتــه أو في أي عمل آخــر . وقد يحضر ومعــه ضيف آخــر . وصاحب البيت يرحب ويسأل المرأة عن الضيف، فإذا عرفه وقد لا تعرفه هــي أو تسمع عنــه، وكان عزيزاً على صاحــب البيت وله واجــب الضيافة الكبرى، وهي الذبــح ، يبــادر بالذبح له قبــل الدخول عليه والترحيــب به. وغالباً يفاجئــه برمي ساق ((كــراع)) الذبيحة أمامه حتــى لا يحلف أو يرفض الضيفة. وبعدها يأخذ منه العلوم أو الــردودة، وهي عبارة عــن خطبة أو كلمة يتحدث فيها الضيف عــن سبب زيارته وما يحمله من أخبار .

(١) نعم هذه عاداتٍ وتقاليد عشناها ورأيناها في قرانا وبلداتنا . وحياة الناس آنذاك كانت تفرض على الناس (نساءً ورجالاً) أن يعملوا سويا ، وليس هناك فصل بين الرجال والنساء . وإذا أعدنا ذلك إلى قواعد الشرع فإنها لا تخلو من التجاوزات . ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) انتشر الوعي والدعوة بين الناس ، وصارت النساء يحتجبن عن الرجال الأجانب . وأقــول إن كليــة الشريعة التي تم افتتاحها في أبها عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) كان لها فضل في نشر الوعي الديني بين الناس ، إلى جانب الندوات والمحاضرات وغيرها التي كانت تقام في المساجد وأماكن التجمعات في المناسبات والأسواق وغيرها. والمــدة الزمنية الممتدة من عــام (١٣٩٠-١٤١٠هـ/١٩٧٠-١٩٩٠م) من الفترات التي يجــب دراستها تاريخيا وحضاريا في منطقة عسير وعموم المنطقة الجنوبية ، لأن تلك الفترة جرى فيها من التغيرات الإيجابية والسلبية الشيء الكثير وأنادي طلابنــا في برامــج الدراسات العليا في جامعــات الجنوب السعودي أن لا يتركوا هذه الحقبــة من الحفظ والتدوين ، والله الموفق .(ابن جريس).

تتوالى التراحيب وتكون المرأة قد باشرت مهامها في إكرام الضيف ، فتحضر النار والقهوة ، وقد يتولى الرجال من أهل القرية صب القهوة للضيف . وقد تكون هناك ترتيبات أخرى بعد وصول صاحب المنزل ، الذي قد يطلب للضيف نوعاً معيناً من الطعام حسب أهميته ودعوة أهل القرية للحضور والمشاركة في تكريم الضيف . وأهل القرية كرماء بطبعهم فحضورهم ليس للأكل فهم يتركون أعمالهم وبيوتهم ويستجيبون للداعي لرغبتهم الصادقة في دعوة الضيف والحلف عليه بأيمان عظيمة وغليظة وهم يعبرون عن صدقهم أن يتقبل دعوتهم تقديراً لرفيقهم وضيفه ، وتعبيراً عن أخلاق الكرم والضيافة لديهم . وبعض الرجال المبالغ في الضيافة يحلف بيمين غير محبب ولكنه آخر ما لديه من الحلفان لتمرير دعوته وطلبه ، فيطلق من رأس زوجته أن يوافق ضيفه على دعوته . وعندها يسلم الضيف بالأمر الواقع مهما كانت الظروف ، وإلا فسوف يفقد الرجل امرأته بحماقة الضيف الرافض للدعوة ، وحماقة الزوج بالحلفان بالطلاق . وغالباً فإن الرجال يقدرون هذا الحلفان بأعز ما عند الرجل وهي زوجته. نعم يبالغ أهل الجنوب في كرمهم وضيافتهم للقريب والبعيد ، ولكنهم جبلوا على حب الضيف وإكرامه . وهؤلاء الناس يألفون الناس ثقة في أنفسهم، وتمسكاً بقيمهم وشيمهم وعاداتهم وتقاليدهم . ولهذا عندما يجد الرجل نفسه في بيته وقد حان وقت وجبة أو أعد له قهوة أن يخرج من نافذة منزله ليدعو من يراه من المارة أو من جيرانه لمشاركته في قهوته ووجبته . أناس تربوا على الكرم وعلى الإيثار وعلى الشراكة مع الآخرين ، وتقاسم المصالح وأحياناً المكاره ، إذ يدخلون في مساندة جيرانهم وأقاربهم ورفاقهم في أي مشكلة قد يواجهونها)[1] . قلت: لفظة (الحجاب) غير مناسبة لما جاء تحتها من كلام ، فالأولى أن يكون العنوان : (استقبال المرأة للضيوف) أو (المرأة والضيوف) . كما أنَّ كلامه يوحي بعموم هذا الفعل في جميع أرجاء الجنوب بمناطقه الأربع ، وهذا لا يستقيم مع الأعراف العربية أصلاً . ويجب التفصيل حيال ذلك ، فهل كل امرأة صغيرة أم كبيرة تستقبل الرجال أو الرجل؟ .والجواب خلاف ذلك ؛ لأنَّ القرية قبل وجود الوظائف الحكومية والمدارس لا تخلو بيوتها وطرقاتها من الرجال والشباب والأطفال والنساء ، فإن حصل مرور غريب – أو غرباء – على القرية، وصادف مروره وجود

---

(١) ص١٣٣. (ابن معبِّر) . نعم إن التقارب والتكافل والتعاون بين الناس قديماً من الصفات الحميدة التي مارسها الناس . واليوم ضعفت وانعدم بعضها عندما زاد الخير في أيدي الأسر والأفراد . ودراسة هذه الجوانب دراسة مقارنة من الموضوعات المهمة التي يجب على أساتذة علوم التاريخ والاجتماع دراستها . ونقول لأقسام التاريخ والحضارة في جامعاتنا الجنوبية وجهوا طالباتكم وطلابكم إلى دراسة مثل هذه الموضوعات الجديرة . (ابن جريس).

امرأة، فإنّه يسألها عن فلان ، أو فلان ، فإن كانت امرأة صغيرة وجميلة، فإنها ستدني لثامها على وجهها حين تراه ، ثم تجيبه عن سؤاله ، وربما وجهت إليه دعوة الضيافة، وهما في قارعة الطريق ، وكما قلت آنفاً بعدم خلو طرقات القرية من الرجال أو الشباب، فإن المرأة ستجد من تدعوه ـ من أهلها وجيرانها ـ لاستقبال الضيف ، ومرافقته للدخول إلى المنزل[1] . ويُضاف إلى ذلك أن المنزل يعجّ بأسرة الرجل ، سواء من إخوانه وعائلاتهم ، أو من أولاده البنين وعائلاتهم ، أي أنَّ المرأة إذا دعت الضيف أو الضيوف، فإنها تعلم بوجود غيرها من النساء والرجال في المنزل . أما المرأة الكبيرة – العجوز – فحالها كحال المرأة الصغيرة ، إلاّ أنّ منهن من اشتهرت بمجابهة الحياة، بسبب انقطاع أقاربها من الرجال ، فهي تقوم ببعض أعمال الرجال ، ومنها استقبال الضيوف، ثم دعوة بعض رجال القرية للجلوس معهم ، وتقوم هي بإعداد الشراب والطعام .أمّا أن يدخل الضيف أو الضيوف في بيت ، وليس معهم إلاّ امرأة صغيرة وجميلة ، فهذا ما تأباه الأعراف والشيم العربية الأصيلة، كما يعزّ على الشيطان أن يترك شيمته في حضور هذه الدعوة. وإذا نظرنا إلى قول المؤلف: (ارتبطت عفة... حتى ... وهي تجالس الأرحام من الأقارب والجيران وأهل القرية) وجدنا إيهاماً ومغالطة . فلا معنى لارتباط العفَّة للمرأة بعفَّة الرّجل ، فالرّجل الذي يُجَالس المرأة ، ولا تَتحرّك فيه غريزة الرغبة والاشتهاء ، فإنه يعاني من مرض يمنعه من اكتمال سمات الرُّجولة ، وكذلك المرأة التي لا تتحرك فيها غريزة الرغبة ، فإنها ناقصة الأنوثة [2] . فإذا أضيف إلى ذلك التعاليم الواردة في القرآن والسنة ، فإن الأمر جدير بالاتباع للشرع ، وليس للثقة والعفّة المثالية التي يرسمها المؤلف كحقيقة عامّة وشاملة ، ففي قرى الجنوب الكثير من أولاد الزِّنا ،

---

(١) كلامك يا ابن معبر صحيح وكلام ابن موسى أيضاً صحيح ، الاختلاط كان موجوداً في القرى والبوادي وغيرها ، وكما ذكرت سابقاً ، إن ظروف الحياة هي التي فرضت على الناس هذا النوع من الحياة . ولا أحد ينكر أن المبادئ والقيم الطيبة كانت هي السائدة على حياة الناس لكن اختلاط الرجال بالنساء الذي عرفناه لا يجيزه الشارع الحكيم ، والدليل على ذلك أننا رأينا النساء يلبسن الحجاب ولا يختلطن بالرجال عندما عرفن قول الشرع في ذلك ، وعندما سمعن الدروس والمحاضرات الدينية التي صححت مسار حياة الناس في عباداتهم وممارساتهم العقائدية . وقد شاهدت بعض كبار السن ، عندما رأوا النساء يحتجبن عن الإخوان والأقارب (الأجانب شرعاً) ، كانوا غير راضين بذلك التصرف ، لكن حجة النساء وطلبة العلم الشرعي وغيرهم أن وضحوا لهم أن ذلك لا يجوز، ولم يأت بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا وعموم النساء منفصلات عن الرجال في جميع ميادين الحياة . (ابن جريس).

(٢) أعتقد يا ابن معبِّر أن هذا الأمر الذي ذهبت إليه ليس مقصد ابن موسى ، ونقول إن العفة والنقاء كانا موجودين في ذلك الزمن ، إلا أن الاختلاط آنذاك ليس محموداً من وجهة نظر القرآن والسنة حتى وإن ألف الناس تلك الحياة وعاشوها . وأقول إن تلك الحقب التاريخية جديرة بالدراسة مع توخي رصد الحقيقة ، والإلمام بشتى ظروف الحياة في تلك الأزمنة المنصرمة . (ابن جريس).

ولا يُنكر ذلك إلاّ الجاهل المعاند[(١)]. أما قول المؤلف: (والمرأة محجبة في الجنوب، ولا تتنقب من الأجنبي أو الأجناب) فقول من الأقوال المرسلة دون عناية وتفصيل .فكيف يقول (محجبة) ثم يقول (ولا تتنقب)! وما هي صفة هذا الحجاب؟ وخلاصة القول أنّ استقبال المرأة للضيوف من الأمور المعروفة، ولا أقول في الجنوب كافة، وإنما في بعض جهات عسير التي أعرفها، إلاّ أنّ ذلك وِفْق التفصيل السابق[(٢)].

٢٧ـ الحب والهوى: قال المؤلف: " أهل الجنوب يحبون ويعشقون ويهوون ويتغنون بالحب. ويستخدمونه في كلماتهم وتعابيرهم اليومية، إنه مجتمع يجيش بالعواطف والأحاسيس الصادقة تجاه كل شيء في حياتهم، حتى حبهم لبعض. ولذلك يقول أهل الجنوب لبعضهم ممن يعز عليهم (فداك عيني) وهي للتشجيع، (وخذت ضيمك) وتقال للمريض، وأيضاً الله يطعني عنك، وبروحي عنك، وقبرتني، والله يجعلني فداك، والله يجعل يومي قبل يومك، ومت قبلك، ولا عدمتك، ويجاوب المخاطب فيقول، إلا مجار. وأيضاً يقال لمن يقدم الخدمة لا هنت، فيقول له الآخر ولا تهون، وعندما ينادي الأولاد والبنات يقولون لمن يناديهم لبيك، فيقول من يناديهم، لبيت حاج. وهناك مفردات مليئة بالطاعة وبالتودد لمن يطلب منهم خدمة فيرد الواحد والواحدة بإبشر، وعلى عيني، وعلى خشمي، وأجل همك. وعندما يطلب من أحد أن يحضر للسرعة والضرورة فيقال له، أو للمرسل إليه أن يبلغه بقوله، هب يدك في الماء ولا تجف إلا عندنا[(٣)]. ولكن عندما يحب الإنسان يكون للحياة طعم آخر. لا يخفي أهل الجنوب مشاعرهم ويعبرون عنها بكل صدق ووضوح، وبكل شرف ورفعة وطهر. ولذلك يسمونه الحب العذري أو

---

(١) هذا كلام صحيح، وهو نتيجة للجهل والاختلاط، واليوم في اعتقادي أشد وأدهى من السابق حتى وإن كان هناك حجاب، بل إن مدنية الناس اليوم وجهل المسلمين بدينهم في أنحاء العالم تجعلهم يقعون في كثير من المحرمات مثل الزنا وغيره. (ابن جريس).

(٢) يا محمد بن معبِّر إن ما تكتبه هو تاريخ سوفٍ يقرأ، ومن ثم فالواجب الدقة في السرد والتحليل. وإذا كان ابن موسى أشار إلى صور من التاريخ الاجتماعي في أوطاننا قديما، فالواجب عليه وعليك أن تفصلوا الحديث في هذه القضية مع الإشارة إلى الأسباب التي جعلت النساء لا يغطين وجوههن، ولا ينفصلن عن الرجال الأجانب. والذي رأيته وعرفته منذ بدايات الثمانينات إلى منتصف التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إن معظم سروات وتهامة منطقة عسير يعيشون حياة عامة مختلطة في مزارعهم، وقراهم، ومرعاهم وغيرها، ولا أعتقد أن بقية بلدان تهامة والسراة شذت عن هذا النمط من الحياة. بل ربما عموم سكان الجزيرة العربية. وأقول إن هذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة من قبل الباحثين والمؤرخين وغيرهم. (ابن جريس).

(٣) الحكم والأمثال، والأهازيج، والطرفة وغيرها موجودة ومازالت تمارس بين سكان أهل الجنوب. وهذا الجانب المعرفي لم يدرس، مع أن في هذا الجنوب أكثر من خمس جامعات، وهناك عشرات الباحثين والأساتذة في أقسام اللغة والأدب والبلاغة والتاريخ وعلم الاجتماع وغيرها، وحتى الآن لا نجد دراسات أكاديمية في هذه الموضوعات، ونأمل أن نرى باحثين جادين يتولونها بالدراسة والتحليل. وهذا ابن موسى أستاذ في علم التربية لكنه أفادنا بعض الشيء في هذا الجانب، ونتمنى أن يتوسع في دراسة ما تم طرحه في هذه الجزئية وغيرها من الموضوعات القيمة المنشورة في كتابه. (ابن جريس).

صحبـة نقـى . يعني حب عفيف فيـه المشاعر ، ولكـن أيضاً فيه قيم وكرامـة، وشهامة وغيرة وعفة أهل القرى الذين يحضر معهم العرض والعار والشرهة والمنقود المبنية على الدين. ولهذا لا يتعدى أحد حدوده مهما كانت المشاعر والأحاسيس. ويقابل تلك المشاعر الجياشـة درجـة عالية مـن الانضباط والشعـور بالمسؤولية تجاه النفـس أولاً ، ثم تجاه مقدسـات المجتمع ومنها المرأة. والحب حاجـة بشرية[1] ، فهذا الرسول - ﷺ - يقول: ((**حبب لي من دنياكم الطيب والنساء**)) . وأهم مجال لإبراز المشاعر والتعبير عن الحـب هـو الشعر الذي يقوله أهل القـرى في احتفالاتهـم وفي سمراتهم ، وفي طروقهم وبدوعهـم ونشائدهم التي يتغنون بها وهم يعملـون أو يسرحون أو يصرمون وحتى وهم يمشـون في الطرقات . ولا يعني أن كل النـاس على هذه الحال ، ولكنها ظاهرة مشهورة بـين الناس ، فهـم يتذوقون الشعر ويرحبون بمـا فيه من مشاعر وأحاسيس إنسانية . والحب حاجة بشريـة، وهذا أحد شعراء الجنوب القدامى يصف من يحبها بأنها تشبه بنات الروم .

هـالي مـريـض يـعـلـم الــرب　　　حـالي دقـو الـتـحـزيـن يا محزنينا

مـن حـب صـفـرا كنـهـا مـن بـنـات　　　الـروم من يزرى إمصدامي ولو تلف

وهناك الكثير مما يمكن قوله عن الحب والعشق والهوى في حياة ومفردات وكلمات أهـل الجنوب . وعلى الرغـم من ذلك الكم الهائـل من المشاعـر والأحاسيس الراقية، لا تتـم العلاقة بـين الجنسين إلا من خلال الـزواج الشرعي الذي يحضـره أهل القرى ويشاركـون فيـه. ولذلك يتم الزواج في سن مبكرة جـداً في الجنوب . ولعله من المناسب أيضـاً أن نشـير إلى أن العـار والعيب ليس علـى المرأة كما يتصور البعـض ، ولكن الأب والأسـرة عندهـا غيرة علـى الابن الشاب ، وتخشـى عليه ، ولهذا تحافـظ على شرفها بسرعـة تزويجـه ، وأيضاً بتعليمـه أخلاق ونبل أهـل القرى. وهم بتزويجـه يستجيبون لحاجتـه العاطفيـة مبكراً . والحب ليس هنا فقط بـين الجنسين ، ولكن أساسه هو حب الأهـل ، وخاصة الوالدين ، وأفـراد الأسرة، والأقارب وحب الأرض والطبيعة ، والمزرعة

---

(١) أشكـرك يـا دكتـور على هـذا الطرح ، وكم نحـن في أمسّ الحاجـة إلى تدويـن وتوثيق تلك الأهازيـج والموروث الشعبـي الذي مارسـه الأجداد والجدات والآباء والأمهات . إن حياتهم كانت مليئة بالفنون والأغاني الجميلة ، التـي سمعنـا ورأينا بعضهم يقولها ويتغنى بها في أماكن عدة . أكرر دعوتي إليك يا ابن موسى فتعمل على جمع مثـل هـذه الفنـون ونشرهـا ، ونحن على استعـداد أيضاً علـى نشرها في موسوعـة (القول المكتـوب في تاريخ الجنوب) . (ابن جريس).

والقرية والقبيلة والدين والعادات والشيم التي يعيشونها ويعبرون عن حبهم لها)[١].

قلت : كلام رائع ، وأروع منه الحُبّ والهوى ، وهو ممَّا أودعه الله سبحانه وتعالى في قلوب عباده ، وأهل الجنوب كسواهم من خلق الله تعالى في جميع أنحاء العالم يُحبُّون ويعشقون كما قال المؤلف . ولكنّه تناسى الخطيئة التي قد تحصل مع هذا الحُبّ والهَوى ، ورسم صورة مثالية لا يمكن أنْ تُمَثِّل الواقع بكل دقّة ، فعبارة (صُحْبَة نَقَا) مع إهمال الهمز ، ولا سيما في منطقة عسير ، عبارة سارت لتُخْفي الكثير من الأخطاء ، فمتى تكون صُحْبَة النَّقاء بين فتى وفتاة وهما في عُنْفُوان شبابهما ، وذلك حين تواريهما عن الأنظار .هي عبارة يقولها (الشِّيبان) كما تقول النساء عبارة (مَقْطَعه واحد)[٢] لِصَرْف الرجال عن التَّعَدُّد .أما عبارة (الحب العُذْري) فغير معروفة ولا سائرة في منطقة عسير .وإنْ حصل شيء من الحُبّ العذري – كما يقول المؤلف – فهي في حكم القلَّة .فمجتمع الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) لا يخلو من الخطيئة ، وشَواهدها ظاهرة في النِّتَاج البشري لهذه الخطيئة ، وهذا يناقض قول المؤلف (لا تتم العلاقة بين الجنسين إلاّ مِنْ خلال الزواج الشرعي) فأقَلّ هذه العلاقة (القُبْلَة) التي تسمى في بعض جهات عسير (الحِبَّة) ثم (الفَحْسُ) من فوق الثوب .[٣]

٢٨ـ الزّواج : قال المؤلف : (يتجه الوالد والولد إلى والد البنت أو وليها في بيته مسلمين ثم يختصان به . حيث يفاتح (يرد) أبو الولد لوالد البنت بقوله : ((والله عفاك مثلما تعرف إن ولدي فلان أصبح في سن الزواج ، ونرغب في تزويجه على سنة الله ورسوله ، ولم نجد أكفأ منكم جينا طالبين القرب والنسب ، ونبغى بنتك فلانة لولدنا . وأنتم تعرفون ما نحن عليه من جيرة ورفقة وصلة . هذا في قد علمنا

---

(١) ص ١٦٧. (ابن معبِّر) . كل هذه الموضوعات التي أشرت إليها يا ابن موسى جديرة بالدراسة التفصيلية ، ومن يفعل ذلك فسوف ينقل لأبنائنا وبناتنا في الوقت الحاضر صوراً جميلة ومشرقة في حياة الآباء والأجداد.(ابن جريس) .

(٢) (صحبة نَقَا) و (مقطعه واحد) و (القلوب نظيفة) وغيرها من المصطلحات مازلنا نسمعها عند الرجال والنساء من كبار السن ، بل إنهم يتذكرون أيام شبابهم ، ويثنون على تلك الأيام . بما فيها من الهدوء وسعة البال ونقاء التعايش فيما بينهم . وأنا أتفق مع ابن معبِّر أن ذلك المجتمع أو أي مجتمع لا يخلو من السيء والحسن . وديننا وشريعة القرآن والسنة رسمت صورة واضحة جلية لحياة المسلم الذي يخاف الله ويتقيه.(ابن جريس).

(٣) يا ابن معبِّر هذه ممارسات كنا نشاهدها عند البعض في المزارع وأماكن الرعي وغيرها، ومن ثم فالإسلام أكد على الحجاب، والفصل بين الجنسين من الأمور التي تساعد على نشر الفضيلة والطهر بين الجنسين (ابن جريس).

وسلامتك))[١] .ثـم قـال : (ثم يستمر دخـول النساء وترحيبهم بالعريـس وأبيه)[٢] . قلـت: كلمـة (أصبح في سن الزّواج) غير سائرة في الزّمـن الذي يتحدث عنه المؤلف ، والكلمـة المعروفـة حينذاك وحتى الآن ، هي : (فلان أو فلانة في حَقِّ الزواج) . أما قوله عـن دخول النساء وترحيبهن بالعريس وأبيه ، وعـدم تفصيله في ذلك ، يوهم القارئ ، لأن النسـاء من غير العروس وأمها لا يدخلـن إلاّ إذا كان الأب والعريس من الأقارب ، وليس هذا على إطلاقه. وذكر المؤلف (الحَاديَة) وهـي أم العروس أو إحدى قريباتها التي ترافق العروس إلى بيت الزوج ، فهي تسمَى ـ أيضاً ـ اللَّحَّاقة .

٢٩ـ الحَمْـل : قـال المؤلف : (عندمـا تحمل المرأة تكون هنـاك فرحة كبيرة بغض النظر عن المولود ذكراً كان أم أنثى)[٣] . قلت : المؤلف يُدْرِك أنهم كانوا لا يعرفون جِنس الجنين قَبْل الولادة . ولا يُسَمّى الجنين بالمولود حتى يخرج من بطن أمّه[٤] .

٣٠ـ المـرأة في المجلـس : قال المؤلـف :(المرأة الجنوبية تجالـس الرجال من أفراد أسرتهـا وأقاربهـا وقريتها ، وإذا كان هناك أغراب فهـي لا تجالسهم ، ولكنها لا تتنقب عليهـم . وفي جلستهـا لا تتربع مثـل الرجل فهي تجلـس جلسة الركبـة ونصف (جلسة القرفصاء) تعبيراً عن حشمتها وتأدبها في جلستها ، ولا تمد رجليها في أي مكان إلا إذا كانـت مع صديقاتهـا أو في وحدتها . ولكنها في جلستها تتبـع مستوى عالياً من الحشمة والوقـار . وتتحدث بلباقة وبأدب جم ، ولكنها أيضاً تشارك في الحديث حسب الجلسة ، وحسب من يكون فيها من النـاس سواء كانوا أقارب أو من أهل القرية . وقد يكون هنـاك أجانـب من أهل القرى المجـاورة ولكنهم ليسوا من الأسرة . ولذلك تتحدث معهم المرأة بلغة الحشمة ، وتكون مشاركتها بالسؤال عن الناس وصحتهم ، وخاصة الكبار في السن وإذا سألـت أو أرادت التعقيـب علـى ما يـرد في الجلسة من أحاديث قـد يكون لها فيها وجهة نظر ، فإنها تقوم بذلك ، ولكنها تبتسم وتضحـك ، وتواصـل ضيافتها بالقهوة وما

---

(١) ص١٦٩ . (ابن معبِّر) .

(٢) ص١٧٠ . (ابن معبّر) . وتاريخ الزواج في الماضي من الموضوعات الاجتماعية التي تعكس صوراً من حياة الناس الاجتماعية . وهذا الموضوع يستحق أن يفرد في دراسات عديدة . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ) ، ص ٧٨ ـ ٨٥ . (ابن جريس) .

(٣) ص١٧٢ . (ابن معبِّر) .

(٤) كانـوا يطلقـون علـى الجنين في بطن الأم (الولـد) أو (البزر) أو (المولـود) ، أو (الزقر) وبخاصة في بعض مناطق نجران . وربما هناك مصطلحات أخرى لا نعرفها ، وهذه المصطلحات التي كان يقولها الناس أيام زمان جديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

يتفضل بـه أهل البيت على الجالسين)[١]. قلت : هذا ما يحصل حينذاك ، إلاّ أنّه ليس على الإطلاق ، إذْ ليس كل النساء يُجالسن الرجال بهذه الكيفية ، بل بعضهن ، أما عدم الانتقـاب علـى الأغراب ، فإذا قلنا بعدم معرفتهن للنِّقَاب ، فإنّ أقَلّ ما يفعلنه هو إدْنَاء اللِّثَام حتى الأنف .

٣١ـ الزيـارات النسائية : قال المؤلف: (نساء القرى الجنوبية لا تشبههن أي نساء في الكـون في الكثـير من المزايا التـي يتميزن بها وبخاصـة الشيمـة والتقدير والواجب والتواصـل وغيرهـا من العادات الحميـدة ، فلا يخلو يـوم من زيارة للنسـاء لبعضهن بعض، أو لزيارة شخص ، أو أسرة للقيام بالواجب والعرف في التواصل والتواد بين أهل القـرى)[٢]. ثم يقول : (ولكن أهل القرى يتزاورون وخاصة النساء بشكل كبير . وتكون الزيارات بعد الظهر وبعد العصر . ويلبسن النساء ملابسهن الجميلة ويتطيبن ويذهبن للزيارة . وعندما تصل النساء للبيوت التي يزرنها لأداء الواجب تتحدث إحداهن وغالباً الكبـيرة في السـن وترد الردودة المعتادة وهـي التعريف بسبب الزيـارة وإشعار من يتم زيارتـه بمـا له أو لهـا من الحق والواجب في الزيـارة أياً كان سبب الزيـارة)[٣]. قلت : قـول المؤلـف بأنّ (نساء القرى الجنوبية لا تشبههن أي نساء في الكون) من الإطلاقات التـي لا تصح . فالنساء من اليابـان شرقاً ، حتى فرانسسكو غرباً ، ومن شمال أوروبا ، حتـى جنوب أفريقيا وقارة استراليا ، يتبادلن الزيـارات والهدايا ، وإن حصل التَّمايُز ، فيكون في أساليب وكيفية الزيارات ، وتنوع الهدايا . وأضيف إلى المقطع الثاني ، وخاصة أوقـات الزيارات النسائية ، بـأنّ وقت الصباح يعدّ من أوقات الزيـارات النسائية . أما الرَّدُودَة فليست بشكل دائم ، ولكنها في حالات خاصّة ، ولا سيما إذا كانت الزيارة بسبب الخُطوبة ، أو أي أمر من الأمور مما يحتاج إلى الرَّدُودَة[٤].

٣٢ـ تَعَدُّدُ الزَّوْجَات : قال المؤلف :(المجتمعات القروية لا تسمح بأي علاقة خارج إطار الزواج حتى لغير المتزوجين)[٥]. قلت : هي لا تسمح ، ولكنه يحصل .

---

(١) ص١٧٨ ، الأحاديـث في الجلسات العامـة والخاصة ، وفي ليـالي السمر عند مجتمعات الجنـوب قديماً جميلة وجديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٢) ص١٧٨ . (ابن معبِّر)) .

(٣) ص١٧٩. (ابن معبِّر) .

(٤) الـردودات ومـا يـدور في حـوار اللقـاءات والجلسـات والزيارات عنـد أهل الجنوب مـن الأدب الـذي مارسوه وتنوعوا في قوله . ومثل هذا الميدان المعرفي جدير بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٥) ص١٨٠. (ابن معبِّر) .

٣٣ـ خلاف الزوجين : قال المؤلف : (لم يكن هناك عقد زواج مكتوب وموثق كما هو الحال اليوم، ولكن كان هناك أسلوب شرعي تعارف عليه الناس عبر السنين ، فبعد أن يتم الاتفاق على الزواج وتوضع الشروط بين الزوجين أو العائلتين يحضر المأذون الشرعي أو المملك ويكون هناك شاهدان يحضران ذلك الاتفاق)[١] . قلت: النَّفْي المُطْلق الذي قال به المؤلف في عدم وجود عقد زواج مكتوب لا يمكن القبول به، وعلى الأقل في حواضر الجنوب التي يوجد بها العلماء ، فقد كانت هناك العقود المكتوبة ، ومثال ذلك ما كان يجري من كتابة العقود في (رُجَال ألمع) و (ظهران الجنوب) بمنطقة عسير. وعقود الزواج المكتوبة منتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وشواهدها موجودة في مكتبات العالم ، وفي ثنايا كتب التاريخ والأدب، وكُتب بعض العقود قبل سبعة قرون، والجنوب (الباحة ، جازان عسير ، نجران) من أجزاءِ العالم الإسلامي[٢] . ورُبّما يكون عدم وجود عقود الزواج المكتوبة في جهات منعزلة في بعض مناطق الجنوب . ولو عدنا إلى مقدمة المؤلف (ص١١) فسنجد قوله :(لا يعتمد هذا الكتاب على منهج بحث معين، لكنه سرد من الذاكرة لما شاهدته منذ أن ولدت) إلى قوله: (وقرأته وسمعته من المجتمع عبر السنين ، وما توارثناه من الروايات والقصص) .أي أن النطاق الزمني لما ورد في كتابه (لا يتعدى مئة سنة ، ومع إضافة البعد الجغرافي (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) فإن الجَزْم بعدم وجود عقود زواج مكتوبة لا يمكن القبول به .ومع هذا فالأمر يحتاج إلى بحث عن الوثائق التي تتعلق بالزّواج في منطقة عسير ، أو في مناطق أخرى . ونسأل المؤلف عن دور المأذون الشرعي والشاهدين الذين حضروا الاتفاق ، ولماذا حضروا ؟؟؟[٣] .

---

(١) ص١٨١ ،(ابن معبِّر) . ليتك يا علي موسى متخصص في التاريخ والحضارة لأنك ترصد وتدون معلومات حضارية لم يستطع أصحاب الاختصاص تدوينها وهم كثيرون في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية . (ابن جريس).

(٢) العقود المكتوبة كانت موجودة لكنها قليلة ، ومعظم القرى والبوادي يعقدون أنكحتهم بدون وثائق مدونة. وهذا ما وجدته منذ أربعين عاماً وأنا أجمع الوثائق المختلفة في أبوابها وموضوعاتها ، فلم أجد وثائق كثيرة في هذا الباب وبخاصة إذا رجعنا إلى القرن الثالث عشر الهجري وما قبله ، وحتى العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

(٣) أهل منطقة عسير ، أو أهل تهامة والسراة أصحاب عقائد صافية ، ومسلمون ، لذا فهم حريصون على توفر شروط عقد الأنكحة والمأذون والشهود يجب حضورهم في أي عقد . كذلك إذا قصرنا حديثنا على السبعين أو الثمانين سنة الأخيرة فالعقود المكتوبة موجودة إلى حد ما ، أما قبل هذا التاريخ فإنها تكاد تكون معدومة عند عامة الناس . (ابن جريس) .

٣٤ـ الموت والعزاء: قال المؤلف: (مثل الرجال تحيا المرأة وتموت ، وتقبر في المقابر نفسها ، ويُعزّى فيها . والنساء لهن شخصيات قيادية وهن صاحبات رأي في الأسرة ، وفي قضايا المجتمع ، وقد يتدخلن في تهدئة الكثير من الجبهات التي تنشب بين بعض الأسر ، وحتى القبائل . والمرأة عندما تتزوج من قرية أخرى تعد سفيرة لتلك القرية . ويصبح لتلك المصاهرة والنسب أثر كبير في تحسن العلاقات بين أهل القرى المختلفة ، ودائما يفتخر الولد بأخواله وهم أهل والدته، والنساء يدخلن في بعض القضايا المهمة فيكون لهن تأثير في حل بعض النزاعات أو في التقريب بين الناس ، وعندما تحل كارثة بأهل البيت أو أهل القرية في الوفاة مثلاً ، أو أي ملمة أخرى فإن المرأة تعبر عن حزنها بالبكاء ، وأحياناً بصمتها ، وبعضهن يحاولن أن يصمدن ويبدين رباطة جأش حتى لا ينظر إليهن على أنهن ضعيفات ، ولكن حسب الكارثة التي تلم بهم جميعا . وعندما تتوفى المرأة يبلغ الناس بالوفاة ويبدأ أهل القرية والقرى المجاورة بالذهاب إلى المقبرة، والتي تسمى (المجنة) ويبدأون بحفر القبر حسب طول المرأة وحجمها . وغالبا لا يحتاج الناس لأكثر من أن يتنادوا ويتعالموا بالخير . ليجتمع الجميع في (المجنة) . في الوقت نفسه يتم غسل المرأة من قبل أهل بيتها وخاصة النساء أو من أولادها ، ويتم إعداد الكفن لها)[١].ثم سرد المؤلف : صفة صلاة الميت ، وكيفية القبر في اتجاهه وعمقه ، وكيفية إحضار الجنازة ودفنها ، وصفة العزاء . وكل هذا كلام كثير لا تحصل به الفائدة ، مع تركيز المؤلف على المرأة، وكأنها من كوكب آخر[٢] .

٣٥ـ ألف ليلة وليلة في الجنوب: قال المؤلف :(لقد دخلت الحداثة وأدخلت معها أدواتها التي غيرت مسار الحياة في القرى الجنوبية، وبعدما كان النهار للعمل ، والليل للنوم والراحة ، تغير البرنامج وأصبح السهر وكثير من الأنشطة تتم في الليل ، حتى أن الأسواق تنشط ليلاً أكثر من النهار . وحتى شهر رمضان الذي يعد شهر العبادة والصلاة ، تحول إلى سهر وبرامج مكثفة بعكس النهار الذي لا يعمل فيه الناس إلا الشيء القليل ، وفيه ينامون بكثرة ، هذا التغير في الحياة الليلية في الجنوب كان من نتائج الحداثة ومن التغير الكبير الذي طرأ على المجتمع ، من هنا كانت ألف ليلة وليلة)[٣] .

---

(١) ص ١٨٤. (ابن معبِّر) .

(٢) يا ابن معبِّر لا تحتقر من الأمر شيئاً ، فهذه معلومات تاريخية حضارية تفيد الأجيال القادمة حتى يطلعوا على حياة آبائهم وأجدادهم في دفن الميت وإجراء مراسيم الدفن والعزاء . (ابن جريس) .

(٣) هذا ما عرفنا ونعيشه الآن . أما قول المؤلف (ألف ليلة وليلة) ، فهذا المصطلح في بعض كتب التراث ، ومن يقرأ كتاب (ألف ليلة وليلة) يجد أنه مختلف كثيراً عما أشار إليه الباحث. والمدنية الحديثة هي التي أنتجت هذا الحراك الاجتماعي الذي يعيشه أهل الجنوب ، بل عموم سكان المملكة العربية السعودية ، وهذا مما صدرته لنا العولمة، وللأسف أن هناك عادات وأعرافاً كثيرة يعيشها الناس اليوم ، وهي دخيلة علينا بل أضرارها كبيرة في كثير من أمور حياتنا العامة والخاصة . (ابن جريس) .

قلت : هذا هو مدخل القسم الثاني (نساء بلا حدود) ، سطور تكتب بمداد الذّهب، وكلمات تَتَنَفَّس الحقيقة القاتمة ، وفي ذُرى هذه السطور والكلمات لفظة (الحَدَاثة) ، ولعلّ المؤلف هو أول من أحسن التعبير عن الأدوات والآلات بهذه اللفظة ، ولم يقل (الحضارة) أو (مُتَحضِّر) لأن الحَضَارة تمثل تفاعل الإنسان مع مكتسباته العلمية والفكرية وتوظيفها ، والإفادة من الحضارات الأخرى ، مع المحافظة على العقيدة والقيم الرّاسخة .أما (الحَدَاثة) فتمثل صورة نمطية من التقليد والاستيراد للأدوات والآلات والقيم ، وليس هناك أدنى مجهود في إعمال العقل أو البدن .و (الحداثة) أيضاً : دَاعِية إلى الكسل والخمول ، والسّعي نحو الشهوات.

ولكنّ المؤلف لا يثبت على هذا المفهوم حول (الحداثة) وهو ما نتفق عليه معه فيه، لأن نصّ المؤلف الذي سقته آنفاً يقع خارج الحداثة التي سيعزف المؤلف على أوتارها في بعض صفحات القسم الثاني من كتابه ، ولا سيما في صفحة (٣٢٠) وما بعدها .

٣٦ـ لمحة تاريخية : قال المؤلف : (نظراً لوعورة المنطقة الجنوبية وجبالها العالية فقد كانت محمية من الغزوات والغارات الأجنبية سوى الأتراك الذين نظر إليهم على أنهم امتداد للحكم الإسلامي . كما أن محمد علي باشا دخل عسير ضمن حملته على الدعوة في الدرعية وكافة قبائل العرب الموالية لها ، وقد تصدى له أهالي عسير وأجبروه على عقد الصلح معهم ، ثم عاد الأتراك مرة أخرى ، وقد لقوا المقاومة من المواطنين في مناطق مختلفة، وخاصة في الجنوب ، مما اضطر الحاكم العثماني إلى عقد صلح مع رؤساء تلك القبائل غير أن الأتراك العثمانيين بسطوا نفوذهم في بعض الأماكن ، وأقاموا لهم بعض القلاع . وكانوا لا يختلطون بالمواطنين حتى سقطت الدولة العثمانية ، وخرجوا من بلاد العرب كافة . وقد تعرض الأتراك للكثير من الاستفزازات ومن الهجوم من قبل المواطنين الذين لم يأنسوا بهم بالرغم من محدودية دورهم الذي كان دوراً أمنياً ، فهم لا يتدخلون في حياة الناس إلا عند الضرورة التي تحتم عليهم التدخل . ومن الروايات الكثيرة أن أحد رجال الجنوب ويدعى (ابن سحبة) وقد اشتهر بالسرعة والشعر ، والقدرة على مناكفة الأتراك ، قد قام بمهاجمة مجموعة منهم ، وقتل بعضهم وهرب بأسلحتهم ، وطاردوه حتى علموا بوجوده في إحدى القرى المسماة (وادي البيح) فهجموا على القرية بحثاً عنه ، مما جعل أهل القرية يتبادلون إطلاق النيران مع الأتراك ، بينما تمكن ابن سحبة من الهرب . وقد وثق تلك الحادثة ببيتين من الشعر قال فيها :

يقل ابن سحبه لا سقى وادي البيح　　هـدت على الخيلُ والضابطية

وأنجاني الله من رصاص الكبكلي　　وحطه الله بين علكم والأتراك

ولم يجلب الأتراك للمنطقة أي شيء سوى أنهم كانوا يقبضون على من يطلب من قبل السلطة في اسطنبول ، ويجمعون الزكاة والضرائب من الناس [(١)]. وقد جاء في إحدى الروايات أن أحد رجال قبائل الجنوب قد ألقي القبض عليه من قبل الأتراك ، وبينما هو في طريقه مع الأتراك متجهين به عبر قرى محايل للوصول إلى ميناء البرك على البحر الأحمر لأخذه إلى اسطنبول ، فرح بعض الناس في محايل بأنهم أخذوه وصاروا يصفقون ويضحكون مبتهجين بالقبض عليه . وعندما سأله الأتراك لماذا الناس فرحون بالقبض عليه ؟ قال : ((لي عندهم ديون وفرحوا بأنني لم أعد قادراً على أخذها)) ، فما كان من الأتراك إلا أن أخذوا ما طلبه من أهل محايل ، وصار هذا مثلاً يحكى حيث يقال (تخلوفة ابن أحمد على أهل محايل) [(٢)].لقد تعرضت بعض قرى الجنوب وقبائلها للأطماع من قبل بعض القوى ، والتي ما إن تظهر حتى تسقط أو تغيب . حيث يذكر التاريخ أن الإدريسي حاكم صبيا وهو من أصل مغربي من مراكش جاء لمكة ثم انتقل إلى صبيا ، وتمكن من إقامة حكم محلي فيها ، ثم بعد وفاته جاء أحد أحفاده ، الذي راوده حلم إقامة حكم أوسع فقرر مكاتبة القبائل في الجنوب ، وخاصة في عسير بناء على اتفاق خدع به الدولة العثمانية التي توجست من بسط نفوذه على بعض القبائل . وقد غرر بها حيث بين أنه تحت مظلة الدولة العثمانية، ويرغب في بسط نفوذ العثمانيين على تلك القبائل ، وقد أسهموا في دعمه بمكاتبة شيوخ القبائل ، واستغل ذلك الدعم . فقدم الدعوة لمشايخ عسير، وادعى أنه المهدي المنتظر، وقد قام بخداعهم ببعض التصرفات لإثبات ذلك الادعاء ، ولهذا قبل أولئك الرجال دعوته، وخاصة أنه قد جاء بواسطة الدين الذي يحاول من خلاله كسب أولئك المؤمنين[(٣)]. لهذا كان الدين هو المدخل

---

(١) كلامك يا ابن موسى عام ووصول العثمانيين إلى عسير وإلى جنوب الجزيرة العربية فصلته كثير من الكتب مع ما فيها من خلط وتجن على الدولة العثمانية . نعم كان لهم سلبيات لكن أيضاً لهم إيجابيات لم يذكرها المؤرخون . ومازال هناك كثير من الوثائق غير المنشورة التي تشير إلى صور من تاريخ بني عثمان الإيجابي في الجزيرة العربية بل في عموم البلاد العربية . ومن المؤسف أن المؤرخين المسلمين والعرب بالغوا في ذكر مثالب الدولة العثمانية وتجنوا عليها في كثير من الجوانب ، مع أنهم مسلمون قدموا الشيء الكثير لصالح الإسلام والمسلمين . (ابن جريس) .

(٢) يوجد تناقض في هذا القول ، ففي السطور السابقة ذكرت (ابن سحبة) ، وهنا ذكرت (ابن أحمد) ، فهل هما اسمان لشخص واحد ، أم ماذا ؟ (ابن جريس) .

(٣) أيضاً يا دكتور علي أنت تخلط في تدوين هذه الأقوال ، وكان الواجب عليك أن تتوسع في قراءة أحداث ذلك الزمن الذي تتحدث عنه ، وتطلع أكثر على تاريخ الأدارسة في منطقة جازان منذ ظهورهم حتى نهايتهم. (ابن جريس) .

الدائم لهذه المنطقة وأهلها لما يمثله من أهمية عند الناس ، بحكم عقيدتهم الصافية ، وممارساتهم الدينية المنضبطة . من هنا يمكن القول بأن الجنوب استمر محافظاً على دينه وعقيدته ، وطبيعته الزراعية منذ دخل في الإسلام . وتميز أيضاً بمحافظتهم على قيمه وتقاليده ، وأعرافه وثوابته . وقد كان أهله من أوائل من دخل في الإسلام برغبة من الناس، وليس نتيجة أي حروب أو غزوات ، فالناس فطريون بطبيعتهم[١] . وعندما دخلوا في الإسلام أخذوه ببساطته وأصالته وحافظوا عليه ، وقاموا به على خير وجه . فهم يمتنعون عن حرامه ، ويحللون حلاله ، ويتناصحون فيما بينهم . ولم يخرج أهل المنطقة الجنوبية من مناطقهم إلا للمشاركة في الجهاد والفتوحات الإسلامية ، أو للحج أو طلب العلم وأحياناً يخرج بعضهم بهدف البحث عن سلعة . وخاصة أن هذه المناطق من أغنى المناطق في جزيرة العرب ، وكانت مشهورة بمواردها الزراعية ، والنباتية والحيوانية المتنوعة إضافة إلى المياه الجوفية ، وكثرة الأمطار)[٢] .

قلت : من الأَوْلى أن تكون هذه اللمحة التاريخية في أول الكتاب بعد المقدمة ، مع إضافة الموضوعات التي تلتها وهي (الرسول والأزد) و (علي بن أبي طالب والأزد) و (علاقة السراة بمكة) إلى اللمحة التاريخية ،ومراعاة الترتيب الزمني ابتداء بالعهد النبوي ،ثم العصور الإسلامية على التوالي، إضافة إلى تدوين التواريخ لكل فترة. ونقر أللمؤلف قوله: (من هنا يمكن القول بأن الجنوب استمر ... حتى ... وكثرة الأمطار) وفي هذا القول إطلاقات ومثاليات يحاول إسقاطها على أهل الجنوب . نعم ، لقد دخل بعض أهل الجنوب في الإسلام عن طواعية وانقياد دون حرب . ولكن التاريخ يذكر لنا السَّرايا التي بعثها الرسول ﷺ إلى مناطق الجنوب ، ومن بعده الخلفاء الراشدين- رضي الله عنهم- ففي شمال الجنوب وفي ذي الخلصة التي كانت مقصداً لإحدى السرايا ، وغير بعيد ذهبت سرية إلى بلاد زهران في أرض دوس . ووجه الرسول ﷺ إلى بلاد

---

(١) يا دكتور علي أوشكت أن أحذف هذه الجزئيات التي دونها ابن معبِّر نقلاً من كتابك ، لأنها معلومات سطحية ، وأحياناً غير دقيقة وغير صحيحة. والواجب على أي باحث في التاريخ أن يتثبت من معلوماته قبل تدوينها ونشرها على الناس . (ابن جريس) .

(٢) ص٩١٣. (ابن معبِّر) . ما ذكرت صحيح ، لكنها معلومات عامة، والحقيقة أن مناطق الجنوب مر عليها أحداث ورزايا منذ عصور ما قبل الإسلام ، وعبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث ، نعم إن الدين الإسلامي وصل إليها ودخل أهلها الإسلام ، لكن فيهم من ارتد في حروب الردة ، وشاركوا في أحداث التاريخ المختلفة التي وقعت داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، وهناك سلبيات وإيجابيات مارسها الكثير من سكان هذه البلاد عبر أطوار التاريخ الإسلامي . (ابن جريس) .

الجنوب جيشاً بقيادة صُرد بن عبد الله الأزدي لفتح مدينة جُرَش . وليس عيباً أن يدخل الناس في الإسلام عن طريق الحرب ، فها هي مكة ، وهي أشرف بقاع الأرض ، يقدم إليها الرسول ﷺ غازياً ، فهل يُعاب على أهل مكة ممن أسلم في عام الفتح إسلامهم بالحرب . ويدل ما ورد في موضوع (لمحة تاريخية) أن المؤلف لا يريد التَّعب بالبحث في كتب التاريخ وغيرها ، وإنما يكتفي بما عَلقَ بذاكرته من بعض الإشارات التاريخية ، ويشفعها بالمثاليات [١] . **٣٧. الرسول ﷺ والأزد :** قال المؤلف :(أهل الجنوب هم من الأزد الذين تفرعت منهم بطون وقبائل كثيرة ، وقد حظي دخولهم في الإسلام بأهمية خاصة من رسول الله ـ ﷺ (حيث ذكر أبو نعيم في معرفة الصحابة بسنده قال : سمعت أبا سليمان الدارمي قال حدثني علقمة بن مرثد عن سويد الأزدي قال حدثني أبي عن جدي عن سويد بن الحارث الأزدي قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله فلما دخلنا عليه ، وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ . قلنا : مؤمنون ، فتبسم رسول الله وقال : إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ قلنا: خمس عشرة خصلة ، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن نكره منها شيئاً .فقال رسول الله : ما الخمسة التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها ؟ قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. والبعث بعد الموت .قال : وما الخمسة التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها ؟قلنا : أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله .. ونقيم الصلاة .. ونؤتي الزكاة .. ونصوم رمضان .. ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .فقال : وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء .. والصبر عند البلاء .. والرضى بمُر القضاء .. والصدق في مواطن اللقاء .. وترك الشماتة بالأعداء . فقال الرسول : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء . ثم قال : وأنا أزيدكم خمساً فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون . فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون . فانصرف القوم من عند رسول الله ، وحفظوا وصيته وعملوا بها) . (البداية والنهاية – ابن كثير ٥/ ٩٤) .وعن شعيب بن الحبحاب ، عن

---

(١) نعم يا ابن معبِّر هذا بيت القصيد ، فكلام ابن موسى غير دقيق ومضطرب أحياناً في هذا المحور كان من الأفضل أن لا يكتب عن هذا العنصر فهو مبسوط في كثير من المصادر والمراجع ، أو أنه يدرس حقب التاريخ الإسلامي في هذه البلاد ويوفيها حقها من البحث والدراسة . (ابن جريس) .

أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : (الأزد أسد الله في الأرض ، يريد الناس أن يضعوهم ، ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان ، يقول الرجل : يا ليت أبي كان أزدياً ، يا ليت أمي كانت أزدية) . أخرجه الترمذي (٣٩٣٧) قال : حدثنا عبد القدوس بن محمد العطار ، حدثني عمي صالح بن عبد الكبير بن شعيب بن الحبحاب، حدثني عمي عبد السلام بن شعيب ، عن أبيه ، فذكره .واستمر أهل الجنوب يحافظون على الدين ويمارسون شعائرهم بكل أمانة مثلما وصفهم رسول الله ـ ﷺ حيث لم تدخل عليهم أي مؤثرات لتلوث أفكارهم ومعتقداتهم[١] . وقد وصفهم الرسول ـ ﷺ بالأمانة لما رأى منهم من خصال حميدة. قال رسول الله ـ ﷺ : (مرحبا بالأزد أحسن الناس وجوهاً وأشجعهم قلوباً وأطيبهم أفواهاً وأعظمهم أمانة ، شعاركم يا مبرور) عن ابن عباس. وهناك أحاديث كثيرة لمن يريد المزيد وردت عن رسول الله ـ ﷺ يثني فيها على الأزديين وأخلاقهم الحميدة ودورهم في الفتوحات الإسلامية المختلفة)[٢] . قلت : بدأ المؤلف حديثه بقوله : (أهل الجنوب من الأزد ...) . فإذا أراد المؤلف بأهل الجنوب جميع المناطق الإدارية (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) فإنه يُخالف الحقيقة التاريخية منذ عهد الرسول ﷺ حتى اليوم . فالقبائل الأزدية في الجنوب كما يلي: (١) غامد . (٢) زهران . (٣) رجال الحَجْر (٤) بارق .(٥) رجال ألمع . ويشتمل الجنوب ـ مع الأزد ـ على قبائل كثيرة لا تنتسب إلى الأزد ومنها : (أ) خثعم . (ب)شهران ، وهي من خثعم . (ج) قبيلة عنْز بن وائل، وفروعها : رُفَيْدة ، وأراشة ، وعسير . (د) عبيدة. (هـ) يام (و) بلحارث بن كعب. (ز)بنو شُعبة .(ح) مَذْحج .وغيرهم [٣]. وقد ساق المؤلف ثلاثة أحاديث تتعلق بالأزد، وكأنّه يؤكد على انفراد الأزد بخصيصة ذكرهم في السُّنَّة . ولو نظر المؤلف في كتب السيرة ، وكتب الأنساب ، فإنه سيجد الكثير من القبائل الجنوبية ـ من غير الأزد ـ ممن وصلت وفودهم إلى النبي ﷺ ، والأحاديث التي ساقها

---

(١) أهل الجنوب ، أو الأزد في الجنوب أو غيرها دخلوا الإسلام وشاركوا في بناء الحضارة الإسلامية ، وكان فيهم أيضاً من له مشاركات سلبية في بعض الأحداث الداخلية في جزيرة العرب أو خارجها . وهم مثلهم مثل غيرهم من الأقوام يصيبون ويخطئون . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن تاريخ الأزد أو أهل تهامة والسراة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . انظر غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ ـ ق١٠هـ/ق ٧ـ ق١٦هـ). كتاب صدر في مجلدين في حوالي ألف صفحة . (ابن جريس) .

(٣) صدر عن هذه القبائل والبلاد عدد من البحوث والدراسات لكنها مازالت بحاجة إلى دراسات أشمل وأعمق وبخاصة في أنسابها وهجراتها وصلاتها ببعضها . (ابن جريس) .

المؤلف في الأزد ضعيفة ، في سندها المجاهيل والمتروكين[١] . **٣٨. علي بن أبي طالب والأزد:** قال المؤلف: (ورد في ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الذي نشرته دار الكتاب العربي، ببيروت ، وصف الأزد الذين سجل لهم التاريخ مواقف مشرفة ، يمكن أن تقرأ وتحلل وتستنتج من وصف علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه فيهم، حيث قال :

الأَزْدُ سَيْفي على الأعداءِ كُلِّهم وسَيْفُ أحمدَ مَنْ دانَتْ له العربُ[٢]

وساق المؤلف بعد هذا المطلع تسعة عشر بيتاً ، ثم قال : (هكذا هم أهل القرى الجنوبية ، الذين استمر تمسكهم بدينهم منذ دخولهم في الإسلام، لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا . وقد حافظوا على الزراعة وعلى الرعي عندما كانت تعد من أهم الوظائف والأعمال ، التي يشتغل بها الجميع . وتفانوا في الزراعة وحولوا الجبال إلى مدرجات زراعية غاية في الجمال ، مما منحهم الاستقرار والاستمرار في حياة كريمة)[٣] . قلت: لقد نُسِبَ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكثير من الشِّعْر، وتعددت طبعات ديوانه من غير طبعة دار الكتاب العربي في بيروت ، ومن هذا الشِّعر ما صَحّت نسبته إليه ، ومنه المَنْحول[٤]. والمنحول أكثر . ولا يصح قول المؤلف: (هكذا هم أهل القرى الجنوبية) فليس كل أهل الجنوب من الأزد.[٥]

٣٩. علاقة السَّرَاة بمكة: قال المؤلف: (العلاقة بين أهل القرى الجنوبية ومكة مرتبطة بالدين، فهم يتجهون في صلاتهم إلى الكعبة ، غير أن العلاقة المباشرة تتمثل في موسم الحج الذي يشارك فيه الكثير من الجنوبيين لأداء فريضة الحج ، تلك العلاقة

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ، الألباني (٢٤٦٧) . الكامل في الضعفاء ، ابن عدي ، جـ٦ ، ص٥٧ . محجة القرب ، العراقي ، ص١٥٨ ، ص٣٢١ . ميزان الاعتدال ، الذهبي ، جـ٣ ، ص٢٠٦ . (ابن معبِّر) وأقول إن بضاعة ابن موسى في التاريخ بسيطة وسطحية ، وكان عليه أن يوسع قراءته ، أو لا يدخل في ذكر أخبار تاريخية قديمة دون الرجوع إلى المصادر الرئيسية في علم التاريخ . (ابن جريس) .

(٢) ص١٩٧. (ابن معبِّر) .

(٣) ص١٩٨. (ابن معبِّر). تاريخ الاقتصاد وبخاصة الرعي والزراعة في بلاد تهامة والسراة (الجنوب) من الموضوعات التي لم تبحث بطريقة علمية موسعة . (ابن جريس) .

(٤) علي بن أبي طالب : شعره وحكمه ، أحمد تيمور ، ص ١٦ وما بعدها .(ابن معبِّر) .

(٥) صدر بعض الرسائل العلمية والبحوث الموثقة عن قبائل الأزد داخل وخارج شبه الجزيرة العربية . وتاريخهم في محيط بلاد تهامة والسراة لم يدرس دراسة موثقة وواسعة ، ونأمل أن نرى أحد أبنائنا في برامج الدراسات العليا فيدرس هذا الموضوع دراسة أكاديمية . (ابن جريس).

الوثيقة تجعل أهل الجنوب في حالة تواصل مستمر مع العلماء والمسلمين الذين يأتون إلى مكة من كل الحواضر والبلاد الإسلامية ، إضافة إلى ارتباط مكة بالجنوب من خلال التجارة كما ورد عن رحلة الشتاء والصيف التي كانت تتم مع مكة عبر آلاف السنين ، ولكن تلك العلاقة توثقت مع دخول أهل القرى الجنوبية في الإسلام . فقد ذكر ابن جبير في رحلته إلى مكة ((الميرة)) التي كانت تأتي بها قوافل القبائل القادمة من السراة إلى مكة للحج وفيها آلاف الرجال والجمال والتي تحتوي على مختلف أنواع الأطعمة والحبوب من الحنطة حتى اللوبيا وما دونها ، والسمن والعسل والزبيب والفواكه المجففة ، ويجتمع في ((الميرة)) ما هو طعام وما هو فاكهة. فيعم مكة وما حولها رغد العيش وترخص الأسعار ويحصلون على ما يتوقون إليه ، ويدخرون منه ما يكفيهم لمدة عام حتى تأتي الميرة في العام الذي يليه، ولولا تلك ((الميرة)) التي تأتي من السراة لكان أهل مكة في شظف من العيش . وقد أكد ابن جبير أن أهل السراة لا يبيعون ما يجلبونه معهم من أرزاق وخيرات لمكة بدينار أو درهم ، ولكن كانوا يأخذون مقابلها الملابس والأقمشة والشمل التي يعدها أهل مكة للبيع والشراء من أهل السراة). انظر: ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ الموافق ١٢١٧م) : تذكرة الأخبار عن إنفاق الأسفار المعروف برحلة ابن جبير، دار الهلال . ببيروت . ولهذا كانت الزراعة هي المصدر الأساس الذي يعتمد عليه أهل الجنوب الذين سخروا حياتهم لتطوير الزراعة التي كانت شغلهم الشاغل ، فتنوعت محاصيلها وثمارها ومنتجاتها لتغطي الاحتياج في مناطق مختلفة ومنها مكة)[١] .

قلت : اجتزأ المؤلف بعض ما في نصّ ابن جبير ، ولم يورده بنصه ، لأنه يريد إسقاط ذلك على أهل الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) كافَّة .وحتى نعلم ما قاله ابن جبير عن أهل السراة ، فإنني أوصي القارئ بالرجوع إلى نصوص ابن جبير كاملة في كتابه الرحلة[٢] .

---

(١) ص١٩٩.(ابن معبِّر). اتفق مع ما ذكره ابن موسى على أن أرض السراة تزود بلدان الحجاز بالمون الكبيرة وبخاصة الحبوب والمواشي . وهذا التموين استمر خلال عصور الإسلام إلى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) فهناك بعض الرواة الذين التقيت بهم في بلدان تهامة والسراة من مناطق عسير خلال الأربعين سنة الماضية وذكروا لي أن الكثير من محاصيل مزارعهم وكذلك مواشيهم كانت تصدر إلى أسواق الحجاز وبخاصة مكة المكرمة في مواسم الحج وغيرها . بل إن هناك بعض الأجداد والأقارب من عشيرتنا من عملوا في جلب هذه السلع إلى الطائف ومكة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . المصدر هذا ما جمعه الباحث وسمعه أثناء تجواله في بلدان تهامة والسراة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر . (ابن جريس) .

(٢) انظر: رحلة ابن جبير، ص ١١٠-١١٣ . ابن معبِّر نقل حوالي ثلاث صفحات من كتاب ابن جبير في بحثه هذا ، وبسبب طول هذه النصوص حذفتها وأشرت في المتن إلى أهمية الرجوع إلى تلك النصوص في كتاب ابن جبير . (ابن جريس) .

وقـد اعتمد الكثير من الباحثين على نصوص ابن جبـير عندما يكتبون عن السراة من مدينـة الطائـف إلى مدينة أبهـا ، وكل باحث يسقط النَّص على المـكان الذي يكتب عنه من بـلاد السَّـرَاة، وعلى هذا جـرى الدكتور على بن موسـى[١] . ولأنّ رحلة ابـن جبير محدودة المـكان والزمـان ، فإنها لا تحمل الدلالة على كل قبائل السَّراة. فابن جبير قال: (وهم قبائل شتـى كبجيلة وسواهـا) ، وهذا ـ علـى التخصيص المـكاني ـ لا يتعدّى السـراة القريبة حول مدينـة الطائف[٢] .كمـا أنّ ابن جبير لا يمكنه الإحاطة بجميـع القبائل الوافدة من السراة ، إذْ ينتشـرون في جميـع المشاعر في موسم الحج ، فما ذكره مـن مشاهدته لبعضهم لا يمكن الحكم به على جميع حجاجِ بلادِ السّراة. ومن ذلك وصفه لصلاتهم بقوله : (يسجدون دون ركوع ، وينقرون بالسجود نقراً ...) فهل يقال بأنّ كل أهل السراة على هذا الحال من الجهل بالصلاة ؟ ، لأنّ ابن جبير قال ذلك ، وهو لم يتصل بهم كُلّهم[٣] . ولذلك لا يؤخذ كلام ابن جبير على علاّته ، فيقال بأن أهل السراة الذين وصف حال بعضهم في رحلته ، وهو لا يعرف بلادهم ، فهو ينقل عن غيره في بعض حديثه ، ويصف بعض حالات فردية شاهدها بنفسه ، ولا تقوم بهذه المشاهدات الحجة على كل أهل السراة . وليس كل الحجاج من السراة يفدون إلى مكـة بنيّـة العمرة وميرة أهل مكة ، بل بعضهم من يفعل ذلك . ويقول ابن جُبير : (ولولا هذه الميرة لكان أهل مكةَ في شظف من العيش) . ولا يستقيم هذا النّص مع الواقع حينذاك ، فهناك الكثير من البلدان – عدا السّراة – تصل ميرتها إلى مكة ، بل بعضها بالقرب من مكـة ، ومنهـا (الزَّيْمَـة) و (الطائف) وغيرهـا . وفي نصّ رحلة ابن جبير مـا يُنَاقض قول الدكتور علي بن موسى في التزام أهل الجنوب – السَّرَاة – بالعبادات دون زيادة أو نقصان، فابن جبير يرسم صورة مضحكة لأهل السَّراة في أداء الصلاة[٤] .

---

(١) مـن المؤكـد أن بلاد السـراة التي أشار إليهـا ابن جبير وغيره والممتـدة من الطائف إلى سـروات مذحج كانت تزود بلاد الحجاز بالكثير من السلع وبخاصة المحاصيل الزراعية والمواشي وغيرها. والسرويون يستوردون من الحجاز سلعاً تفيدهم في أوطانهم مثل الألبسة وغيرها . (ابن جريس) .

(٢) هـذا مـا ذكـره ابن جبير ولكنـه أيضاً ذكر بلاد السـراة وسكانها وهـم (السرو) أو السرويـون وليست سراة بجيلـة الوحيـدة في بلاد السـراة وإنما هناك سروات أخـرى عديدة ذكرها بعض القدماء مـن الرحالة وكتب التراث الأخرى . (ابن جريس) .

(٣) هـذا كلام صحيـح ، وأتفق مـع هذا القول ، لكن ابن جبـير أيضاً أفرد في كتابه صفحات عـن السرويين الذين ينتسبون إلى بلادة السراة . وللمزيد انظر تلك الصفحات . (ابن جريس) .

(٤) ربمـا شاهـد ابـن جبـير حـالات فرديـة أو قليلـة فيمـا يخص عباداتهـم . أمـا تزويدهـم أهـل الحجـاز بالمؤن مثـل الحبـوب والمواشـي فهـذه حقيقـة مؤكـدة ، وذلـك لوفـرة المحاصيـل الزراعيـة في أرضهـم ، وكـثرة المواشي (الأغنـام، والأبقـار، والإبـل) في بلادهم،وهـذا الـذي وجدنـاه في كثـير مـن الوثائـق التـي اطلعنـا عليهـا خـلال الثلاثـة عقـود الماضية،وكذلـك مـا ذكـره ورواه بعض الرحالـة والـرواة في القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). وأثنـاء قيـام الدولة السعوديـة الحديثة: كانت مناطق الجنوب هي مخازن الحبوب والـثروات الحيوانية التي تدعم وترفد مالية الدولة السعودية الحديثة ، وفي حوزتنا آلاف الوثائق التي تؤكد هذه المعلومات. (ابن جريس) .

٤٠ـ الدولـة والمواطنـة : قال المؤلف : (ولأن المـرأة في عصمة الرجل فقط فالمرأة مضافـة في التابعيـة، أو حفيظة النفوس أو في دفتر العائلة . ومؤخـراً أصبح لبعضهن بطاقـة شخصيـة . إلا أن المـرأة لا تستطيع أن تحصل على كثير مـن المصالح والحقوق بـدون موافقة ولي أمرها ، أو من تتبع لـه في وثائقه الرسمية ، ولذا يصعب على النساء أن يسافـرن بـدون موافقـة مسبقة مـن الرجل الولي ، حتـى وإن كانـت الأم المطلقة أو الأرملـة ، أو المرأة المسؤولـة . حتى أهل الأوضاع الخاصة، ممن هم بحاجة لأن يباشرن احتياجاتهـن بأنفسهـن لا تزال لديهن الرغبـة في معالجة الكثير مـن الصعوبات التي تواجههن . ومع أن بعض النساء قد حصلن على الهوية الشخصية ، وعلى جوازات السفر بموافقـة أوليـاء أمورهن غـير أن بعض النسوة لا يـزال يحتاج إلى الهويـة الوطنية حسب احتياجاتهـن ، وظروفهـن ، وحتى تستفيد المـرأة من الخدمات والمكتسبـات التي يمنحها الوطن. وبالرغم من كل تلك التحديات ، فإن هناك الكثير ممن حصلن على دعم وتشجيع أوليـاء أمورهن ، وعلى الهوية الشخصيـة وجواز السفر والموافقة بالتنقل والتصرف في ما يرينه من حقوقهن) [١] .

قلت : إضافة المرأة في الوثيقة الرَّسميّة العائدة للرجل مسألة تنظيمية ، مثلها مثل الإبـن الذي يسجل في هذه الوثيقة .أمّا السَّفر والتنقل للمرأة ، واشتراط الإذن من ولي الأمـر، أو شرط وجود المَحْرَم ، فليـس هذا من تشريعات الدولة ابتداءً ، فالدولة أخذت بالتشريع الإسلامي في هـذا الشأن.وأمّا المصالح والحقوق والخدمات والمكتسبات التي يقـول المؤلف بعـدم حصول المرأة عليها ، فذلك مُرْتهن بنـوع المصلحة ، ولأن المؤلف لم يُفَصِّل ويَشْرَح هذه المصالح، فالأمر مجرد دفاع عن المرأة بدون دليل[٢] .

(١) ص٢٠١ . (ابـن معبِّر) . إن كلامـك يـا دكتـور لا يخلـو مـن الخلـط ، فالسفـر ومـا ذكرتـه عـن المصالـح التـي تحتاجهـا المـرأة وعلاقاتها بالرجل مذكورة في كثير من الوثائق والمدونات الرسميـة التي أصدرتها الدولة ، ثم إن هناك أمور شرعية مذكورة في القرآن والسنة تنظم حياة المرأة وحفظ حقوقها وعلاقتها بالرجال. وكان الواجب عليك أن تفصل الحديث في هذا المحور ، لأن من يقرأ أقوالك يقفز إلى النتيجة بأن المرأة مظلومة ولا تأخذ حقها ، وهذه النداءات نسمعها كثـيراً مـن وسائل الإعلام ، وعند بعض الباحثين وغيرهم ، وليس هدفهـم كما يدعون إنصاف المرأة ، لكنهم يهدفون إلى وجوب منافستها للرجل والمشاركة في جميع ميادين الأعمال التي يعمل فيها الرجال ، كما أنهم يرغبون في خروج المرأة ونزع جلباب الحياء والاختلاط بالمجتمع الرجالي مثل غيرها من نساء الغرب والشرق ، ونسأل الله أن يحفظ بناتنا ونسائنا من التبرج والاختلاط والرذيلة . (ابن جريس) .

(٢) مـا ذكرتـه يـا ابن معبِّر هو عـين الصـواب ، وأستغرب من الدكتـور علي أن يقـول هذه الأقوال وهـو من بلدة وأسـرة محافظـة ، لكن ربمـا عامل السفر وكثرة الاختلاط مـع النساء جعل ابن موسى ينـادي بهذه الأقوال، ونجد أمثاله كثير في جامعاتنا وفي طول البلاد وعرضها ونسأل الله لنا ولهم التوفيق والرشاد . (ابن جريس) .

٤١-الكرم والضيافة : تسع صفحات (٢٠٣ – ٢١١) تحدث فيها المؤلف عن تقاليد الضيافة في قرى الجنوب .والقارئ لهذه الصفحات من غير أهل الجنوب ، سيرى فيها صورة لجميع مناطق الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) ، وهي صورة مُغَايرة للواقع ، لأنَّ كلام المؤلف يخص منطقة عسير ، بل بعض جهاتها فقط .حتى الدليل الذي قدّمه المؤلف ، وهو بعض ما جاء في استطلاع عن مدينة أبها في مجلة (العربي) الكويتية ، في عدده (١٢٨) ، ربيع الآخر ١٣٨٩هـ ، وهذا الاستشهاد لا يُعَبِّر عن قرى الجنوب ، فهو يخص جزءاً من عسير، فكيف يجعله دليلاً على كل الجنوب؟ أما كلام الأستاذ محمد بن صالح الفَوّاز مدير التعليم في أبها ، الذي استضافه أهل (هضبة بني جُرَي) لمدة ثلاثة أيام بلياليها ، ولم يذهب لأداء عمله ، فلا يمكن قبوله ولا سيما أن هضبة بني جُري في طرف مدينة أبها ، ويمكنه أن يذهب إلى مقر عمله ، ويعود إليهم لتناول طعام الغداء ، وهكذا، إلاّ أن يكون قد طاب له المقام والاسترخاء، رحمه الله تعالى[١] .

٤٢-المذياع والبَكَم : قال المؤلف: (لقد كان الطارش) أو الغايب عن قريته هو من عاد ومعه أول أدوات الحداثة التي يكون قد جلبها من المدينة ، وخاصة (الرادو والبكم) أو المسجل، ومعها السلاح والرصاص. وإذا كان الاستعمار قد أرسل المبشرين إلى البلاد التي يريد الدخول إليها لنشر دينه وثقافته وتحبيب الناس في المستعمرين ، بينما كان يعمل أولئك المبشرون على التعرف على حياة تلك الشعوب تمهيداً لدخول القوة العسكرية إلى بلادهم[٢] ، غير أن المبشرين بالحداثة ليسوا بشراً فقط ، ولكنها أدوات وتقنية وصناعة الحداثة مثل (الرادو والبكم) والمسجل .جاءت تلك الأدوات لتفتح عقول الناس تمهيداً لدخول أدوات أخرى أشد فتكاً وتأثيراً على كل شيء في حياة أهل الجنوب، وغيرهم من أهل القرى . لم يكن الناس يعرفون أي شيء من الأدوات الحديثة ، فكيف والقادم هو (الرادو) الذي كان لأبناء القرى الذين عملوا في الحواضر الدور الأساسي في إدخال تلك الأجهزة إلى القرى الجنوبية . جاء (الرادو) لينقل لهم الأخبار ، والأغاني

---

(١) إن عادة الكرم والضيافة عند أهل الجنوب السعودي موضوع كبير ويحتاج إلى أن يدرس في مئات الصفحات. ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيتولاه بالدراسة العلمية الموثقة. كما أن الأستاذ محمد صالح الفواز (مدير تعليم أبها منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) يحتاج إلى من يدرس حياته في رسالة علمية ونرجو من طلاب برامج الماجستير والدكتوراه في جامعة الملك خالد أن يدرسوا تاريخ هذا العلم وغيره .(ابن جريس) .

(٢) إن دراسة الاستعمار العسكري والثقافي في جزيرة العرب منذ القرن (١٢هـ/١٨م) إلى وقتنا الحاضر من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس ويستحق هذا المجال إلى البحث والدراسة في عدد من البحوث والكتب والرسائل العلمية ، ونرجو من المؤرخين والباحثين في هذه البلاد العربية أن يلتفتوا إلى دراسة مثل هذا الميدان المهم. (ابن جريس) .

والتمثيليات ، والبرامج الثقافية ، ويربطهم بالعالم بطرق لم يشهدوها من قبل. ذلك (الرادو) لم ينقل الأخبار عن العالم فقط ، بل إنه نقل أهل القرى إلى عالم غير عالمهم، وأدخل عليهم كلمات وتصورات ومصطلحات ومفاهيم كانت فيها صعوبة كبيرة لفهمها وتصورها وتخيلها. شكل (الرادو) تغييراً وحركة ثقافية جديدة في قرى الجنوب، وغيرها من القرى في الوسطى ، والغربية ، والشرقية ، والشمالية . نعم لقد كان السبق للإعلام ممثلاً في المذياع الذي سبق كل أدوات الحداثة في تغيير حياة الجنوبيين الذين كانوا يجتمعون حوله ليستمعوا لذلك المارد الجديد الذي اقتحم حياتهم ، وبعثر أفكارهم وأحلامهم ، ومهد الطريق أمام الكثير من المتغيرات التي أخذت تدخل بعد ذلك في حياتهم . لقد كانت آذان أهل القرى الجنوبية وغيرها من القرى أول متأثر بالأدوات الحديثة وما جاء فيها من معلومات وأفكار ومصطلحات ومفاهيم لتصل بعد ذلك إلى عقول وقلوب أولئك القرويين[1] . كما دخل (البكم) إلى القرى الجنوبية وهو عبارة عن أسطوانات للأغاني حيث انضم إلى أوائل الوافدين ، فقد كان الناس يجتمعون حول صاحب (البكم) والذي يكون غالباً من أولئك الشباب القادمين على قراهم من السفر بعد الغربة . حتى أصبح صاحب (البكم) من أهل القرية يأتي إلى منازل أهل القرية ليجتمع الجميع رجالاً ونساءً حوله. وتكون للشاب العائد من السفر وللضيف الجديد (البكم) الصدارة في المجلس ، حيث يتوسط الجميع وهم يلتفون حوله رجالاً ونساءً وأطفالاً . وهنا لأول مرة يسمع أهل الجنوب الأغاني وصوت الموسيقى التي تطرب لها أسماعهم . نعم إنها الموسيقا التي تدخل الآذان، وتلامس الوجدان ، وتبعث في الداخل البهجة والمرح ، فتهتز الرؤوس وتردد الكلمات ، وهي تطرب لما تسمع من موسيقى ، ومن كلمات مصاحبة [2]. لا أحد يدري ماذا كان يدور في مخيلة كل واحد من أولئك

---

(١) من خلال جولاتي في مناطق الجنوب ، ومقابلتي بعض رواد المتعلمين والمثقفين ، واطلاعي على بعض المذكرات والوثائق اتضح لي أسماء أفراد عديدين سعوا إلى جلب الراديو والأدوات الحديثة إلى مناطق جازان ونجران وعسير والباحة وما حولها ، وكان منهم الشيوخ ، والأعيان والتجار وبعض المتعلمين وغيرهم ،وكان الراديو فعلاً من الأدوات الحديثة التي أثرت في حياة الناس ، كما أن تأثير هذا الجهاز كان إيجابياً لما ينشر من أخبار وأحاديث قيمة وهادفة . وقد وجدت بعض الرحالة الذين جاءوا إلى الجنوب السعودي في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) مثل فلبي ، وفيليب لبنز ، وتوتيشل ، ومحمد عمر رفيع ، وفؤاد حمزة يشيرون إلى وجود الراديو عند بعض الأسر في هذه البلاد . (ابن جريس) .

(٢) نعم ما ذكره ابن موسى صحيح وأشارت إليه بعض الأقوال والمدونات المنشورة . ونقول إن بلاد الجنوب عرفت الأغاني والأناشيد والطرب المحلي ، ثم وصل إلى المنطقة أدوات موسيقية وأغاني وفنون مستوردة . ومثل هذا الحراك الاجتماعي الذي عاشه الناس خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى العقود الأولى من هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) تستحق من يدرسها ويحللها ويقارنها ، ونأمل من أحد الباحثين الجادين أن يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

الجنوبيين وهم يسمعون تلك الأغنيات، وتلك الآلات الموسيقية التي تستمتع بها الآذان؟ نعم إنها تثير الشجون، وتحرك المشاعر، بل إنها تعبر عن حياة أخرى غير حياة القرية . إنــه عالم غريب ليسـ عالم المزرعة والرعـي والحطب والصناعة. لا بـد من أن ذلك العالم الغريب عالم يغمره الفرح والرقص والموسيقى . عالم لا شقاء فيه ولا عناء . أين أنت يا تلك البلاد ؟ وكيف يمكن الوصول إليك ؟ وربما يشعر البعض بالتقزز وبالسخف مما يسمعون ، ويعتبر تلك التصرفات وتلك الحياة ماجنة ، يعمها الغناء ، وما يصاحب الغناء من تفلت في الأخلاق والقيم. بل هي في نظره حياة فاسدة . لهذا كان البعض يقول: ((اللهم احفظ علينا ديننا))[١] . تداعيات الموقف ليست بالسهلة ، وقد أدت إلى صراع في داخـل عقـول أهل القرى التي كانت تبحث عن إجابة على ما تقدمه تلك الأجهزة من معلومات ومفاهيم جديدة وغريبة . كثيرون من أهل القرى الجنوبية حدثوا أنفسهم عن القيامة والساعة وقرب موعدها . والتي من علاماتها إذا نطق الحديد ، وقرب البعيد . نعـم هم يؤمنون بالقيامة والساعة ويتابعون علاماتها . وبالرغم من الفرق بين القيامة الحقيقية ، والقيامة التي جاءت بها وسائل الحداثة ممثلة في المذياع ، إلا أن أهل القرى لديهـم هواجسهم ، ولديهم حدسهم بأن الأمور سوف تتصاعد إلى وضع غير محمود ، يهـدد زراعتهم ورعيهم وقراهم. أولئك المؤمنون من أهل القرى يربطون كل شيء بالله تعالى . ومع هذا لم يمانعوا من دخول تلك الأدوات والأجهزة الحديثة ، بل كانوا يباركون لمـن يقتنيهـا ، ويعزم الناس عليها ، ويتسامرون حولها . وغالبـاً يجلبها الأبناء من جيل الشبـاب الذين يبادرون إلى إدخـال تلك الأدوات إلى قراهم[٢] . لا بد وأن تلك الوسائل الإعلامية الحديثة قد فعلت فعلتها وهي لا تدري عن نتائجها الوخيمة على ذلك المجتمع القـروي الزراعي التقليدي ، الذي لم تدخل عليه أي ملوثات لا للعين ولا للأذن ولا للعقل ولا للقلب ، ولا للروح . ومع استمرار تدفق تلك الأدوات الحديثة استمر مجتمع القرية في

---

(١) تلك الأيام الجميلة لا تقارن مع ما يعيشه مجتمعنا اليوم مع التقنيات وأدوات التواصل التي عرفها واقتناها جيل اليـوم . إن فتك هذه الأدوات الحديثة أشـد وأقوى من الراديو والبكم في السابق . ومثل هذا الموضوع يحتاج إلى دراسـة مع الإشـارة إلى خطورة ما يعيشه الناس اليوم من ضياع للوقت وتدهور في القيم والأخلاق وذلك بسبب الإعلام وأدوات الاتصالات الحديثة . (ابن جريس) .

(٢) هـذا الـذي كان يشعـر به أهل ذلك الزمـان ، بل بعضهم كان غير راضـ عن هـذه الأدوات (الراديو والبكم) ، ومـع مـرور الزمن تزايدت هـذه الأدوات ووصل إلى البلاد أجهـزة حديثة أشد تأثيراً على قيـم وأخلاق الناس مثـل: التلفـاز (الرائي) ، ثـم أطباق الاتصالات، أو ما يعرف بـ (الدش) ، ثم دخـول الشبكة العنكبوتية التي عـن طريقهـا دخـل أشكال وألوان مـن أدوات الاتصال ، ومن ثـم فأهل الجنوب وغيرهم تتابـع عليهم هجمات هـذه الأدوات مـع أن بعضهم حاربها في البداية مثل (التلفاز، والدش ، والجوال) وغيرها ، واليوم تزايدت هذه الهجمات التقنية الفكرية حتى عم خيرها وشرها أرجاء البلاد .(ابن جريس).

زراعته ، ورعيه وأعماله المختلفة ، ولكن قد يتأخر بعضهم هنا وهناك . نعم قليلاً قليلاً بـدأ التلكـؤ والتمرد على الحياة وقوانينها في العقول ، وانعكـس ذلك التفكير والمجالسة (للـرادو والبكـم) حتى أثر علـى الجسد ، وبدأ الجدول في الانحـراف، وأصبح الكبار يغضبـون مما سيـؤدي إليه اقتناء تلك الأجهـزة ، التي غيرت الوقـت والسلوك وجلبت العديد من المشكلات في الأدمغة ، والبيوت ، وفي القرية وفي الجنوب بكامله، مثلما فعلت في جميع القرى [1] .

لقد أصبـح النـاس يبحثون عن تلك الأدوات المسليـة ويستمعون إليها لتكون شغلهم الشاغـل، حتى أربكت حياتهم وأثـارت فضولهم ، وتوجسوا منهـا ، ومما سيلحقها من أشيـاء . وهم مـن حيث لا يعلمـون يشكون ويتوجسـون بأنها أدوات لتغيـير العقول قبل الحقـول . ومضـت الأيام وذلك المارد يغزو البيوت بيتاً بيتاً ، حتى إن البيت الذي يدخله (الـرادو والبكم) لأول مرة يقدم الدعوة للجـيران ، والأصدقاء لحضور حفل التدشين والاستقبـال لتلك الوسيلة الجديدة التي سوف تدفـع ثمنها الأرض ، والزراعة والرعي، والصناعـة ، والحيـاة القروية بكاملها ، وإلى الأبد. وتدريجيـاً أصبحت الشبابيك التي كانـت تصـدح بقـراءة القـرآن في كل صباح تتحـول إلى إذاعـات منـزليـة ، كل يسمع الآخريـن مـا يريد مـن مذياعه . وبـدأ النـاس يتراخون شيئـاً فشيئاً . ولعـل ما جاء به أبناؤهـم من الغربة مـن معلومات وأفكار ، وأخبـار وأدوات الحداثة وخاصة الإعلامية وغيرهـا من الصناعات قد شجع الكثيرين من أبناء القرى على السفر للبحث عن تلك الحيـاة الجديدة ، التـي بشر بها (الرادو والبكم) وأبناؤهـم المغتربون في الحواضر . كمـا أن ما جلبه أبنـاء القرى معهم من أموال ، ومـن أدوات شجعت البقية من الشباب لـترك القرى والذهاب مع أبناء قراهم إلى تلـك الحواضر [2] . لم تكن تلك الصناعات الحديثـة التـي جاء بها أبناء القـرى المغتربون لتنجح بتلك السرعة لـو أنها جاءت على يـد غريب ، لأنها سوف تلقى من الممانعة والرفض والشك الشيء الكثير . وهنا ينطبق

---

(١) يـا ليـت أولئك الآباء والأجـداد يشاهدون أبناءهم وأحفادهـم اليوم ، ماذا جرى لهم مع مـا وصل إلى البلاد مـن أدوات حديثـة ، والراديـو والبكـم أصبـح عند جيل اليوم من الـتراث ، ولا ندري ما هو قـادم علينا وعلى أبنائنا وأحفادنا، فقد يأتي يوم تصبح أدوات اليوم تراثية ويأتي ما خطره أدهى وأمر مما نراه ونقتنيه اليوم. (ابن جريس) .

(٢) لقـد صدقـت في أقوالـك يا ابـن موسى فهذه النمـاذج من حيـاة النـاس شاهدناها في بلـدات رجال الحجر وسـروات غامـد وزهـران خـلال الثمانينيـات والتسعينيـات مـن القـرن (١٤هـ/٢٠م) . وتاريـخ الحيـاة الاجتماعيـة في تلـك البلدان جديرة بالبحث والدراسة مع التركيز علـى التغيرات التي جرت على أهل البلاد منذ بدايات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى العقود الأولى من القرن (١٥هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

المثل (إغز الديرة بأهلها) . ولأن أدوات الحداثة جاءت على يد أبناء القرى الجنوبية، الذيـن سبـق وأن اقتنعوا بها في سفرهم فجلبوها معهـم، لهذا اقتنع معظم أهلهم بها . كيـف لا ، والابن ابنهم وهو أخو أبنائهم وبناتهم . لهذا لم يكن الاستنكار كبيراً بالرغم مـن الشعور بالغيظ الداخلي من كبار السن لمـا رأوه من تأثير سريع لتلك الأجهزة على سلوك وتصرف أبنائهم . بدأت أصوات المآذن تضعف أمام أصوات (الرادو والبكم) ، وبدأ المؤذنون والأئمة يتضجرون ، وخاصة من أولئك الذين سوف يتأخرون عن الحضور للمساجـد بعد الأذان. لقد كان ذلك مؤشراً خطيراً لتغيير قادم لا يعرفونه . بدأ السهر والسمـر يدخل إلى حياة المزارعين من أهـل القرى الجنوبية . وأخذ الناس يتأخرون في الذهاب إلى فرشهم للنوم ، مما جعلهم يتثاقلون في صحوتهم ، واستيقاظهم للصلاة ، وحتى للعمل . وأصبحت نسبة المتأخرين في الصلاة تشاهد شيئاً فشيئاً . يغضب الإمام والمـؤذن وكبار السـن ، ويشتكي بعضهم لبعض ، ولكن المارد الذي دخل القرية كان أكثر تأثـيراً وإمتاعـاً وإقناعاً ممـا يسمعونه من أهلهم الذين يهاجمون تلـك الآلة الناطقة . نعـم صارت الأحـلام والكوابيس تغزو مضاجـع الناس ، وتصعقهم بمـا يتخيلونه وهم نائمون . لقد تغيرت أحلامهم وقصصهم ورواياتهم وتخيلاتهم . أربكتهم تلك الأجهزة ، وزلزلـت عقولهم وأفكارهـم وحياتهم . ومع تكاثر أجهزة (الـرادو) في القرى بدأت الحيـاة تتغـير ، ويدخل إليهـا الكثير من المعلومـات ، والموضوعـات ، والقضايا التي لم تعهدهـا تلك القـرى من قبل . إنهم يسمعون في الأخبار عـن القيادات ، وعن المسؤولين الذين لا يعرفونهم أصلاً ، بل أصبح النـاس يرددون بعض ما فهموه ، أو ما لم يفهموه من كلمـات ومصطلحات ، ومفاهيم وموضوعـات ، ويتهكمون عليها . ولكن مع ذلك الجهاز وردت الأخبار عن الدول ، وعن الحروب والكوارث ، وعن الفن والدعايات ، والمسرحيات والمسلسـلات وغيرها من المؤثرات التـي قدمت مفاهيم ومعلومات ومصطلحات جديدة لم تكن في قواميس أولئك القرويين، ولم تدخل إلى عقل أحدهم من قبل[1] . بدأ الصغار مـن أبنـاء القرى ينظرون إلى الكبار مـن شبابهم على أنهم رمـوز جديدة ، وهم يرون

---

(١) شكـر الله لـك يا دكتور علي على هـذا الرصد الجيد. والواجـب علينا كباحثين وأرباب أقـلام أن نسجل تاريخ تلـك العصـور حتى يطلـع عليها أبناؤنا وبناتنا والحفدة مـن بعدهم . وأقول إن حيـاة الراديو والبكم وغيرها في السابـق كانـت أهـون في فتكها وتأثيرها علـى عقول الناس مما نراه مـن أدوات العصر الحديث ، وتسخير الشبكة العنكبوتية في الإضرار بأخلاق وقيم ومبادئ أهلنا وبناتنا وأبنائنا ، (والله المستعان) ، إن الشر اليوم عـلا في الـبر والبحر ، وهناك أناس أخيار فضلاء من الدعاة والمعلمين والمربـين يحاربون تأثير هذه الأدوات الحديثة اليوم ، لكنها فاضت وانتشرت وانتشر شرها في كل مكان . (ابن جريس) .

مـا جلبـوا لهم مـن أدوات الحداثة ، ومـا رأوا عليهم من تغـير في ملبسهم ومظهرهم، وأصبحـوا يمثلـون لهـم القدوة والمثـل الأعلى، ليكونـوا مثلهم ، وليحصلـوا على أدوات الحداثـة والمال الذي جلبه أبناء قراهم من الغربة. بينمـا آباؤهم يفكرون بلغة مختلفة تماماً ، بل يحدقون في أبنائهم الذين جلبوا لهم تلك الأجهزة والأدوات ، وكأنهم يلومون أنفسهـم على ما يرونه من بدايـات للتغير والتحول . هم أذكيـاء إلى درجة الشك فيما يرونه يحدث لأبنائهم وبناتهم في بيوتهم ، وطرقاتهم ومزارعهم ومراعيهم ومجالسهم، وما يسمعون من أفكار وآراء ، وطموح غير ما عهدوه)[١].

قلـت : آثرت نقل كل ما كتبه المؤلف تحت عنوان (المذياع والبَكَم) لما فيه من وصف رائـع لحياة القرى حين وصـل إليها (المذياع ، والمُسَجِّل ، والبَكَم) والبَكَم أَقَلّها حضوراً. لقد ضرب المؤلف على وتَر حَسَّاس ، فآلات وأدوات الحداثة بداية لحياة الكسل والخمول والاسترخاء ، ويعقبهـا الإعراض والتأخر عن مباشرة الأعمال التي تقوم عليها القرى، وينتهي الأمر في بعض الأحوال بالازدراء للقرى وحياتها .وليت الأمر وقف على (المذياع، والمسجـل ، والبكـم) فهـي على الأقل لا تحتـاج إلى صرف العين عن العمـل ، فبإمكان العامـل في الحقـل أن يسمـع هذه الآلات وأن يعمـل في ذات الوقـت .فالمصيبة كانت مع التّلفاز وذُرّيَته.

<u>٤٣ـ مدارس البنـين :</u> قـال المؤلـف :(لقد احتـوت المناهج والمقـررات على دروس دينيــة، وخاصــة فقهية تتناول الكثير مـن القضايا الدينية ، ومنهـا الحجاب والنقاب ، والاختـلاط والخلوة، وعلاقة الرجل بالمرأة . وهذه الثقافة الدينية بدأت تدخل للمنازل في القرى الجنوبية مثل غيرها من القرى في الدولة ، وصار الناس يسمعون من أبنائهم نصوصـاً دينيــة في موضوع النقــاب ، والاختلاط والخلوة ، والتــبرج والسفور . ولم يكن لديهـم معرفة بالنقاب لأنه ليس مـن ثقافتهم ، ولكن الحجاب هو الأساس الذي عاشوا عليه وألفوه ، والممثل في كشف الوجه واليدين ، وتغطية الرأس . ولم يدخل إلى مخيلتهم أن ينظر إليهم على أن اختلاطهم فيه أي محذور شرعي ، لأنهم يرون أن الشرع ما هم عليـه ، فهـم أهل ديـن وعمل ، وأهل أخلاق وعـادات صارمة . ولهـذا لم يكن يعني لهم ذلك كثيراً ، وطبعاً الكتاب له مكانته وقدسيته ، وبالتالي لم يعارضوه أو يعترضوا عليه . ولأنهم يؤمنون بأهمية ما يأتي في الكتب فقد تقبلوا فكرة النقاب من دون تطبيقها للمرة

---

(١) ص ٢١٢ . (ابن معبِّر) .

الأولى في تاريخهم بكل رضا ، بالرغم من أنه يختلف مع ما جاء به أجدادهم الذين التحقوا بالإسلام وورثوه لهم جيلاً بعد جيل ، كما أنه يختلف مع ما اعتادوا عليه في حياتهم اليومية في بيوتهم وقراهم ومزارعهم ومراعيهم وأعمالهم من مئات السنين . ولأن الكتب لا يكتبها إلا العلماء في نظرهم لهذا أخذت تلك الثقافة الدينية شرعية وترحيباً كبيراً)[1] .

قلت : أورد المؤلف تحت عنوان (مدارس البنين) كلاماً يتحدث فيه عن التعليم في القرى والجنوب ، وللاستشهاد لكلامه قدّم نصّاً واحداً من مجلة ٠ العربي) الكويتية، وهو من استطلاع صحفي أجرته المجلة سنة (١٣٨٩هـ) في مدينة أبها ، وهو يكثر من الاستشهاد بهذا الاستطلاع في مواضع متعددة من كتابه . وهذا الاستطلاع في مدينة أبها ، فأين الاستشهادات على قرى الجنوب (الباحة جازان ، عسير ، نجران) . وإذا كان كتابه (نساء بلا قيود ...) قد صدر سنة (١٤٣٣هـ) ، فهذا يعني أنه تجاهل ما كتبه الدكتور عبد الله أبو داهش عن الحياة الفكرية والعلمية والأدبية في الجنوب منذ سنة (١٤٠١هـ) . وتجاهل ما كتبه الدكتور غيثان ابن جريس عن التعليم في عسير ، وما كتبه أبناء الباحة، والقنفذة ، ونجران، عن التعليم ، ونشروه في بعض مجلدات: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وهناك سلسلة (هذه بلادنا) التي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، وكل عدد من هذه السلسلة يختص بمدينة معينة ، ولا يخلو من حديث عن التعليم في تلك المدينة قديماً وحديثاً . ومن هذه السلسلة : (١) الباحة. (٢) أبها . (٣) سراة عبيدة . (٤) صبيا . (٥) تنومة . (٦) النماص . (٧) أبو عريش . وغيرها . ولا يعني ذلك أنني أرفض الاستشهاد بما في مجلة (العربي) إذا جاء ذلك مع مصادر أخرى[2]، وربما كان بعضها في مكتبة المؤلف الخاصة . وأنا من قُرَّاء مجلة العربي ، وآخذ منها في بعض أبحاثي ، وصلتي بها تعود إلى سنة (١٣٨٨هـ) ، فمنذ تلك السنة وأنا أشتريها حتى الآن. وأعود إلى نَصِّ المؤلف الذي أوردته آنفاً ، وهذا النص تكتنفه المغالطات والإسقاطات. وأبدأ بكلمة (الثقافة الدينية) التي يُعبّر بها المؤلف عن (الشَّرْع) ، فالثقافة مصطلح من المصطلحات العامة ، وتكون في نطاق المقاييس

---

(١) ص ٢١٨ . (ابن معبِّر) . حبذا يا دكتور علي لو فصلت الحديث أكثر في هذا المحور مع الإشارة إلى حياة النساء قبل الحجاب ، ثم اقناعتهن في الحجاب وتغطية الوجه عن الرجال الأجانب ، وهذه التبدلات الاجتماعية جديرة بالدراسة والتدوين . (ابن جريس) .

(٢) هناك أيضاً عشرات الوثائق والمذكرات والمدونات والسجلات المنشورة وغير المنشورة التي تحدثت عن التعليم وبخاصة تعليم الفتاة الذي بدأ في الجنوب من بداية ثمانينيات القرن(١٤هـ/٢٠م). (ابن جريس).

البشرية، فيقال (العَالم) و (المُثَقَّف) فالعَالمُ : هو الذي يعرف كل شيء في شيء واحد، والمُثَقَف : هو من يَعرف شيئاً من عدة أشَياء ، وبهذا فإن الثقافة لا تخرج عن المقاييس البشرية .كما أن الثقافة تدل على ما يختزنه المرء من معلومات حصل عليها بالاكتساب، سواء عن طريق التعليم ، أم القراءة الحُرّة . ونقرأ للمؤلف عبارة أخرى هي (القضايا الدينية) ، وكأنه يريد زَحْزحة الدليل الشرعي عن الحجاب والاختلاط، والخلوة ، وعلاقة الرجل بالمرأة ، حتى يخرج بها إلى نطاق (القضية) لتكُون في مَحلّ الخلاف ، ومع التمادي يقال مسألة خلافية ، قيل فيها كذا وكذا ، حتى يصل الأمر إلى القول بأنَّ ما سَمَّاه المؤلف بالقضايا الدينية من العادات والتقاليد ، وهو ما قال به المؤلف حين قال (وعادات صارمة) وقوله (ومما اعتادوا عليه في حياتهم ...) وقد قال الله تعالى: [**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّه قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**][1] . وممّا يُرَوّج له في الجنوب عن كشف الوجه واليدين بأن ذلك على مذهب الشافعي الذي يعتنقه أهل الجنوب، ثم يتنامى هذا التّرويج إلى شيء أخطر، ألا وهو إيقاد نار الفتنة، وذلك بتبغيض المذهب الحنبلي، وأنّه خاص بأهل نجد ، ولا علاقة لأهل الجنوب به ، ومن هنا تظهر نغمة المناهضة لكل ما يأتي من نجد ، ويزيد من أوار ذلك نظر بعض أهل نجد إلى أهل الجنوب نظرة سلبية[2] . والمؤلف يعزف على عادات الجنوب كشرع يخالف ما جاء في المقررات والمناهج، ويصنع من عادات الجنوب مذهباً مستقلاً ، وما جاء في المقررات والمناهج التي كتبها العلماء مجرد ثقافة دينية أخذت شرعيتها بقوة النظام .ونقرأ للمؤلف عبارة تقول : (فقد تقبلوا فكرة النقاب) ! فهل النقاب فكرة تجيء وتذهب حسب المزاج ؟ وليت المؤلف اقتصر على الوصف والسرد دون المناهضة ، فالحجاب ، والاختلاط ، والخلوة ، وعلاقة الرجل بالمرأة ، قد فُصِلَ فيها بنصوص كثيرة في القرآن والسُّنَّة ، والإجماع والقياس،

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٧٠ . (ابن معمّر) .

(٢) للأسف إن هذه النظرة من أهل الجنوب أو نجد ، أو أي ناحية من نواحي المملكة العربية السعودية نظرة عنصرية جاهلية ، وقد قال الرسول ﷺ (دعوها فإنها منتنة) ، والمقصود بذلك النعرات القبلية والنعرات الجاهلية. إن من يستقرئ تاريخ هذه البلاد السعودية قبل (٨٠) أو (٩٠) عاماً وربما أقل يجد أن البلاد كانت في حروب قبلية شرسة ، فلا أمان ولا حياة مستقرة ، وإنما الناس في صراعات داخلية ، وفي فوضى سياسية وإدارية وحضارية ، وعندما وحد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل البلاد تحت راية واحدة اجتمع الناس على الخير والفضيلة ، وانتشر الأمن والرخاء ، أما الذين يقولون مذهب الشافعي أو أحمد أو غيرهما فهم للأسف لا يعرفون قدر أولئك العلماء الفقهاء الذين بهم انتشر العلم الشرعي وفهم أمور الدين على حقيقتها.(ابن جريس).

والشّـرّع حاكـم على العادات ، وليسـ العكس . **٤٤- مدارس البنـات :** قال المؤلف: (وما هـي إلا سنوات قليلـة حتى بدأت مدارس البنات في الظهور ، لتوجه ضربة أخرى للرعي وللزراعـة وغيرها من الأعمال التي تعمـل بها البنات ، حيث بدأن يتركن الرعي والعمل ويتجهـن للمدارس . كانت هنـاك بعض التساؤلات حول الغرض مـن تعليم المرأة ، وقد ذهـب القلـة إلى عدم الرغبةٍ في تعليم ابنته خشية من أن تتعلم ما لا يفيدها وخاصة في القرى ، وقد يكون ذلك سبباً في تعرف البنات على الشباب ، وكتابة الرسائل الغرامية . وهكذا كان تفكير القلة ممن يخاف من ترك بناته للعمل في الرعي والمزارع . ولكن تلك الأفـكار لم يكن لها أهمية من الغالبيـة العظمى الذين أرسلوا بناتهم للمدارس . وبدأت البنـات يجدن فرصـة جديدة في التعليم مثـل البنين . وترصد مجلـة العربي البدايات الأولى لتعليـم البنات في عسير قبل نصف قرن مـن الزمن ثم أورد الدكتور علي حوالي ثـلاث صفحات نقلاً من مجلـة العربي ، وضح فيها كيف بدأ تعليـم البنات في أبها وما حولهـا ، وأشـار إلى المناهج ، وإلى المعلمـات ، وإلى نقل الطالبـات إلى المدارس ، وإلى ألبسة المدرسة وغيرها من التفصيلات[١] .

قلـت : في حديثـه عـن مدارسـ البنـين تطـرق المؤلـف إلى الحجـاب ، والخلوة ، والاختـلاط، وهـا هو يعـود الآن إلى دَيْدَنه ، ولكن عبر مجلة (العربـي) التي أصبحت عند المؤلف دستوراً يعود إليه إذا لزمه الدليل ، وكأنها الولد الذي ليس مثله في البلد[٢] . ينقـل قول (سليـم أحمد الرشيد) مسؤول تعليم الفتاة في أبهـا ، الذي يقول : (**ولكننا لا نُشَـدِّد في كشـف الوجـه واليديـن لوجـود اختلاف بـين الفقهـاء في هـذا الشأن**) ويقصـد الرشيد بذلـك المعلمات الوافـدات . وكأنّ هذه العبارة مما يريـده المؤلف من استشهـاده بمجلـة (العربـي) فكشف الوجـه واليدين محل خـلاف ، أي أنّ ما ورد في مجلة (العربي) الطاهرة ، أصدق مما هو في المناهج والمقررات ، بل مما هو في القرآن

---

(١) للمزيـد انظـر: مجلـة العربي ، عـدد(١٢٨) في شهـر ربيـع الأول من سنـة (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) وانظر كتاب ابن موسى (نساء بلا قيود ...) ط١ (١٤٣٣هـ) ، ص٢٢٢(ابن معبِّر) .

(٢) انظـر : كتـاب (نساء بـلا قيود ....) ، صـ٢٢٢. (ابن معبِّر) . وللمزيد عـن تاريخ التعليـم في أبها أو منطقة عسـير(بنـين وبنـات) انظـر: غيثـان بـن جريـس . تاريـخ التعليـم في منطقـة عسـير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ / ١٩٣٤- ١٩٦٦م) (جـدة : دار البـلاد ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج١، ص٥٢ومابعدهـا. للمؤلـف نفسـه . مـن رواد التربيـة والتعليم في المملكة العربية السعوديـة (محمد أحمد أنور) (دراسات ، وشهادات ، ووثائق) (الرياض: مطابـع الحميضـي، الطبعـة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م). الطبعـة الثانية (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) ، ص ٢٢ وما بعدها. (ابن جريس).

والسُّنَّـة .ثـم يسترسل المؤلف فيقول : (**وبعـد المدرسة يخـرج الأولاد**[١] **من المدارس ، وتخـرج البنـات من مدارسهـن ... إلخ**) ثم يقول: (**ولم تسجـل أي مخالفة تحرش**) . ألـف طالبـة في مدينة أبهـا . كما يقول المؤلـف . يلتقون بعد خروجهم مـن المدارس، ولا يحصـل التَّحَرّش[٢] .!!، أي جهاز هذا الذي استطاع رصد مئات الطلاب والطالبات في أنحـاء مدينـة أبها ، وسَجّل خلو هذه اللقاءات من أي تَحرّشـ أو مُغازلة . وفي هذا إنكار للغريـزة التي أودعها الله تعـالى في خلقه ، فالذكر يميل إلى الأنثـى ، والأنثى تميل إلى الذَّكـر ، وهـذا يستدعي المغازلة والإعجـاب ، ومُسَارَقة النظرات علـى أقل تقدير . وإنْ صَحّ عدم وجود المغازلة – وهذا لا يصح – فإن هؤلاء الطلاب أشباه رجال ، والطالبات أشباه نساء . في مدينة رسول الله ﷺ ، سواء في حياته عليه الصلاة والسلام ، أو بعد مماته ، وُجدت حالات من المغازلة ، وحالات من الزِّنا ، فهل مدينة أبها أو قرى الجنوب أطهـر من مدينة الرسول ﷺ .وإنّ ما يقوله المؤلف ويدّعيه من غلبة النواميس والقِيَم، هو من مُكَابَرة الفطرة والغريزة التي جعلها الله تعالى في خَلْقه[٣] .

<u>**٤٥ـ الوعـظ والإرشـاد :**</u> قـال المؤلف: (لقد تطورت الأوضـاع بشكل سريع ، حيث رافقـت التعليـم حملـة من المواعـظ والإرشـاد والمحاضـرات في المساجـد والتجمعات العامـة التي يحضرها الناس، فيتم تثقيفهم من قبل وعـاظ شددوا على أهمية النقاب والعباءة وعدم الاختلاط والسفور، وعلى مجال عمل المرأة وأماكن تواجدها . وانفتحت (الاستديوهـات) الدينية مثلما سبقتهـا (الاستديوهات) الفنية وانتشرت الأشرطة في الطرفين غناء من جهة ومواعظ من جهة أخرى . وصارت الأشرطة تسمع في السيارات، وفي البيـوت . بدأت الأشرطة والثقافة الدينيـة عن النقاب والعباءة والاختلاط والخلوة والسفـور والتـبرج تنتشر مثلما تنتشر الأغاني. بدأ الصـراع في المفاهيم والمصطلحات والأفـكار بطريقـة لم تكـن في ذهنية أهل الجنـوب ، ولكنها انتشرت بسرعـة، يرافقها الحديـث عن الوعيد الشديد ، والويل والثبور، والعقاب من الله لمن لم يمتثل لأمره وينته عن نواهيه . وأخذ بعض الرجال يطالبون بحضور النساء للمواعظ في المساجد . وأصبح الرجـال يتلقفون تلك المواعظ ، وينقلونهـا لبيوتهم حتى تم تعميم تلك القيم والمفاهيم،

---

(١) الأولاد : تطلق على البنين والبنات . (ابن معبِّر) .

(٢) انظر : كتاب (<u>نساء بلا قيود ....</u>) ، ص٢٢٢. (ابن معبِّر) .

(٣) نعـم هنـاك مبالغة في تدوين الدكتور ابن موسى ، لكنه أيضاً يشكـر على هذا الرصد الجيد ، ونأمل منه وغيره أن يعملـوا علـى حفظ مـوروث آبائنا وأجدادنـا في شتى الميادين ، ومـن يدرس تاريخهم يجـده مليئاً بالصور التاريخية الحضارية الرائعة. (ابن جريس).

وأخـذ النـاسـ يطيقونها مع الاستمـرار في وجود أجواء مفتوحـة في البيوت بين الأرحام والأقارب والجيران. ولكن تكثيـف المحاضرات وظهور الكثير من الضغوط ، وخاصة في الأسـواق ، والأماكن العامـة دفعت بالرجال إلى فرض النقـاب على النساء في الجنوب حتى وصل الخوف على المرأة ببعضهم إلى درجة عدم ذكر اسمها إلا بصوت منخفض، أو استخـدام بنت فـلان أو زوجة فلان أو أخت أو بنت عم أو خـال فلان . وأحياناً يقال يـا مرة أو يـا بنت بدون ذكر الاسم ، وبعضـ آخر يستخدم عبارات غـير معروفة سوى أنهـا تـدل على مناداته للمـرأة . وأصبحت المـرأة تعرف باسم قريبهـا أو أحد الأرحام مثـل قـول البعض أخت أو زوجة فلان . ثم صار البعض منهم إذا ذكر اسمها قال فلانة وأنـت بكرامـة ، أو النسـوان أكرمكم الله [١] . وهكـذا أصبحت المـرأة تتحدث من وراء النقـاب، فتضعه على وجههـا وتخرج للتحدث مع من بدأت تضعهم في خانة المستبعدين من الأرحام والأقارب والأجانب والأجناب . ثم بعد ذلك صارت تتحدث من خلف الباب، ثـم اختفت ولم تسمعهـم أو يسمعونهـا [٢] . وتتحدث مجلة العربـي في تقريرها المذكور سابقـاً مع بعض المواطنين من أهل الجنوب[٣] . عن المـرأة في منطقتهم حيث أوردت ما يلي: ((وقصة تطور المرأة في أبها[٤] . تختلف عن قصص تطور المرأة العادية في مختلف بلدان العالم)) كانت معظم نسائنا إلى عشر سنوات مضت يسرن سافرات دون حجاب، ويختلطـن بالرجال في حدود العائلة ، وكانت أبهـا بمثابة عائلة كبيرة يسيطر عليها جو الأسـرة الواحدة ، وكان عدد سكانها لا يتجاوز خمسة آلاف نسمة . وذاع صيت أبها من ناحية طيب المناخ ، وارتفاعها الشاهق ، وكثرة غاباتها وجبالها المكسوة بالخضرة طوال السنـة ، فضلاً عـن الاختلاط الأسري الـذي لم يكن له مثل في أي مـكان آخر بالمملكة

---

(١) نعـم هـذه الأعراف والتحولات الاجتماعيـة عاصرناها في بلدان منطقة عسير وما جاورهـا من أرض السراة ، وأشكـر الدكتـور علـي على تدوينها فهـي حقيقة . ونأمل مـن البـاحثين الجادين أن يدرسـوا تلك الحقبة التي ذكرهـا وكتـب عنهـا ابـن موسى في بحثـه ، وهي الفـترة الممتدة مـن ثمانينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى منتصـف العقـد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وهذه العقود الأربعة ظهر فيها الكثير من المتغيرات الفكرية والإداريـة والاجتماعيـة والاقتصادية والتعليمية وغيرها ، وهي مهمة ويجب توثيقها والكتابة عنها مع الحرص علـى إتبـاع المنهج العلمـي الرصين . وأكرر شكري للدكتـور علي بن عبد الله بن موسى ونرجـو منه أن يتوسع في المحاور التي ذكرها المذكور أعلاه ، أو أي محور لم يعالجه ويستطيع أن يفيدنا فيه (ابن جريس) .

(٢) وهـذا الـذي يجـب على المـرأة فلا تختلط بالرجـل الأجنبي ، وهـذا ما نص عليـه الدليل في القـرآن والسنة . (ابن جريس) .

(٣) المؤلف (ابن موسى) يقول: أهل الجنوب، ومجلة العربي تقول: في أبها ، وهذا من استغفال القارئ (ابن معبِّر) .

(٤) المؤلف (ابن موسى) يقول: أهل الجنوب، ومجلة العربي تقول: في أبها ، وهذا من استغفال القارئ (ابن معبِّر) .

السعودية [١]، وجاء الناس من كل مكان من القصيم ، والرياض ، والخرج ، وسدير ، والمدينة ، ومكة ، والطائف ، والنماص ، وزهران ، جاء كل منهم إلى أبها حاملاً معه عاداته وتقاليده . ومن بينها الحجاب يضعونه على وجوه نسائهم ، وبدلاً من أن تنطبق عليهم عاداتنا وتقاليدنا ، فرضوا هم عاداتهم علينا ، ومن بينها حجاب الوجه ، فرضوه على كل امرأة في أبها ، وفي السوق يقف بعض الرجال يفرضون الحجاب على البدويات السافرات القادمات من البادية على ظهور جمالهن[٢]، وهذا التطور العكسي للمرأة دفع بجريدة عكاظ المحافظة التي تصدر في الرياض العاصمة ، إلى كتابة مقال جاء فيه :((كانت المرأة في أبها تشارك الرجل في عمله تزرع وتحطب وتسقي ، وتتحدث مع الرجل في جرأة وشجاعة ، كل هذا يتم في أدب واحترام متبادلين ... قيل عنها وقيل ... وأصبح ما قيل في حكم القصص ، يحكيها الشيخ فيتحسر ، ويتناقلها الشباب ويتأسف ، وتجمع الآراء على أنهم فقدوا ذلك التقليد وأضاعوا تراثاً مجيداً وعادة طيبة كانت القبائل وبقية الأقاليم يحسدونهم عليها ، وبدلاً من أن يطوروا هذا المفهوم أصبحوا يعيشون على مبدأ (إلى الخلف سر) وأصبحت المرأة تفزع لقدوم الرجل، أو تداري نفسها وتشيح بوجهها..) . من هنا أصبحت المرأة تتحول إلى عورة ، كلها ، حتى اسمها وصوتها . فعند كل باب مدرسة يقف البواب أو الحارس ، وهو يناديهن للخروج باسم الأب أو الزوج أو الأسرة. وأصبحت المرأة رقماً سرياً خاصاً بالعائلة .كان الرجل من أهل القرى يدعو امرأته أو بنته أو أخته أمام أهل القرى وأمام الأجانب والأجناب باسمها وهو يقول يا شريفة ويا حليمة ويا عزيزة ويا صالحة ويا غالية ويا خيرية ويا عفيفة . والكل يعرفهن بأسمائهن التي تدل عليهن بأنهن شريفات ، وحليمات وعزيزات، وصالحات ، وغاليات ، وخيرات ، وعفيفات ، إلا الصغار فقد كانوا يقولوا لهن ، يا أمي حليمة يا أمي صالحة ، يا أمي شريفة .. كيف تحول اسم المرأة إلى عورة وسر ؟ هذا ما لا يمكن تفسيره إلا بالفهم الخاطئ غير المبرر حتى من اسمها الذي يتحول إلى اسم جديد غير ما يعرفه أهل القرى نتيجة الحداثة ، ودخول أسماء جديدة تدل على تحول

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن مدينة أبها انظر : غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (٥٦٩صفحة). (ابن جريس) .

(٢) يا ابن موسى هذا رصد يجانب الحقيقة ، ليس الوافدون من أهل البلاد المجاورة هم الذين فرضوا الحجاب على أهل أبها عندما استقروا فيها ، وإنما الوعي الديني والتحولات الاجتماعية الثقافية في عموم البلاد السعودية هي التي جعلت الحجاب ينتشر في كل مكان، بل النساء أنفسهن عرفن أن لبس الحجاب هو الطريقة الشرعية الصحيحة ، ولهذا لم يتأخرن في اتباع المنهج الإسلامي الصحيح . (ابن جريس).

كبير للمرأة في الاتجاه المعاكس لما يراد لها من قبل من أقنعها أو أجبرها على النقاب، أو اعتبرها عورة لتتغير أسماؤهن في المستقبل . ويدل على هذا التغيير الذي سوف يحدث في المستقبل تغير أسماء بناتهن الصغيرات ، اللاتي لا يعرف البعض نطقها من تعقيدها وغرابتها بل وحداثتها) [(١)].

قلت : مدارس البنين) ثم (مدارس البنات) ثم (الوعظ والإرشاد) ثلاث اسطوانات في (بَكَم) المؤلف ، ليس فيها إلاّ الحديث عن الحجاب ، والاختلاط والخلوة، وعلاقة الرجل بالمرأة ، ومجلة العربي !! ، ولا يفتأ المؤلف من ترديد عبارته (الثقافة الدينية) وكأنّ ما في هذه الثقافة الدينية ، من آيات كريمة وأحاديث شريفة من الأخطار المحدقة بقرى الجنوب ، ولم يتحدث المؤلف عن قرى الجنوب ، فليس في جعبته إلاّ مجلة العربي ومدينة أبها . حتى مجلة العربي أصابها حَيْف المؤلف ، فلا نستبين ما جاء في مجلة العربي ، الذي خلطه بكلامه ، وبكلام جريدة عكاظ التي تصدر في الرياض العاصمة ، كما يقول. ونقرأ للمؤلف قوله: (ثم صار البعض منهم إذا ذُكر اسمها قال فلانة وأنت بكرامة ، أو النسوان أكرمكم الله) وفي هذا مغالطة كبرى، لأنّ هذه العبارات وأمثالها مثل : (فلانة الله يعزِّك) من الموروث عن الآباء والأجداد ، وليست حادثة ، بل العكس صحيح، فقد أخذت هذه العبارات في الانقراض . وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر ، فإنني ألفت نظر المؤلف إلى موروث قبيح ورثناه من أسلافنا، وهو حرمان المرأة من الميراث ، حتى أصبحت المرأة التي تطالب بميراثها في عداد المغضوب عليهن ، وقليلات الحياء . ومن ذلك الموروث البغيض استئثار رَبُّ العائلة بخبز البُرّ (القمح) ولبقية أفراد العائلة خبز الذرة أو الشعير . ومن الموروث الأقبح والأشنع

---

(١) ص٢٢٧. (ابن معبِّر) . والله إني أعجب من طرح الأخ ابن موسى ، ولو أنني لا أعرفه لقلت إن هذا من المستشرقين أو الباحثين المارقين الذين يحاربون شرع الله من خلال المرأة وحجابها ، أو العلاقة بين الرجل والمرأة ، أو غير ذلك من الموضوعات التي استغلها أعداء الله في صراعهم الثقافي والفكري مع المسلمين. وفي الأربعين سنة الماضية قرأت عشرات الكتب والبحوث لكثير من المستشرقين والباحثين الشرقيين العرب أو المسلمين أو الأجانب في بلدان أوربا وأمريكا وغيرها فوجدت كثير منهم يطرحون موضوعات تاريخية وسياسية وحضارية ودينية ومن خلالها يطعنون في تراث المسلمين وجوانب من حياتهم العامة والخاصة . وللأسف أننا نجد بعض إخواننا وأبنائنا ممن ذهب إلى الدراسة في الشرق أو الغرب ثم ساروا في ركاب هؤلاء المغرضين بقصد أو بدون قصد . ونقلوا لهم وللدكتور علي أيضاً اتقوا الله يا إخواننا فإنه ينظر إليكم ومن أهلكم أنكم قدوة فكونوا فعلاً قدوة قولاً وعملاً ، ولا تطرحوا وتناقشوا مثل هذه الموضوعات المزيفة في كتاب ودراسات من أجل نشر التضليل والتشكيك بين أبناء وبنات المسلمين ، وهذا ديدن أعداء الإسلام في كل مكان . (ابن جريس) .

أنَّ لابن العمّ منع ابنة عمّه من الزواج بغيره، وإن كانت مُبْغضة لابن العمّ هذا . ومن الموروث السّافل أن أحد الرجال إذا غضب من امرأة ، ولو كانت ابنته أو أخته قال لها عبارة فاحشة (يا ... فُلان) . ومع كل هذا فإن هذه الموروثات كانت محدودة النطاق ، عدا حرمان المرأة من الميراث ، فهو من الأمور الشائعة . و(الثقافة الدينية) التي يَصُبُّ عليها المؤلف جامّ غضبه هي التي تحارب هذه الموروثات القبيحة . ومجلة (العربي) تنتقص صحيح البخاري ، ولكنها مُقَدَّسة عند المؤلف [1].

<u>٤٦ـ دخل الأجانب وخرج الأقارب :</u> قال المؤلف : " لقد تغيرت نساء الجنوب مثل جميع نساء القرى في الشمالية والغربية والشرقية والوسطى مثلما تغيرت الأرض والمزارع التقليدية والرعي والحياة في القرى ، كل القرى . وذهبت البنات للمدارس ، وأصبح عليهن أن يرتدين النقاب والعباءة والزي المدرسي الذي لم يسبق لهن معرفته من قبل . وصار النقاب والعباءة معهن في كل مكان . كبرن وصار هذا اللباس هو الزي الرسمي في الحياة اليومية . أما الأمهات فقد أصبحن سيدات منزل وربات بيوت ، وأصبح العمل في الخارج من الأمور غير المقبولة لهن ، لأنه يعرضهن للاختلاط بالأجانب والأغراب ، والأقارب والأرحام [2] . وبعد ذهاب الأولاد والبنات للمدارس تغيرت حياة

---

(١) أعتقد الدكتور ابن موسى من المفلسين في فهم أحداث وتاريخ وحضارة أهل المنطقة ، وهذا ما توصلت إليه بعد قراءة حوالي (٩٥) صفحة من بحثك يا ابن معبِّر ، وكتاب الدكتور اقتنيته وتصفحته يوم أهدي إليّ من قبله، وأنت يا ابن معبِّر تجعلني الآن أعود فأقرأ الكتاب صفحة صفحة واكتشف فكر ابن موسى الذي أعرفه منذ زمن بعيد ، نعم إنني اختلفت معه أحياناً ، لكنني لم أتصور أنه يؤمن بهذا الطرح الذي نشرته مجلة العربي، أو ما ذكره في طيات بحثه . إنني في بداية بحثك يا ابن معبر وجدت رصد وسرد ابن موسى جيداً ، ولا أدري ماذا سوف أقرأ في الصفحات القامة من بحثك هذا (والله المستعان) . أما ما ذكرت يا ابن معبِّر من عادات عاشها ومازال يعيشها بعض الناس في مناطق الجنوب فهي فعلاً أخطاء اجتماعية شنيعة ، ويجب محاربتها ، كما يجب على جميع الرجال أن يتقوا الله في نسائهم وهذا ما حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية . وإنني على يقين أن كثيراً مما ذكرته سوف يزول (بإذن الله تعالى) ، إلا حرمان المرأة من الميراث ، فهذه عادة مازالت موجودة عند معظم الناس ، وعندما تتحدث مع الرجال في هذا الجانب يقولون هذا غير صحيح ، ونحن نعطي المرأة حقها، وقد وقفت على حالات عديدة خلال العشر سنوات الماضية (١٤٢٦ـ ١٤٣٧هـ) ، عند بعض الأقارب والأصدقاء في أوطاننا فتراهم يتحايلون في هذا الباب ، وهناك طرق عديدة لتحايلهم لحرمان النساء من ميراثهم ، إنهم يصلون ويمارسون جميع العبادات ، لكنهم في هذا الجانب لا يرغبون في تطبيق شرع الله في الميراث مع النساء. (ابن جريس) .

(٢) يا الله العجب منك يا ابن موسى فأنت تتحدث عن هذا الحجاب وكأنه عدوك اللدود ، أنت فعلاً غريب في طرحك وتحليلك ، مع أنك من حاضرة أبها ، ولكن غربتك سنوات طوال في الغرب وفي بعض البلدان العربية ، ثم مخالطتك وقراءاتك كتباً ودراسات تحارب الإسلام ربما جعلتك تقول هذه الأقوال وتنافح عنها. (ابن جريس) .

الناس في القرى . وحل بالأرض والمزارع والحيوانات والصناعات التقليدية ما حل بها . ووجد الناس أنفسهم بحاجة لمن يقوم بتلك المهام والأعمال التي كانوا يعملونها ويقومون بها في الماضي القريب[١] ، فبدأ الطلب على العمالة الأجنبية. وفتحت مكاتب الاستقدام أبوابها بسهولة ويسر . بل تحول موضوع جلب العمالة الأجنبية إلى سوق كبير تسبب في دخول الملايين من العمال من الذكور والإناث إلى المجتمع . أصبح أهل القرى الجنوبية مثل غيرهم من أهل القرى بحاجة لمن يرعى الغنم ويزرع المزارع ، ويقوم بالمهن المختلفة، ثم جاء دور السائقين والعاملات في المنازل . وشيئاً فشيئاً دخل الأجانب إلى وظائف كثيرة من خلال القطاع الحكومي ، وأيضاً في القطاع الأهلي الذي جلب ملايين العمالة من التقنيين والمهنيين في مهن وأعمال لم يعرفها أهل القرى الجنوبية وغيرهم من قبل . وفي فترة قصيرة تحولت قرى الجنوب إلى قرى عالمية لا تشبه الكثير من القرى في العالم بل تتفوق عليها في عالميتها . نعم في قرى الجنوب جنسيات بالعشرات ، وخاصة من آسيا وأفريقيا وأوروبا . جاءت هذه العمالة بأديانها ومذاهبها ، وتقاليدها وسلوكياتها ، ومشاكلها وإفرازاتها معها . هذه العمالة الوافدة تدين بمعظم الأديان والملل والنحل الموجودة في العالم . لقد دخلوا إلى المزارع والرعي والمحلات والمباني ومراكز الاقتصاد والتجارة والأعمال التي انفتحت في البلاد. ثم أخذوا يدخلون إلى البيوت من خلال السائقين والعاملات المنزليات. يتسللون إلى كل شيء ، إلى الملابس إلى الأطعمة والموائد والفرش ، إنهم من يعد الطعام ، ويهيئ الملابس ، ويربي الأطفال ، ويرعى الأسرة الكريمة ، ويتكفل بنقلها من مكان إلى آخر[٢]. لقد خرج الأقارب ودخل الأجانب. نعم خرج الأقارب، ودخل الأجانب مرتين: مرة لملء الفراغ الذي سببه ترك المرأة لمكان عملها بحجة النقاب والمحارم والاختلاط ، ومرة أخرى عن طريق الحاجة لمن يقوم بالمهام التي لا يستطيع الرجال القيام بها في ظل وجود المسؤولية تجاه المرأة، ونتيجة عدم قدرتها على القيام بمهامها الشخصية والاعتماد على نفسها. هي بحاجة لمن يبقى في المنزل أثناء غيابها ، وهي بحاجة لمن ينقلها إلى عملها وأقاربها والسوق والمستشفى

---

(١) يا أخي علي رصدك أحياناً جيد وعلمي وواقعي ، لكنك لا تستمر على هذه الوتيرة ، وإنما تشطح أحياناً بآراء وأطروحات تخالف الواقع وتحارب الدين. (ابن جريس) .

(٢) نعم هذه حقائق لا ينكرها إلا مكابر ، وهذه من مشكلات العصر ، والواجب علينا جميعاً أن ندرس هذه المشاكل ونقترح الحلول المناسبة لها ، ثم نرفع بحوثنا ودراساتنا واقوالنا إلى صناع القرار في البلاد ، وهذه مسؤولية كبيرة ، وعلينا أن نقدم شيئاً لمحاربة هذه الآفات ، ولا نددن على لبس المرأة للحجاب وماحل بها من الظلم من وجهة نظرك ، من خلال هذا الحجاب الذي سترت به جسدها . (ابن جريس) .

وغيرهــا من الأماكن التي تحتاج إليهــا في الوقت الذي يكون فيه الرجال من المحارم في أعمالهــم ومدارسهم [(١)]. توقف الجميع هنا. بـل احتارت العقول وعميت الأبصار. هنا قمة التناقض بين المبدأ الأساسي من وراء النقاب والعباءة ومنع الاختلاط وبين الممارسة والسلوك والحاجة الاجتماعية التي نقضت هذه المبادئ. يخرج الأقارب بحجة أنهم غير محــارم للمــرأة، ويدخل الأجانب بحجة أنه لا يحق للمــرأة القيام بمهامها الشخصية، ولا بـد مــن رجل يقوم بهذه المهام، وأي أجانب، إنهم من ملل ونحل وثقافات غير ثقافة وقيــم وأعراف وثوابت أهل القرى في الوسطى والغربية والشرقية والشمالية والجنوبية. ملايــين السائقــين والعاملات المنزليــات وغيرهم من الأجانــب في الوطن يتحركون في الصباح بسياراتهم، وهم يحملون معهم النساء والأطفال، وأيضاً بعض الرجال الذين أصبحوا يعتمدون على السائقين الأجانب. والمشهد الملفت للنظر الذي يعبر عن التحول الكبير هو عند أبواب المدارس أو المؤسسات التي تعمل فيها المرأة، وهناك تكون الغالبية ممــن يحضــر لاصطحاب النســاء إلى منازلهن مــن السائقين الأجانــب. بنات ونساء منقبــات يرتدين العباءة، وبعضهن قد وضعــت في أيديهن القفاز لتغطي كامل جسدها بالملابــس السوداء، ثــم يركبن مع السائقين الأجانب جماعات وفــرادى ثيبات وأبكاراً، وكأنــه محــرم لهن يجــوز لهن أن يكشفن وجوههــن أو يختلين به أو يختلــي بهن، وكأنه ابــن الأخ أو ابــن الأخت أو العم أو الخال أو أقــرب قريب. وربما يسهل التعامل معه فهو مأمــور ينفذ كل ما يطلب منه[(٢)]. أما النسوة اللاتي لا سائق معهن فالسائق الأجنبي – أيضاً – هو الحل، فسيارات الأجرة بمئات الآلاف يسوقها أجانب. وبالتالي لا ضرر من ركوب المرأة في سيارة الأجرة مع الأجنبي. ولكن كم ستكون مصيبة لو أن صاحب سيارة الأجــرة مواطن؟ هنا سوف تحوم حوله وحولها الشبهات، لماذا ؟ لأن هناك أزمة كبيرة بــين الناس، وإن النقــاب مرتبط ليس بقضايا دينية فقط، ولكــن بعادات العار والعيب

---

(١) يــا علــي نوافقــك علــى مــا ذكــرت في السطــور السابقــة، ولكنــك لا تتــورع أن تدس السـم في العسـل. (ابن جريس).

(٢) لا ننكــر أن لهــذه العمالــة سلبيــات علينــا في حياتنــا العامــة والخاصــة، ولكنــك بأقوالك هذه تشكك في كل النساء وتقذفهن وتطعن في شرفهن بطريقة غير مباشرة، وكأنك تقول الحل هو أن تخرج المرأة بدون حجاب إلى الشــارع فتعمــل مثل الرجل سواءً بسواء، وكأنك تقول أيضاً هؤلاء النساء السافرات في أنحاء العالم يعشن بحريــة وبــلا قيــود، والمفروض أن تكون نساؤنا مثلهن، هذا كلام خطير تحــارب فيه شرع الله، وأيضاً تنادي في معشــر النســاء وتقول لهن أن حياتكن سجن وكابوس تحت مظلة الرجل، وعليكن الانتفاضة وعدم الرضا بهــذه الحيــاة، إنهــا صيحة نسمعها من نساء ورجــال كثيرين في بلادنا العربية والإسلاميــة، وأرجو أن تكون نداءات هؤلاء خيبة وخسارة عليهم في الدنيا والآخرة. (ابن جريس).

(المنقود) . حتى المواطن السائق هو في دائرة الشك مقارنة بالأجنبي . لماذا كل هذا؟ أين الدين والنخوة والكرامة والشهامة والغيرة وغيرها من المفاهيم والمصطلحات التي تضيع في أماكن وتحضر في أماكن أخرى ؟ إنها منظومة القيم الطارئة مع أدوات الحداثة وسلوكياتها . غير أن الخلل الذي يرافق الازدواجية يكمن في كيفية التعامل مع تلك المستجدات التي أوجدت التناقضات . إذاً المشكلة ليست مع الآخر ، بل بين أهل القرى جميعاً في الوسطى والشرقية والغربية والجنوبية والشمالية . لا يثقون ببعضهم البعض ، حتى أن الأخ أصبح مشبوهاً ومشكوكاً فيه (الحمو الموت) ، لماذا يعظمون خطاياهم بينما يستصغرون الآخرين ويستصغرون خطاياهم ؟ أولئك الآخرون يرون ما لا ترى ويسمع أهل القرى عن أنفسهم . يكفي أن يركب أحد أهل القرى مع أحد أولئك الأجانب بدون لبسه الوطني ويتكلم بلغة أجنبية ليسمع عن مجتمعه ووطنه ، وعن النساء والرجال ما لا يرضيه من حقيقة يعرفها ولكنه لا يريد أن يسمعها ، يراها ولكنه لا يريد أن يعترف بها ، يعيشها ولكنها لا تعنيه . وكما تعود الفرد قول ليست مشكلتي لوحدي إنها مشكلة الجميع . هؤلاء السائقون ليسوا فقط يحملون النساء والأطفال بل إنهم يحملون الجميع[١] . معظم أهل القرى كل القرى في الشمالية والشرقية والجنوبية والغربية والوسطى أصبح عندهم سائقون وعاملات في المنازل ، ولديهم مشكلات مع احتياجات نسائهم في موضوعات كثيرة تضطرهن لوجودهن بخلوة أو بدون خلوة مع الأجانب . حتى وإن كان من يعمل معهن من المسلمين فلن يغير من المشكلة أي شيء. هنا يوجد الأجانب ، وليسوا المحارم ولا الأقارب) [٢].

قلت : عبارة المؤلف: (دخل الأجانب وخرج الأقارب) عبارة رائعة ، لو أحسن المؤلف توجيهها ، لأنَّه جعلها بكلامه الذي دار تحتها (كلمة حق أريد بها باطل) . فالأجانب والأقارب على مَحكٍّ واحد في خطرهم على المرأة ، فالدَّاخل معه شيطانه وغريزته ، والخارج مثله . وقد ساق المؤلف الحديث الشريف (الحمو الموت) كعبارة دارجة ، ويشوب إدراجه لها ـ بحسب السِّيَاق ـ السُّخرية بالحديث . ونقرأ للمؤلف قوله : (يخرج الأقارب بحجة أنهم غير محارم للمرأة ...) وكأنَّه يريد أنْ ينفي ما قَرّره

---

(١) أنت يا علي متناقض في أقوالك ، وتذكر حقائق يعيشها مجتمعنا ، والحل من وجهة نظرك أن المرأة تخلع حجاب وجهها ثم تدخل في معترك الحياة مع الرجال ، وللأسف أنك لا تدرك أو تتغافل الفرق بين مجتمع الأوائل من الآباء والأجداد وظروف الحياة آنذاك ، والحياة والانفتاح الذي يعيشه العالم اليوم ، ثم تقول إن الحل الوحيد أن ترمي المرأة بحجابها وراء ظهرها وتشارك الرجال في كل مكان ، إنها فعلاً أفكار مسمومة .(ابن جريس).

(٢) ص ٢٦٦. (ابن معبِّر) .

الشَّرْع بشأن المَحْرم وغير المَحْرَم ، ويَقْرِنُ ذلك بدخول الأجانب ، ليُوهم القارئ بأن الأجنبي أخطر من القريب ، وكلاهما أخطَر من الآخر ، وجَدُّ البقر ثَور [١] .

٤٧- **الخلوة والأجانب:** قال المؤلف : (يحدث الاختلاط وكشف النقاب والخلوة مع الأجانب والأجناب في أماكن مختلفة ، ويحدث معها الحوار والنقاش والجدال حول هذه الموضوعات الثلاثة التي تعد من أهم موضوعات النقاش والحوار والجدل بين أهل القرى . ولقد نتجت أشياء كثيرة من وجود هذه العمالة الوافدة بشكل غير مسبوق في تاريخ القرى كل القرى ، وبقية القرى في بلاد العرب ممن احتاج للعمالة الوافدة بكثرة. والسؤال : هل يمكن الجلوس على طاولة النقاش والحوار المستمر ؟ يجب طرح الأسئلة الصعبة ، والبحث عن الأجوبة الصحيحة ، وتقديم المبادرات والحلول ، من خلال البحث العلمي بكل تخصصاته ، بما فيها الشرعي ، لإيجاد حل لهذه المشكلة المركبة التي تمس الدين والأخلاق والمبادئ ، بل إنها تهدد الأمن والاستقرار ، وتنسف القيم الوطنية المبنية على الثوابت ، إن تركها كالمعلقة سوف يستثمر ويدخل المرأة والمجتمع في كل جحر. المسألة لا تحتاج لمن ينافح عن هذه القضية ليتكسب من خلفها مكاسب اجتماعية أو مالية أو وظيفية ، أو المحافظة على الامتيازات أو للمزايدات على البعض . هنا مشكلة عمالة تسكن في بيوت الناس ، وتقاسمهم لقمة العيش ، وتحتل أماكنهم حتى في بيوتهم، لقد وصلت إلى غرف نومهم ومضاجعهم ، إنها تطلع على عوراتهم وتعرف عنهم وعن خصوصياتهم ما لا يعرف أهل القرى كل القرى عن أنفسهم [٢]. النقاب

---

(١) أعتقد يا ابن معبِّر أن النقاش مع هذ الأنواع من الأساتذة والباحثين والدارسين مضيعة للوقت ، لكن لا ننكر خطورتهم وما يسعون إلى تحقيقه . إن الدارس لتركيبة الأسر والمجتمع السعودي أو الجنوبي اليوم لا ينكر أن هناك عيوبا وأخطاء في حياة الناس أفرادا وجماعات ، نساءً ورجالا ، بل إن هناك تجاوزات كثيرة في أمور شرعية ، والمحاكم الشرعية ومؤسسات الشرطة وحقوق الإنسان تغص بهذه القضايا الاجتماعية . والقول بأن اختلاط النساء بالرجال قديماً أفضل مما نشاهده اليوم من الحشمة والفضيلة والأعمال الصالحة ، فهذا ادعاء باطل من ابن موسى وأشباهه ، وكما قلت (كلمة حق أريد بها باطل) ، وللأسف أن الدكتور علي يصور لنا المجتمع السعودي بين السائق الخاص أو سائق التاكسي ، وكأنه مجتمع تخيم عليه الرذيلة والفحش ، ولا ينظر إلى حياة الناس في منازلهم وأسواقهم ومساجدهم ومدارسهم وجامعاتهم والحشمة التي تسود نساءهم وتفصل الرجال عن النساء ، أيرغب أن تتحول بلادنا إلى مراكز للرقص والاختلاط والفحش كما نراه في بلدان كثيرة من العالم ، ولا نقول إلا (حسبنا الله ونعم الوكيل) على من سعى ويسعى إلى محاربتنا في أعراضنا وديننا. (ابن جريس) .

(٢) يا أستاذ أنت تكتب وكأنك تعيش مع معظم الناس في منازلهم وجلساتهم العامة والخاصة. نعم لا ننكر أن العمالة انتشرت في كل مكان ، ومنهم السائقون ، لكن التعميم بهذه الطريقة الفجة والقذف الصريح يجعلنا نقول إن مجتمعنا انتهى وأصبح في عداد الساقط المدمر ، وللأسف إنك لا تركز إلا على السلبيات فقط،ولم تنظر إلى الإيجابيات التي يعيشها المجتمع اليوم . صحيح البحث عن حلول بهدف التقليل من العمالة الوافدة، واستبدالها بالشباب السعودي مطلب وطني وجيد ، لكن تركيزك على السائق أو صاحب التاكسي يقودك في النهاية إلى نهاية المجتمع ، وفي نظرك لا حل لهذه المعضلة إلا بخروج المرأة إلى الشارع ومشاركة الرجل في كل شيء ، والأفضل عندك أن تنزع حجابها عن وجهها وتسير كغيرها من نساء العالم السافرات المتبرجات . وأقول لك أنك على خطر أمام الله عز وجل ، فلا تجتهد وتنافح من أجل إفساد المرأة وتدميرها أخلاقياً وقيمياً.(ابن جريس) .

والمرأة وعملها وحركتها مواطن الصراع بين أهل القرى كل القرى ، من تحدث فيهما اتهموه ((بالليبرالية)) أو ((بالعلمانية)) أو بالعبثية أو بعدم الغيرة أو بنقص الدين ، بل يصل الأمر ببعض المتشددين إلى اتهام خصومه بالكفر والعمالة لجهات خارجية. كل هذا لأن المرأة وعملها والنقاب والاختلاط هي الموضوع . وفي الجهة الأخرى يتهم من ينافح عن النقاب وعن المرأة بالرجعي والمؤخر والمعطل للتنمية وللتطور ونهضة المجتمع والمتطرف والأصولي وغيرها من الألقاب والاتهامات التي تصل إلى درجة الاتهام بالإرهاب لخصومهم . والمشكلة أن الطرفين ليس لديهما حلول ويتقاذفان بالاتهامات ، ويعمقان الخلاف والصراع بينهما ، والكل لديه منطقه ومبرراته ، ولكن الآن من يستطيع أن يقدم الحل ؟ من لديه القدرة العلمية والفقهية والاجتماعية والقانونية وغيرها لنعالج هذه القضية ؟ لهذا يجب أن يتوقف الصراع والنقاش المبني على التهم غير المبررة ، والتمترس في مواقع الخصومة وترك المشكلة تنمو وتزداد وتتعقد حتى تولد ما لا تحمد عقباه . هناك أزمة وقضية تمس الجميع : الفرد والأسرة والمجتمع والدولة ، فهل من حل ؟

أرصدوا ما ورد في السنة من روايات وحقائق عن الرسول ﷺ وعن الأسباب والظروف التي فيها الكثير من الأحاديث والروايات لتجدوا الحل أمام أعينكم ، واقرأوا آراء الفقهاء الذين اجتهدوا في عصرهم ، وتذكروا أن المعطيات التي بنوا عليها مواقفهم تتغير مما يستدعي البحث والتعمق في الفهم لهذه المتغيرات التي يجب مناقشتها وبحثها وفهمها ووضع المسوغات والمبادرات والخطط والبرامج العلمية المبنية على الحقائق في معالجتها . ليس أحد مكلفاً بأن يبتدع من عنده ما يخالف السنة من باب سد الذرائع، ويجب أن يفتح باب الاجتهاد بنقاش معمق بين العلماء الفقهاء من جميع المدارس الفقهية ، مع إشراك المتخصصين والمسؤولين ومن يمثل أطراف النقاش، ومن لديهم حقائق وبيانات عن المتغيرات التي يواجهها المجتمع بجميع شرائحه ، ومنهم النساء ، ومن يستطيع إفهام المتحاورين بعض القضايا والموضوعات التخصصية التي لا يلمون بها . لقد تغيرت معطيات كثيرة ، ومستجدات عظيمة ، وسوف تستمر في التطور والتغير لتصل إلى حد لا يستطيع عنده المتحاورون تجاوز الواقع ، وقد يتغير المتحاورون مع الزمن ليحل محلهم متحاورون آخرون يتجاوزون ما توقف عنده المتحاورون اليوم [(١)]. لقد انفتح

---

(١) إن التحاور والنقاش مطلوب في أي زمان ومكان ، والمشاكل موجودة ومستمرة ، والصراعات بين الفرقاء قائمة وسوف تستمر ، بل هي موجودة من عصور الإسلام الأولى ، لكن تركيزك على الحجاب والمناداة بتركه ثم خروج المرأة دون أن تستر جسدها من الرجال الأجانب لا يوافقك على هذا النداء أنت ومن يقول بقولك أي قانون شرعي، وكان باستطاعتك أنت ومن ينادي معك بهذا القول أن تنادوا بضرورة مشاركة المرأة في الحياة العامة مع الحفاظ على حجابها وستر جسدها من الأجنبي الذي ورد عنه أقوال

العالم على بعضه، وصار الواحد يرى مجتمعات إسلامية لها تطبيقاتها ، ولها رؤيتها حول القضايا الحساسة، ومنها المرأة والنقاب والاختلاط والعمل ، بل إن الناس تستطيع أن تبحث في جميع الموضوعات وتتواصل مع علماء آخرين من خارج الحدود ، ومن خلال الإعلام الديني المتنوع والإنترنت والتواصل الإلكتروني بجميع المكتبات والمراجع الفقهية . وكل هذه المصادر والمعارف والعلوم والأطروحات تربك الفرد والمجتمع عند المقارنة بالواقع ، وبالفهم لدى البعض ، وخاصة أن هناك علماء معاصرين لهم آراؤهم وفتاواهم في هذه الأمور . ولكن لا بد أن توضح الأمور هنا ، فالفتوى الفردية غير ملزمة وغير كافية ، بل إنها تكون مصدر فوضى في كثير من الأحيان مثلما حصل في بعض الموضوعات التي تطرح من قبل بعض المنتسبين للعلم الشرعي الذين يتحدثون عن موضوعات هي من صلب تخصص الخاصة من العلماء وليست للجمهور . المطلوب عمل جماعي مؤسسي يخضع للبحث والتدفق والمناقشة والمراجعة قبل إخراجه للناس[١] . الرجل والمرأة اليوم متعلمان ـ أيضاً ـ ويفهمان ويستوعبان ، ويبحثان وينقبان عن كل صغيرة وكبيرة، ويناقشان كل القضايا الحساسة بدون وجل أو خوف لأنها قضاياهم التي تمس حياتهم ومصالحهم وعيشهم ومستقبلهم ودنياهم وآخرتهم)[٢] .

قلت: كأنَّ المؤلف يريد أن يجعل (الاختلاط ، وكشف النقاب ، والخلوة) قَضية يترافع فيها ويتحاور ويُنَاقش فيها كُلّ من هَبَّ ودَبَّ ، وربما وصل الأمر إلى الدَّعوة إلى الاستفتاء والتصويت على الأحكام الشرعية وأدلَّتها[٣] . والمؤلف يرسم أزمة وقضية

شرعية في القرآن وكتب السنن ، ومن يقول بهذا القول فإن كلامه سوف يقبل عند المرأة المسلمة نفسها وعند طلبة العلم الشرعي وغيرهم . أما من يجرد سلاحه ويشهره في وجه من ينادي بحجاب المرأة ويقال له، إنه متخلف ورجعي ، فهذا قول لا يرد به قول الحق ، وإنما يسعى إلى نشر الإباحية والرذيلة في المجتمع المسلم . والمعادون للإسلام لا يستغرب منهم هذا الكلام ، لكن الشذوذ والغرابة الشديدة من يقول بذلك وهو مسلم وعاش في بلاد إسلامية تحكم بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) . (ابن جريس).

(١) من يقرأ بعض نقاشاتك يا دكتور علي يجدها تدخل في صلب (تخصص الخاصة من العلماء) ، فأنت تناقش وتفتي في الحجاب ، والخلوة ، والرجل الأجنبي مع المرأة ، وذلك من قراءاتك وقناعاتك وليس من مصادر الشرع الصحيحة . إنك بهذه الأقوال تناقض نفسك يا علي ، وتصدر الفتوى في بعض القضايا الرئيسية في حياة المسلم والمسلمة ، ثم تقول ، اتركوا العلماء والفقهاء يقولون آراءهم في بعض ما طرحت ، أنت وغيرك، ثم تقحمون أنفسكم في أمور فقهية شرعية أكبر من قدراتكم وفهمكم .(ابن جريس) .

(٢) ص٢٦٩ . (ابن معبِّر) . اتفق معك في كل ما قلت لكن أي امرأة أو رجل لا يتكلم في علوم الشرع الشائكة إلا عن فهم وعلم شرعي ، أو عنده شهادة ثم يصدر الأحكام مثلك بدون دليل فهذا لا يجوز لا عرفاً ولا شرعاً .(ابن جريس) .

(٣) هذا الذي طرحه ويتطلع إليه الدكتور علي ومعه من أمثاله كثيرين ، ولكن دين الله محفوظ ، حتى ولو تحدث فيه بعض المرجفين . (ابن جريس) .

تبعاً للمتغيرات والمعطيات . وتجاهل أو تغافل أو نسي أنّ الله تعالى خَلَقَ خَلْقَه ، وبعث الأنبياء والرسل عليهم السلام بالشرائع ، وختم ذلك بالرسول الخاتم ﷺ ، وأنزل عليه القرآن ، وقال تعالى عن سُنَّة رسوله ﷺ : [**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)**] [١] ، واستقر علماء الأمة رحمهم الله تعالى على تحديد أدلّة الأحكام الأربعة المُتّفَقُ عليها ، وهي (١) القرآن . (٢) السنة . (٣) الإجماع . (٤) القياس . كما أنّ الله تعالى يعلم بما سيكون من تغيُّرات وانحرافات ، وقال جل وعلا : [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**] [٢] ، وهذا الدّين بأدلته قد فَصل فيما يخص (الحجاب ، والنقاب، والاختلاط والخلوة ، وعلاقة الرّجل بالمرأة) .

والعاقل عندما يقرأ قوله تعالى : [**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**][٣] ويتأمل في (أَدْنى أَن يُعْرَفْنَ) ثم يسأل نفسه : بمَ يُعْرف الإنسان . الرجل والمرأة . ، وسيأتيه الجواب سريعاً دون تفكير : بالوَجْه فلو تَعَرّى الرّجل أو المرأة مع ستر الوجه ، فَلَنْ يُعْرَفا ، إلاّ الرّجل فتعرفه امرأته ، والمرأة سيعرفها زوجها ، إلى حدٍّ ما . وفي هذا الدليل القاطع المانع لسَتر المرأة وجهها ، إلاَّ إذا أراد المؤلف علي ابن موسى أن نأتي بدين جديد[٤]وقرآن جديد ، ونَبِيٍّ جديد .وهذه الآية من أدلة أصحاب (الثقافة الدينية) التي يتنقّصها علي بن موسى . إنّ معنى قول المؤلف: (يجب أن يفتح باب الاجتهاد بنقاش مُعَمّق ...) هو أنْ نضع هذه الآية وغيرها من الآيات ، والأحاديث على طاولة البحث العلمي ، ويكون حول الطاولة :الفقهاء ، وعلماء النفس والاجتماع ، وأرباب الصحافة، ومندوب الجامعة العربية ، ومندوب هيئة الأمم المتحدة ، ويكون حوارهم حول آيات الحجاب في القرآن والسُّنَّة ، وأقوال العلماء المسلمين ، ثم يُقِرُّون منها ما يرونه مناسباً لتغيرات العصر ومعطياته ، وتشابه البقر علينا !!! . [٥]

٤٨. الملبس والمظهر : قال المؤلف: (ومع استمرار تدفق وسائل الحداثة وأدواتها إلى القرى ، وتغير حياة الناس وممارساتهم بدأ يتغير حتى مظهرهم وملبسهم ، ومأكلهم

(١) سورة النجم ، آية (٣.٤) . (ابن معبِّر) .

(٢) سورة المائدة ، آية : (٣) . (ابن معبِّر) .

(٣) سورة الأحزاب ، آية : (٥٩) . (ابن معبِّر).

(٤) لا تستغرب يا ابن معبِّر من قول ابن موسى فهناك أمثاله كثيرون في بلادنا العربية وغيرها من البلدان . والصراع بين الحق والباطل وجد من قديم الزمان وباقياً حتى تقوم الساعة . (ابن جريس) .

(٥) لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنه من المحزن أن نجد من أبنائنا وإخواننا من يسير في ركاب المحاربين لله ولرسوله (ﷺ) . وذلك بالنقاش والقول والتحليل فيما يعارض شرع الله وأمور الدين العامة والخاصة.(ابن جريس) .

ومشربهم . وصار يظهر على الناس ملابس غير التي كانوا يلبسونها ، ويرتدونها ، وصاروا يقلدون أهل الحواضر والمدن . بل وصل التغيير إلى درجة لبس البعض الملابس الإفرنجية مثل الأجانب ، وخاصة النساء . نعم لقد فرضت عليهم الوظائف والاختلاط مع أمثالهم من الرجال أن يظهروا مثل غيرهم من المتمدنين . وشيئاً فشيئاً قام أولئك بالتخلي عن محازمهم ، وعن جنابيهم وعن خناجرهم التي لا تعترف بها الحياة المدنية. إنهم يتجردون من قيم وليس عن لبس. فالحزام والخنجر والجنبية والعصبة للرأس كانت قيماً يفتخرون بها ، ويعاقبون من يعتدي عليها ، أو يتهاون فيها على أنه مارق وخارج على قيم وتقاليد وأعراف أهل القرية . وتعد تلك المخالفات من خوارم المروءة. وبالرغم من تمسك البعض بلبسهم فقد صدرت تعاميم تمنع من دخول المراجعين للدوائر الحكومية بالخناجر والجنابي ، مما أدى إلى تركها عند أبواب المؤسسات الحكومية. وأصبح الناس يتجردون من تقاليد قراهم ، وعاداتهم وثقافتهم وعن لباسهم إلا في الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية [1] أصبحت ملابس الناس تصمم وتخاط في الخارج ، وتأتي إلى الأسواق من دول العالم المختلفة ، بينما انتشر الخياطون الأجانب في كل حي من أحياء المدينة ، وفي التجمعات القروية، وهم يخيطون الملابس للرجال والنساء . واليوم تتغير الملابس شيئاً فشيئاً حتى صار الناس يلبسون ويقلدون ملابس الغرب ، وأخذت القمصان المكتوب عليها بحروف لاتينية وصور غريبة تدخل إلى البيوت وحتى المساجد . بل إن هناك من يتابع الموضات في كل محل أزياء عالمي، حتى صار من بين أهل القرى من اقتحم مجال تصميم الأزياء، وصار يعرض آخر صرعاته معهم . لقد تغيرت حتى قصات الشعر والتسريحات ، وأصبح البعض يقلد أشباهه في الخارج ، من خلال ما يقوم به الحلاقون أو من خلال صالونات ومراكز خدمات النساء . وأخذت أشكال الناس ومظاهرهم في التغير) [2]. قلت : هذه اللفتة من لفتات المؤلف الجميلة، وهي التي تحتاج إلى (طاولة النقاش والحوار المستمر) كما يقول المؤلف في موضع سابق .

---

(١) هذه الحقيقة ، وتلك الحياة الاجتماعية السابقة في باب اللباس والزينة تستحق أن تُدرس في بحوث ورسائل علمية ، وذلك من أجل حفظ ذلك الموروث التاريخي لأجيال اليوم ومن سيأتي بعدهم . (ابن جريس) .

(٢) ص٢٨٤ . (ابن معبِّر) . نقاشك مقبول يا علي في هذه الجزئية ، لكنك لم تتحدث عن أسباب هذه التحولات في اللباس والزينة ، وما هو الذي يتوافق مع الشرع أو لا يتوافق ، ولم تشر إلى التقليد الأعمى ولبس الألبسة الشفافة والخليعة أحياناً من قبل النساء في بعض المناسبات كالزواجات وغيرها . ومن المفروض أنك أشرت إلى هذا التقصير والأخطاء التي يرتكبها المسلم والمسلمة أثناء لبس بعض الألبسة ، والباحث يجب أن يكون منصفاً ، فأنت فصلت الحديث عن النقاب ، أو الحجاب ، أو الخلوة ، أو السائق وقلت قولك في ذلك ، وكان عليك أن تدلي برأيك في موضوع اللباس والزينة أيضاً . (ابن جريس) .

٤٩ـ عمل المرأة : قال المؤلف: (لا بد أن الطريق شاقة وصعبة حتى تتم المواءمة بين الثقافة الدينية والاجتماعية ، وبين الحاجة للتعليم وعمل المرأة . ومن يتتبع ما حققته المرأة حتى الآن سواء في التعليم أو في العمل يلاحظ أن المرأة قد أسهمت في الكثير من المجالات، وخاصة في تطوير وضع الأسرة سواء من الناحية المادية أو حتى العلمية والتنموية . فهي التي تعمل بشكل كامل في المؤسسات التعليمية النسائية ، بالإضافة إلى الجامعات . بالرغم من النقاش الحاد بين أنصار عمل المرأة والمعارضين له في بعض التخصصات غير أن هناك احتياجات للمرأة مادية وإنسانية ومالية لا يمكنها التغلب عليها إلا بالعمل الشريف الذي يؤمن لها متطلبات عيشها ، وخاصة في هذا الزمن الذي ابتعد فيه الأقارب ، وضعف الترابط الاجتماعي الذي كانت تعرفه القرى في الماضي ، حيث كانت احتياجات المرأة محدودة ، وكانت محمية بالتكافل الاجتماعي والأسري في القرى. ولم تكن حياتها في الماضي فيها التعقيدات التي يشهدها المجتمع في الحاضر. المرأة مضطرة للعيش بكرامة من خلال العمل الذي يضمن لها دخلاً يحميها من استغلال الكثيرين لها بسبب عدم توافر احتياجاتها، ولأن القيم الاجتماعية في حالة تغير . لقد أصبح بعض الناس يتخلون عن بعض أقاربهم من النساء والرجال ولا يستطيعون تحملهم لتغطية التكلفة العالية لحياتهم من سكن وملبس ومأكل ومشرب وصحة وتعليم وغيره من متطلبات الحياة اليوم. [١]

لقد تغير الكثير من القيم ، وأصبح كثيرون لا يستطيعون القيام بمسؤولياتهم تجاه بعض أفراد أسرهم ، وخاصة النساء . لهذا أصبح عمل المرأة ضرورة وحاجة ، وليس ترفاً حتى تحافظ على كرامتها ، خاصة وأن هناك المطلقات والأرامل والأيتام وغيرهن ممن يشكلن حملاً إضافياً على بعض الأسر التي لا تستطيع الوفاء باحتياجات الكثير من النساء ، هذا بالإضافة إلى أن بنات ونساء الميسورين يرين أن هناك حاجة للعمل لما يحققه لهن من استقلالية ، وإثبات للذات ، والمشاركة في المجتمع بكل مؤسساته ، وضماناً للمتغيرات التي تحدث مع تسارع تطور المجتمع وحراكه في مجالات عديدة . البعض لا يستطيع تصور احتياجات الآخرين ، وينظر إليهم من خلال ما يعيشه من رغد وسعة في العيش من دون أن يتصور أن هناك من لا دخل له ولا عائل، وخاصة من النساء ، ويتحدث من سعة دون أن ينغمس في احتياجات الناس وظروفهم ، ويقدم

---

(١) هذه حالات نراها عند بعض الأسر في القرى والمدن ، وعمل المرأة جيد ، لكن حفاظها على حجابها وعفتها سواءً عملت أم لم تعمل أهم وأعظم . (ابن جريس) .

الحلول العملية لقضايا هي أشد خطورة على المجتمع وعلى المرأة ، خصوصاً في هذا الزمن الذي كثرت فيه الاحتياجات وقلت المسؤوليات الأسرية والاجتماعية . ويلاحظ أن هناك من يناقش هذه المسائل الاجتماعية الخطيرة من باب الترف الفكري ، من دون مواجهة المشكلة وتقديم المبادرات، ولهذا يلجأ المعارضون لعمل المرأة لمبررات تتعارض مع احتياجات المرأة ، ومع التطور الذي حدث في الأسرة ، وبين الأرحام والأقارب ، وتباعد الناس عن بعضهم. بينما أنصار عمل المرأة يهيجون النقاش مما يجعل المعارضين لعمل المرأة في بعض الميادين العامة يحولون القضية إلى موضوع للنقاش والحوار والجدل من دون حلول. مع أن المعارضين والمؤيدين لعمل المرأة لديهم نساء، ويحتاجون إلى توفير الأعمال لهم. هنا يمكن أن يتدخل القياس الذي لم يجتهد بعد في كثير من الأمور ، حيث توقف عند محطات في الماضي تختلف من حيث الزمان والمكان والمسببات والمتغيرات والمعطيات والنتائج عن الزمن الحالي ، وليس هذا عجزاً في الشريعة ، ولكن في فهمها وتفسيرها ، واستيعاب المتغيرات التي طرأت وكيفية التعامل معها . ولو كان من نقرأ معرفتهم وعلمهم بيننا اليوم من علماء المسلمين لكان لهم مقال غير ما ينقل عنهم في الكثير من القضايا الملحة التي تحدثوا عنها في الماضي . وقد حدث في التاريخ الإسلامي الكثير من المواقف الفقهية التي تتغير بتغير الزمان والمكان والمعطيات . كما يجب لمن يناقش قضايا المرأة أن يتذكر موقف أبي بكر مع المرأة التي كانت تعاني مع أطفالها من الجوع وكيف اقتفى أثره عمر ليرى ماذا يفعل . وعندها قال كلمته المشهورة: ((ماذا تركت لمن بعدك يا أبا بكر)) . كما يجب أن يتذكر الحوار الذي دار بين عمر والمرأة التي اعترضت على تحديد المهر ، عندما قالت له ماذا تقول في قوله تعالى : [**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**] (النساء ٢٠). فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، بعدما اعتلى المنبر وصحح ما كان قد نصح به من تحديد المهور ، وقد ترك الأمر للرجل لينفق كل من سعته امتثالاً لما ورد في القرآن الكريم [١] . ولهذا وجب على أنصار عمل المرأة ومعارضيه الجلوس إلى طاولة واحدة ومناقشة هذه المشكلات ، وتقديم الحلول لها من خلال البحث ، وبما يضمن عمل المرأة في وضع شرعي وقانوني[٢] ولكن الملاحظ أن كل من يتحدث عن عمل المرأة هم أصحاب

---

(١) كلامك يا علي معقول فيما ذكرت في هذه السطور ، والمرأة اليوم تستطيع العمل في قطاعات عديدة مع حفاظها على حجابها وتجنبها مخالطة الرجال ، وهذا الكلام يزعجك ، لكن هذه الحقيقة وما حث عليه علماء المسلمين في السابق واللاحق . (ابن جريس) .

(٢) أعتقد أن العقلاء المنصفين من الرجال لن يعارضوا هذا الطرح ، والشرع رسم الخطوط العامة لحياة المسلم والمسلمة ، أما القانون الذي تنادي به فإن كان وفق شرع الله فهذا أمر محمود ، وإن كان يسير في إطار القوانين الوضعية التي تنادي باختلاط المرأة وتبرجها فهذا نداء لا يستقيم مع مصادر الملة السمحة.(ابن جريس).

رأي وليسوا أصحاب قرار ، وبالتالي يحدثون الكثير من الربكة والضوضاء وسط المجتمع ، لتستمر المشكلات في التراكم من دون حلول . ولأن تراكم هذه القضايا سوف يوسع من إفرازاتها لتتحول إلى مشكلات اجتماعية ، ويصبح التعامل معها مستحيلاً ، لهذا فإن من الضرورة أن تدرس قضية عمل المرأة بشكل دقيق ومعمق من جميع أهل الاختصاص ، حتى وإن تم الاختلاف في بعض وجهات النظر ، فيجب أن تدون جميع التحفظات وتقدم لصناع القرار ، لأن هذا يسهم في التخطيط وفي وضع البرامج التي تخدم المجتمع ، وتعزز من توفير كافة احتياجات البنية الأساسية للدولة لتستمر في النمو والتطور والاستقرار ، وتقديم الخدمات لكافة المواطنين والمواطنات وخاصة ذوي الحاجات) [١] .

قلت : لكلام المؤلف وجاهته بشكل عام ، ولكنه يقوم بإسقاطات ، منها (الثقافة الدينية) و (المشاركة في المجتمع بكل مؤسساته) ثم يقترح جلوس أنصار عمل المرأة ومعارضيه حول الطاولة ومناقشة هذه المشكلات ، وتقديم الحلول . وأقف مع المؤلف عدة وقفات ، هي :

(١) أدرج المؤلف عبارة (الثقافة الدينية) وقد عرفنا مُراده منها تحت عنوان سابق، وهو (مدارس البنين) فهو يقصد بها المقررات والمناهج ، وهي تحتوي على الأحكام الشرعية وفق أدلتها من القرآن والسُّنَّة ، فهو إذا يُعَبِّر بالثقافة الدينية عن (الشَّرْع) (٢) الشريعة الإسلامية لن تُحَرِّم عمل المرأة ، على أن يكون وفق ضوابط الشريعة ، ولأنّ الله تعالى يَزَع بالسّلطان ما لا يَزع بالقرآن ، فقد كان للدولة أن تسعى إلى وضع ضوابط لعمل المرأة وتعليمها ، وهذه الضوابط مستمدة ـ غالباً ـ من الشريعة الإسلامية . (٣) المؤلف يُلَمِّح أو يُسْقط بعبارته (في المجتمع بكل مؤسساته) على مشاركة المرأة في جميع أعمال الرجال دون استثناء ، وهو بذلك يتجاهل طبيعة المرأة وقُدُرَاتِها ، ثُمّ أنّ بعض هذه الأعمال ممّا يتطلّب أن تخالف فيه المرأة الشريعة الإسلامية، وهذا هو محور الخلاف بين أنصار عمل المرأة ومعارضيه . وليست حاجة المجتمع ومتغيراته مما يُسَوّغ معه المخالفة لشَرْع هو من عند الله تعالى ، وهو أعلم بحاجة خَلْقه على الإطلاق زماناً ومكاناً . (٤) وهي أهم الوقفات ، فالمؤلف قد ذكر علّة حاجة المرأة إلى العمل، وهي انصراف الرجال عن مساعدة من أوجب الله تعالى

---

(١) ص ٢٨٦ . (ابن معبِّر) . صاحب القرار هو من يصدر الموافقة أو الرفض ، ونسأل الله أن يولي علينا خيارنا ، وأن يرزقهم تحكيم شرع الله وتطبيقه في الحياتين العامة والخاصة في أنحاء البلاد ، وأن يصرف عن بلادنا أصحاب القرار الذين يريدون نشر الفوضى والبعد عما فرضه الله على المسلم . (ابن جريس) .

عليهم رعايتهم من أقاربهم، من الرّجال والنساء . وهنا تكمن العلّة التي يجب أن تكون في محل النّقَاش، فهي التي أفْرَزت حاجة المرأة إلى العمل . وقبلَ الولوج في أصول هذه العلَّة يجب أن نتذكر أن الكثير من مؤسسات المجتمع، هي ـ أصلاً ـ من تحتاج إلى المرأة في العمل ، ومنها جميع المؤسسات النسائية ، كالمدارس ، والكليات ، وسجون النساء ، والإدارات النسائية، ونحوها . وأعود إلى مُشكلة انصراف بعض الرجال عن القيام بما أمرهم الله تعالى به من صلة الأرحام والأقارب، وهذا ما وضع بعض النساء في موضع الحاجة إلى العمل. وإذا كان حَقُّ الرِّعاية للمرأة مما أوجبه الله تعالى على قريبها من الرجال ، فإنّ لها المطالبة بهذا الحق عن طريق المحكمة ، وليت من يتباكى على حقوق المرأة أن يتجه إلى مساعدتها في هذا الجانب . أما إذا كانت المرأة مُنْقَطعة من الأرحام والأقارب الواجب عليهم رعايتها ، أو أنَّ هؤلاء من الفقراء وهم بحاجة إلى المساعدة ، فعند ذلك يأتي دور الدولة ، وهي لم تهمل هذا الجانب ، فهناك الضمان الاجتماعي ، وهناك بعض الجمعيات الخيرية ، ولكن المشكلة تكمن في مدى كفاية ما يُقَدِّمه الضمان، أو الجمعيات، وهو ما يجب أن يكون في مَحلّ البحث ، وإيجاد الحلول . فهلاَّ يُشارك من يضعون أنفسهم في صف المدافعين عن حقوق المرأة ، ويرفعون أصواتهم للمطالبة بقيام أولي الأمر بمعالجة هذا الوضع [1] . (٥) هل يمثل ما ذكره المؤلف عن عمل المرأة نسبة تفوق (٢٠٪) من المجتمع السعودي ، وقلت (المجتمع السعودي) لأنّ المؤلف نَسي أن يذكر (قرى الجنوب) فيما كتبه تحت عنوان (عمل المرأة) . فإذا كانت النسبة تفوق(٢٠٪) ، فهو ما يتطلب البحث وإيجاد الحلول .ويقول المؤلف : (هنا يمكن أن يتدخل القياس الذي لم يجتهد بعد ... حتى قوله ... المواقف الفقهية التي تتغير بتغير الزمان والمكان والمعطيات) .قلت: مع اضطراب الصياغة ، فإنّ المؤلّف يقتحم الثّوابت المتمثلة في (الأحكام) المستمدة من القرآن والسُّنَّة ، ويربط فهمها وتفسيرها بما يَجدُّ من المتغيرات والمُعْطيات ، ويتجاهل مصدر هذه الأحكام ، وهو الله سبحانه وتعالى ، الذي يعلم خَلْقَه ومدى حاجتهم في ظل المتغيرات زماناً ومكاناً .

ويُقَابلُ (الأحكام) الثابتة (الفَتَاوى) التي تُرَاعي الظروف الوقتية ، وهي لا تصدر عبثاً ، وإنما وفْق الأدلة الشرعية المعتبرة .والشَّرْع حاكم على المعطيات والمتغيرات ، وليس العكس [2] .

---

(١) هذا الواجب فعله من الباحثين والناعقين على المرأة وحقوقها . إن الدين الإسلامي رسم خطوات دقيقة لحفظ حقوق أفراد المجتمع ، وصلتهم ببعضهم ، كما بين واجب الدولة تجاه الفقراء والمساكين والمحتاجين. (ابن جريس) .

(٢) ما أورد علي بن موسى في هذا العنصر مقبول إلى حد ما ، وأهم ما دون هو بعض الحقائق التي عاشها ومازال يعيشها المجتمع السعودي . ونتطلع إلى تدوين تاريخ الأجيال الماضية القريبة قبل أن يضيع . (ابن جريس) .

٥٠. النِّقَاب والحجاب: قال المؤلف: (لم تعرف نساء الجنوب النقاب أو العباءة قبل الحداثة، ولكن المرأة محجبة أولاً بالحجاب الأخلاقي الذي يرتديه الرجل والمرأة معاً، ثم الحجاب الشرعي، وهو تغطية رأسها مع الإبقاء على وجهها ويديها مكشوفة. وقد يختلف الناس فيما بينهم حسب المذهب الذي يتبعون في هذه المسألة، فسكان الجنوب كانوا يعتقدون أنهم يتبعون المذهب الشافعي في لبس الحجاب، ومع دخول المدارس والمناهج و (الرادو والتلفزيون) والمواعظ أخذوا ينتقلون للمذهب الحنبلي الذي يرى وجوب لبس النقاب. كانت هناك ممانعة في البداية من الناس لتبني النقاب، لأنه لن يسمح للنساء بالعمل، وسوف يؤدي إلى فصل داخل المجتمع الجنوبي، وبالتالي تتوقف الأعمال والأشغال لانكفاء النساء عن العمل من ناحية، ومن ناحية أخرى وجود حواجز أمام الرجال للدخول إلى الأماكن التي توجد فيها النساء.

وعندما أصبح الجنوب جزءاً من الدولة الحديثة جاء الدعاة من نجد لتوعية الناس للأمور الدينية، مثلما جاءت مؤسسات الدولة المختلفة، وقام أولئك الدعاة بالمواعظ وفتح المدارس مثل مدارس القرعاوي والعمل في القضاء، واستقروا في الجنوب وخالطوا الناس وتزاوجوا مع بعضهم، ولم ينكر أولئك العلماء على أهل الجنوب ممارساتهم الدينية لأنها كانت غنية بالتطبيقات والممارسات الشرعية، وأيضاً قدر أولئك الدعاة اختلاف المذاهب في بعض المسائل الفقهية وخاصة في موضوع النقاب الذي ترى أغلبية المذاهب كشف الوجه واليدين، إلا المذهب الحنبلي الذي ذهب للحيطة إلى الأخذ بتغطية الوجه إذا خشيت المرأة على نفسها من الفتنة [١]. كان هذا الفهم موجوداً لدى الناس، مع حرصهم الشديد على عدم الإخلال بالدين في أي مسألة، لهذا لم يفرض النقاب بالقوة، واستمرت النساء من أهل الجنوب على ما يعتقدن أنه المذهب الشافعي الذي يجيز كشف الوجه واليدين، غير أنهن تدريجياً ومع كثرة المواعظ وظهور شباب من أبنائهن ممن تعلم في المعاهد الدينية، مثل أقرانهم الذين أدخلوا ((الرادو والبكم))، صاروا هم من يتصدر بالوعظ مما جعل الناس يتبنون ما يطرح عليهم بشكل تدريجي، حيث أخذ بعض النساء يغطين وجوههن في البداية، ويقمن ببعض الأعمال مع غيرهن من الرجال، وقد يستقبلن الضيوف أو أقاربهن من أبناء العمومة والأخوال وإخوان الزوج وغيرهم من أعضاء الأسرة من الأقارب والأرحام مثل أزواج الأخوات والعمات وغيرهم

---

(١) أنا أسألك يا علي إذا كان هناك فتنة للمرأة والسبب فتح وجهها، فهل تغطيه، أو تتوارى عن الرجال الأجانب الذين قد يفتتنونها أو تفتنهم؟ واعتقد أن الإجابة سوف تكون وجوب تغطية الوجه إذا كنت مؤمناً. بما جاء في القرآن الكريم وما ذكره كثير من العلماء والفقهاء. (ابن جريس).

وهن منقبات أو متلثمات . ثم بدأت العباءة تدخل على المجتمع بشكل تدريجي من خلال المدارس والطالبات اللاتي تعلمن من الكتب الدينية عن النقاب والعباءة ، وكيف تتستر المرأة وتغطي نفسها على الأجانب والأجناب والأرحام . وقد ساعد ذلك التحول الداعم للبس النقاب والعباءة دخول أدوات الحداثة التي أسهمت في التغيير ، وخاصة (الرادو) والمسجل و (التلفزيون) التي تسمع فيها المواعظ مثلما تسمع في المساجد . بدأ الحجاب المعتاد في الجنوب يتراجع أمام النقاب وأمام المواعظ المكثفة في المساجد[١]، وصار الناس ينقلون تلك المواعظ لبيوتهم وخاصة أن هناك تأكيداً من أولئك الوعاظ من أبناء تلك القرى بأن ما يقوم به أهل الجنوب من حجاب هو أمر غير شرعي ، وبدأوا يركزون على السفور والاختلاط وعلى النساء وتغطية وجوههن . ولم يكن الأمر بالسهل أن تغطي المرأة وجهها وخاصة أنها قد عاشت في تلك البقعة مئات السنين بل منذ دخول الإسلام إليها وهي تلبس بتلك الطريقة الشرعية . وهناك نقاش كبير بين العلماء عن النقاب والحجاب والبرقع في الماضي وفي الحاضر وسيستمر في المستقبل وخاصة في المذاهب الأربعة ، وغيرها من المذاهب والمدارس الفقهية ثم مع الوقت وظهور جيل المتعلمات اللاتي تبنين المذهب الحنبلي من خلال الدراسة ومن خلال النظام التعليمي بدأت المرأة تتغير في الجنوب ، وبدأ البنات والأبناء يؤثرن في أقاربهم وأهل بيوتهم حتى طال ذلك التغيير الأمهات والكبيرات في السن . وقد قبلت كبيرات السن تلك الملابس الجديدة على مضض ، إذ لم يكن مقتنعات بأنهن كن يخالفن الشريعة . وأيضاً من بينهن من ترى أن ذلك النقاب سوف يضع بينهن وبين أقاربهن ومعارفهن من أهل قراهم مسافة ، وسوف يمنعهن من القيام بواجباتهن التي تعودن عليها ، مثل زيارة المريض ولقاء كبار السن من أهلهن سواء كانوا أعماماً أو أخوالاً أو أبناءهم أو أقاربهن وأزواج قريباتهن، والمشاركة في المناسبات العامة ، والعمل بحرية في المزارع وأماكن العمل . وكانت النساء يتذمرن من هذا النقاب الذي أدى إلى هذا الفصل بينهن وبين المجتمع وخاصة من بعض كبيرات السن ، لأنهن وجدن صعوبة في التأقلم مع ذلك الوافد الجديد . ولم يمر الأمر بدون نقاش وجدل بين الناس في بيوتهم لرفضهم التشكيك في ممارساتهم الدينية التي عاشوا عليها منذ دخلها الإسلام ولم ينكر عليهم أحد ذلك بالرغم من التواصل المستمر مع مكة من خلال الحج ، وأيضاً من خلال وجود العلماء

---

(١) هذا السرد التاريخي حقيقي ، وبعد معرفة النساء بأن النقاب أو الحجاب يزيد في أجورهن عند الله لأنهن اتبعن شرع الله الذي نص عليه القرآن والسنة ، وبالتالي لم يتورعن عن لبسه والحفاظ عليه . (ابن جريس).

مـن أهـل المنطقة الذين لديهم تواصل مع غيرهم من علمـاء المسلمين، وخاصة في مكة والمدينة[١] . لقد ساهم النقاب بشكل كبير في توسيع الفجوة بين الأسر التي كانت تعيش مـع بعضها وأصبح الأخ (الحمو الذي ذكر بأنه الموت) يخرج بزوجته في بيت لوحدها، بحجـة النقاب والكشف علـى المحارم واستغلت النساء هـذا الجانب لفتح بيوت جديدة والاستقلاليـة من الأسر بالرغم من وجود إمكانية السكن مع بعضهم، مع عدم الكشف من النساء على الأقارب وخاصة الأخوة .

احتـدم الصـراع داخل الأسـرة باسم النقـاب ، وصار الناس يتوسعـون في البناء وفي السكـن الخارجي في مبـان مستأجرة . وصارت المتزوجة تضـع شرطها بالعيش في سكـن مستقل ليلحق بالسكن متطلبات أخرى لم تكن في حسبان الجميع أدت إلى خروج الأقارب والأرحام ودخول الأجانب[٢] . ومثلما وصل (الرادو والتلفزيون) وشارك أبناء القرى في وصولها للقرى ، شاركوا أيضاً في تعميم النقاب ، وفي منع الاختلاط من خلال تسنمهم للمنابر ، ومشاركتهم في المواعظ والخطب ، التي كان تركيز المواعظ فيها على الاختـلاط والتـبرج والسفـور ، وما لذلك من العقـاب والعذاب والحسـاب . ولهذا كان التهويـل بالعقاب مـن الله من أهم أدوات الدعـوة التي رافقت دخـول النقاب والعباءة إلى القـرى الجنوبية [٣] . وقد كثرت المحاضرات والندوات الموجهة للرجال الذين قاموا بتغطية نسائهم ، بل وصل الأمر ببعض الوعاظ إلى أن يطلق على من يدخل (التلفزيون) إلى بيتـه مصطلـح ((ديوث)) . وبالرغم مـن التكلفة العالية للنقـاب ، وخاصة على الزراعـة ، والرعـي ، وعلى الوضع الاجتماعي ، غير أن هيبـة وسلطة الدين كانت أقوى مـن الممانعة التي كانت تظهر مـن كبيرات السن لعدم اقتناعهـن بتلك الملابس. ولأنها

---

(١) المشكلـة يـا علـي أن سردك لا يخلـو من الاضطـراب ، فالذي جرى من تبـدل وذكرت شيئاً منـه فهو صحيح ، لكـن قولـك أن النسـاء صغـاراً وكبـاراً لبسن النقـاب أو الحجـاب على مضض هـذه عبارة غـير صحيحة . والـذي جعلهـن يقبلن الحجاب هو معرفتهن لنصوص القرآن والسنة وحثهما المرأة على الالتزام بالحجاب في حضـرة الرجـال الأجانـب . صحيح هناك من دعا ونادى مـن الأبناء والدعاة إلى هـذا التغيير ، لكنه لم يكن إلزامياً ، وإنما بينوا للرجال والنساء أهمية الحجاب من منظور شرعي فاقتنعت النساء بلبسه ، لأنه كمال في الدين.(ابن جريس).

(٢) قولـك (خـروج الأقـارب والأرحـام ودخـول الأجانب) عبارة غـير دقيقة ، فالأجنبـي أو العامـل يقوم ببعض الخدمـات لأهـل البيت لكنـه لا يعيش معهم . ونقـرأ في عهد السلف الصالح وفي عصور الإسـلام الأولى أن الخـادم كان يعمـل في بيـوت العلماء والفقهاء ورجـال الدولة وغيرهم . أما القريب الـذي ليس محرماً للمرأة فـكان يعيـش في المنزل ويجلس وأحياناً ينام في الغرف التي فيها نسـاء أجنبيات وليس محرماً لهن ، فالواجب عليك أن توضح عبارتك وتشرح الفرق بين القريب والأجنبي . (ابن جريس) .

(٣) وهذه الحقيقة التي ذكرها الله عز وجل في القرآن وأكد عليها الرسول (ﷺ) . (ابن جريس) .

أعاقت تحركهن، وأدت إلى تحويلهن إلى قواعد في بيوتهن . وأكثر من هذا أصبحن محاصرات نتيجة عدم الخروج أو الإطلالة حتى من النافذة ، وأصبح حتى الخروج للأماكن العامة ممنوع إلا بمحرم، وحتى وهن في سيارتهن مع أهلهن في الطرقات خارج القرى والمدن لا يستطيع البعض الكشف عن وجوههن . هذا الصراع ولد عدداً من المشكلات لدى من عشن حياتهن يتمتعن بحرية الحركة والعمل والمشاركة الفاعلة في الحياة اليومية لم يكن لديهن أي شك في أنفسهن أو في الآخرين . كن واثقات وقادرات على العيش بكرامة وعزة وبدون أدنى شك ، حين كان الشك زائلاً بين أهل القرى من أبناء وبنات العمومة والأخوال . ليس هذا فحسب ولكن كان الناس يتربون ذكوراً وإناثاً على الاحترام والتقدير ومعرفة حدودهم . ولا يستطيع أحد أن يشكك في أحد لما سوف يلحق بعد ذلك من تبعات وعقاب اجتماعي كبير . لهذا عاش المجتمع في وئام وسلام، وتقدير واحترام ، وخاصة للمرأة ، لما تمثله من مكانة كأم وأخت وابنة وزوجة وعمة وخالة ، ولدورها الأساسي في البيت والمجتمع . ولم يسجل التاريخ أي حوادث نتيجة العرف القبلي الذي يركز على الأخلاق ، وعلى كرامة الجميع وحمايتهم صغاراً وكباراً وأولهم المرأة، وأيضاً تمسكهم بالدين على فطرتهم وصدقهم بدون تطرف، وكان ((الشك زايل))[١] . ومع تبني النقاب وعدم عمل المرأة مثلما كانت في المزارع والجبال وعلى الآبار وحتى في البيوت، أصبحت المرأة لا تتحرك خارج المنزل إلا نادراً ، وإذا تحركت فهي في سيارة تنقلها لعملها أو لحاجتها في السوق والمستشفى أو زيارة الأقارب، وأحياناً النزهة ، وغالباً العمل إما موظفة إدارية أو معلمة . وقد أثر ذلك على شكلها ومظهرها وصحتها ، وأصبحت تواجه أنواعاً جديدة من المرض وفي مقدمتها السمنة والكولسترول والسكر والروماتزم والضغط والدوالي والترهل والكسل وغيرها من الأمراض العصرية الناتجة عن عدم ممارستها للحياة بشكل طبيعي ، وعدم الحركة التي هي مطلب حياتي مهم له علاقة بصحة الإنسان وبدوره في الحياة والاعتماد على الذات وفي إعمار الأرض[٢] .واستمر النقاش والحوار والممارسة في فرض النقاب من

---

(١) أنت حولت الأمر يا علي إلى جريمة كبرى وقع فيها الدعاة إلى الخير ، وجعلت نفسك محامياً عن النساء وكأنك تتكلم بألسنتهن ، وتقول إن الحجاب هو مصدر كل مشاكلنا التي نعيشها اليوم . ونقول لك اتق الله فيما كتبت أناملك ، وفيما تسعى إلى تحقيقه . هذا هو الحجاب يستخدم في المدارس وفي أماكن عديدة خارج المنزل ، وهؤلاء بناتنا وأخواتنا يعملن في معظم المجالات ويحافظن على نقابهن أو حجابهن ، ويشاركن الرجال من الآباء والأزواج والإخوان والأولاد وغيرهم، ولا نرى في ذلك أي ضير أو عقبة .(ابن جريس).

(٢) هل تريد أن تذهب المرأة سيراً على الأقدام إلى عملها أو أي مكان ترغب الذهاب إليه . هذا نحن الرجال جالسون في بيوتنا ومكاتبنا ولا تذهب إلى أي مكان إلا في السيارة . ماذا تريد للمرأة يا علي أتريدها أن ترمي حجابها وتذهب في الشوارع والأسواق كاسية عارية ، اتق الله في أطروحاتك وما تسعى إلى تحقيقه أو المناداة به. (ابن جريس) .

الأقارب، ومن الوعاظ في الأسواق والأماكن العامة ، حتى تحول جميع النساء إلى منقبات، ويلبسن العباءة السوداء . ولم يقف الوضع عند هذا الحد بل ذهب إلى أكثر من ذلك، فقد أصبح النساء يصنفن أنفسهن حسب نوعية من يلبس العباءة ، ومن يلبس النقاب، ومن تضع القفاز في يديها والشراب في قدميها [١] . وهكذا صارت النساء تحت المجهر من الآخرين ومن أنفسهن ، وأخذن يراقبن بعضهن، ويعظن من باب الحسبة ، بشكل تطوعي أو ضمن جماعات ضاغطة ، وينهين عن لبس ما فيه إثارة أو شبهة ، وخاصة كيفية لبس العباءة ونوعيتها ، حتى أصبحت كيفية لبسها على الرأس ، أو على الأكتاف يعبر عن التدين من عدمه . ومع الوقت أصبحت العباءة مصدر إثارة وجزءاً من الموضة، وأصبحت تصمم بأشكال كثيرة فيها من الأناقة والجمال والجاذبية بل الإغراء الشيء الكثير بسبب التصميم وحداثة الملابس[٢] . لم تكن المرأة الجنوبية متبرجة أو سافرة كما كان في الجاهلية ، أو في المجتمعات المتحررة في بلدان العالم المختلفة ، فقد كانت تلبس من أجمل الملابس وأكثرها حياء وحشمة . وكانت المرأة منتجة وعاملة تعيش في مجتمعها القروي العفيف رجالاً ونساء من دون أي أجنبي . يمشون في الطرقات نفسها، ويلتقون فيها ، وفي المزارع ، وعلى الآبار ، وفي المراعي ، وفي قراهن وهن متحجبات ولا يغطين وجوههن بالنقاب . كل يعرف قدره ومكانته وحدوده . تربوا جميعاً ذكوراً وإناثاً على فضائل ونواميس جعلتهم يقدرون ويحترمون بعضهم بعضاً . إنها التربية التي تربوا عليها كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً . إن تعاليم وقيم المجتمع القروي الجنوبي وثوابته تنظر إلى المرأة باحترام وتقدير ، فهي العار وهي العرض . ولا يمكن لأحد أن يجرؤ على تدنيس هذا المقدس ، أو السطو على عرض أي امرأة كانت [٣] . المرأة هي حرمة (مقدّسة) لدى الجميع ، فلا يستطيع أحد أن يمد يده على امرأة أو يتلفظ عليها بكلمة

---

(١) ألم تتعب وتمل من تكرار هذه العبارات والأقوال الرخيصة . من يقرأ الصفحات السابقة يجدك كررت هذه الجمل مرات عديدة ، وكان يكفي أن توردها ، مرة أو مرتين وقد وصل الهدف الذي تريد قوله وتحقيقه . (ابن جريس) .

(٢) أتدري ما هو السبب ، لأن أعداء الله أصابهم القلق والحزن عندما ارتدت المسلمة الحجاب فهم يريدونها أن تحاكي غيرها من النساء السافرات المتبرجات في الغرب أو الشرق ، أو من يخرج في القنوات الفضائية وغيرها وهن كاسيات عاريات . وأنت يا علي وضعت نفسك في طابور هؤلاء المغرضين الذين يريدون إخراج المرأة المسلمة من خدرها إلى حياة أعم وأوسع هي حياة العري والتفسخ . (ابن جريس) .

(٣) رددت هذا الكلام كثيراً ، وكانوا فعلاً كذلك ، فهم يعيشون في مجتمع صغير ومتواضع في إمكاناته ، ثم إن ظروف وكسب العيش من رعي وزراعة وغيرها تجعلهم يقضون معظم النهار في الخارج . وزماننا الحالي اختلف عن الماضي ، وتقاربت الأمكنة وتداخل العالم بعضه مع بعض . وهذا الاختلاف في الماضي والحاضر يحتاج إلى بحوث علمية موثقة مع توضيح الجوانب المتشابهة والمختلفة، وما تميز به كل عصر . (ابن جريس).

تجـرح كرامتها ، لأن هذا يعد نقصـاً في رجولته ، واعتداء على كرامة وعرض غيره من رجـال القريـة إن فعل أحد ذلك ، وعندها سوف يكون العقاب كبيراً من الجميع . ولهذا يلتقـي الرجال والنساء ، ويسلمـون على بعضهم البعض . والـكل يحترم نفسه وحدوده ومسافته . ولا يستطيع أي إنسان أن يرمي المرأة بسوء ، أو يقدح أو يذم فيها[١] ، لأنه إن حـدث مثل ذلك فسوف يكون رد أهلها والمجتمع قاسياً . وأيضاً لا يقبل الرجال أن يقدح في نسائهـم وأمهاتهـم وأخواتهم وبناتهـم ، ولا ينظر إليهن بنظـرة ريبة من أحد مهما تحدثوا مع الناس ولاطفوهم ، ومهما عملوا معاً ، أو اجتمعوا في أي مكان كان[٢] . والمرأة أيضاً ليسـت بالسهلة الهينة فلديها شخصيتها وكرامتهـا واستقلاليتها وشجاعتها لأن تدافع عن نفسها ، وعن عرضها وكرامتها ، وهي تعرف أنها لو تعرضت لأي اعتداء فهي قادرة على رده حتى لو وصل ذلك إلى قتلها لمن يعتدي عليها ، لوقوف الجميع معها، نعم كان مجتمعـاً له قوانينه المبنية على الاحترام والتقدير بين جميع أفراده ذكوراً أو إناثاً . كل شـيء يمكن أن يكون فيه الحديـث والأخذ والعطاء إلا عرض المرأة وعرض الأرض ، وكان (الشك زايل) [٣].

قلت : المؤلف أستاذ جامعي ، وهو يدرك أنّ من تقاليد البحث عدم إصدار الحكم أو النتيجة إلاّ بدليل . فهو يقول (لم تعرف نساء الجنوب النقاب أو العباءة قبل الحداثة) ومـن المفترض أن يُحَدّد تاريخ عدم المعرفة ، ومتى كانـت الحداثة .ثم يقول (الحجاب الأخلاقـي الذي يرتديه الرجل والمرأة معاً) وكأنه يقـول إن رجال ونساء الجنوب أعَفّ وأطهـر مـن نساء المدينـة المنورة في العهـد النبوي ، فقـد نزلت آيات الحجـاب لنساء المدينة ومنهن نساء النبي ﷺ ، ونساء الجنوب في غير حاجة إلى حجاب نساء المدينة،

---

(١) هـذا كلام صحيـح ، لكـن من نقاشـك وأطروحاتك تقـدح في عرض وشـرف نساء اليوم عندمـا تتحدث عن السائـق ، وصاحـب التاكسـي ، والخلـوات وغيرها ، ولسـان حالك يقـول إن نساء اليوم يقعـن في محظورات شرعية بسبب ما حدث في حياتهم الاجتماعية من تغيرات . (ابن جريس) .

(٢) نعـم كان الرجـال في الزمـن الـذي تتحدث عنه ، أمـا اليوم فهذا أنـت وأشباهك يا علي تتجـاوزون الخطوط الحمـراء وتشككـون في شـرف نسـاء هذا العصـر ، وفي غيرة ومروءة رجالهـم . وإذا عارضكـم أحد تقولون أنهـم من الفريق المتشدد أو المتديـن أو المتخلف ، وتكيلون التهم والسباب لهم لأنهم يسعون إلى حفظ نسائهم ممن في قلبه مرض ولا يتورع أن يقع في أعراض الناس . (ابن جريس) .

(٣) أقوالـك هـذه جعلتني في حيرة ، فالنساء قديماً كن قويات ولسن هينـات ، أما نساء اليوم فهن من خلال سياق حديثـك ضعيفـات ولا يستطعن الحصول على حقوقهن وحمايـة أنفسهن . هذا كلام مغلوط ، بل النسـاء اليوم أكـثر قوة وجـرأة من النساء في الزمن الماضي. ولكل عصر ظروفه ومقوماتـه ، فالنساء في الماضي كن يعشن كريمات عزيزات ، وكذلك نساء اليوم ، ولكل عصر سلبياته وإيجابياته . (ابن جريس) .

فعندهـن (الحجـاب الأخلاقـي) ، وشيطان المدينـة ومكة أقوى مـن شيطان الجنوب .وقُلتُ (شيطان المدينة ومكة) على سبيل التبكيت ، ففي حجة النبي ﷺ مَرّت به ظُعن يَجْرِيـن ، فجعـل الفضل بن العباس. وكان رديف رسـول الله ﷺ ينظر إليهن ، فوضع الرسول ﷺ يده على وجه الفضل ، فحوّل الفضل وجهه إلى الشق الآخر لينظر ، فحول رسـول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل .فقال له العباس : لويت عنق ابن عمـك يـا رسول الله ، فقال : (رأيت شاباً وشابـة ، فلم آمن الشيطان عليها ، والحديث في صحيح مسلم ، وسنن الترمذي .

فهل قال ﷺ بالحجاب الأخلاقي ، ولا سيما أنهما في أقدس بقاع الأرض ، وفي موسم الحج ، والفضل رديف رسول الله ﷺ . وهذا ما عنيته بشيطان مكة والمدينة ، وشيطان الجنوب . ثم قال المؤلف : (الحجاب الشرعي ، وهو تغطية رأسها مع الإبقاء على وجهها ويديهـا مكشوفة ، فسكان الجنـوب كانوا يعتقدون أنهم يتبعـون المذهب الشافعي) ولو ترك المؤلف الجزم بأن الحجاب الشرعي هو تغطية الرأس وكشف الوجه واليدين ، وقال : وهُـنّ – أي نسـاء الجنوب – لا يُغَطِّين وجوههـن وأيديهن ، لكان له في ذلك مخرجاً ، فالحجاب بمعنى السِّتر والتَّغْطية ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت: (فخمّرت وجهي بجلبابي) [١] . والشافعية وغيرهم يقولون بأنّ تغطية وجه المرأة الحُـرّة الشَّابة عند خوف الفتنة بها واجب ، ويَدُلُّ التَّقْيِيد بالحاجة على أصل التغطية ، بل ذهب الفقهاء من المذاهب الأربعة على أن المرأة إن كانت في الصلاة وعندها أجانب، أنهـا تسـتر وجهها[٢] . وقال المؤلف: (لأنّه. أي النقاب لن يسمح للنساء بالعمل، وسوف يـؤدي إلى فصل داخل المجتمـع الجنوبي) .[٣] ورَبْطُ المؤلف بـين النقاب وعدم إمكانية

---

(١) صحيح البخاري (٤١٤١) (٤٧٥٠) . صحيح مسلم (٢٧٧٠) . (ابن معبِّر) .

(٢) الحجاب في الشرع والفطرة . عبد العزيز الطريفي ، ص ٦٦ . (ابن معبِّر) . هذه النصوص الشرعية لا يعرفها الأستاذ علي ولم يطلع عليها ، ولو عرفها فهو لا يريد ذكرها أو الاستدلال بها ، لأن هدفه أن تعود المرأة وتخالط الرجـال مثلمـا كانت في السابق ، ويرى أن هـذه الطريقة هي الأمثل والأفضل من وجهـة نظره ووجهة نظر من ينادي بالاختلاط بين الرجال والنساء ، ويرى أنها من صور التمدن والحضارة. (ابن جريس) .

(٣) إن الاختـلاط في المجتمـع هو مـن الأهداف الرئيسية التي يريـد الدكتور علي تحقيقها ، فهو مـن كثرة أسفاره وجولاتـه يـرى أن الاختـلاط حضارة ورقي ، وهو للأسـف ينادي فينا يا معاشر بني جلدتـه أن نكون مثل هذه المجتمعـات المتقدمـة التي يختلط رجالهـا ونسائها في جميع ميادين الحياة . وأقـول إن الدكتور علي وأشباهه مساكـين ، فهـم يـرون أن عزتنا وفلاحنـا هو في إخراج نسائنـا ليعشن سواءً بسواء مـع الرجال في كل مكان، وأقـول له وأشباهه من أبناء العربية والإسـلام ارجعوا فاقرأوا نصوص القرآن والسنة والفقه في هذه المسائل لعلكـم تعـودون إلى رشدكـم ، ولعلكـم تتوبـون وتستغفـرون مـن الأوزار التـي وقعتـم فيها بسبـب نداءاتكم المضللة. (ابن جريس) .

العمل لا تقوم به حجة ، لأنَّ مكان عمل المرأة وطبيعته لا يحول دون عملها ، إلاّ إذا أراد بالعمل تلك الأعمال الشاقة من أعمال البناء والحفر، والصعود على السقالات ، وتركيب الرُّخام(١) . ولو نظرنا إلى العُمَّال في هذه الأعمال - إذا تقيدوا بشروط السلامة - فسنجدهم قد اعتمروا الخوذات ، ووضع بعضهم على أنفه وفمه وجزءاً من وجهه الكمّامات ، لأدركنا أن ذلك لا يختلف عن الحجاب إلاّ قليلاً . (٢) أما قوله : (وسوف يؤدي ...) فيلزمه تحرير معنى هذا الفَصْل ، وهل المجتمع الجنوبي بعاداته حاكم على الشَّرْع ، وهل توقفت الأعمال منذ وصول دعاة نجد . والأمر المؤسف أنَّ أنصار عمل المرأة ومعارضيه يَنْسَوْن وهم يتجادلون في ساحة المعركة أنّ المرأة في جميع أرجاء العالم أكثر عملاً من الرَّجُل ، فلا تقف عن العمل إلاّ في ساعات نومها ، حتى هذه الساعات لا تسلم من المنغصات، كبكاء ولدها ، فتهب من نومها لتُهَدْهِدُه، أو تنظر في سبب يقظته . تقوم المرأة - في الغالب - بجميع أعمال المنزل ، من كَنْس ، وغسيل للملابس مع كَيّها ، والطّبخ وغسيل أدوات المطبخ ، وتنظيم الأثاث ، وقد تقوم برتق الملابس ، وتمشيط شعر بناتها ، ورعاية الأطفال بإطعامهم وإلباسهم ومباسطتهم ، كما تقوم بمتابعة دروس أولادها ، إلى آخره من جميع أعمال المنزل . وربما كان زوجها شرساً كثير الشتم لها ، والتقليل من مكانتها .ولو كُلِّف خمسة من الرجال بعمل امرأة واحدة لعجزوا عن ذلك . ومع كل هذا يقول أنصار عمل المرأة بأنّ المرأة غير العاملة تمثل (الطاقة المُعَطّلة) . إن المرأة (ربَّة المنزل) تستحق أن يكون لها راتباً ، فهي التي تُعِدُّ الأجيال من البنين والبنات ، وهي التي تحفظ بيت زوجها(٣) . ومن الشقاء الذي يلحق بالمرأة العاملة ، وهي ربّة منزل إلى جانب عملها الخارجي، أنَّ زوجها وأقاربها يطمعون في راتبها . ومع أنني أكره ما

---

(١) الأخ علي بن موسى يريد فاعلية المرأة في مجتمعنا فتشارك في كل الأعمال ، بصرف النظر عن سهولتها أو صعوبتها ، نعم هذا الرجل له هدف وهو ان تكون جميع أعمال النساء مثل أعمال الرجال سواءً بسواء. (ابن جريس).

(٢) يا ابن معبِّر لا تتعب نفسك بهذه النظريات والأقوال ، فأخونا علي لا ينظر من هذه الزاوية التي تذكرها ، وإنما يورد الآراء والأقوال من أجل إقناع النساء والرجال على أن ما نفعله يا معاشر الرجال ويفعل نساءنا اليوم ، من حيث الستر وارتداء الحجاب ، إنه سلوك رجعي ومعطل لقيام حياة متطورة وحضارية ، والأفضل عنده أن تلبس المرأة البنطال و القميص وتعيش مثلها مثل غيرها من نساء العالم المتقدم المتحضر. (ابن جريس).

(٣) والله يا ابن معبِّر إن علي بن موسى يعرف هذه الأمور أكثر مني ومنك ، لكنه للأسف لا يريد الاعتراف بذلك ، وذلك بسبب الفكر والقناعات التي درسها ورآها في بلدان عديدة من العالم ، فهو لا يريد للمرأة المسلمة الحشمة والستر والعفاف ، وإنما يريدها أن تكون متمدنة مثل نساء كثيرات في العالم ، فلا تجلس في البيت للإشراف على أسرتها ، ولا تستر نفسها بحجابها وإنما تتخلص منه وتجاري غيرها من المتقدمات في نظر علي ومن يقول بقوله . (ابن جريس) .

يسمى بالأيام العالمية، فإنني أقترح أن يكون لربّة المنزل يوماً عالمياً [١]. ثم يقول المؤلف: (بدأ الحجاب المعتاد في الجنوب ...) وهو يعيد ما قاله في مواضع سابقة، ويثير غُبَار الشكّ حول المذاهب الفقهية، وعلماء هذه المذاهب، بأنهم لم يصلوا إلى حَلٍّ، وكأنّه لم يقرأ كتبهم، ولم يعرف إجماعهم حول الحجاب، وقد بُني هذا الإجماع على الأدلّة من القرآن والسنة [٢]. ثم يقول المؤلف: (لقد ساهم النِّقَاب بشكل كبير في توسيع الفجوة بين الأسر التي كانت تعيش مع بعضها، وأصبح الأخ ((الحمو الذي ذكر بأنه الموت)) يخرج بزوجته في بيت لوحدها، بحجة النقاب والكشف على المحارم). والمؤلف في هذا النَّص يتهم ما جاء به الشّرع حول الحجاب، وبأنّ ذلك هو السبب في توسيع الفجوة بين الأسر، والمؤلف هو نفسه الذي يقول تحت عنوان (عمل المرأة) : (في هذا الزمن الذي ابتعد فيه الأقارب، وضعف الترابط الاجتماعي) فأيهما السبب: الحجاب الذي وسَّع الفجوة بين الأسر، أم ابتعاد الأقارب وضعف الترابط الاجتماعي؟؟ وهو بهذا يقف على طرفي نقيض[٣]. وللمرّة الثانية يورد المؤلف كلمة (الحمو...) وكأنها عبارة عابرة من عبارات المجتمع الجنوبي الدارجة، ويسوقها على سبيل التعريض والانتقاص. وهي جزء من حديث، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: (إياكم والدخول على النساء) فقال رجل من الأنصار: يارسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: (الحمو الموت) [٤]. والحمو قريب الزوج الذي لا يحلّ للمرأة. ويستمر المؤلف في الانتقاص من الشَّرع، فها هو يقول: (كان تركيز المواعظ على الاختلاط والتبرج والسفور، وما لذلك من العقاب والحساب، ولهذا كان التهويل بالعقاب من الله من

---

(١) هذا هو القول الصحيح، فو الله إن نساءنا وأمثالهن من المسلمات اللاتي يحافظن على دينهن وسترهن وكرامتهن إنهن يستحققن أعلى أوسمة التقدير والاحترام والتبجيل. نعم إن كثيراً من رجالنا غير جيدين في معاملة زوجاتهم وأخواتهم وقريباتهم، فقد يعاملونهن بالقسوة والظلم والجور والعضل وغيرها، هذه حالات كثيرة نعرفها ونشاهدها، بل إن المحاكم الشرعية فيها الكثير من هذه المشاكل الاجتماعية التي سببها الرجال ويجب علينا يا معشر الباحثين أن ندرس هذه القضايا ونذكر أسبابها وطرق علاجها، ولا نفعل مثل الدكتور علي الذي يبذل كل ما في وسعه من أجل اقناع المرأة بترك حجابها والاختلاط بالرجال في كل مكان. ونحن أصحاب رسالة ربانية ويجب أن نتصف بالعدل والإنصاف في كل ما نعمل ويقودنا إلى الخير ومرضاة الله عز وجل. (ابن جريس).

(٢) الدكتور علي لا يريد الولوج في هذا الباب، لأنه سوف يجد ما يكدر خاطره ولا يوافق رأيه وهواه وما يريد تحقيقه. (ابن جريس).

(٣) أقوال الأخ علي مليئة بالمتناقضات، وليس فقط في هذه الجزئية التي ذكرتها يا ابن معبِّر. (ابن جريس).

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح. صحيح مسلم، رقم ٢١٧٢. سنن الترمذي، رقم (١١٧١). (ابن معبِّر).

أهم أدوات الدعوة ....) [١] . وليس العقاب والحساب الذي يذكره الدعاة في مواعظهم من أفكارهم وأقوالهم الخاصة ، وإنّما يسوقون الأدلّة من القرآن والسُّنَّة ، فهل يقال بأن هذه الأدلة مُجَرّد تهويل من الله تعالى ورسوله ﷺ . ثم يقول المؤلف : (وبالرغم من التكلفة العالية للنقاب ، وخاصة على الزراعة ، وعلى الوضع الاجتماعي) . وهذا هو التهويل الحقيقي ، فالمرأة ليست العامل الرئيسي في الزراعة والرّعي ، فالرّجل بدوره ترك الزراعة والرَّعي ، فلماذا نُعَلِّق الجرس في رقبة المرأة . المجتمع ـ رجالاً ونساءً ـ خَلَد إلى الرّاحة ، وأوكل أمور الزراعة والرّعي إلى الوافدين، ويُنْبِئُ تهويل المؤلف لأمر الحجاب عن انحراف في التَّوجّه ، فهو يجعل حقائق الشريعة الإسلامية من المصائب التي تحيق بالمجتمع ، بينما يجعل من عادات الجنوب وتقاليده مراكب الخلاص التي تقود المجتمع إلى الرُّقي والرفاهية والسَّعادة [٢] . ومن أعجب كلام المؤلف قوله : (ولم يسجل التاريخ أي حوادث [٣] . نتيجة العُرْف القَبَلي الذي يُرَكّز على الأخلاق ، وعلى كرامة الجميع ...) وكأنّه يقول إنّ رجال ونساء الجنوب قد فقدوا الغرائز التي أودعها الله تعالى فيهم ، وهذا (العُرْف القبلي) أقوى من النّوازع الفطرية ، وأقوى من أحكام الشَّرع ، وأقوى من مؤسسات الأمم المتحدة وتشريعاتها [٤] . ولا أدري كيف توصّل المؤلف إلى حُكْمه الذي قال فيه: (لم يسجل التاريخ أي حوادث) وهو قد سمع ـ بلا شك ـ كما سمعنا تلك القصص التي يَنْدى لها الجبين، من قصص التحرش والاغتصاب ، التي

---

(١) الأخ علي قارئ جيد ، وأنا متأكد أنه قرأ القرآن الكريم ودرس ما فيه من آيات كريمة تذكر كثير من الذنوب وما هي عقوباتها عند الله ، ومنها الاختلاط الذي يقود أحياناً إلى الزنا ، ومنها أيضاً الأعراض والعفة وغيرها، لكن هذا الأستاذ لا يريد أن يعيش مع القرآن وما ينادي به ، وإنما إعجابه بحياة الغرب والشرق المتطورة ، وكذلك اطلاعه على كثير من الأقوال والنظريات المخالفة للشريعة الإسلامية ، التي تنادي باختلاط الرجال والنساء ، ووجوب الاشتراك في كل الأعمال وفي شتى الميادين ، هذه شخصية علي وما يحبذه وينادي به . (والله المستعان) . (ابن جريس) .

(٢) يا أستاذ ابن معبِّر نحن أبناء العرب والمسلمين لم نصل إلى درجة الكمال في دراسة مشاكلنا التي لا تعد، وإذا أخذنا مناطق الجنوب السعودي فهي جزء صغير من عالم المسلمين . وعندنا آلاف المشاكل والقضايا التي تحتاج إلى دراسات وبحوث وحلول ، والحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلادنا واحدة من الميادين التي تستحق معالجات وحلول مثل الزراعة والرعي وتعايش الناس مع بعضهم البعض . ويا حبذا أن الدكتور علي شغل نفسه بدراسة شيء من هذه المشاكل التي عرفها منذ ستة عقود ، لكنه للأسف لا يريد ذلك ، وإنما الذي أزعجه هو احتجاب المرأة والتخلص من هذا الجلباب (الحجاب) الذي يراه عدوه الدود ومن هو على شاكلته ، ونسأل الله له الهداية ومن حذا حذوه . (ابن جريس) .

(٣) يقصد بالتحرش ونحوه . (ابن معبِّر) .

(٤) كلام كررته سابقاً يا ابن معبِّر وعلي يعرف ذلك ، لكنه لا يريد الاعتراف بما نقول ، أو أنه الصواب . (ابن جريس) .

رواها (شيبان) مدن وقرى الجنوب ، وكان من حصيلتها العديد من أولاد الخطيئة[١]. وليس أهل الجنوب ممّن تفرّد في هذا الجانب ، فكل مدن وقرى العَالَم تشهد مثل هذا وأكثر . بل إنّ من ضمن دعوات الرُّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، محاربة الرذيلة وأسبابها ، وأنزل الله تعالى الأحكام الشرعية العقابية لمعاقبة أصحاب الرذيلة.

أما (العُرْف القبلي) الذي يقول به المؤلف ، فالنّاس يعرفون محاسنه ، ويحرصون على تطبيقها ، كما أنّ له بعض المساوئ ، ومنها : (أ) التمايز والعنصرية والطَّبَقيَّة ، مُمَثَّلَة في فئات من المجتمع ، فَرَضَ عليها العُرْف القَبَلي أن تكون أدنى من أبناء القبائل، ومنهم أصحاب الصناعات والمِهَن ونحوهم . (ب) تمكين ابن العَمّ من مَنْع زواج ابنة عمّه من غيره ، وحجره عليها .(ج) حرمان المرأة من الميراث. (د) مَنْح (الخَاليَة) وهي البنت أو المُطَلَّقة حرية المغازلة ومحادثة الرِّجَال بعيداً عن أنظار الناس[٢]. ولا يعني ذلك أن هذه المساوئ من الأمور الشائعة بشكل واسع ، ولكنها تحصل في ظلّ العُرْف القبلي ، ولعل أكثرها شيوعاً ، هو حرمان المرأة من الإرث . وأحبّ أن أذكر أن الفقهاء جعلوا (العُرْف) من أدلة الأحكام الستة المختلف فيها[٣] ، وهي بعد أدلّة التشريع المتفق عليها: (القرآن ، والسنة ، والإجماع ، والقياس) . ونقرأ للمؤلف قوله : (ومع تَبَنِّي النقاب ... حتى ... وفي إعمار الأرض) . وهو يرسم فيه حياة كئيبة للمرأة بسبب الحجاب ، وكأنّ هذا الحجاب هو البلاء الأكبر الذي أفسد حياة المرأة فَتَعَاوَرَتْها الأمراض

---

(١) وأؤكد لك يا ابن معبِّر أن علي يعرف ذلك ، فهو الذي عاش في قرى ووهاد الجنوب ، وفي بلاد عسير تحديداً ، وهناك الكثير من الموضوعات التي عرفها جنوب المجتمع السعودي ، وتستحق البحث والدراسة ، لكن علي لا يهمه مثل هذه الأمور ، وإنما الذي يشغله هو إخراج المرأة من تحت حجابها لتعيش مع الرجال بدون أي حواجز أو موانع .وأفيدك يا ابن معبِّر وغيرك أنني أعيش في أروقة الجامعات السعودية منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي ، وعاصرت وجالست وسمعت عشرات الأساتذة وغيرهم في مجتمعنا السعودي وهم ينادون بما يقول ابن موسى تجاه المرأة ، بأنها مظلومة ومقهورة ، ويجب أن تتخلص من الحجاب وتخالط الرجال في كل مكان ، ومن هذه النداءات المضللة ، مع أن هناك مشاكل أخرى أدهى وأمر تواجه المرأة ويواجهها المجتمع السعودي وتحتاج إلى بحث ودراسة ، ولا أحد من هؤلاء المدعين للتنوير والإصلاح يلتفت لها أو يدرسها . (ابن جريس) .

(٢) هذه أمثلة قليلة وهناك عشرات بل مئات الأمثلة في مجتمعاتنا ، التي يجب على الباحثين والأساتذة أمثال الدكتور علي بن موسى أن يدرسوها ويناقشونها وإيجاد حلول لها ، كما يجب على الجميع عدم السماع لهؤلاء المرجفين الذين يقولون أن جل مشاكلنا في احتجاب المرأة عن الرجال . (ابن جريس) .

(٣) وهي الاستحسان ، والاستصحاب ، والمصالح المرسلة ، والعُرْف ، وشرع من قبلنا ، ومذهب الصحابي . (ابن معبِّر) . الإسلام وضح لنا جميعاً أمور الدين وتعايش الناس بعضهم مع بعض ، لكن جهلنا بالدين جعلنا نسير في ركاب نظريات الشرق والغرب ثم نجلبها إلى بلادنا كي نعلمها لأهلنا وأولادنا وبناتنا. (ابن جريس) .

من كل جانب[١]. فهل النِّساء أقلّ من الرجال الذين أصابتهم نفس الأمراض، ويحتاج الأمر إلى إحصائيــة عن رُوّاد المستشفيات، والمستوصفات، والمراكز الصحية، من الرجال والنساء، وذلك لتحديد نسبة المرضى من الجنسين. والأهم من ذلك أن الله تعالى هو أرحم بعباده من أنفسهم، فهـو يقول: (**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولى**)[٢]. فهل يَصْدُرُ من الرحيم الـرؤوف بعباده مـا فيه فساد ومرض لجسد المرأة؟. وهل المؤلّف أعلـم بالأسباب والمُسَبِّبات من خالـق هـذا الكون جل وعـلا؟. وهو القائـل تعالى: (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا**)[٣].

ويقـول المؤلف: (لم تكن المرأة الجنوبية متبرجة أو سافرة ... حتى ... وكان الشّك زايل). وكأنّه يُمَوّه على القُرّاء في معنى التبرج والسفور، فها هو عاشق (ليلى الأخيلية) يقول:

وكنت إذا ما زُرْت ليلى تَبَرْقَعت وقد رابَني منها الغداة سُفُورها

ولو استزدت من أمثال هذا البيت لملأت عشر صفحات على أقل تقدير.

ويسترسـل المؤلف، فيصف المرأة الجنوبية بأنها حُرْمَة (مُقَدّسة)، ولا يمكن لأي رجـل أن يمدّ يده على امـرأة، وكأنه يستهزئ بالقارئ، وربمـا كان هذا القارئ يحفظ مـن القصص ما يجعله يضحك من حكم المؤلف بقداسـة المرأة. وكأنّ المؤلف – أيضاً – يتجاهل أثر الشيطان وبراعته في الإغواء، فقد قال الله تعالى: [**أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**][٤].

---

(١) إنـه والله نقاش عقيـم، يجعل الإنسـان يشعر بالملل عندمـا يقرأ لهؤلاء الأنـواع من الدارسـين الذين يدعون وينظـرون لأهلهـم ومجتمعاتهـم. بهـدف إفسادهـم ومعارضـة دينهـم الـذي عرفـوه في القـرآن والسنة. (ابن جريس).

(٢) سورة الأحزاب، آية (٣٣). (ابن معبِّر).

(٣) سورة الأحزاب، آية (٣٦) (ابن معبِّر).

(٤) سـورة النـور، آيـة (٢١) (ابن معبِّر). يـا أستاذ محمد معبِّر أخونا علي بن موسـى لا يريدك أن تزوده بهذه الأدلـة الشرعيـة، لأنـه قرأهـا وسمعها منك ومن غيرك، فهـو رجل له هدف ومعه أعـوان كثيرون وجميعهم يريـدون لهـذه المرأة المسلمة أن تـترك حجابها وتنادي بالحرية والاختلاط وتنبذ شـرع ربها وأعراف وتقاليد آبائهـا وأجدادهـا وراء ظهرهـا، وهـذا هـو الـذي يسعون لـه، ولو درسـت آراء وأقـوال بعض المستشرقين وسمعـت أيضـاً ما ينادي به بعض إخواننا وأبنائنا ممن أعجبوا بحياة الانفلات الأخلاقي في الشرق والغرب، وممـن ذهبـوا إلى بعض البلـدان الأجنبية للسياحـة أو الدراسة، ثم عـادوا للعيش في أوطانهـم وبين أهلهم ومجتمعاتهـم باذلـين كل ما في وسعهم لنشر مـا جلبوه من ثقافات علمانية تعارض ما ورد في مصادر الرسالة المحمدية. إن هذه الأمور جميعها ليست وليدة اليوم، وإنما هي تعود إلى الوراء عقود عديدة. (ابن جريس).

هـذا هـو خالق الخلق جَلّ ﴿ عُلاَه ينهى عباده عن تتبع خطوات الشيطان ، وهو أعلـم بخلقـه منذ خلق آدم عليه السلام حتى تقوم الساعـة . فهل نَتَعالم وندّعي العلْم ، ونستدعي الأعراف القبلية ، حتى نصل إلى تفضيل علِمنا وأعرافنا على الوَحْيَيْن ؟ [٥] .

٥١- النِّقَاب ﴿ تحول جديد : قال المؤلف:(لقد أصبح النقاب والعباءة ﴿ الجنوب من التقاليد والقيم والثوابت والعادات التي تقوم بها النساء ﴿ حياتهن اليومية ، وأصبح النـاس يؤكـدون عليها من باب الدين والغيرة على النساء مـن نظرات الرجال الأقارب والأجناب والأجانب . نعم ليست المسألة الدينية وحدها التي تحكم الموضوع الآن ، وإنما يحكم النقاب والعباءة ولبسها الغيرة على المرأة من النظر إليها من الرجال الآخرين . ولهذا تشدد الرجال ﴿ هذا الجانب) [٦] .

قلـت : ها هو المؤلف يقلب فِكْـرَه ﴿ اتجاه آخر ، فقد كان يحارب النقاب والحجاب لأنَّ ذلـك -﴿ زعمـه- يخالف العَادات والتقاليد ﴿ الجنوب التي تتمثل ﴿ كشف الوجه، وأنَّ الحجـاب من الثقافة الدينية الوافدة من نجد . ولكنه هنا يرى أنَّ النِّقاب والعباءة مـن التقاليـد والثوابت والعـادات ، لأنَّه يريـد التخلص من أن يكون الحجـاب عبادة ، ليَصل إلى أنّه عادة . ويقول : (ليست المسألة الدينية وحدها التي تحكم الموضوع الآن ، وإنمَا يحكم النقاب والعباءة ولبسها الغَيْرَة على المرأة) .

---

(٥) إن أعـداء الله (عـز وجـل) وأعـداء الرسل موجـودون منذ خلـق الله السماوات والأرض ، وسـوف يستمرون حتى تقوم الساعة ، والنصر كما وعد الله لأهل الحق على أهل الباطل . (ابن جريس) .

(٦) ص ٣١٢. (ابـن معبِّر) . أكـرر استغرابـي مـن هـذا الدارس (ابـن موسـى) فهو يتكلـم كأنـه واحد من المستشرقـين الذيـن درسنا بعض كتبهم وأقوالهم التي تحدثت ﴿ بعض الجوانب الشرعية عند المسلمين مثل الحجـاب وغـيره . وكـوني مكثت حـوالي (١١) سنة أثنـاء دراستي درجتـي الماجستير والدكتـوراه ﴿ أمريكا وبريطانيا فكنا نناقش ونتحدث مع بعض الأساتذة الغربيين ﴿ مثل هذه القضايا ، ونجدهم يناقشون ويجادلون كمـا يناقـش صاحبنا ابن موسى ، ونحن نعذرهم ، لأنهم يهود أو نصارى ، بل يعلنون أحياناً عدائهم للإسلام وأهلـه ، ولكـن الشـيء المحـزن والمـؤلم أن نسمـع مثل هـذه النقاشات ونرى مثـل هذه الدراسـات من زملاء عرفناهـم مـن أيـام شبابهـم ، بـل زاملونا ﴿ سنـوات عديدة أيـام مراحل الطلـب العلمي ، بل إنهـم أحياناً يحاضـرون ويناقشـون ﴿ موضوعـات مهمة مثـل: بعض القيم والأخـلاق التي عاشها الآبـاء والأجداد ويؤكد عليهـا الشـرع ، بل سمعت منهم مثل الدكتور علي ينافحون عن أصالة بعض قيمنا الإسلامية ، ولغتنا العربية، وكثـير مـن أعرافنـا المحكومـة بالشريعة الإسلاميـة . وهنا نجـده وأمثاله يطـرح مثل هذه الأفـكار المعوجة والمحاربـة لشـرع الله . إنني والله أعجب من هؤلاء ، هل هم فعلاً مقتنعون بما يقولون ؟ أم هم يعملون لغيرهم من أجل هدم ثوابت مجتمعاتنا التي تتخذ من الشرع الحنيف دليلاً وقائداً إلى حب الله ومرضاته ؟ إنني فعلاً أكـرر حيرتـي مع هـؤلاء الأنواع من الباحثين ، وحتـى الآن لم أستطع أن أعرف أسبـاب تناقضهم وتقلباتهم . (ابن جريس) .

كأنّه يقول إنّ التزام المرأة بالنقاب والعباءة لا يُعَدّ من التَدَيُّن الخالص، وإنما شاب ذلك الغَيْرة . فهل جَهل أنّ الغَيْرة من الدِّين ، وأنْ لا تعارض في ارتداء الحجاب غَيْرَة من قبل الرجال ، أم تَدَيُّناً وتَعَبُّداً لله تعالى . فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال: قال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفح ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : (تعجبون من غَيْرَة سعد ؟ والله، لأنَا أغْيَر منه ، والله أغْيَر مني) [١]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (رأيتني دخلتُ الجنة) الحديث ، وفيه: (ورأيت قصراً بفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا ؟ ، فقال: لعُمَر فأردت أن أدخله وأنظر إليه ، فذكرت غَيْرَتَك) . وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه : (فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعُمَر ، فذكرت غَيْرَتَه ، فولَّيتُ مُدْبراً) فقال عمر : بأبي وأمي يا رسول الله ، أعليك أغارَ[٢].

٥٢ـ النساء والحداثة : قال المؤلف: (لقد أصبحت المرأة في الوسطى والجنوبية والشرقية والغربية والشمالية تتغير داخلياً ، وتقتني أحدث أدوات الحداثة وتنافس النساء غير المحجبات ، بل تتفوق عليهن في بعض الأحيان . بعضهن تلبس آخر (الماركات) والمصنوعات في العالم . ولهذا فهي تتأثر وتتابع كل ما يبثه (التلفزيون) أو تنشره مجلات الموضة ، ولم يبق سوى أن تظهر المرأة بدون عباءتها ونقابها لتخرج بشكل لا يختلف عن أي امرأة أخرى في الدول المتقدمة، سوى أنها عكفت على التغيير الداخلي تحت العباءة والنقاب الذي لم تعد تلبسه بعض النسوة إلا لإرضاء أهلهن وأقاربهن ومجتمعهن . وتمسكاً بالنظام الذي يفرض عليهن لبس العباءة والنقاب . إنه الخوف من المجتمع ، من الناس ، وبالتحديد من الرجال ، وخاصة من المواطنين والأقارب الذين حل محلهم الأجانب ، بل إن الرجال يخافون من الرجال خشية أن

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله ، صحيح مسلم ، رقم (١٤٩٩) . (ابن معبِّر) . يا أستاذ محمد صاحبنا لا يريدك أن تدمغه بالأدلة الشرعية ، وإنما يريد جدالك على منهج من يقول بقوله. (ابن جريس) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم (٣٦٧٩) و (٣٦٨٠) . (ابن معبِّر) . ابن موسى وبعض من هو على شاكلته يعرفون هذه البراهين ويستطيعون الوصول إليها فهم باحثون ، وأساتذة في الجامعات ومراكز البحوث العلمية ، ولكنهم لا يرغبون الاطلاع أو الاقتناع بهذه الأقوال الشرعية ، لأنها تدحض أقوالهم ، وتبين عوارهم ، وهدفهم أن ينشروا ضلالهم على من لا يعرف فكرهم وأهدافهم . ونقول لهم وبخاصة الأخ علي ومن هو في ركابه أصحوا من غيكم وعودوا إلى شرعكم فأقرأوه وتعلموه كما جاء به الرسول الكريم (ﷺ) ، وإذا فعلتم ذلك بهدف الوصول إلى الحقيقة والقول الصحيح فإنكم سوف تكتشفون أخطاءكم ، وعندئذ أرجو أن تتوبوا إلى الله مما كتبتم وجالدتم من أجله . (ابن جريس) .

يقال فيهم وفي شرفهم ما يعكر حياتهم . وإلا فإن البعض ممن يسافرون إلى الخارج من الرجال يسمحون لنسائهم بالحجاب بدون النقاب مع الحشمة [(١)]. الأمثلة على هذا التغيير يمكن ملاحظتها عند السفر إلى خارج البلاد ، حيث تدخل النساء من المواطنات والوافدات وهن يلبسن العباءة والنقاب ، وما أن تقلع الطائرة حتى تتغير الأشكال والوجوه ، إلا قلة من النساء اللاتي يحافظن على النقاب والعباءة ، والأكثر منهن على الحجاب ، وأخريات تعرف منهن وتنكر ، والعكس صحيح فأنت تتجه من مطارات العالم لتركب متجهاً إلى الوطن لتجد نساء كثيرات لا تميز منهن إلا من هن منقبات أو المحجبات وهن أكثر ، ثم أخريات لا تميزهن عن غيرهن من نساء العالم . هؤلاء جميعاً بينهن الوطنيات والأجنبيات . وما إن تركب في الطائرة وتقترب من محطة الوصول حتى ترى العباءات تملأ الطائرة بشكل ملفت للنظر ، وكأن العباءة والنقاب والبرقع زي وطني يستخدم في أماكن دون أخرى [(٢)]. هذا أيضاً ما يفعله الرجال الذين يلبسون الزي الأجنبي عند السفر ، ويخلعون ملابسهم الوطنية ويتركونها في منازلهم أو حقائبهم . ليس هذا ذنبهم ، إنه وزر المجتمع بأكمله ، لأنه لم يستطع أن يتعامل أو يتحول من مجتمع زراعي أو بدوي يرعى الأغنام والإبل إلى الحداثة بشكل تدريجي ، وبناء على قناعات وتحولات ثقافية ، ونقاش وحوار وحراك وتفاعل اجتماعي ومؤسسي ، فجاء التطور من الخارج من خلال التقنية والصناعات الحديثة والإعلام والعلم والمعرفة والمعلومة بكل أشكالها ، ليحدث أكبر تغيير في سلوك الإنسان وممارساته وخاصة

---

(١) ليس عندي الآن مجال للشك أن هذا الأستاذ العسيري السعودي لا يريد إلا نشر الفتنة والضلال في مجتمعاتنا ، وللأسف إن معه من يؤيده في البلاد . ونقول لهؤلاء نعم إنه دخل ألوان وأنواع من ألبسة وزينة النساء ، وهذه الأسواق تعج بهذه الألبسة المستوردة ، وهناك أيضاً من النساء من تريد الخروج إلى كل مكان بدون الحجاب ومرتدية هذه الألبسة التي نراها في الأسواق، هذا هو الصحيح ، لكن لو سمح النظام وأيضاً الرجال لنداء علي بن موسى ومن ينادي بقوله وتركوا النساء بدون حجاب فهل مشاكلنا الصغيرة والكبيرة سوف تحل ، أعتقد أن الجواب (لا) . ونناد في كل الأجناس والأطياف في مجتمعنا أن يحرصوا على ستر وحجب نسائهم ، وأكبر دليل هو ما نشاهده من تفسخ وانفلات عند الرجال والنساء في عالمنا القريب والبعيد . (ابن جريس) .

(٢) نعم هذا ما شاهدناه ونحن نسافر شرقاً وغرباً منذ عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) إلى يومنا الحاضر ، ونقول إن المراقب لهذه الفترة الزمنية يلحظ أن كثيراً من النساء في السنوات الأخرى يحرصن على لبس أحجبتهن في الداخل والخارج ، بل إن ظاهرة النقاب أو الحجاب انتشرت في العقدين الأخيرين في عالمنا العربي والإسلامي، وهذا يدل على الوعي الديني الذي عرفه النساء والرجال ، ونحن لا نكابر يا علي ونقول إن هذا الكلام غير صحيح ، ولكن الواجب علينا كمسلمين وأساتذة في الجامعات ، وعندنا غيرة في ديننا وعلى أهلنا أن نعمل كل ما ينفع ويفيد لبناء مجتمعاتنا ، ولا نقول للنساء والرجال تحرروا في اللباس الشرعي ، وقدوتنا رسولنا (ﷺ) الذي نزل عليه القرآن ، وشرح لنا بأقواله وأفعاله ما يدلنا إلى الخير ويقودنا إلى الجنة (بإذن الله تعالى) ، والواجب علينا أن نعمل في محيط هذا التشريع الإسلامي . (ابن جريس) .

النساء في جميع المجتمعات والدول[١] . لقد مورست ضغوط كبيرة على المرأة من جانبين : من جانب أدوات الحداثة ووسائلها ، ومحتوياتها ومروجيها الذين تمكنوا من الدخول للمرأة وعقلها وفكرها وسمعها وبصرها ومشاعرها واحتياجاتها تحت عباءتها ونقابها . واستطاعوا أن يغيروها تغييراً جذرياً من خلال مقتنيات الحداثة وأدواتها . وأيضاً مارس عليها أهلها الذين أدخلوا عليها أدوات الحداثة من كل باب ونافذة ضغوطهم وتوجيهاتهم وأفكارهم مثلماً أقنعوها بالنقاب والعباءة من خلال المواعظ التي يسمعونها ويتعرضون لها في أماكن مختلفة[٢] . المرأة في صراع بين واقع المرأة عبر التاريخ وأدوارها ومواقفها ومواقعها ، وما تريد أن تعيشه وتقتنيه ، وما تفكر به وتعمله في حياتها ، وبين ما يراد لها أن تفكر وتلبس وتقتني وتعمل. هي لا تزال المرأة المطيعة المتمسكة أولاً بدينها وعقيدتها ، وصلاتها وصيامها ، وعبادتها وبشرفها ، وأسرتها وأقاربها ، وبكرامتها وبمجتمعها ، وبولائها وانتمائها لوطنها. ولكن لها احتياجاتها وطموحها وحقوقها التي تسمع عنها في البرامج والمحاضرات ، والندوات والمؤتمرات ، والأخبار وفي الأفلام، وفي الكتب والمجلات والصحف وفي التقارير الدولية، وفي المسرحيات وفي القنوات الفضائية التي تنشر حياة الآخرين وقيمهم وثوابتهم وتقاليدهم وأعرافهم ومصالحهم وبضائعهم في كل دول العالم المختلفة . لهذا فإن المرأة محاطة بضغوط أكبر من حجمها ومن إمكاناتها ، حتى وإن لم تتلفظ بها ، ولكنها تضمرها ، وتدل عليها ممارساتها ومشترياتها ومقتنياتها وتوجهاتها . المرأة تتطور تحت عباءتها بأشكال مختلفة. ولا يعرف أحد كيف تتطور المرأة ، وماذا تلبس إلا النساء؟ ولا يعرف فيما تفكر وماذا تريد ، إلا النساء ؟[٣]. المرأة اليوم متعلمة وتقرأ القرآن والتفسير والحديث ، وتسمع

---

(١) اللباس والزينة ، والطعام والشراب ، والأعراف والعادات والثقافات جرى عليها تغيرات بسبب تقارب العالم ، واتساع عالم الاتصالات . كل هذه الأمور وقعت، والتحول مستمر ، لكن ما هو الواجب علينا ، إنه التمسك بالشرع الحنيف الصحيح ، والعمل بجد واجتهاد على أن نتعلم كل ما يرفع من شأن بلادنا ومجتمعاتنا في ضوء شرع الله ، لأن ذلك هو النجاة والسير في الطريق الصحيح في الدنيا والآخرة . (ابن جريس) .

(٢) يفهم منك يا علي، إما نعيد النساء إلى حياة الرعي والزراعة ونمنعهن من التعليم واقتناء أدوات الحداثة ، أو نتركهن يعشن كما يرغبن دون الالتزام بما شرعه الله لنا ولهن ، إنه والله نداء غريب وعجيب . (ابن جريس) .

(٣) يا علي من أقوالك يبدو أنك تعرف عن النساء أكثر من أنفسهن ، وترى أن لا خلاص من هذه المشاكل إلا أن تخرج المرأة من تحت عباءاتها . أنت فعلاً تذكر معلومات هي صحيحة ونشاهدها في أنحاء البلاد ، لكن حلك الوحيد شاذ وغريب ، وكأنك تقول " ياناس ياعرب ، يا مسلمين إن حل جميع مشاكلكم توجد في هذا الحجاب أو النقاب الذي ترتديه نساؤكم ، وإذا أردتم النصر والعزة والكرامة لأمة الإسلام فعليكم التخلص من هذا الجلباب الأسود المجرم الذي أوصلكم إلى هذا الانحطاط والهلاك والدمار" . لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، نسألك يا ربنا الرحمة واللطف ، إذا كانت هذه أقوال ونظريات أساتذة جامعاتنا ومن يعلمون بناتنا وأبنائنا وصلت إلى هذه الدرجة ، فالله المستعان ، كيف تكون أجيالنا وحفدتنا في السنوات القادمة القريبة . اللهم إنا نسألك العفو والعافية . (ابن جريس) .

الأشرطة وتطلع على الكتب الدينية وتبحث في الإنترنت أكثر من الرجال . لهذا قد يتفاجأ البعض بمعرفتهن لحقوقهن الشرعية المستباحة من الرجال . ولو طالبت النساء بما جاء في القرآن والسنة من حقوق لهن لتفوقن على جميع مؤسسات ومنظمات حقوق المرأة والإنسان في العالم ، لأنها حقوق وضعها من خلقها [١] . ولا بد أن التعليم قد أفرز أنواعاً مختلفة من النساء ، فهناك من النساء من يتمسك بالنقاب بشدة ، لأنه طريقة حياة تربين عليها ، وأصبح يمثل مقدساً لا يمكن المساس به . وهذا من باب الحرص على منع الفتنة والابتعاد عن أي مؤثر ، وتمسك بالتفسير للنص القرآني في الكثير من الآيات التي تتعلق بهذا الجانب . وأيضاً من باب أخذ الحيطة ، وإقفال مصادر الفتنة والشبهات في حال عدم وجود النقاب ، وهؤلاء النسوة لهن إبداعهن ومشاركتهن وأدوارهن المهمة في الحياة اليومية. كما أن هناك نساء لديهن الحجة والقدرة على النقاش والحوار ، والبحث في جميع المجالات التي لها علاقة بالإنسان وبالكون ، ولهن أطروحاتهن ورؤاهن مثل غيرهن من صاحبات الرأي والفكر والعلم في العالم . ويحملن أعلى الدرجات والرتب العلمية ، ويشاركن في الندوات والمؤتمرات وفي البحث العلمي بل وفي الابتكار . منهن من تكتب الشعر والرواية والقصة ، وتشارك في وسائل الإعلام المختلفة وتسهم في الفنون التشكيلية من خلال الرسم وغيره من الفنون . وكثير من هؤلاء النساء من يتمتعن باستقلالية إلى حد كبر في قراراتهن ، وطريقة عيشهن وفق تعاليم الدين وبقدر ما يسمح به المجتمع ، وبتشجيع من أسرهن مع رغبتهن في عدم لبس النقاب [٢] . وقسم آخر من النساء يعشن الخوف من التعبير عن وجهات نظرهن

---

(١) يا علي أنت توجه نصائحك للرجال والنساء ، ولكن هل تأملت فيمن خلقك وخلقهم ، وماذا شرع لك ولهم ، أعتقد لو أنك فكرت في ذلك بطريقة منصفة ومحايدة ، فإنك سوف تصل إلى قناعة أن عندنا مشاكل كثيرة ، لكن ليس حلها نصح المرأة المسلمة بترك حجابها أو نقابها، أرجو أن تجلس مع نفسك ، وتراجع أقوالك وتراقب ربك في كل ما تنادي به وتنصح . (ابن جريس) .

(٢) وهذا الذي تريده يا علي . وتمسك المرأة بالحجاب ليس مقصوراً على الشريحة الأولى التي ذكرتها في نصوصك السابقة ، وإنما هناك نساء كثيرات يحضرن مؤتمرات وندوات ويشاركن في أعمال عديدة ، وعندهن درجات عالية ، وجميعهن يحافظن على سترتهن ونقابهن ، وأنا متأكد أنك شاهدت وسمعت واشتركت مع هذا الصنف من النساء في كثير من المحافل العلمية المحلية والإقليمية والعالمية. وأقول: ، هل كان الحجاب عائقاً لهؤلاء النسوة ؟ وأعتقد أن إجابتك ستكون (لا) لم يكن عائقاً ، وبالتالي فالمشكلة ليست في النساء ، ولكنها عند من قلوبهم مريضة فهم يرغبون من أخواتهم المؤمنات المسلمات أن يتخلصن من حجابهن ، ثم يشاركونك وأمثالك . يا سبحان الله لهذا القول وهذا التفكير من إنسان مسلم يعرف الكثير من نصوص الشريعة في العلاقة بين الرجال والنساء . نعم إن هناك نساء يجادلن ويتبرجن ويشاركن ، لكن هل هن قدوة للمرأة المسلمة المؤمنة ؟ أترك لك الإجابة على هذا السؤال وغيره من الأسئلة المشابهة . (ابن جريس) .

نتيجــة التنشئة التي فرضت عليهـن عدم المشـاركـة وإبداء الرأي من قبل الأهل الذين يــرون العيــب في ذلك نتيجة ثقافة الأسرة . وعلى العكــس هنـاك سيدات أعمال كثيرات يرثــن الملايين ، ويعملن في مراكز إنتاجية وتجاريــة مختلفة ، وأيضاً لديهن طموحاتهن التجارية ، ويقمن بدور إيجابي كبير في التجارة على الصعيدين الوطني والدولي .

المجتمع النسائي متنوع ومتعدد نتيجة التعليم والتربية والتنشئة الأسرية والاجتماعية التــي تقوم بدور مهم في هذا الجانب . كما أن الإعلام يعد من أهم مصادر التأثير على المرأة وكيفية حياتها وتعاملها . ومع هذا تبقى المرأة موافقة الرجل للظهور على حقيقتها التــي سوف يصدم بها الكثيرون من الرجــال والنساء ، الذين لا يعرفون معنى الحراك الاجتماعــي والتطور التدريجي للسلوك البشري ، والتلاقح الحضاري ، والتأثير الثقافي والفكــري ، قيم تفنــى وقيم جديدة تدخل الحيــاة القروية في الجنــوب مثل غيرها من القرى والهجر في الوسطى والشرقية ، والغربية والشمالية وفي كل قرى العالم)[1] .

قلــت : أعــترف بــأن المؤلف تَفَوّق علــى نفسه ، ولم يطلــق لها العنــان ، فهو يحترز بالتَّبْعِيض والتصنيف ، فيقول (بعض) أو (قِسْم آخر) . ويغلب على كلامه تحت عنوانه (النســاء والحداثة) التلاعب بالألفاظ عن حال المــرأة تحت العباءة ، وتأثير الحداثة عليهــا . ولكنــه يُصِرُّ علــى تسمية سُفُور الوجــه بالحجاب .ثم يقــول في آخر كلامه : (قِيَــم تفنــى وقيم جديدة تدخل الحيــاة الفردية في الجنوب) فــإنْ أراد بالقِيَم العادات والتقاليــد والسُّلوك ، مما تواضع عليه البَشر ، فــلا خلاف حول ذلك . وإنْ أراد بالقِيَم شرائــع الدِّيــن الإسلامي ، فإنّ ذلك لا يستقيم له ، لأنّه لا فنــاء للدِّين وشرائعه ، وإنما هو الانحراف عن شرع الله تعالى ، وهو القائل جلّ في عُلاه : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**)[2] .

---

(١) ص ٣١٤ . (ابــن معــبِّر) . لا أحــد ينكــر أن التغيــير موجــود وســوف يستمــر لكــن ليس الحل محصــوراً في الحجــاب ، كمــا تقــول وتدعي يا ابن موســى ، والمفروض أن تدرس الأسباب الحقيقيــة للتغير الجاري ، وكيف نواجهه ونتصدى لمشاكله . (ابن جريس) .

(٢) ســورة المائــدة ، آيــة ٣.(ابــن معبِّر) . لو فرق ابــن موسى بين شرائع الديــن، والعادات والتقاليــد والأعراف ، وعــرف مــا هو الأهم ؟ وما الذي يجب على المؤمن المسلم اتباعه ؟ لما دخلنا في هذا الجدل القائم على الأهواء والقناعــات التــي تشربها الباحث من الدراسة واللقاءات والســير في مناكب الأرض . والجميل في حياة المسلم الصــادق أن عنــده شريعــة ربانيــة ، فعليه التمسك بها ، ومــن يفعل ذلك فلن يظل أبداً ، وهــذا ما ذكره الله- عــز وجــل- في القــرآن ، وما حــث عليه الرسول الكــريم (ﷺ) في سنته النبوية . وأعتقــد أن علي بن موسى يعــرف ذلــك تماماً ، لكنه يصر وينــادي إلى الحوار والنقاش والتفكير، ولا مانع لديــه أن تكون هذه النداءات خارج دائرة الشريعة الإسلامية . (ابن جريس) .

٥٣- حوار ونقاش: قال المؤلف: " يا سيدتي ، لا تحزني فلست وحدك من أثرت عليه الحداثة واستهدفه (التلفزيون) ، فلقد أصبح ألد أعدائه في الماضي من نجومه الكبار ، وممن يقتنيه بأكبر الشاشات وآخر التجهيزات ، فلهم برامجهم وقنواتهم، ويتسابقون كي يراهم الجميع ، حتى المواقع الإلكترونية . وأصبحت صورهم في كل مكان، بل إن صورهم حية يتحركون فيها ، ويتحدثون ويبتسمون ويغضبون ويعبسون ويوجهون من خلالها كل الرسائل التي يريدون إبلاغها للمشاهدين . هذه الصور ليست صوراً (فوتوغرافية) جامدة أو رسوماً ، إذاً ماذا يحدث ؟ هل أصبحت الصورة حلالاً ؟ هل هو انقلاب في القيم وفي التفكير ؟ أم أن الفهم يأتي متأخراً ، ويكون قد فاتنا الكثير من المصالح لنضطر للتعامل مع منتجات الحداثة بعد أن يكون قد فاتنا الكثير ؟ أم أن أدوات الحداثة وقوة التغيير أكبر من الطاقة على الاستيعاب أو التصدي لمحتوى الآلة والتقنية والصناعة التي حطمت النواميس ، وألغت المسافات ، وكشفت الأقنعة، وعرّت الناس كل الناس في العالم ، ليظهروا على حقيقتهم ؟ وماذا بعد هذا التغيير الذي يمر مسرعاً من دون أن يشعر به الناس ؟ نعم هم يشعرون به ، ولكنهم سكارى بهذا التغيير الذي يتعاطونه ويتلذذون به، يعرفون حلاله ويعرفون حرامه . ولكن استفتِ قلبك لتعرفَ أين أنت من هذا كله [١]. في البداية ظهرت المعارضة للتلفزيون ، ثم جاءت الصحون أو الأطباق الهوائية وثار البعض ضدها ، ثم كشفت القنوات الفضائية عن عوراتها ، ثم دخل الإنترنت ثم دخل معها الجميع في كل جحر ولن يخرجوا منه . العجب أن الإمبراطوريات الإعلامية العربية هي التي تهيمن على سماء العرب ، وهي التي تروّج لكل شيء بهدف الربح والمال والسلطة وغيرها . الهواء أيضاً هو جزء من العرض والعار ، مثله مثل الأرض التي تخلّى عنها المزارع لتتحول إلى مخططات للبيع والشراء ، وملاعب للكرة ، وميادين للعاطلين الذين يعبثون بسياراتهم وممتلكاتهم فيها . الهواء ملك عام ، ويجب تقنينه وحمايته حتى لا تخترقه كل قنوات ((التلفزة)) وكل موجات (الرادو) في العالم الموجهة على رؤوس أهل القرى ، كل القرى في الغربية والشرقية

(١) أقول لك يا سعادة المنظر والفيلسوف أن كثيراً مما قلته صحيح ، فعجلة التطور والحداثة سائرةٍ في طريقها على الرجال والنساء الصغار والكبار ، لكنك توجه النداء هنا للمرأة وتهمس في أذنها قائلاً : إن الحل الوحيد لك أن تطلقي الحجاب والنقاب ، ومن ثم فكل مشاكلك ومشاكل مجتمعك سوف تكون (صافي يالبن) . وأنا أقول لك ومن ينادي بهذه الآراء ، أنهم لا يريدون إلا نشر الفوضى الاجتماعية ، وكأن لسان حالهم يقول أن ستر المرأة لجسدها أصبح من الماضي ، وعليها خلع حجابها حتى يطلق عليها متقدمة أو متطورة ، وهذه والله انتكاسة في المفاهيم عندما تصدر هذه الآراء من أناس عاشوا وتربوا في منازل مسلمة ، وصاموا وصلوا ومارسوا جميع الشرائع الدينية . ونقول مثلاً أن النساء خرجن عاريات كاسيات ، ونبذن حجابهن ، يا تُرى ما هو النجاح الذي سوف يتحقق ؟ وهل النساء لا يستطعن القيام بأعمالهن إلا بنزع الحجاب؟ ومجالسة الغرباء من الرجال والتعامل معهم ؟ . (ابن جريس) .

والوسطى والشمالية والجنوبية . نعم رؤوسهم هي المستهدفة بل عقولهم وأفكارهم وأبصارهم وأسماعهم وأفئدتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم . إنها أذواقهم وقيمهم وأعرافهم التي يراد لها أن تتغير ، وتستمر في التغيير من مغير إلى مغير آخر . كيف يمكن أن تصمد المرأة في الجنوب ، بل في كل القرى في الوسطى والشرقية والغربية والشمالية وهي تتعرض لهذا الكم الهائل من الحقن بالصور والمعلومات والقيم والأخلاقيات والمفاهيم والأفكار والمصطلحات التي تهد الجبال ؟ صعب عليها الصمود حتى لو لبست آلاف العباءات والنقاب فالطوفان أكبر من قطعة من القماش تغطي الخارج ولا تستر الداخل. إن الحجاب الحقيقي للمرأة في الجنوب في كل القرى في الوسطى والغربية والشرقية والشمالية هو بعفة الرجال ، الجد والأب والابن والعم والخال وأبناؤهم وأبناء أبنائهم أولاً ، وجميع الرجال من الأجانب والأجناب . ولهذا يقول الرسول - ﷺ - ((عفّوا تعفّ نساؤكم)) . فإذا ربى كل واحد أبناءه وطلابه وموظفيه ومجتمعه على العفة والأخلاق، ووضعت القوانين التي تحمي المرأة والرجل من نفسه ومن المرأة ، حتى تضبط السلوك، فالمرأة بطبعها عفيفة وشريفة ، ولهذا يجب أن يزول الشك ، وأن يتم تقييم برامج (التلفزيونات) كل (التلفزيونات) وأن تقنن بشكل يحمي الأسرة ، وخاصة الأطفال والمرأة والرجل . ثانياً ، أكبر حماية للمرأة تكون بحثها على التعليم النوعي الذي يعتمد على بناء القيم والأخلاق ، والشعور بالمسؤولية في إطار الثوابت والمرجعيات الأساسية ، ومنحها كل أسباب القوة ، وفتح المجال لها في كل التخصصات ، وهي ترتدي رداء العزة والأنفة ، والشهامة والغيرة، الذي كان يعيش به الأجداد في قراهم ، وهم يرفعون رؤوسهم ، ويعملون مع بعضهم بعدما حصنوا أنفسهم بمنظومة من القيم والأخلاقيات، والمبادئ والنواميس ، والعادات والتقاليد ، والأعراف الرفيعة ، وكان (الشك زايل) ، فعاشوا بها مئات السنين محصّنين متحابين متآلفين ، تندر فيهم النظرة السيئة إلى بعضهم رجالاً كانوا أم نساء)[1].

---

(١) ص ٣١٧. (ابن معبِّر) . أشار ابن موسى إلى حقائق ، مثل: إعلامنا العربي ومن يهيمن عليه ويسعى إلى إفساد المجتمع العربي المسلم ، وذلك بكل ما يبث ويقال في وسائل الأعلام المختلفة . وهذه كارثة أخرى يعيشها عالمنا ، وأبناء جلدتنا هم الذين جمعوا أموال بلادنا ثم صرفوها في هدم قيمنا وأخلاقنا. وقال أيضاً يجب تعليم المرأة وتربيتها على القيم الحميدة، وفتح الباب لها للعمل في كل عمل وعلم نافع يعود عليها وعلى المجتمع بالفائدة. كل هذه الأقوال جيدة ويجب على كل إنسان منصف أن يصطف إلى جانبها ويؤيدها، والذي فهمته من الأستاذ ابن موسى ، أن كل العقبات في النقاب والحجاب ، وإذا تخلصت المرأة منه فسوف تحصل على كل ما تريد. وهذه نظرية خاطئة وقول لا يريد به صاحبه وجه الله ، ونقول ما المانع أن المرأة تحافظ على ستر عورتها من الرجال ؟ ثم تشترك في كل عمل يوافق تركيبتها الجسدية والعقلية. أما القول بحذف الحجاب والنقاب من حياة المرأة ، فمخالف للشريعة الإسلامية ، والمسلم خلق لعبادة الله عز وجل ، والاجتهاد من أجل الحصول على مرضاة الله .(ابن جريس).

قلت: ثلاثون سطراً كتبها المؤلف كحقنة مخدرة، أو تقليداً لخُطُوات الشيطان في قوله تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**] (١). ثم أتبع المؤلف تلك الأسطر بتساؤل ظاهره البراءة، فقال: (كيف يمكن أنّ تصمد المرأة في الجنوب ...) وأجاب على نفسه بقوله: (صَعْبٌ عليها الصمود حتى لو لبست آلاف العباءات والنقاب فالطوفان أكبر من قطعة قماش) (٢). [**أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**] (٣)، إنّ (قطعة القماش) التي يزدريها المؤلف لم تكن من أفكار أصحاب (الثقافة الدينية) الذين لا يستلطفهم المؤلف، فهم في نَظره الذين أدخلوا قطعة القماش إلى الجنوب. جاءت قطعة القماش في قوله تعالى: [**أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**](٤). وإذا كان المؤلف ينفي صمود (قطعة القماش) فإنه يتجرأ في نَفْي قُدرة الله تعالى في حفظ عباده الذين يتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه، ويرجون رحمته، حيث قال تعالى: [**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**] (٥). أفلا يثق المؤلف في رحمة ربّه تعالى؟ .ثم يقول المؤلف: (إنّ الحجاب الحقيقي ...) كأنّ المؤلف من قوله هذا حتى نهاية كلامه، يريد أن يصنع ديناً جديداً، أو على الأقلّ إعادة كتابة الشرائع وتهذيبها في قالب قوانين تحمي المرأة والرَّجُل، وأنّ تكون العادات والتقاليد والأعراف الرَّفيعة هي الحاكمة على المجتمع. وكأنَّ الله تعالى لم يقل: [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**](٦). وكأنّ سُنّة رسوله ﷺ ممَّا يؤخذ منها وما يُتْرك، وقد

---

(١) سورة النور، آية (٢١) .(ابن معبِّر) .

(٢) نداء الأستاذ ابن موسى لا لبس فيه، وهو يقول: يا نساء هذا هو حل تعبكن وشقائكن، انزعن أقنعتكن عن وجوهكن وأجسادكن، وبالتالي سوف تجدن العزة والسعادة والتفوق. (ابن جريس).

(٣) سورة الأعراف، آية ٢٨. (ابن معبِّر) .

(٤) سورة الأحزاب، آية ٥٩. (ابن معبِّر) .

(٥) سورة الأعراف، آية ١٥٦. (ابن معبِّر) .

(٦) سورة المائدة، آية ٣. (ابن معبِّر) . لا نستغرب هذا القول من ابن موسى لأننا سمعنا مثل هذه المقولات عند كثير ممن يسمون أنفسهم (مفكرين)، أو (باحثين)، أو (منظرين) في عالمنا العربي والإسلامي. كما سمعناها وقرأناها في كتب بعض الباحثين والدارسين في مراكز البحوث والجامعات العربية والشرقية ممن يحاربون الإسلام والمسلمين. وهذا ابن موسى يفعل فعلهم ويسير على خطاهم، ويقول: عليكم التفكير ياناس (رجال ونساء)، عليكم التجديد والسير على نمط المتغيرات الحديثة، بل لسان حاله ومن هو على شاكلته يقول إن شرائع الإسلام ليست ثابتة، وإنما يجب التفكير فيها، والانسلاخ والبعد عن كل ما يقف أمام التحولات الجديدة، وهذا هو الحجاب الذي تلبسه النساء. أصبح من الماضي، فعليكن يا سيدات تركه وعشن حياتكم، وقلدوا غيركم من النساء المتطورات في مشارق الأرض ومغاربها. (ابن جريس) .

قال الله تعالى في رسوله ﷺ: [**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**] [١] .أمّا حديث: (عِفُّوا تعفُّ نساؤكم) فقال عنه الهيثمي : فيه يزيد بنَ خالد العمي، وهو كذّاب[٢] .

٥٤ـ المحافظـون والليبراليـون : قال المؤلف : " لقد انقسم أهل المسجد الواحد من الأقارب والأرحام وأبناء العمومة والأخوال في كل القرى في الوسطى والشمالية والجنوبية والشرقية والغربية الذين درسوا في مدرسة واحدة وكتاب واحد ، ولم يفرق بينهم سوى التعليـم العالي ليتخصص كل واحد في تخصص يعده لمهنة جديـدة ضمن متطلبات الدولـة والمجتمـع ، انقسمـوا بين ((ليـبرالي)) و ((علماني)) وأصـولي ومتطرف ، وهـم لا يدركون عواقب ما يقولـون وما يسمعون بالرغم من أنهم جميعاً محافظون ، أي متمسكـون بالدين في حياتهـم اليومية من صلاة وغيرها . وهـم يستهلكون الكلام كما يستهلكـون الأكل والشراب والملبس من دون أن يعرفوا مكوناته العلمية ومصادره وسبب صناعتـه ، وحتـى تاريخ صلاحيتـه . أي أناس هؤلاء الذين يفرقـون أبناءهم وبناتهم ، ويشككـون في أخلاقهم وقيمهم وثوابتهـم ، وتقاليدهم وأعرافهـم ومرجعياتهم . حتى أهـل البيت الواحد انقسمـوا وهم يعلمون أو لا يعلمون ، أن الشخص الواحد منهم سواء جعلـوه متحرراً أو علمانياً أو أصولياً متطرفاً منقسـم على عقله ، وفي ذاته بين قسمين: قسـم يراعـي به النـاس وينشد به رضاهـم ، ليحصل على حقوقه ويحقـق مكتسباته ، وقسـم يتنازع فيـه مع نفسه ووعيه واحتياجاته وطبيعتـه وفطرته . جميع أهل القرى في الوسطـى والشرقيـة والجنوبية والغربية والشمالية لم تنقسـم عقولهم إلا بعدما دخلت عليهـم الحداثة من كل ثقب ، ودخلوا معها في كل جحر[٣] الصراع والانقسام والانحياز

---

(١) سورة النجم ، آية ٣ـ ٤. (ابن معبِّر) .

(٢) مختصر المقاصد الحسنة ، ص ١٤١ . تنزيه الشريعة المرفوعة ، ج٢ ، ص ٢٢٧ (ابن معبِّر) .

(٣) هـذه الانقسامـات موجودة ، بل وجدت الانقسامات بين المسلمين منذ عهـد الرسول (ﷺ) ، وعصور الخلافة الراشـدة والقـرون الأولى من عصر الإسـلام ، وأخرج أسفاراً عديدة في الاختلاف بين الفقهاء أنفسهم ، كما ظهـر عشـرات الملـل والفـرق التي واكبـت المسلمين عـبر أطوار التاريـخ الإسلامـي. وهناك مئـات المصادر والمراجـع والرسائـل والمقـالات التـي فصلـت الحديث عـن الاختلافات بـين الأمم والأقـوام والعشائر وحتى الأفـراد في المدينـة أو الدولـة أو الأسرة الواحدة ، ولم يأت ابن موسى بجديد في هـذه الأقوال ، ونشاهد اليوم علـى المستـوى الفكـري والعقائـدي والسياسـي الاختلافـات في كل مـكان . والـذي يعلـم هـو الله ـ عـز وجـل ـ بـكل مـن هو على حـق أو باطل . وكـون من سماهـم الأستاذ علـي (المحافظون والليبراليـون) فهذه مصطلحـات حديثـة ، مـع أن الاختلاف نفسه قديماً . ونقـول إن الذي يحكم أفعاله وأقوالـه بقوانين وشرائع شرعهـا خالـق الخلـق ، فذلك هـو النـاجي ، وأعتقد أن مـن يسلك هذا المنهج فهو الموفق عنـد الله وليس عند مـن اختلفـت معهم ، أو عند القبيلة أو الدولة أو الأمة التي ينتمـي إليها. إننا هنا نحتكم إلى ما ورد في القرآن والسنة ، وليس إلى آراء وأقوال فلان أو علان ، وهذا هو بيت القصيد . (ابن معبِّر) .

لموقف أو لقضية دون أخرى ليس على العقيدة ولا على الثوابت ولا على الأخلاق ، إنما على المصالح والعادات ، وأكثر من هذا الصراع على الخوف . نعم إنهم يتصارعون على الخوف مما رأوا من تأثير للحداثة التي ليست من صنعهم ، بل إنهم جميعاً من إفرازاتها ، وهم لا يعلمون . وأيضاً يتصارعون على خوفهم من القادم ، ومن المجهول الذي لن يدري أحد ماذا سوف يجلب ؟ وإلى أين سيصل ؟ كل هذا لأنهم مستهلكون ولم يسجل لهم التاريخ في عصر الحداثة أي صناعة أو مشاركة تستفيد منها مجتمعاتهم أو العالم ، ولهذا فهم يستوردون كل شيء ، حتى الصراع والاختلاف ، مثلما استوردوا الصراع بين ليبرالي ومحافظ ، ولكن ليس بالخوف تعالج القضايا وتواجه المشكلات ، بل إن مواجهتها تتم بالعودة إلى المسجد الذي كان يلتقي فيه أهل القرى . يجب أن يعود الجميع إلى قيم أجدادهم الذين كانوا أقرب إلى الإسلام منهم، وفي الحديث (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ، اجلسوا في ((صوحه)) أو ساحته ، عودوا إلى المسجد وتناقشوا وتحاوروا واعرضوا كل هواجسكم وتحفظاتكم ، وعلمكم ومعرفتكم ومخاوفكم ، في خشوع ووعي وصدق بعيداً عن الهوى وسوء الظن . وفكروا بصوت عال جداً ، حتى لا يبقى في صدر أحدكم ريبة ولا شك)[1] .

قلت : حين يقول المؤلف : (لقد انقسم أهل المسجد الواحد ...) فهو يُعَمّمُ ذلك على جميع المجتمع السعودي ؛ وهذا الانقسام الذي يقول به المؤلف لا يصح إطلاقه على جميع أفراد المجتمع ، إذْ يختص بالبعض القليل منهم ، فَرُوَّاد المساجد أقرب إلى بعضهم البعض .ثم يقول المؤلف: (أي أناس هؤلاء ... حتى ... ويشككون في أخلاقهم وقيمهم وثوابتهم وتقاليدهم وأعرافهم ومرجعياتهم) .

ثم ينسف قوله بعد بضعة أسطر بقوله : (الصراع والانقسام ... حتى ... إنما على المصالح والعادات) فكيف يتم التشكيك في الثوابت ، ثم يقول إن هذا الصراع ليس على العقيدة والثوابت؟[2] . وتَكْمُن الإشكالية في مُرَاد المؤلف من

---

(١) ص ٣٢٠. (ابن معبِّر) . إنني أجد نفسي مضطرباً مع هذا الأستاذ الذي يقول يا نساء يا سيدات اتركن حجابكن ونقابكن ، ثم يقول إن حلكن في المسجد وساحته . إن هذا الرجل متناقض في أقواله ، فمرات يقول كلاماً صحيحاً ذكرته شرائع الإسلام ، ثم لا يستمر كثيراً في هذا الطريق حتى ينحرف ويقول إن الطريق الأفضل هو خروج المرأة بدون حجاب ومشاركة الرجال في كل الأعمال. (ابن جريس) .

(٢) هناك خلط واضطراب في سرد أقوال ابن موسى، ولا ندري هل هو اجتهاد ونظرية يريد أن يخرج بها، لكنه عندما يتمادى في أقواله يعاتبه ضميره فيضطر أن يذكر هذه الأقوال المخدرة حتى لا يستثير الرأي العام، إنني أتوقف وأحتار عند كثير من أطروحات هذا الرجل . والمشكلة كما ذكرت سابقاً أنه رجل جيد في أخلاقه وكثير من أطروحاته وذلك بحكم مجالسته ومعرفتي له سنوات طويلة . (ابن جريس) .

(الثوابت) هل المراد بها أحكام وشرائع الدين الإسلامي ؟ أم ثوابت العادات والتقاليد ؟ .لا مرَاء ولا جدال في أنّ كل ما أمرنا الله تعالى به ، وكلّ ما نهانا عنه من الثوابت ، وليس آكدَ في ذلك من قوله تعالى: [**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**][١] ويقول الرسول ﷺ : (مَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي)[٢] . أما ثوابت العادات والتقاليد ، فما وافق ثوابت الشريعة الإسلامية فهو حسن ، وما خالف الشريعة فهو باطل. وليس ما يراه المؤلف ، ويحاول الإيهام بوجوده في جميع أفراد المجتمع السعودي ، من صراع ، وانقسام ، وانحياز ، إلاّ من قَبيل (الترّف الفكري) والتَّعالم على حساب الثوابت الشَّرعية .ثم يقول المؤلف : (يجب أن يعود الجميع إلى قيم أجدادهم الذين كانوا أقرب إلى الإسلام منهم ...) وهو يعني بقيم الأجداد : العادات والتقاليد والأعراف التي سبق له الإشادة بها كثيراً ، بمعنى أنَّه يجعل من هذه القيم الأساس الذي سيدور حوله الحوار والنقاش في المسجد[٣] ، وأراد بذكره للمسجد إضفاء بعض الإثارة العاطفية ، ورَسْم صورة إيمانية يتوسطها المسجد ، ثم يدعوهم إلى الجدل والنقاش في أمور قد فَصَل فيها القرآن والسُّنَّة ، ويُريد من هؤلاء النّاس الذين لم يُحدّد صفتهم ، هل هم من العلماء ، أم من العامّة ، فأما العلماء الفقهاء فيعلمون أنه لا مُسوِّغ لهذا الاجتماع والجدل ، وأما العامّة ، فقد قال الله تعالى فيمن يحب المجادلة منهم : ويؤجّج المؤلف مصطلح (الخوف) من الحداثة ووسائلها ، ومما هو قادمٍ ومجهول ، وكأنّه يتجاهل ما وعد الله تعالى به عباده ، فقال: [**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّه ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**][٤] . فهل يخاف المؤمن مما هو آت وهو يقرأ هذه الآية ويستيقنها . إنَّ المؤمن يعلم من حديث رسول الله ﷺ حين قال : (بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء)[٥] . أنه سيكون هناك أهوالاً من الانحرافات والصِّراعَات، ولكنه لا يخاف إلاّ من عذاب الله ، لأنّه يقرأ قوله تعالى : [**وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**][٦] ، ومَنْ يخاف من عذاب الله تعالى ، فإنه يسعى إلى

---

(١) سورة الحشر ، آية ٧ . (ابن معبِّر) .

(٢) صحيح البخاري ، الحديث رقم (٥٠٦٣) ، صحيح مسلم ، الحديث رقم (١٤٠١). (ابن معبِّر) .

(٣) أقول لك يا ابن معبِّر وأقول لابن موسى أيضاً (ما أسس على باطل فهو باطل) ، إن جعل العادات والأعراف هي القاعدة في حياتنا ليست عملاً سليماً ، وهذه مصادرنا القرآن والسنة ، فهي أساس قوتنا والطريق التي يجب علينا كمسلمين السير فيها . (ابن جريس) .

(٤) سورة الحج ، آية ٣ . (ابن معبِّر) .

(٥) صحيح مسلم ، الحديث رقم (١٤٥) . (ابن معبِّر) .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٥٧ . (ابن معبِّر) .

مـا أمره الله تعالى به ، ولا يسعى إلى المسجد لعقد الحوارات في قيم الأجداد وعاداتهم ، لأنه يقرأ أيضاً قوله تعالى: [**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**][1].إنه (الخوف) المرتبط بغاية عظمى ، هي الدخول إلى الجنَّة ، وليس (الخوف) مما تفرزه الحداثة وأدواتها ورجالها ، وشَتّان ما بين الخَوْفين[2].

<u>**٥٥ـ حديث حول الحداثة**</u>: قال المؤلف :"لم يتمكن أهل القرى كل القرى من فهم الحداثة التي وصلت إليهم بوسائلها المختلفة ، التقنية والتنظيمية والمؤسسية والتعليمية والفكرية والإعلامية والصناعية والعلمية والطبية والتجارية والغذائية والثقافية وغيرها . وبالرغم من أن جميع مؤسسات المجتمع بدون استثناء هي مؤسسات حديثة حتى وإن كان محتوى تلك المؤسسات مرتبطاً بالتخصص الذي ينتمي إلى ثقافة المجتمع ، غير أن أسباب نشأة تلك المؤسسات وتنظيمها مرتبط بدخول الحداثة ومؤسساتها المختلفة ، ولهذا نتجت إفرازات كثيرة للحداثة أدت إلى تغير في القيم والسلوك والحياة بكل مساراتها [3] . وانتقلت مع أدوات الحداثة عادات وتقاليد وأعراف وسلوك وممارسات جديدة مرتبطة بكل وسائل الحداثة المختلفة. ونتج عن الحداثة ردود فعل عكسية هي من نتائج الحداثة ، حتى وإن كانت مضادة أو معارضة للحداثة وأدواتها ومخرجاتها إلا أنها من حيث لا تعلم تلك المؤسسات أو الأفراد تعد من إفرازات الحداثة ونظمها وأفكارها وفلسفاتها حتى لو لبست لباساً ثقافياً محلياً[4]. وبالرغم من أن الحداثة مرتبطة بالتطور ودخول الصناعة والتقنية والتنظيم الاجتماعي والثقافي الحديث الذي جاء مع الدولة الحديثة ، غير أن انتقال تلك الحداثة من موطنها الأصلي لا يعني أنها تتلاءم مع المجتمعات التي استوردت الحداثة بكل معطياتها ، ولهذا ولد الصراع بين القيم والعادات ، والسلوك والمفاهيم التي ترتبط بالحداثة مع ما يقابلها لدى المجتمعات

---

(١) سورة النحل ، آية ٥٠ . (ابن معبِّر) . وأرجو من الأخ ابن موسى أن يخاف الله ويخاف عذابه ، ولا يدافع عن الحداثة وما أفرزت لنا من عقول وأفكار ونظريات وحوارات ونقاشات سيئة . (ابن جريس) .

(٢) ولو استشعرنا جميعاً هذا الخوف من الله ، والخوف من عقابه لما أجهدنا أنفسنا بهذه الفلسفات والآراء المستقاة من أدب وتراث أعداء الإسلام ، وكنا عكفنا على فهم ديننا (دين الوسطية) وعشنا حياتنا في محيط تعاليمه . (ابن جريس) .

(٣) أفكارك يا دكتور علي وما تنادي به أحد إفرازات الحداثة التي تتحدث عنها ، فهذا أنت تنادي بترك شيء من الثوابت واستبداله بأعراف وضعية داخلية وخارجية . (ابن جريس) .

(٤) نعم جدلك ونقاشاتك هذه من نتاج الحداثة المستوردة ، سواءً علمت أم لم تعلم ، ولست الوحيد في هذا الميدان ، وإنما أمثالك كثيرون (نساءً ورجالاً) يقولون بما تقول ، وتذكرون شيئاً من الثوابت الشرعية على أنها رجعية وتخلف . (ابن جريس) .

التـي انتقلت إليها . وبالرغم من أن الحداثة عبارة عـن نظم ومؤسسات وأفكار وثقافة ومنتجاتهـا ، غـير أن ما يستورد من الحداثة هو الجانـب الاستهلاكي التسويقي فقط . وليسـت أدوات إنتاج الحداثة وبنائها . ولهذا تتم عمليـة الاستهلاك لإفرازات الحداثة ومنتجاتهـا في الكثير من المجتمعات. وبالرغم من إمكانية توظيف الحداثة ومؤسساتها توظيفـاً بنائياً يخدم المجتمع والفرد والمؤسسات الوطنية ، وينتج منتجات حديثة تتلاءم مـع الثقافة وتحافظ علـى الثوابت والقيم ضمن المرجعية العامة للمجتمع ، إلا أن هناك عوامل كثيرة تتحكم في كيفية التعامل مع الحداثة وتحديد نوعية ما يمكن اكتسابه منها ، وما يمكن رفضه [١] . وعلى سبيل المثال لم تتمكن الكثير من المجتمعات من نقل مقومات الحداثـة الخلاقـة مثل الصناعـة ، والاقتصاد ، والبحث العلمـي ، والإدارة والتنظيم ، والتخطيط الدقيق ، وإنشاء المؤسسات ، وفصل السلطات، ووضع التشريعات، والمحاسبة والحريـة المسؤولـة، والعدالة والمسـاواة وغيرها [٢] ، ولكن في المقابـل تمكنت الكثير من المجتمعات من استيراد منتجات مؤسسات الحداثة ، وموادها الاستهلاكية التي تنتجها الـدول التـي نشأت منهـا الحداثة أو تطورت فيهـا . وانتقلت لتلـك المجتمعات إفرازات الحداثـة التي تتعلق بالفكر والسلوك والعادات والثقافة ، إضافة للمنتجات الاستهلاكية المختلفـة . وقـد نتج عن انتقال الحداثة مـن موطنها إلى البلدان المسـتوردة صراع بين القـادم والقائم ، وتحول المجتمـع المستورد للحداثة إلى معارضـ لمنتجاتها ومؤيد لها ، بينما يعيش الجميع عليها ويستخدمها ، مع أن المؤيد للحداثة لا يستهلك منها إلا الكلام والبضائـع والمواد الاستهلاكية التي لم يتمكن من إنتاجهـا وتصنيعها أو تقليدها . ومن هنا كان الصراع بين أفراد المجتمع الواحد الذي يتصارع على الحداثة بالرغم من أنهم جميعاً من إنتاج الحداثة وإفرازاتها [٣] . لقد أفرزت الحداثة الكثير من السلوك والتفكير والعادات الاستهلاكية . وأيضاً انتشار الأوبئة الحديثة مثل التدخين والمخدرات والكحول والإغـراء والإثارة ، وتغيـير القيم والتقاليـد ، بالإضافة إلى انتشـار الجرائم الحديثة

---

(١) مـن وجهـة نظرك أن نـزع النقاب عند النساء والانخـراط في جميع أمور الحياة المجتمعيـة من عوامل التكيف والتأقلـم مـع صـور الحداثة المستوردة ، وهذا نداء بئيس ، فأنتم تـرون أن لا تقدم ولا نجاح إلا إذا ابتعدنا عن ثوابت العقيدة ، وهذا والله الخسارة الكبيرة وليست مكسباً . (ابن جريس) .

(٢) هذا نداء جيد ويجب أن نعمل من أجله مع الحفاظ على الثوابت في الدين والأخلاق والقيم . (ابن جريس).

(٣) الواجـب علـى الجميع منا أن نتعلم ونأخذ من عالم الحداثة ما يعـود علينا بالفائدة في صناعتنا وبناء أوطاننا ، ونأخـذ أيضـاً مـا يرفـع مـن مستوى معارفنـا وعلومنـا وثقافتنـا لكن ليـس ذلك علـى حسـاب التخلي عن الأساسيـات التـي قام عليها دين الإسلام ، وحفظ العرض والطهر والبعد عن الرذائل ، فذلك من الأمور التي حث عليها الشارع الحكيم . (ابن جريس) .

المصاحبة لها . وكل تلك الإفرازات يمكن التغلب عليها في حال تمكن أبناء المجتمع من مناقشتها بهدف الاستفادة من الحداثة، وتطويعها للمصالح العامة الاستراتيجية، بعيداً عن المصالح الضيقة ، الخاصة والفئوية[١] . وبغض النظر عما يدور بين المتحاورين حول الحداثة ومنتجاتها ، يبقى أن الحداثة ليست شراً كما يصورها البعض ، أو خيراً كما يصورها البعض الآخر . ولكن لا شك أنها قدمت للإنسانية الكثير من الحلول والإنجازات ، وسهلت الكثير من العقبات . والمشكلة الحقيقية هي في استيراد الحداثة واستغلالها من قبل البعض في إفراز صراع بين فئتين : معارضة ومؤيدة[٢] ، بالرغم من أن النقاش والحوار حول الحداثة ومنتجاتها يحتاجان لهدوء ، واستمرارية النقاش بشكل رسمي ضمن الثوابت المشتركة والمصالح العامة ، وحصر ذلك بين المتخصصين وليس بمن يعيش على الصراع لتحقيق مكاسب فئوية لا تخدم المصلحة العامة .أسوأ مشكلة سببتها الحداثة هي تحويل المجتمعات التي دخلت إليها إلى مجتمعات استهلاكية غير منتجة . وإدخالها في تبعية مفرطة تضر بمستقبل تلك المجتمعات وبسيادتها واستقلاليتها وباعتمادها على إمكاناتها الداخلية . وقد اختلف الناس حول الحداثة ومضمونها ، وأسباب ظهورها ، وكيفية التعامل معها ومع أدواتها ، حيث يتم التعامل معها حسب الفهم والكم المعرفي والمعلوماتي الذي توفر للفرد والمجتمع عن الحداثة التي جاءت نتيجة مرجعية وفلسفة مادية وعلم ومعرفة وصناعة وتجارة واقتصاد ونظم وتشريعات وقيم جديدة يحتاجها المجتمع للحصول على الخدمات المختلفة. بل إنها أيضا كانت نتاج حروب وصراعات أدت للكثير من الإنجازات والابتكارات ومنها الإنترنت . ويمكن فهم الحداثة على أنها المعاصرة ، أو الحياة العصرية التي ينتج عنها تطور أنماط التفكير والنظم الاجتماعية وأساليب العيش التي تختلف عن فترة زمنية سابقة ، فيتم استحداث وسائل وطرائق للعيش حسبما يمليه العصر الذي تحدث فيه الحداثة متأثرة بعوامل داخلية وخارجية [٣] . والحداثة هي التطور والتقدم والاختراع

(١) نقاشك يا ابن موسى في هذه الصفحات جيد وواقعي ، والمعلوم أن الحداثة جلبت لنا أموراً سلبية وإيجابية كثيرة ، والمسؤولية ملقاة على عواتقنا، فلنعمل على تطويع الحداثة لما هو في مصلحتنا ومصلحة أمتنا ورفعة ديننا، وعدم التخلي عن ثوابتنا . هذا هو النقاش الذي يجب العمل من أجله ، والسعي إلى تحقيقه في أوطاننا.(ابن جريس) .

(٢) الحوار مطلب جيد ، لكن إذا جاء أحد المتحاورين مثل الأستاذ ابن موسى وصور أن المرأة ولباسها أساس كل شرٍ في المجتمع ، ثم جاء بالحل ، وقال على المرأة أن تنزع الحجاب والنقاب ، وبالتالي فالحل سوف يكون برداً وسلاماً على جميع فئات المجتمع . هذا كلام لن يقبل من هؤلاء النوع من المتحاورين لأنهم لا يبحثون إلا عن الشيء الغالي الرفيع عند المسلم ثم يدندنون حوله . (ابن جريس) .

(٣) هذه الجمل التي ترصها في سردك يا علي قرأناها في كثير من كتب الحداثة الأجنبية أو المعربة أو العربية ، ولا نخالفك القول فيما ذكرت ، وما صدّرت الحداثة إلى عالم أهل السنة والجماعة فالواجب عليهم أن يستفيدوا منها ، مع الحفاظ على ثوابتهم التي نص عليها القرآن والسنة . (ابن جريس) .

والاكتشاف والعلم والتقنية والقيم الناتجة عنها[١]، إضافة إلى الثقافة وأنماط التفكير وغيرها من نتاج التطور الطارئ على الإنسان الذي تغيرت مصادر معرفته ومعلوماته، فتمكن من إحداث تغييرات جذرية في حياته وبيئته بهدف الحصول على حياة وخدمات أفضل. تلك الحداثة دخلت في كل مجال وكل شأن في الحياة سواء الخاص أو العام، لتتغير معها أوضاع المجتمع إلى حال أخرى، ليس بالضرورة أنها سيئة، بل إنها تقدم بدائل وخيارات جديدة للفرد والمجتمع. ولكن – أيضاً – ليست بالحسنة في بعض جوانبها، وخاصة أن هناك ضحايا للحداثة منها المادي والثقافي والاجتماعي والإنساني والبيئي ونظم الحياة وطريقة العيش وأساليب التفكير والموروثات المادية التي عاش عليها الناس ما قبل الحداثة وغيرها. وهي ليست شراً في ذاتها غير أن الشر في كيفية استخدامها والتعامل معها وسوء استخدامها. وإذا كان الكم الكبير من أدوات الحداثة هي أدوات سلمية لخدمة ورفاهية وسعادة الإنسان، فإن منها الكثير الذي يعد للقتل والتدمير والتخريب والفساد. والحداثة ليست فكراً فقط كما يصورها البعض، ولكنها علم وصناعة وتقنية وأنظمة وتشريعات ومؤسسات وطريقة حياة جديدة، لها وسائلها وأدواتها ومتطلباتها[٢]. المشكلة ليست في الحداثة نفسها أو في أدواتها، فالدين يحث على الأخذ بكل أسباب التطور والتقدم والتحضر والعلم والمعرفة والصناعة والاختراع والاكتشاف والقوة والمنعة والتعمق في البحث والدراسة حتى في النفس البشرية [٣]. ويعد القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول في الإسلام أكثر ما يحث على الاكتشاف والاختراعات وعلى التدبر والتفكر والبحث، والأخذ بأسباب العلم والصناعة، كجزء من رسالة الإنسان في الحياة وإعمار الأرض التي لن يستطيع إعمارها إلا بأدوات قادرة

---

(١) هذا جزء مهم في عالم الحداثة ولا نعترض على ذلك والواجب الاستفادة منه، والعمل حتى نكون مجتمع نبدع ونسهم في هذه الحضارة المادية، ولا نكون فقط متلقين مستهلكين. (ابن جريس).

(٢) نعم الحداثة لها شقان مادي ومعنوي، والخطورة في الفرع الأخير، وهو ما طرأ على الفكر، واللغة، وعادات اللباس والطعام والشراب وغيرها من الأمور الاجتماعية والثقافية والمعرفية. والكثير من إخواننا مثل الدكتور علي بن موسى يقولون الواجب السير في ركاب التحول والتغير حتى ولو كان في صميم الثوابت مثل نزع الحجاب واختلاط الرجال بالنساء، ويوردون مبررات هزيلة من أجل إقناع الناس وبخاصة النساء بأن هذه الحلول الناجعة تجلب الاستقرار والتقدم. (ابن جريس).

(٣) نعم الدين، أي الإسلام، يحث على التطور في كل ما يحترم الإنسان، لأنه دين شامل كامل باق إلى يوم القيامة، ثم إنه الشريعة الخاتمة والوسطية، وهذا الذي يجب أن نعمل من أجله فيكون الدين الإسلامي هو المظلة العليا التي يعيش الناس تحتها، لكن لا نبحث عن مبررات ومخارج تجعلنا نتخلى عن توجيه رباني في أمورنا الخاصة والعامة، وللأسف إن البعض يبحث عن البراهين الضعيفة التي تقوي حجته، مع أن القرآن والسنة فيهما من الوضوح ما يجعل المسلم الصادق لن يضل. (ابن جريس).

على تحقيق هذه الرسالة ، مع العمل على توفير جميع أسباب الرفاه والخير للناس وفق قوانـين وأنظمة تحفظ الحقوق وتفرض الواجبات حتى لا يعتدي أحـد على التوازن في الأرض ، وخاصة مع الشركاء في الحياة من كائنات ومخلوقات مختلفة وجدت من أجل الإنسـان . كما أن الدين جاء ليحرر الناس مـن الكثير من العادات والتقاليد والأعراف التي تتعارض مع كرامة الإنسان وحقوقه وواجباته ووظيفته ، ويحفزهم على الأخذ بكل أسباب الاستقـلال والقوة والحرية من العبودية والاستغلال[١] . ويعد تعامل الإنسان مع الحداثة هو المشكلة الأساسية ، إذ أدى استخدامه غير المنظم والمقنن للحداثة إلى توقف العديد من المؤسسات التقليدية ، وانتهاء الكثير من الأدوات التي كان الإنسان يستخدمها ، واختفـاء الكثـير من الكائنات التي كانت شريكة في حيـاة الإنسان، وتدمير الكثير من المصـادر والمـوارد والـثروة الحيوانية والطبيعيـة [٢] . ولأن الحداثـة في المجتمعات التي انتقلـت إليها لم تكن نتيجـة تطور داخلي في القرى أدى إلى تغـيرات فكرية أو علمية أو صناعيـة ، ولكنها جاءت نتيجة وجود ثروة طبيعية كانت لها عوائد مالية أدت إلى شراء كل أدوات الحداثـة من الآلة حتى المعرفة والتقنيـة والمؤسسات والثقافة وغيرها . وهذه المقتنيات الحديثة جاءت على حساب المقتنيات والمؤسسات القديمة التي لم يتم التعامل معهـا بحذر وضمن ضوابـط تعمل على تحقيـق إعمار الأرض وتحافـظ على الموروثات والمكتسبـات الإنسانية ، مـع العمل بحرص على التوازن الطبيعـي والبيئي ، على أن تتم الاستفـادة من المنجزات التي قدمتها الحداثة المستـوردة بشكل لا يتناقض مع هواجس وثقافة المجتمعات المستوردة للحداثة ومنتجاتها[٣] . ما حدث في القرى الجنوبية وغيرها مـن القرى في الشرقية والغربية والوسطى والشمالية هو وجود هذه القرى ضمن الدولة الحديثـة التي نشـأت بمؤسساتها المختلفـة ، واعتمـاد مؤسسات الدولة علـى الوسائل

---

(١) هـذا والله كلام صحيـح ، ولا يعارضـك يـا ابـن موسـى إلا كاذب ضـال ، ولكـن إذا كان خـروج المـرأة بدون حجـاب واختلاطهـا بالرجـال ، كمـا أشرت في صفحات سابقة ، هـو حل لكثير من مشاكلنـا التي تسردها في بحثـك ، فـلا أعـرف كيف نترك شرع ربنا ، ونخالـف توجيهاته بهذه النداءات ثم نقـول إن القرآن حث وذكر وأورد كذا وكذا ، ولا نتورع أن نضع بعض الحلول التي يبرأ منها القرآن . (ابن جريس) .

(٢) الناظـر في موروثاتنـا الحضاريـة في بلادنا بل في كثير من بلاد العرب والمسلمـين يلاحظ أنها اندثرت وتركت وحـل محلهـا أشياء جديدة مستـوردة من بيئات غريبة مختلفـة علينا ، ولا نقول أنه يجب تبديل الحضارات الوافـدة ، وإنمـا الواجـب الأخـذ بالمفيد منها ، لكن ليـس على حسـاب شريعتنا وما جاء في القـرآن الكريم. (ابن جريس) .

(٣) هـذا الـذي يجـب أن نعمل من أجلـه حكومات وأسراً وأفـراداً ، وليس الأخذ بالجديد ، والبعـد عن بعض أمور الدين التي هي سبب سعادة المسلم والفوز بالجنة . (ابن جريس) .

الحديثة في توفير الخدمات ، وبسط سلطة الدولة ، وتنفيذ خططها التي تضمن قوتها واستقرارها واستمرارية التطور والنمو فيها ، وارتباط مصالحها بمصالح عالمية اقتصادية وسياسية ، وتعليمية وأمنية وعلمية ، وصناعية وتنموية .. وغيرها من مقومات الدولة المعاصرة التي تحتاج إلى توفير الخدمات لشعبها . وقد نتج عن هذه المتغيرات ردود أفعال مؤيدة ومعارضة[١] ، وهذه الردود بالرغم من أنها من إفرازات الحداثة جميعها المعارض والمؤيد ، غير أنها لم تستوعب حجم التغير الذي طرأ ، فنتج عن ذلك صراع في الفهم ، مما أدى إلى التشبث ببعض المواقف التي ستزول مع الوقت بزوال الفهم والاستيعاب المنقوص ، والاستعمال الخاطئ للكثير من أدواتها ومقوماتها[٢] . السر في الحداثة هو في كيفية استعمال أدواتها والتعامل معها ، سواء كانت مؤسسات أو تقنيات أو آلات ، أو مصنوعات ، أو فكراً أو ثقافة ، أو قيماً أو سلوكيات ، وممارسات ، أو أنظمة أو تشريعات[٣] ، فالناس ليس لديهم مشكلة مع جميع أدوات الحداثة من السيارة والطيارة والمعدات والأجهزة وغيرها ، ولكن المشكلة هي في فهم الناس للقيم والسلوك والثقافة التي جاءت أو نتجت عن تلك المؤسسات والصناعات والتقنيات الحديثة. وأيضاً يعود السر إلى ردود الفعل على ما جاءت به الحداثة من مقتنيات وتقنيات، وآلات وابتكارات تعدت قدرات البشر على استيعابها لبعض القيم والثوابت من ناحية ومن ناحية أخرى لعدم وجود من لديه العلم والمعرفة والرؤية الشاملة ليوفق بين أدوات الحداثة واحتياجات المجتمع منها وفق ثوابته وقيمه واحتياجاته بشكل منظم بحيث تخضع لسياسات واستراتيجيات وقوانين حماية من الجميع للجميع[٤] . لهذا سوف يستمر النقاش والحوار والجدل والاختلاف حول الكثير من الموضوعات والممارسات ومنتجات الحداثة حتى يصل المتحاورون إلى مرحلة تكون فيها الحداثة ومعطياتها قد قفزت بالنقاش والحوار إلى موضوعات أخرى مستجدة نتيجة التسارع الكبير في الحداثة ومنتجاتها المختلفة ، ولن يزول هذا الحوار إلا بحوار مبني على العمل

---

(١) هذه الحقيقة ، وردود الأفعال شيء طبيعي ، لكن المهم والأهم هو الحفاظ على ثوابت الدين ، وبخاصة ما ورد فيه نصوص شرعية واضحة. (ابن جريس).

(٢) كل شيء محتمل أن يقع ، إلا نصرة الدين الصحيح ، وليس الدين القائم على رؤى وأفكار ضعيفة أو مضللة . (ابن جريس).

(٣) هذا الكلام يا دكتور علي كررته كثيراً وكرره غيرك ولا نخالفكم في ذلك . (ابن جريس).

(٤) من يفهم الدين بشكل صحيح فإنه سوف يجد فيه جميع الحلول التي تساعد المجتمع للأخذ بكل جديد وتطوير مع البقاء على تعاليم الشريعة السمحة التي عاشها الرسول (ﷺ) وصحابته الكرام. (ابن جريس).

المؤسسي ، والبحث العلمي الجاد ، والتقاء المتحاورين حول العديد من الموضوعات التي تخـدم المجتمع ومؤسساته وطمـوح أبنائه [١] ، وبما يضمن لهـم استقرارهم وسيادتهم فـوق أراضيهـم على أن ينتـج عن هذه النقاشـات والحوارات قوانـين وتشريعات تنظم العلاقة بين جميع أفراد المجتمع ، وبين المؤسسات ، ومنتجات الحداثة المختلفة) [٢] .

قلـت : بـدأ المؤلـف حديثه حول الحداثـة بتَجهِيل أهل الجنوب كافَّـة ، وذلك بعدم فهمهم للحداثة ، حيث يقول : (لم يتمكن أهل القرى) ثم أتبع ذلك بقوله : (كل القرى) . وهـذا افتِئات من المؤلف على ملايـين البشر الذين يملأون بلاد الجنوب (الباحة ، جازان، عسير، نجران) ، ومنهم المئات بل الآلاف وأكثر الذين يمكن وصفهم بالعبقرية والنُّبُوغ ، ناهيك عن الذكاء الخارق ، والقدرة الفائقة على التعامل مع مستجدات الحياة . وإنّ القـول بعـدم فهمهم للحداثـة بشكل عام من الأقوال المُرْسَلـة ، التي لا تستند إلى حجة واضحة . والمؤلف لم يُقَدِّم تعريفاً دقيقاً للحداثة، سوى قوله: (الحداثة : المُعَاصَرَة، أو الحيـاة العصريـة ...) ، وقد سبق له ـ في صفحات سابقة مـن كتابه ـ استخدام كلمة (الحَدَاثـة) علـى أنها الآلات والأدوات الوافدة ، كالمذيـاع ، والبكم ، والمُسَجّل ، والتلفاز ، والغسّالـة، والثلاجـة، والمكنسـة ، وغيرها من الأدوات والآلات . وكأنّـه يريد استقرار هذا المفهوم في إطار (الآلات والأدوات) في ذهن القارئ ، ولا يتجه إلى المفهوم الفكري للحداثة الذي يُنَافي الشريعة الإسلامية ، فيطمئن القارئ، ويُسَلم عَقْله للمؤلّف الذي سيلقنه الحداثة بمفهومها الفكري تحت عنوان (حديث حول الحداثة) الذي يحاول فيه المؤلف الموائمة بين النصوص المقصودة ـ فعلاً ـ وبين النصوص المُوهمة بسلامة مقصده [٣] .

---

(١) سمعنـا وقرأنـا لك هذه الآراء في سطور سابقة يا ابن موسى ، والحوار والنقاش مطلوب ، لكن ليس كحوارك في صفحـات مضت عندما توجه للنساء نـداءً وتقول أبعدوا أقنعتكن من على أجسادكن وادخلن معترك الحياة من أوسع أبوابها ، أو أي نداءات مثل هذه الأقوال ، فاعلم أنه لن يقبل منك هذا النداء ، وإن قبله البعض من النساء والرجال ، فذلك لن يصمد أمام براهين الشريعة الصحيحة . (ابن جريس).

(٢) ص ٣٢٤. (ابـن معبِّر) . إذا كان هـذا النقاش في نظرك يا أستاذ علي سوف يولـد شرائع وديناً جديداً فهذا كلام باطل، لأن الإسلام جاء به الرسول الكريم (ﷺ) من عند الله وهو خاتم الأديان ، بل هو الدين الذي فيه حلول كل المشكلات التي يواجهها الناس على مر العصور . (ابن جريس).

(٣) والله يـا ابـن معبر إننـي في ريبة من أطروحات هذا الرجل ، فلا أدري ماذا يجـول في صدره وقلبه ، فربما كان قصده حسناً ، لكنه لم يوفق في تقديم أطروحاته حتى يقبلها المسلم المعتدل في إسلامه . أو أنه فعلاً ذكر ما أورده في كتابـه بهدف نشر الفوضى والرذيلة في مجتمعـه الذي عاش في كنفه . فإذا كان من أصحاب القصد السليم فنسأل الله له التوفيق والرشاد. وإن كان من الضالين المضلين المتعمدين فنسأل الله له العودة إلى الصواب . ولا يستغـرب مـا أورده هذا الأستاذ الجامعي في جامعاتنا العربية فقد عاصرت وسمعت أساتذة كثيرين يسعون إلى نشر السموم في أوطانهم الإسلامية عن رضى وقناعة (والله المستعان) . (ابن جريس).

(*) فمن النصوص المقصودة : قوله: (الحداثة عبارة عن نُظُم ومؤسسات وأفكار وثقافة ومنتجاتها ...) . ويقول : (لم تتمكن الكثير من المجتمعات من نقل مقومات الحداثة الخلّاقة مثل الصناعة والعلم ، والاقتصاد ، والبحث العلمي ، والإدارة والتنظيم، والتخطيط الدقيق ، وإنشاء المؤسسات ، وفصل السلطات، ووضع التشريعات، والمحاسبة والحرية المسؤولة ، والعدالة والمساواة وغيرها) [١]. و يقول: (الحداثة التي جاءت نتيجة مرجعية وفلسفة مادية وعلم ومعرفة ...) .ويقول :(الحداثة هي التطور والتقدم ... إضافة إلى الثقافة وأنماط التفكير ...) . ويقول:(الحداثة ليست فكراً فقط ، ولكنها علم وصناعة ... وأنظمة وتشريعات...) . ويقول : (السر في الحداثة هو في كيفية استعمال أدواتها والتعامل معها ، سواء كانت مؤسسات أو تقنيات أو آلات ... أو فكراً أو ثقافة ، أو قيماً أو سلوكيات ، وممارسات، أو أنظمة أو تشريعات) [٢].

(*) ومن النُّصوص المُوهمة : قوله (غير أن انتقال تلك الحداثة من موطنها الأصلي لا يعني أنها تتلاءم مع المجتمعات التي استوردت الحداثة بكل معطياتها) .ويقول: (بالرغم من إمكانية توظيف الحداثة ... تحافظ على الثوابت والقيم ضمن المرجعية العامة للمجتمع) [٣]. ويقول: (لقد أفرزت الحداثة الكثير من السلوك والتفكير ...وانتشار الأوبئة الحديثة ...) . ويقول: (ليس بالضرورة أنها سيئة ، وليست بالحسنة في بعض جوانبها ، وخاصة أن هناك ضحايا للحداثة ...) . ويقول : (الدِّين يحث على الأخذ بكل أسباب التطور ... ويُعَدُّ القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول في الإسلام أكثر ما يحث على الاكتشافات ...) [٤].

قلت : كانت الحداثة عند المؤلف فيما قبل صفحة (٣٢٠) تدور في مجال (الآلات والأدوات) ، ولكنها تطورت إلى مفهوم حَفَلَ بالمفردات التالية : (١) (الاختراع (٢) الإدارة.(٣) الاقتصاد .(٤) الاكتشاف .(٥) البحث العلمي .(٦) التجارة .(٧)

---

(١) هذا كلام صحيح ، ولدينا معاشر العرب والمسلمين مشاكل كثيرة في هذا الباب ، والواجب علينا جميعاً أن نعمل بكل جد واجتهاد لحلها ، والاستفادة من التقنية المادية التي لا تؤثر على مبادئ شريعتنا السمحة . (ابن جريس).

(٢) نعم ، ماذا يجب علينا كمسلمين أن نفعله من أجل استعمال هذه الأدوات الحديثة والتعامل معها؟ هذا سؤال وجيه ، والواجب علينا أن نأخذ بكل جديد ومفيد ، لكن ليس على حساب التخلي عن الثوابت الرئيسية في شريعتنا والعقيدة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . (ابن جريس).

(٣) هذا كلام جميل وطرح موزون ومعقول . (ابن جريس).

(٤) هذا حوار ونقاش مقبول ونستطيع أن نأخذ ونعطي في هذه الأطروحات ، لكن أن يأتي باحث أو صاحب قول أو رأي ثم يقول اتركوا بعض الأساسيات في شريعة الإسلام ، ثم نجلس ونتحاور فهذا كلام غير منطقي وغير مقبول . (ابن جريس).

التخطيط . (٨) التشريعات .(٩) التطور .(١٠) التقدّم . (١١) التنظيم .(١٢) التقنية . (١٣) الثقافة . (١٤) الحرية المسؤولة .(١٥) السعادة .(١٦) السلوك. (١٧) الصناعة. (١٨) العدالة . (١٩) العصرية. (٢٠) العلم . (٢١) فصل السلطات (٢٢) الفكر .(٢٣) فلسفة مادية. (٢٤) القوانين. (٢٥) القيَم .(٢٦) المحاسبة. (٢٧) المساواة. (٢٨) المعرفة.(٢٩) نُظُم. (٣٠) نُظُم اجتماعية [١].

كُلّ هذه المفردات ضمن (النصوص المقصودة) في حديث المؤلف عن (الحداثة) ، أي أنها هي الحداثة ومخرجاتها المرشحة للتطبيق في المجتمع السعودي .وهي ما زعم المؤلف في بداية حديثه أنّ كلّ أهل القرى لم يتمكنوا من فهمها . فما هو القاسم المشترك بين هذه المفردات ؟؟ وهل ساقها المؤلف ضمن حديثه عن إدراك بمكان كل مُفْرَدة من العلوم المعروفة ، ومن النشاطات البَشَرِيَّة ، أم كان مُجَرّد حَشْد للمفردات ، والتلاعب بها ، لمزيد من التَّعْمِيَة والتَّمْويه ، في سَبِيل ترسيخ الحداثة الفكرية ؟؟[٢]. والشريعة الإسلامية لا تُعَارض أو ترفض هذه المفردات ومخرجاتها ، ومنها : (١) الاختراع . (٢) الاكتشاف . (٣) الإدارة . (٤) البحث العلمي .(٥) التخطيط .(٦) التنظيم . (٧) التقنية .(٨) الصناعة . (٩) العلم . (١٠) المعرفة. بل تدخل ضمن العلوم التي يشترك في معرفتها وممارستها جميع مَنْ في الكون منذ بدايات مبكرة من عصور التدوين التاريخي ، وليس للحداثة الفكرية أي فضل عليها ، ولا يمكن ربط هذه المفردات بالحداثة [٣]. أما المفردات الثلاث (التطور ، التَّقَدّم ، العصرية) فلا تدخل

---

(١) كل عنصر من العناصر المذكورة أعلاه صدر عنها عشرات البحوث والدراسات بشتى اللغات ، وهي محاور مهمة ولها ثقل كبير في حياة الأمم على مر العصور ولكن توظيفها للنيل من حياة الشعوب المسلمة التي دستورها القرآن الكريم والسنة المحمدية أمر يجب التوقف عنده والرد على من ينهجه ردوداً علمية موثقة. (ابن جريس).

(٢) أقول أن الأستاذ علي بن موسى وتوجهاته الفكرية لا بأس بها ، لأنني أعرفه منذ أكثر من أربعة عقود ، وربما كان التأثير والتأثر الذي جناه من رحلاته وأسفاره ، إعجابه بالحياة الغربية وما أفرزت من أحداث وتغيرات مادية ومعنوية جعلته ينادي بهذه الآراء والأقوال التي طرحها في كتابه ، ونحن لا نعارض بعض أقواله وبخاصة ما جرى في بلاد العرب والمسلمين نتيجة اختلاط الشرق بالغرب أو انفتاح العالم بعضه على بعض ، ولكن الذي لا نقبله إطلاقاً أن يتخذ بعض الأساسيات في علم الشريعة مطية حتى يمرر أقواله وأفكاره ويقنعنا بها ، لأنه وللأسف يضرب على وتر مهم وحساس في إطار شرائع الإسلام . (ابن جريس).

(٣) نعم الإسلام الصحيح لا يعارض كل ما سبق ذكره ، حتى وإن ظهر عند بعض المتشددين المتنطعين بالدين الذين يقولون أن هناك تعارض أو لا يجوز وهكذا ، فذلك من باب التطرف الفكري ، وإلا فالإسلام وشرائعه السمحة تنادي وتحث على التقدم والتطور في جميع أمور الحياة مع الحفاظ على الثوابت التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . (ابن جريس).

ضمـن العلوم ، فـكل واحدة منها تُمَثِّل سِمَة عامّة للدلالة على حصول مستجدات حَادثة تشمـل جميع مناحي الحيـاة البشرية ، وتُمَيّزها عن فترة سابقة ، كمـا أنها لا تُمَثّل أَي خصوصيـة أو دلالـة فكرية مستقلـة . وفي المفردتين (الاقتصـاد ، التجارة) ما يوجب التفصيـل ، فالاقتصـاد والتجـارة بشكل عام مـن ممارسات الشعوب قديمـاً وحديثاً ، وتتمثـل في البيع والشراء والزراعة والصناعة ونحـو ذلك ، وهي داخلة بهذا المفهوم في كثـير من أبـواب الفقه الإسلامي .أما إذا دخلت ـ ولا سيمـا الاقتصاد ـ في إطار المفهوم والاصطلاح (الرأسمالي) و (الاشتراكي) ، فإنها تصبح في دائرة الاتهام الذي يصل إلى الرفضـ في بعض الأحوال والممارسات [١] . ومدخل الحداثة الفكرية يكون من خلال الرأسماليـة والاشتراكيـة ، وذلك عنـد ممارسة الضغوط من قِبَل مواطـن الرأسمالية والاشتراكية على الشعوب وفرض الأفكار الدائرة في فلك الحداثة ، من خلال الظروف الاقتصادية . وللاقتصاد والتجارة محيط آخر ، يتمثل في كونهما من العلوم التي تُدَرّس في الكليـات والمعاهـد ، ولا يكون الخلاف حولها إلا بقـدر ما تحمل من توجهات في إطار المذاهـب الاقتصادية الإسلامية، أو الرأسمالية ، والاشتراكيـة . أمّا المفردات الأربع (الثقافـة ، الفكر ، المحاسبة ، نُظُم) فَتُمَثـل إطلاقات عامة على مخرجات بعض العلوم أو الممارسـات ، ولا سيمـا الثقافة والفكر. والمؤلف لا يُحدد مُـرَاده بمفردة (المحاسبة) فقـد عطـف (الحريـة) عليها ، فـإن كان يريد بهـا محاسبة ما يتعلـق بالحريات وما يـدور في فلكهـا ، فهي بذلك تتبع الحريـة . أمّا إذا كان يريد بها العلـم الذي يُدَرّس في كليـات ومعاهـد التجارة فهذا لا غبار عليه ، ولا صلة لـه بالحداثة الفكرية التي يتحدث عنهـا المؤلـف . ومفردة (نُظُم) مـن المُفردات العامـة الدّالّة على التعليمـات المُنَظِّمة للمؤسسـات أو الـوزارات ونحوهـا ، ولا تتعلق بالحداثة إلاّ بقدر ما قـد تشتمل عليه من تعليمات تنظم لها طريقة انتشارها وترسيخها . وبذلك نُخْرج (المحاسبة والنظم) إذْ لا خلاف حولهما . أما (الثقافة والفكر) فهي من المفردات الشائعة والمشتركة في جميع أنحـاء العالم، إلاّ أن الفَرْق يَكْمُن في مخرجات الثقافة والفكر ، فمن هذه المخرجات ما لا غُبَـار عليه بالنسبة للشريعـة الإسلامية ، مع رفض واستبعاد ما يخالفها، لأن الثقافة والفكـر إنتاج بشري فيه المحاسن والمساوئ ، وليـس للحداثة هيمنة مُطْلَقة على الثقافة

---

(١) ديـن الإسـلام لم يشرع ويأت إلا بكل مفيد وصالـح للإنسان ، بل الشريعة الإسلاميـة رسمت خطوطاً واضحة لحيـاة الإنسـان في الدنيـا والآخرة ، حتى يكون عضواً صالحاً في دنياه فيعمـل الخير ويسلك طريق الحق التي تقوده إلى الفوز بالجنة بعد الممات . (ابن جريس).

والفكـر ، إلاّ بقـدر ما تصنعه هي ذاتها من ثقافة أو فكـر يختص بها ، أو تتسرّب بعض أفكارها وثقافتها في بعض الآداب من شعر أو قصص أو نثر [١] . ونقف مع أربع مفردات هـي (السعادة ، السلوك ، العدالة ، المساواة) ساقها المؤلف مع مفردات أخرى لا غبار عليهـا ، مثـل (الصناعة ، والعلم ، والبحـث العلمي) وذلك للإيهـام ، وقد أطلق على مجموعهـا : (مقومـات الحداثة الخلاَّقة) . كأنّه يقول إنّ السعـادة والسلوك والعدالة والمسـاواة ، لا تتحقق إلاّ من خلال الحداثة ، وهذه مـن مقوّماتها [٢] . ويَنْبَنِي على ذلك الاتهـام بقصـور الشريعة الإسلامية عن الوفاء بهذه المطالـب[٣] . ومفردة (السعادة) تـدل على شعور نفسـي بالرضا والسَّكينـة الطُّمأنينة ، وهي تحصـل للمسلم والكافر ، ولكنهـا ترتبط عند المسلم بقولِـه تعالى : [**هُوَ الَّذي أَنْـزَلَ السَّكينَةَ في قُلُـوب الْمُؤْمنينَ ليَـزْدَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانهمْ وَللّه جُنُـودُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَكَانَ اللّه عَليمًا حَكيمً**][٤] . وقولـه تعالـى : [**الَّذينَ آمَنُوا وَتَطْمَئـنُّ قُلُوبُهُمْ بذكْر اللّه أَلاَ بذكْـر اللّه تَطْمَئنُّ الْقُلُوبُ**][٥] . وأبـاح الخالـق جلّ وعـلا للناس ما تحصل به السعـادة في الدنيا ، فقال تعـالـى : [**زُيِّنَ للنَّاس حُـبُّ الشَّهَـوَات مـنَ النّسَاء وَالْبَنـينَ وَالْقَنَاطـير الْمُقَنْطَـرَة منَ الذَّهَـب وَالْفضَّة وَالْخَيْل الْمُسَوَّمَة وَالْأَنْعَام وَالْحَرْث ذَلكَ مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَاللّه عنْدَهُ حُسْنُ الْمَآب**][٦] . فهـل ننتظـر السّعادة التـي تَعدُ بها الحداثـة ؟ . وتأتي مفـردة (السلوك) وهي تدل علـى ممارسـة قوليـة وفعليـة – حَسَنَة أو سيئة – خـلال التعامل مع الغـير ، وقد يُعبّر

---

(١) مـن يقـرأ ما كتـب ونشر عن الحداثة خـلال المئة سنـة الماضية فإنه سـوف يقف أمام كم هائـل من البحوث والدراسـات التـي فصلـت الحديـث عـن الحداثـة ومـا جـاءت بـه ، وكيـف دخلت كل بلـد؟ وكيـف عرفتها وتعاملـت معهـا شعـوب وأمم العـالم ؟ إن موضـوع الحداثة كبـير ، وللأسف كثير من كتـب الحداثة هاجمت الإسـلام ، ووصفتـه بالديـن الرجعـي أو المتخلـف ، وليس لأنه كذلـك ، ولكن لأنه يعتمد علـى كتاب رباني هو القرآن الكريم الذي نزل من عند الله (عز وجل) ، وعلى السنة النبوية الصحيحة التي مصدرها رسول الله (محمـد بـن عبد الله) (عليه أفضل الصـلاة والسلام) ، والذي نزل عليه القرآن . هذا هو العداء الرئيسي بين الكثير من أرباب الحداثة والمنافحين عنها يرون أن العقبة الكؤود في طريقهم وأمام صيحاتهم هو القرآن الكريم والسنة النبوية . (ابن جريس).

(٢) كل هـذه المصطلحـات فصلـت فيها مصـادر التشريع الإسلامية ، وبينـت الطرق الحقيقية لتحقيـق العدالة ، والمساواة ، والسعادة وغيرها . (ابن جريس).

(٣) هذا كلام غير صحيح وادعاء باطل . (ابن جريس).

(٤) سورة الفتح ، آية (٤). (ابن معبِّر).

(٥) سورة الرعد ، آية (٢٨) . (ابن معبِّر) .

(٦) سـورة آل عمـران ، آية (١٤). (ابن معبِّر). سبحان الله فلم يخلق الله (عز وجل) الإنسان عبثاً ، وإنما خلقه ورسـم لـه سـير الحياة إذا أراد أن يكون من السعداء في الدنيا والآخـرة ، وأيضاً بين طرق الشر التي تقود من يذهب فيها إلى الهلاك والدمار في الدارين . (ابن جريس) .

عنهـا بالأخلاق أو الخُلُـق . والشريعة الإسلامية حافلة في هذا الجانب بما لا يحتاج إلى مزيـد[١] . ولن تُقدّم الحداثة أي فائدة تذكر فيمـا يخص السلوك أو الأخلاق. ومفردتا (العدالة والمساواة) بمعنى واحد ، إلاّ أنّ المساواة من مخرجات العدل ، والعَدْل ممارسة قوليـة أو فعليـة ، تـؤدّي إلى القبول والرضاء من جميع الأطـراف ، وهي من الممارسات المشتركـة في أنحـاء الدنيا . وقـد أمرنا الله تعالى بالعدل قولاً وفعلاً ، فقـال :[**يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِـينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ**][٢] ، وقال:[**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**][٣] ، وقال :[**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**][٤] . وقال:[**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا**][٥] . وقال [**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا**][٦] . وليس للحداثة ما يمكن أن تقدّمه في جانـب العـدل والمسـاواة إلاّ ما تنادي به مـن المساواة بين المـرأة والرجل .حتى هذه المسـاواة لا تستقيـم للحداثة إلاّ من جانب التبرج والسفـور والاختلاط. فقد ساوى الله تعـالى بـين الرجل والمرأة فيما هو أفضل من ذلك ، حيث قال تعالى : [**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**] [٧] . وقال تعالى: [**أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**][٨] . وقال: [**يَـوْمَ تَـرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَـيْنَ أَيْدِيهِمْ**] [٩] . وبقي من مفردات المؤلف ما يلـي: (١) التشريعات.(٢) الحرية المسؤولـة .(٣) فصل السلطات.(٤) فلسفة مادية .(٥) القوانين. (٦) القيَم . (٧) نُظُم اجتماعية .وهو لا يعني بها أن تكون مُسْتَمَدَّة من الشريعة الإسلامية ؛ فقد صَرَّح المؤلف قبل إيراد بعض هذه المفردات بقوله : (لم تتمكن الكثـير من المجتمعـات من نقل مقومات الحداثة الخلاّقة مثل الصناعة ...) بمعنى أن

---

(١) هناك مئات الأدلة والبراهين والشواهد الواردة في القرآن الكريم وسنة الرسول (ﷺ) التي توضح للإنسان طرقاً وأقوالاً وأساليب عديدة تدور في فلك السلوك أو الأخلاق وما شابهها . (ابن جريس) .

(٢) سورة النساء ، آية (١٣٥) . (ابن معبِّر) .

(٣) سورة النحل ، آية (٩٠) . (ابن معبِّر) .

(٤) سورة النساء ، آية (٥٨) . (ابن معبِّر) .

(٥) سورة الأنعام ، آية (١٥٢) . (ابن معبِّر) .

(٦) سورة المائدة ، آية (٨) . (ابن معبِّر) .

(٧) سورة النحل ، آية (٩٧) . (ابن معبِّر) .

(٨) سـورة آل عمـران ، آيـة (١٩٥) . (ابـن معبِّر) . إن العادل هو اسـم من أسماء الله (عز وجـل) ، ولهذا فهو سبحانـه خلـق جميـع المخلوقات في الأرض ، وأنزل عليهـم آيات وأحكام تحفظ حياة التـوازن في الكون ، فلم يترك أمراً من أمور الدنا والآخرة إلا وضحه للإنسان ، ومن ثم أقام الحجة على خلقه حتى يحاجهم بها يوم القيامة. (ابن جريس) .

(٩) سورة الحديد ، آية (١٣) . (ابن معبِّر) .

نستورد التشريع والقيم والنُّظُم الاجتماعية ، وما يتبعها من فلسفة مادية ، وحريات ، وفصل للسلطات .وليس إدراج المؤلف لمفردات : الصناعة ، والعلم ، والإدارة ، والتخطيط ونحوها ، إلاّ لتجاوز الاعتراض والرفض للمفردات المقصودة ، وهي التشريعات وما معها .ولا يعني نقل مقومات الحداثة الخلاّقة إلاّ منَ الاستدبار للشريعة الإسلامية واتهامها بالقصور، والتجاهل لقوله تعالى :[**إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**][(١)]. وقوله تعالى: [**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**][(٢)]. ولو قلْنَا بمسايرة المؤلف في نقل واستيراد التشريعات والقيم ، والنُّظُم الاجتماعية ، والفلسفة المادية ، والقوانين ونحوها ، فإن ذلك يؤدي إلى التنازع بين الأصيل والدّخيل ، ولأنّ الأصيل هو شريعة رَبَّانية ، والدّخيل شريعة وصناعة بشرية ، فيلزم من ذلك الاختيار بينهما[(٣)]. وقبل الاختيار نقرأ قوله تعالى :[**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**][(٤)]،وقال الرسول ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ)[(٥)]. وقال ﷺ: (من رغب عن سُنّتي فليس مني)[(٦)]. فأي أرض تُقلّ، وأي سماء تُظِلُّ مَنْ يختار غير ما جاء مِنْ فوق السموات ، مِنْ خالق الكون جَلّ في عُلاَه[(٧)] .

---

(١) سورة الإسراء ، آية (٩). (ابن معبِّر).

(٢) سورة النحل ، آية (٨٩). (ابن معبِّر). هذه الأطروحات التي يطرحها علي بن موسى مذكورة ومنشورة في كثير من الكتب والدراسات التي أصدرها بعض المعجبين بحياة العالم الجديدة من حداثة وغيرها ، وللأسف أن بعضهم من أبنائنا وإخواننا وممن يعيش بين ظهرانينا . (ابن جريس) .

(٣) هذا هو رأيك يا ابن معبِّر لأنك درست القرآن والسنة وتسعى للتمسك بما ورد فيهما ، ولم تغزك (عقدة الخواجة) فتنبهر وتقلد كل غث وسمين جاء من الشرق والغرب. وأنا والأستاذ علي بن موسى ومن هو على شاكلتنا ذهبنا إلى بلدان بني الأصفر وغيرهم فأصابنا الذهول والإعجاب بكل ما يمارسون ويعملون ، ومن ثم عدنا إلى أهلنا وأقوامنا نقول لهم إنكم متخلفون إنكم رجعيون ، انظروا إلى أولئك الأقوام الذين صنعوا الطائرة والقطار والجوال وغيرها ، وحتى تكونوا أمثالهم اسلكوا مسالكهم وقلدوا حياتهم في ألبستكم وأشربتكم وأطعمتكم ، وفي أقوالكم وأفعالكم ، ومعاملاتكم ،وإن فعلتم ذلك فسوف تكونوا شعوباً متقدمة متحضرة. هذا هو خلاصة ما نسعى تحقيقه يا بعض من سافرنا وسرنا وتعلمنا في معاهد وجامعات ومراكز العوالم الغربية والشرقية . (ابن جريس) .

(٤) سورة الجاثية ، آية (١٨). (ابن معبِّر).

(٥) صحيح البخاري ، الحديث رقم (٢٦٩٧) (ابن معبِّر).

(٦) صحيح البخاري ، الحديث رقم (٥٠٦٣). صحيح مسلم ، الحديث رقم (١٤٠١). (ابن معبِّر).

(٧) كل ما ذكرت أو استشهدت به يا ابن معبِّر لم نعد نراه يصلح لزماننا ، إننا درسنا علوم الغرب ولغاتهم ، وعشنا في بلدانهم سنوات عديدة وهذا مما يجعلنا أفضل حالاً وفكراً من الذين يؤمنون ويعتقدون بما نقول ونورد من براهين . يا سبحان الله ، اللهم لا تفتنا في ديننا ، اللهم لا تحرفنا عن الصواب والجادة . إن من يقرأ تاريخ الأمم وبخاصة التي عاصرت الرسل السابقين لعهد الإسلام ، أو منذ نزول القرآن الكريم على الرسول الكريم (ﷺ) فسوف يجد مئات الأمثلة من الذين ضلوا الطريق ، وتنكبوا طريق الشيطان ، والنظر إلى مصادر الوحي أنها رجعية ولم تعد تصلح ، وكثير من هذه الأمثلة، وما يطرحه ابن موسى ليس إلا حجر صغير في بحر متلاطم الأمواج ، وجميعها تحارب الإسلام وما جاء به القرآن الكريم. (ابن جريس) .

٥٦ـ شاهد على العصر: قال المؤلف: ليس هناك أبلغ من شهادة الأمير خالد الفيصل على ما حصل من تغير في القرى الجنوبية ، وغيرها من القرى ، فهو بما يمثله من موقع القيادة والريادة ، والمكانة والرؤية ، والمعرفة والثقافة ، والمشاهدة والمتابعة اليومية ، أكثر صدقية وقدرة على نقد الواقع ، وإلماماً بحجم التغير الذي طرأ . كما أنه - أيضاً - أقدر من غيره على تقدير الضرر من التغير غير المحسوب الذي يمكن أن يحدث في ظل متغيرات داخلية وخارجية لا يدركها البعض ، لقلة علمهم ومعرفتهم واطلاعهم. ليس هذا فحسب ، بل إن المدة التي قضاها حاكماً لمنطقة عسير ، ومن مشاهداته ومتابعته اليومية على مر سبعة وثلاثين عاماً لقضايا المنطقة كافة تجعله الأقدر والأحق بأن ينقد ويحكم على نوعية التغير الذي حصل ، وقد لخص هواجسه ورؤيته لما حصل من تغير فقال[١]: " قد يعتقد البعض أن هذا الهوى الرفيع بيني وبين عسير يرجع إلى الطبيعة الخلابة ، والجو البديع ، بيد أن المرجعية الأساسية لهذا الحب والإعجاب إلى حد الانبهار ـ كانت ولا تزال ـ إلى إنسان عسير : دينه وخلقه وإبداعه ، ثم حبه للحياة . وممارستها بتلك البهجة العسيرية الجميلة المميزة . هذا الإنسان المشهور بالأصالة والشجاعة والكرم ، يتمتع بروح جميلة فريدة في استقباله لك بالترحيب: ((ارحبو)) ، ((مرحباً ألف)) مفردات عسيرية تنطلق بها الحناجر ، وتخفق لها القلوب ، وتستبشر بها الوجوه ، وترتاح النفوس إشراقة وبهجة ، وبسمة عريضة فوق الشفاه .. وأشعار وأهازيج ، والعرضات التي تقام في كل المناسبات والأفراح والحفلات . للصوت غناء وطرب ، ولقرع الطبول والدفوف إيقاع ورقصة حياة وسعادة . وحين كنت أقود سيارتي في طرق ترابية في جبال عسير ، كانت تستوقفني مشاهد الجمال في كل ما حولي : الطبيعة - المناخ .. وفي الإنسان ، وأنا أرى الأسرة العسيرية: الرجل والمرأة والطفل يعملون في الحقول على قلب واحد ، وبروح جماعية .. وتقوم العلاقة بين الأسرة على الأخوة والأمان والنخوة ، والأخلاق النبيلة ، لباسهم تلك الثياب الزاهية بألوانها الجميلة : الأبيض والأحمر والأخضر ، وذلك المنديل الأصفر و ((الطفشة)) فوق الرأس للحماية من الشمس)[٢].
قلت : شهادة الأمير تخص منطقة عسير جملة وتفصيلاً ، وليس كلّ الجنوب[٣].

---

(١) لا نعارضك يا أستاذ علي في كل ما ذكرت فالأمير خالد عاش في المنطقة الجنوبية حاكماً ومخططاً ومسؤولاً حوالي أربعة عقود ، وبالتالي فهو يعرف الشيء الكثير عن هذه البلاد ، لكن إذا كانت أقواله سوف تكون مثل أقوالك بأن سبب تخلفنا وتدهورنا هو النقاب أو الحجاب أو السائق فكلامكما غير صحيح ، وفيه افتراء وتجن على مجتمعكم وتاريخ وحضارة أقوامكما . (ابن جريس) .

(٢) ص ٣٣١. (ابن معبِّر).

(٣) يا ابن موسى أنت تجيد التدليس ووضع السم في العسل ، لقد قرات كثيراً من أقوالك التي لا تقوم على براهين وشواهد ذات مصداقية . ثم جئت في نهاية حديثك وتقول سوف أستشهد بأقوال الأمير خالد الفيصل على الحياة في منطقة عسير ، وكنت ظننت أنك سوف تورد أقوالاً وروايات دونها وهي تؤيد

٥٧- الخاتمة : قال المؤلف: (قف ...تأمّل بعمق في المشهد الكبير ... ثم قلْ : لا ، وكررها بصوت عالٍ لا ، ولو لمرة واحدة . إنْهر فيها نفسك قبل أن تقول لها : نعم ملايين المرات ، اقمع شهواتك وغرائزك ، قلْ : لا إذا أردت أن تتعلم وتفهم وتستوعب ، وتعمل وتنتج وتبدع وتنطق وتتقدم .كُنْ صادقاً مع نفسك .قُلْ : لا للجهل والغرور والكبرياء .قُلْ : نعم ملايين المرات ، للعلم والمعرفة والتعليم والحوار والنقاش والابتكار ولاختراع والتصنيع ، مهما طال بك السفر إليه لتحرر نفسك من الجهل ومن التعصب وقصر النظر ، ولتعرف الحقوق والواجبات لك ولغيرك ، ولتفهم دورك في الحياة .وهنا نقول : أما بعد ، فألف يوم ويوم ، وألف ليلة وليلة في الجنوب أكثر من أي ألف يوم وليلة في سواها . إنها قفزة بين زمانين، وعالمين وثقافتين ، وجيلين وقريتين ، وتفكيرين ومذهبين وإنسانين... نعم كان يوماً طويلاً ، وليلاً أطول على من يقرأ هذه القصة الحقيقية لمجتمع يتصارع مع نفسه ، وفوق أرضه . بل إنها حقيقة العالم بكل قراه ومجتمعاته وأفراده يتنازع بعضهم بعضاً... وحتى يكون الفرق واضحاً بين البداية وبين النهاية ، بين فجر قديم ، وفجر جديد، يأبى المؤذن إلا أن يُعيدنا لنقطة البداية ، إلى أذان الفجر مرة أخرى[1] .لم يعد الأذان هو الأذان ، ولم تعد الآذان هي الآذان ، ولم يعد الرجال هم الرجال ، ولا النساء هن النساء ، ولم تعد القرى هي القرى ، بالرغم من مكبرات الصوت ، ومن ارتفاع المآذن . حتى والأذان في جوالاتنا ، وفي ساعاتنا ، يؤذن الفجر والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، فلم نعد نسمعه ! فهل تسمعني أنت ؟ إنني لا أسمع نفسي من الزحام ، من الفوضى ، من العبث ، من الضجيج بل لم نعد نرى أجسادنا ، ولا ننظر في أنفسنا ، بالرغم من أننا عراة بملابسنا . ولم نعد نتحدث بلغتنا ، ولم يعد يفهم أهل القرى بعضهم بعضاً إلا بلغة أخرى . وقبل الختام [**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)**] وإذا كان الإنسان هو موضوع الصراع والنقاش والحوار ، فإن جميع الناس معنيون بالحوار والنقاش ، وتبادل وجهات النظر ، والمصالح المشتركة، والاحترام المتبادل الذي يجب أن يبادر به الجميع تجاه بعضهم البعض ، مهما اختلفت

منظورك الحداثي المفلس ، إنك جعلتني أسيء الظن في هذا الأمير واقول إنه ربما طرح أطروحات ونشر أقوالاً تنادي بخلع الحجاب سبب التخلف في بلادنا ، كما قلت وجاهدت من أجله . ونجدك عندئذ تورد حضارة الآباء والأجداد الرفيعة ، والتي يجب علينا يا معشر الباحثين أن ندرسها ونوثقها لأبنائنا وحفدتنا ، ولا نقضي زهرة حياتنا ، كما تفعل يا علي في نشر الفوضى والتخلي عن ثوابت الدين ، وحياة الأوائل الصالحين. (ابن جريس).

(١) أورد المؤلف بعد هذا ألفاظ أذان الفجر في خمسة عشر سطراً. (ابن معبِّر).

مجتمعاتهـم وثقافاتهم وطرق عيشهم ومصالحهم ، وبما يضمـن حقوق بعضهم على بعض . وخاصة أن الجميع سواسية أمام من خلقهم، فهو أعلم بهم من أنفسهم . قال تعالى [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**] (سورة الحجرات ، الآية ١٣) . وأخيراً، أستغفر اللّه، فسوف أصوم عن الكلام مثلما صامت مريم خير نساء العالمين عندما وضعت نبي اللّه عيسى. عليهما جميعاً السلام. حتى لا ترد على من لا يستطيع عقله وفكره وعلمه أن يمكنه من فهم القصة الحقيقية . وأترك لكم الكلام...) [١].

قلت : قول المؤلف : (قُلْ : نعم ملايين المَرّات ، للعلم ...) يحمل دلالة الاتهام لأهل الجنوب بالجهل والتّعصب وقصر النظر ، كما يحمل الدلالة على قصور الشريعة الإسلامية في إبلاغ الحقوق والواجبات . نعم ؛ أهل الجنوب السعودي من الجاهلين للحداثة الفكرية ، ومن المتعصبين ضدها ، ومن قصيري النظر في التعامل معها ، لأنهم يسيرون في نور ربهم جَلّ في عُلاه الذي قال : [**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**][٢] . ويفهمون دورهم في الحياة بفهمهم لقوله تعالى : [**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**] [٣]، ويعرفون الحقوق والواجبات من خلال اتباعهم لما أمرهم اللّه تعالى به ، واجتناب ما نهاهم عنه ، ولا مجال للحوار والنقاش مع الطّاعة للّه تعالى الذي خاطبهم بقوله : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**] [٤]، وإلى جانب ذلك يفهمون التوازن والاعتدال من قوله تعالى : [**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**] [٥]، وقال المؤلف

---

(١) ص ٣٣٥. (ابن معبِّر). بعد قراءة ما سرده ابن موسى أقول إن بعضاً مما ذكر صحيح ، فالواجب على الجميع التفكير في كل صالح مفيد يعود على الفرد والجماعة بالخير العميم . وهذا نداء وضحه الشارع الحكيم في القرآن الكريم وقاله وفعله الرسول الكريم (ﷺ) . وأقول أيضاً إن أطروحات أخرى لعلي بن موسى لا تخلو من الخلط والتخبط ، وأجد أحياناً من بعض أقواله إن عنده عقدة نفسية تجاه وطنه ومجتمعه، وليس الأستاذ على الوحيد الذي عنده مثل هذه المشكلة ، وإنما رأيت في حياتي العلمية والعملية أمثاله كثيراً فمنهم من يعبر عن ذلك في اللقاءات والمجالس مشافهة ، ومنهم من يكتب آراءه ووجهات نظره على صفحات الجرائد والمجلات والكتب والآن في مواقع الشبكة العنكبوتية . وما يفعله هؤلاء ليس جديداً لأنه سبقهم آلاف البشر من الكتاب والمنظرين وحتى العامة . ونقول لهؤلاء جميعاً إن عندنا شريعة وسطية ولن نحيد عنها بإذن اللّه تعالى ، وأن قصرنا فاللّه يتولانا برعايته . (ابن جريس) .

(٢) سورة المائدة ، آية (١٥) . (ابن معبِّر).

(٣) سورة الذاريات ، آية (٥٦) . (ابن معبِّر).

(٤) سورة الأنفال ، آية (٢٠) . (ابن معبِّر).

(٥) سورة القصص ، آية (٧٧) . (ابن معبِّر). لا ننكر يا ابن معبِّر أن مجتمعنا في الجنوب مثل غيره من المجتمعات فيه كثير من الأخطاء والعيوب ، ومصادر التشريع رسمت لنا ولغيرنا طريق الحياة الطيبة المستقيمة والواجب علينا جميعاً أنا وأنت وعلي بن موسى وجميع المسلمين أن نهتدي بهدي الآيات القرآنية والسنة النبوية، وأن لا نكون معاول هدم لأهلنا وبلادنا ، نحن من معاشر المثقفين والمتعلمين ، والواجب على الجميع

: (لم يعد الأذان ...) وهذا من التهويمات اللّفظية التي لا مدلول لها ، فاللّه تعالى تعبّدنا إلى قيام الساعة ، فالأذان هو الأذان منذ شرعه اللّه تعالى ، فقد قال تعالى: [**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**][(١)] ، ولم يقل سبحانه بأن ذلك سيتغير في عصر الحداثة. والمؤلف بقوله السابق يرسم صورة قاتمة لمجتمع الجنوب السعودي، وقد أحاط بهذه الصورة اليأس والقنوط والتشاؤم ، وكأنّه يتحدى رحمة اللّه تعالى بعباده حيث قال تعالى: [**وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**][(٢)] ، وقال تعالى: [**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**][(٣)] .

رابعاً :المراجع :

١. **أدلّة التشريع المختلف في الاحتجاج بها** .د. عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة (ط٢ : ١٤٠٢هـ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) .

٢. **تاريخ الفكر الأوربي الحديث**.رونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني. (ط١: ١٤٠٥هـ، جدة ، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر .

٣. **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، يوسف كرم ، ط : د.ت ، بيروت ، دار القلم .

٤. **تعاشيب اللغة في منطقة عسير**، محمد بن أحمد مُعَبِّر، طبع ضمن كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) .د. غيثان بن علي جريس ،(ط١ : ١٤٣٧هـ ، الرياض، مطابع الحميضي ، جـ١٠ ، ص ص ٢١١ – ٢٧٦) .

٥. **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**.أبو الحسن علي بن محمد بن عرَاق الكناني (ت٩٦٣هـ) (ط : ١٣٩٩هـ ، بيروت ، دار الكتب العلمية) .

أن يسخروا علومهم ومعارفهم للبناء والرفعة للدين أولاً ثم للأهل والوطن ، هذا الذي يتوجب على الجميع، ولا نتوقف عند التنظير ونقول إن الشعب الفلاني جاهل ، أو أن المنطقة الفلانية متخلفة ، وإنما المفروض أن نسأل أنفسنا ، ونقول ما هو دورنا للإصلاح وإفادة غيرنا ، على أن يكون منطلقنا في جميع أعمالنا هو كتاب ربنا وسنة نبينا محمد (ﷺ) . (ابن جريس) .

(١) سورة الذاريات ، آية (٥٦) . (ابن معبِّر).

(٢) سورة يوسف ، آية (٨٧) . (ابن معبِّر).

(٣) سورة الحجر ، آية (٥٦) . (ابن معبِّر). اللهم يا عزيز يا جبار ثبتنا على دين نبينا محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، آمين يارب العالمين . (ابن جريس).

٦. **الحجاب في الشّرع والفطرة**، بين الدليل والقول الدخيل. عبد العزيز بن مرزوق الطريفي. (ط٢ : ١٤٣٦هـ ، الرياض ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع) .

٧. **الحداثة في ميزان الإسلام.** عوض بن محمد القرني، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. (ط١: ١٤٠٨هـ ، القاهرة ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان) .

٨. **رحلة ابن جبير.** أبو الحسن محمد بن أحمد بن جُبَير (ت٦١٤هـ) ،(ط:١٣٩٩هـ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر) .

٩. **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني ،(ط: بيروت ، المكتب الإسلامي) .

١٠. **صحيح البخاري .**(ط : بيروت ، دار الجيل) .

١١. **صحيح مسلم .** (ط : بيروت) .

١٢. **صِدْق (البرمجة الإسلامية للحياة)**، محمد بن أحمد مُعَبِّر، (مُعَدٌّ للطبع) .

١٣. **علي بن أبي طالب:** شِعْره وحِكَمه، أحمد تيمور، (ط١: ١٣٧٨هـ، القاهرة ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية) .

١٤. **الفقه الإسلامي:** أهميته والعناية بمصادره وأهله ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي(ط١: ١٤٢٧هـ ، الرياض)، (كتيب المجلة العربية – ١١٨) .

١٥. **الكامل في ضعفاء الرجال**، أبو أحمد عبد الله بن عدي، (ط: ١٤٠٥هـ ، بيروت، دار الفكر) .

١٦. **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ) (ط : د.ت ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر) .

١٧. **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،(ط:د.ت، بيروت، دار صادر) .

١٨. **لمحات في الثقافة الإسلامية**، عمر عودة الخطيب، (ط٢: ١٣٩٧هـ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) .

١٩. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين الهيثمي، (ط: ب١٣٥٢هـ ، القاهرة ، مكتبة القدسي) .

٢٠. **محجّة القُرب إلى محبّة العرب**، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ) تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزّير آل حمد (ط١: ١٤٢٠هـ، الرياض ،دار العاصمة) .

٢١. **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.** محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت١١٢٢هـ) .تحقيق : د. محمد بن لطفي الصبّاغ (ط : ١٤٠١هـ ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج) .

٢٢. **المصقول في علم الأصول**، محمد جلي زاده الكويي، تحقيق : عبد الرزاق بيمار، (ط١٤٠١:١هـ ، بغداد ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية .

٢٣. **مع الفارابي والمدن الفاضلة**، فاروق سعد ،(ط١ : ١٤٠٢هـ، بيروت، القاهرة، دار الشروق .

٢٤. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط : بيروت ، دار المعرفة .

ثالثاً : وقفة تصويب وتوضيح على نسب ومكان الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان . بقلم . أ . محمد بن علي بن محمد آل مسلم الشهري [١] .

مدخل:

الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان من سلالة قبائل الأزد اليمنية . وبلاد الحجر في الجنوب السعودي اليوم تنضوي تحت مظلتها أربع قبائل معاصرة هي: بنو شهر ، وبنو عمر ، وبللسمر ، وبللحمر ، وتستوطن أرضها الحالية منذ عصور ما قبل الإسلام ، أشارت إليها كثير من كتب الأنساب والتراث الإسلامي الأخرى ، وأطلق على أهلها ومن جاورهم من الشمال (أزد السراة) [٢] ، أو السرو ، أو السرويون [٣] ، والبلاد الممتدة من شمال مدينة أبها إلى الطائف، وبلاد الحجر تقع في طرفها الجنوبي تستحق أن يفرد لها العديد من البحوث العلمية الموثقة ، ونأمل أن نرى من أبنائها من المؤرخين الجادين من يدرس أوضاعها التاريخية والحضارية عبر عصور التاريخ [٤] ، وفي الصفحات التالية نعرض مشاركة أحد الباحثين المجتهدين الذي دون ورقات مختصرة في سلامان ميدعان والحجر بن الهنوء الأزدي [٥] .

---

(١) انظر ترجمته في عنصر المدخل المدون في بدايات هذا القسم (ابن جريس) .

(٢) أزد السراة تطلق على القبائل الموجودة في جبال السروات ، من قبيلة بللحمر الحجرية جنوباً إلى قبيلة زهران شمالاً . (ابن جريس) .

(٣) للمزيد انظر: بعض الكتب التراثية مثل: أخبار مكة للأزرقي ، ومعجم ما استعجم للبكري ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، ورحلتي ابن جبير وابن بطوطة ، وتاريخ المستبصر لابن المجاور وغيرها . (ابن جريس).

(٤) للمزيد من التفصيلات انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرر (الطبعة الثالثة) ، وأيضاً دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١.ق١٠هـ/ق٧.ق١٦م) حوالي ألف صفحة. وانظر بحوثاً عديدة عن هذه السروات في سلسلة كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب .(١١) جزءاً .(ابن جريس).

(٥) أوردنا هذه المشاركة لعدة أسباب هي : (١) أنها لا تخلو من معلومات علمية مستقاة من بعض المصادر الأساسية (٢) تشجيع هذا الباحث الذي لا يخلو طرحه من لمسات علمية موثقة، ونأمل أن يطور مهاراته في القراءة والبحث، وإن فعل ذلك فسيكون له نصيب حسن في ميدان التاريخ والحضارة. (٣) نرجو أن نرى شباباً آخرين يقتدون بهذا الشاب في دراسة موروث آبائهم وأجدادهم وبلادهم التي هي في حاجتهم وحاجة كل شاب صالح يقدم النفع والخير لأهله وبلاده. (ابن جريس) .

ثانياً: الحجر بن الهنو وسلامان ميدعان :

اطلعت على بعض مؤلفات الدكتور عمر بن غرامة العمروي ، ومن ضمنها كتاب: قبائل إقليم عسير[١] ، وقرأت رد الأستاذ مسفر بن محمد الشرافي ، وتعقيباته على كتاب العمروي المنشورة في " مجلة العرب " و " صحيفة الرياض " [٢] ، وقرأت واستمعت أيضاً إلى كثير من التعليقات الهامة ، التي تصب في مصلحة البحث العلمي ، وتُصحح بعض الأخطاء[٣] ، ثم قمت بتسجيلها وتفنيد بعضها والزيادة عليها ، ورجعت إلى كثير من المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة ، أو تفنيد كل ما كتبه العمروي أو الشرافي وإنما اكتفيت بتوضيح وتصحيح بعض النقاط[٤] ، وهي على النحو التالي :

أولاً : وهم الكثير في تحديد " حجر الأزد " حتى ظن البعض أن المقصود به " الحجر ابن عمران " دون غيره ! والصحيح أن هناك أيضاً من أبناء " الأزد " من يدخل في " حجر الأزد " وهو " الحجر بن الهنوء الأزدي " ، قال ابن الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ) : (ولد الهنو بن الأزد .. الحَجْر بطن) [جمهرة النسب ، ص ٢٥٧؛ ونسب معد ، ص ١٨٨] . وقال الهمداني (المتوفى: ٣٣٤هـ تقريباً) : (سراة الحجر بن الهنو ابن الأزد ومدنها الجهو ومنها تنومة والشرع من باحان..) [صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣١][٥] ، ونجد الرشاطي الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ) يفرق بينهما . ومما ينبغي الإشارة إليه وتوضيحه عن قبائل " رجال الحجر " الحالية ، أن ابن الكلبي ذكر من أبناء " ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهنوء بن الأزد " الأخوين " شهراً " و " عمراً " ، وأتى من بعده الحسن الهمداني ، وأبو علي الهجري (المتوفى: ٣٠٠هـ تقريباً) ، فذكر " شهراً " مرة أخرى بصورة أوسع ، وبخاصة عند لسان اليمن الهمداني ، ودون ذكر لأخيه " عمرو " ! كما أضاف لنا الهمداني في كتابه " صفة جزيرة العرب " اسم " الأسمر " ، كأول ظهور له في القرن الرابع الهجري،

---

(١) هذا الكتاب صدر في جزئين من نادي أبها الأدبي عام (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، وهو جهد يشكر عليه صاحبه ، لكن يعتريه العديد من الأخطاء العلمية ، وقد صدر عنه عدة دراسات نقدية، ونأمل من الأستاذ العمروي أن يعيد النظر في تلك الانتقادات ويأخذ بالمفيد منها ثم يعيد طباعته ونشره . وللمزيد انظر: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، الجزء الثامن ، ص ٢٩٥-٣٣٦. (ابن جريس) .

(٢) لم أطلع على هذه التعليقات، وكان على الباحث أن يذكر عناوين تلك التعليقات وملخصها. (ابن جريس).

(٣) أذكر أمثلة من هذه التعليقات الأخرى التي اطلعت عليها ، وإذا كان المتن لا يتسع لذكرها أوردها في الحاشية . (ابن جريس) .

(٤) هذا جهد جيد منك ، ونأمل أن تطور اهتماماتك وقراءاتك العلمية والبحثية. (ابن جريس).

(٥) منذ زمن وأنا أنادي في الباحثين الجادين أن يدرسوا كتاب: صفة جزيرة العرب للهمداني ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً فيتخذه عنواناً لأطروحته لدرجة الماجستير أو الدكتوراه . (ابن جريس) .

وحسب اطلاعي لم أجد من ذكرهم غيره ، وربما كان السبب أن الهمداني مر بسروات الحجر ، وأيضاً اطلع على مصادر تذكر ذلك .وكما هو معلوم أن ابن الكلبي والهمداني والهجري عاشوا جميعهم في القرون الهجرية الأولى ، ويدل ذلك على قدم هذه القبائل، ولم تكن قد تشكلت بصورة مستقلة كما هو الآن ، وكما قرأنا عنها في القرون الماضية المتأخرة[١] .

ثانياً : خلط الكثير بن أعلام " الحجر بن الهنوء " و" الحجر بن عمران " ، وللتفريق بينهما ينبغي معرفة الآتي " (أ) قبل ظهور الإسلام كان أغلب " الحجر بن عمران " يسكنون بلاد عُمان ، وفي ذلك يقول الصحاري العوتبي (المتوفى: في القرن الخامس الهجري تقريباً) : (أول من خرج من الأزد إلى عمان، ولحق مالك بن فهم، عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء وخرج معه ابناه الحجر والأسد" [الأنساب ، ص ٧١١/٢] ؛ وكان من أعلامهم في العصر الجاهلي ، الشاعران المطرب بن مالك بن عنزة بن هداد بن زيد مناة من الحجر ، وابن عمه هداد بن عمرو، ولهما قصة ذكرها الهمداني في إكليله[٢] ، أما " الحجر بن الهنوء" فقد كان أغلبهم يسكنون بلاد السراة الواقعة بين مكة وصنعاء، قال الهمداني : " أما من سكن السروات فالحجر بن الهنوء" [صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٠] ، ومن أعلامهم في العصر الجاهلي ، مالك ابن الأدرم بن الحارث بن ربيعة ابن الأواس الحجري الأزدي، وابنه الشاعر الفتاك الشنفرى بن مالك الأزدي صاحب " لامية العرب"[٣] ، (ب) بعد الفتوحات الإسلامية انتقل أغلب " الحجر بن عمران " إلى بلاد العراق، قال ابن دريد (المتوفى : ٣١٢هـ): (من رجال الحجر بن عمران .. سود [منهم] طاحية بن سود وزياد وعلي وعبد الله وإياد .. ومنهم بنو علي بن سود ، لهم خطة بالبصرة وحوض)[الاشتقاق ، ص ٤٨٤] ، وقال السمعاني (المتوفى: ٥٦٢هـ) :

---

(١) هذه القبائل الأربع (بنو شهر ، وبنو عمرو ، وبللسمر ، وبللحمر) لم تنل حقها من البحث والدراسة ، وبخاصة في أنسابها وهجرتها من أوطانها الرئيسية واستقرارها في أرض السروات ، وكذلك أحداثها التاريخية قبل الإسلام وبعده ، وأحوالها الإدارية والعسكرية وغيرها من الجوانب الحضارية ، ونأمل أن نرى من طلابنا في برامج الدراسات العليا (أقسام التاريخ) من يدرس هذه البلاد وسكانها وما جاورها من بلاد تهامة والسراة الممتد من حواضر اليمن الرئيسية إلى أرض الطائف ومكة المكرمة . (ابن جريس) .

(٢) الكثير من سكان عمان اليوم هم من الأزد ومن قبائل عربية يمنية أخرى ، وهناك بعض الرسائل العلمية والكتب والبحوث التي صدرت خلال العقود الماضية المتأخرة ، وكثير منها يناقش فروع الأزد التي هاجرت من بلدان عديدة في جنوب الجزيرة العربية إلى عمان وبلدان أخرى مثل الشام، ومصر ، والعراق، وبلاد فارس ، وشمال إفريقيا ، والأندلس ، وخراسان وغيرها . (ابن جريس) .

(٣) مازال الحجريون يستوطنون بلاد السراة الممتدة من شمال أبها إلى سروات بلقرن وشمران وخثعم ، ويطلق عليهم حتى الآن (بلاد رجال الحجر) . (ابن جريس) .

(طاحية وهي محلة بالبصرة هكذا ذكر لي شيخنا أبو محمد جابر بن محمد الأنصاري الحافظ في البصرة ، قلت : وطاحية قبيلة من الأزد نزلت هذه المحلة فنسبت إليهم .. [منهم] نافع بن خالد) [الأنساب، ج٨/ص ١٦٩]. وأما هجرات قبائل "الحجر بن الهنوء" ، فقد خرج جزء كبير منهم إلى الجهات الغربية من جزيرة العرب ، وكانت أغلب خططهم في بلاد مصر، قال ابن عبد الحكم (المتوفى: ٢٥٧هـ) في خطط الجيزة: (طائفة من الحجر، منهم [الصحابي] علقمة بن جنادة أحد بني مالك بن الحجر) [فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٦] ، وقال ابن دقماق (المتوفى : ٨٠٩هـ): لما رجع [عمرو بن العاص] من الإسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفاً من عدو يغشاهم .. وجعل فيها طائفة من الأزديين من الحجر بن الهنو بن الأزد) [الانتصار ، ج٤/ ص ١٢٦] [١]، (ج) مما سبق يتضح أن أغلب أعلام "حجر الأزد" في مصر، هم من (الحجر بن الهنوء بن الأزد) ، ومما يزيد اليقين في ذلك ، ذكر بعض مؤرخي مصر بعضاً من بطونهم ، التي دونتها كتب الأنساب ، ولعل أشهرها[٢] .

١ـ **"بنو مالك"** ، وكان استقرارهم في مدينة الجيزة : ومنهم أحد مؤسسيها ، قال ابن عبد الحكم فيمن اختط بالجيزة: (طائفة من الحجر منهم [الصحابي] علقمة بن جنادة أحد بني مالك بن الحجر) [فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٦] ، و" مالك " هذا ذكره ابن الكلبي والهمداني في مواضع مختلفة ، فمنهم " مالك بن كعب" و" مالك بن الأواس". قال الصحاري العوتبي : (من الأوس بن حجر : علقمة ...) [الأنساب ، ص٥١٧/٢] ، والصحيح كما عند ابن الكلبي وغيره " الأواس " ، وهناك أيضاً " مالك بن ربيعة بن الأواس" ، وجميعهم يعودون نسباً إلى " الحجر بن الهنوء " [٣] .

---

(١) قبائل شبه الجزيرة العربية لهم دور بارز في نشر الإسلام في أصقاع العالم الإسلامي ، وهناك كتب ورسائل علمية حديثة ناقشت هذا الجانب. وقبائل تهامة والسروات الممتدة من اليمن إلى الحجاز ساهمت أيضاً في المد الإسلامي الذي وصل إلى الأندلس ، وإلى جنوب شرق آسيا ، وإلى تركستان وجمهوريات روسيا الإسلامية. وهذا الموضوع لم يعط حقه في البحث والدراسة ، ونأمل من الباحثين الجادين في هذه البلاد أو في المؤسسات والجامعات العلمية أن يتولوا هذا الباب بالبحث والتأصيل. للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس " دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " بحث منشور في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١.ق ١٠هـ / ق٧.ق١٦م) (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . الجزء الأول ، ص٥٥.٩٢. (ابن جريس) .

(٢) حبذا أن نراك أيها الباحث أو غيرك من الباحثين الجادين فيدرس لنا حياة وتراجم ومشاهير رجال الحجر بن الهنوء الذين عاشوا في القرون الإسلامية الثلاثة الأولى . وكتب التراث والتراجم تشتمل على الكثير منهم (ابن جريس) .

(٣) أحسنت يا صاحب هذه الطرح ، وحبذا أن تتوسع مستقبلاً في سردك وتحليلاتك العلمية التاريخية ، وأشد على يدك أيضاً وأقول: ضاعف جهودك في دراسة موضوعات تاريخية وحضارية لم تُدرس في بلدات سروات

٢- "بنو عامر" ذكرهم ابن يونس (المتوفى: ٣٤٧هـ) في تاريخه ، وذكر أحد رؤسائهم الفاتحين وهو: [الصحابي] عبيدة بن عبد الله الأزدي الحجري من بني عامر بن الحجر شهد فتح مصر) [تاريخ المصريين ، ج١ / ص٣٣٤] ، وقال الهمداني في كتابه الجغرافي أن: (الأشجان قرية كبيرة ليس في السراة قرية أكبر منها بعد الجهوة سكانها بنو عبد من بني عامر بن الحجر)[1] ، [صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣٤] ، وكان لهم ذكر استمر حتى القرن الخامس الهجري ، وكان من أعلامهم من التابعين سعيد بن بشر بن مروان، روى عنه الطحاوي الحجري، وعبد الغني بن سعيد الأزدي الحجري العامري وغيرهم، وفي قبائل "بنو شهر" حالياً يوجد قبيل ضخم يسمون بـ " العوامر " ، مازال أغلبهم في مواقعهم التي ذكرها الهمداني ، وهم على قسمين عوامر السراة ، وعوامر تهامة الذين قال عنهم الهمداني : (خاط وسكانه بنو عامر الغورية من الحجر)[2] ، [صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٥] ، وحالياً يسكنون قرى خاط، وهناك من الباحثين من أضاف إليهم أثرب وثربان ، وقد خالفهم بعض الباحثين في ثربان، وسيأتي ذكرهم في سلامان، والمؤكد أن بين هذه القبائل تحالفات سارية مفعولها إلى وقتنا الحاضر ، ومعلوم أن الحلف في بعض الأحيان يطغى على النسب[3].!.

٣- "بنو كعب" ذكرهم المقريزي (المتوفى : ٨٤٥هـ) في خططه حيث قال : (واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهنو بن الأزد فيما بين بكيل ويافع) [المواعظ والاعتبار ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج١/ص ٣٨١]، والصحيح كما عند النسابة ابن الكلبي أنهم : " بنو مالك بن كعب بن الحجر " ، وبحسب ما ذكر أيضاً أن لـ " مالك بن

الحجر وغيرها من بلاد السراة الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وهذه الأوطان تستحق الكثير من أبنائها الباحثين المجتهدين . (ابن جريس) .

(١) هناك مواضع كثيرة في أرض تهامة والسراة لها ذكر وتاريخ منذ عصور ما قبل الإسلام ، وعلى الباحثين والمؤرخين والآثاريين الجادين دراستها دراسة علمية أكاديمية بعيدة عن العنصرية والتعصب . وهذه أرض الجهوة من الأمكنة التي أشار إليها بعض الدارسين ، فأخرجوا دراسات عنها ، لكن ، وللأسف ، كثير من هذه البحوث التي صدرت يغلب عليها التعصب ، حتى أن أهل البلاد أنفسهم أصبحوا في حيرة من موقع الجهوة هل هي في بلدة النماص ؟ أم في أرض حلباء؟ أم في ديار تنومة ؟ ومازلنا حتى اليوم نشاهد قرية الجهوة في مكانها الواقع ضمن أرض عشيرة بني بكر الواقعة في محيط بلدة النماص . (ابن جريس) .

(٢) المعروف اليوم أن معظم سكان حاضرة خاط التهامية من قبيلة بني عمرو الأزدية ، وعشائر العوامر التهامية يتناثرون في أمكنة عديدة من تهامة بني شهر . (ابن جريس) .

(٣) هذه البلدات والتفريعات العشائرية في تهامة والسراة تستحق أن يفرد لها دراسات علمية موثقة ، ونأمل من الباحثين الجادين فيها أن يقدموا بعض الدراسات التي تصب في خدمة هذه البلدان وأهلها . كما أن موضوع التحالفات العشائرية في أوطان رجال الحجر أو في بلاد تهامة والسراة من الميادين العلمية المهمة يجب الالتفات لدراستها وتوثيقها. (ابن جريس) .

كعب " عدداً من الأبناء منتشرين في بلاد الحجر ، تمتد منازلهم من تنومة إلى بلاد " بللحمر " تقريباً ، كما أن هناك حالياً في "بني عمرو" قبيلة اسمها كعب ، أهلها يسكنون في صدر آيد وعاكسة وغيرها [١]،

(د) قديماً كان أغلب أعلام " الحجر بن الهنوء" ينتهي نسبهم بـ" الحجري" ، إما قبل "الأزدي " أو بعده ، بمعنى أنهم منذ العصر الجاهلي إلى عهدنا الحاضر، مازالوا ينسبون أنفسهم إليه ، ويسمون في وقتنا الحاضر " رجال الحجر" ونقل لنا أبو الفرج الأصفهاني (المتوفى : ٣٥٦هـ) [الأغاني ، ج٢١/ص ١١٨] تفاخر الشاعر الجاهلي الشنفرى بقبيلته ، حينما خاطب فتاة " بني سلامان بن مفرح " قائلاً :

أنا ابن خيار الحجر بيتاً ومنصباً وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها[٢]

وعكس ذلك إخوانهم " الحجر بن عمران" وقد ذكر ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) اسم أحد الصحابة العمانيين ، ونسبه إلى " الطاحي " دون " الحجري" ، حيث قال: (بريح بن أسد الطاحي ، من أهل عمان ، هاجر إلى النبي ﷺ وسلم فوجده قد مات) [الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١/ص ٦٤٠] ، ومعلوم أن "طاحية" يرجعون في نسبهم إلى "سود بن الحجر بن عمران" ، أي أن (حجر) جد لطاحية ![جمهرة النسب ، د. علي عمر ، ص٢٦٨] ، وقد وجدت في وقتنا الحاضر، قبيلة عمانية تضيف إلى نسبها الأخير " الحجري" وهم بحسب ما ذكر السيابي العماني أنهم من الأزد ، ومنازلهم في واحة بدية[٣] .

ثالثاً: بناءً على ما تقدم ، نستطيع القول إن العالم الجليل والمحدث الفقيه، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحجري الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، المشهور بالعقيدة

---

(١) بعض عشائر كعب العمرية تقطن أيضاً أجزاء من بلاد عمرو الشام ، ومنهم فروع أيضاً في الأجزاء التهامية والبوادي . وكعب أحد الفروع الرئيسية في قبيلة بني عمرو. وأقول إن عشائر بني عمرو وبني شهر وبللسمر وبللحمر المعروفة باسم (رجال الحجر) تحتاج إلى دراسة علمية موثقة تفصل الحديث عن أصولهم وتواريخهم عبر أطوار التاريخ من عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر. للمزيد انظر، غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين(١٩، ٢٠م) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثالثة) (٥٥٥صفحة) . (ابن جريس) .

(٢) نلحظ في وقتنا الحاضر ومنذ سنوات شداً وجذباً بين بعض الباحثين والدارسين في أرض السروات ، فهناك من يناقش ويجادل ويصر على أن الشنفرى من بلاد الحجر ومن أرض بني شهر تحديداً ، وهناك من يقول إنه يعود في نسبه إلى زهران. والمعروف أن زهران وبني شهر يعودون إلى جد واحد ، والذي نريد الوصول إليه هي الحقيقة المؤيدة بالبراهين والأدلة القوية. (والله من وراء القصد). (ابن جريس) .

(٣) كما ذكرت سابقاً ، هناك عشرات الدراسات والبحوث التي فصلت الحديث عن العشائر الأزدية التي هاجرت إلى عُمان وغيرها من بلدان العالم الإسلامي . وبعض من هذه البحوث جيدة في تحليلاتها وفي رجوعها إلى أمهات المصادر التراثية من علم الأنساب وغيرها . (ابن جريس) .

الطحاوية ، علم من أعلام " الحجر بن الهنوء بن الأزد " ، وفي ذلك يقول المحدث عبد الغني بن سعيد العامري الحجري الأزدي (المتوفى : ٤٠٩هـ) : (من حجر الأزد : أبو عثمان سعيد ابن بشر بن مروان بن عبد العزيز بن مروان الأزدي الحجري ثم العامري ..) إلى أن قال : (وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي الحجري الفقيه " [مشتبه النسبة ، ط٧٩] والحافظ عبد الغني بن سعيد من أوائل من صنف في علم المؤتلف والمختلف في أسماء الرواة وأنسابهم ، ويعتبر أستاذاً في هذه الفن[١] .

رابعاً : يعتبر " سلامان " " بنو شهر " أحد أهم قسمي القبيلة في وقتنا الحاضر ، ويقابله في الطرف الآخر حلف " بنو أثلة " واستطاع الساسة في أزمنة مختلفة استخدام عصبية " السلامانية والأثلية " في تأجيج الفتن والتعصبات الجاهلية فيما بينهم ، إلى أن وصل الأمر أن تجد في القبيلة الواحدة السلامي ! والأثلي! رغم أنهم في حقيقة الأمر إخوان من نسب واحد! على سبيل المثال: قبيلتا دحيم وبلحصين من العوامر ، " دحيم " في حلف " سلامان " و " بلحصين " في حلف " بنو أثلة " ، رغم أن كليهما من " بني عبد بن عامر بن الحجر بن الهنوء " نسباً ، أي أنه يعتبر جداً لـ " أثلة بن نصر بن ربيعة بن الأواس " ، وكما ترى فإن " سلامان " و " أثلة " بدأت بتعصبات نسبية ، وأصبحت تحالفات حزبية ! لامست نيرانها باقي قبائل " رجال الحجر "[٢] . وعوداً على " سلامان " نقول : إن " سلامان " " بنو شهر " ، ليسوا من " سلامان قضاعة " ولا من " سلامان زهران " والراجح فيهم أنهم من " سلامان ميدعان " ، هذا القبيل الذي وهم فيه الكثير من الباحثين ؟

أما نسب " سلامان ميدعان " ، فقد قال ابن الكلبي عن " ميدعان " : (ولد نصر بن الأزد مالكاً فولد .. ميدعان) [جمهرة النسب ، د. علي عمر ، ص٢٩٩] ،

---

(١) هناك بحوث ورسائل علمية صدرت عن المحدث والفقيه أبو جعفر الطحاوي ، ومعظم هذه الدراسات ذكرت نسبه وأصله فهو يعود إلى الحجر بن الهنوء الأزدي . وهناك أعلام كثيرون يعودون في أنسابهم إلى بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجران . وهذا الموضوع يحتاج إلى من ينبري له فيدرس تراجم أولئك الأعلام خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وكتب التراث مليئة بهم. (ابن جريس) .

(٢) هذه الأقوال التي نوردها ليست مقصورة على فروع بني شهر ، وإنما هي عقبة عاصرتها ومازالت تعيشها معظم القبائل العربية في الجزيرة العربية وخارجها . ومن يقرأ تاريخ الأمة الإسلامية في الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا والأندلس ، وبلاد المشرق الإسلامي وغيرها يجد أن كثيراً من الأمم والأحداث قامت على العصبية القبلية ، وأن التحالفات أيضاً كانت ظاهرة ومازالت موجودة حتى اليوم . بل إن من يقرأ ويشاهد الناس في وقتنا الحاضر في المملكة العربية السعودية ، أو دول الخليج ، أو اليمن ، أو بعض الدول العربية. يجد أن العنصرية القبلية مازالت حاضرة بقوة . ولا نقول إن كل ما يتعلق بأحوال وحياة القبائل شيء سيء، فهناك جوانب حسنة وأخرى غير جيدة ، لكن عندما تتحول الأمور إلى نعرات وتعصبات فهذا مكمن الخطر ، والواجب على الجميع حكومات وأفراداً وتيارات وغيرها أن لا يوظفوا عنصريات القبائل في حياة الناس العامة، فذلك مما يفسد روح الأخوة والمحبة . (ابن جريس) .

وأما عن "سلامان" فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني : (بنو سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد) [الأغاني ، ج٢١/ص١٢٨] ، وأتى من بعده العوتبي الصحاري وقال: (ولد ميدعان.. عوف بن ميدعان .. وولد عوف مفرج ... فولد مفرج.. سلامان ، وهم رهط عبد الملك بن أبي الكنود) [الأنساب ، ص٦٦٢و ٦٦٣]، وقد توسع في ذكر أبناء "ميدعان"، وكذلك في أبناء "سلامان" ، وكما ترى فإن "سلامان ميدعان" لم تخف عن بعض النسابة ، والأمر لم يتوقف عند هذا القدر ، بل جاء نسبهم وتاريخهم مفصلاً على لسان أحد الشعراء الجاهليين ، فقد نقل لنا ابن ميمون البغدادي (المتوفى: ٥٩٧هـ) في كتابه [منتهى الطلب، ج٨/ص ٢٨٩] قصيدة للشاعر الجاهلي عبيد بن عبد العزى السلامي ، يذكر فيها نسب قبيلته " سلامان بن مفرج " إلى "ميدعان" ويذكر بعضاً من أخبارها حيث قال:

سلامان إن المجد فينا عمارة ... على الخلق الذاكي الذي لم يكدر

بقية مجد الأوّل الأوّل الذي ... بنى ميدعان ثم لم يتغير[١]

وقال أيضاً [ج٨ /ص٢٩٢]:

بنوا مفرج أهل المكارم والعلى ... وأهل القباب والسوام المعكر

وقال متفاخراً بقتل " سلامان " ، للشاعر الجاهلي الشنفرى [ج٨/ص٢٩٢]:

ونحن قتلنا بالنواصف شنفرى ... حديد السلاح مقبلاً غير مدبر

ولعل ما قاله الشاعر فيما سلف ، يكشف لنا أوهام بعض الباحثين وأخطائهم ! لأن القصيدة بما فيها من تفصيل، دليل دامغ يؤكد وجود " سلامان ميدعان"[٢] فمن أخبارهم القاطعة إثبات أنهم هم من قتل الشنفرى ! ذاك الشاعر الصعلوك ، الذي نذر أن يقتل منهم مائة نفس جزاء أفعالهم به ، فأكثر الغارات فيهم حتى اغتيل دون إتمامه المائة ، وشاء الله أن يأتي رجل من " سلامان " ، كان قد فاته مقتل الشنفرى ، فركل

---

(١) ما من شك أن الأدب والشعر من مصادر التاريخ المهمة ، لكن عندما نوظف الشعر (العربي) أو (الشعبي) في خدمة التاريخ فلا بد أن نكون حذرين في أخذ المعلومة ، وذلك من أجل الحصول على الحقيقة ، فهناك بعض الشعراء الذين يبالغون في مدحهم أو هجائهم أو ذكرهم أخباراً غير صحيحة ، ومن يستخدم أشعارهم كمصادر لكتابة التاريخ فقد يقع في الخطأ وتدوين معلومات مغلوطة . (ابن جريس) .

(٢) هذه المشكلة عند بعض الباحثين ، فعندما يطلعون على رواية واحدة أو على بيت شعر أو أبيات معدودة تراهم يصدرون الحكم النهائي مثل قولهم (وهذه الحقيقة) أو (هذا الدليل الدامغ) وغيرها من المصطلحات . ونقول أن الباحث الثبت يتوجب عليه الرجوع إلى مصادر عديدة ويقارن بين معلوماتها وبعد ما يفعل ذلك مع توفر الجد والاجتهاد يستطيع أن يصدر أحكامه المبنية على أسس علمية . (ابن جريس) .

جمجمتـه المتهشمـة ، فأصابت قدمه عظمة ، مات على إثرهـا ، فتم به المائة ! والقصة مشهورة معلومة ، نقلتها لنا كتب التراث العربي(١) .

خامساً: قبل الإسلام كان أغلب قبائل " ميدعـان " يسكنون السراة ، قال العوتبي الصحاري: (وميدعان كلهـم بالسـراة ، ليس منهـم أحـد في عمـان) [الأنساب ، ص٢٣١] ، رغم أن هناك إشارات من العوتبي الصحاري نفسه ، تدل على وجود بعضهم في غير السراة ! أضف إلى ذلك أن الهمداني أثناء رحلته في السراة ، لم يذكر من أبناء " ميدعـان " حسب ترجيحنـا إلا " سلامان بن مفرج " والهمداني متقدم عن العوتبي! وأما هجراتهم بعد ظهور الإسلام ، فقد اتجه جزء كبير منهم إلى مصر ، مثل إخوانهم " الحجر بن الهنوء " ، وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم: (كان في غزوة عبد الله بن سعد سبعمائة [مقاتل] ، [من] ميدعان من الأزد) [فتوح مصر والمغرب ، ص٢١١] ، وكان رئيس قبائل " سلامان ميدعان " هو كما ذكره ابن يونس الصحابي : (سعد بن مالك بـن الأقيصـر بن مالك بن قريع بن ذهل بن الدّئل بن مالك بن سلامان بن ميدعان بن كعب بن مالك بن الأزد .. وفد على النبـي ﷺ ، وعقد له راية على قومه سوداء ، فيها هـلال أبيض وشهد فتح مصر ، ولـه بها عقب روى عنه ابنه الأشيم بـن أبي الكنود .) [تاريخ المصريين ، ج١/ص ٢٠١و ٢٠٢] ، وكان من أعلامهم في العصر الجاهلي قريع بـن ذهل ، الذي من أحفاده الصحابي سعـد بن مالك الأزدي (٢) ، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا ، أنه يوجد في قبائل ثربان " بنو شهر " ، بطن كبير يسمى "قريع" ، رجح أحد الباحثين أنهـم من ذرية قريع بن ذهل الجاهلي ، وهم مازالوا في حلف "سلامان" إلى وقتنا الحاضر ، علماً أن تعداد قبائل ثربان يشكل ربع تعداد قبائل بنو شهر تهامة ، وتقع منازلهم على قمم جبال ثربان في تهامة(٣) .

---

(١) مثل هـذه القصـة وغيرها من قصص التاريـخ لا تخلو من المبالغـات والتهويل أحياناً ، وعلى المـؤرخ الجيد أن يتريث في إصـدار أحكامـه من خـلال رواية أو روايتـين حتى وإن ذكرتهـا بعض كتب الـتراث المتقدمة . وكم نحن في أمس الحاجة إلى غربلة تاريخنا الإسلامي المبكر والوسيط وحتى الحديث والمعاصر إذ يخلو من الكذب والتدليس والمبالغات . (ابن جريس) .

(٢) أشكرك يا أستاذ محمد الدحيمي على هذه الأطروحات ، وكونك مازلت مبتدئاً في إصدار بحوث علمية موثقة ، أقول لك امض على بركة الله ، وتثبت من أقوالك ومدوناتك ووثقها من مصادر موثوقة ، وإن فعلت ذلك فسوف يكون لك شأن في البحث التاريخي والحضاري، ونسأل الله لك التوفيق والسداد . (ابن جريس) .

(٣) قولك إن قريع الموجود حالياً في تهامة بني شهر ينتسب إلى ذرية قريع بن ذهل الجاهلي ، وحجتك في ذلك قول أحـد الباحثين المحدثـين ، ، فهذا قول يحتاج إلى تأن فليس تشابه الأسماء حجةٍ إلى أن يكون هذا الفرع الثربان الحديث يعود إلى ذلك الجد الجاهلي . هذه مشكلتنا في تدوين التاريخ، فأحياناً ليس هدف الباحث إلا أن يطلق آراء وأقوال ثم يصدر الحكم الجازم الذي لا لبس فيه . يا محمد نحن معاشر الباحثين يجب أن نعلم أن ما نكتب هـو أمانـة والواجب على الجميع أن يحرص على هذه الأمانة (قولاً أو عملاً) ، ويعرف أنه سوف يحاسب عليها عنـد الله ، فالحـذر الحذر على الاندفاع ، ويجب أن لا نكتب إلا ما نرى أنه حقيقة ، حتى ننال رضا الله عز وجل ، ثم إيصال الأخبار الصحيحة إلى الناس . (ابن جريس) .

سادساً: أما اسم "شنوءة" فقد اختلف العلماء في تحديده، فمنهم من قال أنهم أبناء مالك بن نصر بن الأزد "وهو الأشهر، وفي ذلك يقول القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ): (شنوءة لقب لنصر غلب على بنيه) [صبح الأعشى، ج١/ص٣٧٠]، وفي الجانب الآخر هناك من قال أنه موضع بالسراة، قال الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): (بعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى شنوءة وقد تجمعت بها جماع من الأزد وبجيلة وخثعم) [تاريخ الرسل والملوك، ج٣/ص٣٢٠]، وحدد البعض أنه اسم لجبل في السراة، ونقل لنا المخلص البغدادي (المتوفى: ٣٩٣هـ) في كتابه أن: (أزد شنوءة ليس هم نسب إنما شنوءة جبل) [المخلصيات، ج٢/ص٤٢]، وفي ذلك ينقل لنا الشيخ حمد الجاسر، قول الشيخ عبد الرحمن بن حاقان. رحمهما الله جميعاً. من أن (شنوءة.. اسم جبل لا يزال معروفاً في بلاد عسير) [في سراة غامد وزهران، ص ٢١٠]، وبذلك نستطيع القول أن تراجم الأعلام تختلف من مؤلف إلى آخر، نظراً لاختلاف المفاهيم بينهم في اسم "شنوءة"[1].

ثالثاً: خلاصة القول:

وبهذا نكون قد انتهينا من التعقيبات والتعليقات التي اقتبسناها من كتابنا المخطوط: "**نشوة النصر في أخبار رجال الحجر**"، وللموضوع بقية بمشيئة الله، [**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**] [يوسف: ٧٦]، [**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا**] [الإسراء: ٨٥]، هذا ونسأل المولى الأجر والثواب[2].

(١) شنوءة: موضوع آخر ذكر في مصادر كتب الأنساب وغيرها من كتب التراث، كما درسه وناقشه بعض الكتاب والمؤلفين المحدثين. ومازال فعلاً، كما ذكر بن حاقان وغيره، فهو مكان معروف في بلاد عسير بـ (شنوءة) أو (جبل شنوءة)، لكن تسمية هذا المكان بهذا الاسم لا يكفي أن نقول إن تاريخ وأحداث أزد شنوءة في بلاد عسير، أو في سراة عسير، أو في أرض السراة فقط. ومن المؤكد أن شنوءة هؤلاء قوم عرفوا في قديم الزمان في أرض السروات، لكننا نجهل تفاصيل هجراتهم وأماكن استيطانهم وتاريخهم السياسي والحضاري. ونأمل من أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا في قسم التاريخ. بجامعة الملك خالد أن يتخذ من هذا الموضوع عنواناً لرسالته في درجتي الماجستير أو الدكتوراه، ومن يفعل ذلك فقد يعطينا صورة واضحة ودقيقة عن شنوءة (أرضاً وسكاناً). (ابن جريس).

(٢) وفقك الله يا محمد الدحيمي، ونتطلع إلى صدور كتابك المذكور أعلاه (نشوة النصر في أخبار رجال الحجر)، والذي أعجبني في أطروحاتك يا محمد إنك دقيق في إسناد معلوماتك إلى مصادر أولية، ثم أنك غير متعصب لعنصر أو قوم أو نسب دون آخر، وهذا الحس التاريخي الذي نريده، ونتطلع إليه، فمن يسلك هذا المسار سوف يجعل القارئ يأمن ويثق فيما كتب أو رصد، ولا مانع أن يعارض أو ينتقد الشخص أو الباحث باحث آخر، لكن حسب المناهج العلمية المعروفة التي تقوم على المصداقية والوصول إلى الحقيقة. (ابن جريس).

رابعاً: تعليقات على كتاب (شبه جزيرة العرب: عسير، لمحمود شاكر). بقلم محمد بن أحمد معبر[١].

أولاً: المقدمة :

الحمد لله الذي هدانا إلى نعمة الإسلام ، وأسبغ علينا من فيض نعَمه الظاهرة والباطنة، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، ﷺ ، وبعد: فقد حَظيت منطقة عسير فيما بين سنة (١٣٧٠هـ) وسنة (١٣٩٦هـ) بصدور أربعة كتب عنها[٢]، وهي (١) في بلاد عسير ، فؤاد حمزة (ط١ : ١٣٧٠هـ) . (٢) في ربوع عسير ، محمد عمر

(١) انظر : ترجمة ابن معبِّر في بداية المحور الأول في أول هذا القسم . (ابن جريس).

(٢) من يبحث في المكتبات المحلية والعربية والعالمية يجد أن هناك تقارير ودراسات عديدة خرجت عن منطقة عسير، وعن مناطق أخرى في جنوبي البلاد السعودية ، وبعضها صدرت في هيئة كتب وأخرى مازالت مسودات أو مدونات مخطوطة عند أصحابها ، أو في بعض خزانات الكتب والوثائق والمخطوطات في أمكنة عديدة من العالم. (ابن جريس).

رفيع (ط١ : ١٣٧٣هـ) . (٣) تاريخ عسير ، هاشم النعمي (ط١: ١٣٨١هـ) . (٤) شبه جزيرة العرب: عسير ، محمود شاكر (ط١ : ١٣٩٦هـ) . وأصبحت هذه الكتب الأربعة من المصادر المطبوعة لبلاد عسير ، يُرْجَع إليها عند الكتابة عن تاريخ هذه البلاد . وبقي هذا الوضع كما هو عليه حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، ومع إطلالة القرن الخامس عشر الهجري أخذت الكتب والأبحاث عن عسير تَتْرى على مدى السنوات منذ سنة(١٤٠١هـ) حتى هذه السنة (١٤٣٧هـ)[١] . وشملت أغلب جوانب الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والتاريخية ، والحضارية ، والاجتماعية ، والجغرافية ، والأنساب، وغير ذلك . وأمام هذا الكَمّ الزاخر من المؤلفات تظهر الحاجة إلى النَّقْد الموضوعي الهادف ، من تصحيح ، وتعليق ، وإضافة ، وشرح ، ونحو ذلك . ويتم من خلال عملية النَّقْد تَنْقِيَة الأعمال التأليفية من الغموض ، والأخطاء ، والأوهام ، مع استدراك النَّقْص بالإضافة[٢] . ولا يتم ذلك إلاّ بتوجه أهل الاختصاص إلى هذا التراث ، وإعمال النَّقد العلمي في هذا الكَمّ الهائل ، مع التَّجَرُّد من الأهواء والعواطف . وانطلاقاً من هذا الذي أدعو إليه ، فقد بدأت في البحث والدراسة لبعض الأعمال التي صدرت عن بلاد عسير ، وأصدرت بعض الكتب والأبحاث. ومِنْ ذلك هذه الدراسة التي تحمل عنوان (تعليقات على كتاب: شبه جزيرة العرب ، عسير) .

وقد يَعِنُّ لأحدهم التساؤل عن سبب تأخير نقد الكتاب إلى هذه السنة(١٤٣٧هـ)؟. ولهذا التساؤل وجاهة إلى حد بعيد ، وتقتضي الإجابة عنه . فأقول : في سنة(١٤٠٤هـ) اقتنيت كتاب: **(شبه جزيرة العرب: عسير)** لمؤلفه الأستاذ محمود شاكر[٣]، بطبعته

---

(١) في هذه الفترة التي أشرت إليها ، وقبل هذا التاريخ هناك مئات البحوث العلمية المنشورة في بعض المجلات المحكمة أو الثقافية ، وكذلك الرسائل العلمية باللغة العربية ولغات أخرى أجنبية ، وكتب وتحقيقات عديدة . والأستاذ عبد الرحمن بن حامد نشر شيئاً من ذلك في كتاب أصدره النادي الأدبي في أبها عام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ، ومازال هناك الكثير من الدراسات العربية والأجنبية التي تستحق أن تُجمع في كتاب أو عمل علمي يفيد الباحثين والدارسين .(ابن جريس).

(٢) جزاك الله خير يا ابن معبِّر ، فهذا الذي تفعله وما زلت تواصل جهودك في هذا الباب ، ونسأل الله أن يرزقنا وإياك العمل الصالح ، وأن يوفقنا إلى إنجاز كل ما يعود على بلادنا وأهلنا بالفائدة والعلم النافع . (ابن جريس).

(٣) كما أشرت في مقدمة هذا القسم أن الدكتور محمود شاكر من كبار علماء التاريخ في عصرنا الحديث ، وله جهود تذكر فتشكر ، فقد أصدر لنا عشرات البحوث والكتب عن تاريخ العرب والمسلمين في العالمين العربي والإسلامي ، ومن أشمل كتبه (التاريخ الإسلامي) في أكثر من عشرين مجلداً ، وله أعمال أخرى كثيرة ، ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات التاريخية في عالمنا العربي أو الإسلامي فيدرس حياة هذا الأستاذ القدير وما قدم من جهود علمية وأكاديمية.

الثالثة الصادرة سنة (١٤٠١هـ) ، وقرأته حينذاك ، فأحدث في نفسي انطباعاً مثيراً ، ففيه من المعلومات التي لم أطّلع عليها في الكتب التي صدرت قبله . ومع ضيق الأفق التاريخي عندي - حينذاك - والذي يحول دون إبداء رأي أو تعليق على الكتاب ، وهو الواقع الذي يعيشه الكثير من أمثالي . ومع اتساع الأفق التاريخي بالقراءة ، وظهور المؤلفات والأبحاث والمقالات عن منطقة عسير ، حصل من خلال ذلك زوال النَّظْرَة السابقة المحدودة ، ولا سيما مع بداياتي في التأليف في المجال التاريخي ، حيث بدأت في سنة (١٤٠١هـ) في وضع كتابي (**مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة**). وأنجزته في سنة (١٤٠٦هـ) ، ومضيت في هذا السبيل حتى سنة (١٤٢٦هـ) ، وهي السّنة التي بدأت فيها بالاستغراق في القراءة والكتابة عن منطقة عسير، وأعدت القراءة في الكتب والأبحاث التي صدرت عن منطقة عسير ، مع تكرار القراءة لكل عمل ، وتمخّض ذلك عن رؤية جديدة ، فقد زالت الكثير من الأوهام التاريخية المصاحبة للانبهار الذي كنت أعيشه قبل أكثر من ثلاثين سنة . وتمثل هذه الدراسة (**تعليقات على كتاب: شبه جزيرة العرب: عسير**)[1] نتيجة حتميّة للاستغراق في تاريخ بلاد عسير . ومن خلال عدة قراءات للكتاب سجَّلت الأخطاء الواردة فيه ، ثم بدأت عملية النَّقْد مستعيناً بالله تعالى ، ثم بالكثير من الكتب والأبحاث القديمة والحديثة، مع السَّير في اتجاه البحث عن الحقائق ، حتى استوت هذه الدراسة في صورة آمل أن تكون جديرة بالقراءة . وقد سرت فيها على طريقة عرض كلام المؤلف الأستاذ محمود شاكر حسب تقسيمه للكتاب على الأبواب والفصول ، فأضع عنوان الفصل كما جاء عند المؤلف ، ثم أورد بعض المقاطع التي تحتاج إلى تعليق ، وبعدها يتم التعليق ، حتى فرغت من كتابه بشكل كامل[2] . وأدرجت في آخر الدراسة (الخلاصة والنتائج) التي خرجت بها من خلال مباحث الدراسة ، ولا أدعي الصواب أو الكمال المطلق فيما كتبته ، ولكنه جهد المُقلّ والمُقصِّر، الذي لا يسلم من الخطأ والقصور ، والذي أرجو أن يكون في مجال النقد – أيضاً – من قبَل أهل الاختصاص ، ومن يهمهم هذا التراث .وأسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا وأعمالكم خالصة لوجهه الكريم ، وأن يختم بالصالحات أعمالنا وأعمالكم، هو ولي ذلك والقادر عليه . المملكة العربية السعودية محمد بن أحمد مُعَبِّر . (١٤٣٧/٤/٢هـ) .

---

(١) إن الأستاذ محمود شاكر يعد واحداً من الرواد الذين كتبوا عن منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وعن مناطق أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ومن ثم فواجبه علينا نحن معاشر المؤرخين أن نذكر محاسنه وإيجابياته ، ولا يمنع أن ننقد ما وصلنا من مؤلفاته بهدف الوصول إلى الحقيقة . (ابن جريس).

(٢) كتابه الخاص ببلاد عسير من القطع الصغير، وطبعته الثالثة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) تقع في (٢٧٧) صفحة ، تتكون من مقدمة وخاتمة وثلاثة أبواب رئيسية ، بالإضافة إلى قائمة للمراجع وبعض الفهارس الأخرى.(ابن جريس).

ثانياً : الوصف الببليوجرافي للكتاب :

اسم الكتاب: المؤلف : محمود شاكر .الطبعة الثالثة : ١٤٠١هـ (ط١ : ١٣٩٦هـ - ط٢ ١٣٩٨هـ)[1]. بلد النشر : بيروت .الناشر : المكتب الإسلامي . عدد الصفحات : (٢٧٧) . المقاس : (٢٠×١٤سم) . السلسلة : مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (١٤) .

تم ترتيب موضوعات الكتاب كما يلي:(١) المقدمة .(٢) الباب الأول : (٢) الجغرافية : الفصل الأول : التضاريس .الفصل الثاني : المناخ .الفصل الثالث : الأودية والمياه . الفصل الرابع: النبات والحيوان .(٣) الباب الثاني: السُّكَّان : الفصل الأول : نسب السكان . الفصل الثاني : قبيلة عسير: فروع القبيلة . العادات الاجتماعية عند قبائل عسير .المراكز البشرية عند قبائل عسير . الفصل الثالث: رجال ألمع : القبيلة والأرض . العادات الاجتماعية عند رجال ألمع . العمران والمراكز البشرية . الفصل الرابع رجال الحجر : القبيلة وفروعها .الفصل الخامس: شهران .الفصل السادس : قحطان. (٤) الباب الثالث : التاريخ : الفصل الأول : بلاد عسير في العصور الإسلامية : العهد النبوي وصدر الإسلام . عهد الخلفاء الراشدين . عهد الدولة العباسية . عهد الدولة الطولونية . عهد الدولة الأيوبية . الفصل الثاني : أيام الضعف . عهد المماليك إلى الدولة العثمانية . حالة المناطق المجاورة : (أ) اليمن .(ب) الحجاز .(ج) تهامة . (د) نجد. الفصل الثالث: العصور الحديثة (١٢٠٠ – ١٢٣٦هـ). الفصل الرابع: الاستقلال. سعيد بن مسلط. علي بن مجثل (١٢٤٢- ١٢٤٩هـ). عائض بن مرعي (١٢٤٩ – ١٢٧٣هـ). محمد بن عائض (١٢٧٣ – ١٢٨٩هـ). الحكم العثماني (١٢٨٩ – ١٣٣٧هـ). ناصر بن عائض (١٢٨٩ – ١٢٩٥هـ). عبد الرحمن بن عائض (١٢٩٧ – ١٣٠٥هـ). علي بن محمد بن عائض (١٣١٨ – ١٣٢٤هـ).الأدارسة. نهاية الأتراك . الاستقلال . موجز تاريخ عسير .(٥) الخاتمة . (٦) المراجع . (٧) فهرس المصورات. (٨) فهرس الموضوعات[2] .

---

(١) عند ذكر تاريخ الطبعة الثانية في مقدمة الكتاب من الطبعة الثالثة تم تدوين التاريخ (١٣٨٨هـ) والصحيح ما ذكرته يا ابن معبِّر أعلاه . (ابن جريس).

(٢) ما تم الإشارة إليه أعلاه هي المحاور الرئيسية التي اختطها صاحب الكتاب، وعلى ضوئها طبع كتابه ونشره . (ابن جريس).

ثالثاً : تعليقات على كتاب (شبه جزيرة العرب : عسير) :

١- نَسَب السُّكَّان :

تحدث محمود شاكر تحت هذا العنوان (نسب السكان) ،ولكنه خلط كلامه بكلام (عبد الرحمن الحاقان) و (يحيى بن إبراهيم الألمعي) .ونختار بعض المقاطع من الصفحات (٤٥ – ٥٣) وهي الصفحات التي دار فيها الحديث حول النَّسب ، ومن ذلك : (أ) **المقطع الأول :** " سُكنت السراة منذ القديم ، وكان من قاطنيها من باد واندرست آثاره، وكان منهم من جلا عنها وارتحل منها ، وكان منهم من انصهر مع من غلبهم على بلادهم . فقد قيل : إن العمالقة قد عمروها حتى انقرضوا منها ، كما قيل : إن الأنباط قد انطلقوا منها إلى أطراف جنوبي بلاد الشام ، وقيل إن بني ثابر قد عاشوا فيها حتى جاءتهم الأزد وقد تفرقت في الأرض بعد خراب سد مأرب فحطت رحال بعضهم فيها[1] ، وغلبوا قاطنيها ، فأقاموا فيها ، وانتسب المغلوب للغالب ، ونُسب أهلها الجُدد إليها تمييزاً لهم عن بقية إخوانهم وتعريفاً لهم بمُقامهم فيقال: أزد السراة كما يقال أزد عُمان ، لأنها كانت قبيلة كبيرة لا يسع أفرادها مكان واحد ، ولا يكفي حيواناتها مرعى واحد . وكانت بطونها قد خرجت من مستقرها وتريد الاستيطان واختيار المكان فكان لا بد لها من أن تقاتل أقواماً سبقتها وجماعات حلت في أماكن طيبة وبقاع خصبة، وانطلقت أكثر البطون تخاصم وتخاصم ، ولم يرق لأزد السراة أن ينصروا إخوانهم في قتال خزاعة فسموا شنوءة لشنآن بينهم وتباغض وتبرؤ ، وعرفوا من بعدها باسم أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد كما أقامت معهم بعض البطون الأخرى . وتحالفت بعض البطون مع بعض ومع من جاءها مع غيرها حليفاً أو زائراً مستضيفاً أو مستجيراً رديفاً فشكلت قبيلة واحدة فاختلطت بذلك بعض الأنساب وضاع بعضها الآخر حتى لم يعرف إلا أنه من القبيلة الجديدة المتحالفة كقبيلة عسير التي أعطت المنطقة اسمها)[2] . (ب) **المقطع الثاني** :(وهنا لا يهمنا كثيراً أانتسب

---

(١) هذه الأقوال وردت عن محمود شاكر ومن أخذ عنهم ، كما ذكرها باحثين ودارسين آخرين ، وعندما نعود إلى بعض من المصادر الأولية نجدها لا تخلو من الغموض والخلط في هذا الباب . ومازالت هذه البلاد في حاجة ماسة إلى دراستها أثرياً لعلنا نطلع على حقائق صحيحة توضح لنا سكانها الأوائل ، بل أيضاً الأقوام الذين تعاقبوا الاستيطان في أرضها . (ابن جريس).

(٢) ص٤٥. (ابن معبِّر). ما من شك أن بعض الأزديين استوطنوا منطقة عسير من قبل الإسلام، وكعادة القبائل أن القبيلة القوية تهيمن على الأرض وسكانها ،وبالتالي يغلب نفوذها واسمها وسطوتها على الأرض التي استوطنتها. وهناك أمثلة كثيرة على مر التاريخ في الجزيرة العربية وغيرها. (ابن جريس).

عسير إلى عدنان أم قحطان؟ إذ عندما جاءت القبائل اليمانية إلى المنطقة كانت تقيم فيها قبائل تنتمي إلى عك بن عدنان وحدث قتال بين الطرفين وإذا كانت قد انتصرت اليمانية على العدنانية إلا أن الثانية لم تغادر أماكنها نهائياً ولا زالت من مواطنها تماماً وإنما اختلطت مع الزمن بالغالبين عن طريق الحلف والمصاهرة والموالاة ، وغلب على الجميع اسم عسير . وإن كان كثير من الناس من يحب الانتماء للغالب ولهذا انتسبوا إلى الأزد)[١]. (ج) **المقطع الثالث** : "كتب الشيخ عبد الرحمن الحاقان بعض البحوث التاريخية عن منطقة عسير جاء فيها ما يلي: (١) قبائل شهران بن عفرس ، وناهس بن عفرس ، وهم بلا شك من قبائل خثعم، وقد وقع في نسبهم اختلاف كما وقع في نسب غيرهم، فمن المؤرخين من يزعم أنهم من بني أنمار بن نزار ، والذي نعتقد أنه صحيح أنهم من القبائل القحطانية ، ويدخل فيهم من القبائل العدنانية بنو مالك (أهل تمنية) وبنو شيبة (أهل المسقي والقرعاء) فإنهم من عَنْز . كما ذكر الهمداني ويدخل فيهم أيضاً (العواسج) ويسمون الآن (العواشز) وهم أهل مدينة جرش وهم من (حمير) ويدخل فيهم (كود) وهم من (عنْز)[٢]. (د) **المقطع الرابع :** " وفيهم من القبائل العدنانية بنو رفيدة بن أراشة من (عنز) ، ويطلق عليهم الآن (رفيدة)[٣]. (هـ) **المقطع الخامس** : " ثم يليهم قبائل (رجال ألمع) وألمع اسم لجدهم، وهو من القبائل القحطانية. وهم عشر قبائل كالآتي: بنو ظالم ، بنو قطبة، بنو العوص، البناء، بنو شحب، بنو زيد ، وأهل صلب ، بنو جونة ، بنو قيس ، شديدة ، ويذكر بعض المؤرخين أن أهل صلب وبني زيد يقال لهم (بنو بكر) ، وبنو قيس ، وبنو جونة يقال لهم (بنو مسعود) وهذه القبائل الأربع يزعم بعضهم بأنهم من القبائل العدنانية)[٤].

ونبدأ بالمقطع الأول: فقد أجمل المؤلف محمود شاكر في كلامه عن (السَّرَاة) إلى درجة الإيهام، مع العلم أن المؤلف سيذكر لاحقاً امتداد دولة آل عائض إلى جميع

(١) ص٥٠. (ابن معبِّر) .هذه الحالة لم تقع مع الأزد فقط أرض السراة ، وإنما جرت حالات كثيرة مع قبائل أخرى في جنوب الجزيرة العربية وشمالها ، وفي بلدان أخرى عديدة خارج جزيرة العرب. (ابن جريس).

(٢) ص٥١. (ابن معبِّر).

(٣) ص٥٢. ابن معبِّر) . هناك بعض الدراسات الحديثة التي صدرت عن قبائل منطقة عسر ، ولكنها جميعاً مليئة بالأخطاء والمعلومات التي تحتاج إلى نقد وتحليل. ونأمل من ابن معبِّر أو غيره من المؤرخين والباحثين في منطقة عسير أن يعكفوا على دراسة هذه البحوث وتنقيحها وتوثيق معلوماتها من مصادر علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٤) ص٥٢.(ابن معبِّر) . كذلك صدر بعض الدراسات عن تاريخ وأنساب رجال ألمع ، لكن هذه البحوث أيضاً لا تخلو من الخلط ، وهي الأخرى تحتاج إلى دراسة وتدقيق ، ويوجد في بلاد عسير الكثير من الباحثين والدارسين المهتمين، ونأمل أن نرى بعضهم أو أحدهم يتولى هذا الموضوع بالدراسة التحليلية . (ابن جريس) .

السروات تقريباً ، وهذا يستلزم شيئاً من التفصيل عن السروات. ولذلك أقول: (السراة) و (الحجاز) بينهما تلازم أبدي في المكان ، واختلاف في الحدود حسب المفهوم السياسي لكل عصر.ولعل فيما قاله الهمداني ما يؤكد التلازم المكاني، إذ يقول: "جبل السراة، وهو أعظمُ جبال العرب وأذْكَرُها أَقْبَل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمّتْه العرب حجازاً لأنه حجز بين الغَوْر وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر"[(١)]. ويقول الشيخ حمد الجاسر: "تمتد في غرب بلاد العرب سلسلة من الجبال، من اليمن جنوباً إلى الشام شمالاً، وهذه السلسلة تخترقها أودية وشعاب كثيرة، يُشَرِّق بعضها وبعضها يغـرِّب، وليست هذت السلسلة على درجة واحدة من حيث الارتفاع فمنها الشامخ ومنها المنخفض ، ومنها مسطح القمة له فِرَاع واسعة فيها سكان، ومنها ما هو مؤلل أصلع القمة خال من النبات ومن وسائل الحياة . هذه السلسلة تسمى الحجاز[(٢)] ، ويعلل المتقدمون التسمية بأنها حجزت بين الغور - وهو منخفض متصل بالبحر - وبين نجد - وهو أعالي الجزيرة المرتفعة ذات الأرض السهلة التربة الكثيرة النبات عندما يجودها الغيث ، ويطلق على هذه السلسلة أيضاً اسم (الطَّوْد) ولكنه يخص جنوبها من قرب مكة حتى اليمن ، وقد يطلق على الطرف الجنوبي الشرقي اسم الجبل الأسود ، وعلى القسم الشمالي حجاز المدينة ، كما يسمى القسم الجنوبي أيضاً باسم السراة وقد يقال فيه السروات ، لأن كل قسم فيه ينسب إلى قبيلة ويدعى سراة ، أما القسم الشمالي فقد يطلق عليه اسم السّراة وخاصة الجبال الواقعة بين عسفان والمدينة) [(٣)] وعن تكوّن جبال السراة يذكر الجغرافيون أنه : في الزمن الجيولوجي الثالث حدثت عدة حركات عنيفة أصابت منطقة البحر الأحمر ، ونتج عنها تكوين أخدود ، وجبال السراة أو السروات ، وامتد الأخدود من الجنوب ابتداء من بحيرة تنجانيقا ثم يتجه شمالاً إلى خليج العقبة ، والبحر الميت ، وغور الأردن، وسهل البقاع ، والغاب ، والعمق ، وبهذا كوَّن

---

(١) صفة جزيرة العرب ، ص ٥٨ .(ابن معبِّر) . من يرجع إلى أكثر من المكتبات العربية والإسلامية والعالمية ، ويطلع على بعض كتب التراث ، والكتب والبحوث العلمية الحديثة ، وكذلك الرسائل العلمية فإنه سوف يجد تفصيلات مطولة عن أرض الحجاز ، وعن السراة ، أو السروات لطبيعتها الجغرافية ، سكانها ، ثرواتها الحيوانية والنباتية ، وجوانب أخرى عديدة) ، والفاحص لهذا التراث الأدبي سوف يجد اختلافات ورؤى عديدة عند الباحثين المتقدمين والمتأخرين وبخاصة عن جغرافية هذه البلاد وسكانها . (ابن جريس).

(٢) ليس حمد الجاسر هو الوحيد الذي قال بهذه الأقوال، وإنما سبقه كثيرون وبخاصة من كتاب التراث الأوائل ، الذين فصلوا الحديث عن هذه الجبال السروية . (ابن جريس).

(٣) في سراة غامد وزهران ، ص٣٥٣. (ابن معبِّر). هناك جغرافيون متقدمون ومتأخرون قالوا السروات الجنوبية، والوسطى ، والشمالية ، وفصلوا الحديث في هذه التقسيمات . (ابن جريس).

أكبر صدع أخدودي في العالم [١] . هذا هو ما يهمنا عن (السراة / الحجاز) بشكل عام ، أما الجانب المهم وهو (السراة) أو (السروات) التي تُمثل (سراة عَنْز) أحد أجزاءها ، فسيكون المسار العام الذي نصل من خلاله إلى (سراة عَنْز) التي تمثل جزءاً من منطقة عسير حالياً .

(*) **السروات** : [٢]

رسم الهمداني أقسام السروات بدءاً من شمال عدن ، ثم اتجه شمالاً، وهي: سراة المعافر. سراة الكلاع .سراة بني سيف .سراة جبلان .سراة أَلْهَان . سراة المصانع . سراة قُدَم. سراة عُذَر وهِنُوم .سراة خولان .سراة جَنْب. سراة عَنْز. سراة الحَجْر. سراة ناه، (ويقال: باه). سراة الخال. سراة زهران. سراة بجيلة. سراة بني شبابة وعدوان .سراة الطائف[٣] .وقال في موضع آخر: ثم يتلو سراة عَنْز سراة الحجْر ، ثم يتلوها سراة غامد ، ثم سراة دَوْس ، ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الطائف[٤] . ويُعَدُّ الهمداني ـ فيما أعلم ـ صاحب السبق في تحديد أجزاء السروات وسكانها من عدن إلى الطائف. [٥] أما السروات من الطائف إلى عسير ، فقد ذكرها حمد الجاسر ، في ضوء كلام الهمداني ، مع بعض التحديد المعاصر لهذه السروات ، فقال : "السروات : في هذا القسم الجنوبي من الحجاز كما قلنا سروات كثيرة من أشهرها :(١) سراة الطائف غورها مكة ونواحيها ونجدها ديار هوازن من عكاظ والفتق. أي الأرض الواقعة شرق

---

(١) الجغرافيا التاريخية لشبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ ، د. محمد خميس الزوكة ، ص٦١.(ابن معبِّر). ونجد عند بعض مؤرخي التاريخ القديم والجغرافيين تحليلات وتفصيلات على التركيبة الجغرافية والجيولوجية لجبال الحجاز (السروات) ولا تخلو هذه البحوث من المغالطات والأخطاء وتحتاج إلى من يدرسها ويحققها ويتثبت من معلوماتها . (ابن جريس).

(٢) كل سراة من هذه السروات تحتاج إلى دراسة جغرافية تاريخية أثرية ، ونأمل من جامعات نجران ، والملك خالد، والباحة أن تبذل قصارى جهودها لدراسة تاريخ وحضارة هذه السروات الممتدة من اليمن (صعدة) إلى الطائف. (ابن جريس).

(٣) صفة جزيرة العرب ، ص ٩٩.(ابن معبِّر) . هذه السروات مأهولة بالسكان منذ القدم ، كما أنها مخزن الكثير من الخيرات مثل: المياه ، والنباتات والمحاصيل الزراعية، والثروات الحيوانية. وأهلها أصحاب شجاعة وكرم ومروءات وغيرها ،ونقول أن هذه البلاد تستحق من يدرس تاريخها وحضارتها القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة . (ابن جريس).

(٤) المصدر نفسه .(ابن معبِّر). هذه السروات تقع اليوم ضمن ثلاث مناطق رئيسية في المملكة العربية السعودية هي (عسير ، والباحة ، ومكة المكرمة). (ابن جريس) .

(٥) نعم هو من أصحاب الريادة فيما وصلنا من تراث مطبوع ومنشور ، وربما يظهر في المستقبل مصادر أخرى سبقت . الهمداني في هذا الباب . (ابن جريس).

الطائـف علـى مقربة منه . (٢) سراة فهـم وعدوان وهي السـراة الثانية ، وتعرف هذه السراة بسراة بني شبابة وعدوان وغورها الليث ومركوب ويلملم ، ونجدها يَصلى مطار أي الأرض الواقعة شرق أودية الطائف والتـي تفيض سيولها إلى بسل ثم كلاخ وتفضي إلى طرف ركبة الجنوبي . (٣) سراة بجيلة : وهذه متصلة بسراة الأزد ، وهي ما يعرف الآن باسـم سـراة بني مالك ، وهم فخذ مـن بجيلة ، وسماها أحـد الشعراء سراة بني جريـر نسبة لجرير بن عبد الله البجلي ، قال هذا الشاعر ويدعى ابن نوفل يهجو خالد القسري :

تمـنَّـى الـفـخـرَ في قـيـسٍ وقَـسْـرٍ كـأنَّـك مـن سـراة بـنـي جـريـر

(٤) سـراة زهـران ودوس وغامد ، وذكر الهمداني أن نجـد هذه السراة في عهده يسكنـه بنو سواءة من عامر بن صعصعة من هوازن ، وأن غورها يسكنه بنو لهب وعويل وبنـو عمرو من الأزد. **(٥)** سراة الحال لبني شكر من الأزد ، نجدهم خثعم ، وغورهم قبائـل من الأزد على ما ذكر الهمداني . **(٦)**سراة باه وبنو القرن وبنو الخالد من الأزد ، نجدهـم خثعـم وغورهم قبائل أزدية ، وكلمة (باه) كذا وردت في كتب كثيرة ولكن لم أجـد لها ضبطاً أو تحقيقاً . **(٧)** سراة الحجر بـن الهنو بن الأزد ومن مدنها : الجهوة وتنومـة .في عهـد الهمـداني. . **(٨) سـراة** عَنْز على مـا ذكر الهمـداني ، وهي بلاد عسير[1] **(٩)**سراة جنب . وقد أجمل هذه السروات في موضع آخر من كتابه فقال : ثم يتلو معدن البُرام ومُطار صاعداً إلى اليمن : سراة بني علي وفهم ثم سراة بجيلة والأزد بـن سلامان بن مفرج ، وألمع وبارق ودوس وغامـد والحجر إلى جرش . وهذه السروات التـي تقدم ذكرها تغـيرت أسماؤها الآن وتداخل سكانها ، واختلطـوا ، وأصبح المشهور المعروف منها : (أ) سراة ثقيف ، وهي السراة المطلة على عرفات وما حولها وتمتد نحو

---

(١) تمثـل سـراة عَنْز بن وائل بلاد (رفيـدة ، وأراشة ، وعسير) .(ابن معبِّر) . لقـد سافرت وتجولت في كثير من أجـزاء هذه السروات خلال العقود الأربعة الماضيـة ، واتضح لي أن معظم سكان هذه السروات مازالوا يعيشون في أوطانهـم التـي ذكرها الهمداني منذ القرن الرابـع الهجري (العاشر الميلادي) وأقـول أن بلدان السروات مازالـت مـن أفضل الأوطـان في الجزيرة العربية وبخاصـة في حفاظها على وحدتها القبليـة وكثير من أصولها وأعرافهـا وتقاليدهـا . نعم في وقتنـا الحاضر التقى العالم بعضـه ببعض وغزت هذه الديـار الكثير من أدوات الحداثـة والتقنية فأصبح هنـاك من يتخلى عن كثير من أعراف آبائه وأجداده ، والمشكلة مع الشابات والشباب الصغـار في هـذه المجتمعات فهـم لا يعرفون شيئاً من موروث الأوائل ، وأصبح جـل همهم وثقافتهم مستقاة من هذه الثقافات المستوردة التي تحارب ما عرفه الآباء والأجداد من موروث حضاري وثقافي. وعلى مؤسسات العلم والثقافـة والإعـلام والأسر وجميع شرائح المجتمع مسؤوليات كبيرة من أجـل الحفاظ على الموروث الجيد الذي مارسه وعاصره الأوائل من أجدادنا وآبائنا . (ابن جريس) .

الجنـوب .(ب) سراة بني مالك من بجيلة ويليها مـن الجنوب متصلة بها : (ج) سراة غامـد وزهـران، القسم الشمالي الغربي تنتشر فيه قبائل زهـران فالقسم الشرقي من عـدوان ، والقسـم الغربي دوس ، وجنوب هذه السراة وشرقهـا تسكنه قبيلة غامد حتى بـلاد خثعم مـن الجنوب ، وهي الفاصلة بين هذه السراة وبـين : سراة الحجر وسكانها هـم قبائل الحجر الأزدية القديمة، ويتصل بهذه السراة من الناحية الجنوبية الشرقية ما سماه الهمداني بـ (سراة عَنْز) وهي: سراة عسير[١] .

وهذه السروات الخمس ، تمتد فيما بين الدرجة الطولية (٢١/٣٠) شمالاً و (٠٠ / ١٨ جنوباً) ، أما موقعها بالنسبة لدرجات العرض فإنها تكون متعرجة بحيث يقع أولها فيما بين درجتي (٤٠/٠٠ و ٤٠/٣٠) ووسطها فيما بين (٤١/٠٠ و ٤١/٣٥) وطرفها الجنوبي فيما بين (٠٠ /٤٢ إلى ٤٠/ ٤٣) [٢].

ويقـدم الدكتـور غيثان بن علي بن جريس صورة أشمـل وأوضح عن السروات التي ذكرهـا الهمداني ، ثم الجاسر، ولا سيمـا في العصر الحاضر ، فيقول: "وأول جزء من سـراة الطائـف الهـداة ، الواقعة غرب الطائـف ، وهي عبارة عن جبـل ضخم يسكنها قبائـل مـن ثقيـف ، ومعهم جماعة من هذيـل ، ولذا يليها من الجنـوب شفا هذيل ، ثم يليهـا شفـا بني سفيان ، وهم بطن من ثقيـف ، ويلي ذلك من الجنوب سراة بني سعد ، ثـم سراة بالحارث، وجميع السروات والأشفية تسمى بسراة الطائف ، وربما أطلق على الأجـزاء المحاذية للقسم الجنوبي من الطائف سراة فهم ، وعدوان ، وقد تعرف بسراة شبابـة وعدوان، وغورها الليث ويلملم ، ونجدها الأراضـي الواقعة شرق أودية الطائف وجنوبهـا التي أشار إليها الهمداني بقوله يصلى مطار . سراة بني مالك ، وهذه السراة كانـت تعرف بسراة بجيلة على بعد مئـة كيلو متر جنوب الطائف وتجري المياه المنحدرة مـن شرقها صـوب تربة ، والميـاه المنحدرة من غربها صـوب الليث ، وقـد سماها أحد الشعراء بسراة بني جرير[٣] . أما سراة غامد وزهران ، فتبدأ من أول حدود بني مالك

---

(١) في الغالب أن السروات الحديثة هي نفس السروات المعروفة قديماً، حتى وإن تداخلت بعض العشائر في بعض ، أو انقرضت بعض القبائل الصغيرة ودخلت تحت مظلة القبائل الكبيرة ، ومازالت حتى اليوم . (ابن جريس).

(٢) في سراة غامد وزهران ، ص ٣٥٦. (ابن معبِّر) .

(٣) هـذه السـروات الممتدة من الطائف إلى شمـال زهران مازالت من أقل الأوطان في ميـدان البحوث والدراسات التاريخيـة وغيرها . وقريباً بإذن الله أخصص لها رحلة أتجـول في ربوعها وأكتب عن أرضها وسكانها مدونات أشمـل وأطول . وأنادي في جامعة الطائـف ، وفي معاشر المؤرخين والباحثين الذين ينتمون إلى هذه البلاد، وهم كثـيرون في الجامعـات وغيرها ، إلى أن يلتفتوا إلى دراسة هذه البـلاد المأهولة بالسكان ، والتي كان لها ومازال تاريخ وعلاقات متنوعة مع حواضر الحجاز الكبرى . كما أنه خرج منها أعلام كبار ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية في مواطن وبلدان عديدة في العالم الإسلامي منذ عهد النبي ﷺ إلى العصر الحديث والمعاصر. (ابن جريس).

وبلحارث ، وتبدأ صعوداً في جبل شمرخ الممتد جنوباً إلى بلد خثعم وشمران ، وتصب مياهها الشرقية شمالها في تربة ، وشرقها في رنية ، أما مياهها الغربية فتصب من الشمال إلى الجنوب في وادي عليب ، ووادي دوقة ووادي الأحسبة ، وكلها في الأغوار التهامية والباحة قاعدة سراة غامد وزهران(١) . وتقع سراة خثعم وشمران إلى الجنوب من سراة غامد وزهران ، والممتدة نحو الشرق والجنوب الشرقي حتى السهل ، ومياهها الشرقية تصب في بيشة ، والغربية في وادي قنونا الذي يصب في سهول القنفذة من الشرق . أما سراة بلقرن الواقعة ما بين سراة خثعم وشمران في الشمال ، وبلاد الحجر في الجنوب، وتصب مياهها الغربية في مناطق القنفذة وما حولها ، والشرقية في بيشة ، وقاعدة هذه السراة سبت العلاية(٢) . وتمتاز سراة بلاد الحجر بطولها وعرضها ، فهي تمتد من بلاد بلقرن شمالاً إلى المناطق القريبة من مدينة أبها جنوباً ، وتتكون من أربع قبائل هي : بنو عمرو، وبنو شهر ، وبللسمر ، وبللحمر ، ومعظم قرى هذه القبائل تقع في الأجزاء السروية ، في حين أن هناك أفخاذاً وقرى في تهامة والبوادي تتبع بلاد السراة ، ومن أكثر المراكز فيها النماص ، وتنومة ببلاد بني شهر ، وسوق الاثنين ببللسمر ، وصبح ببللحمر ، وتصب مياه الحجر الغربية في واديين كبيرين هما (يبه) و (حلي) وكلها تصب جنوب القنفذة ، أما في شرقها فلا زال وادي بيشة يبتلع كل أودية السروات، وأهم روافد بيشة ببلاد الحجر، وادي ترج ، ووادي عياء ، ووادي صلحلح(٣) .

أما سراة عسير (عَنْز) فتحيط بمدينة أبها ، وتشتمل على أشهر القبائل العسيرية ، وهي ، علكم ، وبنو مغيد ، وربيعة ورفيدة ، وبنو مالك . وكل هذه القبائل تقطن في الأجزاء الجبلية من عسير ، ويتبعها قبائل رجال ألمع في تهامة ، وتصب مياه سراة

---

(١) منطقة الباحة (غامد وزهران) لها تاريخ قدم ، وجرى على أرضها أحداثاً كثيرة . واعلم أنه يوجد في هذه البلاد عشرات الأساتذة الجيدين ، وأقول أن عليهم واجب كبير تجاه أهلهم وبلادهم فيسعوا إلى حفظ تاريخها وموروثها الحضاري ، كما أن جامعة الباحة نفسها عليها مسؤولية عظمى فتؤسس مراكز بحوث جيدة ، وتشجع أساتذتها على دراسة موروث هذه الأوطان العربية الماجدة . (ابن جريس) .

(٢) سروات بلقرن وما جاورها ذات تاريخ وحضارة ، وقد ذهبت إلى هذه الأوطان في عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) ، وتجولت في أرجائها وكتبت عن شيء من تاريخها ، وقلت وأقول الآن أن هذه البلاد تستحق من أبنائها الباحثين ، ومن أساتذة جامعة بيشة من يدرس حضارتها وتراثها. للمزيد انظر ما كتبنا عنها في رحلتنا الآنف ذكرها في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الحادي عشر) (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ص ٢٣٨ وما بعدها.(ابن جريس) .

(٣) بلاد الحجر تستحق منا الكثير ، فالواجب دراسة تاريخها وحضارتها ، وأنساب قبائلها ، وما جرى فيها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة .(ابن جريس) .

عسـير الشرقيـة في وادي بيشـة ، أما مياه السـراة الغربية فتصـب في مناطق البرك ، والقحمة ، والشقيق في تهامة ، وأهم الأودية ، وادي محايل الذي يصب في حلي ، ووادي ريم وعرمـرم اللـذان يصبـان في مناطق الشقيـق ، أما وادي عتود فيصـب في المناطق الواقعة إلى الجنوب من البرك والقحمة والشقيق[1] . أما سراة قحطان والمسماة قديماً بـ (سـراة جنـب) والواقعة إلى الجنوب الشرقـي من سراة عسير ((عَنْـز)) ، وتبدأ هـذه السراة بالمناطـق الواقعة من الشمال والشمال الشرقي مـن سراة عسير إلى ديار نجران وما حولها من الجنوب . وغالبية سكان هذه السراة من قبائل قحطان ، كوادعة ، وسنحـان ، وبنو بشر ، وعبيدة ، ورفيدة ، وقبائل أخرى ، وهذه السراة عبارة عن طود عظيـم يقع ما بـين السهول الممتدة شرقـاً إلى التهائم غرباً ، ومياههـا تتجه إلى ثلاثة اتجاهـات، شمالاً نحـو بيشة ، وغرباً نحو بيش ، وأهل بيشـة في الشمال ، وأهل بيش في الغرب يتقاسمان الماء الآتي من السراة الواقعة ما بين أبها ونجران ، أما المياه الشرقية للسراة نفسها فتصب في واديي حبونن واليدمة نحو بلاد يام.

وقـد انطلـق الهمـداني ـ في رحلتـه ـ من سراة جنـب (بلاد قحطـان) متجهاً من الجنوب نحو الشمال ، وأثناء رحلته ذكر سراة عَنْز ، وبعض المواطن والمراكز التي كانت بها ، ثم سراة الحجر ، وسراة بلقرن وغامد وزهران حتى وصل بذكره إلى بجيلة وعدوان والطائـف ، ويستفـاد مما ذكره أن هناك أسماء للسروات مـا زالت إلى يومنا هذا حيّة في الأذهـان متداولـة على اللسان ، وبعضها اندثر ، مثل ناه ، وأحياناً تلفظ باه ، والخال لشكر ، وأحياناً أخرى يذكر أسماء أماكن في البوادي أو الأغوار ، فيشير إلى أن سكانها مـن قبائل بلاد الأزد السروية ، لكنه لا يذكر لأي الأفخاذ أو العشائر ينتمون ، ولا ندري ما سرّ اختفاء هذه الأسماء ، وما هي العوامل التي أدت إلى إخفائها . ومن سياق حديث الهمـداني عن نـاه أو باه ، والخال لشكـر ، وأيضاً بنو خالد[2] ، تبـين أن مواطنهم ربما

---

(١) للأسف إن سروات عسير لم تخدم من جامعاتها ، ففي السابق فرعي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعـة الملـك سعود ، ثم اندمـج هذين الفرعين في جامعة الملـك خالد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، وحتى هذا التاريخ لا نرى لهذه الجامعات إسهامات تذكر في حفظ موروث وحضارة وتراث هذه البلاد الجنوبية السعودية. نعـم إن هذه الجامعات قديمـاً وحديثاً فتحت كليات وأقسام علمية تخرج فيهـا آلاف الطالبات والطلاب الذين انخرطـوا في الحيـاة العمليـة ، لكن شكوانا حول مـا قدمت هذه الجامعـة وفروعها السابقة في ميـدان إصدار البحـوث العلميـة التي تخـدم المنطقة وأهلها ، وهـل أسست مكتبـات ومتاحف ومراكز بحـوث تقوم على حفظ التاريخ الإداري والحضاري لهذه البلاد ، وهذا الذي نريد تحقيقه .(ابن جريس).

(٢) بنو خالد : من بلحارث في تَرَّج . (ابن معبِّر) .

كانت ببلاد سراة الحجر أو سراة بلقرن ، أو ضمن الأجزاء الخثعمية ، شرق سراتي بلاد الحجر وبلقرن ، والدليل على هذا القول أن الهمداني نفسه يذكر سراة الحجر في أثناء ذهابه من الجنوب إلى الشمال ، ثم يذكر السروات التالية لبلاد الحجر نحو الشمال ، قائلاً (وسراة الأزد ، وبنو القرن ، وبنو خالد ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد ، ثم سراة الخال لشكر ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد بن عمران) ، وبهذا الوصف يذكر سراة الحجر من الجنوب ، وخثعم من الشرق، وبنو القرن (الذين يطلق عليهم في وقتنا الحالي بلقرن) في الوسط ، وربما إلى الشمال مع بعض عشائر خثعم ، ثم يلي ذلك بقية السروات السابقة الذكر ، كغامد ، وزهران ، وبجيلة وغيرها . وبهذا العرض الجغرافي يتضح أن ناه ، وبنو خالد ، والخال لشكر ، كانت ربما مجاورة لبلاد الحجر من الشمال ، ومن المحتمل أن تكون مشاركة لها في بعض المواطن الشمالية ، أما بلاد بلقرن فمن المؤكد أنها مجاورة لهم ، بل ومشاركة لهم في كثير من المواطن ، لأننا نجد الهمداني في الوصف السابق يذكر ناه ثم بنو القرن (بلقرن) ، ثم بنو خالد ، والخال لشكر ، ثم غامد وزهران حتى يصل بلاد الطائف . وسر اختفاء ناه والخال لشكر وبنو خالد ، ربما أنهم اندمجوا مع قبائل السراة المجاورة ، كسراة بلقرن ، أو بلاد الحجر ، أو خثعم ، فصاروا جزءاً منهم[١] .

وقد تناول الشيخ حمد الجاسر سكان السروات (سروات الحجاز) على قسمين :(أ) الأمم القديمة : ثمود ، الأنباط ، العماليق ، ثابر ، عبد ضخم .(ب) القبائل الحديثة : ألمع، بارق، باه ، بجيلة ، البقوم ، ثقيف ، ثمالة ، جنب ، حاء ، بلحارث ، الحال ، الحجر ، حوالة، بنو خالد ، خثعم ، دوس ، زهران ، سلامان ، سنحان ، شبابة ، شكر ، شمران ، بنو شهر ،شهران ، عبيدة ، عدوان ، بنو عمرو ، علي بن عثمان ، ، عَنْز ، غامد ، فهم ، بنو القرن ، لهب ، النمر ، وادعة ، هوازن[٢] . ولعل في كلام الدكتور غيثان بن جريس - الذي مر معنا سابقاً - بعض الإضافات على حديث الجاسر ، بالنسبة للوضع

---

(١) انظر: غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، ج١ ، ص١٣٧. (ابن معبِّر) إن هذه السروات الممتدة من نجران في الجنوب إلى الطائف في الحجاز تستحق من جامعاتها المحلية بذل الجهود الكبيرة لحفظ تاريخها وتراثها وحضارتها. والباحث في كتب التراث المبكر يجد أن هذه الأوطان غنية بموروثاتها الحضاري. ومازلنا نأمل ونرجو من المؤسسات المعنية بالآثار والرسومات الصخرية أن تبذل جهوداً جيدة في دراسة هذا الموروث التاريخي المهم . كما لا نعفي الأغنياء وأصحاب الاموال في مناطق الجنوب من تبني بعض الكراسي أو المراكز البحثية التي تخدم أرض وإنسان هذه البلاد العربية العريقة .(ابن جريس).

(٢) في سراة غامد وزهران ، ص ٤٠٤. (ابن معبِّر) .

المعاصـر للقبائل مـن سكان السروات . وبذلك تتضح الصورة عـن السروات ، ويعطينا ذلـك مفهوماً أوسع وأشمل عن البلاد وسكانها . ثم يقول محمود شاكر في نهاية المقطع الأول :(وتحالفت بعض البطون ... حتى ... كقبيلة عسير التي أعطت المنطقة اسمها) .قلـت: نَعْتُه لقبيلة عسير بـ (المتحالفة) يخالف الواقع القديم والحديث لقبيلة عسير ، فهي لا تمثل حلفاً مع غيرها ، إذ تحمل اسم (عسير) كقبيلة مستقلة من فروع (عَنْز بن وائل) وقبيلة عَنْز قبيلة مستقلة – أيضاً – منذ العهد الجاهلي حتى العصر الحديث ، حيث كانت فروعها (عسير ، وأراشة ، ورُفَيْدة) تحمل هذا الانتماء العَنْزي [١]

وفي المقطـع الثـاني : يقول محمود شاكر : (وهنا لا يهمنا كثيراً أأنتسب عسير إلى قحطـان أم عدنـان ... حتى ... ولهـذا انتسبوا إلى الأزد) . قلت : لقـد مَرّ معنا سابقاً – في المقطع الأول – تحديد السروات وسكانها، وتبين لنا أن عسيراً غير الأزد ، ولكل منهمـا استقلاله عـن الآخر ، ولا يمنع ذلك من بعض التداخـل والتمازج ، ولا سيما مع تلاصـق حدود سـراة الحَجْر (الأزدية) مع سـراة عَنْز بن وائل من جهـة قبيلة عسير المتاخمة لسراة الحَجْر [٢] وهذا يدفع حكم محمود شاكر الذي قال فيه بانتساب عسير إلى الأزد . **أمـا المقطـع الثالث** : فقد أسنده إلى الشيخ عبد الرحمن الحاقان ، ولكنه لم يحـدد نهاية كلام الحاقان ، مما يؤدي إلى جهلنا عـن مصدر المقاطع التالية ، هل هي مـن كلام الحاقـان أم غيره ؟ وورد في هذا المقطع (من بني نمار بن نزار) والصواب : أنمار .**وقال في المقطع الرابع** : (رُفَيْدة بن أراشة) وأراشة ليست من رُفيدة ، فرفيدة وأراشـة تعـودان. سويّـاً. إلى عَنْز ، فلا يُعدّ رُفيدة ابناً أو نسـلاً من أراشة . **وتحدث في المقطـع الخامس** : عن رجال ألمع ، وتعـداده للقبائل العشر لا غُبَار عليه ، وكذلك حكمه بقحطانيتها . إلاّ أنه يقول (ويذكر بعض المؤرخين) وقوله (يزعم بعضهم) .وكل ذلك دون سند ، فمن هم بعض المؤرخين ؟ ومَنْ هم أصحاب هذا الزَّعم ؟[٣] .

---

(١) سراة عَنْز بن وائل ، محمد معبِّر ، ص٣٧. (ابن معبِّر).

(٢) الـذي أعتقـده أن التداخـل كبيراً بين قبائل عسـير الرئيسية وغيرهـا ، وفيما يبدو أن بعضاً مـن عشائر الأزد وغيرها اختلطت مع قبائل عنز بن وائل من قديم الزمان .(ابن جريس).

(٣) أقول أن قبائل عَنْز بن وائل ، أو رفيدة أو رجال ألمع مازالت تحتاج إلى بحوث عميقة تعتمد على مصادر رئيسية توضـح بعض الغموض واللبس الـذي جعل الباحثين يختلفـون في أنساب وأمكنة وهجرات هـذه القبائل. (ابن جريس).

٢ـ قبيلة عسير:

قـال محمـود شاكر :(قبيلة عسـير حلف من القبائل ذات الأصـول المختلفة ولكن كثرتهـا من أزد السراة فيهـا عناصر من قحطان وشهران وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى رابطـة الجوار وضرورات الاختلاط الناشئ عن الغلبـة والسلطان والمصاهرة والولاء ، وإن إرجـاع أنساب القبائل العربيـة المعاصرة إلى أصولها أمر هـو من الصعوبة بمكان عظيم نظراً للاختلاط الذي حصل خلال الزمن الطويل في ((الجزيرة العربية)) أن قبيلة عسير يمانية تنـزرت) [١] .وقد نقل هذا المقطع بتصرف يسير من كتاب (في بلاد عسير) لفؤاد حمزة ، ولم يسنده إليه .ومن الأولى ـ وقد جعل عنوان هذا الفصل : قبيلة عسير ـ أن يقصر كلامه على قبيلة عسير ، فلا يدخل معها (قحطان وشهران) . أما قوله (قبيلـة عسـير حلف من القبائل ...) فهو مجرد سياق كلام بـدأ به الحديث عن قبيلة عسـير . فعسـير : قبيلة مستقلة ذات أصول معروفة تعود إلى القبيلة الأم عَنْز بن وائل ، وهـي تعيشـ في مواضعها منذ العصر الجاهلي حتى اليوم[٢] ، في إطار (سراة عَنْز ابن وائل) ، وهو ما ذكرته الكثير من المصادر التاريخية[٣]. أما الأزد فقبيلة ذات فروع منها (غامد ، وزهران ، ورجال الحجر ، وبارق ، ورجال ألمع) ، ولم ترد لهم أي صلة بسراة عَنْـز بن وائل ، أو بلاد قبيلة عسير إلاّ في زمن متأخر ، من خلال بعض الكتب التي خلت مـن المصداقية[٤]. وربما اعتمد البعض على عنوان كتبه الشيخ حمد الجاسر في مجلته (العـرب) سنـة (١٣٩١هـ) بعنـوان: (جُرَش قاعـدة الأزد) ، وكأنَّ الجاسر ربط بين فتـح جُرَش على يـد صُرَد بن عبـد الله الأزدي (رضي الله عنه) وقومـه من الأزد[٥].

---

(١) ص٥٤. (ابن معبِّر). ما ذكر محمود شاكر من الاختلاط والتداخل بين العشائر وضع صحيح ، بل هذا ما جرى مع كثير من قبائل الجزيرة العربية .(ابن جريس).

(٢) هـذا القـول فيه تعميم ، وقولـك تعيش في موضوعها منذ العصـر الجاهلي يحتاج إلى براهـين قوية تؤيد هذا الرأي، بل إن المصادر التراثية التي تحدثت في هذه تحتاج إلى دراسة وتحليل وغربلة في معلوماتها ، وكذلك ما ذكرته عن قبيلة عنز وغيرها .(ابن جريس).

(٣) سراة عَنْز بن وائل ، محمد أحمد معبِّر ، وفيه أغلب ما ذكرته تلك المصادر التاريخية .(ابن معبِّر) .

(٤) يجـب أن لا تجـزم بهذا القول ، فربمـا هناك مصادر ناقشت هذه الجزئية لكنهـا لم تصلنا بعد. وقولك أنه لم يكـن بـين هذه القبائل صلة فهذا قول ينقصه الدليل ، والسبب أن هذه القبائل المتجاورة في الأرض ، ومن المؤكد تداخـل بعض المصالح الاقتصاديـة والسياسية والعسكرية ، وتقول أنه لم يكن بينها صلات ، فهذا كلام لا يعقل .(ابن جريس).

(٥) هـذا أنـت تـورد اسم صـرد الأزدي ، وكتـب السـيرة والتراجم وغيرهـا تذكر صـرد عندما فتح بـلاد جرش وسـير أمـور الدولة الإسلامية في جرشـ وما حولها ، وبلاد عسـير الرئيسية كانت جزءاً مـن مخلاف جُرش . (ابن جريس).

بينمـا نجـد أغلب المصادر ـ إن لم يكـن كلّها ـ لم تذكر الأزد كسـكان لمدينة جُرَش ، أما إذا قصدنـا المخلاف فنعم .فياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) قـال عن سبب تسمية جُرَش :(بـأن تبّعاً أسعد بن كُليكَرُب خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان بجُرَش، وهي إذْ ذاك خربـة ، ومعـدّ حالةٌ حواليها فخلف بها جمعاً ممن كان صحبـه رأى فيهم ضعفاً ، وقال : اجرشـوا ههنا أي البثوا ، فسميـت جُرَش بذلك) [١] .فلم يذكر الأزد ، وزاد على ذلك قولـه (وهي إذْ ذاك خربة ، ومعـد حالة حواليها) . وكذلك الزبيدي[٢]، وابن حزم[٣]، والوزيـر المغربي[٤]، وابن حجـر[٥]، وابن حبيب[٦]، والمـبرد[٧]، وغيرهم قد ذكروا أن قبيلة حمْيَر من أوائل من سكن مدينة جُرَش ، ولم يرد للأزد أي ذكر عندهم . ولم نجد الأزد إلاّ في الـكلام عن الفتـح الإسلامي لمدينة جُرَش ، حيث قدم وفد الأزد إلى المدينة وعلـى رأسهـم صُرد بن عبد الله الأزدي ، فأمَّرَه الرسـول ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمَـرَه أن يجاهـد بمن أسلم على مـن كان يليه من أهل الشـرك ، فانطلق صرد حتى حاصـر مدينة جُرَشـ ، وبقية القصة معروفـة[٨]. ومما يدل على أن حمـيراً كانوا من سكان(جُرَش) قول رجل من الأزد كان مع صرد:

يـا غـزوة مـا غـزونـا غـير خائبـة ... فيها البغال وفيها الخيل والحُمر

حتى أتيـنـا حُـمَـيْراً في مصانعها ... وجمع خثعم قد شاعت لها النُّذُر

لأن خثعم ضوت إلى داخل جُرَش[٩] . وفي القرن الثاني للهجرة نزح أحمد بن يزيد العوسجـي من صعدة إلى بلاد عَنْـز بن وائل، ونزل في تندحة ، وقامت الحرب مع قبيلة

---

(١) معجم البلدان (جرش) . (ابن معبِّر) .

(٢) تاج العروس مادة (جُرَش) . (ابن معبِّر) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٧٨ .(ابن معبِّر) .

(٤) الإيناس في علم الأنساب ، ص ١٠٢. (ابن معبِّر) .

(٥) تبصير المنتبه ، ج١، ص ٢٤٨. (ابن معبِّر) .

(٦) مختلف القبائل ، ص ٣٤٣. (ابن معبِّر) .

(٧) الأزد قبيلـة عربيـة كبيرة انتشرت في أماكن كثـيرة داخل الجزيرة العربية وخارجهـا ، وليس من المعقول أن لا يكون في مدينة جرش بعض الأزديين ، وهذا الوالي الذي تولى إدارتها في عهد الرسول (ﷺ) من الأزد . (ابن جريس).

(٨) أنت يا محمد معبِّر تنفي ثم تثبت وجود الأزد في جرش ، فكيف هذا التناقض. (ابن جريس).

(٩) إن مدينـة جُرشـ وعموم مخلاف جرش كانت مسكونة بالعديد مـن العشائر والقبائل العربية ، والأزد من أكبر القبائـل التـي استوطنت هذه الأرض ، بل إن معظم سكان مخلاف جرش كانوا من القبائل اليمانية القحطانية. (ابن جريس).

عَنْز ، ودخل إلى جُرَش ، واستمر الوجود الحميري - الممثل في العواسج - مع قبيلة عَنْز في جُرَش حتى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين ، حيث أدّى الخلاف والصراع إلى نُزوح العواسج إلى وادي ابن هشبل وغيره. ولم يرد أي ذكر للأزد في هذا الصراع[١]. أما قوله : (وفيها عناصر من قحطان وشهران ...) فيخالف الواقع ؛ فقحطان أو شهران من القبائل المعروفة في نطاق منطقة عسير الإدارية - حالياً - وهما ذات تاريخ مستقل ومواضع معروفة منذ العهد الجاهلي حتى اليوم، ولا يمكن القول بدخولها في حلف مع عسير إلاّ بدليل[٢] . وفي قول محمود شاكر : (وإن إرجاع أنساب ... إلخ) بعض الحقيقة ، ولا سيما في زمن تأليفه لكتابه ، إذ لم تظهر حينذاك بعض الكتب التي أماطت بعض الغموض ، ولكن ذلك لا يُسَوِّغ القول بصعوبة إرجاع أنساب القبائل - بشكل عام - إلى أصولها [٣]. أمّا العبارة الشائعة التي أدرجها في آخر النص السابق وهي : (قبيلة عسير يمانية تَنَزَّرت) فهي عبارة لا يمكن اعتبارها دليلاً قاطعاً، على افتراض وجودها في محيط مكاني يماني ، مع وجود من ينتسب إلى نزار ، لأن هذا الافتراض لا يقوم به الدليل مع وجود بعض النزارية في هذا المحيط منذ العصر الجاهلي[٤]. ويمضي محمود شاكر في حديثه عن فروع قبيلة عسير مبتدءاً ببني مُغَيِّد ، فقال عن أفخاذهم : (١) آل ناجح : ومنهم آل يزيد ، وهم رؤوس عسير ، ويقولون : إنهم ينتمون إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي الثاني ، وقد قدموا إلى المنطقة بعد زوال دولة بني أمية في الشام وملاحقة بني العباس لهم ، وعندما وصلوا إلى المنطقة تحالفوا مع بني مغيد[٥] . ويذكر ابن كثير في كتابه: ((**البداية والنهاية**)) أنه كان ليزيد بن معاوية خمسة عشر ولداً ذكراً هم : معاوية ، وخالد وأبو سفيان ، وأمهم

---

(١) هذه الروايات التي أشرت إليها ذكرتها بعض المصادر الإسلامية المبكرة ، ولكنها لم تتحدث عن الأزد وصراعهم مع هذه القبائل ، وذلك لا يعني أنهم وغيرهم من القبائل اليمنية لم يكونوا موجودين في مدينة جرش وما حولها. (ابن جريس) .

(٢) يا محمد أنت تتكلم عن كل قبيلة على أنها مستقلة تماماً عن القبيلة الأخرى المجاورة ، وهذا كلام غير دقيق ، بل من المؤكد أنه كان هناك صلات يسودها الاتفاق أو الاختلاف وذلك بحكم الجوار في الأرض وأحياناً التحالفات القبلية .

(٣) هذا كلام صحيح ، لكن الحديث أيضاً عن أنساب القبائل في الأزمنة البعيدة الغابرة يسودها الكثير من الغموض وعدم الوضوح لندرة المصادر الموثوقة التي تفصل الحديث في هذا الباب .(ابن جريس) .

(٤) النزاريون موجودون في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسراة منذ عصور ما قبل الإسلام ، لكن السواد الأعظم من سكان السراة الممتدة من الطائف حتى حواضر اليمن من القبائل العربية اليمنية. (ابن جريس).

(٥) هذا الكلام أسهب فيه بعض الكتاب والباحثين المتأخرين ، لكن عندما نحتكم إلى مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة ، فإن حقيقة هذا القول غير مؤكدة ولا نجد أي برهان أو دليل يؤيد هذا الكلام. (ابن جريس).

أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعبد العزيز وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وعبد الله الأصغر ، وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد ، ويزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان وهؤلاء أمهاتهم أمهات أولاد .وله من البنات خمس هن : عاتكة ، ورملة ، وأم عبد الرحمن ، وأم يزيد ، وأم محمد . ويقول ابن كثير : وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب . [1] والواقع أن رأي ابن كثير غير مقبول إذ من المستبعد أن ينقرض نسل خمسة عشر ذكراً فلم ينجب أحدهم في حين كان يتزوج الواحد منهم عدة نساء، وإنما الذي يبدو صحيحاً أن قيام دولة بني العباس وملاحقة الأمويين ومنهم أبناء يزيد وأحفادهم قد جعلهم يغادرون المنطقة التي كانوا فيها وهي دمشق ويتجهون إلى مناطق نائية فلم يعد يعرف لهم أثر في منطقتهم التي نشأوا فيها وبخاصة أن هذا لم يحدث بعد مدة طويلة من أيام يزيد إذ دارت الدائرة على بني أمية ولم يمض على وفاة يزيد أكثر من ثمانية وستين عاماً فقد يكون بعض أبنائه لا يزالون أحياء ، وعندما وصلوا إلى مناطقهم الجديدة التي حلوا فيها لم يشتهر أمرهم فيها إذ لم يعرّفوا على أنفسهم خوفاً من بطش السلطة بهم وهي التي تدين بالولاء لخصومهم بني العباس، كما أن التاريخ لم يؤرخ ـ مع الأسف ـ إلا للأمراء والملوك فنسيهم عندما أعلنوا عن أنفسهم في وقت ضعفت سلطة بني العباس . وقد تكون أسر أخرى تنتمي إلى يزيد في جهات ثانية . ولهذا عندما قال ابن كثير بأنهم قد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب فهو صادق مع نفسه إذ لم يسمع حتى أيامه بأحد ينتمي إليه في منطقة دمشق أو بآخر طارت شهرته في منطقة ثانية[2] . وهم الذين يحملون رايات عسير في الحروب ، والراية قطعة من قماش خضراء ، طولها خمسة أذرع ، وعرضها ذراعان ، كتب عليها في الأعلى لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الأسفل نصر من الله وفتح قريب . (٢) آل عبد العزيز . (٣) آل وازع . (٤) آل مغيد الوطى ومنهم آل الشرف وآل يزيد الشعف الذين دخل معهم آخرون بالمصاهرة والحلف . ويعتبر بنو مغيد فيقولون عن أنفسهم مغيد الخطى) [3].

قلت : يخلو النص السابق من أي توثيق سوى قوله (يقولون) ولا ندري من هم

---

(١) ابن كثير من المصادر التاريخية المبكرة ، وهو هنا ينفي أن يكون ليزيد بن معاوية عقب ، والذين تحدثوا عن الإمارة اليزيدية في عسير يقولون أنهم يعودون إلى جدهم الأعلى الذي هو من سلالة يزيد بن معاوية. (ابن جريس).

(٢) تحليل معقول ومقبول . (ابن جريس) .

(٣) ص ٥٦ (ابن معبِّر) .

هــؤلاء الذيــن يقولــون ؟ . وهي معضلة تكتنــف الكتاب ، وهي عــدم التوثيق ، مما جعله أقرب إلى أحاديث الأسمار ، التي تدور في سلسلة من الأحداث والأعلام ، فيها الصحيح والسقيـم . ويحمـل النصـ ـ أيضـاً ـ إرهاصاً لما سيذكـره شاكر ـ لاحقـاً ـ عن عسير في العهـود الإسلاميــة ، ولا سيمـا في العهـد العباسـي . ونتفق مـع شاكـر في شكّه بصحة انقراضـ نسـل يزيد بن معاوية ، مـع إمكانية رحيل بعض نسل يزيـد إلى منطقة عسير ، ويأتـي الإشـكال في غموض تاريخ هذا النّسل في عسير ، فقـد أطبق التاريخ على عدم ذكرهـم خلال القـرون السابقة حتى ظهر كتـاب (إمتاع السامـر) ومجموعته ، بينما نجـد الأحداث التـي دارت في داخل منطقـة عسير ومحيطها خلال القـرون السابقة، وليسـ فيهـا أي إشـارة إلى دولـة أمويّـة ، وهذا مـا سيتـم تناوله لاحقاً تحـت عنوان: (بـلاد عسـير في العصور الإسلاميــة) [١]. وبعد أن انتهى من ذكر فـروع قبيلة عسير (مُغَيّـد ، وعلكـم ، وربيعـة ، ورُفَيْدة ، وبني مالك) قال محمـود شاكر : (ويتبع عسير عــدد من القبائل الصغـرى دون الأولى في المركز الاجتماعي وذلـك بسبب قوة الشوكة والشكيمة ، كما أنها هي تختلف فيما بينها ، كما لها فروع في المناطق الثانية وبين القبائل التـي تقيم في البقاع الأخرى من السراة كشهران وقحطـان ورجال الحجر ، وأهم هذه القبائل : (البلاحطة ، والفيوض ، والهتمان ، والكحلة ، والدواسر ، والعبيد ، والمحّاحة) [٢]. قلـت : لا يتوافـق نَعْته لها بالقبائل مع الواقع ، فهي من فئـات المجتمع . والمُسَمَّيَات التي أثبتها المؤلّف لا تدل ـ في الغالب ـ على عمود نسب يُرجَعُ إليه المُسَمَّى [٣] ، وبذلك لا تُنْعت هذه الفئات بمسمى القبائل.

٣ـ العادات الاجتماعية عند قبائل عسير:

الكثير مما أورده محمود شاكر تحت هذا العنوان نقله من كتاب (في ربوع عسير) لمحمد عمر رفيع ، ولم يذكر هذا الكتاب في حواشيه سوى مَرّة واحدة ، وأحال ذلك إلى صفحـة (٣٤) مـن في ربوع عسير، وهو قد نقل من صفحتـي (٣٥) و (٣٦) ، ولا يمكن

---

(١) هذا هو عين الحقيقة ، كيف تصمت المصادر الأولية عن هذه الإمارة اليزيدية خلال القرون الإسلامية المبكرة، إن ذلك غير معقول ، مع أن هذه المصادر ذكرت أحداث وأخبار محدودة عن بني أمية وغيرهم في أصقاع عديدة من العالم الإسلامي . (ابن جريس) .

(٢) ص ٥٩. (ابـن معبِّر) . هذه الفئات يجب أن تذكر في التاريخ وتدرسـ أحوالها الاجتماعية والاقتصادية تحت مظلة القبائل العربية ، أو ما ينالهم أحياناً من الظلم والإهانة من بعض شرائح المجتمع . (ابن جريس) .

(٣) نعم إنها من شرائح أو طبقات المجتمع وليست عشائر مستقلة . (ابن جريس) .

تفسير ذلك بأنه أشار إلى صفحة (٣٤) وما بعدها يتبعها ، فالنصوص المنقولة من صفحتي (٣٥) و (٣٦) جاءت بعد حاشيته التي أحال فيها إلى صفحة ٣٤ من كتاب (في ربوع عسير)[(١)].وليس عيباً أن ينقل ما ورد عند رفيع بتصرف أو دون تصرف ، إلاّ أن العيب في تجاهله وإهماله توثيق النصوص[(٢)]. ومما كتبه عن هذه العادات قوله : " من العادات الشائعة أن البنت لا تتزوج حتى تبلغ سن الخامسة والعشرين من عمرها لأن أهلها يريدون أن يستفيدوا منها في العمل في المزارع) [(٣)].

وهذا القول يخالف الحقيقة ، فقد كان سِنُّ الزواج يبدأ من سن الثالثة عشر للفتاة ، ومن النّادر أن تتجاوز الفتاة سنّ الثامنة عشر من سنّها دون زواج، وقد استمر ذلك حتى سنة (١٣٩٠هـ) تقريباً ، فقد أخذ في التناقص ، وارتبط ذلك مع تعليم البنات ، فأصبح مرتبطاً مع نهاية المرحلة المتوسطة والفتاة في الخامسة عشر، أو السادسة عشر ، ثم تلازم ذلك مع تخرجها في المرحلة الثانوية في سن الثامنة عشرة ، أو التاسعة عشرة ، ومع ظهور التعليم العالي للبنات امتد سنّ الزواج للفتاة إلى ما بعد العشرين[(٤)] . وقد قمت بدراسة في سجلات عقود أنكحة للشيخ محمد بن صالح الشهراني (ت١٤٠٣هـ) ، وقد أجرى (٧٢٢) عقد نكاح خلال المدة من (١٣٧٢/٥/١٢هـ حتى ١٤٠٣/٨/٢٠هـ) ، وانتخبت عَيِّنة عشوائية بلغت (٣١١) عقد نكاح، وجاءت نتيجة الدراسة فيما يخص سنّ الزواج للمرأة كالتالي: (١) من سنّ ١٠ حتى ١٢سنة (٨ حالات) .(٢) من سنّ ١٣ حتى ١٥ سنة (٦٢ حالة) . (٣) من سنّ ١٦ حتى ٢٠ سنة (٦١ حالة) .(٤)من سنّ ٢١ حتى ٣٠ سنة (٢٣ حالة) . (٥)من سنّ ٣١ حتى ٤٠ سنة (٤ حالات). (٦)من سنّ ٤١ حتى ٥٠ سنة (حالتان) [(٥)]. ويتضح من ذلك أن سنّ الزواج في سنّ العشرين وما قبلها أكثر بكثير من غير ذلك . وكانت هذه العقود ضمن نطاق جغرافي يشمل مدينة أبها، ومدينة خميس مشيط ، والشعف من جنوب مدينة أبها حتى تمنية، ومدينة أحد رُفَيْدة، والواديين. وقال شاكر عن المرأة: (لا تحتجب المرأة في عسير أي لا تغطي

(١) إن محمود شاكر وقبله محمد عمر رفيع ، وفؤاد حمزة ، وفلبي وغيرهم حفظوا لنا الكثير من تاريخ وحضارة آبائنا وأجدادنا ، فشكر الله لهم ، حتى وإن وقعوا في بعض الأخطاء أو أوردوا بعض الأخبار المغلوطة.(ابن جريس) .

(٢) هذا هو الكلام الصحيح والمنهج العلمي الذي يجب على الباحث النزيه اتباعه . (ابن جريس) .

(٣) ص ٦٣. (ابن معبِّر) .

(٤) تاريخ الزواج في بلاد السراة من الموضوعات التي لم تدرس بشكل دقيق ومطول ، ونأمل أن نرى باحثين جادين أو طلاب الدراسات العليا فيتولون هذا الموضوع بالدراسات العلمية الموثقة . (ابن جريس).

(٥) محمد بن صالح الشهراني (مدرس المسقي في رحاب المجتمع) ، محمد بن أحمد معبِّر) ، ص٢٥٧. (ابن معبِّر).

وجهها ، وإنما لباس الحشمة هو الشائع بين النساء جميعاً ، وهن يعملن مع الرجال في الحقول وهذا شأن أكثر المناطق الزراعية وبخاصة وقت الحصاد وجني المحصول ... وتعمل المرأة مع الرجل في شؤونه كلها إضافة إلى عملها الخاص الموكلة به وهو تدبير المنزل ، وفي جلب الماء وإحضار الحطب، وقلما تعمل المرأة في الخياطة إذ أن هذه المهنة من اختصاص الرجل) [١] . في هذا النص تعميم لما ورد فيه ، وهذا يعطي تَصوّراً عاماً لحجاب المرأة وعملها في منطقة عسير ، وليس هذا ممّا يَسْري على كُلِّ النساء [٢] . نتفق في عدم تغطية الوجه بشكل كامل ، إلاّ أنّ اللِّثَام يحلّ مَحلّ التغطية، فالمرأة تُدّني على وجهها بجزء من غطاء الرأس ، ويكون ذلك على الأنف ، أو على الفم، ولا سيما إذا كانت في مجتمع من الرجال من غير أسرتها[٣] . أما إطلاق عملها مع الرجال في الحقول أو في جميع الشؤون، فهذا من التعميم ، فالمرأة لا تُشارك الرجل في أعمال الزراعة إلاّ في نطاق محدود ، ولا سيما في حال قلّة الرجال ، أو لعدم وجود أقارب لها ، فهي تُشَارك في البذَار، أو الحصاد ، وبعض الأعمال الزراعية الجانبية، أما الحراثة ، وجلب الماء لريّ المزارع ، والإشراف اليومي على أعمال الزراعة فمن اختصاص الرَّجُل إلاّ في بعض الحالات النّادرة[٤]. وكذلك الشؤون الأخرى المختصة بالرجل ، مثل : جلب الحجارة والأخشاب للبناء ، وعملية البناء [٥]، ورعي الماشية في الأماكن البعيدة عن القرية، وحفر الآبار، ونحو ذلك ، فإن مشاركة المرأة في الأعمال السابقة من الحالات النادرة .وفي المقابل تقوم المرأة بعدة أعمال خارج المنزل، ومنها:

---

(١) ص ٦٦. (ابن معبِّر) .

(٢) يا محمد أنا أتفق مع محمود شاكر فيما قال فلقد عاصرنا حياة الكثير من سكان منطقة عسير منذ الثمانينيات إلى نهاية التسعينيات ومعظمهم يعيشون الحياة التي ذكرها في النصوص المذكورة أعلاه . (ابن جريس) .

(٣) حياة الناس في الماضي شاقة ، من رعي وزراعة وجلب الحطب والحشائش ، ومن ثم كانوا جميعاً النساء والرجال في شغل شاغل ، بل إن حياتهم كانت بسيطة في اللباس والزينة والطعام والشراب وغيرها. وللأسف إن بعض المغرضين يقولون أن النساء في الجنوب كن لا يحتجبن ، ونقول إنهم كانوا حريصين على تغطية كامل الجسد والرأس ماعدا الوجه والكفين ، والذي جعلهم يفعلون ذلك هو صعوبة الأعمال التي يمارسونها خارج البيت ، وعندما عم الخير في البلاد وعرف النساء أن تغطية الوجه ضرورة شرعية إذا خشيت الفتنة بعد ذلك أصبحن جميعهن يلبسن حجاباً كاملاً على سائر الجسد . (ابن جريس) .

(٤) هذا كلام غير صحيح، فلقد عشنا في محافظة النماص منذ بداية الثمانينيات وكان أفراد الأسرة رجالاً ونساءً بل جميع سكان القرية والقرى يعملون جميعاً في جميع المهن الرئيسية مثل الزراعة ، والرعي، وجمع الحطب وغيرها من الأعمال الضرورية التي يقتاتون من خلالها . (ابن جريس) .

(٥) هذه الأعمال الشاقة كانت من اختصاص الرجال ، والنساء يساعدن في الأعمال المساندة لهذه المهن مثل جلب الماء من الآبار ، وطهي الطعام للقائمين بهذه الأعمال وغيرها . (ابن جريس) .

جلب الماء للشرب، والاستعمالات المنزلية ،الاحتطاب ، رعي الماشية في الأماكن القريبة من القرية ، مع صحبة من بنات جنسها في الغالب . المشاركة في الحصاد . عملية حصاد البرسيم . قيامها بتوصيل الطعام للرجال في أماكن عملهم . ويضاف إلى ذلك الأعمال داخل المنزل ، ومنها : رعاية الأولاد . حَلب وتغذية الماشية . أعمال إعداد الطعام . صيانة المنزل من كنس ونحوه . تزيين المنزل من الداخل بما يسمى (القَطّ) أو الخطوط . بعض أعمال البناء داخل المنزل[1] . وعن لباس الرأس للرجل قال شاكر: (كان الرجل حاسر الرأس أما الآن فقد أصبح يضع على رأسه الغترة) [2]. قلت : كان يلبس العمامة، أو أي قماش يلفه على رأسه ، وفي بعض جهات منطقة عسير ، ولا سيما التهامية فإنّ الرجل يضع على رأسه إطاراً من النباتات كالريحان ونحوه، ويسمى هذا الإطار: غرارة. وقال شاكر في قلب أل التعريف إلى (أم): (يقلبون الألمعي إلى اممعي) [3]. والصواب: امّلْمَعِي ، أو مَلْمَعِي .

٤- رجال الحَجْر:

أدرج محمود شاكر (بالقرن) ضمن قبائل رجال الحَجْر [4].وهذا خطأ، فقبائل رجال الحَجْر تتكون من : بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو[5].

٥- شَهْرَان:

قال محمود شاكر :" شهران قبيلة كبيرة ولهذا تسمى العريضة ، وهي تسكن وادي بيشة وفروعه عدا بعض أعاليه حيث تقيم فيها قبيلة رفيدة من قحطان . كما توجد في مجراه الأسفل بعض فروع من قبائل خثعم وأكلب وبلحارث وبالقرن وشمران. وكذلك فإن هذه القبيلة تملك منطقة وادي المسيرق الذي يتألف من اجتماع أودية السليل وخيبر والشيق . ويسكن بعض شهران قسماً من منطقة الشعف تسمى شعف شهران وفيها عدة

---

(١) هذه فعلاً من أعمال المرأة الرئيسية بل إنها كانت مساندة للرجل في كل أعماله ، فهي عضو رئيسي وفاعل في المجتمع . (ابن جريس) .

(٢) ص ٦٨ . (ابن معبِّر) .

(٣) ص ٧٠ . (ابن معبِّر) . وأقول إن دراسة تاريخ اللباس والزينة ، وكذلك اللهجات في منطقة عسير وغيرها من مناطق الجنوب السعودي من الموضوعات المهمة التي يجب دراستها ، وهذه مسؤوليات أقسام التاريخ واللغة العربية في جامعات الباحة وبيشة والملك خالد ، وجازان ، ونجران فتدرس هذه الموضوعات دراسات علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٤) ص ١٠٠ . (ابن معبِّر) .

(٥) وهذه القبائل تستحق من يدرس أنسابها وتاريخها في الجاهلية وعبر عصور الإسلام المختلفة ، وهي تستوطن في وسط السروات الممتدة من الطائف إلى نجران . (ابن معبِّر) .

قـرى منها القرعـاء ، ومسقي ، وتمنية ، وبني جابرة ، وآل سرحـان ، وآل القارية ، وآل ينفـع وكذلك يقيـم أفرادها في سيل القـاع أحد روافد وادي تثليـث . والقبيلة من أصل قحطـاني عدا إراشـة فإنهم ينحدرون من عَنْـز أي من القبائل العدنانيـة) [١]. قلت : قبيلة رفيدة من عَنْز بن وائل منذ العهد الجاهلي حتى اليوم[٢] .

أما قوله : (ويسكن بعض شهران قسماً من منطقة الشعف تسمى شعف شهران...) فتعوزه الدّقة ، لأن الشعف لا يسكنه بعض شهران ، بل أراشة وبعض رفيدة ، وإنما حصل بعد سنة (١٣٤٠هـ) بعض الملابسات في تبعية مشيخة (أراشة) لشهران ، فدارت كلمة (شعـف شهران) في نطاق محدود ، وقـد تناولت ذلك في بحث بعنوان :(قبيلة شهران وسراة عَنْز بن وائل) [٣]. وقد عاد محمود شاكر إلى الصواب بقوله (عدا شعف أراشة فإنهم ينحدرون من عَنْز) .

٦ـ قَحْطَان :

خلط محمود شاكر في هذا الفصل ، فضمّ رُفيدة إلى عبيدة[٤]. ثم عاد فذكر بعض فـروع رُفَيـدة مثل (الحاف ، وذُعـي ، وقيس ، وجارمة ، وخطّـاب) [٥].ثم أخرج وقشة وآل الشـواط مـن رُفَيدة [٦] ، وأهمل : آل الجحل، وآل مستنير . ولكنه أثبت الصواب في انتماء رفيدة إلى عَنْز بن وائل [٧] .

---

(١) صـ١٠٢ . (ابـن معبِّر) . قبيلة شهـران أو بلاد شهران لم تخدم بحثياً ونأمل من جامعتي بيشة والملك خالد أن تشجع طلابها وأساتذتها لدراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد الجنوبية السعودية المهمة . (ابن جريس) .

(٢) سـراة عَنْـز بن وائل ، محمد معبِّر ، ص٤٤ . (ابن معـبِّر) . أصبحت بلاد أحد رفيدة اليوم مختلطة مع غيرها من القبائل ونأمل منك يا ابن معبِّر أن تخصص دراسة مستقلة لهذه العشيرة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر ، وإن فعلت ذلك فسوف تخدمنا جميعاً يا معاشر الباحثين والدارسين . (ابن جريس) .

(٣) كثـير من قـرى وفخوذ قبيلة شهران مازالـوا يستوطنون هذا الشعف ، بل إنهم يعيشـون في أفضل وأهم أجزاء هـذا الشعف . وأقول أن قبيلة شهـران العريضة تحتاج إلى دراسة أو دراسات عديدة توضح أصولها ، ومواطنها وتاريخهـا السياسي والعسكري والحضـاري منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يتولى هذا الموضوع بالبحث والتحليل . (ابن جريس) .

(٤) ص ١٠٦ . (ابن معبِّر) .

(٥) ص ١٠٧ . (ابن معبِّر) .

(٦) ص ١٠٧ . (ابن معبِّر) .

(٧) محمـود شاكـر معذور في هذا الخلط لأنه من يتجول في أرجاء بلاد قحطـان اليوم يجد تداخل مواطن العشائر بعضهـا في بعضـ ، وليس هذا الأمر محصوراً في قحطان ، ولكن هذه المشكلة وجدتها عند كثير من قبائل تهامة والسـراة ، وبعض قبائل الحجاز ونجد والشمـال . والسبب أن هذه القبائل تتداخل وتتصاهر وتتحارب وتتجاور مـع بعضهـا البعض منذ العصر الجاهلي وعبر عصور التاريخ الإسلامـي ، ولهذا فإن اختلاط الأرض والسكان بعضها مع بعض في كثير من المواطن شيء طبيعي بحكم التعايش والجوار . وأقول إن قبائل قحطان الأخرى غير

٧ـ بلاد عسير في العصور الإسلامية:

يمثل هـذا الفصل توطئة لإثبـات دولة في عسير حكامها من نسـل بني أمية، ففي وثبات سريعة منذ فتح مدينة جُرش وتولية صرد بن عبد الله الأزدي (رضي الله عنه) عليهـا ، وبضعة أسطر عن عهـد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) حتى يقفز إلى العصـر العباسـي دون ذكر للدولة الأموية في دمشق . وبدأ المؤلف الفصل بقوله : (كان لقبائل عسير في الجاهلية مركز كبير بين القبائل العربية ، وقوة يخشى بأسها وبخاصة في وقـت كانت قيمة القبائل بقوتها ومركزها بعدد أفرادها، وقد أضافت مناعة بلادها زيادة إلى جانبها المرهوب ، فقد وضعت الأزد أتاوة على عير قريش المنطلقة نحو اليمن في رحلتها الموسمية في فصل الشتاء) [١]. وهذا نص فضفاض ربط فيه بين عسير والأزد ، ولاخلاف إذا كان المقصود منطقة عسير بحدودها الإدارية لهذا العصر الذي نعيشه ، أما إذا كان المقصود بذلك قبيلة عسير وموطنها سراة عَنْز بن وائل ، فهذا مما لا نتفق عليه ، إذ لا وجود للأزد في سراة عَنْز، فالأزد في سراة الحَجْر إلى الشمال من سراة عَنْز ، وهـو ما اتفق عليـه الكثير من الجغرافيين والمؤرخين[٢].ثم يحـدد المؤلف موقع مدينة جُرَش وأنها تقع (في سفح جبل شكر من جهته الغربية ، وعند هذا الجبل وقعت الموقعة التـي تمكن صرد من خلالهـا الاستيلاء على جرش) [٣]. وهـو يقصد جبل (حمومة) الـذي يقـع في شرق جُرَش . وجبل شَكَر غير جبل حمومـة ، وقد تحدثتُ عن الجبلين في كتابـي (مدينـة جرش من المراكـز الحضارية القديمة) [٤]، ثم كتبـت نقداً لما كتبته ، ونشرتـه في كتابي (قصة البحث عن جُرَش) [٥]. فَقُلْت :**جَبَلا حَمُومَة وشَكَر:** يمثل

رفيـدة مازالت بحاجة إلى دراسات تاريخية واجتماعية واقتصادية ، وسياسية وعسكرية ، وهذه من مسؤوليات الباحثين والمؤرخين الذين ينتمون إلى هذه القبائل ، وكذلك إلى الباحثين الجادين من أبناء بلدان تهامة والسراة . (ابن جريس).

(١) ص ١١٣. (ابن معبِّر) . مازلنا نجهل الكثير من تاريخ بلاد عسير في الجاهلية ، ونأمل من الآثاريين أن يبذلوا جهوداً في هذا الباب ، لعلهم يطلعون على شيء من تاريخها في ذلك الزمن القديم . (ابن جريس).

(٢) سـراة عَنْـز بن وائل، محمد معبِّر ، ص ٤٠ . وانظر المبحث السابق بعنوان (قبيلة عسير) . (ابن معبِّر). هذا الـذي تنافـح عنه يا ابن معبِّر ، لكن بعض الأزديين كانوا يعيشون في هذه البلاد أيضاً ، صحيح أن جل تركيزهم في أزد السـراة مـن قبائل بللحمر إلى زهـران ، وأقول إن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أعمق ويجب أن لا يكون قولك جازماً . (ابن جريس) .

(٣) ص ١١٧ . (ابن معبِّر) .

(٤) طبع سنة (١٤٠٨هـ) . (ابن معبِّر) .

(٥) طبع سنة (١٤٣٤هـ) . (ابن معبِّر) .

هـذا العنوان المبحث الثالث من الفصل الأول ضمـن كتابي: (مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة) وفيما يلي أسوق النص الكامل لهذا المبحث : في كتاب صفة جزيرة العرب[١]. ذكر جبل حمومة أنه يقع شرقي جُرَش وبينهما مسيل ، وهذا المسيل هو وادي بيشـة . وذكـر ابن هشـام في خبر وفد صُرد بن عبـد الله الأزدي (رضي الله عنـه) أن أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأي بلاد الله شَكَر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جُرَش ، فقـال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر[٢]. ويقول هاشـم بن سعيد النعمي[٣]. إنّ جبل حمومة هو جبل شكر . وأوردت حوليّة الآثار العربية السعودية (أطلال) ما نصه : (وعلـى بُعْد (٣/٤كـم) تقريباً إلى الشرق من جُرَش ، هنـاك موقع جبل حمومة الذي عثرنا فوقه على ستة نقوش كتابية على الأقل يوجد معظمها بالقرب من قمة الجبل ، التي وجدنا فوقها بقايا أساسات لمبنى صغير مساحته (١٠×١٥) متراً ، ومشيد من جلاميد ضخمـة ملئت الفراغات فيما بينها بالدبش[٤]، ويوضح المخطط وجود ثلاث غرف على الأقـل ممتدة بالطول ، بينمـا يتناثر حوله كمية كبيرة من الفخار البني اللون) [٥]. ولنا وقفـة مـع هذه النصوص من حيـث تسمية جبل حمومة بشكر هي : أننـا نعلم أن جُرَش اشتهـرت بصناعة المنجنيق والعرّادات وغيرها من وسائل الحرب ، إضافة إلى أن جبل حمومة يقع على بعد (٧٠٠) متر تقريباً إلى الشرق من جُرَش ، ونعلم ـ أيضاً ـ أن طريق جُرَش إلى المدينة المنورة يتجه إلى الشمـال الغربي من جُرَش. وفي خبر صرد ابن عبد

---

(١) الهمداني ، ص ٢٥٦ . (ابن معبِّر) . هناك نصوص كثيرة وردت في بعض كتب التراث عن موطن جرش وبعض جبالهـا وسكانهـا وشيء من تاريخهـا . لكننا مازلنا نتطلع إلى أقـوال وأبحاث الآثاريين المعمقـة والدقيقة التي تفصـل الحديـث في كثير مـن القضايا التي حولها خلاف في هـذا البلاد ، وهذا نحن ننـادي في أقسام وكليات الآثـار والهيئـة العليا للسياحة علـى أن يبذلوا قصارى جهودهم في هذا الباب حتـى نطلع على التاريخ الحقيقي لهذه المدينة (جرش) الحضارية . نعم هناك بعض الدراسات الأثرية المحدودة لكنها حتى الآن لم تحل المشكل الذي يدور حول بعض الجوانب التاريخية التي حدثت في هذه البلاد الجرشية الجنوبية .(ابن جريس) .

(٢) السيرة النبوية ، ج٤ ، ص ١٧٣ . (ابن معبِّر) .

(٣) تاريخ عسير ، ص١٣ . (ابن معبِّر) .

(٤) صغار الحجارة المخلوطة بالحصى . (ابن معبِّر) .

(٥) العدد الخامس ، (١٤٠١هـ) ، ص٢٦ . (ابن معبِّر) . هذه الأقوال التي نشرتها حولية أطلال ، لكن هل فصلت الحديث عن العصر الذي تعود إليه هذه النقوش ؟ وهل هذه الآثار التي أشارت إليها المجلة في العصر الجاهلي أم الإسلامـي ؟ إننـا نريـد أن نعرف شيئاً مـن التاريخ الحقيقي لمدينـة جرش في الصور القديمـة والإسلامية المبكرة. (ابن جريس) .

الله الأزدي أثناء غزوه لأهل جُرَش أنه رجع عنهم قافلاً حتى وصل جبل شكر ، فخرج أهل جُرَش في طلبه . وبهذا نحدد هذه المناقشة بعدة نقاط هي : **أولاً :** أن المسافة بين جُرَش وجبل حمومة لا تعطي التصور لأهل جُرَش أنّه انسحب عنهم لعدة أسباب منها : (أ) قرب الجبل منهم مما يمكنهم من إصابة سفحه بالمنجنيق والعرّادات . (ب) أنّه في غير اتجاه الطريق الصحيح فكيف تجوز هذه الخدعة . (ج) هذه المسافة لا تصلح لجولات الخيل وانطلاق الرجال لوقوع الوادي بينهما ، وعدم استواء الأرض. **ثانياً :** تملّك أهل جُرَش للأسلحة المتطورة في وقتهم يجعل جبل حمومة في مجال قذائفهم . كما أنّه يمثل موقعاً مهماً للمحاصرين من أصحاب صُرد[1] . **ثالثاً :** لو نظرنا إلى موقع جبل (شَكَر) الذي يقع شمال جبل ضمك الشامخ القمة لكان لدينا من الأسباب والأدلة ما يمكن أن يقال : إنّه جبل شكر وهي : (أ) وقوعه تقريباً في اتجاه الطريق الصحيح للعودة من جُرَش إلى المدينة المنورة. (ب) يعطي التصور الصحيح لعملية الانسحاب التي قام بها صرد ، فهناك من البعد بينه وبين جُرَش ما يؤيد هذا التصور. (ج) استواء الأرض حوله مما يمكّن الخيل والرجال من الكرِّ والفرِّ. (د) وجود التحصينات الطبيعية التي ساعدت على اختباء جيش صرد. **رابعاً :** إجماع الكثير من رجال المنطقة العقلاء وكبار السن على أن جبل (شَكَر) هو الجبل الذي يقع شمال جبل(ضَمَكَ) . **خامساً :** يعتبر جبل (ضمك) وجبل (حمومة) من الجبال المكشوفة التي لا تصلح لاختباء أفراد الجيش ، أما جبل (شكر) فإنّ الذي يراه عن قرب يرى مدى أهمية المواقع العسكرية التي مَكّنت جيش صُرد من الاختباء ثم الظهور بسرعة والاشتباك مع أهل جُرَش[2] . أمّا اعتماد الشيخ هاشم النعمي على أن السيل فَصَلَ بين الجيشين واتخاذه دليلاً على أنّه وادي بيشة الذي يقع بين جبل حمومة وجُرَش ؛ فنجد أنّ حَول جبل (شكر) عدة مسايل

---

(١) قرأت ودرست شيئاً من تاريخ مخلاف جرش ، لكن القول بأنهم يمتلكون بعض الأسلحة المتطورة تحتاج إلى توقف ، كيف حصلوا على هذه المهارات المتقدمة لصناعة الأسلحة ؟ وغيرها من التساؤلات التي تفرض نفسها في هذه البلاد التي يحيط بها الكثير من العقبات الجغرافية والقبلية والتاريخية. نعم إننا أحياناً نطلق الجمل والعبارات التاريخية على علاتها لكن الواجب علينا أن نتوقف عند كثير من نصوص تاريخنا الإسلامي التي مازالت تحتاج إلى كثير من التمحيص والغربلة . (ابن معبِّر) .

(٢) يا محمد كلامك جميل ومنطقي، لكن هذه النصوص التي أشرت إلى بعضها والتي كثيراً منها وردت في مصادر التاريخ الأولية ليست أقوال مسلم بها ، والواجب علينا جميعاً أن نقارن هذه النصوص بعضها مع بعض ، ثم نحث على دراسة المنطقة دراسة أثرية شاملة ، وإن تم ذلك فقد تتبدل وجهات نظرنا ، وقد نراجع بعض أقوالنا ونصوصنا التي دونها في بحوثنا واعتمدنا فيها فقط على المصادر التراثية التقليدية . (ابن معبِّر) .

تعتبر أودية صغيرة . وبهذا نجد أنّ جبل (شكر) يقع شمال غرب جبل (ضمك) كما يُسَمّى الموقع شرقي جبل (شكر) بـ (البَغث) .

هذا ما ذكرته عن هذين الجبلين في كتابي (مدينة جُرَش من المراكز...) . ودار كلامي في محورين ، هما : (١) أن جبل حمومة ليس جبل شَكَر . (٢) إثبات جبل شَكَر في شمال جبل ضمك . ولا زلت مُصرّاً على المحور الأول[١] ، وهو أنّ جبل حمومة ليس جبل شَكَر، وذلك تبعاً للأسباب المذكورة في مكانها. وأقف مع المحور الثاني موقف المتأني ، فهو يحتاج إلى إعادة النظر ، مع ملاحظة التحفظ الوارد في كلامي حيث قلت (ما يمكن أن يقال : إنّه جبل شَكَر) وأعود هنا لأقول: لا يمكن الجزم بما قلته عن جبل شَكَر الواقع شمال جبل ضمك ، فقد يكون ضمك هو شكر ، وقد يكون غيره من الجبال القريبة، خاصة ما يكون في طريق عودة صرد بن عبد الله الأزدي وجيشه ، لأن أهل جُرَش توهموا انسحابه ، ولا يكون كذلك إلا بقرينة تدل على ذلك ، ولا تتضح إلا عندما يسلك طريق العودة[٢]. فهل جبل حمومة القريب جداً من جُرَش يعطي التصور بالانسحاب فيما لو لجأ إليه صرد ؟ . قطعاً ، لا . وجبل حمومة من صميم مدينة جُرَش ذاتها ، فقد كان في أعلاه مبنى يتكون من ثلاث غرف تقريباً، ولو أمْعَنّا النظر فيما ورد في تقرير المسح الأثري، الذي تم عام (١٤٠٠هـ) ونشر في مجلة أطلال لأدركنا أننا أمام جبل لا يبعد عن جُرَش إلا بنحو (٧٠٠) متراً تقريباً ، وتحديد هذه المسافة تم على واقع الأطلال الظاهرة من مباني المدينة ، والتي تم كشف بعضه عام (١٤٢٩هـ) ، فأين سور المدينة الذي جعل صرد ينسحب عنه بعد حصاره لجُرَش . ربما كان جبل حمومة داخل هذا السور ، وإن لم يكن كذلك فإنه سيكون (أي السور) على ضفة الوادي الغربية، وعند ذلك تقل المسافة المقدرة حالياً بـ (٧٠٠م) تقريباً [٣]. فهل نقبل بعد كل هذا بقاء التصور لأهل جُرَش بانسحاب المحاصرين لهم إلى جبل أقل ما يقال عنه أنه كان مجاوراً لجُرَش إن لم يقع داخلها . ويبقى لنا المجال في تحديد تاريخ تسمية جبل

---

(١) ربما تغير رأيك في المستقبل ، وبخاصة إذا ظهرت تنقيبات ودراسات أثرية تصحح أو تؤكد بعض النتائج التي توصلت إليها أنت وغيرك ممن درسوا وبحثوا في تاريخ مخلاف جرش . (ابن معبِّر) .

(٢) هذه أقوال مقبولة ، فالجزم أحياناً في الدراسات التاريخية عبارات قوية ، وقد تقود صاحبها إلى الوقوع في الخطأ الواضح متعمداً أو غير متعمد . والواجب على الباحث الجيد أن يترك عنده خط رجعة. وبخاصة إذا كان يكتب أو يناقش موضوعاً شائكاً يحتمل أكثر من رأي أو قول . (ابن معبِّر) .

(٣) وأكرر القول أن توسيع الحفريات الأثرية ،وزيادة الدراسات التي تعتمد على علم الآثار في هذه المدينة التاريخية سوف تجلي لنا الكثير من الحقائق والأقوال التي نقولها ونرددها في بحوثنا منذ سنوات طويلة .(ابن معبِّر) .

حمومة بحمومة ، وتحديد مكان جبل (شَكَر) . ومما يَحْسُن إيراده هنا ضبط (شَكَر) فقد أثْبَتّه في كتابي (مدينة جُرَش ...) بفتح الشين والكاف. وفي كتاب (الأمكنة والمياه والجبال والآثار المذكورة في الأخبار والأشعار) [١] لأبي الفتح نصر ابن عبد الرحمن الإسكندري (ت٥٦١هـ تقريباً) قال :(شَكْر: بفتح الشِّين المعجمة وسُكون الكاف : صُقْعٌ ، أحْسبُهُ من السَّرَاة ، ورُوي أن النبي ﷺ قال يوماً : (بأيِّ بلاد شَكْرُ) ؟ قالوا : بموضع كذا، قال : (فإنَّ بُدْنَ الله تُنْحَرُ عنده الآن) ، وكان هُنَاك قَومٌ من ذلك الموضع ، فلمَّا رَجعوا رأوا قَومَهم قُتلُوا في ذلك اليوم ، ومن قبائل الأزد شَكْرُ ، وأراهم سُمُّوا باسم هذا الموضع) [٢]. وعلّق الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ على ذلك بقوله : " قال ياقوت في المعجم : شَكَرُ : جَبَلٌ باليَمنِ قريب من جُرَش ، له ذكْرٌ في المغازي ، أوْقَع عنْده صُرَدُ بن عبد الله الأزْدي بأهل جُرَش ، وكان قدمَ على رسول الله ﷺ فأنفذه إلى أهل جُرَش فلم يُطيعُوه فأوقع بهم ، قال نَصْرٌ : رُوي أن النبي ﷺ قال يوماً : بأي بلاد الله شَكَر؟ قالوا : بموضع كذا ، قال فإن بُدْن اللّه تُنْحَر عنْدَه الآن ، وكان هُناك قوم من ذلك الموضع ، فلما رجعوا رأوا قومهم قُتلوا في ذلك اليَوم ، وأظنّه يوم أوقع بهم صُرَد . انتهى . وقد تحدثت بتوسع عن شَكَر وعن جُرَش في كتاب في سَرَاة غَامد وزَهْرَان (ص٤١) وما بعدها، وأوضحْتُ أنّ جُرَش بلدةٌ لا تزال أطلالها معروفة بالقرب من جبل شَكَر الذي يُسمى الآن حَمُومَة أو الحمَّةَ في وسَط بلاد رُفَيْدَة في الجنوب الشرقي من مدينة أبها بنحو (٤٠) كيلاً في أعالي وادي بيشة ، وهناك جبل بقرب حَمُومة يُدعى شَكَب ، وقد يكون هو شَكَرُ ، وتقع جُرَش هذه بقرب (خط الطول: ٠٠َ/٤٣ً وخط العرض : ١٥/١٨ً) ، وقول المتقدمين عن جُرَش في اليمن من قبيل إطلاق اليَمَن على ما يقع يمين الكَعْبَة ، أمّا قول نَصْر بأن قبيلة شَكَر سُمُّوا باسم هذا الموضع فلا يتفق مع ما نَصّ ابن الكلبي عليه في كتاب: النّسب الكَبير نقلاً عن الشرقي أنَّه سُمِّي شَكَر لأنه مَرَّ بقوم فأعطوه شكراً وهو الحَمَلُ ، وانظر عن هذه القبيلة كتاب: في سَرَاة غَامد وزَهْرَان . (ص٤٦٥) ، وما بعدها) قلت: لاحظ قول الجاسر: وقد يكون هو شَكَر . فلَم يجزم بأن جبل حمومة هو شَكَر ، وهذا مما يُعرف من دقته وتحرّزه [٣]. وقد ذكره نصر الاسكندري في كتابه السابق ، وذلك في رسم (كَشَر).

---

(١) تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، وصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات عام (١٤٢٥هـ). (ابن معبِّر).

(٢) ج٢، ص ٦١. (ابن معبِّر) .

(٣) الدقة والتحرز من الصفات التي يجب أن يتصف بها المؤرخ . كما أن حمد الجاسر سرد تفصيلات عن بعض المعالم الجغرافية في مخلاف جرش ، وأقول أن ما أورده أيضاً مازال يحتاج إلى إعادة قراءة وتحليل وتصويب. (ابن معبِّر) .

ونصل إلى (العهد العباسي) ففيه حطّ المؤلف - محمود شاكر - ركابه متحدثاً عن الدولة الأموية في عسير ، وعلى رأسها (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية (رضي الله عنه) واستغرق حديثه الصفحات (١٢٠ – ١٢٧) دون الاستناد إلى مصدر واحد يؤيد ما ذهب إليه، فمن أين أتى بهذه المعلومات التي تتوافق مع ما ورد في كتاب (إمتاع السامر) ومجموعته[١] . وهذا يبعث الشّك والريبة في العلاقة بين صُنّاع إمتاع السامر وبين المؤلف محمود شاكر [٢] . وإليكم ما قاله المؤلف عن دولة عسير الأموية: " ولما قامت الدولة العباسية وبدأت تلاحق بني أمية وتقاتلهم ، توزعوا في الأمصار واختفوا في الأقاليم وبخاصة الغربية منها والجنوبية ، وقد استطاع أحدهم وهو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أن يصل إلى عسير وأن يؤسس أسرة تتسلم زعامة عسير وإمارتها ،ولم يمض على ذلك سوى عدة سنوات، واستمرت الزعامة فيها حتى العصر الحديث غير فترات قصيرة كان يقع خلالها خلاف بين أبناء العمومة وفروع الأسرة على من يتسلم الزعامة وفي أيها تكون الإمارة ؟ وهو ما يقع دائماً في الأسر على مدار التاريخ ، وعندها يضعف أمرها وتطمح إليه غيرها ثم لا يلبث أن يعود إليها . كما يمكن أن يضعف شأنها عندما يقوم عميدها بحركة على الدولة أو يحارب أمراً آخر مجاوراً له أو منافساً وتكون النتيجة هزيمة أهل عسير أو مقتل قائدهم ، وكذلك لا يلبث بعد مدة أن يرجع الأمر كما كان وأن يرجع الأولاد إلى رئاسة البلاد " [٣] . ولعل في هذه الأسرة التي نتكلم عنها وهي الأسرة الأموية أكثر من أنموذج واحد لهذه التضحية وهذا البذل وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا إلا صورة واحدة وهي صورة عبد الرحمن الداخل الذي ذهب إلى الأندلس[٤] . وصل علي ابن محمد إلى عسير وتحالف مع قبائلها ، واستطاع بمدة وجيزة أن يكون صاحب الكلمة المسموعة وصاحب النفوذ ، وقد يكون قد أخفى نفسه في بداية الأمر حتى لا يطلبه الوالي ويدفعه إلى بغداد لينال هناك جزاء العداوة وعقاب الفرار وهذا ما يضيف سبباً

---

(١) هذه القضية عالجناها في أكثر من مكان من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وفي دراسات أخرى، وقلنا إن كثيراً مما ذكره محمود شاكر ومن سبقه يشوبها الاضطراب والخلط وعدم الدقة فيما تم تدوينه ونشره . (ابن جريس) .

(٢) الجزم بهذا القول يا ابن معبِّر ،يحتاج إلى دليل وبرهان ، ومحمود شاكر مؤرخ وباحث وربما حصل على معلوماته من كتاب (امتاع السامر) أو غيره ، لكن قولك أن هناك علاقة بينه وبين صناع إمتاع السامر ، فليس ذلك مؤكداً ، حتى وإن اقتبس في دراسته شيء من ذلك الكتاب . (ابن جريس) .

(٣) ما ذكره الأستاذ محمود شاكر شيء طبيعي في تاريخ الإمارات والدويلات التي ظهرت في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه . (ابن جريس) .

(٤) تاريخ عبد الرحمن الداخل مدون في عشرات المصادر الأولية ، لكن هذه الإمارة الأموية التي يشير إليها محمود شاكر في عسير لا نجد لها ذكراً عند أولئك المؤرخين المتقدمين . (ابن جريس) .

ثانياً إلى الاعتقاد بانقطاع نسل يزيد بن معاوية . دفعت علياً نفسه وقد رأى من قوته ما رأى أن يثور على الدولة العباسية وقد صار الأمر فيها إلى المهدي ولكن دون أن يفصح عن شخصه ومن غير أن يعلن عن هويته حتى لا يزداد الاهتمام بأمره ما دام من سلالة الأسرة التي زال منها الحكم ولا يزال لها من الأنصار العديد ، وبخاصة وأن وضع بني العباس لم يرق للكثيرين الذين كانوا يؤيدونهم سواء من العرب عامة أم من الطالبيين خاصة ، أم من الذين كان يسوؤهم وضع بني أمية في أواخر عهدهم فكانوا يرجون الاصلاح بتغيير الأوضاع فلما تمّ ساءتهم عواقبه فقلبوا ظهر المجن إلا أن السيف قد أخرس الألسن فكفت عن الكلام ومحا أسطار البلاغة فاختفت الكتب التي تريد أن تظهر بعض الحقيقة ، إلا أن الجيش الذي أرسله المهدي إلى اليمن والذي رغب علي بن محمد أن ينازله وأن يوقعه في كمين ينصبه له ، ولكن قوته لم تكن قد اكتملت بعد وليست بحالة تؤهله للوقوف أمام هذا الجيش الكبير الذي كان بقيادة عبد اللّه بن عبد الرحمن بن عبد اللّه الغامدي فمات قتيلاً عام (١٦٩هـ) ورغم هذه النكبة التي أصابت الأسرة هناك وأضعفت كلمتها إلا أن نفوذها لم ينته ، واستطاع أبناء علي بن محمد وأحفاده أن يعيشوا في تلك الأرجاء ويحاولوا التماسك فيما بينهم والاحتفاظ بمركزهم بين قبائل عسير وبماضيهم الذي ورثوه واستمر ذلك حتى منتصف القرن السابع الهجري ، حيث وقع الخلاف على الزعامة بين أبناء العم فصقر بن حسان بن سليمان وهو الذي ينتسب إليه آل عائض وابن عمه علي بن إبراهيم بن سليمان الذي ينتمي إليه آل يزيد الشعف والذي كانت إمارته على قحطان وشهران ، حدث بينهما الخلاف فانتقل علي إلى قرية (السربة) وهي لبني مأجور أحد فروع قبيلة ربيعة وحلفاء بني مغيد فكان أن قتل عام (٦٥٢هـ) بقرية دلفان إحدى قرى بني الأزهر وهم أحد فروع قبيلة ربيعة أيضاً وحلفاء شهران ، حيث كانت ربيعة قسمين أحدهما حليف بني مغيد والآخر حليف شهران الذين يتبعون إمارة علي وهم بنو الأزهر بينما يتبع بنو مأجور إمارة صقر وحلفاء لبني مغيد ... فعندما أراد علي أن يتوسع في إمارته لتشمل بني مأجور قتل . واستمرت الإمارة في صقر بن حسان وأولاده من بعده ، بينما انزوى أبناء علي بن إبراهيم في منطقة الشعف وهم الذين يعرفون اليوم باسم آل يزيد الشعف [١].

---

(١) هذا السرد التاريخي يذكر فعلاً أسماء أماكن وعشائر وبطون مازالت تعيش في منطقة عسير إلى وقتنا الحاضر. كما ذكرت أسماء قادة وهزائم وانتصارات في هذه البلاد، وهذه المشكلة التي لا نجد لها مصادر أولية موثوقة تؤكدها أو تنفيها ، وأقول لست مع أو ضد المؤيدين أو المعارضين لهذه الروايات، وإنما الذي نريد معرفته صحة هذه الأحداث، وهل من المعقول أن يحدث مثل هذه الصراعات التاريخية في ظل الدولة العباسية ولا تذكرها مصادر التاريخ المبكرة ، هذا الذي يحير ، فقد بذلت جهوداً مضنية لعلي أجد ولو رواية أو إشارة في بعض كتب التراث الإسلامي المتقدمة فلم أعثر على شيء حتى هذه اللحظة . (ابن جريس) .

ولما ضعفت الدولة العباسية في أواخر عهدها ، وبدأت الدويلات تستقل في المشرق، وتنفصل في المغرب ، وتنعزل في الجنوب ، وكانت بعض هذه الإمارات على مقربة من عسير في الجنوب ، في بلاد اليمن ، لم يجد سكان عسير فائدة في هذا الاستقلال رغم صلاح أرضهم لمثل هذا فبُعدها وصعوبة أرضها ومناعة حصونها وقوة شكيمة أهلها كل ذلك يخولها لتكون مركزاً للتمرد ، ومجالاً للاستقلال ، وحصناً لكل عصيان ، ولكن هذا ليس فيه سوى زيادة الفرقة ، وكثرة الاختلاف ، وتجزئة البلاد لهذا كله أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز جيرانهم في الشمال وبخاصة وأنهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة، كما توجد في الحجاز الأماكن المقدسة مهوى أفئدتهم وإليها تشد رحالهم .[1] واشتدت شوكة بني زياد في اليمن فتبعوا لهم ، وقوي أمر الهمدانيين بعد بني زياد فأعلنوا طاعتهم حتى جاء السلاجقة عام (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) فكان لهم بعض النفوذ على الأجزاء الشمالية من عسير . وحكم الأيوبيون المنطقة كاملة فكانت عسير من جملة أملاكهم، وورث بنو رسول في صنعاء الأيوبيين فامتدت سلطتهم إلى عسير ، ووقع الخلاف بين بني طاهر وبين بني رسول فكانت عسير تتبع الأقوى ، وتخضع تارة لهؤلاء وأخرى لأولئك حتى إذا استقر الوضع إلى بني طاهر وحكموا اليمن باسم المماليك كان نفوذهم يمتد إلى بلاد عسير)[2] . في تضاعيف كلام محمود شاكر عبارة تدلّ على عدم وجود الأسرة الأموية العسيرية في التاريخ ، حيث قال : " ولعل في هذه الأسرة التي نتكلم عنها وهي الأسرة الأموية أكثر من أنموذج واحد ... وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا إلاّ صورة واحدة وهي صورة عبد الرحمن الداخل الذي ذهب إلى الأندلس) . ونسأله هنا : من أين أتى بتاريخ هذه الأسرة الأموية العسيرية ، والتاريخ قد سكت عنها ؟ . وهو السؤال الذي

---

(١) إن بلاد تهامة والسراة من جازان ونجران حتى الطائف ومكة كانت تتبع إدارياً لإمارة الحجاز في مكة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . والباحث في تاريخ الإدارة والولاية الإسلامية يجد مصادر عديدة تذكر ولاة الحجاز الذين كانوا يمدون نفوذهم إلى بلاد عسير وجازان ونجران، بل إن بعض ولاة مكة والمدينة المنورة في عصور بني أمية وبني العباس كانت تتسع ولايتهم لتشمل جميع بلاد الحجاز واليمن وما بينهما (تهامة ولسراة) ، وأحياناً أخرى يتولى الحجاز واليمن أميران أحدهما في مكة والآخر في صنعاء ، ومعظم أرض تهامة والسراة تعود في تبعيتها إلى والي مكة المكرمة . (ابن جريس) .

(٢) ص ١٢٠ وما بعدها . مع حذف ما ليس له صلة مباشرة بالموضوع . (ابن معبِّر) . وفي هذه النصوص ورد عدد من الدول الإسلامية التي ظهرت في اليمن أو الحجاز أو الشام أو العراق أو مصر ، وكانت عسير تابعة لبعض تلك الدويلات ، وهذه التفصيلات تحتاج إلى مصادر رئيسية تؤكد أو تنفي ما ذكره الأستاذ محمود شاكر، ولا نجد ذلك واضحاً في مصادرنا الإسلامية المبكرة . والذي أعتقد أن أهل السروات من قحطان حتى الطائف كانوا يخضعون في الأساس لشيوخ وأعيان تلك القبائل الذين كان لهم السيطرة على بلدانهم ، فهم الذين يديرون دفة الأوضاع السياسية والحضارية في هذه البلدان السروية . (ابن جريس) .

سبق إيراده قبل النص المنقول من كتاب محمود شاكر. وليس ثمَّ جواب ؛ لا عند محمود شاكر ، ولا عند غيره ، وأعني بذلك الجواب الذي يستند إلى التاريخ ، أمّا الكلام الذي يساق على عِلاَّته ، أو على نسق أحاديث السَّمَر فلا يحتج به . لأن في ثنايا هذا الكلام دعوى عريضة تتحدث عن دولة وإمارة في عسير منذ القرن الثاني للهجرة حتى العصر الحديث . وهذا ما ذهب إليه محمود شاكر في قوله : (واستطاع علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان أن يصل إلى عسير وأن يؤسس أسرة تتسلم زعامة عسير وإمارتها ، واستمرت الزعامة فيها حتى العصر الحديث) . ليت التاريخ أخطأ فذكر ولو في سطر واحد شيئاً عن هذه الدولة الأموية العسيرية . وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر ، فإن هناك حادثة كبرى تتمثل في ثورة (الهيصم بن عبد الرحمن الهمداني) سنة (١٨٩هـ) في اليمن في عهد هارون الرشيد الذي سَيّر حملة إلى اليمن سنة (١٩١هـ) بقيادة حماد البربري ، وقد تم الرَّبْط بين الهيصم وأحد زعماء الأسرة الأموية العسيرية وهو خالد بن عبد الله ابن علي بن محمد [١] . ونقرأ هذا الرَّبط فيما كتبه الشيخ عبد الله بن علي بن حميّد (ت ١٣٩٩هـ) في مقدمة تحقيقه لكتاب (الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض) وهو يتحدث عن أحد أسلاف محمد ابن عائض أمير عسير (ت١٢٨٩هـ) ، فقال : "خالد بن عبد الله بن علي بن محمد الذي وقف بقواته من قبائل الأزد (عسير) . ومن التف معهم من قبائل (الحارث بن كعب) و (بني هلال) و (بني مَذْحج) و (عبيدة) و (يام) و (حمير) و (شهران) و (ناهس) و (منبه) بقيادة أميره على (جُرَش) (عبد الله بن الأحمر الجرشي) لقد وقفوا بجانب (الهيضم ابن عبد الرحمن الهمداني) الذي انضمت معه معظم قبائل اليمن. وثار على الخليفة العباسي هارون الرشيد عام (١٨٩هـ) . وانتصر وحليفه الأمير خالد على القوات العباسية في (بيشة) فجاءت لها قوة كبيرة تدعمها بإمرة (حماد البربري) حيث انتصر على قوات (الهيضم) في (جُرَش) فألقي القبض عليه ، وأرسل إلى بغداد . فقتل هناك ومن معه . وتحصّن (خالد) في (الرهوة) بـ (المِسقي) حيث قتل بعد مدة وخرّبت (الرهوة) . ونقل (عبد الله بن الأحمر الجرشي) أميراً على بلاد (غامد) و (زهران) . وكان من نسله عشيرة (الحمران) بـ (غامد) . وبه عرفت منطقة (بلجرشي) وتعني (ابن الجرشي) [٢].

---

(١) ثورة الهيصم الهمداني ورد ذكرها في بعض المصادر المبكرة ، وهناك أحداث عديدة في جزيرة العرب وخارجها أقل من ثورة الهيصم تم الإشارة إليها أيضاً ، ولا نجد أي ذكر عن هذه الإمارة الأموية العسيرية .(ابن جريس).

(٢) ص١٤.(ابن معبِّر).كل هذه الأقوال لا تستند إلى مصادر أولية ، وحبذا أن تلك المصادر المبكرة حفظت لنا بعض الشيء من تاريخ وحضارة بلاد تهامة والسراة التي لا نجد عنها إلا شذرات قليلة في بطون كتب التراث المبكرة.(ابن جريس).

قلت : هذا النص . على صغره . يحتاج إلى عدة وقفات ، فقد حشد فيه بعض الأعلام ممن لهم صلة بجُرَش، وهذه الوقفات كما يلي:

(١) خالد بن عبد الله بن علي بن محمد (ت ١٩٥هـ)[١] :

على كثرة ما عدت إليه من المصادر التي اطلعت عليها ، ولا سيما في عهد هارون الرشيد ، لم أجد له ذكراً فيها ، فإذا كانت قواته تتألف من هذا العدد الكثير من القبائل، فإن هذا يعني اتساع نطاق المنطقة التي يحكمها ، فلماذا أهمل التاريخ ذكره ، ولو جملة صغيرة بين السطور[٢] ؟.وهذا يدفع بالتساؤل عن المصادر التي نقل منها ابن حميّد رحمه الله تعالى.

(٢) الهيصم بن عبد الرحمن الهمداني :

وهذا علم معروف ، فهو أحد الثائرين على الدولة العباسية في عهد هارون ، ولعل الخطأ الوارد في اسمه (الهيضم) بالضاد من قبيل الخطأ الطباعي، فصوابه بالصاد. أما اسم والده فقد وقع الخلاف فيه ، فقيل (عبد الرحمن) كما هو هنا ، (وعبد المجيد) و (عبد الصمد) وهو ما سنراه في النصوص التالية .وقد اخترت ترجمته في الأعلام للزركلي لتكون كمدخل إلى الأقوال الأخرى ، وقد أرّخ لوفاته عام (١٩٢هـ): الهيصم بن عبد المجيد الهمداني : ثائر يماني . خرج على الرشيد العباسي ، في ولاية (حماد البربري) باليمن، نقمة على حماد . وتبعه خلق كثير ، وقوي أمره في جبل مسور ، فكتب حماد إلى الرشيد يستمده ، فأمده بعشرة قواد من أهل العراق وخراسان. واستأمن أخ للهيصم اسمه إبراهيم بن عبد المجيد ، إلى حماد ، فأمنه ، وكان ذلك بدء الضعف في حركة الهيصم ، فاستولى حماد على جبال مسور ، وهرب الهيصم إلى بعض جهات تهامة ، فظفرت به الجيوش فيها ، وأخذ محمولاً إلى حماد ، فأرسله إلى الرشيد ومعه جماعة من أهله ، فأمر الرشيد بضرب عنقه وصرف من كان معه إلى السجن ببغداد . قلت هذه رواية بعض مؤرخي اليمن ، وفي (المحبر) تحت عنوان (أسماء المصلبين من الأشراف) أن حماداً البربري أسر الهيصم وابنه وابن أخيه ، فصلبوا جميعاً ، بالرقة) [٣]. وقال الطبري (ت٣١٠هـ) في أحداث سنة (١٩١هـ):

---

(١) عسير في مذكرات سليمان الكمالي ، أحمد بن حسن النعمي ، ص ١٣٠.(ابن معبِّر) .

(٢) ونقول هل ضاع تاريخ هؤلاء الرجال وتاريخ هذه البلاد حتى أن المصادر الإسلامية المبكرة هضمتنا حقنا فلم تدون هذا التاريخ الذي تذكره هذه الكتب والمراجع المتأخرة ، هذا الذي نريد معرفته ، ونبحث عن إجابات لهذه النقاط .(ابن جريس).

(٣) ج٨ ، ص ١٠٥.(ابن معبِّر).

وفيها ظفر حماد البربري بهيصم اليماني[١].وقال في أحداث سنة (١٩٢) : وفيها قتل الرشيد الهيصم اليماني[٢]. وعند ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : وفي سنة إحدى وتسعين ومئة ظفر حماد البربري بهيصم اليماني ، وجاء به إلى الرشيد فقتله[٣]. وعَلَّق صاحب كتاب (اليمن في تاريخ ابن خلدون) على كلام ابن خلدون ، فقال :شهدت اليمن فترة اضطراب وحركات سياسية (من ١٧٩ ـ ١٨٣هـ) تعاقب فيها على ولاية اليمن كل من (عباس بن إبراهيم الهاشمي) ، فضج منه أهل اليمن ، فعزله الرشيد بعبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير ، ثم عزله الرشيد واستعمل على اليمن أحمد بن إسماعيل الهاشمي ، ثم عزله بأحمد ابن إسماعيل العبدري ، ثم عزله بمحمد بن خالد البرمكي . وفي تلك الفترة بدأت ثورة الهيصم ابن عبد الصمد . وذلك كما في تاريخ اليعقوبي عام (١٧٩هـ) . وهو كما جاء في الإكليل (الهيصم بن عبد الصمد من ولد بحر بن عمرو بن زيد ثم من ولد القيل ذي خليل بن شرحئيل بن مالك بن زيد بن سدد ابن زرعة بن حمير الأصغر . وكان مقره في مغارب صنعاء وانضوى تحت إمرته العديد من الأقيال، وخاض معارك ضد جيوش الوالي العباسي أحمد بن إسماعيل العبدري والذين قبله فأنزل بهم الهزائم وبسط نفوذه على معظم المناطق والجبال الغربية والشمالية واتخذ من جبل مسور مركزاً وقاعدة له) . وتولى حماد البربري اليمن في شوال (١٨٤) (فأخضع تهامة وغيرها إلى حضرموت، وقتل جماعة من رؤسائهم وعاملهم بالعسف والجبروت حتى دانوا له وسلموا الواجب وزيادة ، ولا بد أنّهم من الخوارج الأباضية - قال ابن الديبع (وعمرت اليمن في أيام حماد ، خاصة صنعاء ، وأمنت السبل) . تأججت حركة الهيصم بن عبد الصمد عام (١٨٥هـ). ويبدو أن ذلك للمرة الثانية . فحارب حماداً البربري وتغلب على مناطق شاسعة ، ثم انهزم ولجأ إلى قرية بأعالي اليمن في بيشة وقبض عليه حماد عام (١٩١هـ) . كان الهيصم شجاعاً وهو يواجه الموت وقال : (والله إن القتل لشيء ما أنكره ، وما خلقت الرجال إلا للموت والقتل) ولما قال له الرشيد (أنت الخارج على أمير المؤمنين وقاتل أجناده والمطل على الكعبة بالفتن ، قال الهيصم : نعم وشفاء ما لا تشتهيه النفس تعجيل الفراق)[٤]. وقال يحيى ابن

---

(١) تاريخ الطبري ، ج٨ ، ص ٣٢٣. (ابن معبِّر).

(٢) المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٣٤٠ . وأشار محقق الكتاب إلى ورود الاسم عند ابن الأثير: الهيصم الكناني.(ابن معبِّر).

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ، محمد حسين الفرح ، ص ٥٢٤. ص١٤.(ابن معبِّر).

(٤) السابق ، ص ٥٤٢-٥٤٣ .(ابن معبِّر).

الحسين بن القاسم (ت١١٠٠هـ) في أحداث سنة (١٧٤هـ) : وفي هذه السنة ثار الهيضم (بالضاد المعجمة) بن عبد المجيد في جبال مِسْوَر، فحارب جنود السلطان وهزمهم.[١].
ثم قال في أحداث سنة (١٨٤هـ) : فخاف عليه الهيضم بن عبد المجيد المقدم ذكره، وتبعه خلق كثير ، فكتب حماد إلى الرشيد يستمده ، فأمده بعشرة قواد من أهل العراق وخراسان ، فاستأمن إبراهيم بن عبد المجيد أخو الهيضم إلى حماد فأمنه ؛ واستولى حماد على جبال مِسْوَر ، فهرب الهيضم إلى بَين[٢]. من أرض تهامة ، فظفرت به الجنود وحملوه إلى حماد ، فبعث به إلى الرشيد في جماعة من أهله ؛ فأمر الرشيد بضرب عنقه، وسجن من معه في بغداد ، فبقوا في السجن إلى أن هلك الرشيد[٣].

قلت : بعد استعراض النصوص السابقة عن الهيصم لم نجد ذكراً لجرش ، إلا إذا قصد محمد حسين الفرح أن القرية التي بأعالي اليمن في بيشة هي جُرَش ، مع ملاحظة تباعد المسافات. ثم هل يحق لنا أن نتساءل عن غياب اسم (خالد بن عبد الله بن محمد) في النصوص التي ذكرت الهيصم ، وهو الشريك القوي في هذه الثورة ، بل المنطقة هي منطقة (خالد) ففي نص ابن حميد يشير إلى أن قائد جيشه هو أميره على جُرَش ، وعليه فالهصيم مجرد لاجئ دفعه البربري إلى مغادرة حصونه في مِسْور في غرب صنعاء .

٣- عبد الله بن الأحمر الجُرَشي :

وهو الأهم لدينا ، فهو كما يقول ابن حميّد قائد الجيش وأميره على جُرَش ، ثم بعد مقتل (خالد) نُقل عبد الله بن الأحمر أميراً على بلاد غامد .فمن الذي أصدر

(١) غاية الأماني ، ج١ ، ص١٤١.(ابن معبِّر).
(٢) علّق محقق غاية الأماني بقوله : (بَيْن بالفتح ثم السكون ، موضع قرب نجران باليمن).وفي معجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي (ص١٦٩) : ذي بَيْن ، مدينة في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٩٤كم . وقال حمد الجاسر :عند ياقوت : البِينُ . بكسر الباء ، وهو في لغة العرب : قطعةٌ من الأرض قدْرُ مَدِّ البَصَرِ: موضع قرب نجران ، أنشد أبو محمد الأعرابي للضحاك بن عُقيل الخفاجي :

مَرَرْتُ على ماءِ الغِمارِ فَمَاؤُهُ ... نَجيعٌ كما ماءُ السَّماءِ نَجُوعُ
وبَا لبِيْنِ من نَجْرانَ جازَت حُمولُها ... سقى البِيْنَ رَجَّافُ السَّحاب هَمُوعُ

(الأمكنة والمياه ، نصر الاسكندري ، ج١ ، ص١٩٧ ، الحاشية) . قلت صاحب كتاب غاية الأماني يقول : بين من أرض تهامة ، وليست نجران في تهامة . (ابن معبِّر).
(٣) غاية الأماني ، ج١، ص ١٤٣ . (ابن معبِّر). مسيرة حماد البربري في أجزاء من بلاد السراة واليمن أثناء محاربته الهيصم من الموضوعات التي لم تدرس ، ونأمل أن يتولى هذا العنوان أحد طلابنا في قسمي التاريخ بجامعة الملك خالد فيكون موضوع رسالة ماجستير أو دكتوراه . (ابن جريس) .

الأمـر بنقلـه ، وهـذا يجعلنا نكـرر السؤال : لماذا لا يذكـر التاريخ اسم خالـد ، وها هو يحكـم بـلاد غامد حتـى جُرَش ؟ . والمهم مـن هو عبد الله الجرشي هـذا الذي اختفى اسمـه مثـل (خالد) ، وقـد بحثت عن الأعلام خـلال إعدادي لكتـاب (مدينة جُرَش مـن المراكز الحضارية القديمـة) فحصلت على مجموعة منهم وليـس بينهم . ولكننا نستأنـس بمـا ذكره الدكتور أحمد سعيـد قشاش عن بلجرشي ، حيث قـال : وأهلها بنو الجرشـيّ ، وهو عبد الله بن الأحمر الجُرَشي ، وهو من جُرَش، وهي اليوم بلدة مندثرة في خميـس مشيط ، ولّاه الخليفـة العباسي هارون الرشيد بلاد غامـد وزهران وشَكْر ، فاتخـذ من ديار شَكْر قاعدة له ، فبنوه اليوم يدعون بالجرشيّ ، وهو اختصار على غير القيـاس لبنـي الجرشيّ ، كقولهم بالحكم، وبالشّهم ، وبلحـارث ، وكانت بلدتهم تسمّى دار السوق، ولما نقلت الإمارة إليها عام (١٣٧١هـ) غلب اسم القبيلة على البلدة ، وكانت سوقاً عامرة يقصدها الناس من جهات شتى ؛ لذلك استوطنتها أسر من قبائل مختلفة غير بني الجرشي من غامد ، وزهران ، وبجيلة ، وبني شهر ، وغيرهم ؛ فسكانها خليط من قبائل عدة ، ومن هنا كان من أسمائها أيضاً الدار المخلطة[1].

٤- عَنْز بن وائل والعواسج :

قبيلتـان كانتـا في أوج قوتهما في جُرَش وما حولها خلال هذه الأحـداث ، ولم يرد ذكرهما سوى (حمير) التي ينتمي إليها العواسج . فأين كانت عَنْز بن وائل على الأقل . بعد هذا الاستطراد عن ثورة الهيصم التي تحركت لها عاصمة الخلافة العباسية نسأل عـن الدولـة أو الإمـارة أو الأسرة الأموية العسيرية ، وهي في عنفـوان قوتها . كما يقال . ولا يجـود عليهـا التاريخ عبر القرون بسطر أو نصف سطر .وقد حاول محمود شاكر أن يصنـع أحداثاً وأعلاماً في ثنايا سطوره ، ولكنـه أخفق في تأكيد ذلك بمصدر يعزو إليه كلامـه ، فاستحضـر بني زياد وجعل لهم نفوذا على الأجزاء الشمالية من عسير ، وقال

---

(١) ملتقـى حجـاج (WWW.hjjaj . net/vb/showthread.php?t=1047) بتاريـخ ١٤/ ١١/ ١٤٢٩هـ ، وقد ذكر في آخـر المقـال بأن الدكتـور أحمد سبق له نشره في ملحق التراث في صحيفـة (البلاد) بجدة ، يوم الخميس(١٥/٥/١٤٢٠هـ). (ابن معبِّر). هذا الطرح الـذي نورده عن ابن قشاش معقول في السرد والاستنتاج ، بخلاف الذيـن يقولون أن بلجرشي هي جرش، وهناك من يصـر على هذا القول بدون أي دليل. انظر: دراسة في كتاب: القـول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الحـادي عشر) (١٤٣٨هـ /٢٠١٧م)، وعنوانها: جرش هي بلجرشي، ص(١٦٥-١٧٩) . ونأمل من الدكتور أحمد قشاش أو منك يا ابن معبِّر أو غيركما أن تخرجوا لنا دراسة تفصيلية عن صلات جرش ببلجرشي ، وهل فعلاً هناك من هاجر من مخلاف جرش إلى بلجرشي ، واستقر بها ؟، أو أي معلومات تاريخية دقيقة تستند على براهين ومصادر موثوقة.(ابن جريس).

بحكم الدولة الأيوبية لعسير ، وجعل عسير نهبة بين بني طاهر وبني رسول[١] . وتجاهل أن التاريخ لم يسجل حضوراً فاعلاً لبني زياد ومن بعدهم في منطقة عسير ، ولكنه أراد أن يخلط الحقائق بالأباطيل ليصنع الأسطورة [٢].

ومن خلال هذه الجولة فيما كتبه شاكر تحت عنوان (بلاد عسير في العصور الإسلامية) نخرج بعدة نتائج وهي: (١) خلو جميع كلامه من التوثيق العلمي ، فلا يذكر كتاباً مطبوعاً أو مخطوطاً ، ولا وثيقة ، ولا يذكر اسم رجل نقل عنه[٣] .(٢) لم تذكر كتب الأدب أي شاعر أو أديب قال شعراً أو نثراً في الأسرة الأموية العسيرية .(٣) الكتب التاريخية والجغرافية والتراجم التي تعرضت لبلاد عسير منذ السنة التي تم فيها فتح مدينة جرش في العهد النبوي حتى العصر الحديث لم تذكر حدثاً أو عَلَماً يتصل بالأسرة الأموية العسيرية .ولا أدلّ على ذلك من كتب الهمداني الذي وصل إلى بلاد عسير ، ولم يذكر حدثاً أو عَلَماً له علاقة بهذه الأسرة . وهناك غيره ممن عبروا بلاد عسير وسجلوا أحداث رحلاتهم ، ومنهم مفرح الرَّبعي صاحب كتاب (سيرة الأميرين ...) الذي مَرّ سنة ٤٥١هـ بمنطقة عسير[٤]. (٤) توافق ما جاء عند محمود شاكر مع ما ورد في كتاب (إمتاع السامر) ومجموعته ، وهذا يدل على التَّنَاغُم بين الكتابين . (٥) عدم وجود أي إشارة إلى الدولة الأموية العسيرية في الكتب التاريخية التي تحدثت عن الدول المجاورة لبلاد عسير[٥].

٨- أيام الضعف:

هذا هو عنوان الفصل الثاني من الباب الثالث ، وقد شَرَّق فيه محمود شاكر وغَرَّب عدا بلاد عسير التي حظيت في آخر كلامه بتسعة أسطر من أصل (١٨) صفحة ، وقال

---

(١) ما من شك أن هذه الدولة الإسلامية كانت على علم ودراية ببلاد عسير وأهلها ، لكننا لا نجد مصادر قوية تؤكد دخول الأوطان السروية تحت نفوذ هذه الدويلات اليمنية أو غيرها من دول الإسلام التي ظهرت في الشام أو مصر أو غيرهما . (ابن جريس) .

(٢) يا ابن معبِّر في كلامك قسوة على محمود شاكر ، وأقول أنه مجتهد ، ثم إنه نقل معلوماته من مراجع سبقته، وظهور دويلات الإسلام في العالم آنذاك كانت حقيقية ، فاليمن والحجاز وغيرهما ظهر فيهما إمارات وقوى سياسية عديدة ، وربما بعض تلك الدول حاولت أن تمد نفوذها على أرض السراة وتهامة ، بل قد يكون هناك شيوخ وأعيان في هذه الأوطان التهامية والسروية كانوا على صلات بتلك الإمارات في اليمن أو غيرها من الأماكن داخل الجزيرة العربية أو خارجها . ومازالت غامضة وتحتاج إلى من يدرسها. .(ابن معبِّر) .

(٣) هذا كلام صحيح ، ولكن كثير مما قال مدون ومكتوب في مصادر ومراجع أخرى.(ابن جريس).

(٤) كل هذه الأقوال التي أوردتها يا ابن معبِّر معقولة ولا لبس فيها .(ابن جريس) .

(٥) وأقول إن بلاد عسير أو بلدان تهامة والسراة مازالت بحاجة إلى دراسات أثرية وتاريخية عديدة وبخاصة خلال العصور السابقة للإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط.(ابن جريس) .

في هـذه السطـور : "وكانت الكلمـة الأولى في مرتفعات عسير تعـود إلى أمراء من آل يزيد إلى أن نشـب بينهم خلاف علـى الزعامة فانزوى قسم منهم في الشعف وبقي الفرع الآخر في منطقـة أبها يدير شـؤون قبيلته باسم أشراف الحجاز، وأحيانـاً ينتفض بعض الأمراء على الأشراف، ويمد سطوته إلى بعض جهات تهامة ، وربما وصلت سيطرة أهل اليمن إلى مرتفعاتهـم ، ومـن هذا الفرع تنشأ أسرة آل عايض وتحكـم المنطقة كاملة . واستمر وضع عسـير على هـذه الحالة حتى كانت دعـوة محمد بن عبد الوهاب في نجـد ، وكانت الدولة السعوديـة في الدرعية [١]. وهنا تظهر (أسـرة آل عائض) التي تمثل الدولة الحقيقية في بلاد عسير ، ومن هنا ـ أيضاً ـ يذهب الشكّ ، فالأحداث والأعلام التي ستظهر في صفحات الكتاب التالية حتى نهايته حقيقية ومعروفة ومسجلة في الكتب والوثائق، سوى بعض إشارات تتعلق بالأوهام السابقة لهذه الفترة[٢]. ويكاد الفصل الثالث الذي يحمل عنوان (العصور الحديثـة) أن يخلـو من الأخطـاء التاريخيـة ، إلاّ أن المؤلف أهمل التوثيـق لكلامه ، عدا إسناده إلى كتاب (المخلاف السليماني) في موضع واحد ، أو إسناده إلى (مذكرات جعفر الحفظـي) ، وأظن أنه اعتمد على هذه المذكرات كثيراً وتبقى هذه المذكرات الحفظية في دائـرة الشـكّ ، فهي من المجاهيل مع صاحبها . ويتعلق أمرها وصاحبها في رقاب أسرة آل الحفظي الكريمة ، ولا سيما أن منهم الكثير من أصحاب القلم والأدب[٣].

٩ـ الاستقلال:

وندلـف إلى الفصـل الرابـع (الاستقلال) مـن الباب الثالث ، ونـرى فيه أعلام الدولة في بلاد عسير من علي بن مجثل حتى حسن بن علي بن محمد بن عائض .إلاّ أن

---

(١) ص ١٤٥ . (ابن معبِّر) . هنا يقدم المؤلف بعض الأحداث ويؤخر الآخر ولا يراعي التسلسل الزمني فدعوة محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية سبقت ظهور دولة آل عائض التي لم تبرز كإمارة قوية إلا منذ منتصف القرن (١٣هـ/١٩م) . (ابن جريس) .

(٢) إن ربط دولة آل عائض الحديثة بالإمارة الأموية في عسير، أو بالدولة الأموية تحتاج إلى مصادر مؤكدة ، أما أن تكون المصـادر صامتـة عن تلك الإمارة التي ظهرت في هـذه السروات منذ القرن الثاني إلى القـرن الثالث عشر الهجري، فهذا أمر لا يمكن صموده أمام الدراسات التاريخية الموثوقة. ونجد فعلاً أن إمارة آل عائض منذ النصف الأول للقرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) مذكورة في مئات الوثائق والمصادر والمراجع.(ابن معبِّر).

(٣) نعـم أسـرة آل الحفظي قديماً من الأسر العريقـة التي خدم بعض رجالها بلدان تهامـة والسراة علمياً وثقافياً وأدبيـاً وجـاء أبناء وحفدة هذه الأسرة فجمعوا تراث الآباء والأجداد ثم حفظوه في أماكن لا نعلمها نحن معاشر الباحثـين . وكنـت من الذين اتصل ببعض أعلام هذه الأسرة من قبل(٣٥) سنة واطلعني على شيء من موروث الآبـاء ، ثـم زرته وغيره بعـد ذلك في بداية العقد الرابع مـن هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ، فلـم أر أي شيء يذكر مقارنـة بمـا رأيته في العقد الأول مـن القرن (١٥هـ/٢٠م) ،وأقول لأبناء هذه الأسـرة الفضلاء أن يتقوا الله ولا يضعيوا تراث آبائهم وأجدادهم ، بل كثير من تراث منطقة عسير وما حولها ، فقد كان للأوائل من هذه الأسرة (آل الحفظي) فضل كبير على بلاد عسير بل على أجزاء عديدة من أوطان تهامة والسراة ، حيث كتبوا (شعراً ونثراً) عن أرض وسكان هذه البلاد الجنوبية السعودية .(ابن جريس).

هـذا الفصل يعاني من عـدم التوثيق ، سوى تسعة مواضع أسنـد فيها المؤلف إلى : (أ) مجلـة العرب (ثلاثة مواضع) . (ب)في ربوع عسير (موضعان) . (ج)مذكرات جعفر الحفظـي .(د)الدولة السعودية الثانية ، لأبي علية . (هـ) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي. (و)تاريخ عسير ، النعمي .

وهـي قليلـة بالنسبة لهذا الفصل الـذي استغرق الصفحـات (١٧٧ ـ ٢٦٩) أي (٩٢) صفحـة، وفي هذا الفصـل بعض الرواسب المتعلقة بإرجاع نسـب هذه الأسرة إلى نسـل يزيد بن معاوية (رضي الله عنه) ، ومن ذلك قول المؤلف :(التفت قبائل عسير ـ سراة و تهامة ـ حول الأمير سعيد بن مسلط وكذا قبائل رجال الحجر وقحطان وشهران وبايعته بالإمـارة لما لأسلافه من السلطة والنفوذ على هـذه المنطقة في الماضي والحاضر ، فهو مـن أسـرة آل يزيد الأمويـة التي كانت تتولى إمـرة المنطقة على مـدار تاريخها تقريباً سـوى فترات قصـيرة يعصف بها روح الخلاف بـين أفرادها على الإمـارة والزعامة ، أو تصـل قوة كبيرة من خارج المنطقة فتبعد الأسـرة عن مركزها ولكن لا يلبث أن يعود الأمـر إليها، وتتسلم المقاليد بزوال السبب ، ولما يتمتع به شخصياً من منـزلة رفيعة بين رجـالات القبائـل وسراة القـوم[1]. والمُشَجّر في الصفحة رقـم (١٨١) وفي أعلى هذا المشجّـر اسـم (معاوية بن أبي سفيـان) (رضي الله عنه) ، وفي نفس الصفحة كتب المؤلف تعليقاً على اسم (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية) فقال: (وهـو الذي خرج مـن الشام إلى عسير بعد سقوط دولة بني أميـة في الشام ، فاراً من وجـه العباسيـين ، وثار ضد الخليفة المهدي ثالث خلفاء بني العباس ، توفي مقتولاً عام(١٦٩هـ) على يد الجيش العباسي الذي كان في طريقه إلى اليمن لإخماد الثورات هناك بقيـادة عبـد الله بن عبد الرحمـن الغامدي ، في مـكان يعرف باسـم ((وهلة)) بعد انهزام جيشه في موقع يسمى ((الريعان)) في بلاد غامد) . وفي الصفحة رقم (١٨٢) رسم مُشَجَّراً لأسلاف أمراء عسير (أبو نقطة، وعائض بن مرعي ، وسعيد بن مسلط، وعلـي بن مجثـل) وفي أعلى المُشَجّـر (سالم بن عبد الله، ثم قـال في نفس الصفحة : (يقـول جعفر الحفظـي : أن الأمير سالم بن عبد الله استقـدم جدنا موسى ابن خثعم ابـن عجيـل بن عيسى بن محمد بن أسعد بن عبد الله بن أحمد بن موسى بن عجيل بن

---

(١) صـ١٧٧.(ابـن معبِّر) .سعيد بن مسلط بـل جميع أمراء إمارة المتاحمة ، وإمـارة آل عائض يستحقون أن تفرد دراسة مستقلة لكل واحد من أولئك الأمراء الذين حكموا منطقة عسير بل وأجزاء أخرى من بلاد تهامة والسراة . وهنـاك أيضاً عشـرات الدراسات التي صدرت عن بلاد عسير وما جاورها خلال القرن (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، لكننا مازلنا نتطلع إلى دراسات تحليلية نقدية عن هذه الفترات الزمنية . (ابن جريس) .

عبد الله العمري ، وولديه محمد وأحمد اللذان انحدر منهم البيت الخفظي في عسير ، وذلك بعد قتل الأمير سالم بن عبد الله هذا الأمير علي بن إبراهيم بن عيسى الذؤيبي عام (٩٩٨هـ) .وفي نفس الصفحة (١٨٢) رسم مُشَجّراً من عمود واحد وفيه (مفرج بن عمر ابن إبراهيم بن حسن بن عبد المتعالي بن أحمد بن هشام بن موسى بن سعد) وقال عن مفرج : ومن ذريته شيخ قبائل قيس بن مسعود من رجال ألمع . وفي صفحة (٢٠٥) خريطة (إمارة آل عائض) وتمتد من جهة الشمال من حدود (عفيف) مع دخول (الخُرْمَة) ضمن إمارة آل عائض ، وفي الشمال الشرقي (حصاة قحطان) فوادي الدواسر ، فشرورة ، فنجران، فصعدة، ومن الغرب على ساحل البحر الأحمر (الليث ، والقنفذة ، والبرك ، والشقيق ، وجازان ، واللحية ، والحديدة ، ومخا) . وكل هذه المواضع . عدا عفيف . داخلة في إمارة آل عائض عام (١٢٧٣هـ) [(١)]. فإذا عدنا إلى النص الأول الذي قال فيه : (التفت قبائل عسير ... حول الأمير سعيد بن مسلط ... فهو من أسرة آل يزيد الأموية ... إلخ) . نقول . جدلاً . سعيد ابن مسلط من أسرة أموية ، ولكن أين هي الإمارة الأموية العسيرية التي حكمت بلاد عسير ؟ . وما هو مصدر هذا اليقين الذي يقول به المؤلف ؟ .لا شيء ، فقد سكت التاريخ ، ولا دليل عند المؤلف[(٢)]ونفس السؤال ونفس الإجابة على مشجرتين وما كُتب معهما في صفحتي (١٨١ ، ١٨٢) . ويبقى المُشَجّر الذي يتعلق بشيخ قبائل قيس بن مسعود في رجال ألمع ، الذي لا أعلم شيئاً عن علاقته بالمشجرين السابقين[(٣)] . وبعد ذلك (خريطة إمارة آل عائض عام ١٢٧٣م). ذات الأماكن المترامية الأطراف شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، في أعماق نجد، وفي غياهب الصحراء حتى شرورة ، وذلك الساحل الطويل الممتد من الليث إلى مخا . وبعد ذلك يضيف بعداً آخر للحدود ، فيقول : " ووصلت إمارة عسير إلى أقصى اتساع لها إذ امتدت من الحجاز شمالاً إلى عدن جنوباً "[(٤)]. لا شك في قوة شخصية الأمير محمد بن عائض ودهائه ، ولكن الظروف المحيطة به لا

---

(١) كل هذه النصوص تحتاج إلى دراسة نقدية تحليلية تؤكد أو تنفي ما قاله جعفر الحفظي ، وكذلك ما أثبته محمود شاكر في مشجراته المذكورة أعلاه .(ابن جريس).

(٢) سوف يستمر التاريخ صامتاً عن ذكر هذه الأقوال، إلا ما جاء في مراجع متأخرة فإنه لا يعتد بها .(ابن جريس).

(٣) كان على محمود شاكر أن يوثق أقواله بمصادر رئيسية إضافة إلى ما ذكره في هذه السطور وغيرها من صفحات كتابه . (ابن جريس) .

(٤) ص٢١١ .(ابن معبِّر). إمارة آل عائض امتدت أحياناً إلى مناطق عديدة في تهامة اليمن ، وكذلك شمالاً إلى قرب الطائف ومكة المكرمة . وهناك بعض الوثائق المنشورة وغير المنشورة التي أشارت إلى هذا التمدد لتلك الإمارة في سنوات من عصرها. (ابن جريس) .

تسمح باستقرار هذه الدولة ، فهذا الاتساع المترامي الأطراف الذي رُسم على الخريطة السابقة وما أضيف إليها (من الحجاز إلى عدن) لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع ، فدولة تتنازعها الأطماع من شتى الجهات ، وعلى رأس هذه القوى الطامعة (الدولة العثمانية) وهي تمثل القوة العظمى حينذاك ، ناهيك عن الأشراف في الشمال، وآل سعود من الشرق ، والأدارسة في الغرب، واليمن من الجنوب[١] . ويضاف إلى ذلك ـ وهو الأهم ـ الضعف الشديد في المصادر الاقتصادية لدولة آل عائض المنهكة بالحروب ، والانقسامات القبلية . وإذا قبلنا هذه (الخريطة) ولا سيما الأماكن البعيدة ، فإن هذا القبول لا يُفَسَّر إلا بحملات خاطفة لا أثر لها في حياة أهل الأماكن البعيدة . دولة آل عائض دولة محدودة الزمان والمكان ؛ فالزمان فترة حكم الأميرين عائض بن مرعي وابنه محمد بن عائض (١٢٤٩- ١٢٨٩هـ) وتلاهما الحكم العثماني حتى أطَلّت أعلام الدولة السعودية عام ١٣٣٧هـ . والمكان بلاد قبيلة عسير وفروعها (مُغَيّد ، وعلكم ، وربيعة ورفيدة ، وبنو مالك) وما قَرُب منها [٢].

رابعاً: الخلاصة والنتائج:

١ـ الخلاصة : يمكن القول بأن الأستاذ محمود شاكر – مع افتراض حسن الظن – مع سابق جهده المشكور في سلسلته الرائعة (مواطن الشعوب الإسلامية) أنه أراد خدمة الأمة الإسلامية ثم العرب في هذه السلسلة ، وعندما اتجه صوب شبه جزيرة العرب رأى أن يخصص لكل إقليم كتاباً كنجد والحجاز ، ثم خص بلاد عسير بكتابه (شبه جزيرة العرب : عسير) ، وهنا تلقفته الأيدي وقدّمت إليه من المعلومات ما تريد إظهاره على يد مؤلفٍ قدير وأستاذ معروف في البلاد العربية ، فكان كتابه عن عسير الذي حشد فيه صوراً تاريخية منذ القرن الهجري الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري ، منها الصور الحقيقية ، وأخرى مُزَيّفة ، فخرج الكتاب وهو أشبه بحكايات الأسمار والسِّير الشعبية [٣].

---

(١) إن التاريخ الإداري والعسكري لدولة آل عائض مازال يستحق دراسات علمية مطولة وموثقة. ونأمل من طلابنا في قسم التاريخ (برنامج الدراسات العليا) بجامعة الملك خالد أن يتولوا مثل هذا العنوان بالبحث والدراسة.(ابن جريس) .

(٢) خرج إلى الآن عدد من الدراسات والرسائل العلمية عن منطقة عسير في عصور إمارة آل عائض والنفوذ العثماني . ولكن كل هذه البحوث لا تعطي صورة واضحة وكاملة عن التاريخ السياسي والحضاري لهذه البلاد في تلك الحقب ، ومازال هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة والمحفوظة في دور الوثائق العثمانية وغيرها، وتستحق من يحصل عليها ويدرسها في هيئة كتب وبحوث ورسائل علمية موثقة .(ابن معبِّر) .

(٣) مازال محمود شاكر رائداً فيما كتب وقدم للمكتبات العربية والإسلامية ، وهذا العلم (كما ذكرت سابقاً) يستحق أن يخصص له رسالة دكتوراه أو رسائل وكتب وبحوث توضح الجهود التي قدمها وبذلها في خدمة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ونسأل الله أن لا يحرمه أجر ما فعل وقدم في خدمة العلم وأهله .(ابن معبِّر) .

٢ـ النتائج : بعد معايشة كتاب (شبه جزيرة العرب : عسير) منذ حصولي سنة(١٤٠٤هـ) على نسخة من الطبعة الثالثة الصادرة سنة (١٤٠١هـ) ، ثم دراسته دراسة نقدية هذا العام (١٤٣٦هـ) خرجت بالنتائج التالية : (١) يفتقد الكتاب المنهج العلمي ، بل أهم عنصر في هذا المنهج ، وهو التوثيق للمعلومات ، فالمؤلف يقوم بالنقل من بعض الكتب دون الإشارة إليها في الحاشية ، سوى بعض إشارات قليلة. ومما يدل على النقل دون إسناد أن عدد صفحات الكتاب (٢٧٧) صفحة ، وليس فيه سوى (٢٦) حاشية منها (٢٠) حاشية تتعلق بصفة مباشرة مع المادة التاريخية ، والباقي لغير المادة التاريخية فمن أين أتى بمعلومات الكتاب ؟. لو كان من أهل بلاد عسير لقلنا إنّ إذ ذلك من رصيده الذي حصل عليه خلال سنوات عُمره ، فكيف به وهو يسرد ـ على سبيل المثال ـ (٣٥) صفحة دون مصدر . وهذا التجاهل في إسناد المعلومات إلى مصادرها يؤدي إلى فَقْد الكتاب لقيمته العلمية في كثير من صفحاته[1]. (٢) الخلط بين منطقة عسير ومنطقة جازان في كتاب يحمل اسم (عسير) ، وربما التمسنا له العذر لو كتب كتابه قبل استقرار الحدود الإدارية ، فهو يكتب بعد سنة ١٣٩٠هـ ، وصدر كتابه في طبعته الأولى سنة (١٣٩٦هـ) .(٣) قائمة المراجع : تشتمل هذه القائمة على (٣٢) مرجعاً ، وعند مقارنة هذه القائمة مع الكتاب لا نجد سوى أربعة عشر مرجعاً ورد ذكرها في (٢٣) حاشية ، فأين بقية المراجع من حواشي الكتاب[2] ؟ .(٤) مذكرات جعفر الحفظي : يبدو أن المؤلف استقى الكثير من أحداث عسير من مذكرات جعفر الحفظي ، ولكنه أهمل الإشارة إلى ذلك إلاّ في موضعين ، ومن المؤسف أن هذه المذكرات في طي المجهول هي وصاحبها ، فأين هذه المذكرات ؟ . الإجابة : عند أسرة آل الحفظي الكرام[3] .(٥) من خلال صفحات كثيرة في ثنايا الكتاب تبدو للقارئ بصمة كتاب (إمتاع السامر) في كثير من الأحداث والأعلام .فهل للمؤلف صلة بهذا الكتاب ـ أي الإمتاع ـ الذي شوه صورة الأمير عائض ودولته ؟ والذي أراه أن المؤلف وكتابه يمثلان واسطة العِقد في مجموعة

---

(١) أتفق معك في هذا الكلام يا ابن معبِّر ، ومع ذلك مازال الأستاذ محمود شاكر مجتهداً ويشكر على ما دون لنا في هذا الكتاب ، حتى وإن كان هناك نصوص عديدة لا نتفق فيها مع المؤلف .(ابن معبِّر).

(٢) هناك الكثير من الوثائق والمدونات والروايات التي أشارت إلى ذلك التداخل السياسي والإداري والعسكري، حتى أننا عاصرنا وشاهدنا شيئاً من هذا التداخل خلال العقود الأولى من القرن (١٥هـ/٢٠م)، وأقول أن محمود شاكر معذوراً في رصد هذا التداخل ، لأنه لم يتضح هذا الانفصال الإداري في جميع المؤسسات الحكومية إلا منذ عشرين عاماً . (ابن جريس) .

(٣) أرجو أن يأتي في قادم الأيام من يخرج هذه المذكرات ، كما أرجو من آل الحفظي أنفسهم أن يسعوا إلى إخراجها وإخراج غيرها من موروث آبائهم وأجدادهم (رحمهم الله) . (ابن جريس) .

كتب إمتاع السامر[١]. (٦) تمثل المدة (١٢٠٠ - ١٢٨٩هـ) الوجه الحقيقي للدولة أو الإمارة في بلاد عسير ، وهي المدة التي حكم فيها: (محمد بن عامر المتحمي أبو نقطة ، وعبد الوهاب بن عامر المتحمي ، وطامي بن شعيب المتحمي ، ومحمد بن أحمد المتحمي ، وسعيد بن مسلّط ، وعلي ابن مُجَثّل ، وعائض ابن مرعي، ومحمد بن عائض) [٢] . وما قام به المؤلف حول التأصيل التاريخي للأسرة الأموية العسيرية، وما سَطَّره من أمجاد وبطولات قبل تناوله الدولة في بلاد عسير منذ بداية القرن الثالث عشر ، أدّى إلى إعطاء صورة مشوهة ، وكأنَّ هذه الصورة هي شرارة النَّحس لدولة عاشت - كما زعم - أحد عشر قرناً قبل أن تتهاوى في القرن الثالث عشر[٣]. (٧) أهمل المؤلف الحديث عن بلاد عسير في عهد الدولة الأموية ، وهي الدولة الأمّ للأسرة الأموية في عسير[٤] . (٨) لكل دولة مآثر علمية ، واجتماعية، واقتصادية ، وعمرانية وغير ذلك من الجوانب الحضارية، وكل هذا نفتقده في كتاب محمود شاكر ، وهو مثل كتاب (إمتاع السامر) فلا تسمع إلاّ صليل السيوف ودوي البنادق . لقد طغى الحدث السياسي على الجوانب الحضارية خلال القرن الثالث عشر الهجري ولن يتم إظهار هذه الجوانب إلاّ من خلال أسر أمراء وعلماء عسير في القرن (١٣هـ) وعلى رأسهم أسرة آل عائض ، ثم أسرة آل الحفظي وغيرهم ممن في حوزتهم الوثائق التي لن تخلو من فائدة في هذه الجوانب . لقد شبعنا من (الحدث السياسي) . فهل أنتم فاعلون بهذا الرأي ؟[٥]. (٩) حديث المؤلف عن دولة أموية عسيرية لا يصمد أمام الحقائق التاريخية ، ومن ذلك: (أ) خلو كتب الأدب العربي من ذِكر أي شاعر أو أديب قال شعراً أو نثراً في الأسرة الأموية العسيرية.

---

(١) من قرأ هذا الكتاب ، وكتاب إمتاع السامر فإنه يتأكد أن محمود شاكر رجع لهذا الكتاب واستفاد منه في كتابه: (عسير). أما دولة آل عائض فإنها دولة ماجدة ولها إيجابيات كثيرة في خدمة أجزاء كثيرة من بلدان تهامة والسراة ، ونرجو من الباحثين الجادين المنصفين أن يدونوا التاريخ الحقيقي لهذه الأسرة العربية الجنوبية.(ابن معبِّر) .

(٢) أقول إن هناك بعض الدراسات التي صدرت عن فترات حكم أولئك الأمراء ، وأنادي من على صفحات هذا السفر فأقول أن كل واحد من هؤلاء الرجال يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية أكاديمية . (ابن معبِّر) .

(٣) يجب على المؤرخين المنصفين أن يفرقوا في دراساتهم عن جذور بني أمية في عسير منذ قرون الإسلام الأولى إلى القرن(١٣هـ/١٩م) ، وبين إمارة آل عائض التي أدارت حكم البلاد في القرن (١٣هـ/١٩م) ، لأن الفترة الأولى غير صحيحة ولا نجد لها مصادر حقيقية ، أما حكم آل عائض في العصر الحديث فهو حقيقي ويجب دراسته من كل الجوانب مع التحلي بالدقة والإنصاف والتوثيق . (ابن جريس) .

(٤) تاريخ المنطقة في ذلك الزمان غير محفوظ بشكل جيد في المصادر الأولية ، ومن يعمل في هذا الميدان لن يجد إلا نتفاً قليلة تذكر امتداد حكم بني أمية إلى بلدان تهامة والسراة . (ابن جريس) .

(٥) ليس محمود شاكر الوحيد الذي اهتم بالجانب السياسي والعسكري فقط وإنما جميع مصادر التاريخ الحولية والموضوعية المبكرة هي الأخرى ركزت جل معلوماتها على الحياة السياسية والحربية . ونقول إن دراسة التاريخ الحضاري مسؤولية الأساتذة والمؤرخين المحدثين وعليهم أن يضاعفوا الجهود في هذا الميدان . (ابن جريس).

(ب) الكتب التاريخية ، والجغرافية، وكتب التراجم التي تعرضت لبلاد عسير منذ صدر الإسلام حتى العصر الحديث لم تذكر حدثاً أو عَلَماً يتصل بالأسرة الأموية العسيرية . ولا أدلّ على ذلك من كتب الهمداني الذي وصل إلى بلاد عسير ، ولم يذكر حدثاً أو عَلَماً له علاقة بهذه الأسرة ، وتلاه غيره من المؤرخين الذين كتبوا عن بلاد عسير ، وكانت النتيجة واحدة . (ج) هناك الكثير من الدول والإمارات المجاورة لبلاد عسير ، وقد كتب عنها الكثير من الكتب ، ولكنها تخلو من الإشارة إلى دولة أموية عسيرية في بلاد عسير .(د) لم يرد أي ذكر لدولة أموية في رحلة (عبد الله بن علي المؤيدي)[1] .الذي أقام في عسير من سنة (٩٩٤هـ حتى سنة ١٠٠٦هـ) .

(١٠) يمثل الكتاب خلال زمن صدور طبعاته الثلاث (١٣٩٦، ١٣٩٨ ، ١٤٠١هـ) حدثاً ثقافياً جديداً [2] حيث وجد فيه القارئ ما يمكن وصفه بالمعلومات الجديدة التي لم تظهر في بعض الكتب التي صدرت قبله عن عسير ، ومنها :(أ) **في بلاد عسير**، فؤاد حمزة (ط١ : ١٣٧٠هـ). (ب) **في ربوع عسير**، محمد رفيع (ط١ : ١٣٧٣هـ) .(ج) **تاريخ عسير**، هاشم النعمي (ط١ : ١٣٨١هـ) . فاحتل بذلك ـ مع الكتب الثلاثة ـ درجة الأقدمية، وأصبح من المراجع المعتبرة عن منطقة عسير . إلاّ أن هذه المكانة العلمية بدأت تتهاوى بعد صدور عشرات الكتب والأبحاث والمقالات ، فقد حملت هذه الطّفرة التأليفية عن عسير الكثير من الحقائق المؤيدة بالمصادر والوثائق التي أماطت الغموض عن تاريخ عسير وبذلك يخرج كتاب (**شبه جزيرة العرب : عسير**) عن مكانته العلمية على وجه الإجمال، وتبقى له مكانة علمية على وجه التفصيل ، ففيه الكثير من الحقائق، ولا سيما إذا تم فصلها عن الأوهام . ويبقى الكتاب بصفة تمثل مرحلة من مراحل التأليف عن عسير ، مع عدم الاعتماد عليه كمرجع أو مصدر إلاّ بحذر شديد[3] .

---

(١) النفحة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية ، محمد بن عبد الله المؤيدي (ت:١٠٤٤هـ) ، الورقة ٣٢٢ وما بعدها(ابن معبِّر) . آمل أن نعرف معلومات أكثر عن هذه الرحلة ، وهل يوجد فيها تفصيلات مطولة عن منطقة عسير في هذه الفترة الإسلامية الوسيطة . (ابن جريس) .

(٢) من خلال الاطلاع على الطبعة الثالثة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، نجد أن المؤلف والناشر كتبوا في مقدمات الكتاب (الطبعة الثانية) التي صدرت عام (١٣٨٨هـ/١٩٧٨م) ، وأعتقد أنهم وقعوا في خطأ فالصحيح هو (١٣٩٨هـ) وليس(١٣٨٨هـ) . (ابن جريس) .ـ

(٣) يا ابن معبِّر كتاب محمود شاكر عن عسير لا بأس به ، والرجوع إليه ضروري عند الباحثين والأكاديميين ، وإن كان لا يخلو من الأخطاء . كما أن الكتب الأخرى التي أشرت إليها لا تخلو من خلط وأخطاء ، والواجب عليك وغيرك من الباحثين الجادين أن تتصفوا بالعدل والإنصاف فتدرسون تلك الكتب وتوضحون للقارئ ما ورد فيها من معلومات غير صحيحة ، أو نقاط تحتاج إلى تصويب أو توضيح أكثر وإن فعلت ذلك أو غيرك فإنكم سوف تسدون لنا معاشر الباحثين معروفاً كبيراً يصب في خدمة العلم والمعرفة . (والله من وراء القصد) .(ابن جريس) . ـ

خامساً: المراجع

١. **الأعلام خير الدين الزركلي** ط٥ : ١٩٨٠م ، بيروت ، دار العلم للملايين.

٢. **الأمكنة والمياه والجبال والآثار المذكورة في الأخبار والأشعار** أبو الفتح نصر ابن عبد الرحمن الاسكندري (ت نحو ٥٦١هـ) تحقيق : حمد الجاسر ط : ١٤٢٥هـ ، الرياض

٣. **الإيناس في علم الأنساب الوزير المغربي تحقيق** : حمد الجاسر ط : ١٤٠٠هـ، الرياض ، النادي الأدبي .

٤. **تاج العروس الزبيدي** ط : بيروت .

٥. **تاريخ الطبري (تاريخ (الأمم والملوك) الطبري** (ت ٣١٠هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦. **تاريخ عسير بين الماضي والحاضر** هاشم بن سعيد النعمي ط١ : ١٣٨١هـ ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر .

٧. **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه:** ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) تحقيق : محمد علي البجاوي ط : القاهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر .

٨. **النفحة العنبرية محمد بن عبد الله المؤيدي مخطوط** ، صنعاء ، الجامع الكبير

٩. **التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية**. يوريس زارينس ، وعبد الجواد مراد ، وخالد اليعيش مجلة (أطلال) الرياض ، ع٥ ، ١٤٠١هـ .

١٠. **جُرَش قاعدة الأزد. حمد الجاسر مجلة** (العرب) الرياض ، س٥ ، ج٧ ، محرم ١٣٩١هـ، ص ص ٥٩٣- ٦٠١ .

١١. **الجغرافيا التاريخية لشبه الجزيرة محمد خميس الزوكة**. ط : الاسكندرية

١٢. **جمهرة أنساب العرب أبو محمد علي بن أحمد بن حَزْم تحقيق** : عبد السلام محمد هارون ط٥ : ١٩٨٢م ، القاهرة ، دار المعارف .

١٣. **الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض حسن بن أحمد** اليمني تحقيق : عبد الله بن علي بن حميد ط : ١٣٩٨هـ ، دمشق ، دار الفكر .

١٤. **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة** (ق١هـ - ق١٠هـ) د. غيثان بن علي جريس ط : ١٤٢٤هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي ، ج١ .

١٥. **سراة عَنْز بن وائل** . محمد بن أحمد مُعَبِّر ط١ : ١٤٣٢هـ ، خميس مشيط .

١٦. السيرة النبوية . ابن هشام

١٧. **صفة جزيرة العرب الحسن بن أحمد الهمداني** تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ط : ١٣٩٤هـ ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

١٨. **عسير في مذكرات سليمان الكمالي أحمد بن حسن بن عبد الله النعمي** ط : ١٤٠٣هـ القاهرة ، المطبعة الحديثة .

١٩. **عسير والتاريخ وانحراف المسار** منصور بن أحمد بن منصور العسيري ط١ : ٢٠١٢ ، القاهرة ، دار الطناني للنشر والتوزيع .

٢٠. **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ) تحقيق : د. سعيد عبد الفتاح عاشور ط : ١٣٨٨هـ، القاهرة ، دار الكاتب العربي .

٢١. **في سراة غامد وزهران : نصوص ، مشاهدات، انطباعات** حمد الجاسر ط:٣٩١هـ ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

٢٢. **قصّة البحث عن جُرَش محمد بن أحمد مُعَبر** ط١ : ١٤٣٤هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي .

٢٣. **محمد بن صالح الشهراني (مدرسة المسقي في رحاب المجتمع)**محمد بن أحمد مُعَبِّر .ط١ ١٤٣٥هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي .

٢٤. **مختلف القبائل ومؤتلفيها.** أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي تحقيق : حمد الجاسرط١ ١٤٠٠هـ ، الرياض ، النادي الأدبي .

٢٥. **مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة** محمد بن أحمد مُعَبِّر ط١ : ١٤٠٨هـ ، خميس مشيط ، دار جرش للنشر والتوزيع .

٢٦. **معجم البلدان ياقوت الحموي** (ت٦٢٦هـ) ط : بيروت ، دار الكتاب العربي .

٢٧. **معجم البلدان والقبائل اليمنية**. إبراهيم أحمد المقحفي ط : ١٩٨٥م ، صنعاء ، دار الكلمة .

٢٨. **ملتقى حجاج** (WWW. Hjjaj.net/vb/showthread.php?t=10) .

٢٩. **نسب عدنان وقحطان المبرد** ط : الدوحة .

٣٠. **اليمن في تاريخ ابن خلدون**. تعليق: محمد بن حسين الفَرِح ط : ١٤٢٥هـ، صنعاء ، وزارة الثقافة والسياحة .

سادساً: آراء وتعليقات :

في هذا القسم أوردنا ثلاثة بحوث صوبت وراجعت وانتقدت دراسات أرخت لشيء من تاريخ الجنوب السعودي وبخاصة منطقة عسير وما حولها . ولا نقول أن تلك البحوث المنقودة لا جديد فيها أو فائدة منها ، وإنما هي جهود مباركة من إخوة عالجوا بعض الجوانب التاريخية والحضارية من وجهة أنظارهم ، وفيهم الذي اعتمد في بحثه على مصادر ومراجع قديمة وحديثة ، ومنهم الذي اتخذ من مشاهدته ، ومعاصرته لأهل الجنوب قاعدة في جمع مادته العلمية وتحليلها ، وجميعهم اجتهدوا ، ونسأل الله أن لا يحرمهم أجر ما فعلوا . ثم جاء بعدهم من نقد أعمالهم مثل: الأستاذين محمد بن أحمد بن معبِّر القحطاني ، ومحمد بن علي الدحيمي الشهري فأدليا بدلويهما وذكرا بعض التصويبات والانتقادات التي تصب في مصلحة تلك الدراسات المطبوعة والمنشورة، وربما تفتح الباب لغيرهما ليحذوا حذوهما في إضافة ما لم يستطيعان ذكره، أو نقد ودراسة كتب وبحوث أخرى سبق نشرها وفيها من الأخطاء أو النقص ما يجب إبرازه للباحثين والمهتمين بدراسة التاريخ والحضارة . وكم نحن في أمس الحاجة إلى السماع لبعضنا ، وتصحيح أخطائنا ، والبحث عن القول الحق الذي يستند على أقوال ومصادر صحيحة وموثقة[1] .

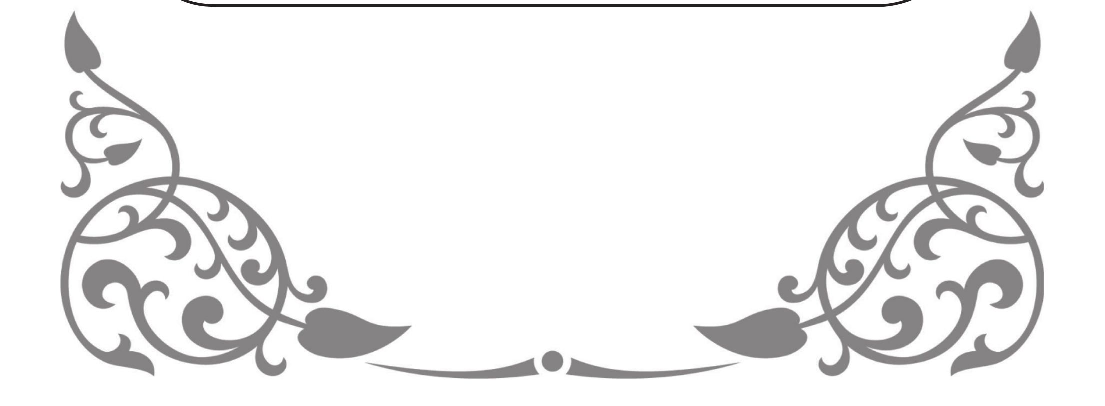
---

(١) أنادي من على صفحات هذا السفر في بناتنا وأبنائنا من طلاب الدراسات العليا في أقسامنا العلمية الأكاديمية، وإلى كل دارس أو باحث أن يراقب الله فيما يجمع ويكتب من معارف وعلوم ، وأن نجتهد جميعاً في البحث عن الحقيقة ، والبعد عن التيارات أو الأهواء أو الرغبات التي تقودنا إلى قول خاطئ وإلى عمل يضر صاحبه في الدنيا والآخرة، كما يجب أن نعلم ونستشعر أن رسالتنا هي أفضل الرسالات ، وأن أمتنا (أمة الإسلام الوسطية) هي أفضل الأمم والشعوب . (والله من وراء القصد) .(ابن جريس) . _



القسم الخامس

الخاتمة
النتائج والتوصيات



القسم السادس

الخاتمة : النتائج والتوصيات

اشتمل هذا السفر رقم (١٢) من كتابنا الموسوعي : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، على أربعة أقسام رئيسية ، ومقدمة ، وخاتمة ، وملاحق لعدد من الوثائق التي لم يسبق نشرها. وجميع مادة هذا الجزء تدرس صوراً من تاريخ بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة ، ومعظم التفصيلات المدروسة والمنشورة تدور في فلك مناطق عسير ، وجازان ، والباحة ، والعرضيات التابعة إدارياً لإمارة منطقة مكة المكرمة[1] .

وفي الصفحات التالية ننضح ببعض الموضوعات والمحاور التي تستحق أن تدرس في ندوات ومؤتمرات ، أو في كتب ، أو بحوث ، أو رسائل علمية ، وهذه من مسؤوليات المؤرخين ، والآثاريين واللغويين ، والجغرافيين ، وجميع الباحثين في أوطان تهامة والسراة ، كما أنها من مسؤوليات الجامعات، ومراكز البحوث ، والمؤسسات العلمية . وهي على النحو الآتي:

١. لا تخلو نهاية كل محور في هذا الجزء من آراء وتعليقات وتوصيات واقتراحات علمية ، ونأمل من القراء الكرام أن يطلعوا عليها لعلهم يجدون فيها ما يفيد وبخاصة الباحثين وطلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ ، والاجتماع ، والجغرافيا ، واللغة العربية وآدابها .

٢. صدر عن أجزاء عديدة وموضوعات متفرقة في بلاد تهامة والسراة

(١) قلنا (معظم التفصيلات) عن هذه البلاد المذكورة أعلاه ، مع أن هناك إشارات قليلة عن مواضع وأحداث في نواحي وبلدان أخرى من تهامة والسراة . والعرضيات ، الآنف ذكرها ، تتبع إدارياً لإمارة منطقة مكرة المكرمة ، لكنها على صلات قريبة وقوية (جغرافياً وسكانياً) بمنطقتي عسير والباحة ، والأفضل أن تتبع هذه الناحية إدارياً إحدى هاتين المنطقتين ،وهي إلى منطقة الباحة أقرب وأفضل .

العديد من الكتب ، والبحوث العلمية المنشورة في بعض المجلات الأكاديمية ، وبعض الرسائل العلمية ، ونرجو أن تدرس وتحقق وتصوب وبخاصة ما كان منها مشوباً ببعض الأخطاء والمغالطات المقصودة أو غير المقصودة.

٣. تحتوي كتب التراث الإسلامي على كثير من الشذرات والإشارات التاريخية والحضارية الخاصة بأرض وسكان بلدان تهامة والسراة . وهذه المصادر جديرة بالجمع والدراسة والتحقيق والتصويب والتوثيق.

٤. تزخر بلاد تهامة والسراة بالكثير من الآثار ، والحصون ، والقلاع ، والأسواق ، والقرى ، والمقابر ، والآبار، والأحمية ، والطرق القديمة . والواجب على جامعات الجنوب السعودي أن تنشئ أقساماً ومراكزاً بحثية تعتني بهذه المصادر المادية التي تعكس صوراً من تاريخ هذه الأوطان السروية والتهامية .

٥. إن تركيبة بلاد تهامة والسراة السكانية عشائرية ، وهناك مئات العشائر والفخوذ تستوطن أماكنها منذ آلاف السنين . وأقول إن كل عشيرة أو قبيلة في هذه البلاد تستحق أن تدرس في بحوث تاريخية وحضارية عديدة. ونأمل من أصحاب الاختصاص ومن الباحثين والمؤرخين الجادين أن يدرسوا هذا الميدان الحضاري الهام .

٦. مر على بلاد تهامة والسراة منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال عهود الإسلام المختلفة الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية والدبلوماسية. وهذا الجانب جديد في بابه ويستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث.

٧. إن الجوانب الحضارية (الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية والتعليمية والفكرية) من الموضوعات الجديرة بالبحث والدارسة في عموم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية . ونأمل أن تدرس في بحوث وكتب علمية منذ العصر القديم وعبر أطوار التاريخ الإسلامي .

٨. لا ندعي الكمال في كل ما أدرجناه في هذا السفر، لكن لا تخلو جميع المحاور من جديد في موادها العلمية ، وبعضها مازال بحاجة إلى تفصيلات وتحقيقات وتصويبات . ونأمل أن يأتي من طالباتنا وطلابنا من يستكمل هذه الحلقات الغامضة أو الناقصة أو الخاطئة .

٩. يوجد في نهاية هذا الجزء عشرات الوثائق الجديدة في بابها ، التي لم يسبق نشرها ، وهي تستحق الدراسة والتحليل والتحقيق ، ومن يقوم بذلك فسوف يسدي لطلاب البحث العلمي خدمة كبيرة ، ونسأل الله أن يوفق أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا ، أو أحد زملائنا من المؤرخين في أقسام التاريخ إلى القيام بهذا العمل العلمي المفيد والجليل .

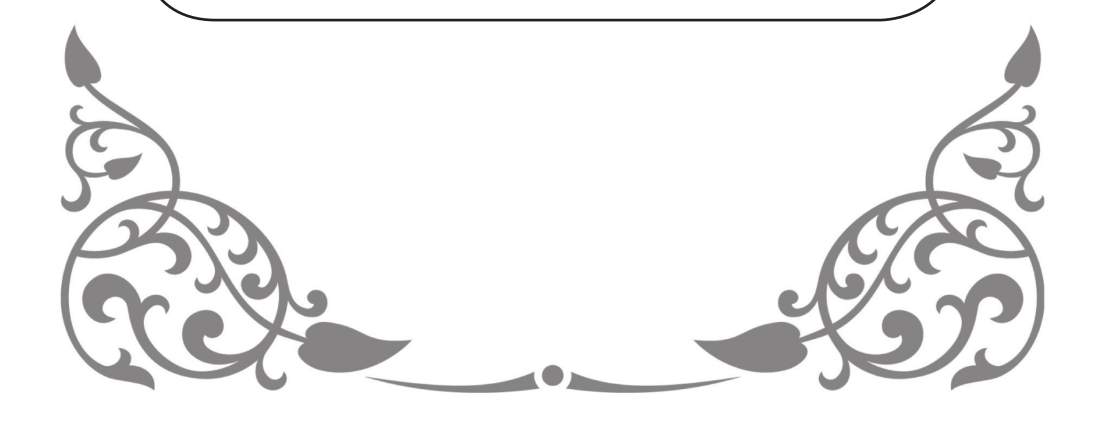
١٠. نعلم أن المقابلات والمشاهدات من المصادر التي تصب في خدمة التاريخ ، والواجب على من يعمل في هذا الميدان توخي الحذر في دقة الرصد أثناء المشاهدات ، والالتزام بالأمانة والصدق والحيادية أثناء نقل المعلومات من الرواة. ومن يحرص على الوصول إلى الحقيقة فعليه أن يصبر ويتحمل كل ما يواجهه من عقبات وعناء ، ويستشعر أن كل ما يتم رصده سوف يصبح من التاريخ، فلا يكذب أو يدلس أو يضلل .

١١. أرجو من كل قارئ كريم لهذا الجزء أن لا يبخل علينا بأي معلومة تصوب خطأً ، أو تستكمل نقصاً ، أو توضح غامضاً ، أو تفتح باباً جديداً في ميدان البحث التاريخي الصادق والنزيه . وليعلم الجميع أنني طالب علم أبحث عن الحقيقة، وكل من يسدي لي فضلاً ويوضح لي خللاً في هذه الدراسة، فهو من أصحاب الفضل ، وسوف أذكره بخير في نفسي ، وفي تصويباته التي تصلني .



القسم السادس

ملاحق الكتاب العامة



أولاً : ملحق الوثائق وفهرستها

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
١-	**ملحق رقم (١):** وثيقة في عام (١٣١٤هـ) بخصوص بعض الإجراءات المالية والإدارية في بلاد بني عمر في تهامة منطقة الباحة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٥ .**	٥٠٤
٢-	**ملحق رقم (٢) :** خطاب بتاريخ (٦/ذو القعدة /١٣٢٠هـ) من وكيل متصرف لواء عسير الشيخ إبراهيم أفندي ، شيخ قرية المخواة ، يذكر له أنه وصلهم أخبار بعض المتمردين على الدولة في بلاده ويطلبه السعي في حل المشكلة وإخبار الدولة بما هو سائر في بلادهم ، مع الإشارة إلى أن المتصرفية العثمانية سوف تعاقب من يثير الفوضى والقلاقل في البلاد . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م) ، ج٨٣، ص ١٠٢.**	٥٠٥
٣-	**ملحق رقم (٣):** وثيقة بتاريخ (١٦/شوال/١٣٢١هـ)من متصرف لواء عسير إلى كافة أعيان بني عمر في تهامة منطقة الباحة يخبرهم أن شيخهم أحمد بن إبراهيم بن موالا يحل مكان أبيه في مشيخة القبيلة وعليهم السمع والطاعة له . **المصدر: مكتبة د.غيثان ابن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٧.**	٥٠٦
٤-	**ملحق رقم (٤):** خطاب بتاريخ (١٠/رجب/ ١٣٣٠هـ) من أحد المسؤولين في مكة المكرمة إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره بما وصلهم في مكة من أخبار جيدة عن هذا الشيخ ، ويذكر وجوب تنفيذ بعض المطالب الخاصة ببلاده وأهلها. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩٩.**	٥٠٧
٥-	**ملحق رقم (٥) :** خطاب بتاريخ (١٥/المحرم/١٣٣٦هـ) من متصرف لواء عسير إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره برضا الدولة عليه لحسن سيرته ، ويطلب منه ، أن يكون على اتصال مستمر بحاكم (قائمقام) القفنذة ، ويعده بخدمته ومكافأته . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٠ .**	٥٠٨
٦-	**ملحق رقم (٦):** خطاب بتاريخ (١١/رجب/١٣٣٦هـ) من أمير هذيل باشا ابن إبراهيم العبدلي إلى الشريف أحمد بن عبد الله الشنبري يذكر له بعض الأخبار التي تتعلق بأجزاء من تهامة غامد وبني عمر وبعض شيوخها . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٩ .**	٥٠٩

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٧	**ملحق رقم (٧) :** خطاب بتاريخ (٢٠/شوال/١٣٤٣هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى أحد شيوخ غامد يخبره بما يجب عليه لنصر الدولة وتوحيد البلاد . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م) ، ج٨٣، ص ٢.**	٥١٠
-٨	**ملحق رقم (٨):** خطاب بتاريخ (١٣٤٤/٦/٩هـ) من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره ويبشره بما حققت جيوش الإمام عبد العزيز الفيصل في جدة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٨.**	٥١١
-٩	**ملحق رقم (٩):** خطاب بتاريخ (١٣٤٥/٥/١٤هـ) من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى محمد بن أحمد بن موالا يعزيه في والده ويخبره أن يحل محله في مشيخة بلاده وأهلها ، ويقول له بعض النصائح والتوجيهات الأخرى . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩١.**	٥١٢
-١٠	**ملحق رقم (١٠) :** خطاب بتاريخ (١٣٤٦/٥/٦هـ) من أحد رجالات أسرة آل مشيط في خميس مشيط إلى الأمير محمد بن سعيد بن مشيط يهديه السلام ويوضح له بعض الأمور الخاصة والعامة . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٧ .**	٥١٣
-١١	**ملحق رقم(١١):** خطاب بتاريخ (١٣٤٧/٤/١٩هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الشيخ هاشم بن صالح بن عدنان ، أحد شيوخ قبائل غامد ، يخبره بمحاربة بعض المتمردين في بلاد السراة ، وما هو الواجب عليه. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠ .**	٥١٤
-١٢	**ملحق رقم (١٢):** خطاب بتاريخ (١٣٤٧/٤/٢٧هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى الشيخ هاشم بن صالح . أحد شيوخ سراة غامد، يشكره على جهوده المباركة في محاربة بعض الثائرين على الحكومة ، ويسأل الله النصر والتوفيق. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٨ .**	٥١٥
-١٣	**ملحق رقم (١٣) :** خطاب بتاريخ (١٣٤٨/٤/١٨هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ هاشم بن عدنان ، أحد شيوخ سراة غامد ، يذكره بما عليهم من نصات الجهاد ، والواجب منه السمع والطاعة . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م) ، ج٨٣، ص ٦ .**	٥١٦

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-١٤	**ملحق رقم (١٤):** خطاب بتاريخ (١٣٥٠/٦/٢٥هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ هاشم بن صالح بن عدنان وجماعته بني خثيم في سراة غامد يخبرهم بما عليهم من واجبات تصب في مصلحة الجهاد وحفظ البلاد. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٥.**	٥١٧
-١٥	**ملحق رقم (١٥):** خطاب بتاريخ (١٣٥٠/٦/٢٥هـ) من أمير الطائف عبد الله بن محمد الشيخ إلى بعض شيوخ وأعيان قبيلة بني عمر في تهامة منطقة الباحة يحثهم على الإسراع في دفع نصيبهم من نصات الجهاد. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩٣.**	٥١٨
-١٦	**ملحق رقم (١٦):** وثيقة (بدون تاريخ) من مترك بن شفلوت، أحد شيوخ وأعيان قحطان، إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة يطلبه العون والمساعد المالية. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٤٩ .**	٥١٩
-١٧	**ملحق رقم(١٧):** خطاب بتاريخ (../المحرم/١٣٥١هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى شيخ بني عمر في تهامة منطقة الباحة ، محمد بن موالا ، يوضح له العديد من التوجيهات التي يجب عليه اتباعها في بلاده، وما هو الواجب عليه وجماعته تجاه الدولة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٠ .**	٥٢٠
-١٨	**ملحق رقم (١٨):** مذكرة مكونة من (١٢) صفحة ومؤرخة في عام (١٣٥٢هـ) ، وهي تحتوي على زكوات مواشي ربيعة البدو في عسير التابعة لقبيلة بني مغيد وما حولها من الأقوام مثل: ربيعة ، وبني ماجور ، وآل وايلة ، وآل عيسى بن أحمد ، والجهرة. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٢٢-٣٣ .**	٥٢١
-١٩	**ملحق رقم (١٩):** خطاب (بدون تاريخ) من الأمير عبد الرحمن بن ثنيان إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم ، شيخ بعض قبائل المخواة في تهامة غامد وزهران وبني عُمر، يذكر له بعض النصائح والتوجيهات تجاه بعض أعداء الدولة السعودية الحديثة. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٩٦.**	٥٣٣

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٢٠	**ملحق رقم (٢٠):** خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٦/٤هـ) من الأمير عبد العزيز العسكر إلى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة يخبره بسفره وبعض أهله إلى الرياض وما حولها ويفيده بأخبار أخرى عديدة بعضها عام وآخر خاص. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٨٣، ص ٥٩ .**	٥٣٤
-٢١	**ملحق رقم (٢١):** خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٥/٥هـ) من قاضي أبها فيصل المبارك إلى عبد الوهاب أبو ملحة يطلبه إدراج اسم أحد الأيتام مع اليتامى الذين يصرف لهم مصروف من بيت المال. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٥٨ .**	٥٣٥
-٢٢	**ملحق رقم (٢٢):** خطاب بتاريخ (١٣٥٤/١٢/٢هـ) من أحد المسؤولين في القطاع العسكري في منطقة عسير إلى آخر يوجهه بصرف حقوق وأرزاق بعض العساكر. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٦٠.**	٥٣٦
-٢٣	**ملحق رقم (٢٣):** خطاب بتاريخ (١٣٥٥/٤/١٦هـ) من أمير الظفير في بلاد غامد وزهران إلى الشيخ محمد بن أحمد بن موالا في المخواة يوضح له أن نصيب الجهاد على العقارات والأملاك وليس على الأفراد. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٨٣، ص ٨٤ .**	٥٣٧
-٢٤	**ملحق رقم (٢٤):** وثيقة بتاريخ (٥/رمضان/١٣٥٥هـ) من أمير نجران إلى عبد الوهاب أبو ملحة يهديه السلام ويشكره على إرسال استحقاقاته وكاتبه ورفاقه في العمل. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٣، ص ٥٤ .**	٥٣٨
-٢٥	**ملحق رقم (٢٥):** وثيقة بتاريخ (شهر شوال/١٣٥٥هـ)وهي عبارة عن جدول رواتب موظفي مدرسة جازان الأميرية في شهر (١٣٥٥/١٠هـ). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٤٦.**	٥٣٩
-٢٦	**ملحق رقم (٢٦):** وثيقة بتاريخ (١٣٥٧/٧/٧هـ) من مالية أبها وفيها توضيح التعرفة الجمركية في جازان والمفروض العمل بموجبها من أصل تعرفة أبها وتوابعها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٤٥.**	٥٤٠

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٢٧	**ملحق رقم (٢٧):** خطاب بتاريخ (١٣٥٨/٦/٢٢هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى أمير الظفير عبد الرحمن السديري يذكر فيه أسماء بعض شيوخ غامد وزهران وبني عمر ورواتبهم والواجب اعتمادها. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ص ٨٣، ص ١١٧-١١٨ .**	٥٤١
-٢٨	**ملحق رقم (٢٨):** خطاب بتاريخ (-/١٣٥٩/١هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها يشرح له توجه فريق عمل إلى جنوب السعودية للقيام ببعض الأعمال التي كلفوا بها ، ويطلب منه خدمة هذه الهيئة المكلفة والتعاون معهم . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٣٥ .**	٥٤٣
-٢٩	**ملحق رقم (٢٩):** خطاب بتاريخ (١٣٥٩/١/٢١هـ) من وزير المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يؤكد فيه على وجوب توحيد رسم الدمغة على السمن في عدد من مناطق الجنوب السعودي مثل: أبها ، وجازان ، والقنفذة . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٨٣، ص ٣٤ .**	٥٤٤
-٣٠	**ملحق رقم (٣٠):** وثيقة بتاريخ (صفر/١٣٥٩هـ) توضح رواتب مأموري ومستخدمي مالية ورسوم القحمة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٤١ .**	٥٤٥
-٣١	**ملحق رقم (٣١):** وثيقة بتاريخ (صفر/١٣٥٩هـ) تبين رواتب موظفي الدمغة في جازان . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٤٣ .**	٥٤٦
-٣٢	**ملحق رقم (٣٢):** خطاب بتاريخ (١٣٥٩/٥/٢٣هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يوضح فيه بعض الإجراءات لمنع تهريب النقود إلى اليمن. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٣٦ .**	٥٤٧
-٣٣	**ملحق رقم (٣٣):** خطاب بتاريخ (١٣٥٩/٨/١٥هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها حول ميزان صبيا وما يجب العمل حياله . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٨٣ ، ص٣٩.**	٥٤٨
-٣٤	**ملحق رقم (٣٤) :** وثيقة بتاريخ (شوال/١٣٥٩هـ) عبارة عن جدول يوضح رواتب كتاب إمارة جازان لشهر شوال عام (١٣٥٩هـ) . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٢٠.**	٥٤٩

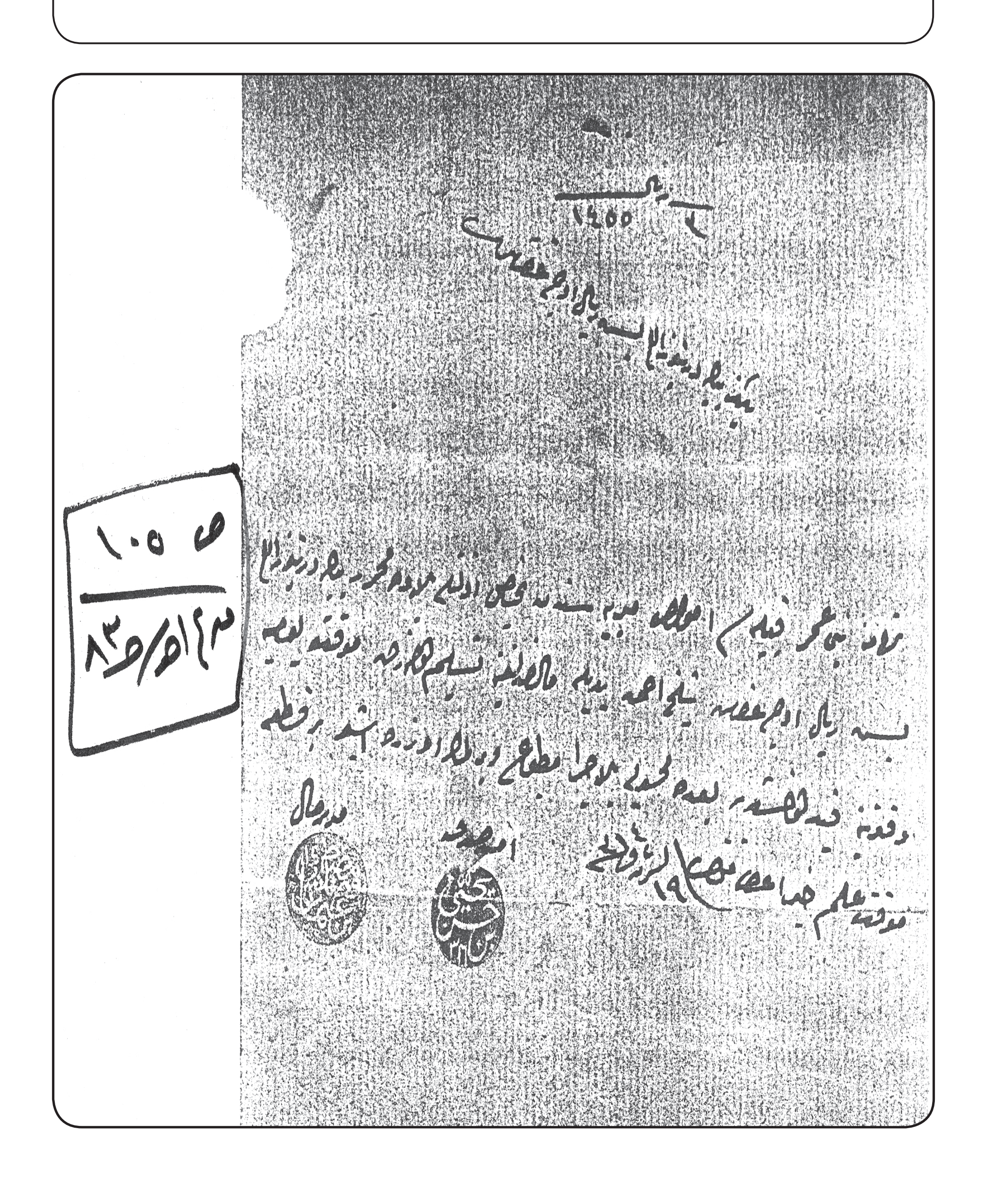
م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٣٥	**ملحق رقم (٣٥):** جدول بتاريخ (شوال/١٣٥٩هـ) يوضح الرواتب المنصرفة لموظفي مالية صبيا في شهر شوال (١٣٥٩هـ) . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٠.**	٥٥٠
-٣٦	**ملحق رقم (٣٦):** خطاب بتاريخ (١٣٦٩/٤/٢هـ) من المدعو محمد الزهراني إلى الشيخ عبد الله بن موالا في بلاد المخواة يعزيه في وفاة ابنه ويرسل له بعض المال ويعتذر على التأخير، ويشرح له أسعار بعض السلع في بلاده . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ١٠٣ .**	٥٥١
-٣٧	**ملحق رقم (٣٧):** خطاب (بدون تاريخ) من الملك سعود إلى الشيخ عبد الله بن موالا في بلاد المخواة يشرح له الطرق المتبعة لصرف الهبات والعوائد على المحتاجين وغيرهم ، وعلى هذا الشيخ التعاون مع موظفي الدولة في إيصال هذه الأعطيات إلى أصحابها. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٢.**	٥٥٢
-٣٨	**ملحق رقم (٣٨):** خطاب بتاريخ (١٣٨٠/٢/٢١هـ) من مدير مالية بلجرشي إلى عبد الله بن أحمد الشدوي يخبره بأنه ضمن أعضاء هيئة توزيع زكوات قبائل غامد وزهران (تهامة وسراة) عام (١٣٧٩هـ) ويوصيه بالجد والاجتهاد . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١١٣ .**	٥٥٣
-٣٩	**ملحق رقم (٣٩):** خطاب بتاريخ (١٣٨٣/١٠/١٦هـ) من أحد المسؤولين إلى عريفة قرية السلاطين عبد الله أحمد الشدوي في جبل شدا غامد يخبره بما هو جاري من أعمال لإصلاح عقبتهم (طريقهم) في جبل شدا الأعلى . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١١٤ .**	٥٥٤
-٤٠	**ملحق رقم (٤٠):** خطاب بتاريخ (١٣٨٥/٥/١٦هـ) من عبد العزيز بن عبد الهادي إلى عبد الله بن أحمد الشدوي يهديه السلام، ويخبره أن عقبتهم (طريقهم) في شدا الأعلى سوف تنزل في مناقصة قريباً، ويرغب إشعاره بذلك. **المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ص ٨٣، ص ١١٩.**	٥٥٥
-٤١	**ملحق رقم (٤١):** خطاب بتاريخ (١٣٨٦/٥/٨هـ) من رئيس مركز المخواة عبدالله ابن فهد إلى العريفة عبد الله بن أحمد يخبره وجوب استعداده وجماعته للتعاون مع عمال المواشي الذين هم قادمون إلى منطقة المخواة وما حولها. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص١٢٢.**	٥٥٦

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
٤٢-	**ملحق رقم (٤٢):** خطاب بتاريخ (١٣٨٦/٧/٢٦هـ) من رئيس مركز المخواة عبدالله بن فهد زامل إلى عريفة شد الأعلى عبد الله بن أحمد يخبر بالتعميم الذي وصلهم وفيه تأجيل صلاة الاستسقاء . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٢٠ .**	٥٥٧
٤٣-	**ملحق رقم (٤٣):** خطاب بتاريخ (١٣٨٦/٨/١٧هـ) من رئيس مركز المخواة إلى عبد الله أحمد الشدوي يبلغه بالتعميم الذي أرسله رئيس القضاة في المملكة على أن تكون صلاة الاستسقاء يوم الخميس (١٣٨٦/٨/١٩هـ) ، وعليه إبلاغ جماعته. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ١١٦.**	٥٥٨
٤٤-	**ملحق رقم (٤٤):** اتفاقية وملحقاتها بتواريخ (١٣٨٨/١١/١٥، ١٠/٤هـ) ، بين العمال الذين يقومون بإصلاح طريق شدا الأعلى وبين اللجنة التنفيذية والقائمين على هذا المشروع ، وفيها تفصيلات عن كيفية بدء العمل والاستمرار فيه ، وهناك قائمة بأسماء العاملين في هذا الطريق وأجرتهم . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٠-١١١.**	٥٥٩
٤٥-	**ملحق رقم (٤٥):** رسالة إخوانية بتاريخ (١٣٩١/١٢/١٩هـ) من الأستاذ فضل الله أحمد فضل الله من موجه التربية الفنية في القنفذة إلى الشيخ عبد الله الشدوي في شدا الأعلى يشكره على كرمه وحسن استقباله وما قدم من خدمات له. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١٢٤ .**	٥٦١
٤٦-	**ملحق رقم (٤٦):** مشهد بتاريخ (١٤٠٧/٧/٢٧هـ) من عشرة أعيان من قرية آل رزيق، قرية المؤلف ، وفيه يشهدون على امتلاك عقار في بلادهم لأحد رجالهم ، ويظهر في هذا المشهد أسمائهم وتواقيعهم . **المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ص ٨٣، ص ١٩ .**	٥٦٢
٤٧-	**ملحق رقم (٤٧):** خطاب بتاريخ (١٤١٢/١/١٩هـ) من الأستاذ علي بن صالح السلوك ، مدير عام الإدارة في إمارة منطقة الباحة إلى الشيخ أحمد بن موالا يهديه السلام ويطلب منه التعاون في جمع بعض المادة العلمية عن بلاده حتى يضمنها الطبعة الثانية من كتابه (المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران) . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص٧٧.**	٥٦٣

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٤٨	**ملحق رقم (٤٨):** خطاب بتاريخ (١٤١٢/٦/٥هـ) من الأستاذ علي بن صالح السلوك إلى الشيخ أحمد بن موالا يذكره بالخطاب الذي أرسله له من قبل ويطلب فيه معلومات عن بلاده وسكان القبائل التابعة له ، ويستحثه على التجارب، وذلك من أجل تضمين هذه المادة العلمية في الطبعة الثانية من كتابة (المعجم الجغرافي) . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٧٦.**	٥٦٤
-٤٩	**ملحق رقم (٤٩):** خطاب بتاريخ (١٤١٩/٢/٢٣هـ) من مدير التعليم بمحافظة المخواة إلى الشيخ أحمد بن عبد الله بن موالا ، شيخ قبيلة بني عمر الأشاعيب ، يطلبه معلومات مختصرة عن بلاده وسكانها وذلك بناءً على ما جاء من خطابات وتوجيهات من سمو وكيل إمارة منطقة الباحة ، ومن رئيس النادي الأدبي في الباحة . وبرفقة هذا الخطاب معلومات في صفحتين تحت توقيع الشيخ عبدالله بن أحمد بن موالا ، وهاتان الصفحتان غير مؤرخة ، لكنها بعد تاريخ الخطاب المذكور أعلاه بزمن. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ٧٠-٧١، ٧٨ .**	٥٦٥
-٥٠	**ملحق رقم (٥٠):** مذكرة في خمس صفحات بتاريخ (١٤٣٧/١/٢٠هـ) من تدوين الدكتور قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم ، الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد في أبها ، وفيها قراءة وآراء ووجهات نظر على كتابين من إعداد الأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر ، وهما: (١) وثائق غيثان بن جريس الخاصة (ثمانية مجلدات) (٢) دليل البحوث الجامعية في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٧هـ) (لم ترقم بعد) .**	٥٦٨
-٥١	**ملحق رقم (٥١):** خطاب بتاريخ (١٤٣٨/٤/٦هـ) مدونة من غيثان بن جريس إلى أرباب القلم والباحثين والمؤلفين وأهل الرأي في البلاد الممتدة من شمال مدينة محايل في تهامة عسير إلى بلدة قلوة في تهامة زهران ، وذلك أثناء قيامه برحلة في هذه البلاد في شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ويطلبهم فيه التعاون معه في تدوين بعض الصفحات التاريخية والحضارية عن بلادهم ، ويوجد العديد من المحاور المذكورة في هذا الخطاب التي يبحث غيثان عنها . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٨هـ) (لم ترقم بعد) .**	٥٧٣

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
٥٢-	**ملحق رقم (٥٢):** مذكرة بتاريخ (١٤٣٨/٦/٢هـ) من شيخ عشيرة العوامر في العرضيات محمد بن علي بن سعد آل شاكر العامري مرسلة إلى غيثان بن جريس يعلق فيها على بعض المعلومات المنشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني) صفحة (٤٠٠) ويضيف تفصيلات أخرى عن عشيرة العوامر وصور من تاريخها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٨هـ) (لم ترقم بعد) .**	٥٧٧

ملحق رقم (١) : وثيقة في عام (١٣١٤هـ) بخصوص بعض الإجراءات المالية والإدارية في بلاد بني عمر في تهامة منطقة الباحة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٥ .**



ملحق رقم (٢): خطاب بتاريخ (٦/ذو القعدة /١٣٢٠هـ) من وكيل متصرف لواء عسير الشيخ إبراهيم أفندي ، شيخ قرية المخواة ، يذكر له أنه وصلهم أخبار بعض المتمردين على الدولة في بلاده ويطلبه السعي في حل المشكلة وإخبار الدولة بما هو سائر في بلادهم ، مع الإشارة إلى أن المتصرفية العثمانية سوف تعاقب من يثير الفوضى والقلاقل في البلاد .

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٢.

المكرم الشيخ ابرهيم افندى شيخ قرية المخوه سلمه [illegible]

وبعد فبالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته نخبركم [illegible] من الاطراف بان اهالى خصوصاً غامد زكوا الطاعه والانبساط

الى جناب حضرت السلطان المعظم الذى هو نائبه من قديم ويتبعون يلحقون بالفساد والتمرد الذى هو منافى لرضا الله

ورسوله ويبعدون من تسليم حقوق الدوله ولكن ما صدقنا ولا سمعنا هذه الاقوال الواهيه حيث ان اهالى غامد من يوم

التشكيلات الى الان هم سامعين ومطيعين ويسلمون حقوق الدوله العليه وانتم بامشايخ غامد بين الدوله بالصدق

والصداقه والاستقامه ولكن ان كان بعض الاهالى عملا انهم [illegible] وفساد موجوده فيلزم حال وصول امرنا هذا اليكم فانتم

تعرفونا بالمتمردين حتى اذا تحقق فسادهم فيحق نجرى التاديب والتربيه ونريهم سطوت وهيبت السلطان الاعظم لان

الدوله مالها عاجزه من تاديب اهل الفساد ومن غير ذلك يقولون ان ما عندهم من الاسلحه والجبخانه والاس[illegible]

والنقود المرتوبه حتى فهمنا اجوبتهم ماهو مقبول والجواب ولاجل ذلك يلزم فانتم تنصحونهم وتستردون

المرتوبات كافه وسوف تحظون الى بعد الشفقه وعرفونا بذلك واجتهدوا واهتموا فى هذا الخصوص ولابد تنالون الالطاف

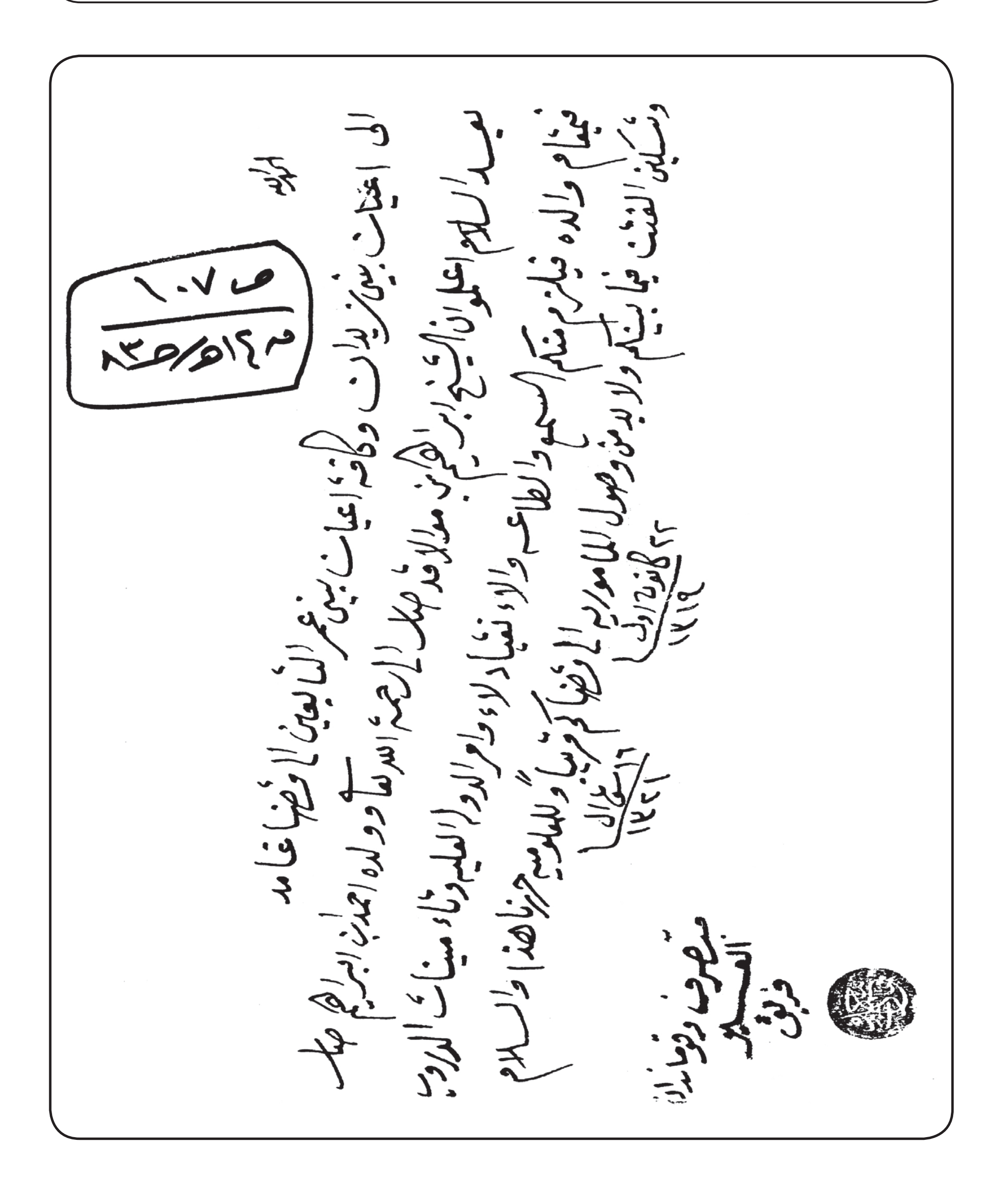
لكون معلومكم ودمتم سالمين ٦ ذى القعده سنه [illegible]

وكيل متصرف لواء عسير

[illegible]

[illegible]

ملحق رقم (٣): وثيقة بتاريخ (١٦/شوال/١٣٢١هـ) من متصرف لواء عسير إلى كافة أعيان بني عمر في تهامة منطقة الباحة يخبرهم أن شيخهم أحمد بن إبراهيم بن موالا يحل مكان أبيه في مشيخة القبيلة وعليهم السمع والطاعة له . **المصدر: مكتبة د.غيثان ابن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٧.**


ص ١٠٧
م١٤هـ/ج٨٣

ملحق رقم (٤): خطاب بتاريخ (١٠/رجب/١٣٣٠هـ) من أحد المسؤولين في مكة المكرمة إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره بما وصلهم في مكة من أخبار جيدة عن هذا الشيخ، ويذكر وجوب تنفيذ بعض المطالب الخاصة ببلاده وأهلها. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٩.**

الى الشيخ احمد بن ابراهيم بن موالا

بعد السلام ورحمة الله وبركاته كتابك وصل وما ذكرته علم واسرنا ما ابديته من حسن المقابلة لطائفتنا
جميعاً فهذا هو المأمول فيك والمنتظر منك خصوصاً اجتهادك فيما يقرب القبايل للمواجهة
فهذه الخدمات لا تستنكر من امثالك ومن جهة ما تطلبه من خيام وعساكر وغيره فنحن في الراحة
وقد امرنا القبايل بتعليم حوشانهم والوجه الكريم انشا الله تعالى وقد بلغ مسامع والى النعم سيدنا
امير مكة مواجهة الشيخ حسن ومحمد لنا وابداكم الطاعة لبني عمرو وعليه امر على جميع مواجر البنادر
والقرايه برفع التحكير الذي كان على النحو الذاه فالمطلوب اخباركم يلحقهم بان من كان له غرض في اي
بندر كان من بنادرنا فهو مبسوط ومسيح ونشري ما عليه اي تعرض حسب اخباركم ولا تحتاج
وصاية في ما يحملك وما ذكرته والسلام ١٠ رجب سنة ٣٠

امير مكة

ص ٩٩/ج٨٣/ق١٤هـ/٢٠م

ملحق رقم (٥): خطاب بتاريخ (١٥/المحرم/١٣٣٦هـ) من متصرف لواء عسير إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره برضا الدولة عليه لحسن سيرته ، ويطلب منه ، أن يكون على اتصال مستمر بحاكم (قائمقام) القنفذة ، ويعده بخدمته ومكافأته . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٠ .**

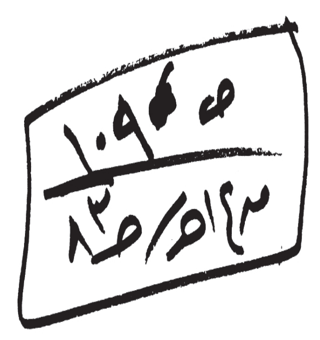
الى الشيخ المكرم احمد ابن ابرهيم ابن موالا سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد الذي نعرفك به انه وصل الينا
رئيس الحمل الحجاز الشريف محمد بن محمد افندي الكبسي من الحج وهو من المحبين الصادقين للدولة العلية
والحكومة السنية جداً فافادنا المومى اليه بصداقتك وصلاح حالك ومحبتك للدولة والحكومة
وهذا ممنونين منك وبناءً على ذالك اعلم انك تحت امان الله وامان الحكومة
السنيه كما يبين لك المومى اليه في كتابه الصادر اليك لفاً بواسطة قائممقام القنفذة
وقوما تذكره وقد كلفنا امرنا قبلاً على القائممقام المومى اليه يكاتبك وجاوبنا بانه
كتب اليك وامرناه بهذه الدفعه ايضاً انه يأسس المخابره معك فيقتضى
منك ربط المخابره معه ورفع كل ما يلزم اليه بوقته وزمانه ولو خفياً وبذلك
تكتسب زيادة المحبوبية منا ونكافيك ان شاء الله على حسب ما نشاهده من
خدمتك وصداقتك وتكون محظوظاً ان شاء الله هذا ما لزم بيانه
والسلام

١٥ محرم الحرام ٣٦

متصرف وقومندان لواء عسير المستقل
مدلول

ملحق رقم (٦): خطاب بتاريخ (١١/رجب/١٣٣٦هـ) من أمير هذيل باشا ابن إبراهيم العبدلي إلى الشريف أحمد بن عبد الله الشنبري يذكر له بعض الأخبار التي تتعلق بأجزاء من تهامة غامد وبني عمر وبعض شيوخها . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٩ .**



تخص حضرة اللهم المكرم نائب مليكنا المعظم ولدنا العزيز الشريف احمد بن عبد الله الشنبري سلمه الله امين

وبعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصل بطرفنا الشيخ احمد بن ابراهيم بن عبود ويقول عنه

نصف عاشرت البيرق من عرض غامد ان [illegible] قل فانت اخبر غامد وخلافهم

[illegible] حاله ويكنون على الداعي واذ قامت الفاقه بكم وبر عسكم من غامد

وبني عمر وبني [illegible] قد سميناه نوح بنفسه وليستقيم بوزعهم من [illegible]

هذا ما لزم اخبرناكم به والسلام ١١ رجب ١٣٣٦ امير هذيل

باشا ابن ابراهيم

العبدلي

ملحق رقم (٧): خطاب بتاريخ (٢٠/شوال/١٣٤٣هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى أحد شيوخ غامد يخبره بما يجب عليه لنصر الدولة وتوحيد البلاد .

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م)، ج٨٣، ص ٢.



ص ٢
١٤هـ/٢٠م/٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل الى [illegible] سعيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك موجب [illegible] انكم ان المسلمين كلهم [illegible] للجهاد والمسلمين

[illegible] واحد وحالاً واصلكم خادمنا [illegible] وعرفنا عبدالعزيز بن براهيم يكتب عليكم

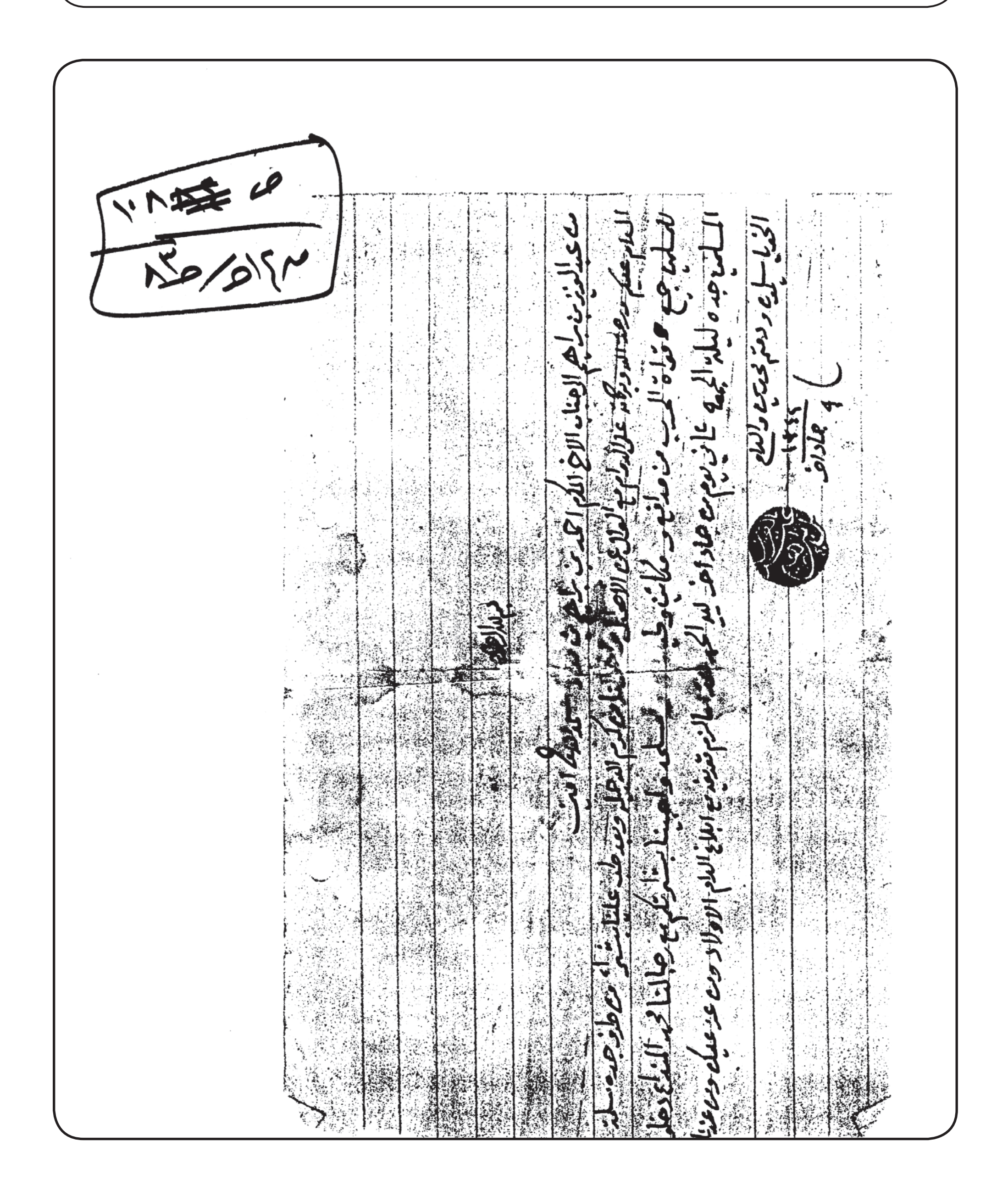
جهاد تمشون مع رجالنا من طرفه [illegible] الذي [illegible] قضى الله امرهم [illegible] المسلمين

لكن بقية اطراف ها المدينه وتحتاج لتجهيز غزو ثاني وانتم ان شاء الله فيكم بركة هذا

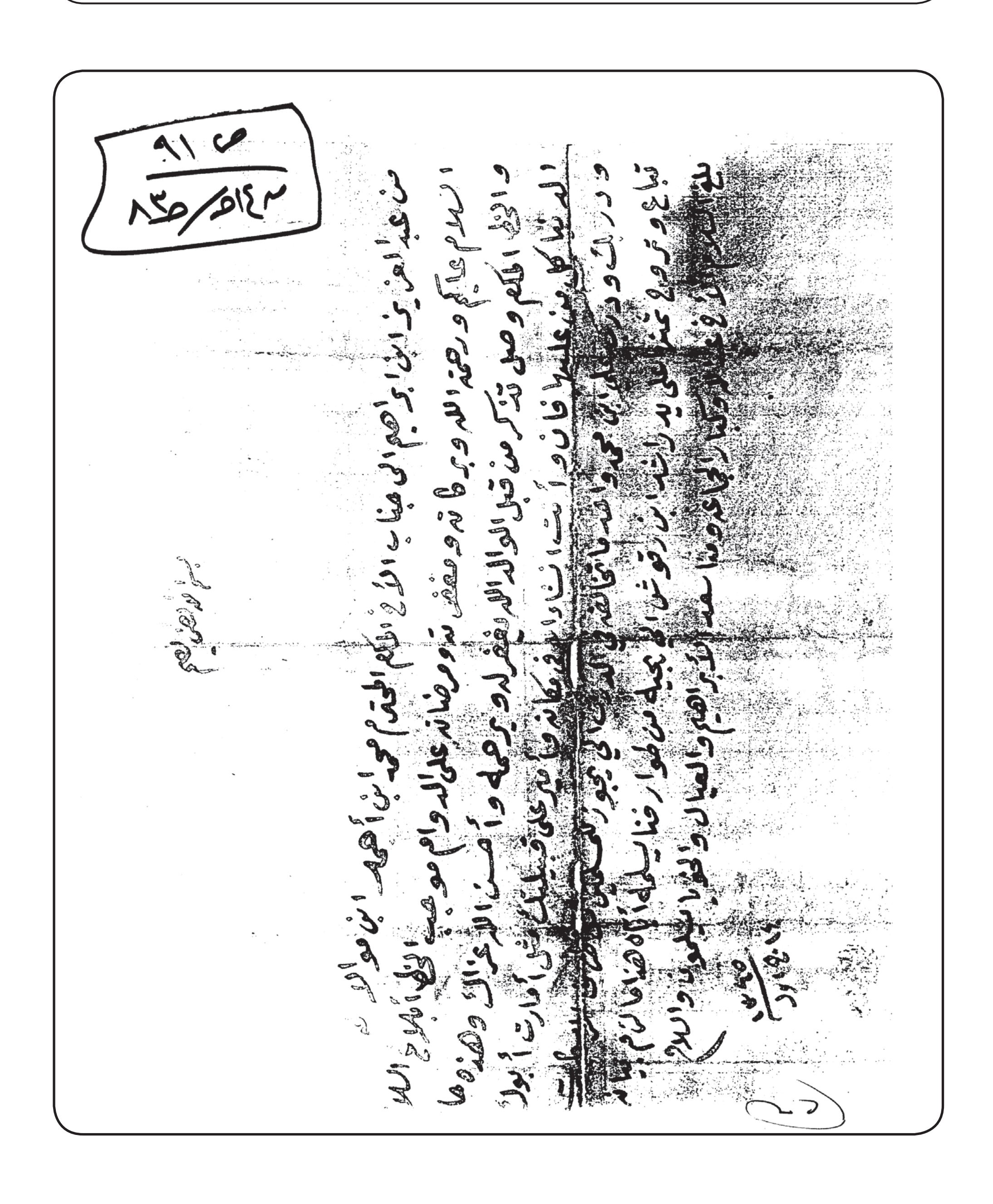
ما لزم تعريفه ودمتم محروسين والسلام

١٣٤٣
٢٠ شوال

ملحق رقم (٨): خطاب بتاريخ (١٣٤٤/٦/٩هـ) من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره ويبشره بما حققت جيوش الإمام عبد العزيز الفيصل في جدة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٨.**



ملحـق رقم (٩): خطاب بتاريخ (١٣٤٥/٥/١٤هـ) من الأمـير عبد العزيز بن إبراهيم إلى محمد بن أحمد بن موالا يعزيه في والده ويخبره أن يحل محله في مشيخة بلاده وأهلها ، ويقول له بعض النصائح والتوجيهات الأخرى . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩١.**



ملحق رقم (١٠): خطاب بتاريخ (١٣٤٦/٥/٦هـ) من أحد رجالات أسرة آل مشيط في خميس مشيط إلى الأمير محمد بن سعيد بن مشيط يهديه السلام ويوضح له بعض الأمور الخاصة والعامة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٧.**

ص ١٧

ق١٤هـ/ ج٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

يحظى ويتشرف بمطالعة أنوار فخر أقرانه الولد الحبيب ابن الحبيب الأكرم المكرم الأمير السيد محمد بن سعيد [illegible]

سلمه الله ذاته وشد بحياته واستعمله في مرضاته آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والتحية والإكرام

بعد تفسيلكم الدعا بينما نحن في أبركة وقد وسعد وأجل قربة وطاعة ونحن نرتقب أخبار

الأمير التي هي للقلوب سارة وللعيون قارة وإذا الجواب من ابها الدنيا وصل قبل العصر صحبة

خط من ابن عزيز ولم يعرفنا من هم الأمير أبو الجلي والحبيب حسن ابن سعيد القصد نرجو من

احسانكم تفيدنا بما يعرف لك [illegible] فضلا الآن الحال الله يعوننكم نرجوا الله أن يجمع الشمل

بتمام الحضور على العافية وأيضا قد تقدم لنا الذي كتب خط بيد الولد الحبيب الأمير عبدالله ابن سعيد

بعد رجوعي [illegible] وجا مراحي الى بلادي على غير [illegible] الله حالي ومرواحي [illegible]

لليل فعند ذلك صار أني أسئت أدبي ولم أقدم لكم مني تعريف بخط شيء لأني [illegible]

باين قلق وعجل والرسد خفقتنا من وساع جنابكم سامح ولا تأخذ ومن

عندنا الأولاد علي سعيد وسعد ابن سعيد ومشيط ابن سعيد وابنكم الأفهم عبدالعزيز [illegible]

والولد موسى ابن محمد وكل الجميع يقبلون لكم الدعا هذا ما لزم ومن لديكم عزيز والسلام

الداعي لكم خادم حملة القرآن العظيم [illegible] ١٣٤٦

ملحق رقم (١١): خطاب بتاريخ (١٣٤٧/٤/١٩هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الشيخ هاشم بن صالح بن عدنان ، أحد شيوخ قبائل غامد ، يخبره بمحاربة بعض المتمردين في بلاد السراة ، وما هو الواجب عليه. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠ .**

ص ١٠
١٤٢/هـ/د/٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم هاشم بن صالح بن عدنان سلمه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام والسؤال عن احوالكم احوالنا من كرم الله جميله بعد ذلك بلغنا خبر

ما الخبث [illegible] وامثاله الحمد لله هذا الذي يعذرنا عند الله وحال الناس [illegible] والبيارق الذي في الطايف

متوجهة اليهم وبن لؤي والحرث وبعض البيارق الذي في مكه توجه انشاء الله على طريق تهامه واخبرنا

اهل الليث وطوارفهم واهل القنفده وطوارفهم كلهم يمشون وينزلون منزلهم العام وبحول الله وقوته

كل عدو ضعيف ولا حركه انشاء الله الا ذهابه وكل معروف بنفسه ومماه الجميل وانتم انشاء الله

تتوكلون على الله وتمشون وتشيرون الحجر نرجوا ان الله ينصر دينه ويعلي كلمته هذا مالزم مع ابلاغ السلام

العيال ومن عندنا العيال يسلمون والسلام

١٣٤٧

١٩ ربيع ثاني

ملحق رقم (١٢): خطاب بتاريخ (١٣٤٧/٤/٢٧هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى الشيخ هاشم بن صالح . أحد شيوخ سراة غامد، يشكره على جهوده المباركة في محاربة بعض الثائرين على الحكومة ، ويسأل الله النصر والتوفيق. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٨ .**

ص ٨
١٤هـ/ ٨٣





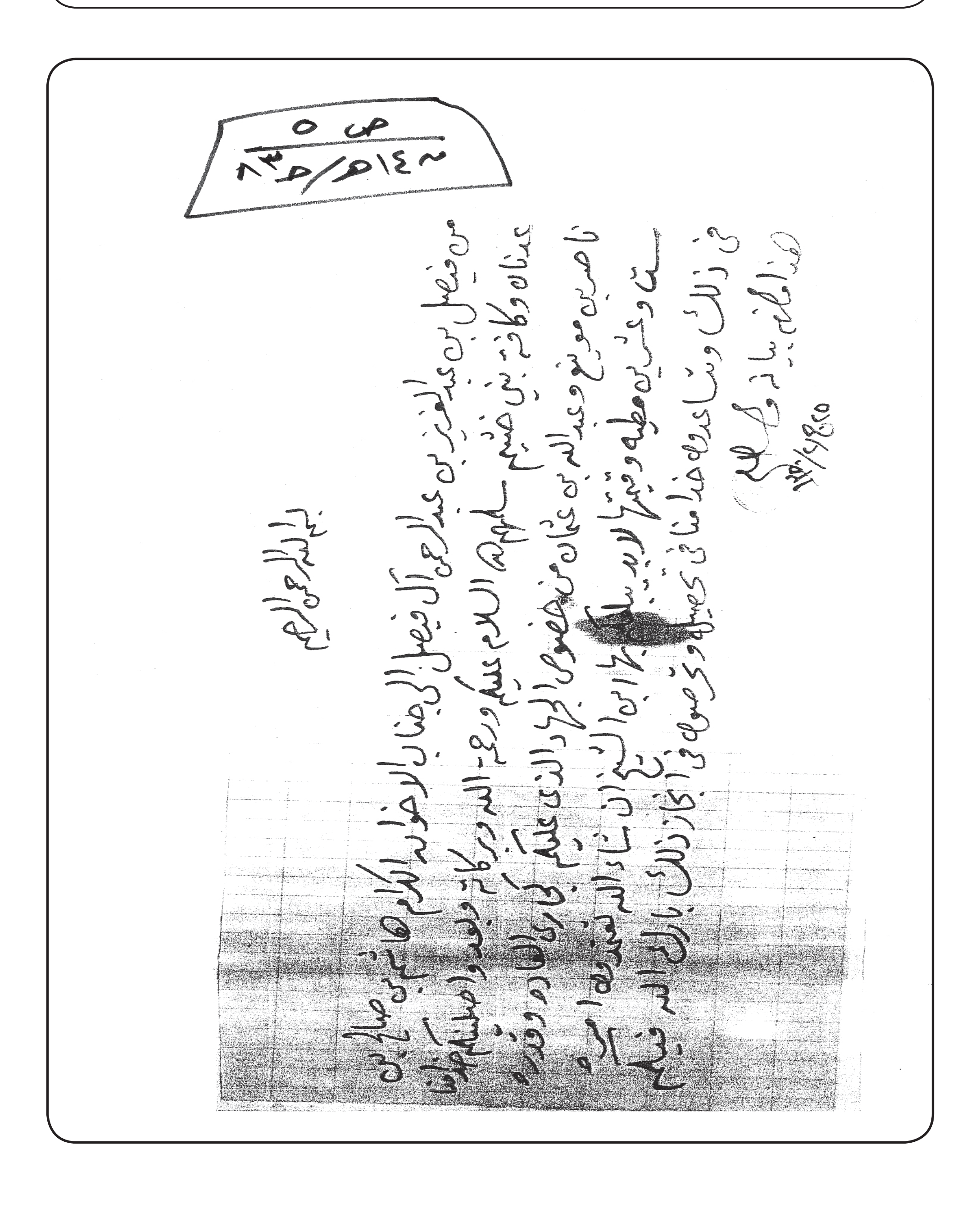
ديوان جلالة الملك

من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الأخ المكرم هاشم بن صالح سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن حالكم احوالنا من كرم الله جميلة ، بعده
كتابكم المكرم المبشر بما من الله به من نصر دينه واعلاء كلمته وذل اعداء دينه وصل ـ
وحمدنا الله جل شأنه على ما من به من نعمه الظاهرة والباطنة وعوائده سبحانه جميلة
نرجوان الله تعالى يديمها علينا وعليكم وعلى كافة المسلمين وهو سبحانه المسؤول ان ينصر
دينه ويعلى كلمته ويذل اعداء دينه ، ولقد سرنا كثيرا تعريفكم بما حصل على أيديكم
من قتل اعداء الله ... على ديارهم و... ولا به انشا الله قد صار القبض على ها
الفاجر والبشارة ... نرجوان الله ... فيه الخير والصلاح للدين ـ
والعباد والبلاد هذا مالزم تعريفه والسلام ... الاخوان كافة ومنا الاخوان والمشايخ
يسلمون ودمتم محروسين

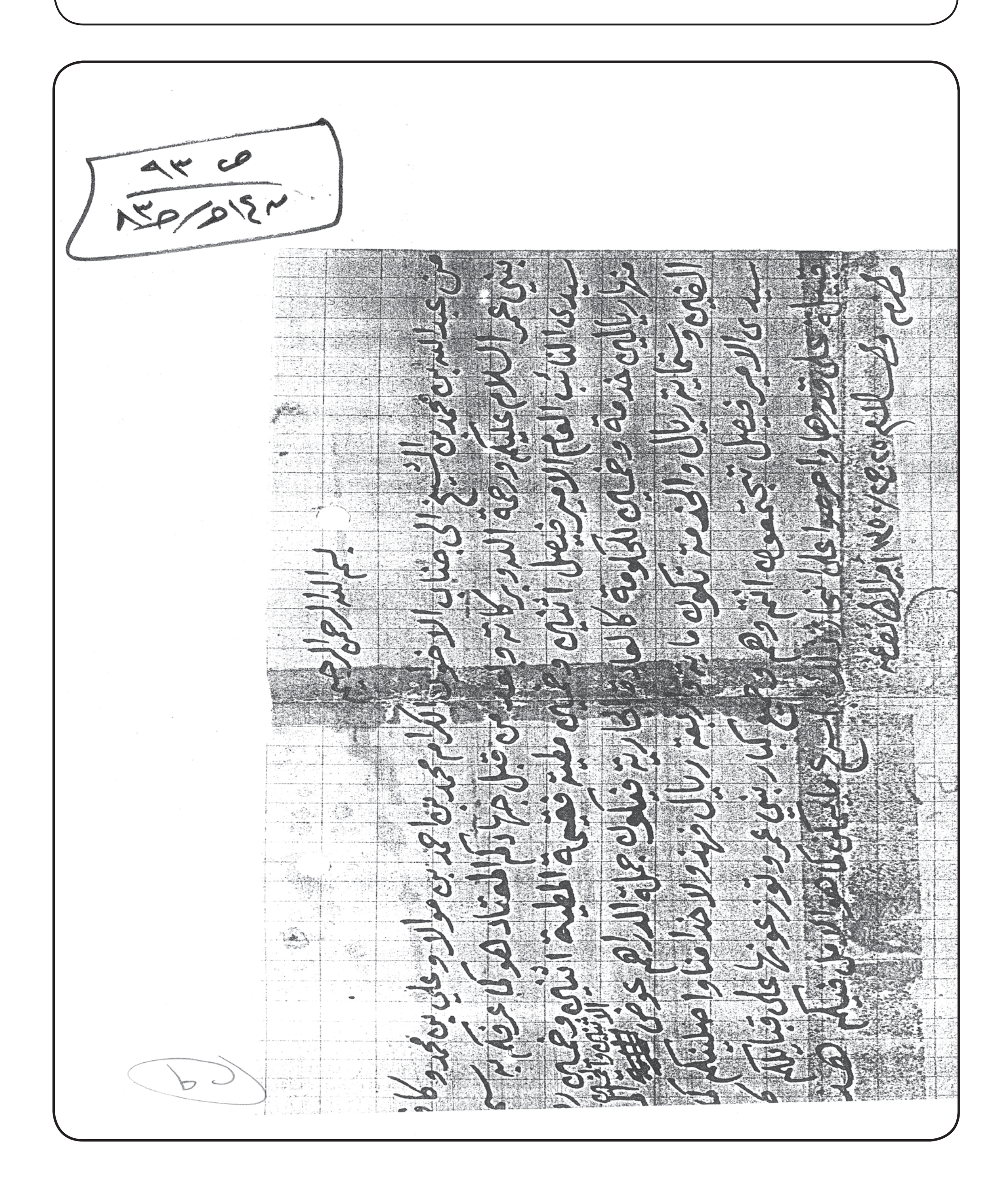
٢٧ ربيع الأول ١٣٤٧

ملحق رقم (١٣): خطاب بتاريخ (١٨/٤/١٣٤٨هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ هاشم بن عدنان ، أحد شيوخ سراة غامد ، يذكره بما عليهم من نصات الجهاد ، والواجب منه السمع والطاعة . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م)، ج٨٣، ص ٦ .**

ملحق رقم (١٤): خطاب بتاريخ (١٣٥٠/٦/٢٥هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ هاشم بن صالح بن عدنان وجماعته بني خثيم في سراة غامد يخبرهم بما عليهم من واجبات تصب في مصلحة الجهاد وحفظ البلاد. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٥.**



ملحق رقم (١٥): خطاب بتاريخ (١٣٥٠/٦/٢٥هـ) من أمير الطائف عبد الله بن محمد الشيخ إلى بعض شيوخ وأعيان قبيلة بني عمر في تهامة منطقة الباحة يحثهم على الإسراع في دفع نصيبهم من نصات الجهاد. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩٣.**



ملحق رقم (١٦): وثيقة (بدون تاريخ) من مترك بن شفلوت، أحد شيوخ وأعيان قحطان، إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة يطلبه العون والمساعد المالية. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٤٩ .**

بسم الله الرحمن الرحيم

من مترك ابن شفلوت الى الاخ الشيخ عبد الوهاب

ابن محمد ابو ملحه سلمه الله امين السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته وبعد يا اخي بارك الله فيك ان في

هذا المكان ولا احنا غنيين عن معاونتكم ولا اخفاك

[illegible] علينا في [illegible] وانت اكرم من يوصف له هذا

والرحمة [illegible] والسلام

ص ٤٩

١٤هـ ج ٨٣

ملحق رقم (١٧): خطاب بتاريخ (../المحرم/١٣٥١هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى شيخ بني عمر في تهامة منطقة الباحة ، محمد بن موالا ، يوضح له العديد من التوجيهات التي يجب عليه اتباعها في بلاده، وما هو الواجب عليه وجماعته تجاه الدولة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٠ .**

ص ٩٠
ق١٤هـ/ ٢٠م

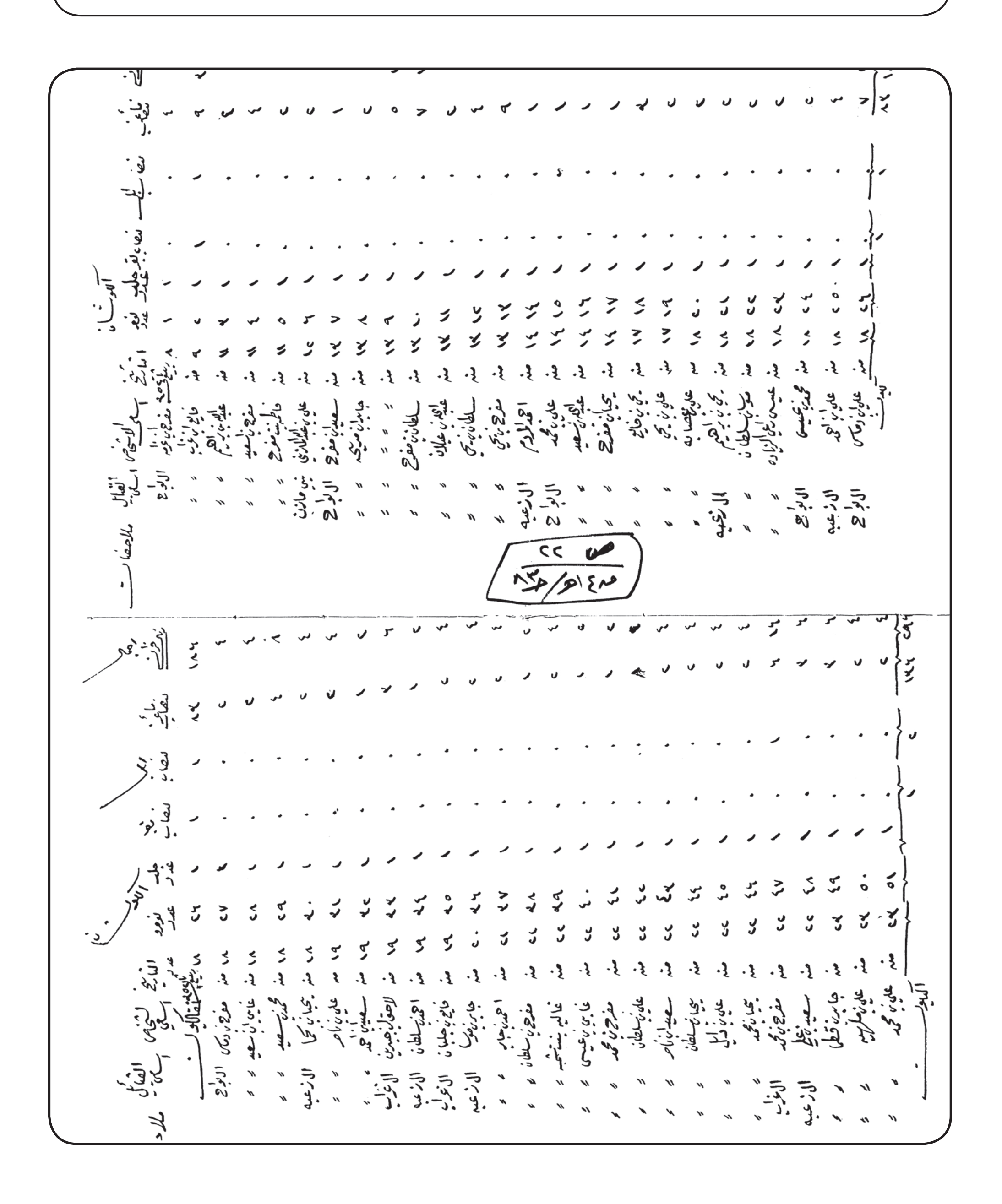
بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى المكرم محمد بن موالا وجماعة بني عمرو

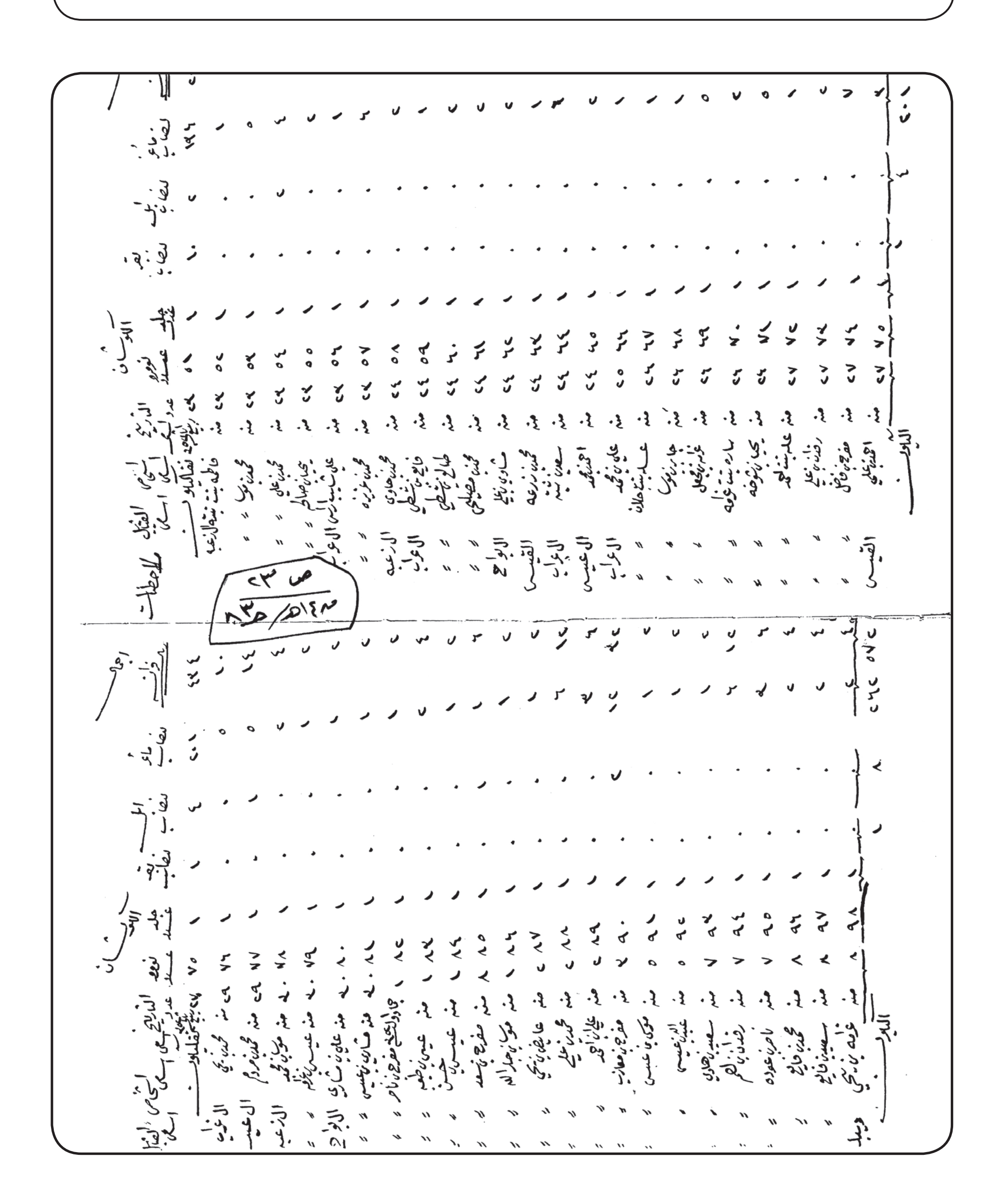
السلام عليكم ورحمة الله بركاته بعد ذلك تفهمون ان الولايه مالها قصد الا راحتكم واخذ حق الله منكم وعدم التعدى عليكم بغير ما انزل الله بقا بالخاطر تعرفون ان حنا تركنا الامور السابقه ودفنا ما بينكم من الشقاق الا الدين او الاحكام الماضيه الشرعيه دم اوغيره عليه حكم شرعى ماضى من عند اميرنا الحالى ثم بعد ذلك ان جميع الدعاوى من بيع وشرا المتقدم مخلاصة سوا انه من الحكومات الماضية قبلنا او من امرانا قبل اليوم اذا صار من امرانا بحكم شرعى فلا لاحد حق الاعتراض فيه او نكثه انما هو ماض ولا فيه مراجعة ومن تعدى ذلك او تكلم فيه او تداخل فيه سوى انه من امرانا او خدامنا او امراء القبائل او احد من القبائل فلا يلوم الا نفسه ثم بعد ذلك حنا ارسلنا عمال لاجل الكشف على الامور المتنازع فيها بينكم او احد مختلس شيء ومغبيه على العمال السابقين او ظلم احد من خدامنا الذى عندكم موجودين اوغيرهم فالجميع قبيلة او اميراو شخص يغبى عن العمال زرع او شى من الجبايات ما بيننه لهم فهو مخالف لاوامر الحكومة وتأديبه ان يؤخذ المال الذى هو مغبى ويحط عليه جرم ثانى اما حبس او نكال فاما نصيحة العمال واعمالهم فحنا اوصيناهم بتقوى الله وان لا يدعون شى من حقوق الحكومة التى اوجبها الله لهم ولا يظلمون احداً ثم بعد ذلك اذا القو على القبيلة وخرصوهم كل قبيلة او شخص يكتبون خراصهم فى ورقة من الاوراق الذى معهم ويسلمونها لطالبها سوى انه شخص بنفسه او امير قبيلة اما الشخص يعطا ورقه على قدر خراصه واما امير القبيلة يعطا ورقه على قدر خراص جماعته حتى اذا ارادت الحكومه الجباية أو باعت المحصول على احد يقابل به راعى المال المشترى او القابض حتى لا يزاد عليه شيء ما هو ب عليه من الخراص وجميع من زيد عليه أو ظلم ولا رفع أمره للحكومة فهو ظالم لنفسه واذا أطلعت الحكومة تنكله فاما الامراء فعليهم تقوى الله وعدم ظلم عشائرهم ومن اعتدى بغير ذلك فلا يلوم الا نفسه فاما من قبل الجباية أو البيع على احد فلا لاحد حق ان يقبل امر احد فى ذلك الا بتقرير المالية وتقرير امير الكافة تحته وامضاه وكل أمير يمشى مع العمال حتى تخلص قبيلته ولا له حق يتداخل فى شيء من الامور الا اذا رأى ظلم ينصح العمال واذا ابو فيراجع الحكومة وبالاخص امير الكافة واذا تبين شيء مدسوس ما ورج عليه الامير العمال فالمسؤلية والنكال عليه وعلى صاحب المال الذى داسه سوى انها حراثة او ماشية وهذا الكتاب معمول به دايم ما زال ما غير منا بغيره لان هذا الذى يلزمنا (فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها) وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم حرر

حرر في محرم ١٣٥١

ملحق رقم (١٨): مذكرة مكونة من (١٢) صفحة ومؤرخة في عام (١٣٥٢هـ) ، وهي تحتوي على زكوات مواشي ربيعة البدو في عسير التابعة لقبيلة بني مغيد وما حولها من الأقوام مثل: ربيعة ، وبني ماجور ، وآل وايلة ، وآل عيسى بن أحمد ، والجهرة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٢٢-٣٣ .**

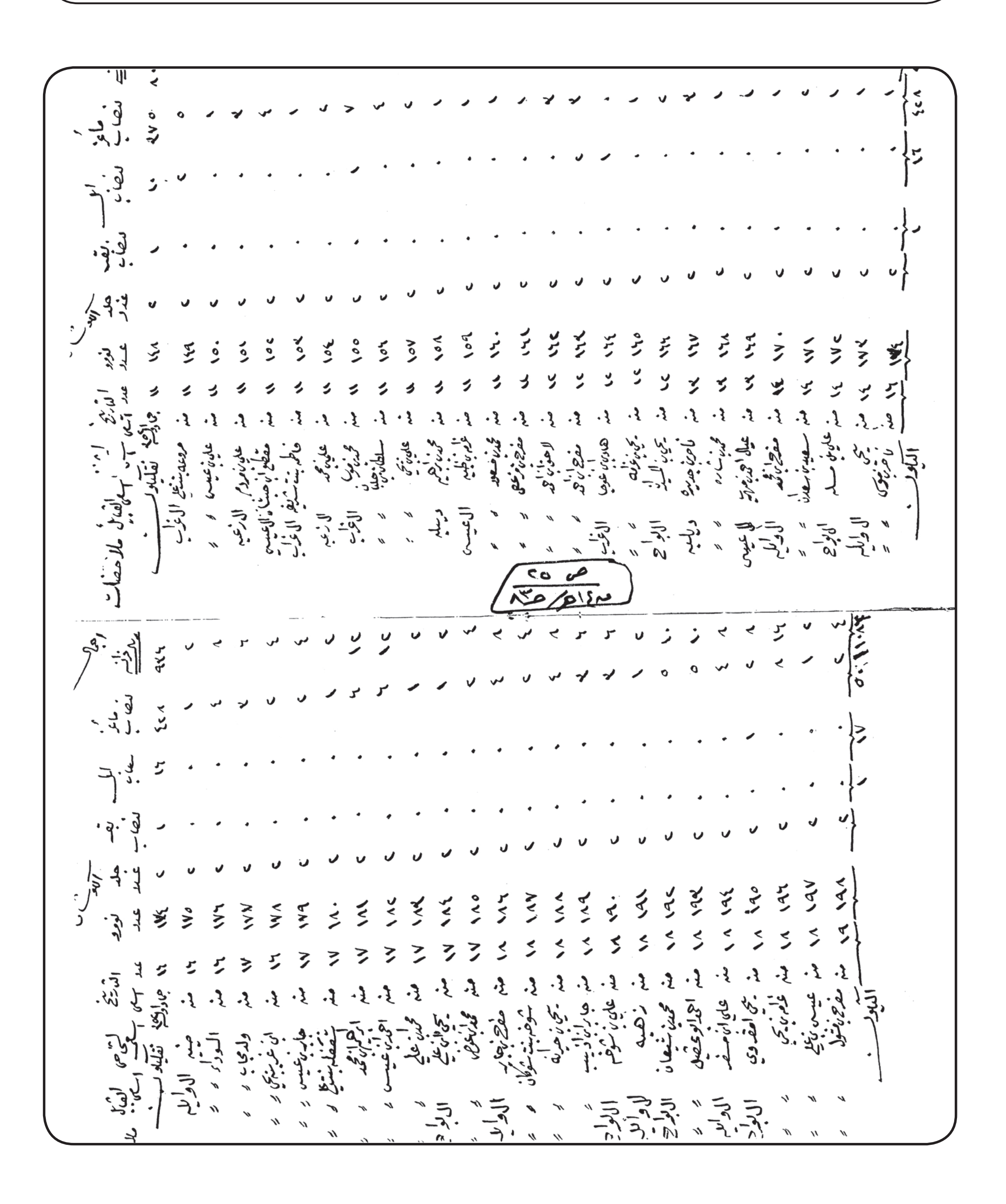


تابع ملحق رقم (١٨)

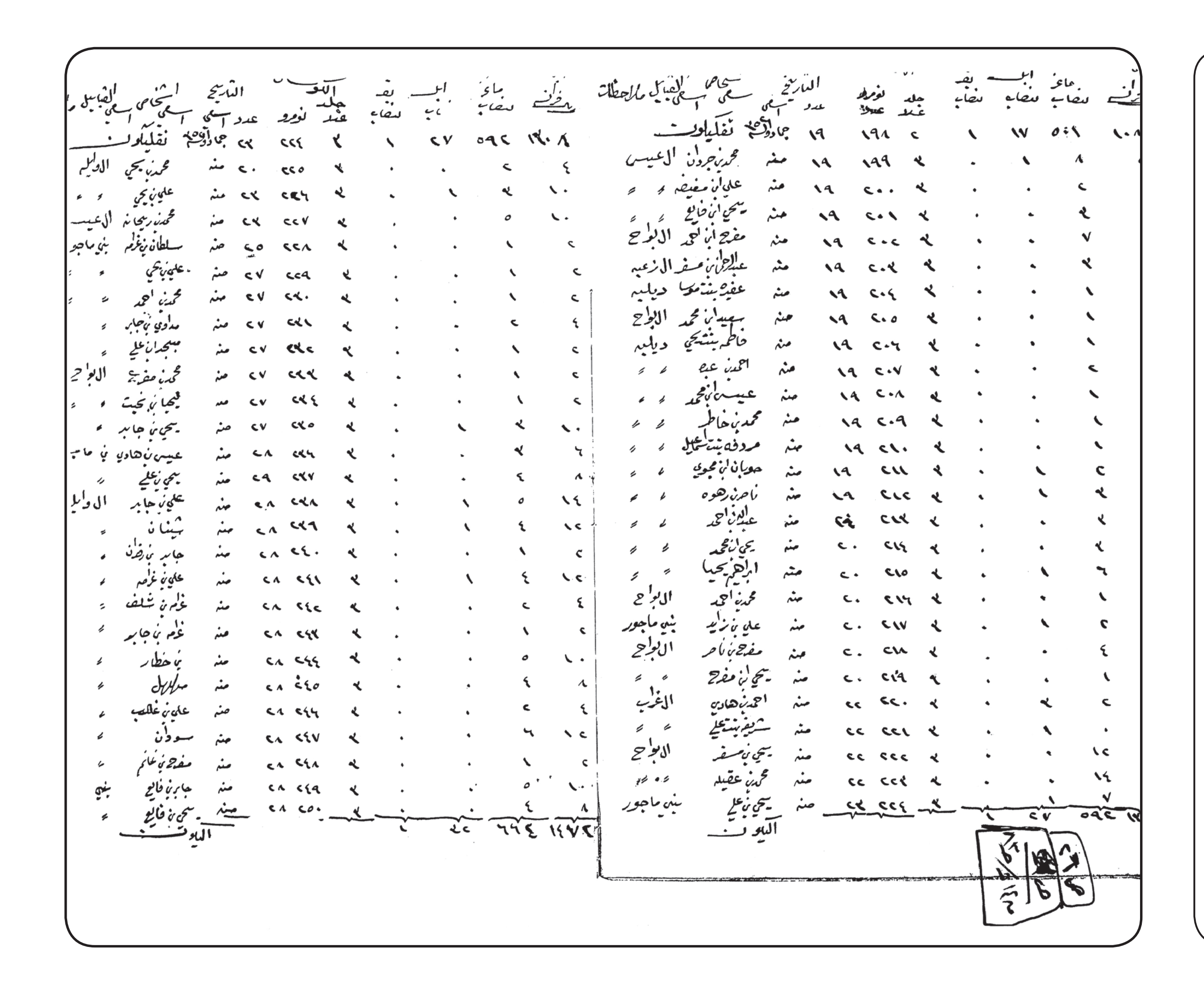


تابع ملحق رقم (١٨)

تابع ملحق رقم (١٨)



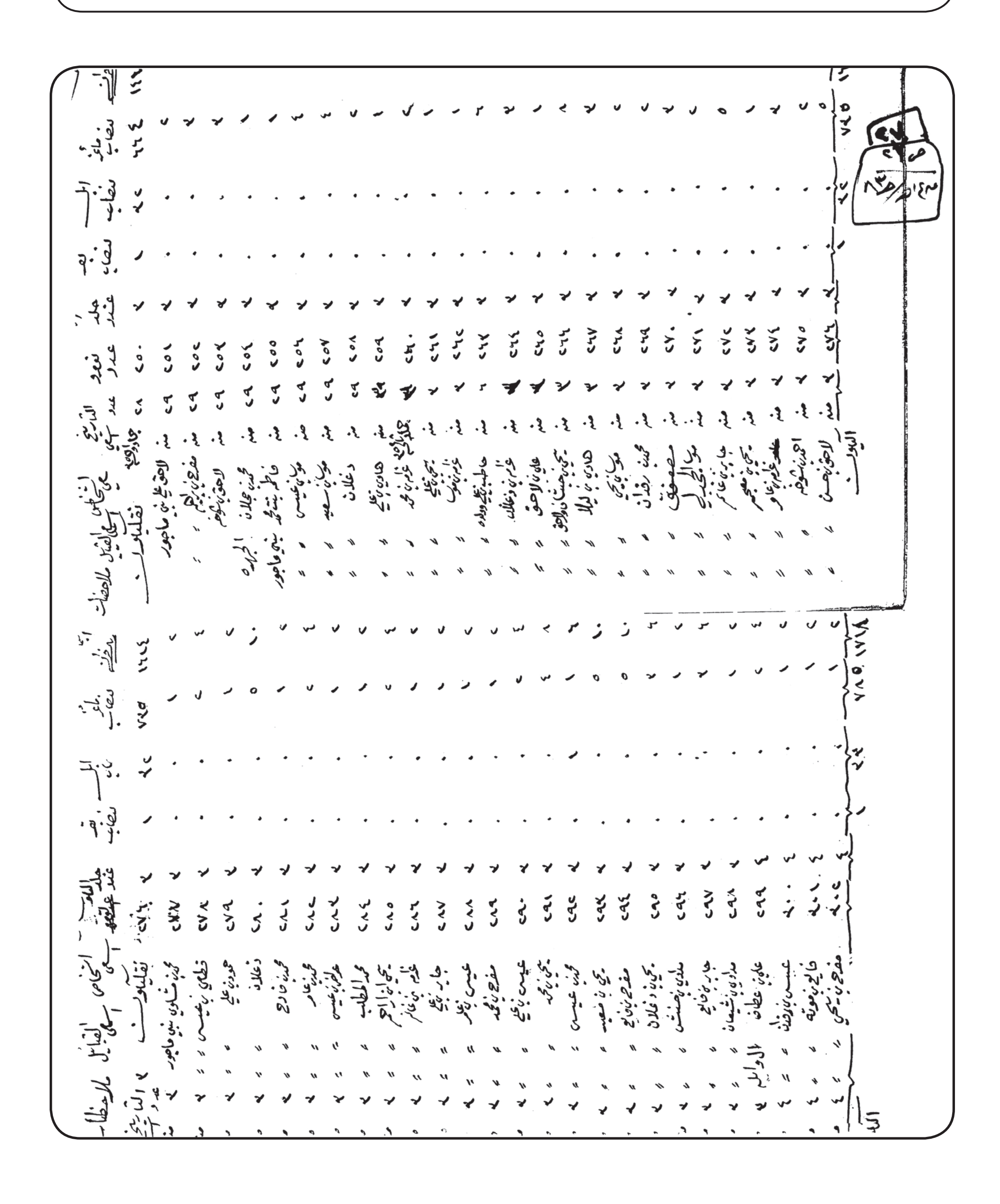
تابع ملحق رقم (١٨)



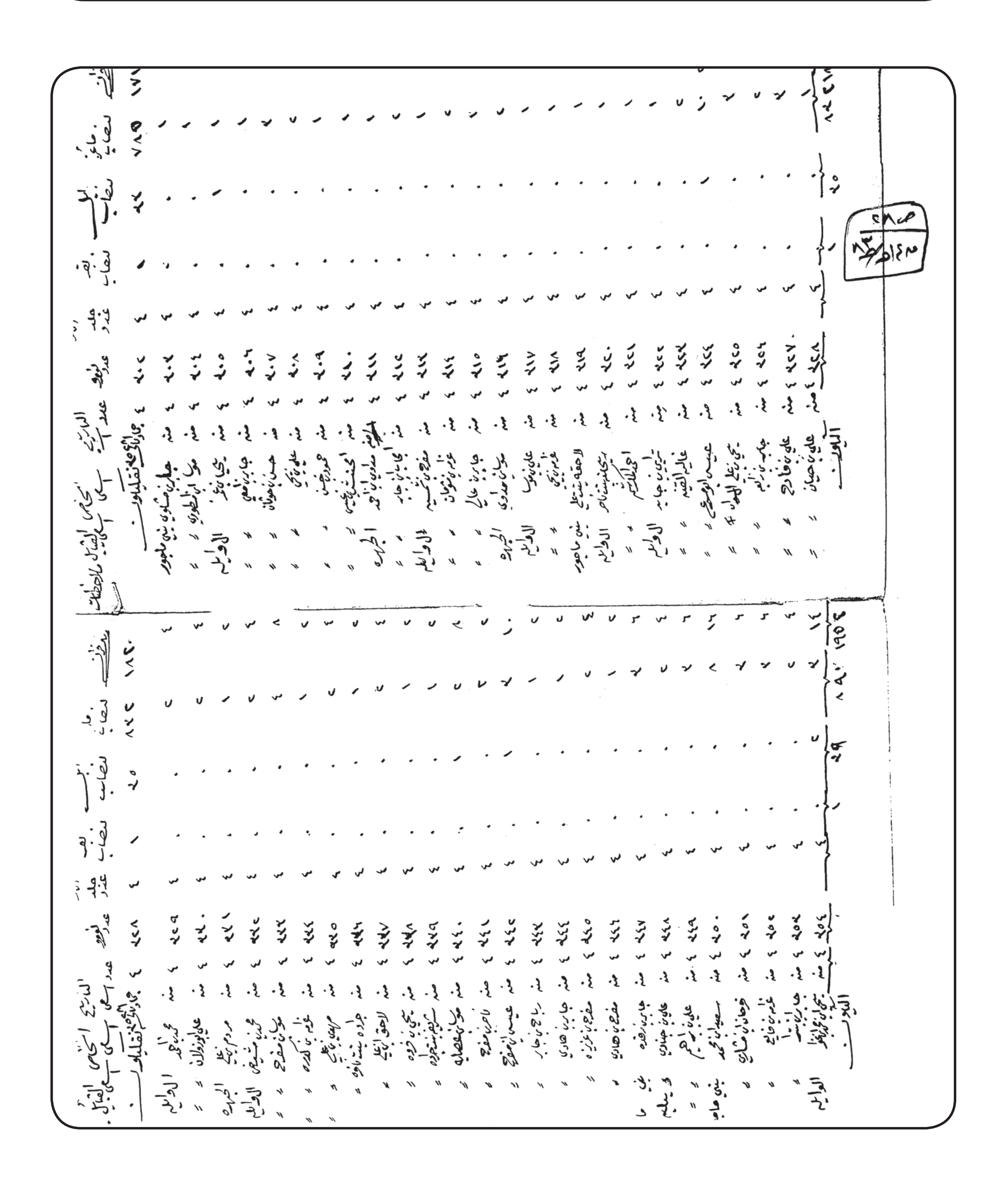
[illegible]	ماعز نصاب	ابل نصاب	بقر نصاب	جلد غنم	نوره عدد	التاريخ عدد	سنة	سجاح اسمي	القبائل	ملاحظات
١٠٠	٥٠٩	١٧	١	٢	١٩٨	١٩	جماد أول	نقليات		
	٨	١	.	٢	١٩٩	١٩	منه	محمد بن جروان	العيسى	
	٢	.	.	٢	٢٠٠	١٩	منه	علي ابن مغيض	〃 〃	
	٢	.	.	٢	٢٠١	١٩	منه	يحيى ابن فايع	〃	
	٧	.	.	٢	٢٠٢	١٩	منه	مفرح ابن احمد	الأبواح	
	٢	.	.	٢	٢٠٣	١٩	منه	عبدالرحمن بن مسفر	الزعبه	
	١	.	.	٢	٢٠٤	١٩	منه	عفيه بنت موسى	ديلميه	
	١	.	.	٢	٢٠٥	١٩	منه	سعيد ابن محمد	الابواح	
	١	.	.	٢	٢٠٦	١٩	منه	فاطمه بنت يحيى	ديلميه	
	٢	.	.	٢	٢٠٧	١٩	منه	احمد بن عبده	〃 〃	
	١	.	.	٢	٢٠٨	١٩	منه	عيسى ابن محمد	〃 〃	
	١	.	.	٢	٢٠٩	١٩	منه	محمد بن خاطر	〃 〃	
	١	.	.	٢	٢١٠	١٩	منه	مردفه بنت احمد	〃 〃	
	٢	١	.	٢	٢١١	١٩	منه	حوبان ابن مجوي	〃 〃	
	٢	١	.	٢	٢١٢	١٩	منه	ناصر بن زهوه	〃 〃	
	٢	.	.	٢	٢١٣	[illegible]	منه	عبدالله بن احمد	〃 〃	
	٢	.	.	٢	٢١٤	٢٠	منه	يحيى ابن محمد	〃 〃	
	٦	١	.	٢	٢١٥	٢٠	منه	ابراهيم يحيى	〃	
	١	.	.	٢	٢١٦	٢٠	منه	محمد بن احمد	الابواح	
	٢	١	.	٢	٢١٧	٢٠	منه	علي بن زايد	بني ماجور	
	٤	.	.	٢	٢١٨	٢٠	منه	مفرح بن ناصر	الابواح	
	١	.	.	٢	٢١٩	٢٠	منه	يحيى ابن مفرح	〃	
	٢	٢	.	٢	٢٢٠	٢٢	منه	احمد بن هادي	الغرب	
	.	١	.	٢	٢٢١	٢٢	منه	شريفه بنت علي	〃	
	١٢	.	.	٢	٢٢٢	٢٢	منه	يحيى بن مسفر	الابواح	
	١٤	.	.	٢	٢٢٣	٢٢	منه	محمد بن عقيله	〃 〃	
	٧	١	.	٢	٢٢٤	٢٢	منه	يحيى بن علي	بني ماجور	
١٢..	٥٩٢	٢٧	١	٢				اليوف		

خزانة	ماعز نصاب	ابل نصاب	بقر نصاب	البقر جلد عدد	نوره	التاريخ عدد	سنة	اسم الشخص	القبائل
١٤٠٨	٥٩٢	٢٧	١	٢	٢٢٤	٢٢	جماد أول	نقليات	
٤	٢	.	.	٢	٢٢٥	٢٠	منه	محمد بن يحيى	الوايله
١٠	٢	١	.	٢	٢٢٦	٢٢	منه	علي بن يحيى	〃 〃
١٠	٥	.	.	٢	٢٢٧	٢٣	منه	محمد بن ريحانه	العيسى
٢	١	.	.	٢	٢٢٨	٢٥	منه	سلطان بن غرامه	بني ماجور
٢	١	.	.	٢	٢٢٩	٢٧	منه	علي بن يحيى	〃
٢	١	.	.	٢	٢٣٠	٢٧	منه	محمد بن احمد	〃
٤	٢	.	.	٢	٢٣١	٢٧	منه	مداوي بن جابر	〃
٢	١	.	.	٢	٢٣٢	٢٧	منه	مسحان بن علي	〃
٢	١	.	.	٢	٢٣٣	٢٧	منه	محمد بن مفرح	الابواح
٢	١	.	.	٢	٢٣٤	٢٧	منه	فيحان بن نجيت	〃 〃
١٠	٢	١	.	٢	٢٣٥	٢٧	منه	يحيى بن جابر	〃
٦	٢	.	.	٢	٢٣٦	٢٨	منه	عيسى بن هادي	بني ماجور
٨	٤	.	.	٢	٢٣٧	٢٩	منه	يحيى بن علي	
١٤	٥	١	.	٢	٢٣٨	٢٨	منه	علي بن جابر	ال وايله
١٢	٤	١	.	٢	٢٣٩	٢٨	منه	شيبان	〃
٢	١	.	.	٢	٢٤٠	٢٨	منه	جابر بن زفان	〃
١٢	٤	١	.	٢	٢٤١	٢٨	منه	علي بن غرامه	〃
٤	٢	.	.	٢	٢٤٢	٢٨	منه	غرامه بن شلف	〃
٢	١	.	.	٢	٢٤٣	٢٨	منه	غرامه بن جابر	〃
١٠	٥	.	.	٢	٢٤٤	٢٨	منه	بن حطار	〃
٨	٤	.	.	٢	٢٤٥	٢٨	منه	[illegible]	〃
٤	٢	.	.	٢	٢٤٦	٢٨	منه	علي بن غلطب	〃
١٢	٦	.	.	٢	٢٤٧	٢٨	منه	سودان	〃
٢	١	.	.	٢	٢٤٨	٢٨	منه	مفرح بن غانم	〃
١٠	٥	.	.	٢	٢٤٩	٢٨	منه	جابر بن فايع	بني
٨	٤	.	.	٢	٢٥٠	٢٨	منه	يحيى بن فايع	〃
١٤٧٣	٦٦٤	٢٢	٢					اليوف	

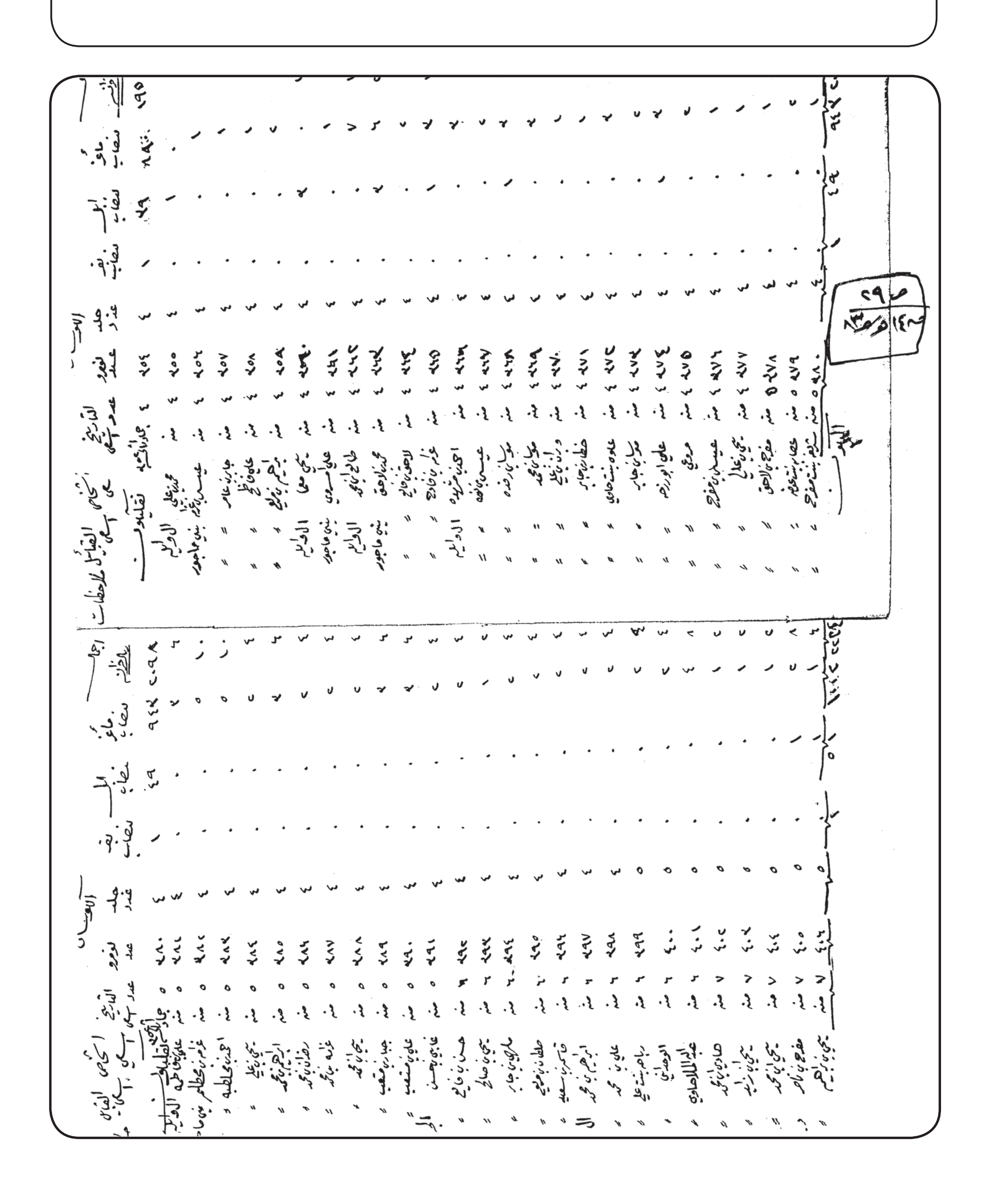
تابع ملحق رقم (١٨)



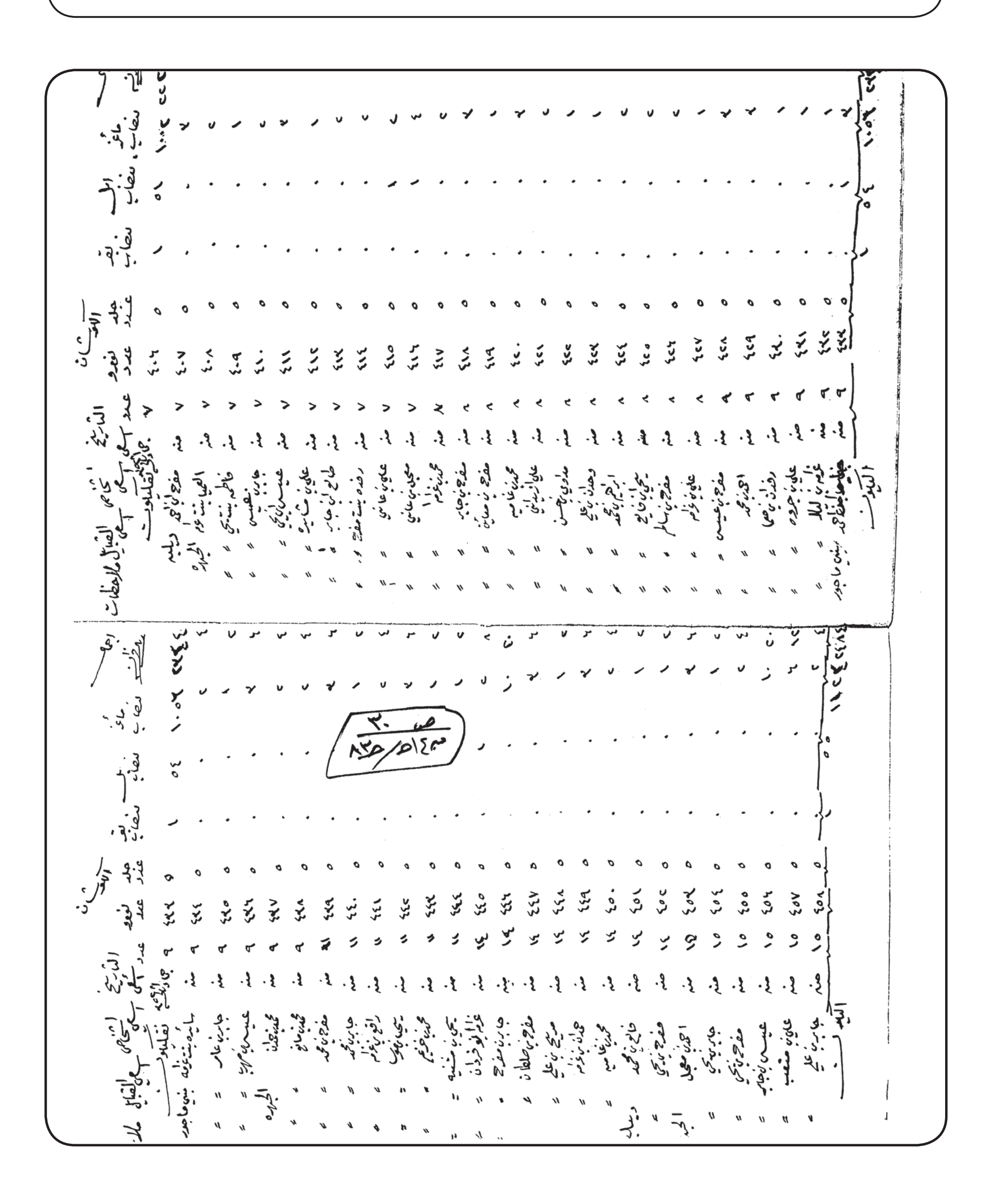
تابع ملحق رقم (١٨)



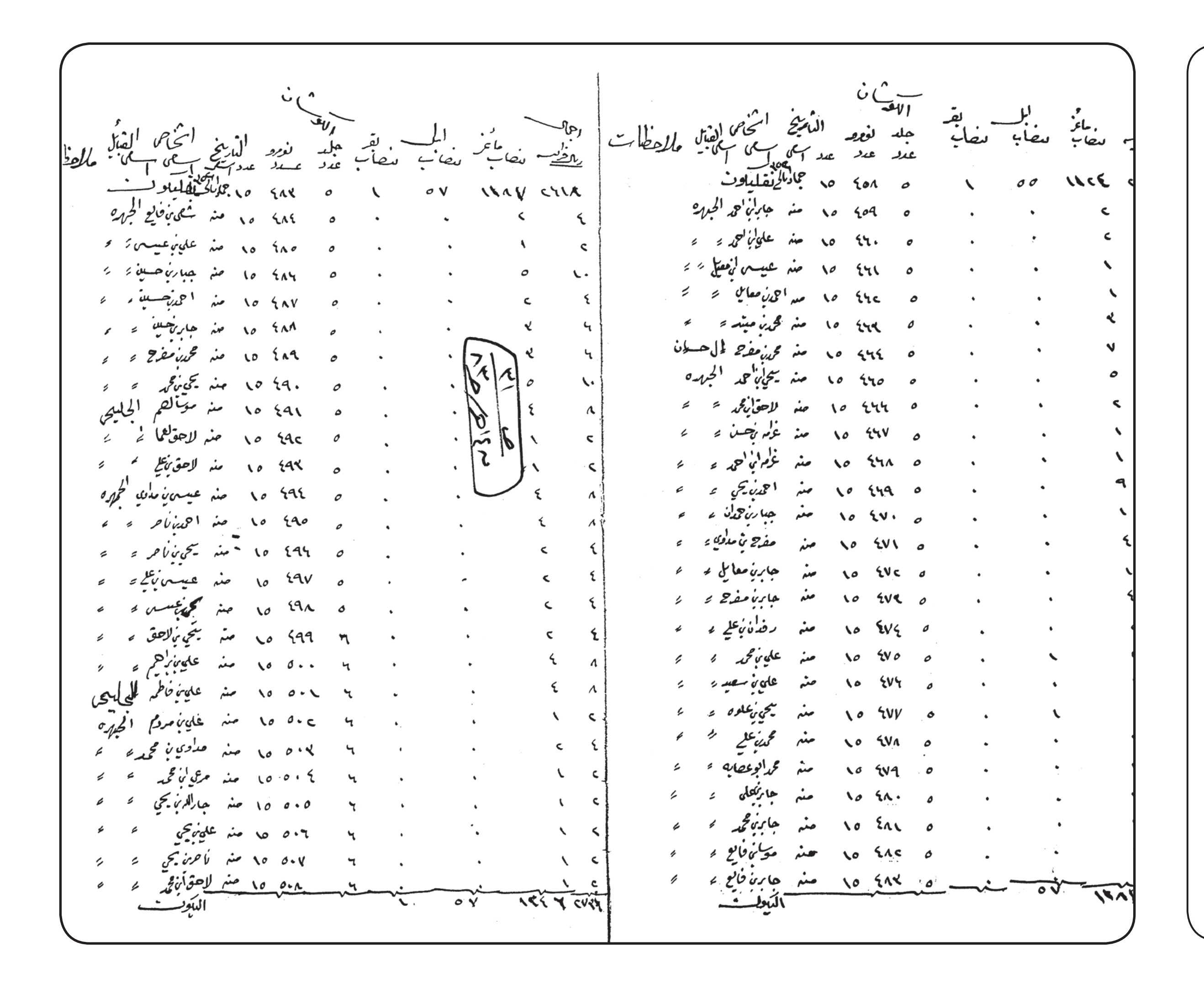
تابع ملحق رقم (١٨)



تابع ملحق رقم (١٨)



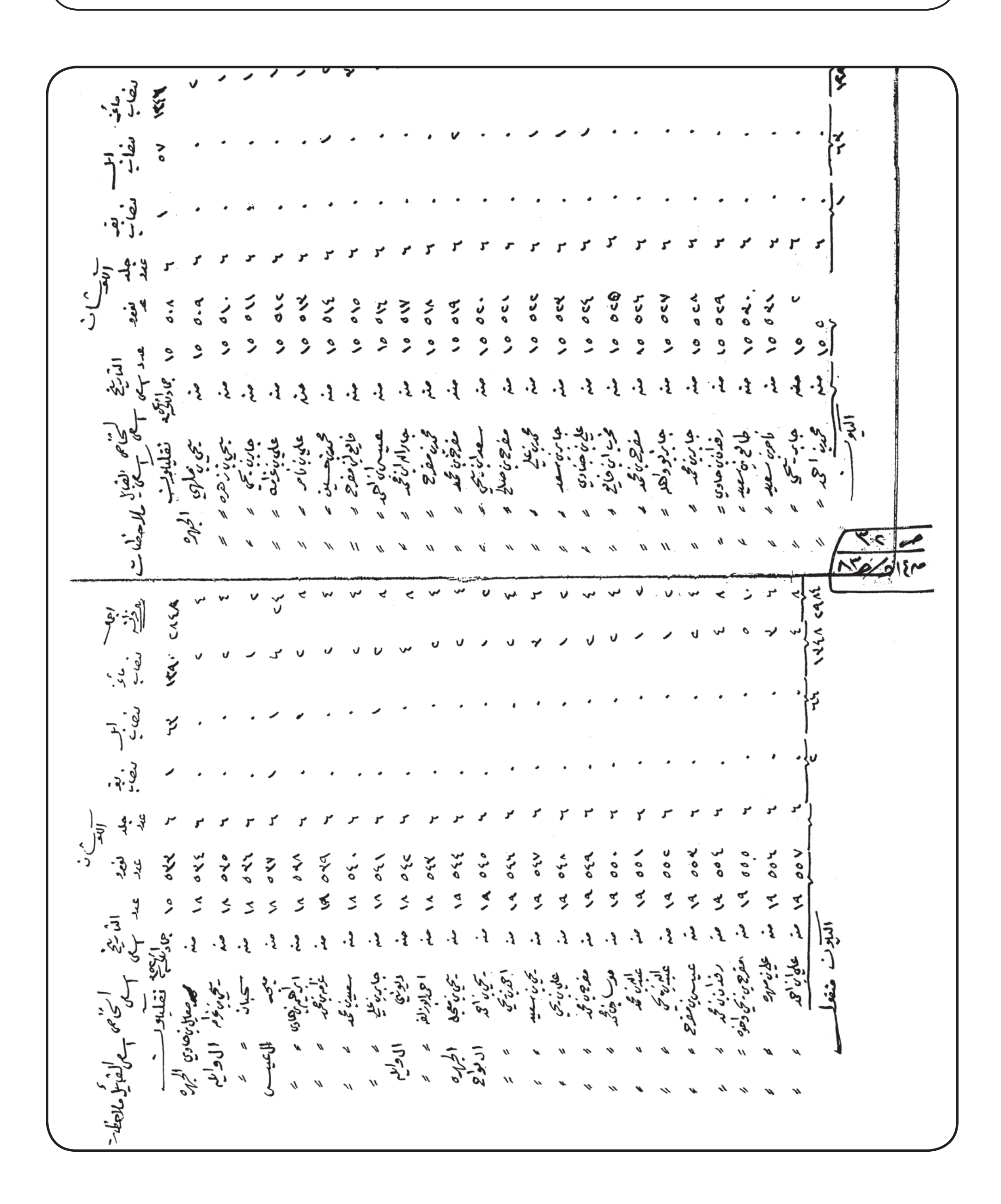
تابع ملحق رقم (١٨)



ماعز نصاب	ابل نصاب	بقر نصاب	الأغنام جلد عدد	نفوره عدد	عدد	التاريخ	اسمى الأشخاص	القبائل	ملاحظات
١١٢٤	٥٥	١	٥	٤٥٨	١٥	جمادي الى نقلياوت			
٢	.	.	٥	٤٥٩	١٥	منه	جابر بن احمد	الجبره	
٢	.	.	٥	٤٦٠	١٥	منه	علي بن احمد	"	
١	.	.	٥	٤٦١	١٥	منه	عيسى بن فضيل	"	
١	.	.	٥	٤٦٢	١٥	منه	احمد بن معايل	"	
٣	.	.	٥	٤٦٣	١٥	منه	محمد بن مبيند	"	
٧	.	.	٥	٤٦٤	١٥	منه	محمد بن مفرح	آل حسان	
٥	.	.	٥	٤٦٥	١٥	منه	يحيى بن احمد	الجبره	
٢	.	.	٥	٤٦٦	١٥	منه	لاحق بن محمد	"	
١	.	.	٥	٤٦٧	١٥	منه	غانم بن حسن	"	
١	.	.	٥	٤٦٨	١٥	منه	غانم بن احمد	"	
٩	.	.	٥	٤٦٩	١٥	منه	احمد بن يحيى	"	
١	.	.	٥	٤٧٠	١٥	منه	جبار بن حمدان	"	
٤	.	.	٥	٤٧١	١٥	منه	مفرح بن مدوي	"	
١	.	.	٥	٤٧٢	١٥	منه	جابر بن معايل	"	
٤	.	.	٥	٤٧٣	١٥	منه	جابر بن مفرح	"	
	.	.	٥	٤٧٤	١٥	منه	رفدان بن علي	"	
	١	.	٥	٤٧٥	١٥	منه	علي بن محمد	"	
	.	.	٥	٤٧٦	١٥	منه	علي بن سعيد	"	
	١	.	٥	٤٧٧	١٥	منه	يحيى بن علوه	"	
	.	.	٥	٤٧٨	١٥	منه	محمد بن علي	"	
	.	.	٥	٤٧٩	١٥	منه	محمد ابو عصابه	"	
	.	.	٥	٤٨٠	١٥	منه	جابر بن علي	"	
	.	.	٥	٤٨١	١٥	منه	جابر بن محمد	"	
	.	.	٥	٤٨٢	١٥	منه	موسى بن فايع	"	
	.	.	٥	٤٨٣	١٥	منه	جابر بن فايع	"	
١٢٨٢	٥٧	ـ					البلوت		

اجمالي ريال خزينه	ماعز نصاب	ابل نصاب	بقر نصاب	الأغنام جلد عدد	نفوره عدد	عدد	التاريخ	اسمى الأشخاص	القبائل	ملاحظات
٢٦١٨	١١٨٧	٥٧	١	٥	٤٨٣	١٥	جمادي الى نقلياوت			
٤	٢	.	.	٥	٤٨٤	١٥	منه	شعي بن فايع	الجبره	
٢	١	.	.	٥	٤٨٥	١٥	منه	علي بن عيسى	"	
١٠	٥	.	.	٥	٤٨٦	١٥	منه	جبار بن حسين	"	
٤	٢	.	.	٥	٤٨٧	١٥	منه	احمد بن حسين	"	
٦	٣	.	.	٥	٤٨٨	١٥	منه	جابر بن حسين	"	
٦	٣	.	.	٥	٤٨٩	١٥	منه	محمد بن مفرح	"	
١٠	٥	.	.	٥	٤٩٠	١٥	منه	يحيى بن محمد	"	
٨	٤	.	.	٥	٤٩١	١٥	منه	موسى بن قاسم	الجليحي	
٢	١	.	.	٥	٤٩٢	١٥	منه	لاحق بن عثمان	"	
٢	١	.	.	٥	٤٩٣	١٥	منه	لاحق بن علي	"	
٨	٤	.	.	٥	٤٩٤	١٥	منه	عيسى بن مداوي	الجبره	
٨	٤	.	.	٥	٤٩٥	١٥	منه	احمد بن ناصر	"	
٤	٢	.	.	٥	٤٩٦	١٥	منه	يحيى بن ناصر	"	
٤	٢	.	.	٥	٤٩٧	١٥	منه	عيسى بن علي	"	
٤	٢	.	.	٥	٤٩٨	١٥	منه	محمد بن عيسى	"	
٤	٢	.	.	٦	٤٩٩	١٥	منه	يحيى بن لاحق	"	
٨	٤	.	.	٦	٥٠٠	١٥	منه	علي بن ابراهيم	"	
٨	٤	.	.	٦	٥٠١	١٥	منه	علي بن فاطمه	الجليحي	
٢	١	.	.	٦	٥٠٢	١٥	منه	علي بن مردم	الجبره	
٤	٢	.	.	٦	٥٠٣	١٥	منه	هداوي بن محمد	"	
٢	١	.	.	٦	٥٠٤	١٥	منه	مرعي بن محمد	"	
٢	١	.	.	٦	٥٠٥	١٥	منه	جار الله بن يحيى	"	
٢	١	.	.	٦	٥٠٦	١٥	منه	علي بن يحيى	"	
٢	١	.	.	٦	٥٠٧	١٥	منه	ناصر بن يحيى	"	
٢	١	.	.	٦	٥٠٨	١٥	منه	لاحق بن محمد	"	
٢٧٤٦	١٣٤٦	٥٧	١					البلوت		

تابع ملحق رقم (١٨)



تابع ملحق رقم (١٨)

ص ٣٣

٨٣/٢/١٤٢٣

آلوت ن

اجمال

ريال خزانه	نصاب ماعز	نصاب ابل	نصاب بقر	عدد جلد	عدد نفور	عدد التاريخ	اسمي الشخص	اسمي القبائل	ملاحظات
٢٨٨٤	١٢٤٨	٦٦	٢	٦	٥٥٧	١٩ جمادى الثاني ١٢٤٤	تقليبون		
٢	١	.	.	٦	٥٥٨	١٩ منه	محمد بن مزيد البوج		
٤	٢	.	.	٦	٥٥٩	١٩ منه	مفرح بن نوم	"	
٢	١			٦	٥٦٠	١٩ منه	ابراهيم بن علي	"	
٢٩٩٢	١٢٥٢	٦٦	٢				آلوت الجميع		
١٠	٥			٦	٥٦١	١٩ منه	لاحق احمد العيشه بن حمد		
٣٠٠٢	١٢٥٧	٦٦	٢						

آلوت الجميع عموم المزكا ٣٠٠٢ ريال بقر وستة وستين نصاب ابل والف وثلاثمائة وسبعه وخمسين نصاب ماعز

المنصرف بدوي بموجب امر الامير والوكيل للكبار القبائل المذكورين تسلمهم مربوطه طيه ستة وخمسين نصاب ماعز عنها مائة واثناعشر ريال — ٥٦ — ١١٢

الباقي بعد ذالك — ٢ — ٦٦ — ١٢٠٨ — ٢٨٩٠

مصرف المأمورين في المطرش بموجب البيان مربوطه طيه ستة واربعين نصاب ماعز عنها اثنان وتسعين ريال — ٤٦ — ٩٢

الباقي بعد ذالك نصابين بقر وستة وستين نصاب ابل والف ومائتين وخمسه وخمسين نصاب ماعز البقر راس ستاعشر ريال وراس ثمانية ريال ونصاب الابل في اربعه ريال ونصاب الماعز ريالين يصح عن الجميع الفين وسبعمائة وثمانيه وتسعين ريال عن الابل وعن البقر وعن الغنم وذالك زكات مواشي القبايل المذكورين — ٢ — ٦٦ — ١٢٥٥ — ٢٧٩٨

ربيعه وبني ماجور وال وايله وال عيسى بن حامد والجهه المبلغ المحرر اعلاه زكاتهم بدون غدراً علا الرعيه ولا ابقينا لبيت مال المسلمين حق لاجل البيان حررنا هذا الدفتر الي دايرة المالية ليكون معلوم جمادى الثاني ١٢٤٤

امير المزكا

عبدالعزيز بن فيصل المبارك

كاتب

مفوز خايض

٢٦

١٢٥٥

٢

٤٢

٢٦٤

٢٥١٠

٢٧٩٦

ملحق رقم (١٩): خطاب (بدونتاريخ) من الأمير عبدالرحمن بن ثنيان إلى الشيخ أحمدبن إبراهيم، شيخ بعض قبائل المخواة في تهامة غامد وزهران وبن يعُمر، يذكر له بعض النصائح والتوجيهات تجاه بعض أعداء الدولة السعودية الحديثة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٩٦.**

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن ثنيان إلى أحمد بن ابن ابراهيم ابن [illegible] سلمه الله تعالى وابقاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد الخط

ابلائحي السلام والسؤال عن حالك والخط وصل وما عرفت كان معلوم وتذكر ان ما رفت الشريف [illegible] المحوه

[illegible] انشاء الله معشورين بحول الله وقوته وانشاء الله انهم ما جو الا لمجرتهم مثل غيرهم وانتم يا اهل المحوة قويين

ولاهم قادرين منكم الا كان بحيلة من بعضكم والمسلمين قويين ويدورونكم بعيدين وجانبهم الله قريب

وحوة الذي [illegible] منهم ان الدوله عليهم دبور ياخذ وبيهم المسلمين مثل ما خذ وغيرهم انت يا احمد

وقبايلك تحزب لهم ولم قبايلك والمسلمين عن قريب متوجهين اليكم وكتبنا لخالد والاخوان الي حولنا وار

كتبنا له سعود والمسلمين الي حولنا صادرين اليكم ناحرين بلاد غامد وانتم الله الله بالتحرص وضبط عماركم عن

امر يحل عليكم ومن واجههم تراه ناقض العهد وتبرا الذمة منه يكون لديكم معلوم والسلام

ص ٩٦

٨٣ج/ ق١٤هـ

ملحق رقم (٢٠): خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٦/٤هـ) من الأمير عبدالعزيز العسكر إلى الشيخ عبد الوهاب أبوملحة يخبره بسفره وبعض أهله إلى الرياض وماحولها ويفيده بأخبار أخرى عديدة بعضها عام وآخر خاص. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٥٩ .**

ملحق رقم (٢١): خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٥/٥هـ) من قاضي أبها فيصل المبارك إلى عبدالوهاب أبوملحة يطلبه إدراج اسم أحد الأيتام مع اليتامى الذين يصرف له مصروف من بيت المال. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٥٨.**

ملحق رقم (٢٢): خطاب بتاريخ (١٣٥٤/١٢/٢هـ) من أحد المسؤولين في القطاع العسكري في منطقة عسير إلى آخر يوجهه بصرف حقوق وأرزاق بعض العساكر. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٦٠.**

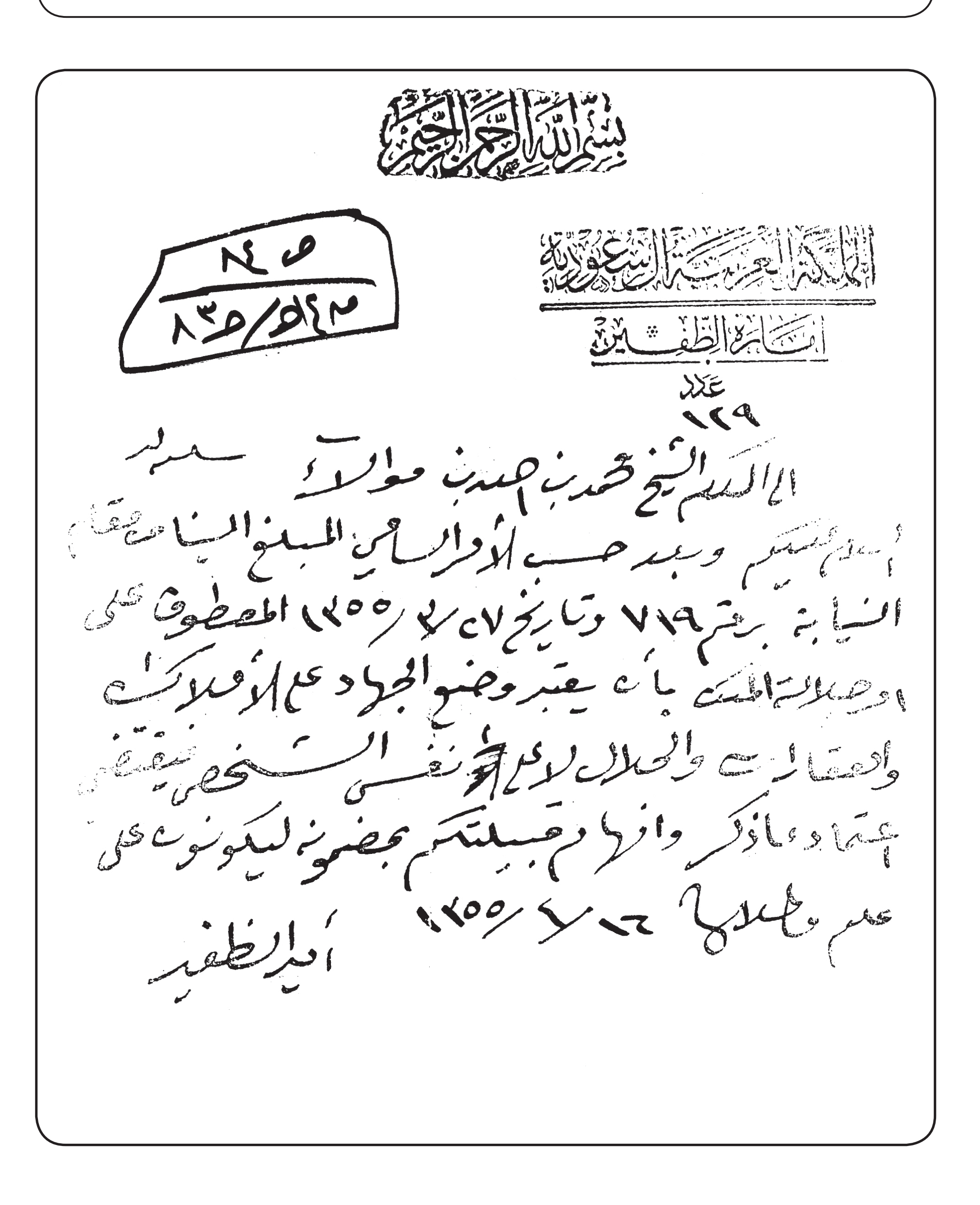
ص ٦٠
ق١٤هـ/ج٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ المكرم حسين افندي النحاس المحترم
بعد التحية الأمل تصرفون للعسكر باقي ارزاقهم
حيث وان منهم ناس يمشون الظهران لذلك
من طرف خاطر تصرفله اولهم حيث يمشي ذا الحين
الشهر ودمتم [illegible] محبكم

عيسى [illegible]

ملحق رقم (٢٣): خطاب بتاريخ (١٦/٤/١٣٥٥هـ) من أمير الظفير في بلاد غامد وزهران إلى الشيخ محمد بن أحمد بن موالا في المخواة يوضح له أن نصيب الجهاد على العقارات والأملاك وليس على الأفراد. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٨٤.**



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
امارة الظفير
عدد ١٢٩

الى المكرم الشيخ محمد بن احمد موالا سلمه الله

السلام عليكم وبعد حسب الاوامر السامية المبلغ الينا من مقام النيابة برقم ٧١٩ وتاريخ ٢٧/٣/١٣٥٥ المعطوف على اوصلية المشتكى بان يعتبر وضع الجهاد على الاملاك والعقارات والحلال لا على نفس الشخص يقتضي اعتماد ما ذكر وافراد قبيلتكم بحضوركم ليكونوا على علم والسلام ١٦/٤/١٣٥٥

امير الظفير

ملحق رقم (٢٤): وثيقة بتاريخ (٥/رمضان/١٣٥٥هـ) من أمير نجران إلى عبد الوهاب أبو ملحة يهديه السلام ويشكره على إرسال استحقاقاته وكاتبه ورفاقه في العمل. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٣، ص ٥٤ .**

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الاجل الافخم حميد المكارم والشيم من هو لنا بمنزلت الولد الشيخ عبد الوهاب بن محمد ابو ملحه المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام اوام الله على المسلمين النعم وصرف عنهم المصائب والنقم ببقا جلالة

مولاي الملك المعظم وانجاله العظام لا زالو مؤيدين بالعز والتمكين فستمر في عقبهم الايمان والدين وصلى الله على محمد

بعد السرة تناولت كتابكم المكرم رقم ٥-٧-٥٥ وما عرفتم صار لدي معلوم سرنا علم صحتكم

وعافيتكم ومن خصوص ما اشرتم اليه في محبتكم وجنلكم في سرعت سداد حوالتنا نحن وكاتبنا وخويانا

وانكم سلمتوا لكاتبنا عبد الرحمن بن يوسف اربعه ٩١٧٨ فقد وصلنا الكاتب المذكور صحبت لا ابث والحواله

وصلت وقد اخبرنا الكاتب المذكور فيما ابديتموه من الجتهاد كما هي عادتكم الفعل الجميل نسأل الله يجزاكم

احسن الجزا و يكثر من رجال امثالكم ولا يسمعنا عنكم الا كل خير ويديرنا وجهك نؤمل ان شاء الله الجماعة

في منى :: الاخبار لم يحدث سوى دوام الخير والعافيه وعدم ضبط جميع المور ساكنه هذا ما لزم ونعرض انفنا

فيما يلزم والسلام على عبد العزيز واخوانه وعبد الله المسفر ومحمد السليمان البسام و من يعز مجلسكم العامر

كما منا الاولاد يقبلون اياديكم ومحمد والجماعه يسلمون ودمتم بالسلامة

١٣٥٥

٥ / رمضان

ملحق رقم (٢٥): وثيقة بتاريخ (شهر شوال/١٣٥٥هـ)وهي عبارة عن جدول رواتب موظفي مدرسة جازان الأميرية في شهر (١٠/١٣٥٥هـ). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٦.**

جدول رواتب موظفي دائرة مدرسة جيزان الأميرية العائدة لشهر شوال ١٣٥٥

مقدار الراتب	الوظيفة	الموظف	التوقيع	ملاحظات
١٨٧	وكيل مدير مدرسة جيزان	علي احمد عيسى	[illegible]	
٤٦٠	معاون مدير مدرسة جيزان	علي احمد عيسى	[illegible]	
٤٦٠	معلم اول	محمود صالح بلبيسي	[illegible]	
٤٦٠	معلم ثاني	عبدالله حسين	[illegible]	ص ٤٦ / ١٤م/٨٣٥
٢٧٠	معلم ثالث	سالم ميرابي	[illegible]	
١٥٠	فراش ومراسل	ابراهيم محمد زيد	[illegible]	
١٩٨٧	الجملة			

فقط الف وتسعماية وسبعة وثمانون قرشاً مسعودياً لا غير

قد استلمت ما حرر بعاليه قدره ومبلغ الف وتسعماية وسبعة وثمانية قرشاً مسعودياً لا غير من صندوق مالية جيزان وذلك استحقاق رواتب موظفي دائرة مدرسة جيزان الاميرية العائدة لشهر شوال ١٣٥٥ وبالاستلام حرر

وكيل مدرسة جيزان

[illegible]

[illegible]

ملحق رقم (٢٦): وثيقة بتاريخ (١٣٥٧/٧/٧هـ) من مالية أبها وفيها توضيح التعرفة الجمركية في جازان والمفروض العمل بموجبها من أصل تعرفة أبها وتوابعها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٤٥.**

صورة التعرفة الجمركية بجيزان الواجب العمل بموجبها منه أصل تعرفة أبها وتوابعها

المادة

١ في المائة (٥) خمسة على الذرة، والرز، والفول، والدجرة، والعدس، والسمن، وجميع الخضار بكامل أنواعها.

٢ في المائة (٨) ثمانية على السكر، والشاهي، والغاز، والتمر، والقشر، والبن، وعموم المنسوجات القطنية، والقبرز، والبز البريطاني [illegible]، والشيت.

٣ في المائة (١٠) عشرة على عموم العطارة بكامل أنواعها، والصابون والصباغ، والكبريت، والشحم، والصلصة، والحمر، والحوار، والتنفر، والدهيل، والفلفل، والبصل، والثوم، وزينة النساء، والفواكه المعلبة، والحلويات وما شابهها.

٤ في المائة (١٢) اثنا عشر على عموم المنسوجات الحريرية والمشروك والحرير الخام، والصوف، والمشروبات، والخردوات بكامل أنواعها، والحديد، والمعادن، والروائح العطرية والحلي، والبنزين، والأسبيداتو، وجميع الآلات الميكانيكية، ومكائن الخياطة، والصور، والمجلب والحاوي، وما شاكلها.

٥ في المائة (٢٠) عشرين على تنباك السدر وورقة السدر والدقدق

٦ في المائة (٢٥) خمسة وعشرين على التنباك البلدي، والحمي، والدخان، وورق السجاير

١٣٥٧/٧/٧

(محمد نور)

[illegible] مالية أبها

ملحق رقم (٢٧): خطاب بتاريخ (١٣٥٨/٦/٢٢هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى أمير الظفير عبد الرحمن السديري يذكر فيه أسماء بعض شيوخ غامد وزهران وبني عمر ورواتبهم والواجب اعتمادها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ص ٨٣، ص ١١٧-١١٨.**

ص ١١٧

ق١٤هـ/٢٠م ص ٨٣

الختم والتاريخ

برق رقم ١٠

ادارة برقيات المملكة العربية السعودية

لاتحمل الحكومة أية مسئولية لنتائج المعاملات البرقية

نمرة التسلسل ٩٠

المخرج	المورد	النمرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	ساعة	دقيقة
قصر الحكم		٢٩٠	٧٥	٢١			

الاشارة	الطريق	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ساعة	دقيقة
٩٥٨		٢٢	٢٥/٦				

عبد الرحمن السديري الظفير

لنا ابرقنا الى وكيل الامارة نسأله عن

تعيين احمد الزندي شيخ قبيلة غامد

ببرقيتنا عدد ٥٠٩ وتأريخ ٢٠/٥/٥٠

وجانا منه الجواب بعدد ٨٩ وتأريخ ٢٠/٥/

عن المذكور قد عمدنا وزارة المالية باعتماد

صرف رواتبه من تأريخ مباشرة كما عمدناها

بصرف راتب كل من عبدالله بن معلا

تابع ملحق رقم (٢٧)

ص ١١٨
١٣٨٣/١/١٤هـ

الختم ذو التاريخ

برق رقم ١

ادارة برقيات المملكة العربية السعودية

لا تحمل الحكومة أية مسئولية تنشأ من المعاملات البرقية

نمرة التسلسل

المخرج	المورد	النمرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ أفرنجي	ساعة	دقيقة

الاشارة	الطريق	تاريخ عربي	تاريخ أفرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ساعة	دقيقة

الذي حل محل محمد بن مولان وخضراء

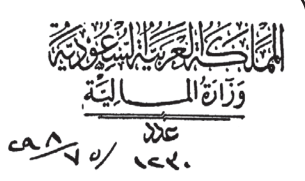
الذي حل محل والده عبدالله بن خضراء

بن خضراء فاعتمد ذلك حسب امر

جلالة الملك المعظم

فيصل

ملحق رقم (٢٨): خطاب بتاريخ (-/١/١٣٥٩هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها يشـرح له توجه فريق عمل إلى جنوب السـعودية للقيام ببعض الأعمال التي كلفوا بها، ويطلب منـه خدمة هذه الهيئة المكلفة والتعاون معهم. **المصـدر: مكتبـة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٥.**





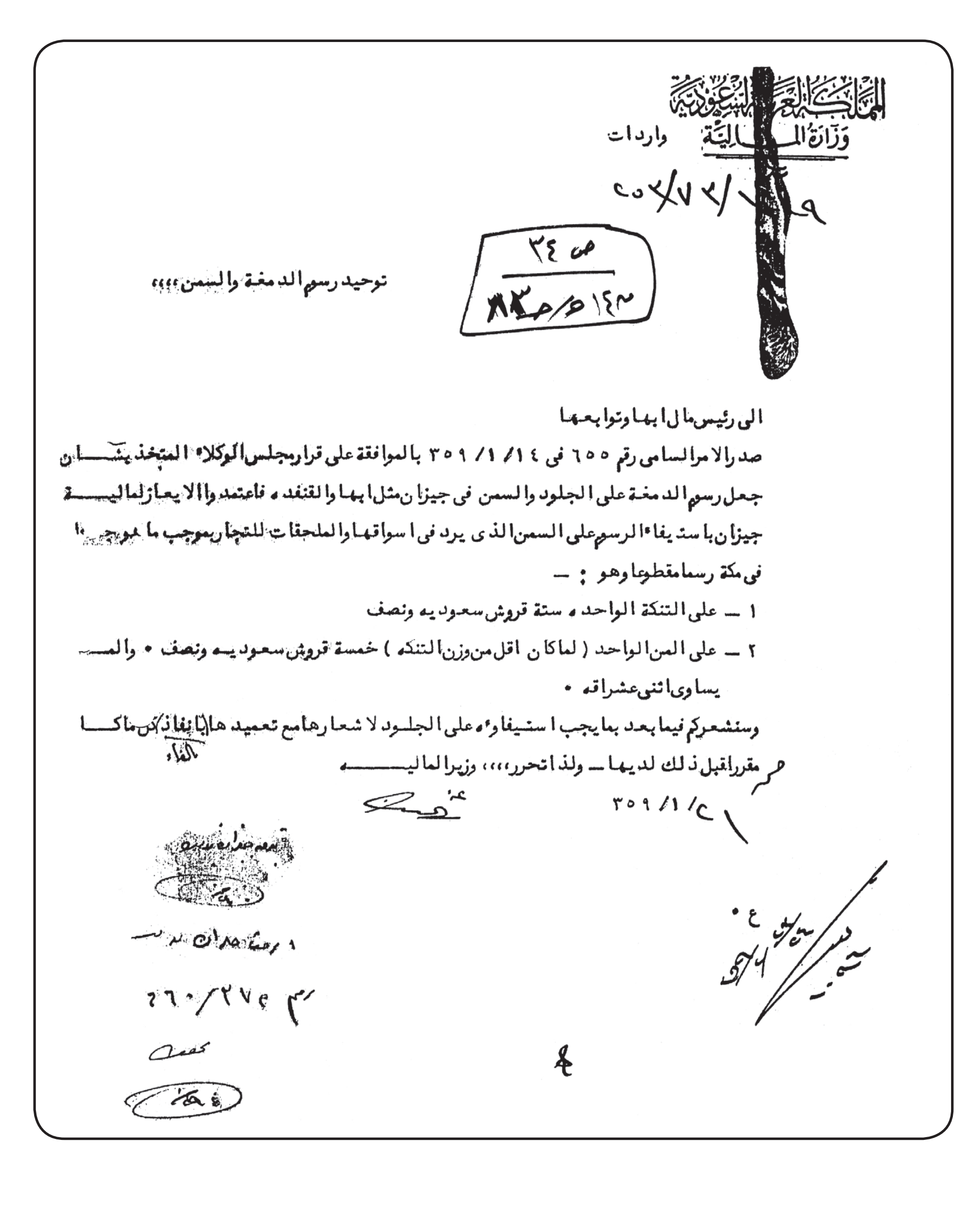
جناب المكرم رئيس مالية ابها

بعد التحية ٠ الحاقا لكتابنا رقم ٣٩٦ فى ٩ محرم ٣٥٩ لقد توجهت اليكم اليوم الهيئة المشكلة من الشريف شرف رضا وابراهيم العبد الرحمن الفضل وسليمان بن جوهر فبوصولها تجرو انزالها فى المكان الملائم وترتبو لها المصرف اللازم وتقوموا بالعمل الذى انتدبتم معها من اجله كما جاء بالامر السامى الذى ابلغناه لكم بكتابنا المشار اليه ،، وكيل وزارة المالية

فى / ١ / ١٣٥٩



ملحق رقم (٢٩): خطاب بتاريخ (١٣٥٩/١/٢١هـ) من وزير المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يؤكد فيه على وجوب توحيد رسم الدمغة على السمن في عدد من مناطق الجنوب السعودي مثل: أبها، وجازان، والقنفذة . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ،ج٨٣،ص ٣٤ .**



المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
واردات

توحيد رسم الدمغة والسمن،،،،

الى رئيس مال ابها وتوابعها

صدر الامر السامى رقم ٦٥٥ فى ١٤/ ١/ ٣٥٩ بالموافقة على قرار مجلس الوكلاء المتخذ بشان جعل رسوم الدمغة على الجلود والسمن فى جيزان مثل ابها والقنفده ، فاعتمدوا الايعاز لمالية جيزان باستيفاء الرسم على السمن الذى يرد فى اسواقها والملحقات للتجار بموجب ما هو جار في مكة رسما مقطوعا وهو : ـ

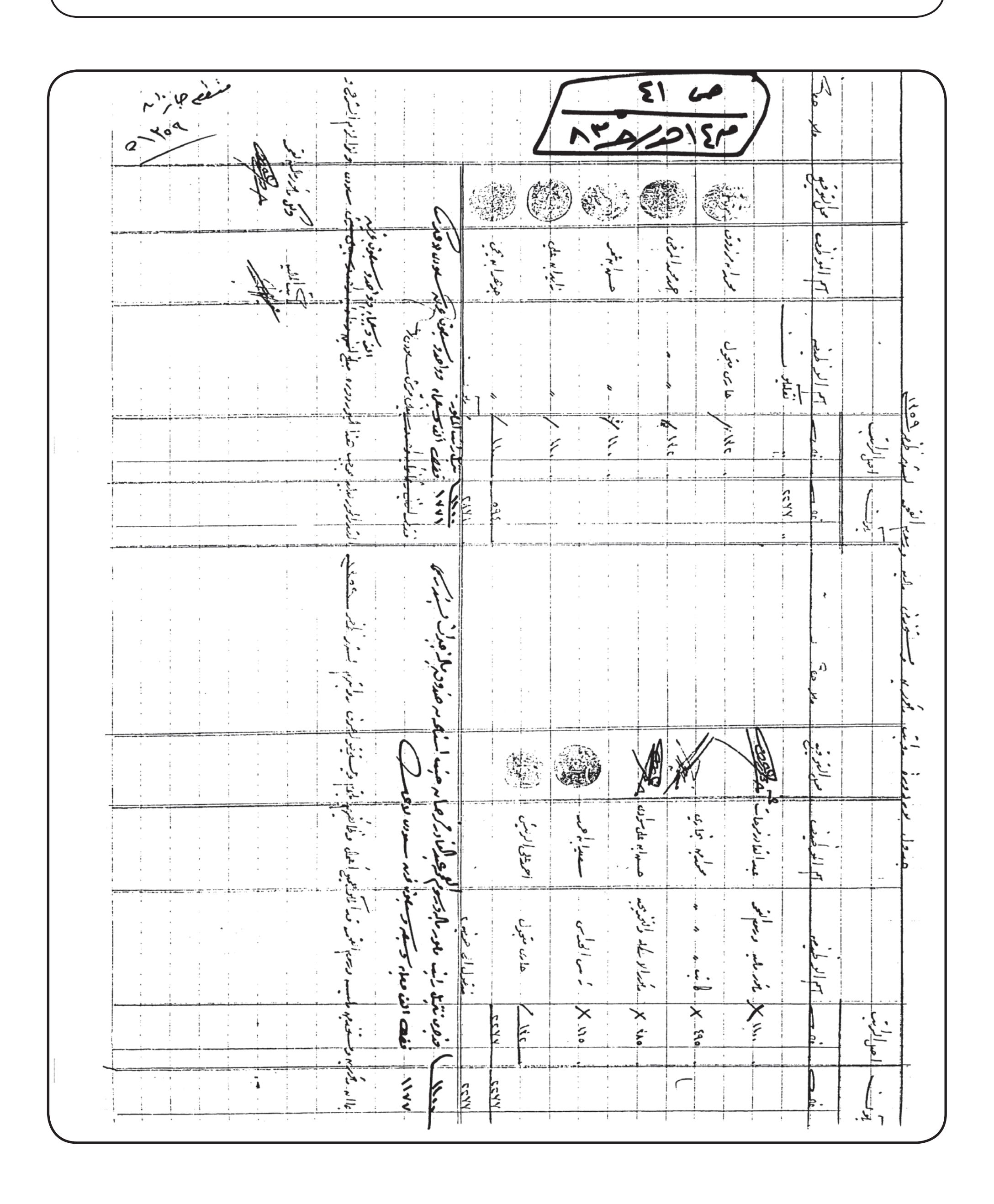
١ ـ على التنكة الواحده ، ستة قروش سعوديه ونصف

٢ ـ على المن الواحد (لما كان اقل من وزن التنكه) خمسة قروش سعوديه ونصف • والمن يساوى اثنى عشر اقه •

وسنشعركم فيما بعد بما يجب استيفاؤه على الجلود لا شعارها مع تعميد ها بإيفاذ (الغاء) ما كان مقرر اقبل ذلك لديها ـ ولذا تحرر،،، وزير الماليه

٢١/ ١/ ٣٥٩

ملحق رقم (٣٠): وثيقة بتاريخ (صـفر/١٣٥٩هـ) توضح رواتب مأموري ومستخدمي مالية ورسوم القحمة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٤١ .**



ملحق رقم (٣١): وثيقة بتاريخ (صفر/١٣٥٩هـ) تبين رواتب موظفي الدمغة في جازان.

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٣ .

ص٤٣
ق١٤هـ/٢٠م/ج٨٣

جدول رواتب موظفين الدفعه بجيزان لشهر صفر ١٣٥٩

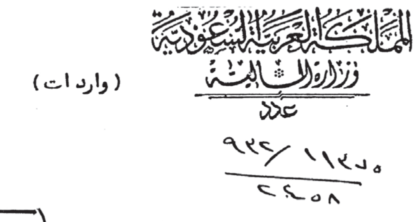
محل التوقيع	اسم الموظف	اسم الوظيفه	قروش
[illegible]	عبدالله الحلي	مامور الدفعه	٣٣٠
[illegible]	سالم عبدالكريم	شاوش	١٦٥
[illegible]	عبدالرحمن [illegible]	حارس	١١٠
		المجموع	٦٠٥

[illegible]

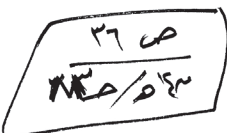
مامور الدفعه

[illegible]

ملحق رقم (٣٢): خطاب بتاريخ (١٣٥٩/٥/٢٣هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يوضح فيه بعض الإجراءات لمنع تهريب النقود إلى اليمن. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٦**


المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
عدد ٩٢٢/١١٢٥٥
٢٢٥٨

(واردات)

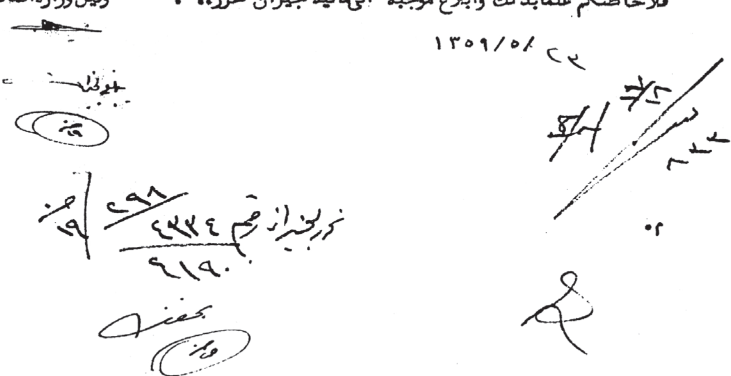

ص ٣٦
ج٨٣ / م٢٠ / هـ١٤

الى رئيس مال ابها وتوابعها

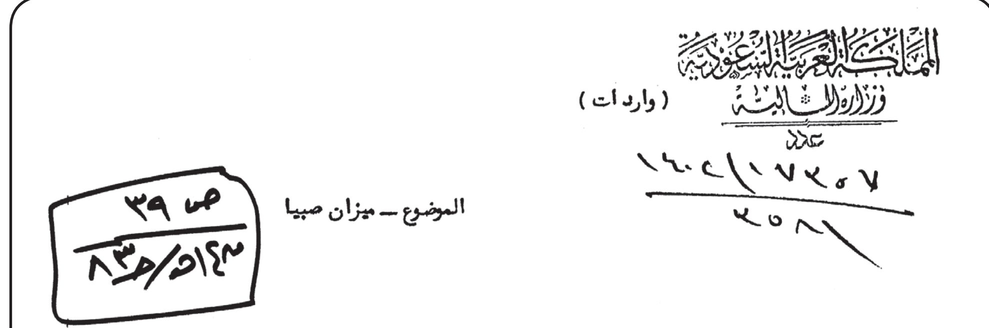
ابلغنا مقام النيابة السامي بخطابه رقم ٦٣٦٧ فى ١٧/٥/١٣٥٩ بان مامور جمرك حرم التابع لليمن كان قد القى القبض على محمد عز الدين ومحمد زلالة من بنى شبيل التابعين لقضاء ساحطة ومعهما (٦٦٩) ريالا فرنسيا يقصدون تهريبها الى اليمن وقد خابرت امارة جيزان عامل الحديدة فى صددهما واجابها العامل المذكور بان حكومته قد وافقت على ارجاع (٤٠٠) ريال للمذكورين ومصادرة الباقى وهو (٢٦٩) ريالا جزاء لهم وانه لدى عرض الموضوع على انظار جلالة الملك المعظم صدرت الارادة السنية اليه والى امارة جيزان برقيا برقم ٤٩٨٧ فى ٦/٥/١٣٥٩ بان جلالته يرى ان ذلك الجزاء الموضوع على المذكورين موافق لان معاملتهما قد كانت مغايرة للاصول لانه يجب على كل من يسافر اليمن او الى اى بلد من بلاد الخارج لابد وان يتبع القوانين والنظم التى تسير عليها تلك البلاد فلاحاطتكم علما بذلك وابلاغ موجبه الى مالية جيزان حرر ٠٠

وكيل وزارة الماليه

٢٢/٥/١٣٥٩



ملحق رقم (٣٣): خطاب بتاريخ (١٣٥٩/٨/١٥هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها حول ميزان صبيا وما يجب العمل حياله . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٩.**



المملكة العربية السعودية
وزارة المالية (واردات)
عدد ١٦٠٢/١٧٧٥٧

الموضوع ـ ميزان صبيا

ص ٣٩
٨٣/ج٣/ق١٤

الى رئيس مال ابها وتوابعها

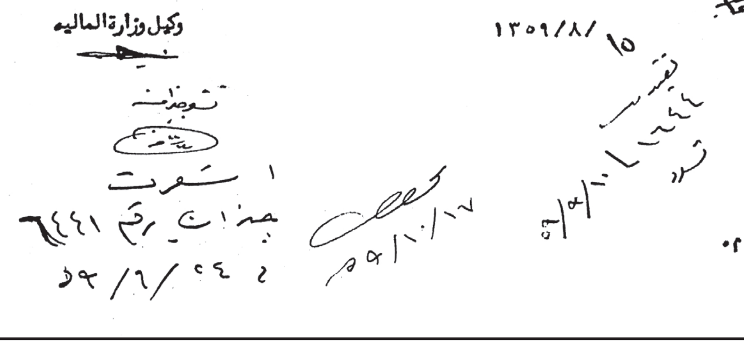
اجابة على برقيتكم ٤٩١٥/١٧٨٤/٤٧٠٧ فى ١٣٥٩/٧/٢٣ حول الميزان الموجـــود بمالية صبيا ـ نفيدكم بان هذا الميزان يزيد الى خمسمائة كيلو لا الى خمسين كيلو ووحداته المرسلة معه تزن الى هذا الحد لا الى خمسة كيلو ـ كما افدتم ومفرداتها هى : ـ

١ ـ قطعة تزن من ١٠٠ كيلو الى ٢٠٠

١ ـ = = = = ٢٠٠ = ٣٠٠

١ ـ = = = = ٥٠٠ = فمافوق

امامن الكيلو الواحد الى المائه فيزنها بدون وحدات وامامن الاربعمائه الى الخمسمائــه فلم ترد معه وقد افادت بذلك نظارة عموم الرسوم التى تولت ارساله الى جيزان . فـ[illegible] ناها باكمال نواقصه وارساله لمالية جيزان ايضا واشعرناكم بصورة ولذا اتحرر، ،



١٣٥٩/٨/١٥

وكيل وزارة الماليه

ملحق رقم (٣٤): وثيقة بتاريخ (شوال/١٣٥٩هـ) عبارة عن جدول يوضح رواتب كتاب إمارة جازان لشهر شوال عام (١٣٥٩هـ). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٢٠.**

ص٢٠
ج٨٣/ق١٤هـ

جدول رواتب كتاب امارة جازان لشهر شوال سنة ٥٩

مقدار الراتب الذي يجب صرفه		الوظيفة	الموظف	محل الختم	ملاحظات
٥٥٠	..	اخو الأمير	فهد التركي السديري	[ختم]	١٢
٥٥٠	..	〃 〃	ناصر العبدالله السديري	[ختم]	١٣
١١٠٠	.	كاتب اول	حسين بن عبدالله	[توقيع]	
٦٦٠	..	كاتب ثاني	عمر حلمي	[توقيع]	١٤
٦٦٠	..	مطوع القصر	صالح العنقري	[توقيع]	١٤
٣٥٢٠	..	المجموع			

فقط ثلاثة الف وخمسمائة وعشرون قرشاً سعودياً لا غير

بما أن كتاب قصر الامارة المحرر اسمائهم في الجدول قد استحقوا رواتبهم لشهر شوال سنة ٥٩ البالغ قدره ثلاثة الف وخمسمائة وعشرون قرشاً سعودياً المكموضح بعاليه جرى التحرير والتصديق ٢٠/١١/٥٩

امير جازان وتوابعه

[توقيع]

المحاسب للتدقيق

[توقيع] ٢٠/١١

١٢
١٣
١٤
١٤
١٤
٦٨

ملحق رقم (٣٥): جدول بتاريخ (شـوال/١٣٥٩هـ) يوضح الرواتب المنصرفة لموظفي مالية صبيا في شهر شوال (١٣٥٩هـ) . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٤٠.**

مقدار الراتب	نوع الوظيفة	اسم الموظف	محل التوقيع	مقدار الراتب	نوع الوظيفة	اسم الموظف	التوقيع
٩٩٠	مأمور مالية صبيا	عبد القادر [illegible]	[illegible]	٢٦٤٠	التفتيش		
٥٥٠	مأمور عشار	علي محمد [illegible]	[illegible]	١١٠	حارس	محمد [illegible]	[illegible]
٤٤٠	كاتب أول	مقبول [illegible]	[illegible]	١١٠	"	[illegible]	(ختم)
٢٢٠	كاتب ثاني	عبد الرحمن [illegible]	[illegible]	١١٠	"	[illegible]	(ختم)
١١٠	حارس	[illegible]	(ختم)	١١٠	"	محمد [illegible]	[illegible]
١١٠	"	[illegible]	[illegible]	١١٠	"	[illegible]	(ختم)
١١٠	"	محمد [illegible]	(ختم)	١١٠	"	علي [illegible]	(ختم)
٢٦٤٠				١١٠	"	محمد [illegible]	(ختم)
				٢٦٤٠			

ص٤٠

ق١٤هـ/ج٨٣

ملحق رقم (٣٦): خطاب بتاريخ (١٣٦٩/٤/٢هـ) من المدعو محمد الزهراني إلى الشيخ عبد الله بن موالا في بلاد المخواة يعزيه في وفاة ابنه ويرسل له بعض المال ويعتذر على التأخير، ويشرح له أسعار بعض السلع في بلاده . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٨٣، ص ١٠٣ .**

بسم الله الرحمن الرحيم

ص ١٠٣
١٤هـ/ م٢٠/ ج٨٣

حضرة المكرم الشيخ عبد الله بن موالا حفظه الله

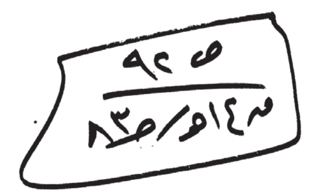
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد بلغنا وفاة
ابنكم ابراهيم فاحسن الله عزاكم وعظم الله اجركم وعسى الله
يصطفيه في جنات الجنة ويلهمكم بالصبر ولا مضى وانتم الا كما قال
انا لله وانا اليه راجعون وكل نفس ذائقة الموت وهذا
شي علينا كما علمكم الله وعساكم الا يريكم بعده مكروه
هذا وصلكم ايضا ريالين ما غير ستلقاها لكم والمعذرة
افرح ولا يعرفونه الا بعد الخريف والخريف تسعر
الدخن بثمانية والذرة بسبعة والسليل والدقسه
بخمسة وخمسة والسمسم بثلاثة عشرين ولا بعد
ما كن موافقة من الزيارة هذا والعلم والنعم
ننتظركم والسلام ٤/٢ سنة ٦٩

الداعي
محمد الزهراني

ملحق رقم (٣٧): خطاب (بدون تاريخ) من الملك سعود إلى الشيخ عبد الله بن موالا في بلاد المخواة يشرح له الطرق المتبعة لصرف الهبات والعوائد على المحتاجين وغيرهم ، وعلى هذا الشيخ التعاون مع موظفي الدولة في إيصال هذه الأعطيات إلى أصحابها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٢.**

بسم الله الرحمن الرحيم





عـدد

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الى [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعده : بارك الله فيكم تفهمون ان أعظم ما يهمنى هو منفعة المسلمين وراحتهم وقد بلغنى ان الاخوان يتكلفون فى هجرهم حين توزيع العوايد من كثرة الناس عندهم وكذلك فى القرى وقد فكرنا طويلا فيما يؤمن راحة المسلمين وعدم تكلف الناس بخسائر تشق عليهم ولهذا استشرنا اهل نجد واستقر الرأى اننا نضع شرهات الناس وصدقاتهم والذى اجرينا لفقير أو غيره مثل ما اجرت الهيئه الذى ارسلنا فى العام الماضى واثبتناه فى الدفاتر وتوكلنا على الله وجعلناه فى مراكزنا الحكومية القريبة من الهجر والبلدان والعدود لاجل اقرب تناول وفى مراكزنا ما على احد مضره . فموعدكم ان شاء الله فى اول ربيع آخر ويستمر حتى رجب أى مدة اربعة شهور ثم تقفظ الهيئة ومن تأخر فعلى نفسه وعلى كل امير وقاض ومطوع ونواب ان يخبروا جماعاتهم القوى منهم والضعيف وأمرنا الهيئة ان تقبل الوكالات على شرط ان تكون مصدقة من الامير والقاضى او المطوع والاسماء كلها مقيدة عندنا فى دفاتر وسنطبق ما يأتى من الامير والقاضى او المطوع على الدفاتر التى عندنا ومن له عادة او صدقة فكما اعطيناهم فى العام الماضى أمرناهم يعطونهم هذه السنة سوى من حاضره اومن باديه وكل قصدنا راحة المسلمين وعدم كلافتهم وان كل ما أمرنا به ان يكون كاملا غير منقوص كذلك يكون عندكم معلوم ان جميع ما اجريناه سوى انه لكبير اوصغير او ضعيف او قوى سيكون ان شاء الله ثابت ومن توفى فيكون لأولاده وعائلته من بعده واعتبروا هذا كأرث لكم وحق علينا لكم ان شاء الله هذا ما لزم بيانه والسلام .

ملحق رقم (٣٨): خطاب بتاريخ (١٣٨٠/٢/٢١هـ) من مدير مالية بلجرشي إلى عبد الله بن أحمد الشدوي يخبره بأنه ضمن أعضاء هيئة توزيع زكوات قبائل غامد وزهران (تهامة وسراة) عام (١٣٧٩هـ) ويوصيه بالجد والاجتهاد. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١١٣.**

المملكة العربية السعودية
وزارة المالية والاقتصاد الوطني
مالية بالجرشي
عدد ٢٢٩/

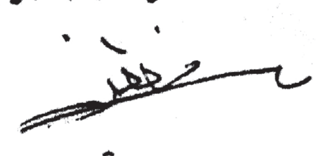


حضرة المكرم عبد الله بن احمد الشدوى المحترم

بعد التحيه ج ٠

عيناكم مندوبا عنا للقيام بالاشتراك مع الهيئه المكونه لـ توزيع زكوات صيف قبائل غامد وزهران السراه وكافة تهامه لعام ٩ ٣٧ ولما ناملـه فيكم من الذمه والامانه والاخلاص فنومل منكم مباشرة عملكم ضمن الهيئه المذكوره وموافاتنا بنتائج اعمالكم ٠ والله ولي التوفيق

١٣٨٠/٢/٢١هـ مدير مالية بالجرشي



ملحـق رقم (٣٩): خطاب بتاريـخ (١٦/١٠/١٣٨٣هـ) من أحد المسـؤولين إلى عريفة قرية السلاطين عبد الله أحمد الشدوي في جبل شدا غامد يخبره بما هو جاري من أعمال لإصلاح عقبتهـم (طريقهـم) في جبل شـدا الأعلى. **المصـدر: مكتبـة د. غيثـان بن جريـس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١١٤.**

ص ١١٤
ق١٤هـ/م٢٠/ج٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المكرم عريفة السلاطين عبد الله أحمد شدا غامد المحترم

تحية صادقة وبعد وصل تحريركم المشار إليه بالمدينة الآتية:

١- بالتهنئة لجنابكم بالمثل:

٢- موضوع عقبتكم نفيدكم بما اتفقنا بها هو صالحًا لكم مع شرف مشيختكم وقد رفعنا لمقام الوزارة ورفعنا صورة ومعه للوكيل الخاص بالرياض وعمونا عبد العزيز يشعركم بوقته ورجاءنا بنجح المقاصد ونحمد الله سنشد عضد كل من يقوم بتقدم وطنه ولا نزال بالمرصاد لكل من يصف عنه الحد للأعطاء والله يتولى توفيقكم ودمتم

١٦/١٠/١٣٨٣هـ

سعود العبد الرحمن السديري

ملحق رقم (٤٠): خطاب بتاريخ (١٣٨٥/٥/١٦هـ) من عبد العزيز بن عبد الهادي إلى عبد الله بن أحمد الشدوي يهديه السلام، ويخبره أن عقبتهم (طريقهم) في شدا الأعلى سوف تنزل في مناقصة قريبا، ويرغب إشعاره بذلك. **المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ص ٨٣، ص ١١٩.**

ص ١١٩
ب
م١٤هـ ٢٠ م ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الأخ العزيز عبدالله بن احمد   دام [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ادام سؤالكم عنا فنحن صحتنا ولله الحمد [illegible] كما قد [illegible] نزلنا من الأمير [illegible] والله سامحنا الكثرة الاشتغال بعد ما ارسل علينا بخصوص مطلبه العقبه [illegible] وسوف تنزل في مناقصة عمليه في هذه الايام [illegible] اشعاركم بذلك وسلامي لكم وللوالد وانتم ودمتم

١٦/٥/٨٥

اخوكم

عبدالعزيز عبد الهادي

ملحق رقم (٤١): خطاب بتاريخ (١٣٨٦/٥/٨هـ) من رئيس مركز المخواة عبدالله ابن فهد إلى العريفة عبد الله بن أحمد يخبره وجوب استعداده وجماعته للتعاون مع عمال المواشي الذين هم قادمون إلى منطقة المخواة وما حولها. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص١٢٢.**

المملكة العربية السعودية

مركز المخواه

عدد

١٢٠

ص ١٢٢

ق١٤هـ/ج٨٣

حضرة المكرم العريفة عبدالله بن أحمد المحترم

بعد التحية نخبركم أنه وردنا خطاب [illegible] عمال المواشي يتضمن قرب وصول العمال إلى هنا وهم المتوظفين في الأيام القريبة فيتعين التنبيه على عموم جماعتكم للاستعداد لذا

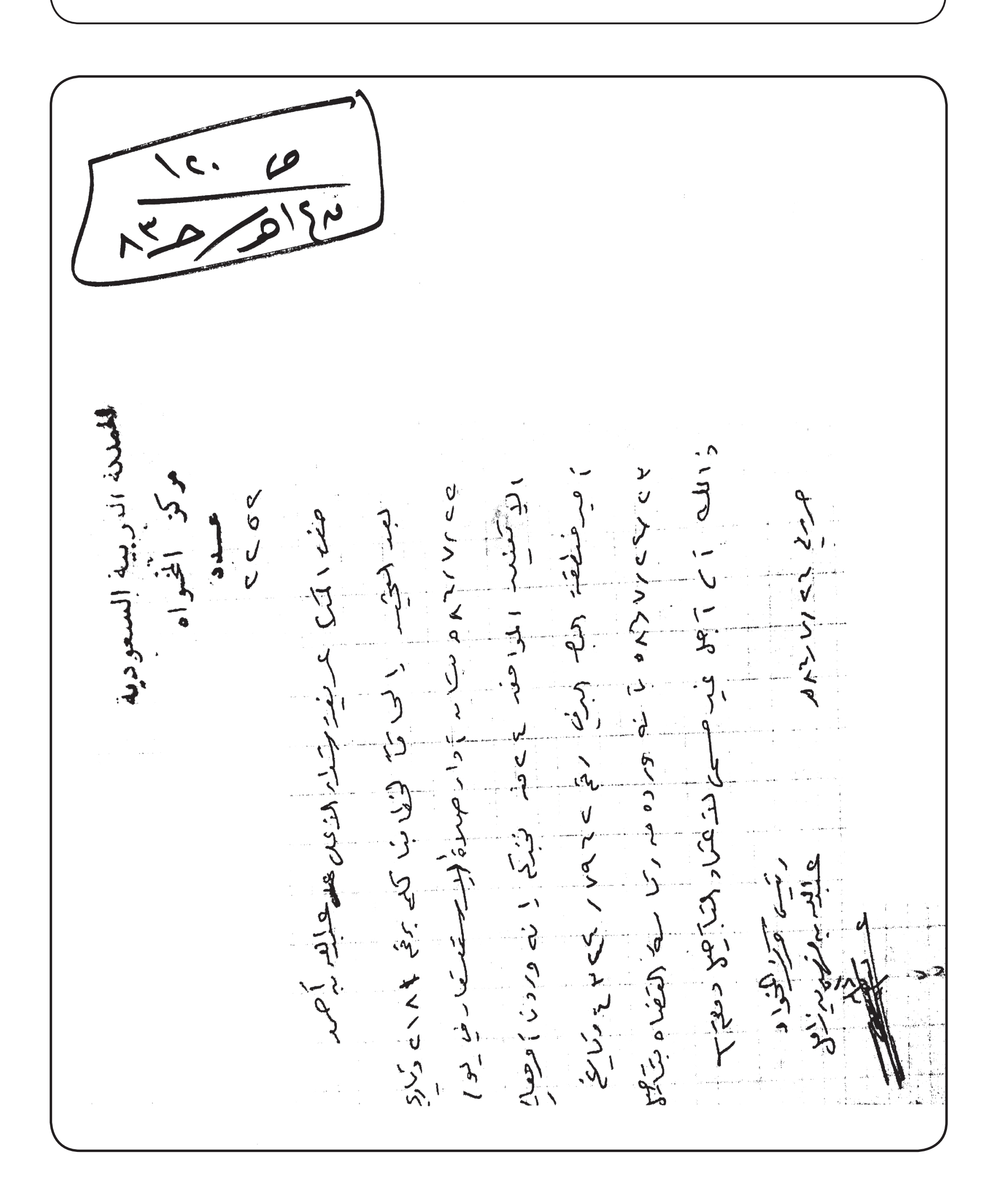
ودمتم

رئيس مركز المخواه

عبدالله بن فهد بن [illegible]

١٣٨٦/٥/٨هـ

ملحق رقم (٤٢): خطاب بتاريخ (١٣٨٦/٧/٢٦هـ) من رئيس مركز المخواة عبد الله بن فهد زامل إلى عريفة شد الأعلى عبد الله بن أحمد يخبر بالتعميم الذي وصلهم وفيه تأجيل صلاة الاستسقاء. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٢٠.**



ص ١٢٠
ق١٤هـ/ج٨٣

المملكة العربية السعودية
مركز المخواه
عدد ٢٢٢

رئيس مركز المخواه
عبد الله بن فهد زامل

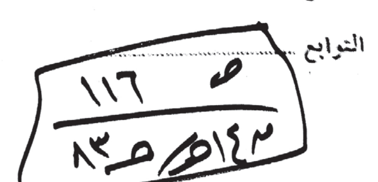
ملحق رقم (٤٣): خطاب بتاريخ (١٧/٨/١٣٨٦هـ) من رئيس مركز المخواة إلى عبد الله أحمد الشدوي يبلغه بالتعميم الذي أرسله رئيس القضاة في المملكة على أن تكون صلاة الاستسقاء يوم الخميس (١٩/٨/١٣٨٦هـ)، وعليه إبلاغ جماعته. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٨٣، ص ١١٦.**

بسم الله

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية

امارة المخواة

الرقم ٥٥٩
التاريخ ١٧/٨/٨٦هـ
التوابع



المكرم عبد الله بن أحمد الشدوي المحترم

بعد التحية نخبركم إنه كتب لمراكز منطقة المخواة بخطاب رقم ٥٠٤ في ٢٧
المتضمن إنه نقلاً أمر سماحة رئيس القضاة رقم ٢٩٢١ في ٤ الجاري
المتضمن إنه تقرر إقامة صلاة الاستسقاء يوم الخميس الموافق
١٩ شعبان ١٣٨٦هـ وطلب إبلاغكم بذلك فينبغي ...
... إقامة صلاة الاستسقاء في يوم الخميس المذكور ودمتم

رئيس مركز المخواة
عبد الله ...

ملحق رقم (٤٤): اتفاقية وملحقاتها بتواريخ (١٠/٤، ١٥/١١/١٣٨٨هـ)، بين العمال الذين يقومون بإصلاح طريق شدا الأعلى وبين اللجنة التنفيذية والقائمين على هذا المشروع، وفيها تفصيلات عن كيفية بدء العمل والاستمرار فيه، وهناك قائمة بأسماء العاملين في هذا الطريق وأجرتهم. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٠-١١١.**

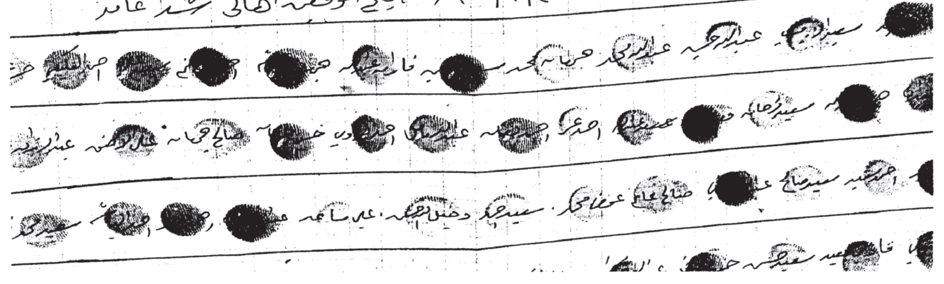
ص ١١٠/ ق١٤هـ/ ٢٠م/ ج٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

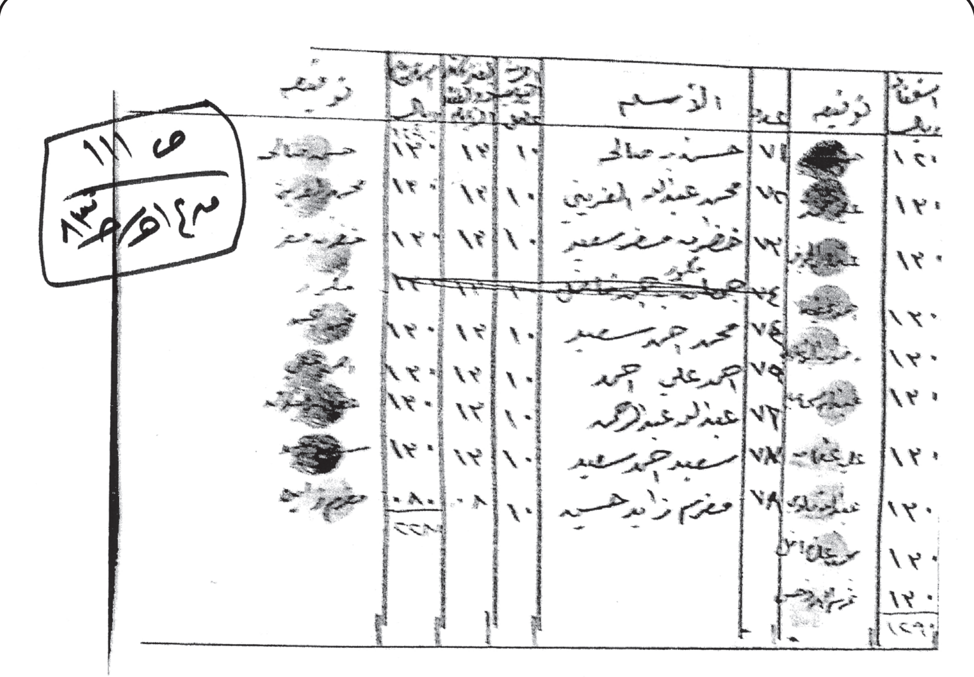
نقر نحن المعلمين والملقفين والساعدين والعمال المشتغلة في شدا غامد الموقعين أدناه الذين تم حضورنا للعمل في اليوم الأثنين الموافق ١٠/٤ أننا نتقيد بالشروط التي تترتب علينا وهي كما يلي:

- أولاً وفي مقدمة الشروط الشرط الرئيسي ومن أهمها وفي مقدمتها فريضة الصلاة كما في الحديث الشريف الصلاة عماد الدين و[illegible] ينادي من أجل صلوات العصر الذي في أثناء العمل فصلاة ان تكون كل فرقة تصلي وراء إماماً واحداً أما صلوات الفجر والظهر والمغرب و[illegible] ان نكون في محل واحد وراء إماماً واحداً ولا حجة التنفيذ وتطبيق الأسماء ومن تخرج عن أي فريضة فيصلي أولاً ويخطر في المرة [illegible] الثالثة فيفصل أي يطرد من العمل.
- أننا نقوم بالعمل قولاً وعملاً والتنفيذ على حسب الشروط والمواصفات التي قررتها اللجنة وهي كما يلي: (أ) ان تكون عرض [illegible] وفصلت في جميع المراحل (ب) ان يمشي الحمل [illegible] بسهولة دون [illegible] في جميع المنعطفات (ج) ان أي نقص يصبح فيما [illegible] السابقة فإننا نكون تحت المسئولية لتكملة العمل بدون مقابل.
- أننا نلتزم المحافظة على مواقيت العمل وهي كما يلي: (أ) ان يبدأ العمل الساعة الواحدة صباحاً الى السادسة ظهراً وتكون الاستراحة ثم يستمر العمل الى الحادي عشر والنصف مساءً وان أي شخص يتأخر عن المواعيد المحددة ان ينبه في المرة الأولى ويخطر في المرة الثانية وفي الثالثة [illegible]
- أننا نلتزم الهدوء والسكينة واحترام بعضنا بعضاً سوى كان من أهل العمل أو من مراقب [illegible] اللجنة عليها وأن أي شخص يحدث أي فساد [illegible] المسئولية وان يكون هذا سبباً لطرده من العمل.
- ان تكون الحسابات من الأجرة شهرياً كما قررتها اللجنة تحت اشراف مسئولي أمير منطقة الباحة وهي كما يلي: (أ) ان يكون المعلم المعروف أهل الخبرة المشهور بالبناء أجرته اليومية مبلغ (٢٠) [illegible] (ب) الملقف والساعد [illegible] (١٥) ريالاً (ج) العامل [illegible] (١٠) ريال (د) أنه لا يحق لأي شخص المطالبة بالأجرة قبل نهاية الشهر.
- أنه لو لا سمح الله وحصل في أحد منا إصابة أثناء العمل من حديد أو حجر أو غيره انه ليس لدي أي مطالبة [illegible] أي شخص سوى [illegible] أو أي مسئول في هذا المشروع.
- ان أي شخص يسجل اسمه في بداية العمل أنه إذا تأخر عن الموعد المحدد قبل نهاية الشهر بدون عذراً تقبله اللجنة انه ليس [illegible] في الأجرة قبل نهاية الشهر.
- أننا نتقيد بما يترتب علينا المراقب الذي ترتضيه اللجنة لصلاحية العمل مع مراقبة [illegible] في أداء الواجب وكذلك المعدات التي سلمت لنا أننا نقوم بحفظها وعند نهاية العمل نقوم بتسليمها الى اللجنة وان أي شخص يفقد عليه شيء [illegible] أنه يخصم من أجرته اليومية فعليه [illegible] المسئولية والدولة الموفقة [illegible] أدناه أننا موافقين تمام الموافقة على الشروط المتخذة أعلاه وأي شخص يتخلف أو [illegible]

حرر في ١٠/٤/١٣٨٨هـ صحيح الموقعين أهالي شدا غامد



تابع ملحق رقم (٤٤)



[illegible]	توقيع	عدد	الأسماء	[illegible]	[illegible]	[illegible]	توقيع
١٢٠	[illegible]	٧١	حسين صالح	١٠	١٢	١٢٠	حسين صالح
١٢٠	[illegible]	٧٢	محمد عبدالله الغريني	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٣	خضر [illegible] سعيد	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٤	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٤	محمد أحمد سعيد	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٥	أحمد علي أحمد	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٦	عبدالله عبدالرحمن	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٧	سعيد أحمد سعيد	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٨	[illegible] زايد حسين	١٠	٠٨	٠٨٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]					[illegible]	
١٢٠	[illegible]						
١٢٩٠							

[illegible]

١٥/١١/١٢٨٨هـ



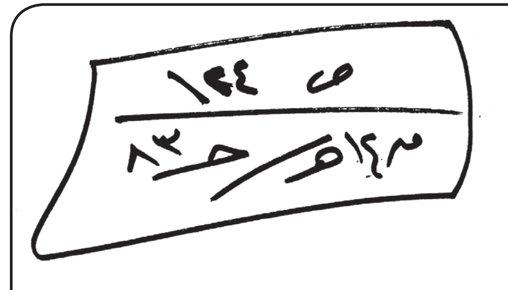


العضو [illegible]

العضو [illegible]

العضو [illegible]

ملحق رقم (٤٥): رسالة إخوانية بتاريخ (١٣٩١/١٢/١٩هـ) من الأستاذ فضل الله أحمد فضل الله من موجه التربية الفنية في القنفذة إلى الشيخ عبد الله الشدوي في شدا الأعلى يشكره على كرمه وحسن استقباله وما قدم من خدمات له. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١٢٤.**



بسم الله الرحمن الرحيم

القنفذه ١٩/١٢/٩١

عزيزي الكريم الشيخ عبدالله

لك أحر تحياتي وأطيب الأمنيات متمنياً لك الصحة الوافرة والسعادة، سائلاً الله أن يسبغ نعمته عليك وأن يوفق حياتك ويمنح أطفالك الصافية والغد المرموق ولك.

منذ وصولي إلى القنفذة من الحزام وأنا أذكر مستزيداً طيب واريحيتك الصافية ونبل أخلاقك، وقد طوقت أعناقنا بألف جميل. وأنا إذ أشكر استقبالك الكريم لنا أعلم أنك لست بحاجة للشكر على ما قدمت، ولكنه الأصول تستدعي أن نقول كلمة شكر وامتنان فتقبلها مني آملاً من المولى عز وجل أن نستطيع رد بعضاً مما قدمت.

مع تكرار شكري وتقديري لك

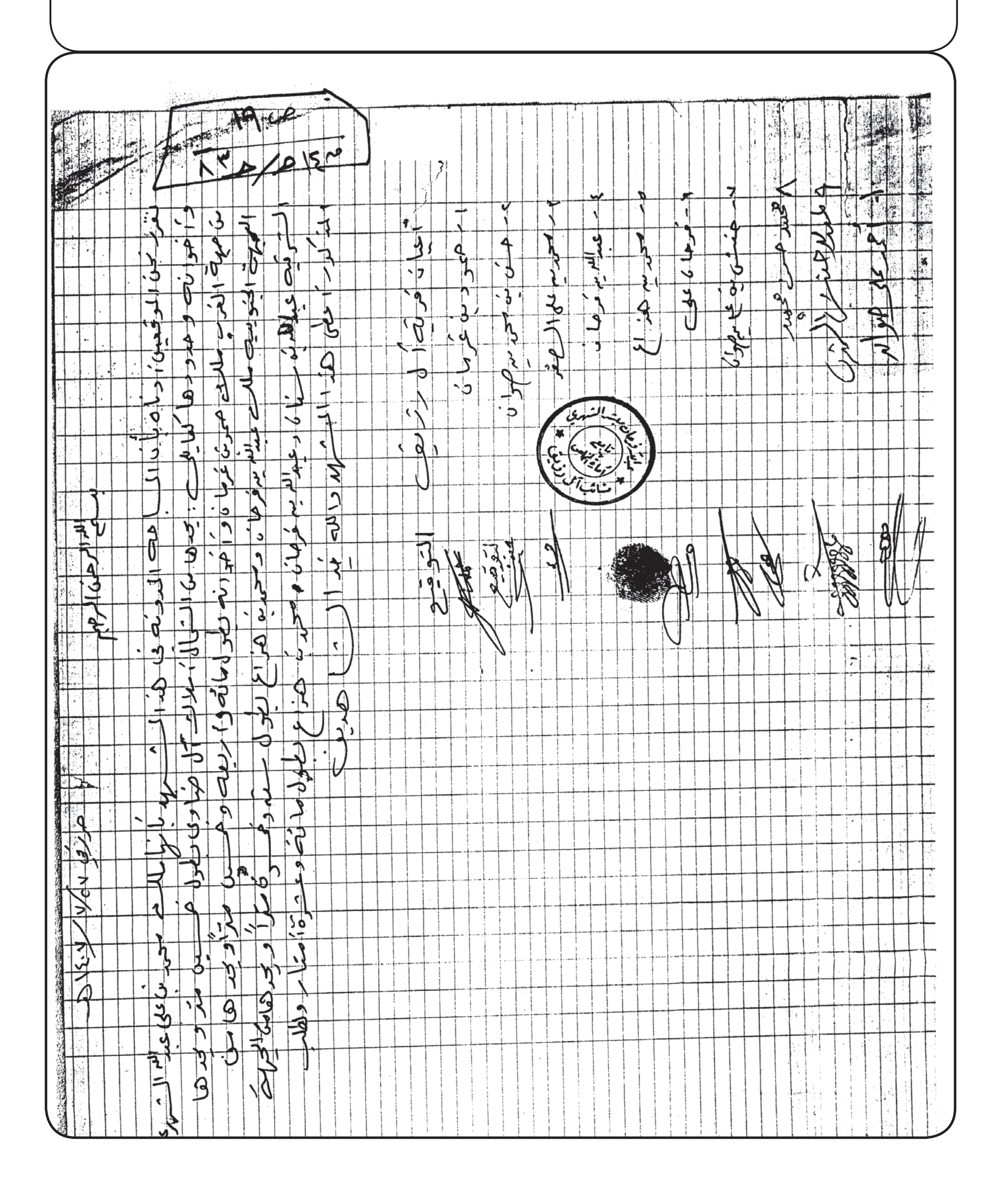
أخوك

فضل الله أحمد فضل الله

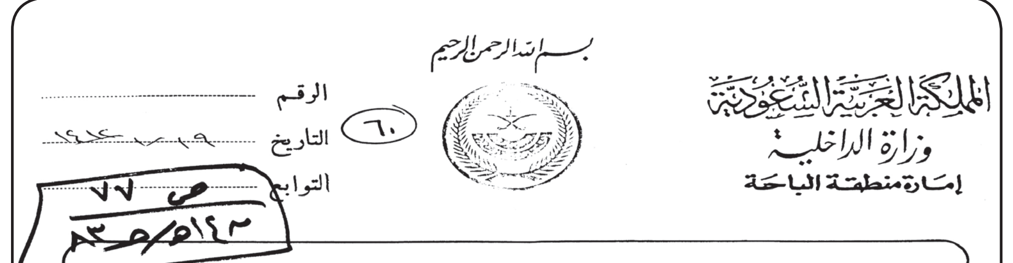
موجه التربية الفنية بالقنفذة



ملحق رقم (٤٦): مشهد بتاريخ (١٤٠٧/٧/٢٧هـ) من عشرة أعيان من قرية آل رزيق، قرية المؤلف، وفيه يشهدون على امتلاك عقار في بلادهم لأحد رجالهم، ويظهر في هذا المشهد أسمائهم وتواقيعهم. **المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ص ٨٣، ص ١٩.**



ملحق رقم (٤٧): خطاب بتاريخ (١٤١٢/١/١٩هـ) من الأستاذ علي بن صالح السلوك، مدير عام الإدارة في إمارة منطقة الباحة إلى الشيخ أحمد بن موالا يهديه السلام ويطلب منه التعاون في جمع بعض المادة العلمية عن بلاده حتى يضمنها الطبعة الثانية من كتابه (المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٧٧.**



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة الباحة

الرقم ....
التاريخ ١٤١٢/١/١٩
التوابع ....

٦٠

ص ٧٧
ج٨٣/ق١٤هـ

الموضـــوع :

سعادة الاخ الفاضل الشيخ/احمد بن عبدالله موالا حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

انطلاقامن توجيهات صاحب السمو الملكي الامير/محمد بن سعود بن عبد العزيز /أمير منطقة الباحه/ وسمونائبه /فقد تقرر إعادة طباعة كتابي (المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران) ولكن بشكل اوسع من السابق وبطريقة تختلف عن ذي قبل.

ولان الامر يتطلب توفر معلومات عن الاتي :-

اولا/الشعراء الشعبيين من القبيلة في الماضي.

ثانيا/مشاهير القبيلة في الماضي.

ثالثا/اقسام القبيله ولحامها

فاني ارجو تعاونكم معي وموافاتي بالمعلومات التاليه مع الاستعانة بالمعمرين وكبار السن ما أمكن :-

اولا/الشعراء الشعبيين:-

١) الاسم الكامل للشاعر ومكان ميلاده ٢) تاريخ وفاته ٣) نماذج من شعره في العرضه واللعب ولحن الجبل والمسحباني، والاناشيد

ثانيا/اسماء مشاهير القبيله، ونبذه عن حياة كل منهم ومن ذلك مشايخ القبيلة في السابق واللاحق، والفقهاء والعلماء وبعض اثارهم.

وحبذا لوكانت موثقة بصور من الوثائق القديمة وبتاريخ وفاة كل منهم.

ثالثا/اقسام القبيله وقرى كل قسم ولحام كل قرية وسيكون لتعاونكم في هذا المجال مساهمه فعاله في اظهار المنطقه بالمظهر المشرف في هذا العهد السعودي الزاهر عهد الامن والرخاء. والله يحفظكم،

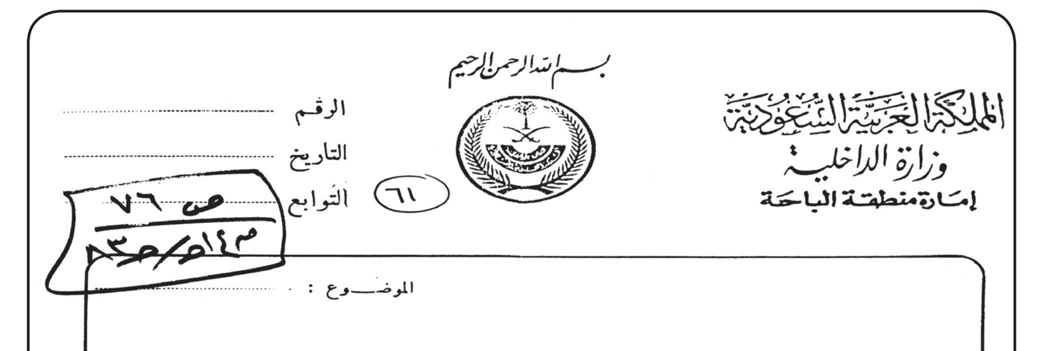
اخوكم

علي بن صالح السلوك

مديرعام الاداره بامارة منطقة الباحه

٥

ملحق رقم (٤٨): خطاب بتاريخ (١٤١٢/٦/٥هـ) من الأستاذ علي بن صالح السلوك إلى الشيخ أحمد بن موالا يذكره بالخطاب الذي أرسله له من قبل ويطلب فيه معلومات عن بلاده وسكان القبائل التابعة له ، ويستحثه على التجارب، وذلك من أجل تضمين هذه المادة العلمية في الطبعة الثانية من كتابة (المعجم الجغرافي) . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٧٦.**



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة الباحة

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع (٦١)

ص ٧٦
م١٤/ ج٨٣

الموضـوع :

سعادة الاخ الكريم الشيخ احمد بن موالا سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

ارجو لكم الصحة والمسرات .

وبعد - فقد سبق ان كتبت لكم قبل اكثر من اربعة اشهر طالبا بعض معلومات عن قبيلتكم لغرض اضافتها في كتاب المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران في طبعته الجديده .

ولم ترد تلك المعلومات ،ولان اشتمال الطبعة الجديده على كامل المعلومات عن المنطقه وسكانها هو أمر ضروري ولايترك حجة لمحتج بعد الطبع .

فاني اذكركم بماسبق وارجو سرعة موافاتي بالمطلوب في خطابي السابق أو ببعضه اذا كان ذلك متعسرا حتى يكون العمل شاملا ، وفي حالة عدم استجابتكم فارجو عدم مؤآخذتي عند ما يخلو الكتاب من بعض المعلومات التي لم تكن متوفرة لدى من السابق .

ولكم خالص تقديري واحترامي.

اخوكم

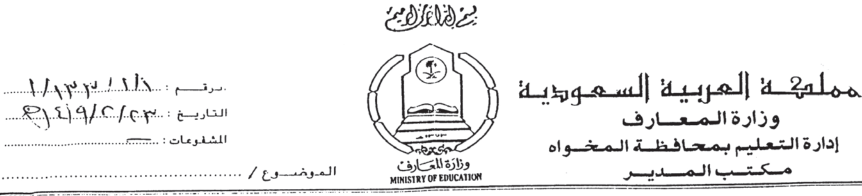
علي بن صالح السلـوك

١٤١٢/٦/٥

مدير عام الاداره بامارة منطقة الباحه

ملحق رقم (٤٩): خطاب بتاريخ (١٤١٩/٢/٢٣هـ) من مدير التعليم بمحافظة المخواة إلى الشيخ أحمد بن عبد الله بن موالا ، شيخ قبيلة بني عمر الأشاعيب ، يطلبه معلومات مختصرة عن بلاده وسكانها وذلك بناءً على ما جاء من خطابات وتوجيهات من سمو وكيل إمارة منطقة الباحة ، ومن رئيس النادي الأدبي في الباحة . وبرفقة هذا الخطاب معلومات في صفحتين تحت توقيع الشيخ عبدالله بن أحمد بن موالا ، وهاتان الصفحتان غير مؤرخة ، لكنها بعد تاريخ الخطاب المذكور أعلاه بزمن. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ٧٠-٧١، ٧٨ .**

بسم الله الرحمن الرحيم



ص ٧٨
م١٤هـ/ج٨٣

المكرم / شيخ **قبيلة** / بني عمر الأشاعيب
الشيخ / أحمد عبد الله بن موالا
المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .... وبعد

إشارة إلى خطاب رئيس النادي الأدبي بمنطقة الباحة رقم ١/١٠٣ في ١٤١٩/٢/٢٣هـ والمبنى على خطاب سمو وكيل أمارة منطقة الباحة رقم ٢/٩٤٠ في ١٤١٩/٢/٢١هـ المتضمن طلب معلومات تاريخية عن كل قبيلة وذلك في حدود صفحة واحدة على أن تحوى المعلومات أحداث تاريخية ومسميات أشخاص لهم مكانه تاريخية معروفة والموقع الجغرافي لكل قبيلة .

فعلية آمل سرعة تنفيذ ما جاء بعالية فيما يخص قبيلتكم على أن تصل تلك المعلومات لمكتبنا خلال (٥) أيام من تاريخه على أن ينال ذلك عنايتكم الشخصية واهتمامكم . شاكرين تعاونكم .

وختاماً تقبلوا خالص تحياتي وتقديري ،،،

أخوكم

مدير التعليم بمحافظة المخواة

مطر بن أحمد رزق الله

م / الشمراني ......
صورة/ لمكتبنا
صورة/ للصادر العام .

تليفون : ٧٧٢٨٠٦٢١ . ـ فاكس ٧٧٢٨٠٤٩٦ . ـ سنترال ٧٧٢٨٠٤٠٥ .

تابع ملحق رقم (٤٩)



بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

تعريف بسيط موجز عن قبيلة بني عمر الأشاعيب :-

قبيلة بني عمر الأشاعيب من اكبر القبائل بمنطقة الباحة من حيث عدد السكان والمساحة وعدد قرى وهي تقع في منطقة تهامه الباحة وترتبط قراها إدارياً بمحافظة المخواة وعدد من قـوى وادي سياله بمحافظة قلوه .

حدود القبيلة :-

من الشمال غامد وزهران ومن الجنوب غامد تهامه وبني سهيم والعوامر ومن الشرق غـــامد السراة ومن الغرب غامد تهامه وزهران .

عدد السكان :-

يبلغ عدد سكان بني عمر الأشاعيب تقريباً أربعون ألف (٤٠,٠٠٠) نسمه .

عدد القرى :-

عدد القرى تقريباً (٩٦) قرية منتشرة في عدة أودية من أهم هذه الأودية :

وادي راش	وادي هوران	وادي منجل	وادي ممنا
وادي سقامه	وادي مليل	وادي الحمره	وادي رحبه
وادي ضيان	وادي سياله	وادي حتي	

تتقسم القبيلة إلى عدة فخوذ ولحام وأشهرها :- الاشاعيـب – بنـي زيـدان – بنـي عاصم – المسايبه – بني ناشر .

مشيخة القبيلة في الماضي القديم والحاضر القريب :-

مشائخ قبيلة بني عمر الأشاعيب في الماضي وحتى تاريخه هم أسـرة (آلا مـوالا) وذلـك حسب ما يلي :

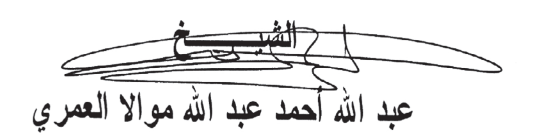
تابع ملحق رقم (٤٩)



- موالا .
- أبنه سعد .
- أبنه سعيد .
- إبراهيم بن سعيد وكانت وفاته بتاريخ ١٦ شوال ١٣٢١هـ .
- أحمد بن إبراهيم موالا وتوفى عام ١٣٤٦هـ .
- محمد بن احمد موالا وتوفى عام ١٣٥٦هـ .
- عبد الله بن أحمد موالا وتوفى عام ١٣٨٠هـ .
- غرم الله بن عبد الله موالا وتوفى عام ١٣٨١هـ .
- محمد بن عبد الله موالا وتوفى عام ١٣٩١هـ .
- أحمد عبد الله موالا وتوفي عام ١٤٢٠هـ .
- أبنه / عبد الله أحمد عبد الله موالا الآن .

هذا ملخص عن قبيلة بني عمر الأشاعيب ومشايخها وقراها وأوديتها والله الموفق .

الشيـــخ



عبد الله أحمد عبد الله موالا العمري

ملحق رقم (٥٠): مذكرة في خمس صفحات بتاريخ (١٤٣٧/١/٢٠هـ) من تدوين الدكتور قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم ، الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد في أبها ، وفيها قراءة وآراء ووجهات نظر على كتابين من إعداد الأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر ، وهما: (١) وثائق غيثان بن جريس الخاصة (ثمانية مجلدات) (٢) دليل البحوث الجامعية في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٧هـ) (لم ترقم بعد) .**

١

بسم الله الرحمن الرحيم

(قراءة أولية في موسوعة أ. د غيثان بن جريس الوثائقية) بقلم د. قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم (١)

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلاماً على النبي المصطفى ، والحبيب المجتبى ، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى .

ثم أما بعد ، فلقد تلقيت - ببالغ السرور - هدية الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس المتمثلة في موسوعته القيمة الموسومة بـ «وثائق غيثان بن جريس الخاصة» (ثمانية مجلدات في حوالي (٥٠٠٠) صفحة) من إعداد الأستاذ محمد بن أحمد معبِّر ، ونسخة من كتاب : «دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية» مشفوعة بخطابه المؤرخ في ١٤٣٦/١٢/٢٣هـ .

ولقد سررت بهذا المنجز المعرفي المهم الذي يأتي تتويجاً لعمل دؤوب استغرق ما يقرب من (٣٥ سنة) ؛ هي الحقبة الزمنية التي أشرف فيها الأستاذ الدكتور غيثان على طلاب البكالوريوس والماجستير والدكتوراه بفرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها ، وكذا على بحوث الطلاب والطالبات بعد أن انتظم عقد الفرعين وسلكا في منظومة جامعة الملك خالد بأبها ؛ سواء أكان الإشراف من لدنه هو أم من قبل أساتذة القسم (قسم التاريخ) .

وإنني إذ أشيد بهذا العمل القيم وبهذا الجهد المبارك ، فإنني أذكر أن من أهم ما يتميز به ما يأتي :

أولاً : التصنيف العلمي لهذه البحوث ، الذي قام به - مع الباحث - الأستاذ محمد بن أحمد معبِّر ، إذ قد قسم هذا الدليل إلى :

١- الوثائق العامة التي تربو على أربعة آلاف وثيقة .

٢- الوثائق الخاصة المتبادلة مع الهيئات والأفراد ، وتقع في ثمانية مجلدات .

(١) أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية جامعة الملك خالد - أبها .

حرر في ١٤٣٧/١/٢٠هـ

تابع ملحق رقم (٥٠)

٢

٣- البحوث الجامعية (غير المنشورة)، وهو موضوع الكتاب الذي أتحدث عنه.
٤- الصور الفوتوغرافية، التي يبلغ عددها حسب إحصائية الأستاذ معبر (٧١٤٨) صورة.
٥- المذكرات والمدونات.
٦- الكتب المطبوعة النادرة.

ثانياً: لقد ظهر الجهد الطيب في هذا الكتاب من خلال تلك الإحصاءات العلمية الدقيقة، حيث تشير إلى أن عدد الرسائل العلمية التي احتوى عليها الكتاب (٩ رسائل دكتوراه)، و(٣٨ رسالة ماجستير)، و(٣٥٦ بحثاً خاصة بمرحلة البكالوريوس)، وكان عدد الصفحات كما تقول الإحصائية: إحدى وستون وثمانمئة واثنان وستين ألف صفحة (٦٢٨٦١)، وعدد الوثائق ثمان وثمانون ومائة وألفا وثيقة، وعدد الخرائط والأشكال تسع وتسعمائة وألفا خريطة وشكل.

ثالثاً: عدد البحوث التي توزعت إجراءاتها وإعدادها على مناطق المملكة العربية السعودية لطلاب الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس وطالباته، وكذا طلاب قسم التاريخ وطالباته كانت على النحو الآتي:
١- منطقة عسير فازت بقصب السبق، وبنصيب الأسد، حيث كانت البحوث التي وجهت إليها (٢٥٩) بحثاً.
٢- منطقة جازان حظيت بـ (٧٧) بحثاً.
٣- منطقة نجران حيث كانت البحوث التي صوبت إلى هذه المنطقة (٢٠) بحثاً.
٤- منطقة مكة المكرمة، وكان سهمها من هذه البحوث (١٥) بحثاً.
٥- منطقة الباحة التي عدد (٨) بحوث.
٦- منطقة الرياض وكان حظها من ذلك (٣) بحوث.

رابعاً: لقد توسعت بحوث الطلاب والطالبات في قسم التاريخ لتشمل

حرر في ٢٠/١/١٤٢٧هـ

تابع ملحق رقم (٥٠)

٣

عدداً من الدول ، حيث كان نصيب اليمن منها (٥) بحوث ، تلتها الأندلس بـ (٣) بحوث ، فالأماكن المختلفة - كما سميت في الكتاب، وكما استحسن ذلك مؤلف الكتاب - حيث كان من نصيبها (٣) بحوث. فبلاد الشام بحثان.

خامساً : ثم استعرض الأستاذ محمد معبّر سيرة الأستاذ الدكتور عيشان بن جرّيس العلمية ، وأعماله التأليفية.

وقد لخص أ. محمد معبّر عمله في هذا الدليل بقوله[1] : «وبدأت العمل بوضع النموذج الموحّد الذي يشتمل على البيانات التالية :

١- عنوان البحث ...

٢- اسم الباحث ... واسم المشرف إذا كان غير الأستاذ الدكتور عيشان.

٣- محتويات البحث ...

٤- تاريخ البحث . ٥- عدد الصفحات . ٦- عدد الوثائق .

٧- عدد الصور الفوتوغرافية . ٨- عدد الخرائط والأشكال .

٩- رقم البحث في مكتبة د/ عيشان».

ثم قام بإعداد الكشافات الفنية المناسبة وهي[2] :

١- كشاف الباحثين والمشرفين . ٢- كشاف الأعلام . ٣- كشاف القبائل والأسر . ٤- كشاف الأماكن . ٥- كشاف رسائل الدكتوراه . ٦- كشاف رسائل الماجستير .

كما أعدّ بعض الجداول الإحصائية.

والدليل بهذا العمل المتقن يُعدُّ ذخيرة معرفية تاريخية مهمة للباحثين والباحثات في تاريخ المنطقة بخاصة ، وتاريخ المملكة العربية السعودية

(١) محمد بن أحمد معبر - دليل البحوث الجامعية - ط : الأولى ١٤٣٦هـ مطابع الحميضي الرياض : ص ص ١٠-١١ (بتصرف).

(٢) المرجع السابق : ص ١١

حرر في ٢٠/١/١٤٣٧هـ

تابع ملحق رقم (٥٠)

٤

بعامة، ووثائقها وخرائطها، وأشكالها وصورها.

وهذا العمل سيسهل على الباحثين المعلومة، وسيذلل لهم السبل للإفادة منه، وبخاصة أنه بات كالصوى على الطريق، وكالدليل الذي يرشد الحيران، والهادي الذي يدل التائه إلى بعض المعلومات المهمة.

أما الكتاب الموسوعي الآخر فهو بعنوان: «وثائق غيثان بن جريس الخاصة»، والموسوعة تقع في ثمانية مجلدات؛ وهي أيضاً من إعداد الأستاذ معبّر، وقد وجه الإهداء إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير سابقاً، ووزير التربية والتعليم السابق، وأمير منطقة مكة المكرمة حالياً، وتتجلى قيمة هذه الموسوعة في المكاتبات التي تمت ما بين الباحث أ. د غيثان بن جريس؛ وما بين الهيئات والأفراد، وهي وثائق في غاية الأهمية؛ إذ إن منها: ما يؤرخ لحقب زمنية قديمة، ومنها: ما كان استكتاباً من الباحث لبعض المعنيين بتاريخ المنطقة وتراثه وأدبه، وممن عنوا بالبحث في الحيوات المختلفة (السياسية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية وغيرها)، والقارئ سيجد في هذه الموسوعة ما يروي نهمه المعرفي، وتشوفه العلمي، وما يكشف عن المثاقفة المنتجة الجادة بين أبناء المنطقة بخاصة، وكذا بين أبناء المناطق الأخرى بمملكتنا الحبيبة بعامة، وكذلك مع ما يطرحه أ. د غيثان بن جريس، ومنها: ما ينطلق إلى أفق الجدل العلمي، والحوار الثقافي؛ حيث إن ذلك قد يوصل إلى الحجاج المعرفي بتشكلاته كلها.

وإن مما يحمد للباحث في كتبه بعامة، وفي هذه الموسوعة بخاصة ما يأتي:

أولاً: امتداد بحوثه، وكذا البحوث التي أشرف عليها على مساحة زمنية كبيرة.

ثانياً: شمولية تلك البحوث لأماكن متعددة.

حرر في ٢٠/١/١٤٣٧هـ

تابع ملحق رقم (٥٠)

٥

ثالثاً: التضحية بكل غالٍ ونفيس في سبيل الوصول إلى المعلومة.

رابعاً: إعطاء كل ذي حق حقه ممن شاركوا معه ببعض البحوث في كتبه؛ حيث إنه قد أسند تلك البحوث إلى أصحابها، وضمَّنها كتبه وهذه - لعمري - الأمانة العلمية.

خامساً: المنهجية العلمية في التعاطي مع المعلومة التاريخية أو الاجتماعية أو الثقافية والاقتصادية وغيرها، وتوظيفها في سياقها الذي تتسق معه.

سادساً: اهتمام صاحب هذه الموسوعة بمحاولة نشر العلم والمعرفة الوثائقية والتاريخية وغيرها بين القراء، ووضعها بين أيدي الباحثين وطلاب الدراسات العليا؛ حيث إنه لم يضن بتلك المعلومات والوثائق ونحوها.

وعليه فقد بات نبراساً يحتذى بصنيعه وعمله، ومن هنا فإنني أهيب بمن لديهم وثائق أو مخطوطات وغيرها أن يقتفوا أثر هذا العالم الذي آثر الباحثين بما لديه؛ لعلمه أن العلم رحم بين أهله، وليقينه بأن المعرفة الإنسانية لن تتأتى إلا بالتكاملية، ونشر المعلومة في زمن التسابق العالمي إلى السبق المعرفي، وكذا في زمن المعلومة التي لم تعد حكراً على أحد دون سواه؛ بل باتت حقاً للمثقفين جميعاً، ومن هنا فإنني أشكر أ. د. غيثان على الإيثار والبعد عن الذاتية والأثرة (الأنانية) فيما يطرحه، داعيا المولى - جل شأنه - أن يجزيه خير الجزاء نظير ما قدم وبذل وأسهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه د/ قاسم بن أحمد بن عبدالله آل قاسم
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم الإنسانية في مدينة أبها البهية بتاريخ ٢٠/١/١٤٣٧هـ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

حرر في ٢٠/١/١٤٣٧هـ

ملحق رقم (٥١): خطاب بتاريخ (١٤٣٨/٤/٦هـ) مدونة من غيثان بن جريس إلى أرباب القلم والباحثين والمؤلفين وأهل الرأي في البلاد الممتدة من شمال مدينة محايل في تهامة عسير إلى بلدة قلوة في تهامة زهران، وذلك أثناء قيامه برحلة في هذه البلاد في شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ويطلبهم فيه التعاون معه في تدوين بعض الصفحات التاريخية والحضارية عن بلادهم، ويوجد العديد من المحاور المذكورة في هذا الخطاب التي يبحث غيثان عنها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٨هـ) (لم ترقم بعد).**

سعادة الأخ الكريم (*) .... **الموقر**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد:

حرر في (١٤٣٨/٤/٦هـ)

إعلم أخي العزيز إنني أسير في بلدان تهامة والسراة منذ أربعين عاماً منقباً عن آثارها، وتاريخها، وحضارتها، وطبيعة أرضها وسكانها، وذلك من أجل حفظ تراث وأدب وموروث هذه الأوطان العربية. وفي هذه الورقات عزمت أن أخرج في هذا الشهر، ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، في رحلة ميدانية تمتد من شمال محايل عسير إلى بلدة قلوة في تهامة زهران، بهدف الوقوف على شيء من تاريخها وحضارتها الماضية والحاضرة، ولعلمي بأن هذه الناحية من البلدان المنسية عند كُتّاب التراث المتقدمين والمتأخرين، ناهيك عن ذكرها في الوثائق الحديثة والمعاصرة فهي أيضاً غير مذكورة أو مدروسة. والجميل اليوم أن هذه البلاد يوجد فيها مئات المتعلمين، ولديهم شهادات تتراوح ما بين درجات البكالوريوس والليسانس إلى درجة الدكتوراه، وقد التقيت ببعض من هؤلاء المتعلمين المنتمين إلى هذه المنطقة المذكورة في مقدمة هذه المدونة. كما يوجد فيها العديد من الأعيان والوجهاء والشيوخ والأدباء وغيرهم، وعلى هؤلاء جميعاً مسؤولية تجاه أهلهم وبلادهم كي يسعوا إلى حفظ تراثهم وتاريخهم وأدبهم وحضارة آبائهم وأجدادهم. والشيء الذي أريده منك أخي العزيز هو التعاون معي في جمع شيء من تراث وتاريخ وفكر وحضارة هذه البلاد، من أجل نشر شيء عنها في سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، وربما يكون ذلك في المجلد الثاني عشر الذي نعمل عليه منذ شهور، وقد يصدر في نهاية هذا العام، أو العام القادم (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م). وفي الصفحات التالية أدون لك نقاطاً محددة لعلك تفيدني ببعض المعلومات عن الأرض والسكان الذين تعرفهم وتعيش بين ظهرانيهم في هذه البلاد المحددة في هذه الصفحات. والنقاط التي نسعى لجمع مادة علمية عنها، هي على النحو التالي:

(*) انظر آخر صفحة

ابن جريس
١٤٣٨/٤/٦هـ

غيثان بن علي بن جريس

تابع ملحق رقم (٥١)

١- الطبيعة الجغرافية من حيث التضاريس (الجبال، والأودية ، والوهاد ، والهضاب) ، وما يوجد في هذه الأوطان من نباتات وحيوانات وطيور وزواحف ، أو أي كائنات حية أخـرى ، كـذلك المناخ (الرطوبة ، الحرارة ، البرودة ، الأمطار ، الضباب) وكل مالـه علاقـة بالجغرافيـا الطبيعية .

٢- التركيبة السكانية ، تفريعات القبائل والعشائر والبطون في هذه البلاد ، أنسابها ، تاريخ سكانها إذا أمكن خلال الثلاثة قرون الماضية . الأجناس البشرية التي تعيش في هذه الديار مع القبائل الأصلية ، ولا تنس الأحلاف القديمة والحديثة ، وبعض الأحداث السياسية والحضارية التـي عاشها أهل المنطقة .

وفي نهاية هذه النقطة ، والتي قبلها أرجو أن تذكر ما تراه من تغيرات فـي العصـر الحديث على الحياتين الجغرافية والبشرية ، وإذا كان لك رأي أو وجهة نظر أو توصية فأرجو ذكرها حتى نضمها مع هذه الدراسة المزمع إخراجها .

٣- تاريخ الحياة الاجتماعية مثل: وضع القبيلة أو العشـيرة ، والأسـرة ، والأفـراد ، وطبقـات السكان، والطعام والشراب ، واللباس والزينة ، والعمران قديماً وحديثاً ، والعادات والأعراف الأخرى : كالزواج ، واستقبال الضيوف ، والتعاون والتكافل ، وزيـارة المرضـى ، وإغاثـة الملهوف ، والفنون الشعبية ، كيف كانت وكيف أصبحت اليوم ؟ والألعاب الشعبية والرياضية، واللهجات المختلفة في المنطقة ، والحكم ، والأمثـال ، والأغـاني الشـعبية، والأهـازيج ، والأحاجي، والطرف والفكاهات وغيرها . والملاحظ اليوم أنه قد دخل على أهل هـذه الـبلاد وغيرهم الكثير من المتغيرات الاجتماعية في جميع جوانب الحياة ، فأرجو مناقشة هذا الجانب بالتفصيل مع ذكر أمثلة وما تعيشه هذه البلاد من تحولات سلبية أو إيجابية .

٤- تاريخ الحياة الاقتصادية : الصيد ، والجمع والالتقاط ، والرعـي ، والزراعـة ، والتجـارة ، والحرف والصناعات التقليدية . وكل هذه المحاور عاشها وعرفها سكان البلاد خلال القـرون الماضية المتأخرة ، وربما شاهدت الكثير منها ، ثم جرى تحولات وتبدلات في هذه الميادين ، والمطلوب أن تفصل لنا الحديث عن كيف أصبحت مهن الصيد والرعي والجمـع والالتقـاط ،

تابع ملحق رقم (٥١)

وماذا جرى على الزراعة وكيف كانت في السابق ؟ ثم الحديث عن التجارات التي تعيشها منطقتك اليوم وما حولها ؟ وكيف تغيرت سلباً أو إيجاباً ؟ مع الإشارة إلى المعوقات أو العوامل المساعدة التي قابلت مهنة التجارة وغيرها من المهن . كما أرجو ذكر تفصيلات شاملة عن الأسواق الحديثة في ناحيتك ، وأسعار السلع ، والعقارات ، والأجور ، كما لا تنس أيضاً ماذا جرى على نظام الحياة التجارية عندكم ؟ وكيف تأثرت بلادك سلباً وإيجاباً في مجالات الزراعة ، والتجارة ، والصناعات والحرف والمهن التقليدية خلال الأربعين سنة الماضية ؟ وماذا جرى على هذه الجوانب الاقتصادية اليوم ؟ مع إيراد دراسة مقارنة في هذا الباب .

٥- الحياة السياسية والإدارية والمالية في بلادك ، ماذا عرفت عن هذه الجوانب في الماضي البعيد والقريب ؟ وما هو تاريخ هذه المحاور المعاصر؟ كيف دخلت بلادكم تحت حكم ابن سعود ؟ والمؤسسات الإدارية التي ظهرت واستمر تطورها في بلادك ، ثم الحياة المالية وأثرها على حياة الناس ، كالأجور ، والرواتب ، وأثر المال على التطور والتنمية في وطنك .

٦- الحياة الفكرية ، والثقافية ، والأدبية كيف عاشت بلادك في القرن الهجري الماضي فكرياً وثقافياً ؟ وماذا جرى عليها من تطور في هذا الباب ؟ كيف كان الناس؟ وكيف تعلموا وتثقفوا إلى يومنا الحالي ؟ من هم الأعلام في ميدان الثقافة والعلم ؟ وما تعيشه بلادكم اليوم في ميدان التعليم ، والثقافة ، والفكر ، والأدب ، أرجو التفصيل في هذا الجانب في وقتنا الحاضر. وفي العقود الماضية المتأخرة عرفت المملكة العربية السعودية والعالم العربي والإسلامي والعالمي بعض التيارات والأفكار الهدامة ، هل وصل أثرها إلى بلادكم ؟ وإذا كان الجواب بنعم ، فأرجو ذكر أمثلة وتفصيلات في هذا الباب .

٧- السياحة من الجوانب المهمة التي تهتم بها الدولة في الثلاثين سنة الماضية ، فهل لبلادكم دور في هذا المحور ؟ وهل جرى لها بعض التطورات في مجال السياحة ؟ فصّل هذا الجانب بشكل جيد ، مع ذكر أسماء الأمكنة السياحية في وطنك ، وإذا كان هناك عقبات في هذا الجانب فأرجو ذكرها .

٨- نعلم جميعاً أن الموروث القديم مثل الأدوات الأثرية ، والعمارة القديمة من الجوانب المهمة في دراسة التاريخ والحضارة [illegible] لبلادك نصيب في هذا الباب فيوجد بها بعض الآثار ،

٨/٦ ١٤٣٨هـ

تابع ملحق رقم (٥١)

أو الرسومات الصخرية ، أو النقوش ، أو الأبنية القديمة (قصور ، وحصون ، وقرى ، ومنازل، وآبار ، وأسواق ، ومقابر، وأحمية ، وكهوف ، وطرقات) وغيرها ، وعليك أخي الحبيب أن تفصل الحديث في هذه الجوانب وفي محيط ما تعرف في بلادك وبين قبائلك وعشائرك .

٩- بلادنا (المملكة العربية السعودية) تمر في تطور وتنمية منذ خمسين عاماً ، ومن المؤكد أن بلادك نالها شيء من هذا التطور ، فأرجو أن تدون ما تعرفه في هذا المجال ، وإذا كان لك رأي أو وجهة نظر أو نداء فأرجو طرحه حتى ننشره ، ويطلع عليه أصحاب القرار ، ونحن جميعاً نعمل فيما يفيد ويرفع من شأن ديننا وبلادنا وأهلنا .

١٠- هذه نقاط عديدة في البنود السابقة ، والخيار لك – أخي العزيز – أن تكتب في كل ما تراه جيداً ويستحق النشر عن هذه البلاد التهامية الممتدة من شمال محايل عسير إلى قلوة في تهامة زهران ، وقد ترى كثيراً مما سوف تدون لنا في سلسلة كتاب : __القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثاني عشر__ ، أو أي جزء يليه في هذه السلسلة ، كما أننا سوف نحفظ حقك العلمي ، وربما نجري تعديلات أو إضافات أو تصويبات على ما سوف ترسل لنا ، لكن الأهم من ذلك أن الحق العلمي لكل من يشاركنا سوف يحفظ ، وهذا أمر شرعي وعرفي ، وهو حفظ الحقوق . وفي الختام أرجو من كل يطلع على هذه المدونة أن لا يبخل علينا بما يراه نافعاً ومفيداً للبحث والنشر عن هذه البلاد التهامية العربية المنسية . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

حرر في (١٤٣٨/٤/٦هـ)

١٤٣٨/٤/٦هـ

إعداد

أ . د . غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ – جامعة الملك خالد
E. mail: Jrais2009@hotmail.com
العنوان : أبها – ص : ب (٩٠٥٠)
الجوال ٠٥٠٣٧٣٩٣٧٠ .

ملحوظة: هذه المذكرة تم توزيعها على بعض الباحثين والمتعلمين أثناء رحلتي ما بين محايل عسير وقلوة في التهامة الممتدة من الخميس (٧) إلى الاثنين (١١) ربيع الثاني عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) والله الموفق.

أ.د. غيثان ١٤٣٨/٤/٦هـ

-٤-

ملحق رقم (٥٢): مذكرة بتاريخ (١٤٣٨/٦/٢هـ) من شيخ عشيرة العوامر في العرضيات محمد بن علي بن سعد آل شاكر العامري مرسلة إلى غيثان بن جريس يعلق فيها على بعض المعلومات المنشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني) صفحة (٤٠٠) ويضيف تفصيلات أخرى عن عشيرة العوامر وصور من تاريخها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٨هـ) (لم ترقم بعد).**

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرني بعد اللقاء بالأستاذ د غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد أن أوضح وأبين مقدار سعادتي ومشاعري بأنني وجدت رجلا متواضعا يملك من العلم والحكمة ما جعلني سعيدا بلقائه ومقابلته والاستفادة من علمه وخبرته فنسال الله تعالى له التوفيق والسداد وطولا له في العمر لخدمة دينه ومليكه ووطنه ومجتمعه الذين هم بحاجة له لإظهار الحقائق وتقبل النقد

وملاحظاتي على كتابة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني)

ص (٤٠٠) ما يخص قبيلة العوامر بمحافظة العرضيات

الشيخ محمد بن علي بن سعد آل شاكر العامري شيخ قبيلة العوامر

وال شاكر هم شيوخ العوامر منذ مئات السنين في هذه القبيلة

كما أن هذه الأسرة متوارثين هذا المنصب من قبل الحكم السعودي وظهر عليهم الحكم السعودي الدولة السعودية الثالثة في عهد المؤسس الملك عبدا لعزيز بن عبدا لرحمن آل سعود طيب الله ثراه وكانوا أول المبايعين في بيشة آن ذاك

وأبناءه الملوك من بعده

وقبيلة العوامر من القبائل المستقلة منذ القدم بمشايخها وليس لها علاقة بقبيلة خثعم الحالية إلا علاقة الحلف الذي كان يجمعهم بمسي حلف قبائل خثعم سابقا قبل الحكم السعودي

تصديق شيخ العوامر
محافظة العرضيات

سوق قبيلة العوامر

سوق هذه القبيلة سوق الأحد الشعبي بقرية المشيخة ثريبان العوامر

حدود القبيلة

حيث تمتد شرقا مع منطقة عسير وشمالا مع منطقة الباحة وجنوبا وغربا مع قبائل محافظة العرضيات غربا بالعريان وبني سهيم وجنوبا شمران وقبيلة عليان بني المنتشر وتعتبر قبيلة العوامر من أكبر القبائل في محافظة العرضيات التابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة وهي تمثل مجموعة من القرى والحلل والشعاب و[illegible]

حرر في ١٤٣٨/٦/٢هـ

(١)

تابع ملحق رقم (٥٢)

تحدها إمارة الباحة شمالا حيث تمتد ديارها على امتداد أطول جزء من وادي الخيطان أحد أهم روافد وادي قنونا وترتفع ديارها إلي سفوحُ هضاب عقبة الأبناء المؤدية إلي منطقة الباحة وشرقا مركز باشوت ومركز خثعم

في اعلي جبال السر وات التابع لمنطقة عسير حيث تصب هذه الجبال في وادي الحفياء أحد روافد وادي قنونا الذي يصب في البحر الأحمر

وقبيلة العوامر تسع تواسع في تهامة وهم كالآتي ١/ تاسعة آل ثربان وال سعدان وهي قبيلة الشيخ ومقرها ثربان العوامر دار السوق ودار المشيخة ٢/ وتاسعة آل جبل الجناح ٣/ وتاسعة المروة٤/ وتاسعة آل حازم

٥/ وتاسعة آل غلينه ٦/ وتاسعة آل حنيفة ٧/ وتاسعة القريد ٨/ ووتاسعتي آل حجاج بوادي الحفياء وهم آل ربعان وال سيار

وتاسعتين في السراة

عشيرة آل حبة ويراجعون إداريا منطقة عسير

وعشيرة حواله ويراجعون إداريا منطقة الباحة

من شعراء قبيلة العوامر

ومن شعراء العوامر القدامى الشاعر مصبح بن هواش العامري يرحمه الله

شيخ قبيلة العوامر محافظة العرضيات

الشيخ محمد بن علي بن سعد آل شاكر العامري

ملحوظة: هذا التقرير وصلنا من شيخ العوامر في بلاد العرضيات بإشعار للمطرمكي (المدرسة في تهامة) وتعليقاتنا عليه وردت في ضمن ما نشر في الجزء الثاني من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطبعة الثالثة) [illegible]

حرر في ٢/٦/١٤٣٨هـ

٢/٦/١٤٣٨هـ

(٢)

ثانياً : سيرة ذاتية مختصره



أولا : معلومات عامة

الاسم : غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

- من مواليد محافظة النماص بلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وتخرج في الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج بمرتبة الشرف الأولي في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس درجة الماجستير في جامعة أوستن تكساس (Austin Texas)، ثم أنتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .
- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ - ١٩٩٠م)
- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

ثانياً : عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- رئيس تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية السعودية التاريخية .

تابع سيرة ذاتية مختصره

- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم :

- قدم حوالي ثمانين محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (٨٠) ندوة ، أو مؤتمر ، أو لقاء علمي .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي ، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) وذلك بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام ٢٠١٣ م ، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣ م) .
- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والاعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في ارخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)

رابعاً : النتاج العلمي :

١. تم تأليف وطباعة ونشر أكثر من (٣٩) كتاباً .
٢. قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣. نشر حوالي (٩٥) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

Documentation
Of
The History Of The South

(Parts Of Tehamah And Alsarat)

Part - 12

Professor :

Ghithan bin Ali bin Jrais

Department of History

College of Human Sciences

King Khalid University

(1439 H / 2017 A.D)

Riyadh: Al Homaidhi Press

First Edition